منتهى الطلب من أشعار العرب

ابن المبارك

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اللهم صلي على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

قال محمد بن المبارك بن محمد بن محمد بن ميمون رحمه الله بعد ما حمد الله عز وجل، وسأله التوفيق في كل أحواله وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وآله.

هذا كتاب جمع فيه ألف قصيدة، اخترتها من أشعار العرب الذين يستشهد بأشعارهم، وسميته: منتهى الطلب من أشعار العرب وجعلته عشرة أجزاء، وضمنت كل جزء منها مائة قصيدة، وكتبت شرح بعض غريبها في جانب الأوراق، وأدخلت فيها قصائد المفضليات، وقصائد الأصمعي التي اختارها، ونقائض جرير والفرزدق، والقصائد التي ذكرها أبو بكر بن دريد في كتاب له: سماه: الشوارد، وخير قصائد هذيل، والذين ذكرهم ابن سلام الجمحي في كتاب الطبقات، و لم أخل بذكر أحد من شعراء الجاهلية والإسلاميين الذين يستشهد بشعرهم إلا من لم أقف على مجموع شعره، و لم أره في خزانة وقف ولا غيرها، وإنما كتبت لكل أحد ممن ذكرت أفصح ما قال وأجوده، حتى لو سبر ذلك علي منتقد بعلم عرف صدق ما قلت.

واخترت هذه القصائد وقد جاوزت ستين سنة بعد أن كنت مذ نشأت ويفعت مبتلي بهذا الفن حتى أني قرأت كثيراً منها على شيخي أبي محمد عبد الله ابن أحمد بن أحمد بن أحمد بن الخشاب رحمه الله حفظاً وعلى شيخي أبي الفضل ابن ناصر وغيره ممن لقيته، ونسخت معظم دواوينها.

ولما أردت أن أجمع هذا الكتاب على ترتيب الشعراء وتقديم بعضهم على بعض لم يمكنني لأنه لم يتفق أني أقف على ذلك على ترتيب فاعذر في ذلك، وإنما قدمت كعب بن زهير وختمته بهاشميات الكميت تيمناً وتبركاً بمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصيدة كعب وذكره صلى الله عليه وآله في شعر الهاشميات التي ختمت بها الكتاب.

وكان جمعي لهذا الكتاب في شهور سنتي ثمان وتسع وثمانين وخمس مائة بمدينة السلام، ولقد وقفت على كتب كثيرة جمعت من الشعر، فلم أر من بلغ إلى ما بلغت فيه من الاستكثار والعدد، فأسأل الله تعالى أن يصلي على محمد وآله وأن يبارك فيه ويوفق المتشاغل به، وأسأله التوبة والمغفرة وإنه وليّ ذلك.

كعب بن زهير

قال كعب بن زهير يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم: وقرأت هذه القصيدة في سنة اثنتين وأربعين وخمس مائة على الشيخ أحمد بن علي بن السمين. ورواها لي عن أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، عن أبي محمد الحسن بن علي الجوهري، عن أبي عمرو محمد بن العباس بن حيويه الجزاز، عن أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبيه عن عبد الله بن عمرو، عن إبراهيم بن المنذر الحزامي، عن الحجاج بن ذي الرقيبة بن عبد الرحمن بن كعب بن زهير المزني، عن أبيه عن جده عن كعب: البسيط

بانتْ سعادُ فقلبِي اليومَ متبولُ ... متيمٌ إثرها لم يفدَ مكبولُ

وما سعادُ غداةَ البينِ إذ ظعنوا ... إلا أغنٌّ غضيضُ الطرفِ مكحولُ

تجلو عوارضَ ذي ظلمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه منهلٌ بالراحِ معلولُ

شجتْ بذِي شبمٍ منْ ماءِ محنيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمولُ

تنفي الرياحُ القذَى عنهُ وأفرطَه ... من صوبِ ساريةٍ بيضٌ يعاليلُ

يا ويحها خلةً لو أنها صدقتْ ... موعودَها أو لوَ أنَّ النُّصحَ مقبولُ

لكنها خلةٌ قد سيطَ من دمِها ... فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديلُ

فما تدومُ على حالٍ تكونُ بها ... كما تلونُ في أثوابها الغُولُ

وما تمسكُ بالعهدِ الذي زعمتْ ... إلا كما يمسكُ الماءَ الغرابيلُ

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً ... وما مواعيدُها إلا الأباطيلُ

أرجُو وآملُ أن يعجلنَ من أبدٍ ... وما لهنَّ طوالَ الدهرِ تعجيلُ

فلا يغرنكَ ما منتْ وما وعدتْ ... إنَّ الأمانيَّ والأحلامَ تضليلُ

أمستْ سُعادُ بأرضٍ لا يبلغُها ... إلا العتاقُ النَّجيباتُ المراسيلُ

ولن يبلغها إلا عذافرةُ ... فيها على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ

منْ كلِّ نضاخةِ الذفرَى إذا عرقتْ ... عرضتُها طامسُ الأعلامِ مجهولُ

ترمي الغيوبَ بعيني مفردٍ لهقٍ ... إذا توقدَتِ الحزانُ والميلُ

ضخمٌ مقلدُها فعمٌ مقيدُها ... في خلقها عن بناتِ الفَحلِ تفضيلُ

حرفٌ أخوها أبوها من مهجنَةٍ ... وعمُّها خالها قوداءُ شمليلُ

يمشي القرادَ عليها ثم يزلقُه ... منها لبانٌ وأقرابٌ زهاليلُ

عيرانةٌ قذفتْ باللحمِ عنْ عُرضٍ مرفقُها منْ بناتِ الزورِ مفتولُ
كأنّ ما فاتَ عينيها ومذبحها من خطمِها ومن اللحيينِ برطيلُ
تمرُّ مثلَ عسيبِ النخلِ ذا خصلٍ في غارزٍ لم تخونهُ الأحاليلُ
قنواءُ في حرتيها للبصير معاً عتقٌ مبينٌ وفي الآذان تآليلُ
تخدي على يسراتٍ وهي لاحقةٌ ذوابلٌ وقعهنَّ الأرضَ تحليلُ
سمرُ العجاياتِ يتركنَ الحصا زيماً لم يقهنَّ رؤوسَ الأُكمِ تنعيلُ
يوماً تظلُّ حدَابُ الأرضِ يرفعها من اللوامعِ تخليطٌ وتزييلُ
يوماً يظلُّ به الحرباءُ مصطخِماً كأنّ ضاحيَه بالنَّارِ مملُولُ
كأنَّ أوْبَ ذراعيها إذا عرقتْ وقدْ تلفعَ بالقورِ العساقيلُ
وقالَ للقومِ حاديهم وقدْ جعلتْ ورقُ الجنادبِ يركضنَ الحصى قيلُوا
شدَّ النهارِ ذراعا عيطلٍ نصفٍ قامتْ فجاوبَها نكدٌ مثاكيلُ
نواحةٌ رخوةُ الضبعيْنِ ليسَ لها لما نعى بكْرَها النّاعونَ معقولُ
تفري اللِّبَانَ بكفيها ومدرعُها مشققٌ عنْ تراقيها رعابيلُ
تسعى الوشاةُ بجنبَيْها وقولُهُم إنكَ يا بنَ أبي سلمَى لمقتولُ
وقالَ كلُّ خليلٍ كنتُ آملهُ لا ألهينكَ إني عنكَ مشغولُ
فقلتُ خَلُّوا سبيلي لا أبَا لكمُ فكلُّ ما قدَّر الرحمنُ مفعولُ
كلُّ ابنِ أنثَى وإنْ طالتْ سلامتهُ يوماً على آلةٍ حدباءَ محمولُ
أنبئتُ أن رسولَ اللهِ أوعدنِي والعفوُ عندَ رسولِ اللهِ مأمولُ
مهلاً هداكَ الذي أعطاكَ نافلةَ ال قرآنِ فيها مواعيظٌ وتفصيلُ
لا تأخذنّي بأقوالِ الوشاةِ ولمْ أذنبْ وإن كثرتْ في الأقاويلُ
لقدْ أقومُ بأمرٍ لوْ يقومُ به أرَى وأسمَعُ ما لو يسمعُ الفيلُ
لظلَّ يرعدُ إلا أن يكون لهُ منَ الرسولِ بإذنِ اللهِ تنويلُ
حتى وضعتُ يمنيي لا أنازعُهُ في كفِّ ذي نقماتٍ قيلُهُ قليلُ
لذاكَ أهيبُ عندِي إذْ أكلمهُ وقيلَ إنكَ منسوبٌ ومسؤولُ

مِنْ ضيغمٍ مِنْ ضراءِ الأُسدِ محذرهُ ببطنِ عثرَ غيلٌ دونهُ غيلُ
يغدو فيلحمُ ضرغامينِ عيشُهُما لحمٌ من القومِ معفُورٌ خراذيلُ
إذا يساورُ قرناً لا يحلُّ لهُ أنْ يتركَ القرنَ إلاَّ وهو مفلولُ
منه تظلُّ حميرُ الوحشِ ضامزةً ولا تمشي بواديهِ الأراجيلُ
ولا يزالُ بواديه أخو ثقةٍ مطرحُ البزِّ والدرسانِ مأكولُ
إنَّ الرسولَ لسيفٌ يستضاءُ به مهندٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ
في عصبةٍ من قريشٍ قالَ قائلهمْ ببطنِ مكةَ لمَّا أسلمُوا زولُوا
زالوا فما زالَ أنكاسٌ ولا كشفٌ عندَ اللقاءِ ولا ميلٌ معازيلُ
شمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسهمُ من نسجِ داوودَ في الهَيجا سرابيلُ
بيضٌ سوابغُ قد شكتْ لها حلقٌ كأنهُ خلقُ الفقعاء مجدولُ
يمشونَ مشيَ الجمالِ الزهرِ يعصمهم ضربٌ إذا عردَ السودُ التنابيلُ
لا يفرحونَ إذا نالتْ رماحهمُ قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلُوا
لا يقعُ الطعنُ إلاَّ في نحورهمِ وما لهمْ عنْ حياضِ الموتِ تهليلُ

وقال كعب يمدح الأنصار: الكامل

منْ سرَّهُ كرمُ الحياةِ فلا يزالْ في مقنبٍ من صالحي الأنصارِ
المكرهينَ السمهريَّ بأذرعٍ كسوافلِ الهنديِّ غيرِ قصارِ
والناظرينَ بأعينٍ محمرةٍ كالجمرِ غيرِ كليلةِ الإبصارِ
والذائدين الناسَ عنْ أديانهم بالمشرفيّ وبالقنا الخطارِ
والباذلينَ نفوسهم لنبيِّهم يومَ الهياجِ وقبَّةِ الجَبَّارِ
دربُوا كما دربتْ أسودُ خفيةٍ غلبُ الرقابِ من الأسودِ ضواري
وهمُ إذا خوتِ النجومُ وأمحلوا للطائفينِ السائلينَ مقاري
وهمُ إذا انقلبوا كأنَّ ثيابهم منها تضوُّعُ فأرَةِ العطارِ

للصلبِ من غسانَ فوقَ جراثمٍ تنبو خوالدُها عن المنقارِ

والمطعمينَ الضيفَ حينَ ينوبهمْ من لحمِ كومٍ كالهضابِ عشارِ

والمنعمينَ المفضلينَ إذا شتوا والضاربينَ علاوةَ الجبارِ

بالمرهفاتِ كأنَّ لمعَ ظباتهَا لمعُ البوارقِ في الصبيرِ الساري

لا يشتكونَ الموتَ إنْ نزلتْ بهمْ شهباءُ ذاتُ معاقرٍ وأوَارِ

وإذا نزلتَ ليمنعوكَ إليهمِ أصبحتَ عندَ معاقلِ الأغفارِ

ورثُوا السيادَةَ كابراً عنْ كابرٍ إنَّ الكِرَام همُ بنُو الأخيارِ

لوْ يعلمُ الأحياءُ علميَ فيهمِ حقاً لصدقَني الذينَ أُماري

صدمُوا عليَّاً يومَ بدرٍ صدمةً دانتْ عليٌّ بعدها لنزارِ

يتطهرونَ كأنَّهُ نُسُكٌ لهمْ بدماءِ منْ علقُوا من الكفارِ

وإليهمِ استقبلتُ كلَّ وديقةٍ شهباءَ يسفَعُ حرُّها كالنارِ

ومريضةٍ مرضَ النعاسَ دعوتها بادرتُ علةَ نومها بغرارِ

وعرفتُ أني مصبحٌ بمضيعةٍ غبراءَ تعزفُ جنُّها مذكارِ

فكسوتُ كاهِلَ حرةٍ منهوكةٍ كالفحلِ حاريًّاً عديمَ شوارِ

سلستْ عراقيهِ لكلِّ قبيلةٍ من حنوهِ علقَتْ على مسمارِ

فسدتْ مهملجَةً علالَةَ مدمجٍ منْ فالقٍ حصيدٍ من الإمرارِ

حتى إذا اكتستِ الأبارقُ نقبةً مثل الملاءِ من السرابِ الجاري

ورضيتُ عنهَا بالرضاءِ وسامحتْ منْ دونِ عسرةِ ضغنِها بيسارِ

تنجو بها عجرٌ كنازٌ لحمُها حفزَتْ فقاراً لاحقاً بفقارِ

في كاهلٍ وشجتْ إلى أطباقهِ دَأياتُ منتفجٍ من الأزوارِ

وتديرُ للخرقِ البعيدِ نياطُهُ بعدَ الكلالِ وبعدَ نومِ السَّاري

عيناً كمرآةِ الصناعِ تديرُها بأناملِ الكفينِ كلَّ مدارِ

لجمالِ محجرِها لتعلمَ ما الذي تبدِي لنظرةِ روحها وتواري

وقال كعب أيضاً: المتقارب

لمنْ دمنةُ الدارِ أقوتْ سنينا بكيتَ فظلتَ كئيباً حزينَا

بها جرتِ الريحُ أذيالها فلمْ يبقَ منْ رسمها مُستبينَا

وذكرنيها على نأيها خيالٌ لها طارقٌ يعترينَا

فلمَّا رأيتُ بأنَّ البكاءَ سفاهٌ لدى دمنٍ قد بلينَا

زجرتُ على ما لديَّ القلُو صَ منْ حزنٍ وعصيتُ الشؤونا

وكنتُ إذا ما اعترتني الهُمومُ أكلفُها ذات لوثٍ أمونَا

عذافرةً حرةَ الليطِ لا سقوطاً ولا ذات ضغنٍ لجوناَ

كأني شددتُ بأنساعِها قويرحَ عامينِ جأباً شنونا

تقلبُ حقباً ترى كلهنَّ قدْ حملتْ فأسرَّتْ جنينا

وحلاءهُنَّ وخبَّ السفَا وهيجهُنَّ فلمَّا صدينَا

وأخلفهنَّ ثمادُ الغمارِ وما كنَّ منْ ثادقٍ يحتسينَا

جعلنَ القنانَ بإبطِ الشمالِ وماءَ العنابِ جعلنا يمينَا

وبصبصنَ بينَ أداني الغضَا وبينَ عنيزةَ شأواً بطينَا

فأبقينَ منهُ وأبقى الطرا دُ بطناً خميصاً وصلباً سمينَا

وعوجاً خفافاً سلامَ الشظَا وميظَبَ أكمٍ صليباً رزينا

إذا ما انتحاهنَّ شؤبوبهُ رأيتَ لجارِ عتيهِ غضونَا

يعضِّضُهُنَّ عضيضَ الثقافِ بالسمهريةِ حتى تلينَا

ويكدمُ أكفالها عابساً فبالشدِّ منْ شرهِ يتقينَا

إذا ما انتحتْ ذاتُ ضغنٍ لهُ أصرَّ فقدْ سلَّ منها الضغُّونَا

لهُ خلفَ أكسائِها أزملٌ مكانَ الرّقيبِ من الياسرينَا

يحشرجُ منهنَّ قيدَ الذِّرا عِ ويضربنَ خيشومهُ والجبينَا

يثرنَ الغبارَ على وجههِ كلونِ الدواخنِ فوقَ الإرينَا

فأوردَهَا طامياتِ الحمامِ وقد كدنَ يأجنَّ أو كنَّ جونَا

ويشربنَ من باردٍ قدْ علم نَ إلا دخالَ وإلا عُطونَا

فصادفنَ ذا حنقٍ لاصقاً لصوقِ البرامِ يظنُّ الظنونَا

قصيرَ البنانِ دقيقَ الشوَا يقولُ أيأتينَ أم لا يجينَا
يؤمُّ الغَيايَةَ مستبشراً يصيبُ المقاتلَ حتفاً رصينَا

فجئنَ فأوجسنَ من خشيةٍ ولم يعترفنَ بنفرٍ يقينَا
وتُلقي الأكارِعَ في باردٍ شهيٍّ مدافنهُ يشتفينَا
يبادرنَ جرعاً يواثرنهُ كقرعِ القليبِ حصى الحاذفينَا
فأمسك ينظر حتى إذا دنونَ منَ الريِّ أو قد روينَا
تنحَّى بصفراءَ منْ نَبْعةٍ على الكفِّ تجمعُ أرزاً ولينَا
مغذاً على عجسها مرهفاً فتيقَ الغرارينِ حشراً سنينَا
فأرسلَ سهماً على فقرةٍ وهنَّ شوارِعُ ما يتقينَا
فمرَّ على نحرِهِ والذِّراعِ ولمْ يكُ ذاكَ لهُ الفعلُ دينَا
فلهَّفَ منْ حسرةٍ امَّهُ وولينَ من رَهَجٍ يكتسينَا
تهادَى حوافرهنَّ الحَصَى وصمُّ الصخورِ بها يرتَمينَا
فقلقلَهنَّ سراةَ العِشَاءِ أسرعَ منْ صدرِ المصدرينَا
يزرُّ ويلفظُ أوبارَهَا ويقرُو بهنَّ حزوناً حزونَا
فأصبحَ بالجزْعِ مستجذلاً وأصبحنَ مجتمعاتٍ سكونَا
وتحسبُ بالفجرِ تعشيرهُ تغردَ أهوجَ منْ مُنتَشِينَا

وقال كعب أيضاً: الطويل

أمِنْ أمِّ شدادٍ رسومُ المنازلِ توهمتُها منْ بعدِ سافٍ ووابلِ
وبعدَ ليالٍ قدْ خلونَ وأشهرٍ على إثرِ حولٍ قد تجرمَ كاملِ
أرى أمَّ شدادٍ بها شبهَ ظبيةٍ تطيفُ بمكحولِ المدامعِ خاذلِ
أغنَّ غضيض الطرفِ رخصٍ ظلوفهُ ترودُ بمعتمٍّ من الرِّملِ هائلِ
وترنو بعينيْ نعجةٍ أمِّ فرقَدٍ تظلُ بوادي روضةٍ وخمائلِ

وتخطُو على برديتينِ غذاهمَا أهاضيبُ رجافِ العشياتِ هاطلِ

وتفترُّ عنْ عذبِ الثنايا كأنهُ أقاحٍ تروَّى منْ عروقٍ غلاغلِ

لياليّ تحتلُّ المراضَ وعيشُنا غريرٌ ولا نُرعي إلى عذلِ عاذلِ

فأصبحتُ قد أنكرتُ منها شمائلاً فما شئتَ من بخلٍ ومن منعِ نائلِ

وما ذاكَ من شيءٍ أكونُ اجترمتُه سوى أن شيباً في المفارقِ شاملي

فإن تصرميني ويبَ غيرك تُصرَمي وأوذِنْتِ إيذانَ الخليطِ المزايلِ

ومستهلكٍ يهدي الضَّلولَ كأنَّه حَصيرٌ صَناعٌ بينَ أيدِي الرواملِ

متى ما تشأْ تسمعْ إذا ما هبطته تراطُنَ سربٍ مغربَ الشمسِ نازلِ

روايا فراخٍ بالفلاةِ توائمِ تحطمُ عنها البيضُ حمرِ الحواصلِ

توائمَ أشباهٍ بغيرِ علامةٍ وضعنَ بمجهولٍ من الأرضِ خاملِ

وخرقٍ يخافُ الرَّكبُ أن يدلجُوا بهِ يعضونَ منْ أهوالِه بالأَناملِ

مخوفٍ به الجنانُ تعوي ذئابُهُ قطعتُ بفتلاءِ الذراعَيْنِ بازلِ

صموتِ البُرَى خرساءَ فيها تلفتٌ لنبأةِ حقٍّ أو لتشبيهِ باطلِ

تظلُّ نسوعُ الرَّحلِ بعد كلالِها لهنّ أطيطٌ بين جوزٍ وكاهلِ

رَفيعِ المحالِ والضلوعِ نمتْ بها قوائمُ عوجٌ ناشزاتُ الخصائلِ

تجاوبُ أصدَاءً وحيناً يرومُها تضوُّرُ كسابٍ على الرَّحْلِ عائلِ

عذافرةٍ تختالُ بالردفِ حرةٍ تباري قلاصاً كالنعامِ الجوافلِ

بوقعٍ دراكٍ غيرِ ما متكلفٍ إذا هبطَت وعْثاً ولا متخاذلِ

كأنَّ جريري ينتحي فيهِ مسحَلٌ منَ الحمرِ بينَ الأنعمين فعاقلِ

يغردُ في الأرضِ الفضاءِ بعانةٍ خماصِ البطونِ كالصعادِ الذوابلِ

يطردُ عنها بالمصيف جحاشها فقد قلصت أطباؤها كالمكاحلِ

يظلُّ سراةَ اليومِ يبرمُ أمرهُ براىبيةِ البحاءِ ذاتِ الأعابلِ

وهمَّ بوردٍ بالرُّسيسِ فصدَّهُ رجالٌ قعودٌ في الدجى بالمعابلِ

إذا وردتْ ماءً بليلٍ تعرضتْ مخافةَ رامٍ أو مخافةَ حابلِ

كأنَّ مدَهدَا حنظلٍ حيثُ سوفَتْ		بأعطانِها منْ لسِّها بالجحافلِ

وقال كعب يمدح أمير المؤمنين علياً عليه السلام وكانت بنو أمية تنهي عن روايتها وإضافتها إلى شعره أنشدنيها ابن خطاب صاحب الخبر وكان أديباً من غلمان أبي زكريا التبريزي: البسيط

هلْ حبلُ رملةَ قبلَ البينِ مبتورُ		أمْ أنتَ بالحلمِ بعدَ الجهلِ معذورُ

ما يجمعُ الشوقُ إنْ دارٌ بنا شحطتْ		ومثلها في تداني الدارِ مهجورُ
نشفَى بها وهي داءٌ لوْ تصاقبنا		كما اشتفَى بعيادِ الخمرِ مخمورُ
ما روضةٌ من رياضِ الحزنِ باكرها		بالنبتِ مختلفُ الألوانِ ممطورُ
يوماً بأطيبَ منها نشرَ رائحةٍ		بعدَ المنامِ إذا حبَّ المَعاطيرُ
ما أنسَ لا أنسَهَا والدَّمعُ مُنسرِبٌ		كأنهُ لؤلؤٌ في الخدِّ محدورُ
لمَّا رأيتهمُ زمتْ جمالهمُ		صدقتُ ما زعموا والبينُ محذورُ
يحدو بهنَّ آخو قاذورةٍ حذرٌ		كأنهُ بجميعِ الناسِ موتورُ
كأنَّ أظعانهمْ تحدَى مقفيةً		نخلٌ بعينينِ ملتفٌّ مواقيرُ
غلبُ الرقابِ سقاها جدولٌ سربٌ		أو مشعبٌ من أتيٍّ البَحرِ مفجورُ
هل تبلغني عليَّ الخير ذِعلبَةٌ		حرفٌ تزللَ عنْ أصلابِها الكورُ
منْ خلفِها قلصٌ تجري أزمَّتُها		قد مسَّهنَّ معَ الإدلاجِ تهجيرُ
يخبطنَ بالقومِ أنضاءَ السريحِ وقدْ		لاذَتْ من الشَّمسِ بالظِّلِّ اليعافيرُ
حتى إذا انتصبَ الحربَاءُ وانتقلتْ		وحانَ إذْ هجروا بالدوِّ تغويرُ
قالوا تنحوْا فمسُّوا الأرضَ فاحتولُوا		ظلاًّ بمنخرقٍ تهفو بهِ المورُ
ظلوا كأنَّ عليهمْ طائراً علقاً		يهفو إذا انسفرتْ عنهُ الأعاصيرُ
لوجهةِ الريحِ منهُ جانبٌ سلبٌ		وجانبٌ بأكفٍّ القومِ مضبورُ
حتى إذا أبردُوا قاموا إلى قلصٍ		كأنهنَّ قسيُّ الشوحطِ الزورُ
عواسلٌ كرعيلِ الربدِ أقرعَها		بالسِّيّ منْ قانصٍ شلٌّ وتنفيرُ
حتى سقَي الليلُ سقى الجنِّ فانغمستْ		في جوزهِ إذْ دجَا الآكامُ والقُورُ

غطا النشازَ مع الأهضامِ فاشتبَها كلاهُما في سوادِ الليلِ مغمورُ
إنَّ عليّاً لميمونٌ نقيبتهُ بالصالحاتِ من الأفعال مشهورُ
صهرُ النبيِّ وخيرُ الناسِ مفتخراً فكلُّ منْ رامَهُ بالفخرِ مفخورُ
صلى الطهورُ مع الأُميِّ أولهمْ قبلَ المعادِ وربُّ الناسِ مكفورُ
مقاومٌ لطغاةِ الشركِ يضربهمْ حتى استقاموا ودينُ اللهِ منصورُ
بالعدلِ قمتَ أميناً حينَ خالفهُ أهلُ الهوا وذوو الأهواءِ والزورُ
يا خيرَ منْ حملت نعلاً لهُ قدمٌ بعدَ النبيِّ لديهِ البغيُ مهجورُ
أعطاكَ ربُّكَ فضلاً لا زوالَ لهُ منْ أينَ أنَّى لهُ الأيَّامَ تغييرُ

خفاف بن ندبة

وقال خفاف بن عمير بن الحرث بن عمرو بن الشريد وهو عمرو بن رياح بن يقظة بن عضية السلمي:

الطويل

ألا طرقتْ أسماءُ منْ غيرِ مطرقِ وأنِّى إذا حلتْ بنجرانَ نلتقي
سرتْ كلَّ وادٍ دونَ رهوةَ دافعٍ فجلذانَ أو كرمٍ بليةٍ مغدقِ
تجاوزتِ الأعراص حتى توسدتْ وسادي لدى بابٍ منا لدور مغلقِ
بغرِّ الثنايا خيفَ الظلمُ بينهُ وسنةِ رئمٍ بالجُنيْنَةِ موثَقِ
ولمْ أرهَا إلاَّ تَئيةَ ساعةٍ على ساجرٍ أو نظرةً بالمشرقِ
ويومَ الجميعُ الحابسونَ براكسٍ وكانَ المحاقُ موعداً للتفرقِ
بوجٍّ وَما بالِي بوجٍّ وبالُها ومنْ يلقَ يوماً جدَّةَ الحُبِّ يخلَقِ
وأبدَى بئيسُ الحجِّ منها معاصماً ونحراً متى يحللْ به الطيبُ يشرقِ
فأمّا تريني اليوم أقصرَ باطلي ولاحَ بياضُ الشيبِ في كلِّ مفرقِ
وزايلني زينُ الشبابِ ولينهُ وبدلتُ منه جردَ آخرَ مخلقِ
فعثرةِ مولى قدْ نعشتُ بأسرةٍ كرامٍ على الضراءِ في كلِّ مصدقِ
وغمرةِ مخمورٍ نغشتُ بشربةٍ وقدْ ذمَّ قبلي ليلُ آخرَ مطرقِ
ونهبٍ كجماعِ الثريَّا حويتُهُ غشاشاً بمحتاتِ الصفاقين خيفقِ

ومعشوقةٍ طلقتُها بمرشةٍ لها سننٌ كالأتحميِّ المُخرَّقِ
فآبتْ سليباً منْ أناسٍ تحبُّهمْ كئيباً ولولا طلعتِي لمْ تطلقِ
بخيلٍ تنادَى لا هوادةَ بينَها شهدتُ بمذلولِ المعاقمِ محنقِ
عظيمٍ طويلٍ غيرِ جافٍ نما بهِ سليمُ الشظا في مكرباتِ المطبقِ

معرضُ أطرافِ العظامِ مشرفٌ شديدُ مشكِّ الجنبِ فعمُ المنطقِ
من الكاتماتِ الرَّبوَ ينزعُ مقدماً سبوقٌ إلى الغاياتِ غيرُ مسبقِ
إذا ما استحمتْ أرضهُ من سمائه جرى وهو مودوعٌ وواعدُ مصدقِ
وناصَ الشمالَ طعنُهُ في عنانهِ وباعَ كبوعِ الخاضبِ المتطلقِ
وعتهُ جوادٌ لا يباعُ جنينُها لمنسوبةٍ أعراقهُا غيرُ محمقِ
بصيرٍ بأطرافِ الحدابِ ترى لهُ سراةً تساوي بالطرافِ المروقِ
ومرقبةٍ يزلُّ عنها قتامُها يمامتُها منها بضاحٍ مذلقِ
تبيضُ عتاقُ الطيرِ في قذفاته كطرةِ بابِ الفارسيِّ المغلّقِ
رَبأتُ وحرجوجٌ جهدتُ رواحَها على لاحبٍ مثلَ الحصيرِ المنمَّقِ
تبيتُ إلى عدٍّ تقادمَ عهدهُ برودٍ تقا حرَّ النهارِ بغلْفَقِ
كأنَّ محافيرَ السِّباعِ حياضهُ لتعريسِها جنبَ الإزاءِ المُخرَّقِ
معرسُ ركبٍ قافلينَ بضرةِ صرادٍ إذا ما نارهُم لمْ تحرَّقِ
فدعْ ذا ولكنْ هلْ ترى ضوءَ بارقٍ يضيءُ حبياً في ذرأتي متألقِ
على الأتمِ منهُ وابلٌ بعدَ وابلٍ فقدْ رهقتْ قيعانهُ كلَّ مرهقِ
وجرَّ بأكنافِ البحارِ إلى الصّلا رباباً لهُ مثل النعامِ المعلّقِ
فأبلَى سقاً يعلو العضاَه غُشاؤُهُ يصفق منها الوحشُ كلَّ مصفقِ
فجادَ شرورَى فالستارَ فأصبحَتْ تعارُ له فالوادِيانِ بمودِقِ
كأنَّ الضبابَ بالصحارى غديةً رجالٌ دعاهُم مستضيفٌ لموسقِ
لهُ حدبٌ يستخرجُ الذئبَ كارِهاً يهزُّ الغُثاءَ عندَ غانٍ بمطْلَقِ

يخرجُها رأسٌ خَسيفٌ كأنهُ مخامرُ طلعٍ في ذراعٍ ومرفقِ

كأنَّ الحداةَ والمشايعَ وسطَه وعوذاَ مطافيلاً بأمعزَ تصدُقِ

وقال خفاف: المتقارب

ألا تلكَ عرسيَ إذْ أمعرَتْ أساءَتْ ملامَتَنا والإمارَا

وقالتْ أرَى المالَ أهلكتَهُ وأحسبُهُ لو تراهُ معارَا

ويمنعُ منها نَماءَ الإفالِ مشيُّ القداحَ ونقدي التجارا

وقولُ الألدَّةِ عندَ الفصالِ إذا قمتُ لا تتركنّا حِرارِا

غشيتُ حروناً ببطنِ الضباعِ فألمحُ منْ آلِ سلمى دثارا

نظرتُ وأهلي على صائفٍ هدواً فآنستُ بالفردِ نارا

عليها خذُولٌ كأمِّ الغزَا لِ تقرُو بذروَة ضالاً قصَارا

تنضُّ لروعاتهِ جيدها إذا سمعتْ منْ مغمٍّ جُؤَارا

أصاحِ ترى البرقَ لمْ يغتمِضْ إذا زعزعتْهُ الجنوبُ استطارا

فسلَّ مصابيحهُ بالعشاءِ تحسبُ في حافتيهِ المنارا

كأنَّ تكشفهُ بالنشاصِ بلقٌ تكشفُ تحمي مهارا

أقامَ بذي النخلِ رَيعانهُ وجادَ مسلحةً فالستارا

وحططَ أحمرَ بالدونْكَيْنِ يغشَيْنَ معتصماتٍ تعارا

فأضحَى بمعتلجِ الواديينِ يبرقُ منهُ صبيرٌ نهارا

خسيفٌ يزيفُ كزيفِ الكَسيرِ ينهمرُ الماءُ منهُ انهمارا

وغيثٍ تبطنتُ قريانهُ يحاوبُ فيه نهيقٌ عرارا

ذعرتُ عصافيره بالسوادِ أوزعُ ذا ميعةٍ مستطارا

منَ الممعضاتِ لفضِّ القرونِ إذا كرَّ فيه حميمٌ غرارا

إذا نزَّعتهُ إليَّ الشَّمالُ راجعَ تقريبَهُ ثمَّ غَارا

كما جاشَ بالماءِ عندَ الوقُو دِ مرجلُ طَبّاخهِ ثمَّ فارا

يعزَّ القوافلَ سهلَ الطريقِ إذا طابقتْ وعثهُنَّ الحرارا

يفينَ ويحسبُهُ قافلاً إذا اقْورَّ حِملاجَ ليفٍ مُغارا

ومُفرِهَةٍ تامِكٍ نيها إذا ما تساقُ تزينُ العشارا

لقيتُ قوائمها أربعاً فعادتْ ثلاثاً وعادتْ ضمارَا

فجاءَ إلينا ألدُّ الرجالِ يقسمُ يأخذُ منها اليسارا

تفلتُ عن غلمةٍ شاربينَ لو طارَ شيءٌ من الجهلِ طَارا

فلما تبينَ مكروهنا وأيقنَّ أنَّا نهينُ السيارَا

تصدَّى لنجزيةُ مثلها وننظرَ ماذا يكونُ الحوارا

وقال خفاف أيضاً: المنسرح

أوحشَ النخلُ منْ نعاملَ فالرَّ وضاتُ بينَ الغِياءِ فالنُّجُدِ

بدلتِ الوحشَ بالأنيسِ لمَا مرَّ عليها من سالفِ الأبدِ

بعدَ سوامٍ تعلُو مسارحهُ تسمعُ فيهِ جوائزَ النقدِ

يحرسُ أكلاءهُ ويحفظهُ كلَّ عنودِ القيادِ كالمسدِ

وسابحٍ مدمجٍ نحيزتهُ طرفٌ كتيس الظباء منجردِ

ليستْ لهُ نبوةٌ فنكرها يومَ رهانٍ منهُ ولا طردِ

يا هلْ ترى البرقَ بتُّ أرقبُهُ في مكفهرٍّ نشاصُهُ قردِ

مالَ على قبَّةِ البَثاءِ فعزَّ ال مترُ بينَ الرجلاءِ فالجمدِ

يتركُ منها النهاءَ مفرطةً مثل الرياطِ المنشورةِ الجددِ

إذا مرتْهُ ريحٌ يمانيةٌ يردُّ ريعانُهُ إلى نضدِ

إنْ أمْسِ رمساً تحتَ الترابِ فهل تصرفُ بعدي المنونُ عن أحدِ

كل امرئٍ فاقدٌ أحبتهُ ومسلِمٌ وجههُ إلى البلدِ

وقد أغادي الحانوتَ أنشرهُ بالرحلِ فوق العيرانةِ الأجدِ

تنفذُ عيني إلى الكياسِ ولا أسكرُ من ريحها ولم أكدِ

وأتركُ القرنَ في المكرّ وقدْ أقتلُ جوعَ المحولِ الصردِ

وأهبطُ العازبَ المخوفَ بهِ الموتُ نهاراً بسابحٍ نهدِ

أجردَ مدلوكةٌ معاقمهُ		فقمٌ كشاةِ الصريمةِ العتدِ
لمْ يتخاوش من النقابِ ولمْ		يزرِ بهِ قيظهُ ولمْ يردِ

وقال خفاف: البسيط

ما هاجَكَ اليومَ من رسمٍ وأطلالِ		منها مبينٌ ومنها دارسٌ بالِ
بينَ سنامٍ وهضميهِ وذي بقرٍ		كأنها صحفٌ يخطها تالي
دارٌ لقيلَةَ إذْ قلبي بها كلفٌ		أقوت منازلُها من ْ بعدِ أحوالِ
تمشي النعاجُ بها والعينُ مطفلةٌ		إلى رواشحَ قد حفتْ وأطفالِ
ظللتُ فيها كيئباً غيرَ مضطلعٍ		همي وأسبلَ دمعي أيَّ إسبالِ
وجسرةِ الخلقِ منفوجٍ مرافقُها		عيرانةٍ كوبيلِ القسِّ شملالِ
تعدو إذا وقعت منْ غرزها قدَمي		عدو شتيمٍ على حقباءَ مجفالِ
صعلٌ أتاهُ بياضٌ من شواكله		جونَ السراةِ أجشَّ الصوتِ صلصالِ
يغدُو على شُسُبٍ شُعثٍ عقايقُها		كأنَّ تصويته تصويتُ إهْلالِ
أو فوقَ أحقبَ يقرو رملَ واقصةٍ		في رعلةٍ كشقيقِ التجرِ أمْثالِ
قد خضبَ الكعبُ من نسفِ العروقِ بهِ		من الرُّخامى بجنبيْ حزمِ أورَالِ
هبتْ عليهِ سمومُ الصيفِ لاهبةً		وكفتِ الماءَ عنهُ صدرَ شوالِ
إلا التمادَ فما ينفكُّ يحفرُها		أو طحلُباً بأعالي اللصبِ أو شالِ
خضراً كسينَ دوينَ الشمسِ عرمضهُ		في رأسِ شاهقةٍ عيطاءَ مضلالِ
كأنَّ كوكبَ نحسٍ في معرَّسةٍ		أو فارسيًّاً عليه سَحْقِ سِرْبالِ
فَعارضتْ بكَ في خرْقٍ لهُ قَتَمٌ		تزقُو بهِ الهَامُ ذي قوزٍ وأميالِ
تنادِي الرَّكب جَاروا عنْ طريقهمُ		ويتقونَ بهادٍ غيرِ مضلالِ
إنْ تعرِضي وتضني بالنوالِ لنَا		فواصلنَّ إذا واصلتِ أمثالي
إني صبورٌ على مانابَ معترفٌ		أصرفُ الأمرَ من حالٍ إلى حالِ
أنمِي إلى مجدِ أجدادٍ لهمْ عددٌ		مذللينَ لوطءِ الحقِّ أزوالِ

القائمينَ لأمرٍ لا يقُومُ لَهُ إلا هُمُ ومحاميلٌ لأثقالِ
والمطعمينَ إذا هبتْ شآميةٌ تذري الهشيمَ وثمَّ الدندنِ البالي
ومرصدٍ خائفٍ لا يستطيفُ بهِ من المسامحِ إلاّ المُشفقِ الخَالي
قدْ عودُوهُ قياداً كُلَّ سلْهَبَةٍ تنطو الخَميْسَ ونِعْمَ الجَوْزَ ذَيّالِ
يُجْذَبْنَ في قِددِ الأَرسانِ قافلةً مثلَ القسيِّ برَا أعطافها الفَالي

وقال خفاف أيضاً: الوافر

ألا صرمتْ منْ سلْمَى الزمامَا ولمْ تتجدْ لمَا يبغَى قواما
وفاجأنِي فراقُ الحيِّ لمَّا أشطَّ نواهُمُ إلاّ لمامَا
وما إنْ أحورُ العينينِ طفلٌ تتبعَ روضةً يقرُو السلامَا
بوجْرةَ أو ببطنِ عقيقِ بُس يقيلُ بهِ إذا ما اليومُ صَامَا
إذا ما اقتافَها فحنتْ عليهِ دنتْ من وهْدِ دانيةٍ فنَاما

بأحسنَ منْ سليمَى إذْ تراءتْ إذا ما ريعَ منْ سَدَفٍ فَقَامَا
وما إنْ يخلُ وجرُ إذا استقلتْ مكممةً وقاربتِ الصراما
لها سحقٌ ومنها دانياتٌ جوانحُ يزدحمنَ بها ازدحامَا
بأحسنَ من ظعائنَ آلِ سلمى غداةَ نهلنَ ضاحيةَ سنامَا
فيممنَ اليمامةَ معرقاتٍ وشِمْنَ بروضِ عالجَةَ الغمامَا
فإمَّا تعرضِي يا سلمَ عني وأصبحُ لا أكلمُكُمْ كلامَا
فربَّ نجيبةٍ أعملتُ حتى تقومَ إذا لويتُ لها الزمامَا
وحتى تتبعَ الغربانُ منها ندوبَ الرَّحلِ لا تُعدي سنامَا
فتوردُني لربعٍ أو لخمسٍ مياةَ القيظِ طاميةً جماما
قليلاً من عليها غيرَ أني أثورُ من مدارجِهَا الحَمَاما
ذعرتُ الذئبَ يحفرُ كلَّ حوضٍ ويقضمُ من معاطنِهَا العظامَا
ويومٍ قد شهدتُ به صحابي يقضي القومَ غنماً واقتسامَا

تخالُ ركابهُمْ في كلِّ فَجٍّ إذا قامتْ مخطمةً قِعامَا

عمرو بن قميئة

قال عمرو بن قميئة بن سعد بن مالك من بني قيس بن ثعلبة: الطويل

أرى جارتي خفتْ وخفَّ نصيحها وحبَّ بها لولا النَوى وطموحُها

فبيني على نجمٍ شخيسٍ نحوسهُ وأشأمُ طيرِ الزَّاجرينَ سنيحُها

فإنْ تشغَبي فالشَّغْبُ منِّي سَجيَّةٌ إذا شِيمَتي لَمْ يُؤْت منها سَجيحُها

على أنَّ قومي أشقَذُوني فأصبحتْ دياري بأرض غيرَ دانٍ نبُوحُها

أقارِضُ أقواماً فأوفي قروضَهُمْ وعفٌّ إذا أردَى النفُوسَ شحيحُها

تنفذُ منهمْ نافذاتٌ فسؤنَني وأضمرَ أضغَاناً عليَّ كشوحُها

فقلتُ :فراقُ الدارِ أجملُ بيننا وقدْ ينتئ عنْ دارِ سوءِ نزيحُها

على أنني قدْ أدَّعي بأبيهم إذا عمَّتِ الدعوَى وثابَ صريحُها

وأنِّي أرى ديني يوافقُ دينهم إذا نسكُوا أفراعُها وذبيحُها

ومنزلةٍ بالحَجِّ أخرَى عرفتها لها بقعةٌ لا يُستطاعُ بروحها

بودّكَ ما قومي على أنْ تركتهم سليمَى إذا هبتْ شمالٌ وريحُها

إذا النجمُ أمسَى مغربَ الشمسِ دائباً ولم يكُ برقٌ في السماءِ يليحُها

وغابَ شعاعُ الشمسِ منْ غيرِ جلبةٍ ولا غمرةٍ إلا وشيكاً مصوحُها

وهاجَ عمَاءٌ مقشعرٌّ كأنهُ نقيلةُ نعلٍ بانَ منها سريحُها

إذا أعدمَ المحلوبُ عادَتْ عليهمُ قدورٌ كثيرٌ في القِصاعِ قديحُها

يثوبُ إليها كلُّ ضيفٍ وجانبٍ كما ردّ دهداهَ القِلاصِ نضيحُها

بأيديهم مقرومةٌ ومغالقٌ يعودُ بأرزاقِ العيالِ منيحُها

وملمومةٍ لا يخرقُ الطرفَ عرضَهَا لها كوكَبٌ ضخمٌ شديدٌ وضوحُها

تسيرُ وتزجي السمَّ تحت نحورِها كريهٌ إلى منْ فاجأتهُ صبوحُها

على مقدَحراتٍ وهنَّ عوابسٌ صبائِر موتٍ لا يُراحُ مريحُها

نبذنا إليهم دعوةً يالَ عامرٍ لَها إربةٌ إنْ لمْ تجدْ من يريحُها

وأرماحُنا ينهزنَ نهزةَ جمةٍ يعود عليهم وردنا فنميحُها

فدَارَتْ رحانا ساعةً ورحاهُمُ ووردتْ طباقاً بعْد بكءٍ لقوحُها

فَمَا أتلفَتْ أيديهم منْ نفوسنا وإنْ كرمَتْ فإننا لا ننوحُها

فقلنا :هي النهبَى وحلٌ حرامُها وكانتْ حمًى ما قبلنا فنبيحُها

فأبنَا وآبُوا كلَّنا بمضيضةٍ مهملة أجراحُنا وجُروحُها

وكُنَّا إذا أحلامُ قومٍ تغيبتْ نشحُّ على أحلامِنا فنريحُها

وقال عمرو بن قميئة أيضاً: الطويل

إنْ أكُ قَدْ أقصرتُ عنْ طولِ رحلةٍ فيا ربَّ أصحابٍ بعثتُ كرامِ

فقلتُ لهم سيروا فدًى خالتي لكمْ أما تجدونَ الريحَ ذاتَ سهامِ

فقاموا إلى عيسٍ قد انضمَّ لحمُها موقفةٍ أرساغُها بخدامِ

وقمتُ إلى وجناءَ كالفَحْلِ جبلةٍ تجاوبُ شديَّ نسعَها ببغامِ

فأوردتهمْ ماءً على حينِ وردِهِ عليهِ خليطٌ من قطاً وحمامِ

وأهونُ كفٍّ لا تضيرُكَ ضيرةً يدٌ بينَ أيدٍ في إناءِ طعامِ

يدٌ منْ قريبٍ أو بعيدٍ أتتْ بهِ شآميةٌ غبراءُ ذاتُ قتامِ

كأني وقدْ جاوزتُ تسعين حجةً خلعتُ بها يوماً عذارَ لجامِ

على الراحتينِ مرةً وعلى العَصَا أنوءُ ثلاثاً بعدهنَّ قيامِي

رَمَتْنِي بناتُ الدهرِ من حيثُ لا أرى فكيفَ بمنْ يُرمى وليس برامِ

فلوْ أنها نَبلٌ إذنْ لاتقيتُها ولكنني أرمَى بغيرِ سهامِ

إذا ما رآني الناسُ قالوا ألمْ يكنْ حديثاً شديدَ البَزِّ غيرَ كهامِ

وأفنَى وما أُفنِي منَ الدهرِ ليلةً ولمْ يغْنِ ما أفنَيتُ سلكَ نظامِ

وأهلكني تأميلُ يومٍ وليلةٍ وتأميلُ عامٍ بعدَ ذاكَ وعامِ

وقال عمرو أيضاً: الكامل

هلاَّ يهيجُ شوقكَ الطَّلَلُ أمْ لا يفرّطُ شيخَكَ الغَزَلُ
أمْ ذا القطينُ أصابَ مقتلَهُ منهُ وخانُوهُ إذا احتمَلُوا
ورأيتُ ظُعْنَهُمُ مُقَفِّيَةً تعلو المخارمَ سيرها رملُ
قنأَ العهونُ على حواملِها ومنَ الرهاوياتِ والكللُ
وكأنَّ غزلانَ الصريمِ بها تحتَ الخدورِ يظلها الظللُ
تامتْ فؤادَكَ يومَ بينهمِ عندَ التفرقِ ظبيةٌ عطلُ
شنفتْ إلى رشاءٍ تربيهُ ولها بذاتِ الحاذِ معتَزِلُ
ظلٌّ إذا ضحيتْ ومرتقبٌ ولا يكونُ لليلهَا دغَلُ
فسقى منازلَها وحلتَها قردُ الربابِ لصوتهِ زجلُ
أبدَى محاسنَهُ لناظرِه ذاتَ العِشاءِ مهلبٌ خضِلُ
متحلبٌ تهوِي الجنوبُ بهِ فتكادُ تعدلُهُ وتنجفلُ
وضعتْ لدى الأضياعِ ضاحيةً فوهى السيوبُ وحطتِ العجلُ
فسقَى امرأ القيسِ بن عمرةَ إنّ الأكرمينَ لذِكرهِمْ نبلُ
كمْ طعنةٍ لك غيرَ طائشةٍ ما إنْ يكونُ لجرحِها خللُ
فطعنتها وضربت ثانيةً أخرى وتنزلُ إنْ همُ نزلوا
يهبُ المخاضَ على غواربها زبدُ الفحولِ معانُها بقلُ
وعشارُها بعدَ المخاضِ وقدْ صافتْ وغمَّ رباعها النفلُ
وإذا المجزِّئ حانَ مشربُهُ عندَ المصيفِ وسرّهُ النهلُ
رشفُ الذنابِ على جماجمها ما إنْ يكونُ لحوضها سملُ

وقال عمرو أيضاً: المتقارب

نأتكَ أمامَةُ إلا سؤالا وإلاَّ خيالاً يوافي خيالا
يوافي معَ الليلِ ميعادَها ويأبَى مع الصبحِ إلاَّ زيالا
فذلكَ تبذلُ منْ ودها ولو شهدتْ لم تواتِ النوالا
وقدْ ريْعَ قلبيَ إذْ أعلنوا وقيلَ أجدَّ الخليطُ احتمالا

وحثَّ بها الحاديانِ النجاءَ مع الصبحِ لما استثارُوا الجمالا
بوازلُ تحدَى بأحداجِها ويحذينَ بعدَ نعالٍ نعالا
فلما نَأوا سبقتْ عبرتي وأذرتْ لها بعدَ سجلٍ سجالا
تراها إذا احتثَّها الحاديانِ بالخبتِ يرقلنَ سيراً عجالا
فبالظلِّ بدلنَ بعدَ الهجيرِ وبعدَ الحجالِ ألفنَ الرحالا
وفيهنَّ خولةُ زينُ النساءِ زادتْ على الناسِ طراً جمالا
لها عينُ حوراءَ في روضةٍ وتقرُو مع النبتِ أرطى طوالا
وتجري السواكَ على باردٍ يخالُ السيالَ ليسَ السيالا
كأنَّ المُدامَ بعَيْدَ المنامِ علتها وتسقيك عذباً زُلالا
كأنَّ الذَّوائبَ في فَرعِها حبَالٌ توصلُ منها حبَالا
ووجهٌ يحارُ له الناظرُونَ يخالونهم قدْ أهلوا هلالا
إلى كفلٍ مثل دعصِ النقا وكفٍّ تقلبُ بيضاً طفالا
فبانتْ وما نلتُ من ودها قبالاً وماذا يُساوِي قبالا
وكيف تبتينَ حبلَ الصفاءِ منْ ماجدٍ لا يريدُ اعتزالا
أرادَ النوالَ فمَنيتِه وأضحى الذي قلتِ فيه ضلالا
فتًى يبتني المجدَ مثل الحسَا م أخلصهُ القينُ يوماً صقالا
يقودُ الكماةَ ليلقَى الكُماةَ ينازلُ ما إنْ أرادُوا النزالا
تشبّه فرسانهمْ في اللقاءِ إذا ما رَحَى الموتِ دَارَتْ جمالا
ونمشي رجالاً إلى الدَّارِعين كأعناقِ خورٍ تزْجّي فصالا

ونكسُوا القواطِعَ هامَ الرِّجالِ ويحمي الفوارسُ منا الرجالا
ويأبى لي الضيمَ ما قدْ مضَى وعندَ الخصَامِ فنعلوا جدالا
بقولٍ يذلُّ لهُ الرائضُونَ ونفضلهمْ إنْ أرادوا فضالا
وهاجرةٍ كأوَارِ الجحيمِ قطعتُ إذا الجندبُ الجونُ قالا

وليلٍ تعسفتُ ديجورهُ يخافُ به المدلجونَ الخيالا

وقال عمرو أيضاً: المتقارب

نأتْكَ أمامَةُ إلاَّ سؤالا وأعقبكَ الهجرُ منها الوِصَالا

وحادتْ بها نيةٌ غربَةٌ تبدلُ أهلَ الصَّفاءِ الزيالا

ونادى أميرُهُمُ بالفراقِ ثمَّ استقلوا لبينٍ عجالا

فقربنَ كلَّ منيفِ القَرى عريضِ الحصير يغولُ الحِبَالا

إذا ما تسربلنَ مجهولةً وراجعنَ بعدَ الرسيمِ النقالا

هداهُنَّ منشمراً لاحقاً شديدَ المطا أرحبياً جلالا

تخالُ حمولهم في السرابِ لما تواهقنَ سُحقاً طوالا

كوارعَ في حائرٍ مفعمٍ تغمرَ حتى أنَى واستطالا

كسونَ هوادِجهُنَّ السدولَ منهدلاً فوقهنَّ انهدالا

وفيهنَّ حورٌ كمثلِ الظباءِ تقرُو بأعلى السليلِ الهدَالا

جعلنَ قديساً وأعناءهُ يميناً وبرقَةَ رعمٍ شمالا

نوازعَ للخالِ إذْ شمنهُ على الفرداتِ تحلُّ السجالا

فلما هبطنَ مصابَ الربيعِ بدلنَ بعدَ الرحالِ الحجالا

وبيداءَ يلعَبُ فيها السرابُ يخشَى بها المدلجونَ الضلالا

تجاوبتُها راغباً راهباً إذا ما الظباءُ اعتنقنَ الظلالا

بضامزةٍ كأتانِ الثميلِ عيرانةٍ ما تشكى الكلالا

إلى ابنِ الشقيقةِ أعملتُها أخافُ العتابَ وأرجُو النوالا

إلى ابنِ الشقيقةِ خيرِ الملوكِ أوفاهمُ عندَ عقدٍ حبالا

ألستَ أبرَّهُمُ ذمةً وأفضلهم إن أرادوا فضالا

فأهلي فداؤكَ مستعتباً عتبتَ فصدقتَ فيَّ المقالا

أتاكَ عدوٌّ فصدقتهُ فهلاَّ نظرتَ هديتَ السؤَالا

فما قلتَ إذْ نطقُوا باطلاً ولا كنتَ أرهبهُ أن يقالا

فإنْ كانَ حقاً كما خبرُوا فلا وصلتَ ليّ يمينٌ شمالا
تصدقْ عليَّ فإنّي امرؤٌ أخَافُ على غيرِ جُرْمٍ نكالا
ويومٍ تطلعُ فيه النفوسُ تطرفُ بالطعنِ فيه الرجالا
شهدتَ فأطفأتَ نيرانهُ وأصدرتَ منهُ ظماءً نهالا
وذي لَجَبٍ يبرقُ الناظرينَ كالليلِ ألبسَ منهُ ظلالا
كأنَّ سَنَا البيضِ فوقَ الكُماة فيهِ المصابيحُ تخبي الذُّبالا
صبحتَ العدوَّ على نأيهِ تريشُ رجالاً وتبري رجالا

سلامة بن جندل

وقال سلامة بن جندل بن عبد عمرو بن عُبيد بن الحرث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم، وهي مفضلية قرأتها على شيخي أبي محمد بن الخشاب: البسيط

أودى الشبابُ حميداً ذو التعاجيبِ أودى وذلك شأوٌ غيرُ مطلوبِ
ولَّى حثيثاً وهذا الشيبُ يطلبهُ لو كانَ يدركهُ ركضُ اليعاقيبِ
أودَى الشبابُ الذي مجدٌ عواقبهُ فيه نلذُّ ولا لذات للشيبِ
يومانِ يومُ مقاماتٍ وأندية ويومُ سيرٍ إلى الأعداءِ تأويبِ
وكرُّنا خيلنا أدراجهَا رجعاً كسَّ السَّنابكِ من بدءٍ وتعقيبِ
والعادياتُ أسابيُّ الدماءِ بهَا كأنَّ أعناقَها أنصابُ ترجيبِ
منْ كُلِّ حَتٍّ إذا ما ابتلَّ ملبدُهُ صافي الأديمِ أسيلِ الخدِّ يعبوبِ
يهوي إذا الخيلُ جازتهُ وثارَ لها هويَّ سجلٍ من العلياءِ مصبوبِ
ليس بأسفَى ولا أقنَى ولا سغلٍ يعطى دواءَ قفيِّ السَّكْنِ مربوبِ
في كلِّ قائمةٍ منهُ إذا اندْفَعَتْ فيهِ أُساهٍ كفرغِ الدلوِ أُثغوبِ
كأنهُ يرفَئيٌّ نامَ عنْ غنَمٍ مستنفرٌ في سوادِ الليلِ مذؤوبِ
يرقَى الدسيعُ إلى هادٍ لهُ بتعٍ في جؤجؤٍ كمداكِ الطيبِ مخضوبِ
تظاهرَ النيُّ فيه فهوَ محتفلٌ يعطي أساهِيَ منْ جَريٍ وتقريبِ

يحاضرُ الجونَ مخضراً جحافلها ... ويسبقُ الألفَ عدواً غيرَ مضروبِ

كم من فقيرٍ بإذنِ اللهِ قدْ جبرتْ ... وذِي غنًى بوأتهُ دارَ محروبِ

ممَّا يُقدّمُ في الهيجَا إذا كرهَتْ ... عندَ الطعانِ وينجي كلَّ مكروبِ

همتْ معدٌّ بنا همَّاً فنهنهَها ... عنا طعانٌ وضربٌ غيرُ تذبيبِ

بالمشرفيِّ ومصقولٍ أسنتُها ... صمِّ العواملِ صدقاتِ الأنابيبِ

يجلو أسنتَها فتيانُ عاديةٍ ... لا مقرفينَ ولا سُودٍ جعابيبِ

سوى الثقافُ قناهم فهيَ محكمةٌ ... قليلةُ الزيغِ منْ سنٍّ وتركيبِ

زُرقاً أسنتها حمراً مثقفةً ... أطرافهنَّ مقيلٌ لليعاسيبِ

كأنها بأكفِّ القومِ إذْ لحقوا ... مواتحُ البئرِ أوْ أشطانُ مطلوبِ

كلا الفريقينِ أعلاهم وأسفلهمْ ... يشقى بأرماحنا غيرَ التكاذيبِ

إنِّي وجدتُ بني سعدٍ يفضلُهُم ... كلُّ شهابٍ على الأعداءِ مصبُوبِ

إلى تميمٍ حماةِ الثغرِ نسبتهمْ ... وكلُّ ذي حسبٍ في النَّاسِ محسوبِ

قومٌ إذا صرحتْ كحلٌ بيوتهمُ ... عزُّ الذليلِ ومأوى كلِّ قرضُوبِ

ينجيهمِ منْ دواهي الشرِّ إنْ أزمَتْ ... صبرٌ عليها وقبصٌ غيرُ محسوبِ

كنَّا نحلُّ إذا هبتْ شآميَةً ... بكلِّ وادٍ حطِيبِ البطنِ مجدوبِ

شيبِ المباركِ مدروسٍ مدافعهُ ... هابي المراغِ قليلِ الودقِ موظوبِ

كنا إذا ما أتانا صارخٌ فزعٌ ... كان الصراخُ لهُ قرعَ الظنابيبِ

وشدَّ كورٍ على وجناءَ ناجيةٍ ... وشدَّ سرجٍ على جرداء سرحوبِ

يقالُ محبسُها أدنَى لمرتعِها ... وإن تعادَى ببكءٍ كلُّ محلوبِ

حتى تركنا وما تثنَى ظعائننا ... يأخذنَ بينَ سوادِ الخطِّ فاللوبِ

وقال سلامة أيضاً: الطويل

لمنْ طللٌ مثلُ الكتابِ المنمَّقِ ... خلا عهدُهُ بينَ الصليبِ ومطرقِ

أكبَّ عليهِ كاتبٌ بدواته ... وحادثُهُ في العَينِ حدَّةُ مهرَقِ

لأسماءَ إذْ تهوَى وصالكَ إنَّها ... كذي جدةٍ من وحشٍ وجرَةَ مرشقِ

لهُ بقرارِ الصُّلبِ بقلٌ يلسُّهُ ... وإنْ يتطامنْ للدَّكادكِ يأْنقِ

فظَلَتْ كأنَّ الكأسَ طالَ اعتيادُهَا ... عليَّ بصافٍ منْ رحيقٍ مروَّقِ

كأنَّ ذكيَّ المسكِ باللَّيلِ ريحُهُ ... يصفقُ في إبريقِ جعدٍ منطقِ

ألا هلْ أتتْ أنباؤنَا أهلَ مأربٍ ... كما قدْ أتتْ أهلَ الذنَا فالخورَنَقِ

بمحبسنا في غيرِ دارِ تئيةٍ ... وملحقنا بالعارضِ المتألقِ

بأنَّا حَبسنا بالفَروقِ نساءَنَا ... ونحنُ قتلنَا مَنْ أتانَا بِمُلْزَقِ

تبلغُهُمِ صُهْبُ الركابِ وسودُهَا ... فريقيْ معدٍّ منْ تهامٍ ومعرقِ

إذا ما علونَا ظهرَ نشزٍ كأنَّما ... على الهَامِ منا قيضُ بيضٍ مفلقِ

منَ الحُمْسِ إذْ جاؤوا إلينا بجمعهمِ ... غداةَ رميناهمْ بجأواءَ فيلقِ

كأنَّ النعامَ باضَ فوقَ رؤوسنا ... بنهي القذافِ أو بنهي مخفقِ

ضممنَا عليهم حانبيهمِ بصادِقٍ ... من الطعنِ حتى أزمعُوا بالتفرقِ

كأنَّ مناخاً من قيونٍ ومنزلاً ... بحيثُ التقينا منْ بنانٍ وأسوقِ

كأنهمُ كانوا ظماءً بصفصفٍ ... أفاءتْ عليها غبيَةٌ ذاتُ مصْدَقِ

كأنَّ اخْتلاءَ المشرَفيِّ رؤوسهمْ ... هويُّ جنوبٍ في يبيسٍ محرقِ

لدنْ غدوةً حتى أتى الليلُ دونهمْ ... فلمْ ينجُ إلا كلُّ جرداءَ خيفقِ

ومستوعبٍ في الركضِ فضلُ عنانهِ ... يمرَّ كمرِّ الشَّادنِ المتطلِّقِ

فألقوا لنَا أرسانَ كلِّ نجيبَةٍ ... وسابغةٍ كانها متنُ خرنقِ

مداخلةٍ منْ نسجِ داوودَ سكهَا ... كمنكبِ ضاحٍ من عمايَةَ مشرقِ

فمنْ يكُ ذا ثوبٍ تنلْهُ رماحُنا ... ومنْ يكُ عرياناً يوائلْ فيسبقِ

ومن يدعو فينا يعاشُ ببئسَةٍ ... ومنْ لا يغالوا بالرغائب يعتقِ

وأمُّ بحيرٍ في هنابثَ بيننا ... متى تأتهَا الأنباءُ تخمشْ وتحلقِ

تركنا بحيراً حيثُ أزحفَ جدُّهُ ... وفينا فراسٌ عانياً غيرَ مطلقِ

ولولا سوادُ الليلِ ما آبَ عامرٌ ... إلى جعفرٍ سربالُهُ لم يُمَزَّقِ

بضربٍ تظلُّ الطيرُ فيه جوانحاً ... وطعنٍ كأفواهِ المزادِ المخرقِ

فعزتُنا ليستْ بشعبٍ بحرةٍ ... ولكنها بحرٌ بصحراءَ فيهقِ

تقمصُ بالبُوصيِّ منهُ غواربٌ ... متى ما يخضهُ ماهرُ القومِ يغرقِ

ومجدُ معدٍّ كانَ فوقَ علايةٍ ... سبقنا به إذ يرتقونَ ونرتقي

إذا الهندوانياتُ كنَّ عصينَا ... بها نتأيَّا كلَّ شأنٍ ومفرقِ

يخلّي مصاعٌ بالسيوف طريقنا ... إذا ما التقتْ أقدامُنَا عندَ مأزقِ

فجرتُمْ علينا أنْ طردتمْ فوارساً ... وقولُ بحيرٍ هاجَ قولي ومنطقِ

عجلتمْ علينا حجَّتين عليكمُ ... وما يشاءِ الرحمن يعقدِ ويطلقِ

هو الكاسرُ العظمَ الأمينَ وما يشأْ ... منَ الأمرِ يجمعْ بيننا ويفرقِ

هو المدخلُ النُّعمانَ بيتاً سماؤُهُ ... نحورُ الفيولِ بعدَ بيتٍ مسردقِ

وبعدَ مصابِ المزْنِ كانَ يسوسُهُ ... ومالَ معدٍّ بعدَ مالِ محرقِ

علقمة بن عبدة

وقال علقمة بن عبدة بن ناشرة بن قيس بن عبيد بن ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وقرأتها على ابن الخشاب: البسيط

هلْ ما علمتَ وما استودعتَ مكتومُ ... أم حبلها إذْ نأتكَ اليومَ مصرومُ

أمْ هلْ كبيرٌ بكى لم يقضِ عبرتهُ ... إثرَ الأحبةِ يومَ البينِ مشكومُ

لمْ أدرِ بالبينِ حتى أزمعُوا ظعناً ... كلُّ الجمالِ قبيلَ الصبحِ مزمومُ

ردَّ الإماءُ جمالَ الحيِّ فاحتملُوا ... فكلُّها بالتزيديات معكومُ

عقلاً ورقماً تظلُّ الطيرُ تخطفهُ ... كأنهُ من دمِ الأجْوافِ مدمومُ

يحملنَ أترجةً نضخُ العبيرِ بها ... كأنَّ تطيابهَا في الأنفِ مشمومُ

كأنَّ فارةَ مسكٍ في مفارقِها ... للناشطِ المتعاطِي وهوَ مزكومُ

فالعينُ منِّي كأنْ غربٌ تحطُّ به ... دهماءُ حاركُها بالقِتْبِ مخزومُ

تسقي مذانب قدْ طارتْ عصيفتُها ... حدورها منْ أتيِّ الماءِ مطمومُ

صفرُ الوشَاحين ملءُ الدرعِ بهكنةٌ ... كأنَّها رشاءٌ في البيتِ ملزومُ

هل تلحقني بأخرى الحيِّ إذْ شحطوا جلذيةٌ كأتَانِ الضَّحل علكومُ

قد عُرِّيتْ زمناً حتى استقلَّ لها كترٌ كحافةِ كيرِ القينِ ملمومُ

بمثلها تقطعُ المومأةُ عن عرضٍ إذا تبغمَ في ظلمائِها البومُ

تلاحظ السوطَ شزراً وهي ضامزَةٌ كما توجَّس طاوي الكشحِ موشومُ

كأنها خاضبٌ زعرٌ قوادمُهُ أجنى لهُ باللوى شريٌ وتنومُ

يظلُّ في الحنظلِ الخُطبان ينقفُهُ وما استطفَّ من التنومِ مخذومُ

فوهُ كشقِّ العصا لأياً تبينهُ أسكُّ ما يسمعُ الأصواتَ مصلومُ

فلا تزيدُهُ في شدِّه نفقٌ ولا الزفيفُ دوينَ الشدِّ مسؤومُ

وضاعةٌ لعصيِّ الشرعِ جؤجؤهُ كأنهُ بتناهي الروضُ علجومُ

يأوي إلى حسكلٍ حمرٍ حواصلهُ كأنهنَّ إذا بركنَ جرثومُ

فطافَ طوفين بالأدحيِّ يقفرهُ كأنهُ حاذرٌ للنخْسِ مشهومُ

يوحِي إليه بأنقاضٍ ونقنقةٍ كما تراطنُ في أفدانها الرومُ

صعلٌ كأنَّ جناحيْهِ وجؤجؤهُ بيتٌ أطافتْ به خرقاءَ مهجومُ

بلْ كلُّ قومٍ وإن عزُّوا وإنْ كثروا عريشهمْ بأثافي الشرِّ مرجومُ

والحمدُ لا يشترى إلاّ له ثمنٌ مما يضنُّ به الأقوامُ معلوم

والجودُ نافيةٌ للمالِ يهلِكُهُ والبخلُ مبقٍ لأهليهِ ومذمومُ

والمالُ صوفُ قرارٍ يلعبونَ بهِ على نقادتهِ وافٍ ومجلُومُ

ومطعمُ الغنمِ يومَ الغنم مطعمهُ أنَّى توجَّهَ والمحرومُ محرومُ

ومنْ تعرضَ للغربانِ يزجرُها على سلامتهِ لا بُدَّ مشؤومُ

وكلُّ حصنٍ وإنْ طالتْ سلامتُهُ على دعائمهِ لا بُدَّ مهدومُ

قد أشهدُ الشربَ فيه مزهرٌ رنمٌ والقومُ تصرعُهُم صهباءُ خرطومُ

كأسُ عزيزٍ من الأعنابِ عتقها لبعضِ أحيانها حانيةٌ حومُ

عانيةٌ قرقفٌ لمْ تطلعْ سنةً يجنهَا مدمجٌ بالطينِ مختومُ

وقد أروحُ إلى الحانوتِ يصحبني برزٌ أخو ثقةٍ بالخيرِ موسومُ

كأنَّ إبريقهُمُ ظبيٌ على شرفٍ مقدمٌ بسبَا الكتانِ ملثومُ

أبيضُ أبرزهُ بالضحِّ راقبُهُ مقلدٌ قضبَ الريحانِ مفغومُ

وقد يسرتُ إذا ما الجوعُ كلفَهُ معقبٌ من قداحِ النبعِ مقرومُ

لو تيسرونَ بخيلٍ قد يسرتُ بها وكلُّ ما تيسرُ الأقوامُ مغرومُ

وقد أصاحبُ أقواماً طعامُهُمُ خضرُ المزادِ ولحمٌ فيه تنشيمُ

وقدْ علوتُ قتودَ الرحلِ يسفعني يومٌ تجيءُ به الجوزاءُ مسمومُ

حامٍ كأنَّ أوارَ النارِ شائلةٌ دونَ الثيابِ ورأسُ المرءِ معمومُ

وقدْ أقودُ أمَامَ الحيِّ سلْهَبَةً ينمي بها نسبٌ في الحي معلومُ

لا في شظاها ولا أرساغِها عنتٌ ولا السنابكُ أفناهنَّ تقليمُ

سلاءةٌ كعصَى النهدِي غلَّ لها ذو فيئةٍ منْ نوى قرَّانَ معجومُ

تتبعُ جوناً إذا ما هيجتْ زحلتْ كأنَّ دفَاً على العلياءِ مهزومُ

إذا تزغمَ في حافاتِها رُبَعٌ حنتْ شغاميمُ في أطرافها كومُ

يهدي بها أكلفُ الخدين مختبرٌ من الجمالِ عظيمُ الدَّأْيِ عيثُومُ

وقال أيضاً: الطويل

طحا بكَ قلبٌ في الحسانِ طروبُ بعيدَ الشبابِ عصرَ حَانَ مشيبُ

يكلفني ليلى وقدْ شطَّ ولْيُهَا وعادتْ عوادٍ بيننا وخطوبُ

مناعمةٌ لا يُستطاعُ كلامُها على بابِها من أن تزَارَ رقيبُ

وما أنتَ أمْ ما ذكرهَا ربعيةً يخطُّ لها من ثرْمداءَ قليبُ

إذا غَابَ عنهَا البعلُ لم تُفْشِ سرَّهُ وترضِي إيابَ البعلِ حينَ يؤوبُ

فلا تعذلِي بيني وبينَ مغمرٍ سقاك روايا المُزْنِ حينَ تصوبُ

سَقاكِ يمانٍ ذو حبيٍّ وعارِضٍ تروحُ به جنحَ العشيِّ جنوبُ

فإنْ تسألوني بالنِّساءِ فإنني خبيرٌ بأدواءِ النساءِ طبيبُ

يردنَ ثراءَ المالِ حيثُ وجدنهُ وشرخُ الشبابَ عندهنَّ عجيبُ

إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ مَالهُ ... فليسَ لهُ في ودِّهِنَّ نصيبُ
إلى الحارثِ الوهابِ أعملتُ ناقلتي ... لكلكلها والقصريين وجيبُ
تتبَّعُ أفياءَ الظّلالِ عشيَّةً ... على طرقٍ كأنهنَّ سُبُوبُ
بهَا جيفُ الحسرَى فأمَّا عظَامُهَا ... فبيضٌ وأمَّا جلدُهَا فصليبُ
هداني إليكَ الفرقدانِ ولا حبٌ ... لهُ فوقَ أسواءِ المتانِ علوبُ
وناجيةٍ أفنَى رَكيبَ ضلُوعهَا ... وحارِكِهَا تهجُّرُ ودُؤُوبُ
فأَوردتُهَا ماءً كأَنَّ جمامَهُ ... منَ الأجْنِ حناءٌ معاً وصبيبُ
ترادُ على دمنِ الحياضِ فإنْ تعفْ ... فأنَّ المندَّى رِحْلَةٌ فركوبُ
وتصبحُ عنْ غبِّ السُّرَى وكأنَّها ... مولعةٌ تخشَى القنيصَ شبوبُ
تعفقُ بالأرطَى لها وأرَادها ... رجالٌ فبذَّتْ نبلَهُم وكليبُ
لتبلغَني دارَ امرئٍ كانَ نائياً ... فقدْ قربتني من نداكَ قروبُ
فأضحى امرأً أفضتْ إليهِ أمانتي ... وقبلك ربتني فضعتُ رُبُوبُ
وواللهِ لولا فارسُ الجونِ منهمُ ... لآبوا خزايا والإيابُ حبيبُ
تقدمهُ حتى تغيبَ حجولهُ ... وأنتَ لبيضِ الدَّارعين ضروبُ
مظاهرُ سربالي حديدٍ عليهمَا ... عقيلاً سيوفٍ مخذمٌ ورسوبُ
تجادلهمْ حتى اتقوْكَ بخيرهم ... وقد حانَ من شمسِ النهارِ غروبُ
وقاتلَ من غسانَ أهلُ حِفاظِهَا ... وهنبٌ وقاسٌ ماصعتْ وشبيبُ
تخشخشُ أبدانُ الحديدِ عليهمِ ... كما خشخشتْ يبسَ الحصادِ جنوبُ
كأنَّ رجالَ الأوسِ تحتَ لبانهِ ... وما جمعتْ جلٌّ معاً وعتيبُ
رغَا فوقهم سَقبُ السماءِ فدَاحصٌ ... بشكتهِ لم يستلبْ وسليبُ
كأنهمُ صَافتْ عليهمْ سحابةٌ ... صواعقُهَا لطيرهنَّ دَبيْبُ
فلمْ تبقَ إلاّ شطبةٌ بلجامهَا ... وإلا طمرٌّ كالقناةِ نجيبُ
وإلاّ كميٌّ ذو حفاظٍ كأنهُ ... بما ابتلَّ منْ حدِّ الظُّباةِ خضيبُ
وفي كلِّ حيٍّ قدْ خبَطت بنعمةٍ ... وحقَّ لشأسٍ منْ نداكَ ذنوبُ

فلا تحرمني نائلاً عنْ جنابةٍ فإني امرؤٌ وسطَ القباب غريبُ

وقال: الطويل

ذهبتَ من الهجرانِ في غيرِ مذهبِ ولمْ يكُ حقاً طولُ هذا التجنبِ
وما القلبُ أمَّا ذكرهُ ربعيةً تحلُّ بأيرٍ أو بأكنافِ شربَبِ
لياليَ لا تبلَى نصيحَةُ بيننا وإذْ أهلنُا بينَ الستَارِ فغربِ
مبتلةٌ كأنَّ أنضاءَ حليهَا على شادنٍ منْ صاحةٍ متربِبِ
وشذرٌ كأجوازِ الجرادِ ولؤلؤٌ من القلقيِّ والكبيسِ الملوَّبِ
إذا ألحمَ الواشونَ للشرِّ بيننا تبلغَ رسُّ الحبِّ غيرُ المكذبِ
أطعتُ المُشاةَ والوشَاةَ بصرمِهَا فقدْ وهنَت أسبَابهَا للتقضُّبِ
ألا ليتَ شعري كيفَ حادثُ وصلِهَا وكيفَ تظنُّ بالإخاءِ المغيبِ
وقد وعدتك موعداً لو وفت بهِ كموعودِ عرقوبٍ أخاهُ بيثربِ
فعشنا بهِ منَ الشبابِ ملاوةً فأنجحَ أقوالَ العدوِ المجَببِ
فقلتُ لهَا: فيئي فما يستفزني ذواتُ العيونِ والبنانِ المخضَّبِ
ففَاءتْ كما فاءتْ من الأُدمِ مغزِلٌ ببيشةَ ترعى في أرَاكٍ وحلبِ
وداويةٍ لا يُهتدَى لسبيلها بعرفانِ أعلامٍ ولا ضوءِ كوكَبِ
تجاوزتُهَا والبومُ يدعُوَ بها الصَّدَى وقد ألبستْ أطرافُها ثني غيْهَبِ
بمجفرةِ الجنبين حرفٌ شملةٍ كهملكَ مرقالٍ على الأينِ ذِعلبِ
إذا ما ضربتُ الدَّفَّ أوصلتُ صولةً تحاذرُ مني غير أدنى ترقبِ
بعينٍ كمرآةِ الصناعِ تديرهُا بمحجرِهَا تحتَ النصيفِ المنقبِ
كأنَّ بحاذَيهَا إذا ما تشذَّرَتْ عَثاكلَ عذْقٍ من سُمَيْحةَ مرطبِ
تذبُّ بهِ طوراً وطوراً تمرُّهُ كذبِّ البشير بالرداءِ المهدبِ
ومرقبةٍ لا يرفعُ الصوت عندها مجرُّ جيوشٍ غانمين وخيبِ
هبطتُ على أهوالِ أرضٍ أخافها بجانبِ منفوجِ الشراسيفِ شرجبِ

ممرٍّ كخذرُوفِ الوليدِ يزينهُ مع العتقِ خلقٌ مفعمٌ غيرُ جأنبِ

قطاةٌ ككردَوسِ المحالة أشرفَتْ على حاركٍ مثل الغبيطِ المُذأَّبِ

وجوفٌ هواءٌ تحتَ مَتنٍ كأنَّهُ منَ الهضبةِ الخلقاءِ زحلُوقُ ملْعبِ

وغلبٌ كأعناقِ الظباءِ مضيغُهَا صلابُ الشظا يعلو بها كلَّ مركبِ

ظماءٌ يفلقنَ الظرابَ كأنها حجارةُ غَيلٍ وارِستٌ بطحلبِ

بغوجٍ لبانُهُ يتمُّ بريمهُ على نفثِ راقٍ من نفَا العينِ محلبِ

إذا أرملُوا زاداً فإنَّ عنانهُ وأكرعَهُ مستعملاً خيرُ مكسبِ

أخو ثقةٍ لا يعلنُ القومُ شخصهُ صبورٌ على العلاتِ غيرُ مسببِ

صبحنَا بهِ وحشاً رتاعاً كأنها عذارَى بني لحيان لمَّا تحطبِ

فأتبع آثارَ الشياهِ بصادقٍ حثيثٍ كغيثِ الرائحِ المتحلبِ

فيخرجن منْ تحتِ الغبارِ دوافقاً ويلحقُ في جونٍ ذراهُ عصبصبِ

وراحَ يباري في الجنابِ قلوصنَا عزيزاً علينا كالحبابِ المسيبِ

فظلَّ بناتُ الرُّملِ فينا عوانياً محملةً من بينِ عدلٍ ومحقبِ

عظيمٌ طويلٌ مستميلٌ كأنهُ بأسفلِ ذي ماوَان سرحةُ مرقبِ

لهُ عنقٌ عردٌ كأنَّ عنانَهُ يعالَى بهِ في رأسِ جذعٍ مشذبِ

ظللنَا نراعي الوحش بين ثعالةٍ وبين رحياتٍ إلى فجٍّ أخربَ

فيوماً على بقعٍ خفافٍ رؤوسها ويوماً على سُفعِ المدامعِ ربربَ

ويوماً على صلْتِ الجبينِ مُسحَّجٍ ويوماً على بيدانَةٍ أمّ تولبِ

وفئنا إلى بيتٍ بعلياء مروحٍ سماوتهُ من أتحميٍّ معصبِ

فظلَّ لنا يومٌ لذيذٌ بنعمةٍ فقلْ في مقيلٍ سعدُهُ لم يغيبِ

إلى أن تروحنَا بلا متعنتٍ عليه كسيدِ الردهةِ المتأوبِ

حبيبٌ إلى الأصحابِ غير ملعَّنٍ يفدونهُ بالأمهاتِ وبالأبِ

توبة بن الحمير

وقال توبة بن الحمير بن حزن بن خفاجة بن عمرو بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور: الطويل

نأَتْكَ بليْلَى دارُها لا تزورهَا — وشطتْ نواهَا واستمرَّ مريرُها

وخفتْ نواهَا منْ جنوبِ عَفيرةٍ — كما خفَّ ممن نيلِ المرامي حفيرها

يقولُ رجالٌ لا يضيركَ نأيها — بلى كلُّ ما شفَّ النفوسَ يضيرُهَا

أليسَ يضيرُ العَينَ أن تكثرَ البُكا — ويمنعُ منها نومُهَا وسرورها

لكلِّ لقاءٍ نلتقيه بشاشةٌ — وإن كانَ حولاً كل يومٍ نزرؤُها

خليليَّ روحا راشدينَ فقدْ أتتْ — ضيريةُ من دونِ الحبيبِ ونيرهَا

يقرُّ بعيني أنْ أرَى العيسَ تعتلِي — بنا نحو ليلى وهي تجرِي ضفورُها

وما لحقتْ حتى تقلقل غرضها — وسامحَ من بعدِ المراحِ عسيرُهَا

وأشرِفُ بالأرضِ اليفاعِ لعلني — أرى نارَ ليلى أو يراني بصيرها

فناديتُ ليلى والحمولُ كأنها — مواقيرُ نخلٍ زعزعتها دبورها

فقالتْ أرى أنْ لا تفيدكَ صحبتِي — لهيبةِ أعداءٍ تلظى صدورها

فمدَّتْ ليّ الأسبابَ حتى بلغتهَا — برفقي وقدْ كادَ ارتقائي يصورُها

فلمَّا دخلتُ الخدرَ أطلتْ نسوعُهُ — وأطرافُ عيدانٍ شديدٍ أسورُهَا

فأرختْ لنضاخِ القفا ذي منصةٍ — وذي سيرةٍ قدْ كانَ قدماً يسيرها

وإني ليشفيني من الشوقِ أنْ أُرى — على الشرفِ النائي المخوفِ أزورُهَا

وأنْ أتركَ العنسَ الحسيرَ بأرضِهَا — يطيفُ بها عقبانُهَا ونسورُهَا

حمامةَ بطنِ الواديينِ ترنمي — سقاكِ من الغرِّ الغوادي مطيرها

أبينِي لنا لا زالَ ريشُكِ ناعماً — ولا زلتِ في خضراءَ دانٍ بربرُهَا

وقدْ تذهبُ الحاجاتُ يسترها الفتى — فتخفي وتهوى النفسُ ما لا يضيرُها

وكنتُ إذا ما زرتُ ليلى تبرقعتْ — فقد رابني منها الغداةَ سفورهَا

وقد رابني منها صدودٌ رأيتهُ — وإعراضُها عن حاجتي وبسورُهَا

أرتكَ حياضَ الموتِ ليلى ورَاقنا عيونٌ نقياتُ الحواشي تديرُها

ألا يا صفيَّ النفسِ كيفَ بقولها لوَ أنَّ طريداً خائفاً يستجيرهَا

تجيرُ وإنْ شطتْ بها عزبةُ النوَى ستنعمُ ليلى أو يفادَى أسيرُها

وقالتْ أراكَ اليومَ أَسودَ شاحباً وأنِّي بياضُ الوجهِ حرَّ حرورُها

وغيرني إنْ كنتِ لما تغيري هواجرُ تكتنينها وأسيرُها

إذا كانَ يومٌ ذو سمومٍ أسيرُهُ وتقصرُ من دونِ السمومِ ستورها

وقدْ زعمتْ ليلى بأنيَ فاجرٌ لنفسي تُقاها أم عليها فجورُها

فقلْ لعقيلٍ ما حديثُ عصابةٍ تكنفَها الأعداءُ ناءٍ نصيرُها

فإلاَّ تناهوا يركبِ اللهُ نحوها وحفتْ برجلٍ أو جناحٍ يطيرُها

لعلكَ يا تيساً نزا في مريرةٍ معذبُ ليلى أن تراني أزورُها

وأَدماءَ منْ سرِّ الهجان كأنَّها مهاةُ صوارٍ غيرَ ما مسَّ كورُها

من الناعباتِ المشيِ نعباً كأنما يناطُ بجذعٍ من أوالٍ جريرُها

من العَركنانيَّاتِ حرفٍ كأنها مريرةُ ليفٍ شدَّ شزراً مغيرُها

قطعتُ بها موماةَ أرضٍ مخوفةٍ مخوفٍ ردَاهَا حين يستنُّ مورُهَا

ترى ضعفَاءَ القومِ فيها كأنهمْ دعاميصُ ماءٍ نشَّ عنها غديرُها

وقسورةِ الليل التي بينَ نصفهِ وبينَ العِشاءِ قد دأَبتُ أسيرَها

أبتْ كثرةُ الأعداءِ أن يتجنبُوا كلابي حتى يستثارَ عقورُها

وما يشتكى جهلي ولكنَّ غرتي تراها بأعدائِي لبيثاً طورُهَا

أمخترمِي ريبَ المنونِ ولمْ أزُرْ جوارِيَ منْ همدانَ بيضاً نحورَها

تنوءُ بأعجَازٍ ثقالٍ وأسوق خدالٍ وأقدامٍ لطافٍ خصورُها

وقال توبة أيضاً: الطويل

ألا هلْ فؤادِي من صبا اليومَ صافحُ وهل ما وَأَتْ ليلى به لكَ ناجحُ

وهلْ في غَدٍ إنْ كانَ في اليومِ علةٌ سراحٌ لما تلوِي النفوسُ الشَحائِحُ

ولو أنَّ ليلى الأخيلية سلمتْ عليَّ ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلمتُ تسليمَ البشاشةِ أو زقا ... إليها صداً من جانبِ القبرِ صائحُ

ولوْ أنَّ ليلَى في السماءِ لأصعدَتْ ... بطرفي إلى ليلى العيونَ الكواشحُ

ولو أرسلَتْ وحياً إليَّ عرفتهُ ... مع الريحِ في موارِهَا المتناوِحُ

آأغبطُ من ليلى بما لا أنالُهُ ... ألا كُلّ ما قرتْ به العين صالحُ

سقتني بشربِ المستصافِ فصردتْ ... كما صردَ اللوحَ النطافُ الضحاضحُ

فهلْ تبكينْ ليلى إذ متُّ قبلها ... وقامَ على قبرِي النساءُ النوائحُ

كما لو أصابَ الموتَ ليلى بكيتُها ... وجادَ لها جارٍ من الدَّمعِ سافحُ

وفتيانِ صدقٍ وصلتُ جناحهمْ ... على ظهرِ مغبرِّ التنوفةِ نازِحُ

بمائرةِ الضبعينِ معقودةِ النسَا ... أمينِ القرافي مجفرٍ غيرِ جانحُ

وما ذُكرتِي ليلى على نَأْيِ دَارِها ... بنجرانَ إلاَّ الترَّهاتُ الصحاصحُ

وقال توبة: الطويل

رمانِي بليلى الأخيلية قومُها ... بأشياءَ لم تخلقْ ولم أدرِ ما هيا

فليتَ الذي يلقَى ويحزُنُ نفسَهَا ... ويلقونَهُ بيني وبينَ ثيابيَا

فهلْ يبدُرنَّ البابَ قومُكِ أنني ... قد أصبحتُ فيهم قاصيَ الدارِ نائيا

تمسكْ بحبلِ الأخيلية واطرحْ ... عدَى الناسِ فيها والوشاةَ الأدَانيا

فإنْ تمنعُوا ليلى وحسنَ حديثِها ... فلنْ تمنعوا مني البُكا والقوافيا

ولا رَملَ العيسِ النوافخِ في البُرَى ... إذا نحنُ رفعنا لهنَّ المثانيَا

فهلاّ منعتمْ إذ منعتمْ كلامها ... خيالاً يوافينِي على النأيِ هادِيَا

ولو كنتُ مولى حقِّها لمنعتُها ... ولكنَّ من دونِي لليلَى مواليَا

يلومُكَ فيها اللائمونَ فصاحةً ... فليتَ الهوى باللائمينَ مكانيا

لو أنَّ الهوى في حبِّ ليلى أطاعَنِي ... أطعتُ ولكنَّ الهوى قد عصانيا

وكمْ منْ خليلٍ قدْ تجاوزتُ بذلَهُ ... إليكِ وصادٍ لو أتيتُ سقانيا

لعمري لقدْ سهدتنِي يا حمامةَ الْ ... عقيقِ وقدْ أبكيتِ منْ كانَ باكيَا

وكنتُ وقورَ الحلمِ ما يستهشني ... بكاءُ الصدَى لو نحتِ نوحاً مدانيا

ولوْ أنَّ ليلى في بلادٍ بعيدةٍ ... بأقصَى بلادِ الجنِّ والناسِ واديَا

لكانتْ حديثَ الرَّكبِ أو لانتحَى بها ... إذا أعلَنَ الرَّكبُ الحديثَ فؤاديا

تربعُ ليلى بالمضيحِ فالحمى ... وتقتاظُ من بطنِ العقيقي السواقيا

ذكرتُكِ بالغورِ التهامي فأصعدَتْ ... شجونَ الهوى حتى بلغنَ التراقيا

فما زلتُ أزجي العيسَ حتى كأنما ... ترى بالحصى أخفافَها الجمرَ حاميا

بثمدينَ لاحتْ نارُ ليلى وصحبتي ... بفرعِ الغضا تزجي القلاصَ الحواميا

ليلى الأخيلية

وقالت ليلى الأخيلية وهي ليلى بنت حذيفة بن شداد بن كعب بن معاوية بن عبادة بن عقيل وكعب بن معاوية هو الأخيل: الطويل

طربتُ وما هذا بساعةِ مطربِ ... إلى الحيِّ حلوا بين عاذٍ فجبجبِ

قديماً فأمستْ دراهم قد تلعبتْ ... بها خرقاتُ الريحِ من كلِّ ملعبِ

وكم قدْ رأى رائيهم ورأيتُهُ ... بها لي منْ عمٍّ كريمٍ ومنْ أبِ

فوارسُ من آلِ النفاضةِ سادةٌ ... ومن آل كعبٍ سؤددٌ غير معقبِ

وحيٍّ حريدٍ قد صبحنا بغارةٍ ... فلم يمسِ بيتٌ منهمُ تحتَ كوكبِ

شننَّا عليهم كلَّ جرداءَ شطْبَةٍ ... لجوجٍ تباري كلَّ أجردَ شرجبِ

أجشُّ هزيمٌ في الخبارِ إذا انتحى ... هواديَ عطفيهِ العنانُ مقربِ

لوحشيها من جانبي زفيانها ... خفيفٌ كخذروفِ الوليد المثقبِ

إذا جاشَ بالماءِ الحميمِ سجالها ... نضخنَ به نضخَ المزادِ المسربِ

فذرْ ذا ولكني تمنيتَ راكباً ... إذا قالَ قولاً صادقاً لم يكذبِ

لهُ ناقةٌ عندي وساغٌ وكورُها ... كلا مرفقيها عن رحاها بمجنبِ

إذا حركتَها رجلهُ جنحتْ بهِ ... جنوحَ القطاةِ تنتحي كلَّ سبسبِ

جنوحَ قطاةِ الوردِ في عصبِ القطا ... قربنَ مياهَ النهي منْ كلِّ مقربِ

فغادينَ بالأجزاعِ فوقَ صوائقٍ ... ومدفعِ ذاتِ العينِ أعذَبَ مشربِ

فظلْنَ نشاوَى بالعيونِ كأنها شروبٌ بدتْ عن مرزبانٍ محجبِ
فنالتْ قليلاً شافياً وتعجلتْ لبادٍ لها بين الشباكِ وتنضبِ

تبيتُ بموماةٍ وتصبحُ ثاوياً بها في أفاحيصِ الغويِّ المعصبِ
وضمتْ إلى جوفٍ جناحاً وجؤجؤاً وناطتْ قليلاً في سقاءٍ محببِ
إذا فترتْ ضربَ الجناحينِ عاقبتْ على شزنيها منكباً بعد منكبِ
فلمَّا أحسَّا جرسَها وتضوَّرا وأوبتَها من ذلك المتأوبِ
تدلتْ إلى حُصٍّ الرؤوسِ كانها كراتُ غلامٍ من كساءٍ مرنبِ
فلما انجلتْ عنها الدُّجى وسقتهما ضبيبَ سقاءٍ نيطَ لما يخربِ
غدتْ كنواةِ القسبِ عنها وأصبحتْ تراطنُها ذريَّةٌ لم تعربِ
ولي في المُنى ألا يعرجَ راكبي ويحبسَ عنها كلَّ شيءٍ متربِ
ويفرجُ بوابٌ لها عن مناخها بإقليده بابَ الرتاجِ المضببِ
إذا ما أنيختء بابنِ مروان ناقتي فليسَ عليها للهبانيقِ مركبِ
أدلتْ بقربي عندهُ وقضى لها قضاءً فلم ينقض ولم يتعقبِ
فإنكَ بعد اللهِ أنتَ أميرُها وقنعانها في كلِّ خوفٍ ومرغبِ
فتقضي فلولا أنهُ كلُّ ريبةٍ وكلُّ قليلٍ من وعيدِك مرهبي
إذا ما ابتغى العادي الظلومُ ظلامةً لديَّ وما استجلبتَ للمتجلبِ
تبادرُ أبناءَ الوشاةِ وتبتغي لها طلباتِ الحقِّ من كلِّ مطلبِ
إذا أدلجتْ حتى ترى الصبحَ واصلَتْ أديمَ نهارِ الشمسِ ما لم تغيبِ
فلمَّا رأتْ دارَ الأميرِ تحاوصتْ وصوتَ المنادي بالأذانِ المثوبِ
وترجيعُ أصواتِ الخصومِ يردَّها سقوفُ بيوتٍ في طمارٍ مبوبِ
يظلُّ لأعلاها دويٌّ كأنهُ ترنمُ قاري بيتِ نحلٍ مجوبِ

وقالت ليلى ترثي توبة بن الحمير الخفاجي: الطويل

نظرتُ ودوني من عماية منكبٌ وبطنِ الركاءِ أيَّ نظرةَ ناظرِ

لأونسَ إنْ لمْ يقصرِ الطرفُ دونهم فلم تقصرِ الأخبارُ والطرفُ قاصري

فوارسَ أجلَى شأوها عن عقيرةٍ لعاقرها فيها عقيرةُ عاقرِ

فآنستُ خيلاً بالرواقِ مغيرةً أوائلهُا مثلُ القَطا المتواترِ

قتيلَ بني عوفٍ فواترِ تالهُ قتيلَ بني عوفٍ قتيلَ يحابرِ

تواردهُ أسيافهمْ فكأنما تصادرنَ عن حامي الحديدةِ باترِ

من الهندوانياتِ في كلِّ قطعةٍ دمٌ ذلَّ عن إثْرٍ من السيفِ ظاهرِ

أتتهُ المنايا بين زغفٍ حصينةٍ وأسمرَ خطيٍّ وجرداءَ ضامرِ

على كلِّ جرداءِ السراةِ وسابحٍ درأتَ بشباكِ الحديد زوافِرِ

عوابسَ تعدو الثعلبيةَ ضمراً فهنَّ شواحٍ بالشكيمِ الشواجرِ

فلا يبعدنكَ الله يا توبَ إنمَا لقاءَ المنايا دارعاً مثل حاسرِ

فإنْ تكنِ القتْلَى بواءً فإنكمْ ستلقونَ يوماً وردهُ غيرُ مادرِ

وإنَّ السليلَ إنْ أبأتُ قتيلكم كمرحوضةٍ عن عركها غيرَ طاهرِ

وإن تكنِ القتلى بواءً فإنكمْ فتًى ما قتلتم آل عوفِ بنِ عامرِ

فتى لا تخطاهُ الرفاقُ ولا يرى لقدرٍ عيالاً دونَ جارٍ مجاورِ

ولا تأخذُ الإبلُ الزهارَى رماحها لتوبةَ عن صرفِ السرَى في الصنابرِ

إذا ما رأتهُ قائماً بسلاحه تقتهُ الخفافُ بالثقالِ البهازرِ

إذا لم تجرْ منها برسلٍ فقصرهُ ذُرى المرهفاتِ والقِلاصِ التواجرِ

قرَى سيفهُ منها مشاشاً وضيفهُ سنامَ المهاريسِ السباطِ المشافرِ

وتوبةُ أحيى من فتاةٍ حييةٍ وأجرأ من ليثٍ بخفانَ خادرِ

ونعمَ الفتى إنْ كانَ توبةُ فاجراً وفوقَ الفتى إنْ كانَ ليسَ بفاجرِ

فتىً ينهلُ الحاجاتِ ثمَّ يعلُّها فتطلعهُ عنها ثنايا المصادرِ

كأنَّ فتىَ الفتيانِ توبةُ لم ينخْ قلائصَ يفحصنَ الحصا بالكراكرِ

ولم يثنِ أبراداً عتاقاً لفتيةٍ كرامٍ ورحلٍ قيلٍ في الهواجرِ

ولم يتخلَّ الضيفُ عنهُ وبطنهُ خميصٌ كطيِّ السبتِ ليس بحادرِ

فتًى كانَ للمولَى سناءً ورفعةً ... وللطارقِ الساري قرى غير قاترِ

ولم يدعَ يوماً للحفاظِ وللندَى ... وللحربِ يُذكي نارَها بالشراشرِ

وللبازلِ الكوماءِ يرغو حوارُها ... وللخيلِ تعدو بالكماةِ المساعرِ

كأنك لم تقطعْ فلاةً ولم تنخْ ... قلاصاً لدى وادٍ من الأرضِ غائرِ

جنوحاً بموماةٍ كأنَّ صريفها ... صريفُ خطاطيفِ الصرا في المحاورِ

طوتْ نفعَها عنا كلابٌ وآسدتْ ... بنا أجهليها بينَ غاوٍ وساعرِ

وقد كانَ حقاً أنْ تقولَ سراتهمُ ... لعاً لأخينا عالياً غيرَ عائرِ

وداويةٍ قفرٍ تحارُ بها القطا ... تخطيتها بالناعجاتِ الضوامرِ

فتاللهِ تبني بيتها أمُّ عامرٍ ... على مثلهِ أخرى الليالي الغوابرِ

فليس شهابُ الحربِ ياتوبُ بعدها ... بغازٍ ولا غادٍ بركبِ مسافرِ

وقدْ كانَ طلاعَ النجادِ وبينَ الل ... سان ومجذَامَ السرَى غيرَ فاترِ

وكنتَ إذا مولاك خافَ ظلامةً ... دعاكَ ولم يهتفْ سواكَ بناصرِ

فإنْ يكُ عبدُ الله آسى ابنَ أمهِ ... وآبَ بأسلابِ الكميِّ المغاورِ

وكانَ كذاتِ البوِّ يضربُ عندهُ ... سباعاً وقد ألقينهُ في الجراجرِ

فإنَّك قد فارقتهُ لكَ عاذراً ... وأنَّى وأنَّى عذرُ منْ في المقابرِ

فأقسمتُ أبكي بعدَ توبةَ هالكاً ... وأحفلُ منْ نالتْ صروفُ المقادرِ

على مثل همامٍ ولابنِ مطرفٍ ... تبكي البواكي أو لبشرِ بن عامرِ

غلامانِ كانَ استوردا كلَّ سورةٍ ... من المجدِ ثم استوثقا في المصادرِ

ربيعي حياً كاناَ يفيضُ نداهُما ... على كلِّ مغمورٍ نداهُ وغامرِ

كأنَّ سنا ناديهمَا كلَّ شتوةٍ ... سنَا البرقِ يبدو للعيونِ النواظرِ

وقالت ترثيه أيضاً وكان الأصمعي يتعجب منها: الطويل

يا عينُ بكي توبةَ بن الحميرِ ... بسحٍّ كفيضِ الجدولِ المتفجرِ

لتبكِ عليهِ من خفاجةَ نسوةٌ ... بماءِ شؤونِ العبرَةِ المُتحدرِ

سمعْنَ بهيجا أضلعَتْ فذكرنهُ وما يبعثُ الأحزانَ مثلُ التذكرِ

كأنَّ فتى الفتيانِ توبةَ لمْ يسرْ بنجدٍ ولم يطلعْ مع المتغورِ

ولم يردِ الماءَ السدامَ إذا بدا سنا الصبُّحِ في نادي الحواشي منورِ

ولمْ يعلُ بالجردِ الجيادِ يقودُها أسرةَ بينَ الأشمساتِ فأنسرُ

ولم يغلبِ الخصمَ الضجاجَ ويملأ ال جفانَ سديفاً يومَ نكباءَ صرصرِ

وصحراءَ موماةٍ يحارُ بها القطا قطعتَ على هولِ الجنانِ بمنسرِ

يقودونَ قباً كالسرَاحين لاحَهَا سراهُمْ وسيرُ الرَّاكبِ المتهجرِ

فلما بدتْ أولى العدوِّ سقيتهَا صبابةَ مثلوبِ المزادِ المقيرِ

ولمَّأ أهابُوا بالنهابِ حويتهم بخاظي البضيعِ كرهُ غيرُ أعْسَرَ

ممرٍّ ككرِّ الأندَريِّ مُثابرٍ إذا ما ونَينَ محصفَ الشدِّ محضرِ

وألوتْ بأعناقٍ طوالٍ وراعها صلاصلُ بيضٍ سابغٍ وسنورِ

ألم تر أن العبدَ يقتلُ ربهُ فيظهرَ جدَّ العبدِ من غيرِ مظهرِ

قتلتمْ فتًى لا يُسقِطِ الروعُ رُمحهُ إذا الخيلُ جالتْ في القَنَا المتكسِّرِ

فيا توبَ للهيجا ويا توبَ للنَّدَى ويا توبَ للمستنبحِ المتنورِ

ويا رُبَّ مكروبٍ أجبتَ ونائلٍ بذلتَ ومعروفٍ لديكَ ومنكرِ

عبد الله بن الحمير

وقال عبد الله بن الحمير يعتذر إلى بني عقيل في أخيه توبة: الوافر

تأوبني بعارمةَ الهمومُ كما يعتادُ ذا الدينِ الغريمُ

كأنَّ الهمَّ ليس يريدُ غيري وأنْ أمسَى لهُ نَبَطٌ ورومُ

علامَ تقولُ عاذلتي بلومٍ يؤرقني وما انجابَ الصريمُ

فقلتُ لها رويداً كي تجلَّى غواشي النومِ والليلُ البهيمُ

ألمَّا تعلمي أنِّي قديماً إذا ما شئتُ أعصي منْ يلومُ

وأنَّ المَرءَ ما يدري إذا مَا يهمُّ علامَ تحملهُ الهمومُ

وقد تُعدِي على الحاجاتِ حرفٌ كركنِ الرعنِ ذعلبةٌ عقيمُ
مداخلة الفقارةِ ذاتِ لوثٍ على الحزَّانِ ملحمةٌ غشومُ
كأنَّ الرحلَ منها فوقَ جأبٍ بذاتِ الحاذِ معقلُهُ الصريمُ
طباهُ برجلةِ البقارِ برقٌ فباتَ الليلَ منتصباً يشيمُ

فبينا ذاك إذ هطلتْ عليهِ دلوحُ المزنِ واهيةٌ هزيمُ
تهبُّ لهُ الشمالُ فيمتريها وتعقبهُ لنافحةٍ تسيمُ
يكبُّ إذا الرذاذُ جرى عليهِ كما يُصغِي إلى الأسِي الأميمُ
إذا ما قالَ أقشَعَ جانباهُ فشتْ من كلِّ ناحيةٍ غيومُ
فأشعرَ ليلهُ أرقاً وقراً يسهدُهُ كما أرِقَ السليمُ
ألا من يشتري رجلاً برجلٍ تخونهَا السلاحُ فما تريمُ
يلومكَ في القتالِ بنو عقيلٍ وكيفَ قتالُ أعرجَ ما يقومُ
ولو كنتَ القتيلَ وكانَ حيَّاً لقاتلَ لا ألفٌّ ولا سؤومُ
ولا جثامةٌ ورعٌ هيوبٌ ولا ضرعٌ إذا يُمسِي جثومُ

عبد الله بن سلمة

وقال عبد الله بن سليمة بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة بن الدؤل الغامدي بن سعد مناة بن عمرو. وعمرو هو غامد سُميَ غامداً لأن رجلاً من بني الحارث بن يشكر قال من أغمدَ سيفه فهو آمنٌ فأغمد عمرٌو سيفه فسمي غامداً، وهي مفضلية والقصيدة التي له بعدها وقرأها على ابن الخشاب: الوافر

ألا صرمتْ حبائلنا جنوبُ ففرعنا ومالَ بها قضيبُ
ولمْ أرَ مثلَ بنتِ أبي وفاءٍ غداة براقِ ثجرَ ولا أحوبُ
ولمْ أرَ مثلها بأنيفِ فرعٍ عليَّ إذاً مذرعةٌ خضيبُ
ولم أرَ مثلها بوحافِ لُبْنٍ يشبُّ قسامَها كرمٌ وطيبُ
على ما أنها هزئتْ وقالتْ هنونَ أجنَّ منشأُ ذا قريبُ

فإنْ أكبرْ فإنّي في لداتي وعصرُ جنوبَ مقتبلٌ قشيبُ

وإن أكبرْ فلا بأطيرِ أصْرٍ يفارقُ عاتقي ذكرٌ خشيبُ

وسامِي الناظرين غذيٍّ كثرٍ ونابتِ ثروةٍ كثروا فهيبوا

نقمتُ الوترَ منهُ فلمْ أعتمْ إذا مسحتْ بمغيظةٍ جنوبُ

ولولا ما أجرعهُ عياناً للاحَ بوجههِ مني ندوبُ

فإنْ تشبِ القرونُ فذاكَ عصرٌ وعاقبةُ الأصاغرِ أنْ يشيبُوا

كأنَّ بناتِ مخرٍ رائحاتٍ جنوبُ وغصنها الغضُّ الرطيبُ

وناجيةٍ بعثتُ على سبيلٍ كأنَّ بياضَ منحرهِ سبوبُ

إذا ونتِ المطيُّ ذكتْ وخودٌ مواشكةٌ على البلوى نعوبُ

وأجرد كالهراوةِ صاعديٍّ يزينُ فقارهُ متنٌ لحيبُ

درأْتُ على أوابدَ ناجياتٍ يحفُّ رياضها قضفٌ ولوبُ

فغادرتُ القناةَ كأنَّ فيها عبيراً بلَّهُ منها الكعوبُ

وذي رحمٍ حبوتُ وذي دلالٍ من الأصحابِ إذْ خدعَ الصحوبُ

وقال أيضاً مفضلية وقرأهّا على ابن الخشاب: الكامل

لمنِ الديارُ بتولعٍ فيبوسِ فبياضُ ريطةَ غيرُ ذاتِ أنيسِ

أمْستْ بمستنٍّ الرياحِ مفيلةً كالوشمِ رجعَ في اليدِ المنكوسِ

وكأنما جرُّ الروامسِ ذيلَهَا في صحنهَا المعفوِّ ذيلُ عروسِ

فتعدَّ عنها إنْ نأتْ بشملَّةٍ حرفٍ كعودِ القوسِ غيرِ ضروسِ

ولقدْ غدوتُ على القنيص بشظيمٍ كالجذعِ وسطَ الجنةِ المغرُوسِ

متقاربِ الثفنات ضيقٍ زورهُ رحبِ اللبانِ شديدِ طيٍّ ضريسِ

يعلى عليه مسائحٌ من فضةٍ وثرى حبابِ الماءِ غير يبيسِ

فتراهُ كالمشعوفِ أعلى مرقبٍ كصفائحٍ من حبلَةٍ وسلُوسِ

في مربلاتٍ روحتْ صفريةٍ بنواضحٍ يقطرنَ غيرَ وريسِ

فنزعتهُ وكأنَّ فجَّ لبانهِ وسواءَ جبهتهِ مداكُ عروسِ

ولقدْ أصاحبُ صاحباً ذا مأقةٍ بصحابِ مطلعِ الأذى نقريسِ
ولقد أزاحمُ ذا الشذاةِ بمزحمٍ صعبِ البداهةِ ذي شذاً وشريسِ
ولقد أُلينُ لكلِّ باغي نعمةٍ ولقدْ أجازي أهلَ كلِّ حويسِ
ولقدْ أداوي داءَ كلِّ معبدٍ بعنيةٍ غلبتْ على النطيسِ

النمر بن تولب

وقال النمر بن تولب بن زهير بن أقيشر بن عبيد بن وائل بن كعب بن الحارث ابن عوف، وعوف هو عكل، وسمي عكلاً بأمه، وقال الأصمعي نشدنيها حماد ابن الأخطل بن ربيعة بن النمر بن تولب: الكامل

صرمتكَ جمرةُ واستبدَّ بدارها وعدتْ عوادي الحربِ دونَ مزارها

زبنتكَ أركانُ العدوّ فأصبحت أجأٌ وجبةُ من قرارِ ديارها
وكأنَّها دقرى تخيلُ نبتَها أنفٌ يغمُّ الضال نبتُ بحارِها
عزبتْ وباكرها السميُّ بديمةٍ وطفاءَ تملأها إلى أصبارِها
وكأنَّ أنماطَ المداين وسطَها من نورِ حنوتها ومنْ جرجارِها
ولقد لهوتُ بطفلةٍ مياليةٍ بلهاءَ تطلعني على أسرارِها
عبقَ المسكُ والعبيرُ بجيبها وكأنَّ نضخَ دَمٍ على أظفارِها
وكأنَّها عيناءُ أم جؤيذرٍ خذلتْ لهُ بالرَّملِ خلفَ صوارِها
خرقٍ إذا ما نامَ طافتْ حوله طوفَ الكعابِ على جنوب دُوارِها
بأغنَّ طفلٍ لا تصاحبُ غيرَه فلهُ عُفافةُ درّها وغرارِها
هل تذكرينَ جزيتِ أحسنَ صالحٍ أيامنا بمليحةٍ فهرَارِها
أزمانَ لم تأخذ إليَّ سلاحها إبلي بجلتها ولا أبكارِها
اعتزها ألبانها ولحومها فأهينَ ذاكَ لضيفها ولجارِها
ولرفقةٍ في ليلةٍ مشمولةٍ نزلتْ بها فعدتْ على أسارِها
وأضاعَ أقوامٌ فسبتْ أمهمْ وأبوهمُ حتى يمتَّ بعارِها
كانوا يسيمون المخاضَ أمامها ويغرزون بها على أغبارِها

ولقد شهدتُ إذا القداحُ توحدتْ ... وشهدتُ عند الليلِ موقدَ نارِها

عن ذات أوليةٍ أساودُ ربها ... وكأنَّ لونَ الملحِ فوقَ شفارِها

كانتْ عقيلةُ مالهِ فأذلهُ ... عنْ بعضِ قنيتها رجاةُ بكارِها

حتى إذا قسمَ النصيبُ وأصفقتْ ... يدهُ بجلدةِ ضرعِها وحوارِها

ظهرتْ ندامتهُ وهانَ بسخطهِ ... ثنيا على مربوعها وعذارِها

ولقد شهدتُ الخيلَ وهي مغيرةٌ ... وشهدتُها تعدُو على آثارِها

وحويتُ مغنمها أمامَ جيادها ... وكررتُ إذْ طردتْ على أدبارِها

ولقد شفيتُ من الركابِ ومشيها ... وزفيفها نفسي ومنْ أكوارِها

وقال النمر بن تولب: الطويل

تأبدَ منْ أطلالِ جمرةَ مأسلُ ... فقدْ أقفرتْ منها شراءٌ فيذبلُ

فبرقةُ أرمَامٍ فجنبا متالِعٍ ... فوادي المياهِ فالبديُّ فأنجلُ

ومنهَا بأعراضِ المحاضرِ دمنةٌ ... ومنها بوادِ المتلَهمَّةِ منزلُ

أناةٌ عليها لؤلؤٌ وزبرجدٌ ... ونظمٌ كأجوازِ الجرادِ مفصلُ

تربُبها الترغيبُ والمخضُ خلفةً ... ومسكٌ وكافورٌ ولبنَى تأكلُ

يشنُّ عليها الزعفرانُ كأنَّهُ ... دمٌ قاربٌ تعلى بهِ ثمَّ يغسلُ

وكمْ دونها من كلِّ طودٍ ومهمةٍ ... وماءٍ لدى أحواضهِ الذئبُ يعسلُ

سواءٌ عليها الشيخُ لم تَدرِ ما الصِّبا ... إذا ما رأتهُ والألوفُ المقتلُ

ودستْ رسولاً من بعيدٍ بآيةٍ ... بأنْ حيهم واسألْهُمُ ما تموَّلوا

فحييتِ عن شحطٍ فخيرٌ حديثنا ... ولا يأمنُ الأيامَ إلا المضللُ

لنا فرسٌ من صالحِ الخيلِ نبتغي ... عليهِ عطاءَ اللهِ واللهُ ينحلُ

يردُّ علينا العيرَ من دونِ إلفهِ ... بقرقرةٍ والنقعُ لا يتزيلُ

وحمرٌ مدماةٌ كأنَّ ظهورَها ... ذرى كثبٍ قدْ بلها الطلُّ من علُ

عليها من الدهناءِ عتقٌ ومورَةٌ ... من الحزنِ كلاً بالمرابعِ تأكلُ

وفي جسمِ راعيها شحوبٌ كأنهُ ... هزالٌ وما منْ قلةِ الطعمِ يهزلُ

وقدْ سمنتْ حتى تظاهرَ نيُّها ... وليس عليها بالروادفِ محملُ
إذا وردتْ ماءً وإنْ كانَ صافياً ... حدتهُ على دلوٍ يعلُّ وينهلُ
فلا الجارةُ الدُّنيا لها تلحينها ... ولا الضيفُ فيها إن أناخَ محولُ
إذا هتكتْ أطنابَ بيتٍ وأهلهُ ... بمعطنهَا لمْ يوردُوا الماء قيلُوا
وما قمعنا فيها الوطابَ وحولنا ... بيوتٌ عليها كلها فوهُ مقبلُ
أرى أمنا أضحتْ علينا كأنما ... تجللها منْ نافضِ الوردِ أفكلُ
رأتْ أُمَّنا وطباً يجيءُ به امرؤٌ ... منَ الماءِ للبادينَ فهو مزملُ
فقالتْ فلانٌ قدْ أغاثَ عيالهُ ... وأودَى عيالٌ آخرونَ فهزلوا
فلما رأتهُ أمنا هانَ وجدُها ... وقالتْ أبونا هكذا كانَ يفعلُ
ألمْ يكُ ولدانٌ أعانوا ومجلسٌ ... قريبٌ فنخزى إذْ يكفُّ ويحملُ

عليهنَّ يومَ الوردِ حقٌّ وحرمةٌ ... وهنَّ غداةَ الغبِّ عندكَ حفلُ
فإنْ تصدُري يحلبنَ دونَكِ حلبةً ... وإن تحضري يلبثْ عليك المعجلُ
لعمري لقدْ أنكرتُ نفسي ورابني ... معَ الشيبِ أبدَالي التي أتبدَّلُ
فضولٌ أراها في أديميَ بعدَ ما ... يكونُ كفافَ اللحمِ أو هو أجملُ
كأنَّ محطاً من يديْ حارثيةٍ ... صناعٍ علتْ مني به الجلدِ منْ علُ
دعاني العذارى عمهنَّ وخلتني ... لي اسمٌ فلا أدعَى بهِ وهو أولُ
وقولي إذا ما أطلقوا عن بعيرهم ... تلاقونه حتى يؤوبَ المنخلُ
فيضْحِي قريباً غيرَ ذاهبِ غربةٍ ... وأرسلُ أيماني ولا أتحللُ
وظلْعي ولمْ أُكسرْ وأنَّ ظعينتي ... تلفُّ بنيها في الدثارِ وأعزلُ
وكنتُ صَفيَّ النفسِ لا أستزيدُها ... فقدْ كدتُ من أقصاءِ جنبي أذهلُ
وبطئ عن الداعي فلستُ بآخذٍ ... إليه سلاحي مثلَ ما كنتُ أفعلُ
وقد كنتُ لا تشوي سهامي رميةً ... فقدْ جعلتْ نبلي تطيشُ وتنصلُ
يودُّ الفتى طولَ السلامةِ جاهداً ... فكيفَ ترى طولَ السلامةِ تفعلُ

تداركَ ما بعدَ الشبابِ وقبلهُ حوادثُ أيامٍ تمرُّ وأغفلُ

يودُّ الفتى بعدَ اعتدالٍ وصحةٍ ينوءُ إذا رامَ القيامَ ويحملُ

وقال أيضاً الوافر

ألمَّ بصحبتي وهمُ هجودٌ خيالٌ طارقٌ منْ أمِّ حصنِ

ألم ترها تريكَ غداةَ بانَتْ بملءِ العينِ منْ كرَمٍ وحُسْنِ

سقيةَ بينَ أنهارٍ ودورٍ وزرعٍ نابتٍ وكروم جفنِ

لهَا ما تشتهي عسلٌ مصفًى إذا شاءتْ وحواري بسمنِ

فأعطتْ كلَّما سئلتْ شباباً فأنبتها نباتاً غير جحنِ

فقلتُ وكيف صادَتني سليمى ولمَّا أرْمِها حتى رمتنِي

كنودٌ لا تمنُّ ولا تفادي إذا غلقتْ حبائلها برهنِ

وقلتُ لصحبتي ماذا دهَاها إلى شُعثٍ وأنضاءٍ بمتنِ

خفياتُ الشخوصِ وهنَّ عيسٌ كأنَّ جلودهنَّ ثيابُ مرنِ

خرجنَ من الخوارِ وعدنَ فيهِ وقدْ وازنَّ منْ أجلي برعنِ

ألا يا ليتني حجرٌ بوادٍ أنامَ وليتَ أمي لمْ تلدني

ألا يا حادِ ويحكَ لا تلُمنِي ونفسك لا تُضيعها ودعنِي

فإنِّي قد لبستُ العيشَ حتى مللتُ من الحياةِ فقلتُ قَدنِي

ولاقيتُ الخُيورَ وأخطأتني شرورٌ جمةٌ وعلوتُ قرنِي

يلومُ أخي على إهلاكِ مالي وما إنْ غالهُ ظهري وبطني

ولا ضيعتهُ فالأمُ فيهِ فإنَّ ضياعَ مالكَ غيرُ معنِ

ولكنْ كلُّ مختبطٍ فقيرٍ يقولُ ألا استمعْ أنبئكَ شأني

ومسكينٌ وأعمَى قالَ يوماً أغثنِي للآلهِ ولا تدعنِي

وإعطائي ذوي الأرحامِ منهُ وتوسيعي لذي عجزٍ وضغنِ

أقي حسبي به ويعزُّ عرضي عليَّ إذا الحفيظةُ أدركتني

وأعلمُ أنْ ستدركني المَنَايا فإنْ لا أتبعْها تتبعنِي

رأيتُ المانعين المالَ يوماً ... مصيرهمُ لإلقاءٍ فدفِنِ

وقال النمر بن تولب: البسيط

شطّتْ بجمرةَ دارٌ بعدَ إلمامِ ... نأيٌّ وطولُ بعادٍ بينَ أقوامِ

حلتْ بتيماءَ في قومٍ إذا اجتمعوا ... في الصبحِ نادَى مناديهم بأشْأمِ

وقدْ لهوتُ بها والدَّارُ جامعةٌ ... بالخرجِ فالنهي فالعوراءِ فالدَّامِ

حتى اشتفى وشفَى منها لبانتهُ ... وما يزيدُ شفاءً غيرَ إسقامِ

كأنَّ جمرةَ أو عزَّتْ لها شبهاً ... في العينِ يومَ تلاقينا بأرْمامِ

ميثاءُ جادَ عليها مسبِلٌ هطلٌ ... فأمرعَتْ لاحتيالٍ فرطَ أعوامِ

إذا يخفُّ ثراهَا بلها ديمٌ ... منْ كوكبٍ نزلٍ بالماءِ سجامِ

لم يرعها أحدٌ وارتبها زمناً ... فأوٌ منَ الأرضِ محفوفٌ بأعلامِ

تسمعُ للطير في حافاتها زجلاً ... كأنَّ أصواتها أصواتُ جرامِ

كأنَّ ريحَ خزاماها وحنوتهَا ... بالليل ريحُ يلنجُوجٍ وأهضامِ

أليسَ جهلاً بذي شيبٍ تذكرهُ ... ملهى ليالٍ خلتْ منهُ وأيامِ

ومنهلٍ لا ينامُ القومُ حضرتهُ ... منَ المخافةِ أجنٌ ماؤهُ طامِي

قد بتُّ أحرسُهُ وحدِي ويمنعني ... صوتُ السباعِ بهِ يضبحنَ وإلهامِ

ما كانَ إلاَّ اطلاعي في مدالجهِ ... ثم انصرافي إلى وجناءَ مجذامِ

أفرغتُ في حوضِها صفناً لتشربهُ ... في داثرٍ خلقِ الأعضادِ أهْدامِ

فعافت الماءَ واستافَتْ بمشفرِها ... ثمَّ استمرَّتْ سواهُ طرفُها سامِ

صدتْ كما صدَّ عمَّا لا يحلُّ لهُ ... ساقي نصارَى قبيلَ الصبحِ صوامِ

أرمِي بها بلداً ترميهِ عن بلدٍ ... حتى أُنيخَتْ على أحواضِ ضرسامِ

وقال أيضاً: المتقارب

سلا عنْ تذكره تكتما ... وكانَ رهيناً بها مغرما

وأقصرَ عنهَا وآياتُها ... تذكرهُ داءهُ الأقدما

فأوصى الفتى بابتناءِ العُلى ... وأنْ لا يخونَ ولا يأثما

ويلبسُ للدهرِ أجلالهُ ... فلنْ يبنيَ الناسُ ما هدَّما

وإنْ أنتَ لاقيتَ في نجدةٍ ... فلا تتكاءدْكَ أن تقدِما

فإنَّ المنيةَ منْ يخشها ... فسوفَ تصادفهُ أينما

وإنْ تتخطاكَ أسبابُها ... فإنَّ قصاركَ أن تهرما

وأحببْ حبيبكَ حُباً رويداً ... فقد لا يعولكَ أن تصرما

فتظلمَ بالودِّ منْ وصلُهُ ... رقيقٌ فتسفه أو تندما

وأبغضْ بغيضكَ بغضاً رويداً ... إذا أنتَ حاولتَ أن تحكما

ولوْ أنَّ منْ حتفهِ ناجياً ... لكانَ هو الصدَعَ الأعصما

بإسبيلَ ألقتْ بهِ أمُّهُ ... على رأسِ ذي حبُكٍ أيهما

إذا شاءَ طالعَ مسجورةً ... ترى حولها النبعَ والساسما

يكونُ لأعدائهِ مجهلاً ... مضلاً وكانتْ لهُ معلما

سقتها رواعدُ من صيفٍ ... وإنْ منْ خريفٍ فلنْ يعدما

أتاحَ لهُ الدهرُ ذا وفضةٍ ... يقلبُ في كفهِ أسهما

فراقبهُ وهو في قترةٍ ... وما كنَ يرهبُ أنْ يكلَما

فأرسلَ سهماً لهُ أهزعاً ... فشكَّ نواهقهُ والفما

فريغَ الغرارُ على قدرةٍ ... وما كانَ يرهبُ أنْ يكلمَا

فظلَّ يشبُّ كأنَّ الولو ... عَ كانَ بصحتهِ مغرما

أتى حصنهُ ما أتى تُبعاً ... وأبرهةَ الملكُ الأعظمَا

لقيمُ بنُ لقمانَ من أختهِ ... فكانَ ابنَ أختٍ لهُ وابنَما

لياليَ حمقَ فاستحصنتْ ... إليهِ فغرَّ بهِ مظلما

فأحبلها رجلٌ نابهٌ ... فجاءتْ بهِ رجلاً محكما

تميم بن أبي مقبل

وقال تميم بن أبي بن مقبل بن عوف بن حنيف بن العجلان وهو عبد الله بن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر: الطويل

سلِ الدارَ منْ جنبيْ حبرٍّ فواهبِ إلى ما رَأى هضبُ القليب المضيحُ

أقامَ وخلتهُ كبيشةُ بعدما أطالَ به منهَا مراحٌ ومسرحُ

وحلَّتْ سواجاً حلةً فكأنما بحزمِ سواجٍ وشمُ كفٍّ مقرحُ

تقولُ تربحْ يغمرِ المالُ أهلهُ كبيشةُ والتقوَى إلى اللهِ أربحُ

ألمْ تعلمِي أنْ لا يذمَّ فجاءتي دخيلٌ إذا اغبرَّ العضاهُ المجلحُ

وهبتْ شمالاً تهتكُ السترَ قرةً تكادُ قبيلَ الصُّبْحِ بالماءِ تنضحُ

يظلُّ الحصانُ الوردُ منها مجللاً لدى السترِ يغشاهُ المصلكُّ الصمحمحُ

وأنْ لا ألومُ النفسَ فيما أصابني وأنْ لا أكادُ بالذي قلتُ أفرحُ

وما الدهرُ إلاَّ تارتانِ فمنهما أموتُ وأخرى تبتغي العيشَ أكدَحُ

وكلتاهُمَا قد خطَّ لي في صحيفتي فللعيشُ اشهى لي وللموتُ أروحُ

إذا متُّ فانعيني بما أنا أهلهُ وذمي الحياةَ كلُّ عيشٍ مترحُ

وقولي فتى تشقَى بهِ النابُ ردَّهَا على رغمهَا أيسارُ صدْقٍ وأقدُحُ

تخيلَ فيها ذو وشومٍ كأنَّهَا يطلى بحُصٍّ أو يعلى فيصبحُ

جلاَ صنفاتِ الربطِ عنهُ قرابهُ وأخلصهُ مما يُصانُ ويمسحُ

صريعٌ دريرُ مسهُ مسُّ بيضةٍ إذا سنحتْ أيدي المفيضينَ يبرحُ

بهِ قرعٌ أبدَى الحصى عنْ متونهِ سفاسقَ أعراها اللحاءُ المشبحُ

غدا وهو مجدولٌ فراحَ كأنهُ من الصكِّ والتقليبِ في الكفِّ أفطحُ

خروجٌ من الغمَّى إذا صُكَّ صكةً بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ

مفدًّى مودًّى باليدينِ ملعنٌ خليعُ لجامٍ فائزٌ متمنحُ

إذا امتنحتهُ منْ معدٍّ عصابةٌ غدَا ربهُ قبلَ المفيضينَ يقدَحُ

أرقتُ لبرقٍ آخرِ الليلِ دونهُ رضامٌ وهضبٌ دونَ رمانَ أفيحُ

لجونٍ شآمٍ كلمَا قلتُ قدْ مضى سنا فالقواري الخضرُ في الماءِ جنحُ

فأضحَى له جلبٌ بأكنافِ شرمةٍ أجشُّ سماكيٌّ منَ الوبلِ أفضحُ

وألقَى بشرجٍ والصريفِ بعاعهُ ثقالٌ رواياهُ من المزنِ دلحُ

ترى كلَّ وادٍ جالَ فيه كأنما أناخَ عليهِ راكبٌ متملحُ

وقاظتْ كشافاً من ضريةَ مشرفٍ لها من حبوباةٍ خسيفٌ وأبطَحُ

ألا ليتَ أنا لمْ نزلَ مثلَ عهدنا بعارمةِ الخرجاءِ والعهدُ ينزحُ

بحيٍّ إذا قيلَ اظعنوا قدْ أتيتمُ أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا

مسالحهُمْ من كلِّ أجردَ سابحٍ جمومٍ إذا ابتلَّ الحزامُ الموشحُ

قويرحُ أعوامٍ رفيعٌ قذالهُ يظلُّ يبزُّ الكهلَ والكهلُ يطمحُ

ثناهُ فلمَّا راجعَ العدوَ لمْ يزلْ ينازعُ في فأسِ اللجامِ ويمرحُ

ينازعُ شقياً كأنَّ عنانهُ يفوتُ بهِ الإقداعَ جذعٌ منقحُ

ويرعدُ إرعادَ الهجينِ أضاعهُ غداةَ الشمالِ الشمرجُ المتنصحُ

وجرداءَ ملوحٍ يجولُ بريمها توقرُ بعدَ الربوِ فرطاً وتمسحُ

كسيدِ الغضا في الطلِّ بادرَ جروهُ أهاليبَ شدٍّ كلها متسرحُ

وفتيانُ صدقٍ قدْ رفعتُ عقيرتي لهم موهناً والزقُّ ملأَنَ مجنحُ

وضمنتُ أرسانَ الجيادِ معبداً إذا ما ضربنا رأسهُ لا يرنحُ

فباتَ يقاسي بعدما شجَّ رأسهُ فحولاً جمعناها تشبُّ وتضرحُ

وباتَ يغني في الخليج كأنهُ كميتٌ مدمى ناصعُ اللونِ أقرحُ

وقد أبعثُ الوجناءَ يزجلُ خفها وظيفٌ كظنبوبِ النعامةِ أروحُ

يصكُّ الحصى عن يعملي كأنهُ إذا ما علا حدَّ الأماعزِ مرضحُ

إذا الأبلقُ المحزوُّ آضَ كأنهُ من الحرِّ في حدِّ الظهيرةِ مسطحُ

وقال تميم: الطويل

دعتنا بكهفٍ منْ كنابينِ دعوةً على عجلٍ دهماءُ والركبُ رائحُ

فقلتُ وقدْ جاورنَ بطنَ خماصةٍ جرتْ دونَ دهماءَ الظباءُ البوارحُ

أتى دونها ذبُّ الريادِ كأنهُ ... فتى فارسيٌّ في سراويلَ رامحُ
وما ذكرهُ دهماءَ بعدَ مزارها ... بنجرانَ إلا الترهاتُ الصحاصحُ
عفا الدارَ من دهماءَ بعدَ إقامةٍ ... عجاجٌ يجنبيْ مندرٍ متناوحُ
فصخدٌ فشسعَى من عميرةَ فاللوَى ... يلحنَ كما لاحَ الوشوم القرائحُ
إذا الناسُ قالوا كيفَ أنتَ وقدْ بدا ... ضميرُ الذي بي قلتُ للناسِ صالحُ
ليرضَى صديقٌ أو ليبلغَ كاشحاً ... وما كلُّ من سلفتهُ الودَّ ناصحُ
إذا قيلَ من دهماءُ خبرتُ أنها ... من الجنِّ لمْ يقدحْ لها الزندَ قادحُ
وكيفَ ولا نارٌ لدهماءَ أوقدتْ ... قريباً ولا كلبٌ لدهماءَ نابحُ
وإني لتلحاني على أن أحبُّها ... رجالٌ تعزيم قلوبٌ صحائحُ
ولو كانَ حبي أمَّ ذي الودعِ كلهُ ... لأهلكِ مالاً لمْ تسعهُ المسارحُ
أبى الهجرُ من دهماءَ والصرمُ أنَّني ... مجدٌّ بدهماءَ الحديثَ ومازحُ
ويوماً على نجرانَ قامتْ فخلتهَا ... كأحسنِ ما ضمتْ إليَّ الأباطحُ
بمشيٍ كهزِّ الرمحِ بادٍ جمالهُ ... إذا جدفَ المشيَ القصارُ الدحادحُ
ولستُ بناسٍ قولها إذ لقيتها ... أجدي نبتْ عنكَ الخوطبُ الجوارحُ
نبَا ما نبَا عني من الدهرِ ماجداً ... أكارمُ منْ آخيتهُ وأسامحُ
وإنِّي إذا ملتْ ركابي مناخها ... ركبتُ ولمْ تعجزْ عليَّ المنادحُ
وإنِّي إذا ضنَّ الرَّفُودُ برفدهِ ... لمختبطٌ من تالدِ المالِ جارحُ
وعاودتُ أسدامَ المياهِ ولم تزلْ ... قلائصُ تحتي في طريقٍ طلائحُ
يظلُّ يغشٍ ظلهَا سدراتِهَا ... وتعقدُ في أرِساغهنَّ السَّرابحُ

وتولجُ في الظلِّ الزناءِ رؤوسها ... وتحسبُهَا هيماً وهنَّ صحائحُ
كأنَّ منحاهَا إذا الشمسُ أعرضتْ ... وأجسامَهَا تحتَ الرحالِ النوائحُ

وقال تميم: البسيط

أناظرُ الوصلُ أمْ غادٍ فمصرومُ ... أمْ كلُّ دينكَ من دهماءَ مغرومُ

أما تذكرُ من دهماءَ إذْ طلعتْ نجديْ بريعٍ وقدْ شابَ المقاديمُ

هل عاشقٌ نالَ من دهماءَ حاجتهُ في الجاهليةِ قبلَ الدينِ مرحومُ

بيضُ الأنوقِ برعمٍ دونَ مسكنها وبالأبارقِ من طلحامَ مركومُ

وطفلةٍ غيرِ جباءٍ ولا نصفٍ من سرِّ أمثالها بادٍ ومكتوم

خودٌ تلبسُ ألبابُ الرجال بها معطًى قليلاً على بخلٍ ومصرومُ

عانقتها فانثنتْ طوعَ العناقِ كما مالتْ بشاربِهَا صهباءَ خرطومُ

صرفٌ ترقرقُ في الناجودِ ناطلُهَا بالفلفلِ الجونِ والرمانِ مختومُ

يمجها أكلفُ الإسكابِ وافقَهُ أيدي الهبانيقِ بالمثناةِ معكومُ

كأنها مارنُ العرنينِ مفتصلٌ من الظباءِ عليهِ الودْعُ منظومُ

مقلدٌ قضبَ الريحانِ ذو جُدَدٍ في جوزهِ من نجارِ الأدْمِ توسيمُ

ممَّا تبنا عذارَى الحيِّ آنسهُ مسحُ الأكفِّ والباسٌ وتنويمُ

منْ بعدِ ما نزَّ تزجيهِ مرشحةٌ أخلا تياسٌ عليها فالبراعيمُ

لا سافرُ اللحمِ مدخولٌ ولا هبجٌ كاسي العظامِ لطيفُ الكشحِ مهضومُ

وليلةٍ مثلِ لونِ الفيلِ غيرها طمسُ الكواكبِ والبيدُ الدياميمُ

كلفتها عندلاً في مشيهَا دفقٌ تفري الفريَّ إذا امتدَّ البلاعيمُ

فيهَا إذا الشركُ المجهولُ أخطأهُ أمُّ الأدلاءِ واغبرَّ الأياديمُ

معوَّلٌ حينَ يستولي براكبهِ خرقٌ كأنَّ مطايا سفرهِ هيمُ

باتتْ على ثفنٍ لأمٍ مراكزهُ جافى بهِ مستعداتٌ أطاميمُ

غيرَى على الشجعاتِ العوجِ أرجُلَها إذا تفاضلتِ البزلُ العلاكيمُ

يهوي لهَا بينَ أيديهَا وأرجُلِهَا إذا اشفتَرَّ الحصى حمرٌ ملاثيمُ

رضخَ الإماءِ النوَى ردَّتْ نوازيهُ إذا استدرَّتْ بأيديهَا الملاديمُ

إنْ ينقصِ الدهرُ مني فالفتى غرضٌ للدهرِ من عودهِ وافٍ ومثلومُ

وإنْ يكنْ ذاك مقداراً أصبتُ بهِ فسيرةُ الدهرِ تعويجٌ وتقويمُ

لا يُحْرِزُ المرءَ أنصارٌ ورابيةٌ تأبَى الهوانَ إذا عدَّ الجراثيمُ

لا يمنع المرءَ أحجاءُ البلادِ ولا ... تبنَى لهُ في السمواتِ السلاليمُ

فقدْ أكثرُ للمولى بحاجتهِ ... وقدْ أردُّ عليهِ وهو مظلومُ

حتى يبوءَ بما قدمتُ من حسنٍ ... إنَّ المَواليَ محمودٌ ومذمومُ

وأنبهُ الخرقَ لم يلمُسْ بمضجعهِ ... كأنهُ منْ قتالِ السيرِ مأمومُ

وينفرُ النيبَ سيفِي بينَ أسوقِها ... لمْ يؤتمنْ سرهَا إلاَّ شراذيمُ

فذاكَ دأبي بها حالاً وأحبسُها ... يسعى بأوصالِهَا الشعثُ المقاريمُ

منْ عاتقِ النبعِ لم تغمزْ مواصمهُ ... حذُّ المتاقةِ أغفالٌ وموسومُ

في دارِ حيٍّ يهينونَ اللحامَ وهمْ ... للجارِ والضيفِ يغشاهم مكاريمُ

فتيانُ صدقٍ إذا ما الأمرُ جدَّ بهمْ ... أيدي حواطبهمْ دامٍ ومكلومُ

قدْ أيقنوا أنَّ مالَ المرءِ يتبعهُ ... حقٌّ على صالحِ الأقوامِ معلومُ

وهيكلٍ كشجارِ القرِّ مطردٍ ... في مرفقيهِ وفي الأنساءِ تحريمُ

كأنَّ ما بينَ جنبيهِ ومنقبهِ ... منْ جوزهِ ومقطِّ القنبِ ملطومُ

بترسِ أعجمَ لمْ تنخرَ مثاقبهُ ... فيما تخيرُ في آطامِهَا الرومُ

عرجتهُ رائداً في عازبٍ رغدٍ ... جنَّ النواصفُ منه واليحاميمُ

مثلُ الطرابيلِ أحدانُ الحميرِ بهِ ... تفلِي معارِفَها الجونُ العلاجيمُ

شذَّ الحوالي عنها حوشبٌ حدبٌ ... عاري النواهقِ بالتنهاقِ منهومُ

حتى دفعتُ لمستوري على عجلٍ ... في جوزهِ ونصيلِ الرأسِ تقديمُ

كأنهُ ناشدٌ نادى لموعدهِ ... عبدَ منافٍ إذا اشتدَّ الحيازيمُ

يثني على حامييهِ ظلَّ حاركِهِ ... يومٌ قديديمةَ الجوزاءِ مسمومُ

فصامَ شوكُ السفا يرمي أشاعرهُ ... نيطتْ بأرساغهِ منهُ أضاميمُ

ورادُ نقعٍ على ما كانَ من وحلٍ ... لا يُستهدُّ إذا ما صوَّتَ البومُ

وقال تميم أيضاً: المتقارب

دعتنا عتيبةُ من عالجٍ ... وقدْ حانَ منا رحيلٌ فشالا

فقمنا إلى قلصٍ ضمرٍ نشدُّ بأجوازهنَّ الرِّحالا
دنتْ دنوةً لحبالِ الصبَى فهابتْ وداعَكَ إلا سؤالا
ورقرقتِ الدمعَ في رقبةٍ فلما ترقرقَ عادَ انْفتالا
وهلْ عاشقٌ رُدَّ عنْ حاجةٍ كذي حاجةٍ أمكنتهُ فقالا
وطافتْ بنا مرشقٌ حرةٌ بهرجابَ تنتابُ سدراً وضالا
ترعاهُ حتى إذا أظلمتْ تأوتْ فأزجتْ إليها غزالا
غزالُ خلاءٍ تصدى لهُ لترضعهُ درةً أو عُلالا
بخلٍّ بزوجةَ إذْ ضمَّهُ كثيبا عويرٍ فغمَّا الحبَالا
فليسَ لها مطلبٌ بعدما مررْنٍ بفرتاجَ خوصاً عجالا
جعلنَ القناةَ بأيمانها وساقاً وعرفةَ ساقٍ شمالا
على حينَ أوفتْ على ساعةٍ ترى النومَ أمكنَ فيها كلالاَ
بهادٍ تجاوبُ أصداؤُهُ يشقُّ بأيدي المطيِّ الرمالا
كأنَّ مصاعيبَ أنقائِهِ جمالٌ هجانٌ تسامِي جمالا
تسوفُ النواعجُ خلاتهِ كسوفِ الجمالِ الغيارَى مبالا
فأوردَهَا منهلاً آجناً تعاجلُ حلاًّ بهِ وارتحالا
فأفرغتُ من ماصعٍ لونهُ على قلُصٍ ينتهبنَ السجالا
تقسَّمُ أذنبةً بينهَا فنرسلهَا عركاً أو رِسالا
كأنَّ حناتِمَ حاريَّةٍ جماجمها إذْ مسسْنَ ابتلالا
يصابينهَا وهي مثنيةٌ كثنيِ السيورِ حُذينَ المثالا
ويومٍ تقسَّمَ ريعانُهُ رؤوسَ الإكامَ تغشينَ آلا
تَرى البيدَ تهدجُ من حرهِ كأنَّ على كلِّ حزمٍ بغالاَ
بغالاً عقارَى تغشينهُ فكلٌّ تحملَ منهُ فزالا
وقافيةٍ مثلِ وقعِ الزنادِ لم تتركْ لمجيبٍ مقالا
رميتُ بها عن بني عامرٍ وقدْ كانَ فوتُ الرِّجالِ النضالا

وخودٍ خرودِ السرَى طفلةٍ تنقذتُ منها حديثاً حلالا

منَ الشمسِ العربِ من ذاتها يدانينَ حالاً وينأينَ حالا

فلما تلبسَ ما بيننَا لبستُ بها منْ حبالي حبالا

وعَنْسٍ ذمُولٍ جماليَّةٍ إذا ما الجهامُ أطاعَ الشَّمَالا

عرضتُ لها السيفَ عنْ قدرةٍ وما أحدثَ القينُ فيهِ صقالا

نقسَّمُ في الحيِّ أبدَأَهَا وبعضُ الحديثِ يكونُ انتحالا

وغيثٍ تبطنتُ قريانَهُ ترى النبتَ مكنَ فيه اكتهالا

بنهدِ المراكِلِ ذي ميعَةٍ إذا احتفلَ الشدُّ زادَ احتفالا

شديدِ الدَّسِيعِ رفيعِ القذَا لِ يرفعُ بعدَ نقالٍ نقالا

منَ الماتحاتِ بأعراضِهَا إذا الحالبانِ أرادا اغتسالا

يشدُّ مجامعَ أرْآدِهِ بذي شأوَةٍ لمْ تعتبْ سُعالاً

فأخرجتُ منْ جوزهِ مقصراً أقبَّ لطيفاً ممراً جلالا

وكمْ منْ قرومٍ لها سأقةٌ يردنَ إذا ما التقينَ الصيالا

تعرضُ تصرفُ أنيابَها ويقذفنَ فوقَ اللحيِّ التُّفالا

حلمتُ عليها فشردتُهَا بسامي اللبَانِ يبذُّ الفِحالا

كريمِ النجارِ حمَى ظهرهُ فلمْ ينتقصْ بركوبٍ زبالا

وقال تميم أيضاً: الطويل

هلْ أنتَ محييِّ الربْعَ أمْ أنتَ سائلهُ بحيثُ أحالتْ في الركاءِ سوائلُهْ

وكيفَ يُحيَّى الرَّبْعُ قدْ بادَ أهلُهُ فلمْ يبقَ إلاَّ أُسُّهُ وجنادلُهْ

وقدْ قلتُ من فرطِ الأسَى إذ رأيتهُ وأسبلَ دمعِي مستهلاً أوائلهُ

ألا يا لقومٍ للديارِ ببدوةٍ وأنَّى مراحُ المرءِ والشيبُ شاملُهْ

وللدارِ منْ جنبيْ قرورَى كأنَّها كتابُ وحيٍّ تبعتهُ أناملُهْ

صحَا القلبُ عنْ أهلِ الركاءِ وفاتهُ على مأسلٍ خلانُهُ وحلائلُهْ

أخُو عبراتٍ سيقَ للشَّامِ أهلُهُ فلاَ اليأْسُ يسليهِ ولا الحُزْنُ قاتلهْ

تناسأ عن شربِ القرينةِ أهلُهَا وعادَ بها شاءُ العدوِّ وجاملُهْ
تمشَّى بها سودُ الظباءِ كأنَّها جنا مهرقانٍ فاضَ بالليلِ ساحلُهْ
وبدِّلَ حالاً بعد حالٍ وعيشةً بعيشتنا ضيقُ الركاءِ فعاقلُهْ
سخاخاً يزجي الذئبُ بينَ سهوبهَا ونجلُ النعامِ رزُّهُ وأزاملُهْ
ألاَ رُبَّ عيشِ صالحٍ قدْ لقيتهُ بضيقِ الركاءِ إذْ بهِ منْ نواصلُهْ
إذِ الدهرُ محمودُ السجياتِ تجتنَى ثمارُ الهوَى منهُ ويؤمنُ غائلُهْ
وحيٍّ حلالٍ قدْ رأينَا ومجلسٍ تعادآ بجنانِ الدحولِ قنابلُهْ
هُمُ المانعونَ الحقَّ منْ عندِ أصلِهِ بأحلامِهم حتى تصابَ مفاصلُهْ
همُ الضاربونَ اليقدُميةَ تعتري بما في الجفونِ أخلصتهُ صياقلُهْ
مصاليتُ فكاكونَ للسبْي بعدمَا يعضُّ على أيدي السَّبِيِّ سلاسلُهْ
وكمْ منْ مقامٍ قدْ شهدنَا بخطةٍ نشجُّ ونأسُوا أو كريمٍ نفاضلُهْ
وكمْ منْ كميٍّ قدْ شككنا قميصَهُ بأزرَقَ عسالٍ إذا هزَّ عاملُهْ
وإنَّا لنحدُو الأمرَ عندَ حدائهِ إذا عيَّ بالأمرِ الفظيعِ قوابلهْ
نعينُ على معروفهِ ونمرُّهُ على شزنٍ حتَّى تجالَ جوائلهْ
ألم ترَ أنَّ المَالَ يخلفُ نسلُهُ ويأْتي عليه حقُّ دهْرٍ وباطلُهْ
فأخلفْ وأتلفْ إنما المالُ عارةٌ وكلهُ مع الدهرِ الذي هوَ آكلُهْ
ومضطربِ النسعينِ مطردِ القرَى تحدَّرَ رشحاً ليتهُ وفلائلُهْ
ذواتُ البقايا البُزْلُ لا شيءَ فوقها ولا دونهَا أمثالهُ وقَتائلُهْ
رميتُ بهِ الموماةَ يركبُ رأسهُ إذا جالَ في بحرِ السراَبِ جوائلُهْ
إذا ظلتِ العيسُ الخوامسُ والقَطا معاً في هَدَالٍ يتبعُ الريحَ مائلُهْ
توسدُ ألْحِي العيسِ أجنحَةَ القَطا وما في أداوَى القومِ جفٌّ صلاصلُهْ
وغيثٍ تبطنْتُ الندَى في تلاعهِ بمضطلعِ التعداَءِ نهدٍ مراكلُهْ
شديدِ مناطِ القصريين مصامصٍ صنيعِ رباطٍ لمْ تغمزْ أباجلُهْ

غدوتُ بهِ فردينِ ينفضُ رأسهُ   يقاتلني حالاً وحالاً أقاتلهْ

فلما رأيتُ الوحشَ أيَّهْتُ وانتحَى   بهِ أفكَلٌ حتى استَخَفَّتْ خصائلُهْ

تمطيتُ أخليهِ اللجامَ وبذَّني   وشخصي يُسامي شخصهُ ويطاولُهْ

كأنَّ يديهِ والغُلامُ ينوشُهُ   يدَا بطلٍ عاري القميصِ أزاولُهْ

فمَا نيلَ حتَّى مدَّ ضبعي عنانَهُ   وقلتُ متى مستكرَهُ الكفِّ نائلُهْ

وحاوطني حتَّى ثنيتُ عنانهُ   على مدبرِ العلباءِ ريانَ كاهلُهْ

فألجمتُهُ منْ بعدِ جهدٍ وقدْ أتَى   منَ الأرضِ دونَ الوحشِ غيبٌ مجاهلُهْ

فلمَّا احتضنتُ جوزهُ مالَ ميلةً   بهِ الغربُ حتى قلتُ هلْ أنتَ عادلُهْ

وأغرقني حتى تكفَّتَ مئزري   إلى الحجزةِ العليا وطارَتْ ذلاذلُهْ

فدلَّيتُ نهاماً كأنَّ هويهُ   هويُّ قطاميٍّ تلتهُ أجادلُهْ

على إثرِ شحاجٍ لطيفٍ مصيرُه   يمجُّ لعاعَ العضرسِ الجونِ ساعلُهْ

مفجٌّ من اللائي إذا كنتَ خلفَهُ   بدا نحرُهُ منْ خلفهِ وجحافلُهْ

إذا كانَ جريُ العيْرِ في الوعْثِ ديمةً   تغمدَ جريَ العَيرِ في الوَعْثِ وابلُهْ

فلمَّا اجتمعنَا في الغُبارِ حبستُهُ   مَدَى النبلِ يدمَى مرفقاهُ وفائلُهْ

وجاوزهُ مستأْنِسُ الشَّأوِ شاخِصٌ   كما استأنسَ الذئبَ الطريدُ يغاولُهْ

فأعصمتُ عنهُ بالنزولِ مجلِّحاً   كتيسِ الظباءِ أفزَعَ القلبَ حابلُهْ

فايهتُ تأييهاً بهِ وهو مدبرٌ   فأقبلَ وهواهاً تحدرَ واشلُهْ

خدَى مثلَ خدْيِ الفالجيِّ ينوشُني   بخبطِ يديهِ عيلَ ما هُوَ عائلُهْ

إذا مأقياهُ أصفقَا الطرفَ صفقَةً   كصفْقِ الصنَّاعِ بالطبابِ تقابلُهْ

حسبتَ التقاءَ مأقييْهِ بطرفهِ   سقوطُ جمانٍ أخطأَ السلكَ واصلُهْ

ترى النعراتِ الخضرَ تحتَ لبانهِ   فرادَى ومثنَى أضعفتهَا صواهلُهْ

فريشاً ومغشيّاً عليهِ كأنَّهُ   خيوطهُ ماريٍّ لواهنَّ فاتلُهْ

وكَمْ منْ أرانٍ قدْ سلَبْتُ مقيلَهُ   إذا ضنَّ بالوحشِ العتاقِ معاقلُهْ

وقال تميم أيضاً: البسيط

شطتْ نوَى منْ يحلُّ السِّرَّ فالشَّرفَا ... ممَّنْ يقيظُ على نعوانَ أو عُصُفَا

حتى إذا الريحُ هاجتْ بالسَّفا خبتاً ... عرضَ البلادِ أشتَّ الأمرُ واختلفَا

أمَّا اليماني من الحيينِ فانشمرُوا ... وكلفَ القلبُ من دهماءَ ما كلفَا

وقربوا كلَّ صهميمٍ مناكِبُهُ ... إذا تداكأ منهُ دفعُهُ شنَفَا

إذا تثاءَبَ أبْدَى مخلبَيْ أسدٍ ... قدْ عاديَا الحنَكَ الأعلى وما عُطفَا

حتى إذا احتملُوا كانتْ حقائبهم ... طيَّ السلوقيِّ والملبُونَةَ الخُنُفَا

فلا أرى مثلَ أخراهمْ إذا احتملُوا ... ولا أرَى مثلَ أُولَى رَكبهمْ سلفَا

أجَدَّ قطعاً على ناجٍ وناجيةٍ ... إذا ألحَّا على ألْحَيْهِمَا أسفَا

عيثاً بلُبِّ ابنةِ المكتومِ إذ لمعتْ ... بالرَّاكبينِ على نعوانَ أن يقفَا

خودٌ تطلَّى بوردِ المردَ قوشِ على الْ ... مسكِ الذكيِّ بهَا كافورةٌ أنفَا

أعطتْ ببطنِ سهيٍّ بعضَ ما منعتْ ... حكمَ المحبِّ فلمَّا نالهُ صرفَا

ولو تألفُ موشياً أكارعُهُ ... منْ فدرِ شوطٍ بأدنَى دلهَا ألفَا

عوداً أحمَّ القرَى أزمولَةً وقلاً ... على تراثِ أبيهِ يتبعُ القذفَا

إذاً تأنسَ يبغيهَا بحاجتهِ ... إنْ أيأستهُ وإنْ جرتْ لهُ كنَفَا

ما للكواعبِ لمَّا جئتُ تحدجني ... بالطرفِ تحسبُ شيبي زادَني ضعفَا

يتبعنَ منْ عاركٍ بيضٍ سلائقُهُ ... بعضَ الذي كانَ من عاداتهِ سلفَا

وكانَ عهدي من اللائي مضينَ منْ ال ... بيضِ البهاليلِ لا رَثاً ولا صلفَا

يسفنَ بوِّي على بعدِ المزارِ كمَا ... سافَ الأوابي قريعُ الشَّوْلِ إذْ عزَفَا

قدْ كنتُ راعِي أبكارٍ منعَّمَةٍ ... فاليومَ أصبحتُ أرْعَى جلةً شرفَا

أمستْ تلادِي من الحاجاتِ قدْ ذهبتْ ... وقدْ تبدَّلْتُ حاجاتٍ بها طرُفَا

وليلةٍ قدْ جعلتُ الصبحَ موعدَهَا ... نصدرُهُ العيسَ حتى تعرفَ السدفَا

ثمَّ اضطبنْتُ سلاحي عندَ مغرضِهَا ... ومرفقٍ كرئاسِ السيفِ إذْ شسفا

هوجاءُ تجتابُ أوساطَ الجهادِ بإرْ ... قالٍ قذافٍ إذا ديكُ القرَى هتفَا

مستخربُ الرحلِ منها مفرغُ سندٌ ... وشمرتْ عن فيافي واجهتْ خُلُفَا
أبقَى سِفَاري ونصي منْ عريكَتِهَا ... مثل العلافيِّ لا نياً ولا عجفَا
مجهالُ رأدِ الضُّحَى حتى يوزعهَا ... كما توزعُ عن تهذائِه الخرفا
فيها مراحٌ إذا مَالَ الإرانُ كما ... نجا اليهوديُّ يستدْمِي إذا رعَفَا
يضحي على خطمِهَا منْ فرطها زبدٌ ... كأنَّ بالرَّأسِ منها خرفُعاً خشفَا

وقال تميم أيضاً: الطويل

هلِ القلبُ عن دهماءَ سالٍ فمسمحُ ... وتاركهُ منها الخيالُ المُبَرِّحُ
وزاجرُهُ اليومَ المشيبُ فقد بدَا ... برأْسِي شيبُ الكبرَةِ المتوضِّحُ
لقدْ طالَ ما أخفيتُ حبَّكِ في الحشا ... وفي القلبِ حتى كادَ بالقلبِ يجرحُ
قديماً ولمْ يعلمْ بذلكَ عالمٌ ... وإنْ كانَ موموقاً بودٍّ وينصحُ
فردِّي فؤادي أو أثيبي ثوابُهُ ... فقدْ يملكُ المرءُ الكريمُ فيسجحُ
سبتكَ بمأشُورِ الثنايَا كأنهُ ... أقاحي غداةٍ باتَ بالدجْنِ ينضحُ
ليالي دهماءُ الفؤاد كأنهَا ... مهاةٌ ترعَّى بالفقيينِ مرشحُ
ترعَّى جناباً طيباً ثمَّ تنتحي ... لأعيطَ من أقرابِهِ المسْكُ ينفحُ
ولو كلَّمتْ دهْمَاءُ أخرَسَ كاظِماً ... لبينَ بالتكليمِ أو كادَ يفصحُ
سراجُ الدجَى يشفي السقيمَ كلامُهَا ... تبلُّ بها العينُ الطريفُ فتنجحُ
كأنَّ على فيها جنَى ريقِ نحلةٍ ... يباكرهُ سارٍ من الثلجِ أملَحُ
يطيرُ غثاءَ الدِّمْنِ عنهُ فينتفي ... ببيشَةَ عرضٌ سيْلُهُ متبطِّحُ
كأنَّ صريعَ الطلحِ والأثلِ وسطهُ ... بخاتيُّ جونٌ سَاقَها متربحُ

وخرقاءَ جرداءِ المسَارِحِ هوجلٍ ... بها لاستداءِ الشعشعانات مسبحُ
يغني بها البومُ الصدَى مثلَ ما بكى ... مثاكيلُ يفرينَ المدارعَ نوحُ
كأنَّ عساقيلَ الضُّحَى في صِمادِهَا ... إذا ذبنَ ضحلُ الديمةِ المتضحضحُ
قطعتُ إذا لمْ يستطعْ قسوةَ السرى ... ولا السيرَ راعي الثلةِ المتصبحُ

على ذات إسآدٍ كأنَّ ضلوعَهَا ... وألواحَهَا العليا السقيفُ المشبحُ

جماليةٍ يلوِي بفضلِ زمامها ... تليلٌ إذا نيطَ الأزمةُ شرمحُ

فقلْ للذي يسعى عليَّ بقومهِ ... أجداً تقولُ الحقَّ أم أنتَ تمزَحُ

بنو عامرٍ قومي ومنْ يكُ قومهُ ... كقومي يكُنْ فيهمْ لهُ متندحُ

هلالٌ وما تمنعْ هلالُ بنُ عامرٍ ... فمنْ دونهِ مرٌّ منَ الموتِ أصبحُ

رجالٌ يروونَ الرماحَ وتحتَهُمْ ... عناجيجُ من أولادِ أعوجَ قرَّحُ

همُ حيُّ ذي البردَيْنِ لا حَيَّ مثلُهُمْ ... إذا أصبحتْ شهباءُ بالثلجِ تنضحُ

وحيُّ نميرٍ إنْ دعوتُ أجابني ... كرامٌ إذا شلَّ السوامُ المصبحُ

لأسيافهمْ في كلِّ يومِ كريهةٍ ... خذاريفُ هامٍ أو معاصِمُ سنحُ

وفي الغرِّ منْ فرعيْ ربيعةِ عامرٍ ... عديدُ الحصى والسؤددُ المتبحبحُ

همُ ملؤوا نجداً وفيهمْ عساكرٌ ... تظلُّ بها أرضُ الخليفةِ تدلَحُ

وهمْ ملكُوا ما بينَ هضبةَ يذبُلٍ ... ونجرانَ هلْ في ذاكَ مرعًى ومسرحُ

وشبانُنَا مثلُ الكهولِ وكهْلُنَا ... إذا شابَ قِنْعَاسٌ منَ القومِ أصلَحُ

تحاكمُ أفناءُ العشيرةِ عندهمْ ... كثيراً فتعطيهَا الجزيلَ ويجزحُ

لنا حجراتٌ تنتهي الحاجُ عندَهَا ... وصهبٌ على أثباجِهَا الميْسُ طلحُ

وقال تميم أيضاً: البسيط

للمازنيةِ مصطافٌ ومرتبعُ ... مما رأتْ أودُ فالمقراةُ فالجرعُ

منها بنعفِ جرادٍ فالغنائضُ منْ ... ضاحي جُفافٍ مرًى دُنيا ومستمعُ

ناطَ الفؤادَ مناطاً لا يُلائمهُ ... حيانِ داعٍ لإصعادٍ ومندفع

حيٌّ محاضرُهم شتًى ويجمعهمْ ... دومُ الإيادِ وفاثُورٌ إذا اجتمعُوا

لا يبعدِ اللهُ أصحاباً تركتهمُ ... لمْ أدرِ بعدَ غداةِ البينِ ما صنعُوا

هاجُوا الرحيلَ وقالوا إنَّ مشربكمْ ... ماءُ الذنابينِ من ماويةَ النزُعُ

إذا أتينَ على وادي النباجِ بنا ... خوصاً فليسَ على ما فاتَ مرتجعُ

شاقتكَ أختُ بني دألانَ في ظُعُنٍ ... منْ هؤلاءِ إلى أنسابِهَا شفعُ

يخدي بها بازلٌ فتلٌ مرافقهُ يجري بديباجتيهِ الرشحُ مرتدعُ

طافتْ بأعلاقهِ حورٌ منعمةٌ تدعو العرانينَ من بكرٍ وما جمعُوا

وعثُ الروادفِ ما تعيا بلبستهَا ميلُ الدهاسِ وفي أوراكها ظلعُ

بيضٌ ملاويحُ يومَ الصيفِ لا صبرٌ على الهوانِ ولا سُودٌ ولا نُكُعُ

بلْ ما تذكرُ من كأسٍ شربتَ بها وقدْ علا الرأسَ منكَ الشيبُ والصَّلَعُ

من أمِّ مثوًى كريمٍ هابَ ذمتها إنَّ الكريمَ على علاتهِ ورعُ

حوراءُ بيضاءُ ما ندري أتمكننا بعدَ الفكاهةِ أم تَئبَى فتمتنعُ

لوْ سوفتنا بسوفٍ منْ تحيتها سوفَ العيوفِ لراحَ الركبُ قدْ قنعوا

منْ مضمرٍ حاجةً في الصدْرِ عيَّ بِها فلا يكلمُ لا وهوَ مختشعُ

ترنو بعينيْ مهاةِ الرمْلِ أفردَها رخصٌ ظلوفتهُ إلاّ الغنَى ضرعُ

ابنُ غداتينِ موشيٌّ أكارعُهُ لمَّا تشدَّدْ لَهُ الأرسَاغُ والزمَعُ

صافي الأديمِ رقيقُ المنخرينِ إذا سافَ المرابضَ في أرساغهِ كرعُ

ربيبٌ لمْ تفلكْهُ الرعاءُ ولمْ يقصرْ بحوملَ أقصى سربهِ ورعُ

إلاَّ مهاةٌ إذا ما ضاعَهَا عطَفَتْ كما حنَى الوقفَ للموشيةِ الصنعُ

يمشي إلى جنبها حالاً وتزجلُهُ ثمتْ يخالفهَا طوراً فتضطجعْ

ظلتْ بأكثبةِ الحرينِ ترقبُهُ تخشَى عليهِ إذا ما استأخرَ السبُعُ

يا بنتَ آلِ شهابٍ قدْ علمتِ إذا أمسَى المراغيثُ في أعناقِهَا خضعُ

أني أتممُ أيسارِي بذي أودٍ منْ فرعِ شيحاطَ ضاحي ليطهُ قرعُ

يحذُو قنابلهمْ شعثٌ مقادمهُمْ بيضُ الوجوهِ مغاليقُ الضحَى خلعُ

إلى الوفاءِ ولوْ أدَّتْ قداحُهُمُ فلا يزالُ لهمْ عنْ لحمةٍ قرعُ

ولا تزالُ لهمْ قدرٌ مغطغطةٌ كالرَّألِ تعجيلهَا الأعجازُ والقمعُ

يا بنتَ آلِ شهابٍ قدْ علمتِ إذا هابَ الحمالةَ بكرُ الثلةِ الجذعُ

أنا نقومُ بجلانا ويحملُهَا منا طويلُ نجادِ السيفِ مطلعُ

رحبُ المجمِّ إذا ما الأمرُ بيتهُ كالسيفِ ليسَ به فلٌّ ولا طبَعُ
نحبسُ أذوَادنا حتَّى نميطَ بهَا عنَّا الغرامَةَ لا سُودٌ ولا خرُعُ
يا أختَ آلِ شهابٍ هلْ عَلمتِ إذا أنسَى الحرائرَ حُسْنَ اللبْسَةِ الفزَعُ
أنَّا نشدُّ على المريخِ نثرتهُ والخيلُ شاخصةُ الأبصارِ تتزعُ
وهلْ علمتِ إذا لاذَ الظباءُ وقدْ ظلَّ السَّرابُ على حزانه يضعُ
أنِّي أنفرُ قاموصَ الظهيرةِ وال حرباءُ فوقَ فروعِ السَّاقِ يمتصعُ
بالعندَلِ البازلِ المقلاتِ عرضتهَا بزلُ المطيِّ إذا ما ضمَّهَا النِّسَعُ
من كلِّ عترِيفَةٍ لمْ تعدُ أنْ بزلَتْ لمْ يبغِ درتَهَا راعٍ ولا رُبَعُ

وقال تميم أيضاً: البسيط

يا صاحبيَّ انظرَاني لا عدِمتكما هلْ تؤنسانِ بذي ريمانَ منْ نارِ
نارُ الأحبَّةِ شطَّتْ بعدَ ما اقتربَتْ هيهاتَ أهلُ الصفَا منْ ديرِ دينارِ
ناراً تؤرَّثُ أحياناً إذا خمدَتْ بعدَ الهدوِّ بجزلٍ غيرِ خوارِ
يا صاحبيَّ انظُرا إني معينكمَا بمقلةٍ لمْ يخنهَا عائرٌ ساري
راقتْ على مقلَتي سوذانِقٍ خصرٍ خاوٍ تنفضَ منْ طلٍّ وأمطارِ
إنْ تؤنِسا نارَ حيٍّ قدْ فجعتُ بهمْ أمستْ على شزنٍ من دارِهمْ داري
على تباعدِهمْ ينزلْ ثوابُكُما والدهرُ بالناسِ ذو نقضٍ وإمرارِ
لا يعتبُ الدهرُ منْ أمسَى يعاتبُهُ ولا يزالُ عليه ساخطاً زَارِي
ليسَ الفؤادُ براءٍ أرضَهَا أبداً وليسَ صارمُهُ من ذكرِهمْ صَارِي
كمْ دونهمْ من فلاةٍ ذاتِ مطردٍ قفا عليهمْ سرابٌ راسِبٌ جارِي
راخَى مزاركَ عنهمْ أنْ تلمَّ بهمْ معجُ القِلاصِ بفتيانٍ وأكوارِ
دأبنَ شهرينِ يجتبنَ البلادَ إذا كانَ الظَّلامُ شبيهَ اللونِ بالقارِ
كمْ فيهُمُ منْ أشَمِّ الأنفِ ذي مهلٍ يأبَى الظلامةَ مثلُ الضيغمِ الضَّارِي
لمْ يرضَعِ الذُّلَّ منْ ثدْيَيْ مربيةٍ حتى يشبَّ ولمْ يصبرْ على عَارِ
إذا الرفاقُ أناخُوا في مباءَتهِ حلُّوا بذي فَجَراتٍ زندُهُ وَارِي

جمِّ المخارجِ أخلاقُ الكرامِ لهُ ... صلْتِ الجَبين كريمِ الخالِ مغوارِ

قماقمٍ بارِعٍ خضامَةٍ أنفٍ ... جمٍّ المواهبِ بدءٍ غير عوارِ

يأبى على الناسِ إنْ رامُوا ظلامَتهُ ... عودٌ نمَا في صفَاةٍ ظهرُها عَارِي

تأبَى علَيهمْ قناةٌ ما لَها أوَدٌ ... أولَى بها فرعُ نبعٍ غيرُ خوارِ

لا يستطيعُ المبارِي أنْ يؤبسهَا ... ولا البراةُ إذا ما جسَّهَا البارِي

لا يحمدُ الناسُ بالشَّيءِ القليلِ ولا ... يُهْدَى لهُ الذمُّ من ضيفٍ ولا جارِ

شطتْ وزادتْ نواهُمْ بعدَ ما اقتربتْ ... حيناً وكلُّ نوًى يومٍ لمقدارِ

وقال تميم أيضاً: البسيط

طافَ الخيالُ بنا رَكباً يمانينَا ... ودونَ ليلَى عوادٍ لوْ تُعَدِّينَا

منهنَّ معروفُ آياتِ الكتابِ وقَدْ ... تعتادُ تكذبُ ليلَى ما تمنينَا

لمْ تسرِ ليلَى ولمْ تطرقْ لحاجَتها ... من أهلِ ريمانَ إلاَّ حاجةً فينَا

منْ سروِ حميرَ أبوَالُ البغالِ به ... أنَّى تسدَّيت وهناً ذلكَ البينَا

أمسَستْ بأذرُعِ أكبادٍ فحمَّ لهَا ... ركبٌ بلينةَ أوْ ركبٌ بساوينا

يا دَارَ ليلَى خلاءً لا أكلِّفُهَا ... إلاَّ المرانَةَ حتى تعرفَ الدِّينا

تهدِي زنانيرُ أرواحَ المصيفِ لهَا ... ومنْ ثنايا فروجِ الكورِ يهدينَا

هيفٌ هدُوجُ الضُّحَى سهوٌ مناكبُها ... يكسونَهَا بالعشياتِ العثانينا

يكسونَها منزلاً لاحتْ معارِفُهُ ... سُفعاً أطالَ بهنَّ الحيُّ تدمينَا

عرجتُ فيها أحييهَا وأَسأَلُهَا ... فكدنَ يبكينني شوقاً ويبكينَا

فقلتُ للقومِ سيروا لا أبا لكمُ ... أرى منازلَ ليلَى لا تحيينَا

وطاسمٍ دعسُ آثارِ المطيِّ به ... نائي المخارمِ عرنيناً فعرنينَا

قدْ غيرتهُ رياحٌ واخترقْنَ بهِ ... منْ كلِّ ما بأسيلِ الريحِ يأتينا

يصبحنَ دعسَ مراسيلِ المطيِّ بهِ ... حتى يغيرْنَ منهُ أو يُسَوِّينا

في ظهرِ مرتٍ عساقيلُ السرابِ بهِ ... كأنَّ وغرَ قطاهُ وغرُ حادينا

كأنَّ أصواتَ أبكارِ الحمامِ بهِ ... منْ كلِّ محنيةٍ منهُ تغنينا

أصواتُ نسوانِ أنباطٍ بمصنعةٍ ... نجدْنَ للنوحِ واجتبنَا التبابينا

في مشرفٍ ليطَ ليَاقُ البلاطِ بهِ ... كانتْ لساستهِ تهدَى قرابينا

صوتُ النواقيسِ فيهِ ما يفرطُهُ ... أيدي الجلاذي وجونٌ ما يعفينا

كأنَّ أصواتَها منْ حيثُ تسمعُهَا ... صوتُ المحابضِ يخلجنَ المحارينا

واطأْتُهُ بالسُّرى حتى تركتُ بها ... ليلَ التمامِ ترى أسدافهُ جونَا

في ليلةٍ من ليالي الدهرِ صالحةٍ ... لو كانَ بعدَ انصرافِ الدهرِ مأمونا

أبلغْ خديجاً فإني قدْ سمعتُ لهُ ... بعضَ المقالةِ يهديهَا فتهدينا

مالكَ تجري إلينَا غيرَ ذي رسَنٍ ... وقدْ تكونُ إذا نجريكَ تعيينا

وقدْ بريَتَ قداحاً أنتَ مرسلُهَا ... ونحنُ راموكَ فانظرْ كيفَ ترمينَا

فأقْصدِ بذرعِكَ واعلمْ لو تجامعنَا ... أنا بنو الحربِ نسقيهَا وتسقينا

سمٌّ الصباحِ بخرصانٍ مقومةٍ ... والمشرفيةُ نهديها بأيدينا

إنَّا مشائيمُ إنْ أرشتَ جاهلنَا ... يومَ الطعانِ وتلقانا ميامينَا

وعاقدِ التاجِ أو سامٍ لهُ شرفٌ ... منْ سوقةِ الناسِ نالتهُ عوالينا

فاستبهلَ الحربَ منْ حرانَ مطردٍ ... حتى تظلَّ على الكفينِ مرهونَا

فإنَّ فينا صبُوحاً إنْ أربتَ بهِ ... جمعاً بهياً وألافاً ثمانينَا

ومقرباتٍ عناجيجاً مطهمةً ... من آلَ أعوجَ ملحوفاً وملبونا

إذا تجاوبنَ صعدْنَ الصهيلَ بهِ ... إلى الشؤُونِ ولمْ تصهَلُ براذينَا

ورجلَةٍ يضربونَ البيضَ عنْ عرُضٍ ... ضرباً تواصِي بهِ الأبطالُ سجينا

فلا تكونَنَّ كالنَّازي ببطنَتِهِ ... بينَ القرينينِ حتى ظلَّ مقرونا

وقال تميم أيضاً: الطويل

تأملْ خليلي هلْ ترى ضوءَ بارقٍ ... يمانٍ مرتهُ ريحُ نجدٍ ففترا

مرتهُ الصبَّا بالغورِ غورِ تهامةٍ ... فلمَّا ونتْ عنهُ بشعفينِ أمطرَا

يمانيةٌ تمري الربابَ كأنهُ ... رئالُ نعامٍ بيضهُ قدْ تكسَّرَا

وطبقَ لوذانَ القبائلِ بعدمَا سقى الجز عَ من لوذانَ صفواً وكدَّرا
فأمسى يحطُّ المعصماتِ حبيُّهُ فاصبحَ زيافَ الغمامةِ أقمرَا
كأنَّ بهِ بينَ الطراةِ ورهوةِ وناصفةِ الضبعينِ غاباً مسعَّرَا
فغادرَ ملحوباً تمَشِّي ضبابُهُ عباهيلَ لمْ يترُكْ بهِ الماءُ مجحرا
أقامَ بشطانِ الركاءِ وراكسٍ إذا غمقَ ابنُ الماءِ في الوبلِ بربَرا
أصاختْ لهُ غُدرُ اليمامةِ بعدما تدثرهَا منْ وبلهِ ما تدثرا
أناخَ برملِ الكوسحَينِ إناخَةَ ال يماني قلاصاً حطَّ عنهنَّ أكورَا
أجدِّي أرَى هذا الزمانَ تغيرا وبطنَ الركاءِ منْ موالي أقفرَا
وكائنْ ترَى منْ منهلٍ بادَ أهلهُ وعيدَ على معروفهِ فتنكرَا
أتاهُ قطا الأجبابِ منْ كلِّ جانبٍ فنقرَ في أعطانهِ ثمَّ طيرَا
فإمَّا تريني قدْ أطاعتْ جنيبتي وخيطَ رأسي بعدَ ما كانَ أوفَرَا
وأصبحتُ شيخاً أقصرَ اليومَ باطلي ورديتُ ريعانَ الصبَى المتعورا
وقدمتُ قدامي العصَا أهتدي بها وأصبحَ كرِّي للصبابةِ أعسَرَا
فقدْ كنتُ أحذي النابَ بالسيفِ ضربةً فأبقي ثلاثاً والوظيفَ المكعبرا

وأزجُرُ فيها قبلَ تمِّ ضحائهَا منيحَ القداحِ والصريعَ المجبرَا
تخيرَ نبعَ العيكتينِ ودونهُ متالفُ هضبٍ تحبسُ الطيرَ أوعَرَا
فمازالَ حتى نالهُ متغلغلٌ تخيرَ من أمثالهِ ما تخيرَا
فشذبَ عنهُ النبعَ ثمَّ غدا بهِ مجلاً من اللائي يفدين مطحرا
يطيعُ البنانَ غمزهُ وهو مانعٌ كأنَّ عليهِ زعفراناً معطرَا
تخرُّ حظاءُ النبعِ تحتَ جبينِهِ إذا سنحتْ أيدي المفيضينَ صدَّرَا
تبادرُهُ أيدي الرِّجالِ إذا نبتْ نواهدَ من أيدِي السرابيلِ حُسَّرَا
وإنِّي لأستحيي وفي الحقِّ مستحًى إذا جاءَ باغِي العرفِ أنْ أتعذَّرَا
إذا متُّ عن ذكرِ القوافي فلنْ ترى لها تالياً مثلي أطبَّ وأشعَرا

وأكثرَ بيتاً ماردًاً ضربتْ لهُ حزونُ جبالِ الشعرِ حتى تيسرا

أغرَّ غريباً يمسحُ الناسُ وجههُ كما تمسحُ الأيدي الأغرَّ المشهرَا

فإنْ تكُ عرسي نامتِ الليلَ كلهُ فقدْ وكلتني أنْ أصبَّ وأسهرَا

ألاَ ليتَ ليلى بينَ أجمادِ عاجفٍ وتعشارَ أجْلَى في سريجٍ فأسفَرَا

ولكنما ليلى بأرضٍ غريبةٍ تقاسِي إذا النجمُ العراقيُّ غورا

فإمَّا ترينا ألحمتنا رماحنا وخفةُ أحلامٍ ضباعاً وأنسُرَا

فما نحنُ إلاّ منْ قرونٍ تنقصَتْ بأصغَرِ مما قدْ لقيتُ وأكثرَا

وشاعرِ قومٍ معجبينَ بشعرهِ مددتُ لهُ طولَ العِنانِ فقصَّرا

لقدْ كانَ فينا منْ يحوطُ ذمارَنَا ويحذي الكمِيَّ الزاعبيَّ المؤمَّرَا

وينفعنا يومَ البلاءِ بلاؤُهُ إذا استلْحمَ الأمرُ الدَّثُورَ المغمرَا

وخطارةٍ لم ينصحِ السلمُ فرجَهَا تلقحُ بالمرَّانِ حتى تشذرا

شهدنَا فلمْ نحرمْ صدُرَ رماحنا مقاتلَها والمشرفيَّ المذكرَّا

وكنَّا إذا ما الخصمُ ذو الضِّغْنِ هزَّنَا قذّعْنَا الجموحَ واختلعنا المعذرا

نقومُ بجلانا فنكشفُهَا معاً وإنْ رامنا أعمَى العشيةِ أبصرَا

ويقدمنَا سلافُ حيٍّ أعزَّةٍ نحلَّ جناحاً أو نحلُّ محجرَا

كأنْ لم تبوئنَا عناجيجُ كالقَنا جناباً تحامَاهُ السَّنابكُ أخضرَا

ولمْ يجرِ بالأخبارِ بيني وبينهْ أشقَّ سبُوحٌ لحمهُ قد تحسرَا

كأنَّ يديهِ والغلامُ يكفُّهُ جناحانِ من سوذانقٍ حينَ أدبرَا

أقبُّ كسرحانِ الغضا راحَ مؤصلاً إذا خافَ إدراكَ الطوالبِ شمرَا

ألهفي على عزٍّ عزيزٍ وظهرةٍ وظلِّ شبابٍ كنتُ فيهِ فأدبَرَا

ولهفيْ على حييْ حنيفٍ كليهمَا إذا الغيثُ أمسَى كابيَ اللونِ أغبَرَا

تذكرني حييْ حنيف كليْهمَا حمامٌ ترادفنَ الرَّكيَّ المعوَّرَا

وماليَ لا أبكِي الديارَ وأهلَهَا وقدْ حلهَا روادُ علكٍ وحميرَا

وإنَّ بني قينانَ أصبحَ سربُهُمْ بجرعاءِ عبسٍ آمناً أنْ ينفِّرَا

المخبل السعدي

وقال المخبل واسمهُ ربيعة بن مالك بن قتال بن أنفِ الناقة واسمه جعفر بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم بن مر وإنما لقب المخبل لخبلٍ كان به وهي مفضلية وقرأتها حفظاً على شيخي أبي محمد بن الخشاب في جملة المفضليات: الكامل

ذكر الربابَ وذكرُها سقْمُ ... فصبَا وليسَ لِمنْ صَبا حِلْمُ

وإذا ألَمَّ خيالُها طُرِفَتْ ... عيني فماءُ شؤونِها سجْمُ

كاللؤلؤِ المسجورِ أغفلَ في ... سلكِ النظامِ فخانَهُ النظمُ

وأرَى لها داراً بأغدرَةِ ال ... سيدانِ لم يدرسْ لها رسْمُ

إلاَّ رَماداً دارساً دفَعتْ ... عنهُ الرياحَ خوالدٌ سحْمُ

وبقيةَ النؤي الذي رفعَتْ ... أعضادُهُ فثَوَى لهُ جذمُ

فكأنَّ ما أبقَى البوارِحُ والأ ... مطارُ منْ عرصاتِها الوشمُ

تقرو بها البقْرُ المساربَ واخ ... تلطتْ بها الآرَامُ والأُدْمُ

وكأنَّ أطْلاءَ الجآذرِ وال ... غزلانِ حولَ رُسُومها البهمُ

ولقدْ تحلُّ بها الرَّبابُ لها ... سلفٌ يفلُّ عدوَّها فخمُ

بردِيةٌ سبقَ النعيمُ بها ... أقرانها وغلا بها عظمُ

وتريكَ وجهاً كالصحيفةِ لا ... ظمأنُ مختلجٌ ولا جهمُ

كعقيلةِ الدارِّ استضاءَ بها ... محرابَ عرشِ عزيزِها العجمُ

أغلَى بها ثمناً وجاءَ بها ... شختُ العظامِ كأنهُ سهمُ

بلبانهِ زيتٌ وأخرجها ... من ذي غواربَ وسطهُ اللخمُ

أو بيضةِ الدعصِ التي وضعتْ ... في الأرضِ ليسَ لِمسِّها حجمُ

سبقتْ قرائنها وأدفأها ... قردٌ كأنَّ جناحَهُ هدمُ

ويضمُّها دونَ الجناحِ بدفِّهِ ... وتحفُّهنَّ قوادِمٌ قتمُ

لم تعتذرْ منها مدافِعُ ذي ... ضالٍ ولا عقبٌ ولا الزخْمُ

وتضلُّ مدارها المواشطُ في	جعدٍ أغمَّ كأنهُ كرمُ
لولا تسلي حاجةً عرضتْ	علقَ القرينةِ حبلُها جذمُ
ومعبدٍ قلقِ المجازِ كبا	ريِّ الصنَاعِ إكامُهُ درْمُ
للقارباتِ من القطا نقرٌ	في جانبيهِ كأنها الرقْمُ
عارضتهُ ملَثَ الظلامِ بمذْ	عانِ العشيِّ كأنَّها قرمُ
تذرُ الحصى فلقَاً إذا غضبتْ	وجرى بحدِّ سرابِها الأكمُ
قلقتْ إذا انحدَرَ الطريقُ لها	قلقَ المحالة ضمها الدعمُ
لحقتْ لها عجزٌ مؤيدةٌ	عقدَ الفقارِ وكاهِلٌ ضخمُ
وقوائمٌ عوجٌ كأعمِدَةِ ال	بُنيانِ عواليَ فوقَها اللحمُ
وإذا رفعتَ السوطَ أفزعَها	بين الضلوعِ مروَّعٌ شَهَمٌ
وتسدُّ حاذَيْها بذي خُصلٍ	عقمتْ فنعمَ نبتُها العُقْمُ
ولها مناسِمُ كالمواقعِ لا	معرٌ أشاعِرُها ولا كُزْمُ
وتقيلُ في ظلِّ الخباءِ كما	يغشَى كناسَ الضالةِ الرئمُ
كتريكةِ السيلِ التي حُبِستْ	بشَفا المَسِيلِ ودونَها الرضمُ
بليتُها حتى أؤديها	دمٌ العظامُ وينفد اللحمُ
وتقولُ عاذلتي وليسَ لها	بغدٍ ولا ما بعدَهُ علمُ
إنَّ الثراءَ هو الخلودُ وإ	نَّ المرءَ يُكْرِبُ يومَهُ العُدْمُ
إني وجدك ما تخلدني	مئةٌ يطيرُ عفاؤها أدمُ
ولئنْ بنيتَ لِيَ المشقرَ في	هضبٍ تقصرُ دونهُ العُصمْ
لتنقبنْ عني المنيةُ إ	نَّ اللهَ ليسَ كحكمِهِ حُكْمُ
إنِّي وجدْتُ الأمرَ أرشدهُ	تقوى الإلهِ وشرهُ الإثْمُ

وقال المخبل أيضاً: الكامل

أعرفتَ منْ سلمَى رسُومِ ديارِ	بالشطِ بينَ مخفقٍ وصُحارِ
وكأنَّما أثرُ النعاجِ بجوِّها	بمدافعِ الرُّكنَيْنِ ودْعُ جواري

وسألتُها عنْ أهلِها فوجدْتُها عمياءَ جافيةً عن الأخبارِ
وكأنَّ عينَي غربُ أدهَمَ داجنٍ متعودِ الإقبال والإدبارِ
تئقٌ يقسمُ زارِعٌ أنهارَهُ بالمرِّ يقسمهُنَّ بينَ دبارِ
حتَّى إذا مالَ النهارُ وأنزفَتْ عيني الدموعُ وقلتُ أيُّ مزارِ
قربتُ حادِرَةَ المناكِبِ حرةً خلقتْ مطيةَ رحلَةٍ وسِفارِ
أجداً مداخلةً كأنَّ فروجَها بلقُ الموارِدِ من خلالِ عِفارِ
ويلي بياضَ الأرضِ من أخفافِها سمرُ الطباقِ غليظَةُ الأصبارِ
وكأنّما رفعت يديْ نواحةٍ شمطاءَ قامتْ غيرَ ذاتِ خمارِ
وكنها لمَّا غَدَتْ سرويَّةٌ مسعودةٌ باللحمِ أمُّ جوارِ
وكأنما علقتْ وليَّةُ كورِها وقتودَها بمصدرٍ عيارِ
غردٍ تربَّعَ في ربيعٍ ذي ندًى بينَ الصليبِ فصوة الأحفارِ
فرعَى بصوتهِ ثلاثةَ أشهُرٍ وهراقَ ماءَ البقلِ في الأسآرِ
حتى إذا أخذَ المراغُ نسيلَهُ من مدمجٍ من خلقهِ وشوارِ
ورمَى أنابيشَ الشفا أرساغُهُ من كلِّ ظاهرةٍ وكلِّ قرارِ
وتجنبَ القربانَ واختارَ الصُّوى يعدُو بهنَّ كفارسِ المضمارِ
ذكرَ العيونَ وعارضَتْهُ سمحَجٌ حملتْ لهُ شهْرَ ين بعَد نزارِ
يرضى بصحبتِها إذا برزتْ لهُ وأشذْ عنها إلفَ كلِّ حمارِ
فأقالها بقرارةٍ فيها السفا ظمأى وطلَّ كأنهُ بإسَارِ
وتفقدا ماءَ القِلاتِ فلَمْ يجدْ إلا بقيةِ آجنٍ أصفارِ

فأدارها أُصُلاً وكلَّفَ نفسهُ تقريبَ صادقَةِ النجاءِ نوارِ
يغشى كريهتها على ما قدْ يرى في نفسِها من بغضةٍ وفرارِ
ترمي ذراعيْهِ وبلدَةَ نحرهِ بحصًى يطيرُ فضاضُه وغُبارِ
وتفوتُهُ نشزاً فيلحقُ معجلاً ربذَ اليدينِ كفائضِ الأيسارِ

يعلو فروعَ قطاتها من أنسِهِ بملاحِكٍ كرحالةٍ النجارِ

فتذكرا عيناً يطيرُ بعوضُها زرقاءُ خاليةً من الحضارِ

طرَقا من المغدى غديراً صافياً فيه الضفادعُ شائعُ الأنهارِ

والأزرَقُ العجليِّ في ناموسِه باري القداحِ وصانعُ الأوتارِ

من عَيشِه القتراتُ أحسَنَ صنعَها بحصا يدِ القصباءِ والجيَّارِ

فدَنتْ لهُ حتى إذا ما أمكنتْ أرساغهُ من معظمِ التيارِ

وأحسَّ حسهُما فيسَّرَ قبضَةً صفراءَ راشَ نضيَّها بظُهارِ

فرَمى فأخطأَهَا ولَهَّفَ أمَّهُ ولكِّ ما وقِيَ المنيةَ صَارِي

فتوليا يتنازعانِ بساطِعٍ متقطعٍ كملاءةِ الأنبارِ

يتعاورانِ الشوطَ حتى أصبحا بالجزعِ بينَ مثقبٍ ومطارِ

فبتلْكَ أفضِي الهمَّ إذْ وهمتْ بهِ نفسِي ولَسْتُ بناءِ ناءٍ عوَّارِ

وقبيلةٍ جنبٍ إذا لاقيتهمْ نظروا إليَّ بأوجهٍ أنكارِ

حييتُ بعضهمُ لأرْجعَ ودهمْ بخلائقٍ معروفةٍ وجوارِ

والجارُ أومنُ سرحَهُ ومحلَّهُ حتى يبينَ لنيةِ المختارِ

فلئن رأيتُ الشَّيبَ خوصَ لمتِي منْ طولِ ليلٍ دائبٍ ونهارِ

إنِّي لترزأني النوائبُ في الغنَى وأعفُّ عندَ مشحَّةِ الإقتارِ

فجزا الإلهُ سراةَ قوْمي نُصرةً وسقاهمُ بمشاربِ الأبرارِ

قومٌ إذا خافُوا عثارَ أخيهم لا يسلمونَ أخاهُمُ لعثارِ

أمثالُ علقمةَ بن هوذةَ إذْ سعَى يخشَى عليَّ متالفَ الأمصارِ

أثْنَوا عليَّ فأحْسَنُوا فترافدُوا لي بالمخاضِ البزلِ والأبكارِ

والشولُ يتبعُها بناتُ لبونها شرقاً حناجرُها من الجرجارِ

حتى تأوَّى حولَ بيتِي هجمةٌ أبكارُها كنواعمِ الجبارِ

وكأنَّ خلفَتَها عطيفَةُ شواحطٍ عطلٌ براها منْ خزاعةَ باري

وبغَى بها ماءَ النطافِ فلمْ تجدْ ماءُ بتتهيةٍ ولا بغمارِ

وقال المخبل أيضاً: الطويل

عَفا العرضُ بعدي منْ سُلَيمى فحائلُهْ فبطنُ عنانٍ ربيهُ فأفأكلُهْ

فروضُ القَطا بعدَ التساكُنِ حقبةً فبلؤٌ عفتْ باحاتُهُ فمسايلُهْ

فميتُ عريناتٍ بها كلُّ منزلٍ كوشمِ العذارى ما يُكلَّمُ سائلُهْ

تمشي بها عوذُ النعاجِ كأنَّها فريقٌ يوافي الحجَّ حانتْ منازلُهُ

ذكرتُ بها سلمى وكتمانَ حاجةٍ لنفسي وما لا يعلمُ الناسُ داخلُهْ

يظلُّ يؤسيني صحابي كأنني صريعُ مدامٍ باكرتْهُ نواطلُهْ

وما كانَ محقوقاً فؤادُكَ بالصبا ولا طربٌ في إثرِ من لا تواصِلُهْ

وما ذكرهُ سَلمى وقد حال دونَها مصانعُ حجرٍ دورُهُ ومجادلُهُ

وإنْ لمْ يورعُني الشبابُ ولم يلُجْ برأْسِيَ شيبٌ أنكرَتْهُ غواسلُهْ

وفيتُ فلمْ أعذرْ ولم يلقَ غبطةً مساجلُ بؤسَى قمتُ يوماً أساجلُهْ

وقد رابني منْ بعضِ قومي منطقٌ لهُ جلبٌ تروى عليَّ بواطِلُهْ

ومَنْ يرَ عزاً في قريعٍ فإنَّهُ تراثُ أبيها مجدُهُ وفواضِلُهْ

نقلنا لهُ أثمانهُ من بيوتناوحلتْ إلينا يومَ حُلتْ رواحِلُهْ

وكائنْ لنا من إرْثِ مجدٍ وسؤددٍ مواردُهُ معلومةٌ ومناهلُهْ

ومنا الذي ردَّ المغيرةَ بعدما بدا حاملٌ كاللوثِ تبدو شواكلُهْ

أتاحَ لها ما بينَ أسفلِ ذي حُسَى فحزمِ اللوى وادي الرُّسَيسِ فعاقِلُهْ

هزبرٌ هريتُ الشدْقِ رئبالُ غابةٍ إذا سارَ عزتهُ يداهُ وكاهلُهْ

شتيمُ المحيَّا لا يفارقُ قرنَهُ ولكنهُ بالصحصحانِ ينازلُهْ

وأُعطِيَ منا الحلقَ أبيضُ ماجدٌ نديمُ ملوكٍ ما تغبُّ نوافِلُهْ

وجاعلُ بردِ العصبِ فوقَ جبينهِ يقي حاجبيه ما تثيرُ قنابلُهْ

وليلةٍ نجوى يعتري الغيُّ أهلَها كفينا وقاضِي الأمرِ منا وفاصِلُهْ

ويومَ الرَّحى سُدْنا وجيشَ مخرمٍ ضربناهُ حتى اتكأتهُ شمائلُهْ

ويومَ أبي يكسومَ والناسُ حُضَّرٌ على حلبانٍ إذ تقضَّى محاصلُهْ

فتحنا لهُ بابَ الحصيرِ وربُّهُ عزيزٌ تمشَّى بالحرَابِ أراجلُهُ

عليهِ معدٌّ حولَنا بينَ حاسدٍ وذي حنَقٍ تغلي علينا مراجلُهْ

وإذ فتكَ النعمان بالناسِ محرماً فملئ من عوفِ بن كعبٍ سلاسلُهْ

فككنا حديدَ الغلِّ عنهم فسرحُوا جميعاً وأحظَى الناسِ بالخير فاعلُهْ

وقلنا لهُ لا تنسَ صهركَ عندنا ولا تنسَ منْ أخلاقنا ما نجاملهْ

فما غيرَتْنا بعدُ من سوءِ صرْعةٍ ولا شيمةٍ ما بَوَّأ الخلقَ حابلُهْ

فتِلكَ مساعينا وبدرٌ مخلفٌ على كتفيهِ ربقُهُ وحبائلُهْ

لعمرُكَ إنَّ الزبرقانَ لدائمٌ على الناسِ يغدو نوكُهُ ومجاهلُهْ

شرى محمراً يوماً بذودٍ فخالهُ نماهُ إلى أعلى اليفاعِ أوائلُهْ

رأى مجدَ أقوامٍ صرًى في حياضهُم وهدمَ حوضَ الزبرقانِ غوائلهْ

أتيتَ أمراً أحمى على الناسِ عرضَهُ فما زلتَ حتى أنتَ مقْعٍ تناضلُهْ

فأقْعِ كما أقعى أبوك على استه رأى أنَّ ريماً فوقَهُ لا يُعادلُهْ

فقبلَكَ بدْرٌ عاشَ حتى رأيتهُ يدبُّ ومولاهُ عن المجدِ شاغلُهْ

وينفسُ مما ورَّثَتْنِي أوائلي ويرغَبُ عما أورثتْهُ أوائلُهْ

فإنْ كنتَ لم تصبحْ بحظكَ راضياً فدعْ عنكَ حظي إنني عنك شاغلُهْ

وأنكحتَ هزالاً خليدَة بعدما زعمتَ برأْسِ العينِ أنَّكَ قاتلُهْ

يُلاعِبُها تحتَ الخباءِ وجارُكمْ بذي شبرُمانَ لم تزيلْ مفاصلُهْ

وأنكحتهُ رهواً كأنَّ عجانَها مشقُّ إهابٍ أوسعَ السَّلْخَ ناجلُهْ

عوف بن عطية

وقال عوف بن عطية بن الخرعِ التيمي من تيم الرباب وهي مفضلية وقرأتها على شيخي أبي محمد بن الخشاب رحمة الله عليه: المتقارب

أمِن آلِ ليْلى عرفتَ الديارا بحيثُ الشقيقُ خلاءُ قفارا

كأنَّ الظباءَ بها والنَّعَا جَ أُلبِسْنَ من رازِقِيٍّ خِمارا

وقفتُ بها أصلاً ما تبينُ أسائلها القولَ إلا سرارا

كأنّي اصطبحتُ عقاريةً تصعَّدُ بالمرءِ صرفاً عقارا

سلافَةَ صهباءَ ماذيَّةٍ يفضُّ المُسابيءُ عنها الجرارا

وقالتْ كبيشةُ من جهلها أشيباً قديماً وجهلاً معارا

فما زادني الشيبُ إلا ندًى إذا استروحَ المرضعاتُ القتارا

أحيِّي الخليلَ وأُعطي الجزي لَ حياءً وأفعلُ فيهِ اليسارا

وأمنعُ جارِي من المجحفاتِ والجارُ ممتنعٌ حيثُ صارا

وأعدَدْتُ للحربِ ملبُونَةً تردُّ على سائسِيها الحمارا

كميتاً كحاشيةِ الأتحميِّ لم يدعِ الصُّنْعُ فيها عوارا

لها شعبٌ كأريادِ الغبيطِ فضضنَ عنهُ البناةُ الشجارا

لها رُسُغٌ مكرَبٌ أيدٌ فلا العظمُ واهٍ ولا العرقُ فارا

لها حافرٌ مثلَ قعبِ الوليدِ يتخذُ الفارُ فيهِ مغارا

لها كفلٌ مثلَ متنِ الطرافِ مدَّ فيهِ البناةُ الحتارا

فأبلغْ رياحَاً على نأيها وأبلغْ بني دارمٍ والجمارا

وأبلغْ قبائلَ لمْ يشهدُوا طحا بهمِ الأمْرُ ثمَّ استدارا

غزونْا العَدُوَّ بأبياتنا وراعي حنيفةَ يرعى الصفارا

فشتانَ مختلفٌ بالُنا نرعِّي الخلا ونبغي الغوارا

بعوفِ بن كعبٍ وجمعِ الربا بِ أمراً قوياً وجمعاً كُثارا

فيا طعنةً ما تسوءُ العَدوَّ وتبلُغُ في ذاكَ أمراً قرارا

فلولا علالَةُ أفراسنا لزادكُمُ القومُ خزياً وعارا

إذا ما احتبينا حباً منهمُ شببنا لحربٍ بعلياءَ نارا

نؤمُّ البلادَ لحبِّ اللقاءِ ولا نتقي طائراً حيثُ طارا

سنيحاً ولا جارياً بارحاً على كلِّ حالٍ نلاقي اليسارا

نقودُ الجيادَ بأرسانِها يضعنَ ببطنِ الرشاءِ المهارا
يشقُّ الحزابيُّ سلافُنا كما شققَ الهاجرِيُّ الدِّبارا
شربنا بحواءَ في ناجرٍ فسرنا ثلاثاً فأبنا الجفارا
وجللنَ دمخاً قناعَ العرُو سِ أدنَتْ على حاجبيها الخمارا
فكادتْ فزارةُ تصلى بنا فأولى فزارةُ أولى فزارا
ولوْ أدركتهمْ أمرتْ لهمْ من الشرِ يوماً ممرَّاً مغارا
أبرنَ نميراً وحيَّ الحريشِ وحيَّ كلابٍ أبارَتْ بوارا
وكنا بها أسداً زائراً أبى لا يحاولُ إلا سوارا
وفرَّ ابنُ كوزٍ بأذوادِه وليتَ ابنَ كوزٍ رآنا نهارا
بحمرانَ أمْ بقَفا ناعتَينَ أو المُستَوِي إذْ علونَ النسارا
ولكنَّهُ لجَّ في روعِه فكانَ ابنُ كوزٍ مهاةً نوارا
ولكنما لقيتْ غدوةً سواءَةَ سعدٍ ونصراً جهارا
وحيَّ سُوَيْدٍ فما أخطأَتْ وغنماً فكانتْ لغنْمٍ دمارا
فكلُّ قبائلهم أتبعتْ كما أتبعَ العرُّ ملحاً وقارا
بكلِّ مكانٍ ترى منهمُ أراملَ شيباً ورجلَيْ حرارا

بشامة بن الغدير

وقال بشامة بن الغدير وهو بشامة بن عمرو بن معاوية بن الغدير بن هلال بن سفيان بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان: الكامل

لِمنِ الديارُ عفونَ بالجزعِ بالدومِ بينَ بحارَ فالشرعِ
درستْ وقدْ بقيتَ على حججٍ بعدَ الأنيسِ عفونها سبعِ
إلا بقايا خيمةٍ درستْ دارتْ قواعدها على الربعِ
توقفتُ في دارِ الجميعِ وقدْ جالتْ شؤونُ الرأسِ بالدمعِ
كعروضِ فياضٍ على فلجٍ تجري جداولهُ على الزرعِ
فوقفتُ فيها كيْ أسائلها عوجَ اللبانِ كمطرقِ النبعِ

أنضِي الركابَ على مكارهِهَا بزفيفٍ بينَ المشيِ والوضعِ
بزفيفِ نقنقةٍ مصلمةٍ قرعاءَ بينَ نقانقٍ قرعِ
وبقاءِ مطرورٍ تخيرهُ صنعٌ لطولِ السنِ والوقعِ
ويدَيْ أصمَّ مبادرٍ نهلاً قلقتْ محالتهُ من النزعِ
من حجمِّ بئرٍ كانَ فرصتُهُ منها صبيحةَ ليلةِ الربعِ
فأقامَ هوذلةَ الرشَاءِ وإنْ تخطئْ يداهُ يمدُّ بالضبعِ
أبلغْ بني سهمٍ لديكَ فهلْ فيكمْ من الحدثانِ من بدعِ
أمْ هل ترونَ اليومَ منْ أحدٍ حملتْ حصاةُ أخٍ لهُ يرعِي
فلئنْ ظفرتُمْ بالخصامِ لموْ لاكمْ فكانَ كشحمةِ القلْعِ
وبدأتمُ للناسِ سنتها وقعدتمُ للريحِ في رجعِ
لتلاومنَّ على المواطنِ ألاَّ تخلطوا الإعطاءَ بالمنعِ

الأسود بن يعفر

وقال الاسود بن يعفر بن عبد القيس بن نهشل بن دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة بن تميم النهشلي وهي مفضلية: الكامل

نامَ الخليُّ وما أحسُّ رقادِي والهمُّ محتضرٌ لديَّ وسادِي
من غيرِ ما سقمٍ ولكنْ شفنِي همٌّ أراهُ قدْ أصابَ فؤادِي
ومنَ الحوادثِ لا أبا لكِ أنني ضربتْ عليَّ الأرضُ بالأسدادِ
لا أهْتدِي فيها لموضعِ تلعةٍ بينَ العراقِ وبينَ أرضِ مرادِ
ولقد علمتُ سوى الذي نبأتني إنَّ السبيلَ سبيلُ ذي الأعوادِ
إنَّ المنيةَ والحتوفَ كليهما يوفي المخارمَ يرقبانِ سوادي
لنْ يرضيا مني وفاءَ رهينةٍ من دونِ نفسي طارِفي وتلادي
ماذا أؤملُ بعدَ آلِ محرقٍ تركوا منازلهمْ وبعدَ إيادِ
أهلِ الخورنَقِ والسديرِ وبارقٍ والقصرِ ذي الشرفاتِ من سندادِ
أرضٌ تخيرها لطيبِ مقيلهَا كعبُ بنُ مامةَ وابنُ أمِّ دؤادِ

جرتِ الرياحُ على محلِّ ديارِهِمْ فكأنما كانوا على ميعادِ
ولقد غنوا فيها بأنعمِ عيشةٍ في ظلِّ ملكٍ ثابتِ الأوتادِ
نزلوا بأنقرةٍ يسيلُ عليهم ماءُ الفراتِ يجيءُ من أطوادِ
أينَ الذينَ بنوا فطالَ بناؤهُمْ وتمتعوا بالأهلِ والأولادِ

فإذا النعيمُ وكلُّ ما يلْهى به يوماً يصيرُ إلى بلًى ونفادِ
في آلِ غرفٍ لو بغيتِ ليَ الأسَى لوجدتِ فيهمْ أسوةَ العدادِ
ما بعدَ زيدٍ في فتاةٍ فرقُوا قتلاً ونفياً بعدَ حسن تآدِي
فتخيروا الأرضَ الفضاءَ لعزهِمْ ويزيدُ رافدهمْ على الرفادِ
إما تريني قدْ بليتُ وغاضني ما نيلَ من بصرِي ومنْ أجلادِي
وعصيتُ أصحابَ البطالةَ والصبا وأطعتُ عاذلتي وذلَّ قيادي
فلقد أروحُ على التجارِ مرجلاً مذلاً بمالي ليناً أجيادِي
ولقد لهوتُ وللشبابِ بشاشةً بزجاجةٍ مزجتْ بماءِ غوادي
منْ خمرِ ذي نطفٍ أغنَّ منطقٍ وافَى بها لدارهِمِ الأسجادِ
يسعى بها ذو تؤمتين مقرطقٌ قنأتْ أناملُهُ من الفرصادِ
والبيضُ تمشي كالبُدُورِ وكالدمى ونواعم يمشين بالأرفادِ
والبيضُ يرمينَ القلوب كانها أدحيُّ بين صريمة و جمادِ
ينطقنَ معروفاً وهنَّ نواعمٌ بيضُ الوجوه نواعُم الأجسادِ
ينطقنَ مخفوضَ الحديثِ تهامُساً فبلغنَ ما حاولْنَ غيرَ تنادِي
ولقدْ غدوتُ لعازِبٍ متناذرٍ أحوى المذانبِ مؤنقِ الروادِ
جادتْ سواريهِ وآزَرَ نبتهُ نفأٌ من الصفراءِ والزبادِ
بالجوِّ فالأمراتِ حولَ مغايرٍ فبضارجٍ فقصيمةِ الطرَّادِ
بمشمرٍ عتدٍ جهيرِ شدهُ قيدِ الأوابدِ والرهانِ جوادِ
يشوي لنا الوحَدَ المدلَّ بحضرهِ بشريجِ بينَ الشدِّ والإيرادِ

ولقدْ تلوْتُ الظاعينينَ بجسرةٍ ... أُجُدٍ مهاجرةِ السقابِ جمادِ

عيرانةٍ سدَّ الربيعُ خصاصَها ... ما يستبينُ بها مقيلُ قرادِ

فإذا وذلك لا مهاةَ لذكرهِ ... والدهرُ يعقبُ صالحاً بفسادِ

وقال أيضاً: البسيط

هل بالمنازلِ إنْ كلمتها خرسُ ... أمْ ما بيانُ أثافٍ بينَها قبسُ

كالكحلِ أسودَ لأياً ما يكلمنا ... مما عفاهُ سحابُ الصيفِ الرجُسُ

جرتْ بها الهيفُ أذيالاً مظاهرةً ... كما يجرُّ ثيابَ الفوةِ العرُسُ

والمالكيةُ قد قالتْ حكمتُ وقدْ ... تشقَى بكَ الناقةُ الوجناءُ والفرسُ

فقلتُ إنْ أستفدْ حلماً وتجربةً ... فقد ترددَ فيكَ البخلُ والألسُ

وقدْ يقصرُ عني السيرَ آونةً ... بويزلٌ سهوةُ التبغيلِ أو سدسُ

وجناءَ يصرفُ ناباها إذا ضمرتْ ... كما تخمطَ فحلُ الصرمةِ الضرسُ

لأياً إذا مثلَ الحرباءُ منتصبَّاً ... منَ الظهيرةِ يثني جيدَها المرسُ

تُلقي على الفرجِ والحاذينِ ذا خُصلٍ ... كالقنوِ أعنقَ في أطرافهِ العبسُ

كأنها ناشطٌ هاجَ الكلابُ بهِ ... من وحشِ خطمةَ في عرنينهِ خنسُ

باتتْ عليهِ منَ الجوزاءِ أسميةٌ ... وظلَّ بالسبطِ العاميّ يمترسُ

ثمَّ أتى دفَّ أرطاةٍ بمحنيةٍ ... منَ الصريمةِ أواهُ بها الدلسُ

منبوذةٍ بمكانٍ لا شعارَ بهِ ... وقد يصادفُ في المجهولةِ اللمسُ

عبريةٌ بينَ أنقاءٍ حبونَ لها ... من الصريمةِ أعلى تربها دهسُ

فاجتابها وهو يخشى أن يُلِطَّ بهِ ... خوفٌ على أنفهِ والسمعُ محترسُ

يبري عروقاً ويبدي عنْ أسافلها ... كما تلينُ للخرازةِ الشرسُ

حتى إذا ما انجلَتْ ظلماءُ ليلتهِ ... عندَ الصباحِ ولم يستوعب الغلسُ

ومار ينفضُ روقيهِ ومتنتهُ ... كما تهزهزَ وقفُ العاجةِ السلِسُ

هاجتْ بهِ فئةٌ غضفٌ مخرجةٌ ... مثلُ القداحِ على أرزاقها عبسُ

وفاجأتهُ سرايا لا زعيمَ لها ... يقدمنَ أشعثَ في ماريَّةٍ طلسُ

معصَّباً من صباحٍ لا طعام لهُ ولا رعيةَ إلاَّ الطوفُ والعسسُ

فكرٌّ يحمي بروقيهِ حقيقتهُ بهِ عليهنَّ إذْ أدركنهُ شمسُ

ما إنْ قليلاً تجلَّى النقعُ عن سبدٍ وزارعٍ غيرَ ما إنْ صادَ منبجسُ

ومنْ دفاقٍ تحيتَ الجنبِ نافذةٌ حمراءُ يخرجُ من حافاتِها النفسُ

ثمَّ تولَّى خفيفاتٍ قوائمهُ بالسهلِ يطفوْ وبالصحراءِ يملسُ

وقدْ سبأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبلَ الصباحِ ولمَّا تقرعُ النقُسُ

صرفْاً وممزوجةً كأنَّ شارِبَها وإنْ تشددَ أنْ يهتابَهُ هوسُ

ثمَّ ظللنا تغني القومَ داجنةٌ لعساءُ لا ثعلٌ فيها ولا كسسُ

ومسمعاتٌ وجردٌ غير مقرفةٍ شمُّ السنابكِ في أكتافِها قعسُ

وجاملٍ كزهاءِ اللابِ كلفَهُ ذو عرمضٍ من مياهِ القيرِ أو قدسُ

ماءً قصيرَ رشاءِ الدلوْ مؤتزراً بالخيزُرانةِ لا ملحٌ ولا نمسُ

توفي الحمامُ عليه كلَّ ضاحيةٍ وللضفادعِ في حافاتِهِ جرسُ

أتى الصريخُ وسرْبالِي مظاهرةٌ من نسجِ داوود يجلُو سكها اللبَسُ

تغشَ البنانَ لها صوتٌ إذا انتسجتْ كما استخفَّ حصيدُ الأبطحِ اليبسُ

وقال الأسود بن يعفر أيضاً: الطويل

أبينتَ رسمَ الدَّارِ أمْ لم تبينِ لسلمى عفتْ بينَ الكلابِ وتيمنِ

كأنَّ بقايا رَسْمِها بعدَ ما جَلَتْ لكَ الريحُ منها عنْ محلٍّ مدمَّنِ

مجالسُ أيسارٍ وملعبُ سامرٍ وموقدُ نارٍ عهدها غيرُ مزمنِ

سطورُ يهوديينِ في مهرقيهما مجيدين من تيماءَ أو أهلِ مديَنِ

فدمعكَ إلاَّ ما كففتَ غروبَهُ كوالِفِ بالٍ من مزادٍ وعينِ

بكاءً عليها كلَّ صيفٍ ومربعٍ كأديانهِ من غمرة ابنةِ محجنِ

تبصرْ خليلي هلْ ترى منْ ظعائنٍ غدونَ لبينٍ منْ نوَى الحيِّ أبينِ

ترديِنَ أنطاكيةً ذاتَ بهجةٍ على شرعبيٍّ من يمانٍ مدهَّنِ

جعلنَ بليلٍ واردات وهضَها ... شمالاً ومنهنَّ البديُّ بأيمنِ

فأضحتْ تراءاهَا العيونُ كأنَّها ... على الشرفِ الأعلى نخيلُ ابن يامنِ

أو الأثابُ العمُّ الذُّرَى أوْ كأنها ... خلايا عدوليِّ السفين المعمِّنِ

فجئنَ وقرنُ الشمسِ لمْ يعد أن بَدا ... ففئنَ إلى حورٍ نواعمُ بدَّنِ

وكورٍ على أنماطِ بيضٍ مزخرفٍ ... مدينيةٍ أوفَى بها حجُّ مسكنِ

فقلنَ أقيلُونا فقلنَ بنعمة ... لدى كلِّ خدرٍ ذي شفوفٍ مزينِ

يطالعننا منْ كلِّ خملٍ وكلَّةٍ ... بمخضوبةٍ حُمْرٍ لطافٍ وأعيُنِ

ألَم يأتِها أن قدْ صحوتُ عنِ الصبِّا ... وآلتْ إلى أُكرومةٍ وتدينِ

وفارقتُ لذاتِ الشبابِ وأهلَهُ ... كفرقةِ غادٍ مشئمٍ لميمنِ

وذِي نسبٍ دانٍ تجلدْتُ بعدهُ ... على رزئهِ ورزؤُهُ غيرُ هينِ

كريمٍ ثناهُ تمطرُ الخيرَ كفهُ ... كثيرُ رمادِ القدرِ غيرِ ملعَّنِ

غدا غير مملولٍ لديَّ جماعُهُ ... ولا هوَ عنْ طولِ التعاشرِ ملنِي

وحسرةِ حُزْنٍ في الفؤادِ مريرةٍ ... تحييتُهَا والمرءُ ما يغنَ يحزَنِ

ونخوةِ أقوامٍ عليَّ درأتُها ... بسطوةِ أيدٍ منْ رجالٍ وألسُنِ

وندمانِ صدقٍ لا يرى الفحشَ رائحاً ... لديهِ لمخزونِ المدامةِ مدمنِ

بكرْتُ عليهِ والدجاجُ معرِّسٌ ... جثومٌ وضوءُ الصبحِ لم يتبينِ

فظلتْ تدورُ الكأسُ بيني وبينهُ ... إذا هِي أكرتْ قالَ صاحِ ألا اسقِنِي

فرُحْنا أصيلالاً ترانا كأننا ... ذوو قيصرَ أو آلَ كسرَى بن سوسنِ

وغانيةٍ قطعتُ أسبابَ وصلِها ... بحرفٍ كعرشِ الهاجريِّ المطيَّنِ

تكادُ تطيرُ الرحلَ لولا نُسُوعهُ ... إذا شفنتْ إلى القطيعِ الممرَّنِ

كأنَّ قتودِي حينَ لانتْ وراجعَتْ ... طريقةَ مرفوعٍ من السيرِ ليِّنِ

على وحدٍ طاوٍ أفزَّتْ فؤادَهُ ... كلابُ ذريحٍ أو كلابُ ابنِ ميزنِ

وقال الأسود أيضاً: الطويل

ألاَّ حيِّ سلمى في الخليطِ المفارقِ ... وألمِمْ بها إنْ جدَّ بينُ الحرائقِ

وما خفتُ منها البينَ حتى رأيتُهَا ... عَلا عيرَها في الصبّحِ أصواتُ سائِقِ
تجنبنَ خروباً وهنَّ جوازِعٌ ... على طيةٍ يعدلنَ رملَ الصعافقِ
سنلْقاكِ يوما والرِّكَابُ ذواقنٌ ... بنعمانَ أو يلْقاكِ يومَ التحالقِ
وتشفِي فؤادِي نظرةٌ من لقائها ... وقلَّتْ متاعاً من لبانةِ عاشِقِ
أَلا إنَّ سلمى قدْ رمتكَ بسهمِها ... وكيفَ استباءُ القلبِ من لم يُناطِقِ

ترآتْ لنا بجيدِ آدمَ شادِنٍ ... ومنسجرٍ وحفٍ أثيُثِ المفارِقِ
وتبسمُ عنْ غرِّ الثنايا مفلجٍ ... كنورِ الأقاحِي في دماثِ الشقائقِ
وما روضةٌ وسميَّةٌ رجبيةٌ ... ولتهَا غيوثُ المدجناتِ البوارقِ
حمتها رِماحُ الحربِ حتى تهولتْ ... بزاهِرِ لونٍ مثلِ وشيِ النمارقِ
بأحسنِ من سلمَى غداةَ لقيتُها ... بمندفعِ الميثاءِ منْ روضِ ماذِقِ
كأنَّ ثَناياها اصطبحْنَ مدامَةً ... منَ الخمرِ سنَّا فوقَها ماءُ بارِقِ
ولوْ سألَتْ عنَّا سُلَيْمى لخبرَتْ ... إذا الحجراتُ زينتْ بالمغالِقِ
بأنَّ نُعينُ المُستَعينَ على النَّدَى ... ونحفظُ فرجَ المقدمِ المتضايقِ
وجارٍ غريبٍ حلَّ فينا فلمْ نكنْ ... لهُ غيرَ غيثٍ بنبتِ البقلُ وادِقِ
نكونُ لهُ من حولِهِ وورائهِ ... ونؤمنهُ منْ طارِقاتِ البوائقِ
ومستلحمٍ قد أنفذتهُ رِماحُنَا ... وكانَ يظنُّ أنَّهُ غيرُ لاحقِ
هنأْنا فلمْ نمنُنْ عليهِ طعامَنا ... إذا ما نَبا عنهُ قريبُ الأصادِقِ
فظلَّ يُبارِي ظلَّ رأسٍ مرجَّلٍ ... قد آزَرَ الجرجارُ زهرَ الحدائقِ
وعانٍ كبيلٍ قدْ فككنا قيودَهُ ... وغلاً نبيلاً بيْنَ خدٍّ وعاتقِ
ويا سلْمَ ما أدراكِ إنَّ رُبَّ فتيةٍ ... ذوي نيقةٍ في صالحاتِ الخلائقِ
إذا نزلتْ حمرُ التجارِ تباشروا ... وراحُوا بفتيانِ العشيِّ المَخارِقِ
فأمسَوا يجرُّونَ الزقاقَ وبزَّها ... بشفعِ القلاصِ والمخاضِ النوافِقِ
وقدْ علمتْ أبناءَ خندفَ أنَّنا ... رُعاةُ قواصيها وحامُوا الحقائِقِ

وأنَّا أولوا أحكامِها وذوو النُّهَى ... وفرسانِ غاراتِ الصباحِ الدمالِقِ
وإنَّا لنقرِي حينَ نحمدُ بالقرَى ... بقايا شحومِ الآبيَاتِ المفارِقِ
ونضرِبُ رأسَ الكبشِ في حومةِ الوَغَى ... وتحمدُنا أشياعُنا في المشارِقِ
ومستهنِئِ ذي قروتين مدفعٍ ... برتْهُ بوارٍ منْ سنينَ عوارِقِ

وقال الأسود بن يعفر أيضاً: السريع

هلْ لشبابٍ فاتَ منْ مطلَبِ ... أم مَا بكاءُ البَدَنِ الأشْيَبِ
إلاَّ الأضَاليلُ ومنْ لا يزَلْ ... يوفِي على مهلكهِ يعطبِ
بدلتُ شيباً قد علاَ لمَّتِي ... بعدَ شبابٍ حسَنٍ معجبِ
صاحبتُهُ ثمتَ فارقتُهُ ... ليتَ شبابي ذاكَ لمْ يذْهَبِ
وقدْ أرانِي والبِلَى كاسْمِهِ ... إذْ أنا لمْ أصلَعْ ولمْ أحدَبِ
ولمْ يُعرنِي الشيبُ أثوابهُ ... أُصبْي عيونَ البيضِ كالرَّبرَبِ
كأنَّما يومِي حولٌ إذا ... لمْ أشهدِ اللهوَ ولمْ ألْعَبِ
وقهوةٍ صهباءَ باكرْتُها ... بجهمةٍ والدِّيكُ لمْ ينعَبِ
وطامِحِ الرأسِ طويلِ العَمَى ... يذهبُ جهلاً كلَّما مذْهَبِ
كويتهُ حنَ عَدا طورَهُ ... في الرأسِ منهُ كيَّةَ المكلِبِ
وغارةٍ شعواءَ ناهَبْتُها ... بسابحٍ ذي خضرٍ ملهبِ
تراهُ بالفارسِ منْ بَعْدِ ما ... نكسَ ذو اللامَةِ كالأنكَبِ
وصاحبٍ نبَّهتُهُ موهناً ... ليسَ بأنَّاحٍ ولا جأنَبِ
أروعَ بهلولٍ خميصِ الحشا ... كالنصلِ ما تركَبْ بهِ يركَبِ
فقامَ وسنانَ إلى رحلِهِ ... وجسرةٍ دوسرَةٍ ذعلبِ
ومربَأ كالزُّجِ أشرفتُهُ ... والشَّمسُ قَدْ كادَتْ ولمْ تعرُبِ
تلفنِي الريحُ على رأسهِ ... كأنني صقرٌ على مرقَبِ
ذاك وموْلِيٍّ يمجُّ الندى ... قريانُهُ أخضرَ مغلَولبِ
قفْرٍ حمتْهُ الخيلُ حتَّى كأنْ ... زاهره أغشِيَ بالزرنَبِ

جَادَ السِّماكانِ بقريانهِ ... بالنجمِ والنثْرَةِ والعقْرَبِ
كأنَّ أصْواتَ عصافيرهِ ... أصواتُ راعِي ثلَّةٍ مخصبِ
قُدتُ به أجردَ ذا ميعةٍ ... عبلَ الشوَى كالصَّدعِ الأشعبِ
فرداً تغنيني مكاكيُّهُ ... تغنيَ الولدانِ والملعَبِ

وقال الأسود بن يعفر يمدح بني محلمٍ: الطويل

أجارَتَنا غُضيِّي منَ السيرِ أو قِفِي ... وإنْ كنتِ لما تزمعِي البيْنَ فاصرفِي

أُسائلْك أو أخبرك عنْ ذي لُبانَةٍ ... سقيمُ فؤادٍ بالحِسانِ مكلَّفِ
فصدَّتْ وقالتْ والكبيرُ بسهمَةٍ ... متى يبكِ يوماً للتصابي يُعَنَّفِ
ولوْ عرضَتْ يومَ الرحيلِ بنشْرِها ... لذي كربةِ موفٍ على الموتِ مدْنَفِ
إذَنْ لشفتْهُ بَعْدَ ما خيلَ أنَّهُ ... أخُو سقَمٍ قدْ خالطَ النفْسَ مُتلفِ
سبيةٌ سفانين قد خُدِعا بها ... تصيبُ الفؤادَ منْ لذيذٍ وتشتفي
ولَوْ لُقِيَ النعمانُ حياً لنالَها ... ولو بعثَ الجنِّيّ في النَّاسِ يصطَفي
لفاضَ علَيها ذاتَ دلٍّ وميسمٍ ... ووجهٍ كدينارِ العزيزِ المشوَّفِ
أسيلَةُ مستَنِّ الدُّموعِ نبيلَةٌ ... كأدماءَ منْ أظْبِي تبالةَ مخرفِ
تظلُّ النهارَ في الظِّلالِ وترتعِي ... فروعَ الهدَالِ والأراكِ المصنَّفِ
ويذعَرُ سرْبَ الحيّ وسواسُ حلْيها ... إذا حرَّكتْهُ منْ دعاثٍ ورفرَفِ
ولم أرَ في سُفْلَى ربيعةَ مثْلَها ... ولا مُضرَ الأعلَيْن قَيْسٍ وخندفِ
إذا هيَ قامَتْ في الثيابِ تأوَّدَتْ ... سقيَّةَ غيلٍ أو غملامةَ صيفِ
تداركني شبابُ آلِ محلِّمٍ ... وقد كدْتُ أهْوِي بينَ نيقينِ نفنفِ
هُمُ القوْمُ يُمْسِي جارُهُم في غضارةٍ ... سليماً سوِيَّ اللحمِ لمْ يتجرَّفِ
وهمْ يضربونَ الكبشَ يبرُقُ بيضُهُ ... بأسيافهمْ والماسخيِّ المزَخْرَفِ

جران العود

وقال جران العود واسمه عامر بن الحارث بن كلفة وقيل كلدة وهو من بني ضبة ابن نمير بن عامر بن صعصعة:

بانَ الخليطُ فهالتكَ التَّهاويلُ ... والشَّوقُ محتضرٌ والقلبُ متبولُ

يهدي السَّلامَ لنا منْ أهلِ ناعمةٍ ... إنَّ السَّلامَ لأهلِ الودِّ مبذولُ

أنَّى اهتديتِ بموماةٍ لأرحلِنا ... ودونَ أهلكِ بادي الهول مجهولُ

لمطرقينَ على مثنى أيامنِهمْ ... راموا النُّزولَ وقدْ غارَ الأكاليلُ

طالتْ سُراهمْ فذاقوا مسَّ منزلةٍ ... فيها وقوعهمُ والنَّومُ تحليلُ

والعيسُ مقرونةٌ لاثوا أزمَّتَها ... فكلهنَّ بأيدي القومِ موصولُ

سقياً لزوركَ من زورٍ أتاكَ بهِ ... حديثُ نفسكَ عنهُ وهو مشغولُ

تختصُّني دونَ أصحابي وقد هجعوا ... والليلُ مُجفلةٌ أعجازهُ ميلُ

أهالكٌ أنتَ إنْ مكتومةُ اغتربتْ ... أمْ أنتَ من مُستسرِ الحبِّ مخبولُ

بالنَّفسِ منْ هو ينْأنا ونذكرهُ ... فلا هواهُ ولا ذو الذِّكرِ مملولُ

ومنْ مودَّتهُ داءٌ ونائلهُ ... وعدُ المغيَّبِ إخلافٌ وتبديلُ

ما أنسَ لا أنسَ منها إذ تودِّعنا ... وقولُها لا تزرْنا أنتَ مقتولُ

ملءُ السِّوارينِ والحجلينِ مئزرُها ... بمتنِ أعفرَ ذي دعصينِ مكفولُ

كأنَّما ناطَ سلسيْها إذا انصرفتْ ... مطوَّقٌ من ظباءِ الأُدمِ مكحولُ

تُجري السِّواكَ على عذبٌ مقبَّلهُ ... كأنَّه منهلٌ بالرَّاحِ معلولُ

وللهمومِ قرى عندي أعجِّلهُ ... إذا تورَّطَ في النَّومِ المكاسيلُ

تفريجهنَّ بإذنِ اللهِ يحفزهُ ... حذفُ الزَّماعِ وجسراتٌ مراقيلُ

تحدو أوائلَها دحٌّ يمانيةٌ ... قد شاعَ فيهنَّ تحذيمٌ وتنعيلُ

بينُ المرافقِ عن أجوازِ ملتئمٍ ... من طيِّ لقمانَ لم يظلمْ بهِ الجولُ

كأنَّما شكُّ ألحيْها إذا رجفتْ ... هاماتهنَّ وشمَّرنَ البراطيلُ

حمُّ المآقي على تهجيجِ أعينِها ... إذا سمونَ وفي الآذانِ تأليلُ

حتَّى إذا متعتْ والشَّمسُ حاميةٌ ... مدَّتْ سوالفَها الصُّهبُ الهراجيلُ

والآلُ يعصبُ أطرافَ الصوَّى فلها | منهُ إذا لم تنفِّرهُ سرابيلُ
واعصوْصبتْ فتدانى منْ مناكبِها | كما تقاذفتِ الخرجُ المجافيلُ
إذا الفلاةُ تلقَّتها جواشنُها | وفي الأداوى عن الأخراتِ تشويلُ
قاستْ بأذرعِها الغولُ التي طلبتْ | والماءُ في سدفاتِ الليلِ منهولُ
فناشحونَ قليلاً منْ مسوَّفةٍ | من أجنٍ ركضتْ فيه العداميلُ

قال أبو عمر الشيباني كان جران العود والرحال النميري خدنين تبيعين ثم إنهما تزوجا فلم يحمدا ما لقياه فقال جران العود:

ألا لا يغرَّنَّ امرءاً نوفليَّةٌ | على الرَّأسِ بعدي أو ترائبُ وضَّحُ
ولا فاحمٌ يُسقى الدّهانَ كأنَّه | أساودَ يزهاها لعينكَ أبطحُ
وأذنابُ خيلٍ عُلِّقت من عقيصةٍ | ترى قرطَها من تحتها يتطوَّحُ
فإنَّ الفتى المغرورَ يُعطي تلادهُ | ويُعطي المنى من مالهِ ثمَّ يفضحُ
ويغدو بمسحاجٍ كأنَّ عظامها | محاجنُ أعراها اللحاءُ المشبَّحُ
إذا ابتزَّ منها الدِّرعُ قيلَ مطَّردٌ | أحصُّ الذُّنابى والذِّراعينِ أرسحُ
فتلكَ التي حكَّمتُ في المالِ أهلها | وما كلُّ مبتاعٍ من النَّاسِ يربحُ
تكونُ بلوذِ القرنِ ثمَّ شمالُها | أحثُّ كثيراً منْ يميني وأسرحُ
جرتْ يومَ رُحنا بالرِّكابِ نزفُّها | عقابٌ وشحَّاجٌ من الطَّيرِ متيحُ
فأمَّا العقابُ فهي منَّا عقوبةٌ | وأمَّا الغرابُ فالغريبُ المطرَّحُ
عقابٌ عبنقاةٌ ترى منْ حِذارها | ثعالبَ أهوى أو أشاقرَ تضبحُ
لقد كانَ لي عنْ ضرَّتينِ عدمْتني | وعمَّا أُلاقي منهما متزحزحُ
هي الغولُ والسِّعلاةُ حلقي منهما | مخدَّشُ ما بينَ التَّراقي مجرِّحُ
لقدْ عاجلتْني بالنِّصاءِ وبيتُها | جديدٌ ومن أثوابِها المسكُ ينفحُ
إذا ما انتصينا فانتزعتُ خِمارها | بدا كاهلٌ منها ورأسٌ صمحمحُ
تداورُني في البيتِ حتَّى تكبُّني | وعينيَ من نحو الهراوةِ تلمحُ

وقد عوَّدَتني الوقذَ ثمَّ تجرُّني إلى الماءِ مغشيّاً عليَّ أرنَّحُ
ولم أرَ كالموقوذِ تُرجى حياتهُ إذا لم يرعْهُ الماءُ ساعةَ يُنضحُ
أقولُ لنفسي أينَ كنتُ وقد أرى رجالاً قياماً والنِّساءُ تسبِّحُ
أبالغورِ أم بالجلسِ أم حيثُ تلتقي أماعزُّ من وادي بُريكٍ وأبطحُ
خُذا نصفَ مالي واتركا لي نصفَهُ وبينا بذمٍّ فالتغرُّبُ أروحُ
فيا ربِّ قد صانعتُ حولاً مجرَّماً وصانعتُ حتَّى كادتِ العينُ تمصحُ
وراشيتُ حتَّى لو يكلِّفُ رشوتي خليجٌ من المرَّارِ قد كادَ ينزحُ
أقولُ لأصحابي أُسرُّ إليهم ليَ الويلُ إنْ لم تجمحا كيفَ أجمحُ
أأتركُ صبياني وأهلي وأبتغي معاشاً سواهُمْ أمْ أكرُّ فأُذبحُ
أُلاقي الخنا والبرحَ منْ أمِّ خارمٍ وما كنتُ ألقي من رزينةَ أبرحُ
تصبِّرُ عينيْها وتعصبُ رأسَها وتغدو غدوَّ الذيبِ والبومُ تضبحُ
ترى رأسَها في كلِّ مبدًى ومحضرٍ شعاليلَ لم يمشطْ ولا هو يسرحُ
وإنْ سرَّحتهُ فهو مثلُ عقاربٍ تشولُ بأذنابٍ قصارٍ وترمحُ
تخطَّى إليَّ الحاجزينَ مدلَّةً يكادُ الحصى منْ وطئِها يترضَّحُ
كنازٌ عفرناةٌ إذا لحقتْ بهِ هوى حيثُ تُهويهِ العصا يتطوَّحُ
لها مثلُ أظفارِ العقابُ ومنسمٌ أزجُّ كظنبوبُ النَّعامةِ أروحُ
إذا انفلتتْ منْ حاجزٍ لحقتْ بهِ وجبهتُها من شدَّةِ الغيظِ تنتحُ
وقالتْ تبصَّرْ بالعصا أصلْ أُذنهُ لقدْ كنتُ أعفو عن جرانٍ وأصفحُ
فخرَّ وقيذاً مُسلحبَّاً كأنَّه على الكسرِ صبعانٌ تعقَّرَ أملحُ
ولمَّا التقينا غدوةً طارَ بيننَا سِبابٌ وقذفٌ بالحجارةِ مطرحُ
أجلِّي إليها من بعيدٌ فأتَّقي حجارَتها حقّاً ولا أتمزحُ
تشجُّ طنابيبي إذا ما اتَّقيتُها بهنَّ وأُخرى في الذُّؤابةِ تنفحُ
أتانا ابنُ روقٍ يبتغي اللّهوَ عندنا فكادَ ابنُ روقٍ في السَّراويلِ يسلحُ
وأنقذَني منا ابنُ روقٍ وصوتُها كصوتِ علاةِ القينِ صلبٌ صميدحُ

ووَلَّى بهِ رأدُ اليدينِ عظامهُ … على دفقٍ منها موائرُ جنَّحُ

ولسنَ بأسواءٍ فمنهنَّ روضةٌ … تهيجُ الرِّياضَ غيرها لا تصوِّحُ

جماديَّةٌ أحمى حدائقَها النَّدى … ومزنٌ تدلِّيهِ الجنائبُ دلَّحُ

ومنهنَّ غلٌّ مقملٌ لا يفكُّهُ … من القومِ إلاّ الشَّحشانُ الصَّرنقحُ

عمدتُ لعودٍ فالتحيتُ جرانهُ … وللكيسُ أمضى في الأمورِ وأنجحُ

وصلتُ به منْ خشيةٍ أن تدكَّلا … يميني سراعاً كرَّهاً حينَ تمرحُ

خذا حذراً يا خلَّتيَّ فإنَّني … رأيتُ جرانَ العودِ قد كانَ يصلحُ

وقال جران العود وقرأها على ابن الخشاب:

ذكرتُ الصِّبا فانهلَّتِ العينُ تذرفُ … وراجعكَ الشَّوقُ الذي كنتَ تعرفُ

وكانَ فؤادي قد صحا ثمَّ هاجني … حمائمُ ورقٍ بالمدينةِ تهتفُ

كأنَّ الهديلَ الظَّالعَ الرِّجلِ فوقها … من البغيِ شرِّيبٌ يغرِّدُ مترفُ

تذكِّرنا أيامنا بسويقةٍ … وهضبَى قُساسٍ والتَّذكُّرُ يشغفُ

وبيضاً يُصلصلنَ الحجولَ كأنَّها … ربائبُ أبكارِ المهى المتألِّفُ

فبتُّ كأنَّ العينَ أفنانُ سدرةٍ … عليها سقيطٌ من ندى الطّلِّ ينطفُ

أُراقبُ لوحاً من سهيلٍ كأنَّه … إذا ما بدا من آخرِ الليلِ يطرفُ

يُعارضُ عن مجرى النُّجومِ وينتحي … كما عارضَ الشَّولُ البعيرُ المؤلَّفُ

بدا لجرانِ العودِ والبحرُ دونهُ … وذو حدبٍ من سروِ حميرَ مشرفُ

ولا وجدَ إلاّ مثلَ يومٍ تلاحقتْ … بنا العيسُ والحادي يشلُّ ويعنفُ

لحقْنا وقد كانَ اللُّغامُ كأنَّهُ … بألحي المهارى والخراطيمِ كرسفُ

وما ألحقتْنا العيسُ حتَّى تناضلتْ … بنا وتلاها الآخرُ المتخلِّفُ

وكانَ الهجانُ الأرحبيُّ كأنَّه … تراكبَهُ جونٌ من الجهدِ أكلفُ

وفي الحيِّ ميلاءُ الخمارِ كأنَّها … مهاةٌ بهجلٍ من أديمٍ تعطَّفُ

شموسُ الصِّبا والأُنسِ محفوظة … قتولُ الهوى لو كانتِ الدَّارُ تسعفُ

الحشا

كأنَّ ثناياها العذابَ وريقَها ... ونشوةَ فيها خالطتهنَّ قرقفُ
تهيمُ جليدَ القومِ حتَّى كأنَّهُ ... دوًى يئستْ منه العوائدُ مدنفُ
وليستْ بأدنى من صبيرِ غمامةٍ ... بنجدٍ عليها لامعٌ يتكشَّفُ
يشبِّهها الرَّائي المشبِّهُ بيضةً ... غدا في النَّدى عنها الظَّليمُ الهجنَّفُ
بوعساءَ من ذاتِ السَّلاسلِ يلتقي ... عليها من العلقى نباتٌ مؤنّفُ
وقالتْ لنا والعيسُ صعرٌ من البرى ... وأخفافُها بالجندلِ الصُّمِّ تقذفُ
وهنَّ جنوحٌ مصغياتٌ كأنَّما ... براهنَّ من جذبِ الأزمَّةِ علَّفُ
حُمدتَ لنا حتَّى تمنَّاكَ بعضُنا ... وأنتَ امرؤٌ يعروك حمدٌ وتعرفُ
رفيعُ العلى في كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... وقولكَ ذاكَ الآبدُ المتلقِّفُ
وفيكَ إذا لاقيتَنا عجرفيَّةٌ ... مراراً وما نستَيعُ من يتعجرفُ
تميلُ بكَ الدُّنيا ويغلبكَ الهوى ... كما مالَ خوَّارُ النَّقا المتقصِّفُ
ونُلقى كأنَّا مغنمٌ قد حويتهُ ... وترغبُ عن جزلِ العطاءِ وتسرفُ
فموعدكَ الشَّطُّ الذي بينَ أهلنا ... وأهلكَ حتَّى تسمعَ الدِّيكَ يهتفُ
ويكفيكَ آثارٌ لنا حينَ تلتقي ... ذيولٌ نعفِّيها بهنَّ ومطرفُ
ومسحبُ ربطٍ فوقَ ذاكَ ويمنةٍ ... تسوقُ الحصى منها حواشٍ ورفرفُ
فنصبحُ لم يشعرْ بنا غيرَ أنَّنا ... على كلِّ حالٍ يحلفونَ ونحلفُ
وقالتْ لهم أمُّ التي أدلجتْ بنا ... لهنَّ على الإدلاجِ أنأى وأضعفُ
فقد جعلتْ آمالُ بعضٍ بناتنا ... من الظُّلمِ إلاّ ما وقى اللهُ تكشفُ
وما لجرانِ العودِ ذنبٌ ولا لنا ... ولكن جرانُ العودِ ممَّا نكلِّفُ
ولو شهدتْنا أُمُّها ليلةَ النّقا ... وليلةَ رمحٍ أزحفتْ حينَ تُزحفُ
ذهبنَ بمسواكي وقدْ قلتُ قولةً ... سيوجدُ هذا عندكنَّ ويُعرفُ
فلمَّا علانا الليلُ أقبلتْ خيفةً ... لموعدِها أعلو الإكامَ وأظلفُ
إذا الجانبُ الوحشيُّ خفنا من الردَى ... وجانبيَ الأدنى من الخوفِ أحنفُ

فأقبلنَ يمشينَ الهوينا تهادياً ... قصارَ الخطى منهنَّ داب ٍ ومُزحفُ
كأنَّ النُّميريّ الذي يتبعنهُ ... بدارةِ رمحٍ ظالعِ الرِّجلِ أحنفُ

فلمَّا هبطنَ السَّهلَ واحتلنَ حيلةً ... ومن حيلةِ الإنسانِ ما يُتخوَّفُ
حملنَ جرانَ العودِ حتَّى وضعنَهُ ... بعلياءَ في أرجائها الجنُّ تعزفُ
فلا كفلَ إلاّ مثلَ كفلٍ ركبتهُ ... لخولةَ لولا وعدَها ثمَّ تُخلفُ
فلمَّا التقينا قلنَ أمسى مسلّطاً ... فلا يُسرفَنْ ذا الزَّائرُ المتلطِّفُ
وقلنَ تمتَّع ليلةُ اللهِ هذه ... فإنَّك مرجومٌ غداً أو مسيّفُ
وأحرزنَ منِّي كلَّ حجزةِ مئزرٍ ... لهنَّ فطارَ النَّوفليُّ المزخرفُ
فبتنا قعوداً والقلوبُ كأنَّها ... قطاً شرَّعُ الأشراكِ ممَّا تخوَّفُ
علينا النَّدى طوراً وطوراً يرشُّنا ... رذاذٌ سرى من آخرِ الليلِ أوطفُ
وبتنا كأنَّا بيَّتتْنا لطيمةٌ ... من المسكِ أو خوَّارةُ الرِّيحِ قرقفُ
يُنازعننا لذاً رخيماً كأنَّهُ ... عوائرُ من قطرٍ حداهنَّ صيِّفُ
رقيقُ الحواشي لو تسمَّعَ داهبٌ ... ببطنانَ قولاً مثلهُ ظلَّ يرجفُ
حديثاً لو انَّ البقلَ يُولى ببعضهِ ... نمى البقلُ واخضرَّ العضاهُ المصنّفُ
هو الخلدُ في الدُّنيا لمنْ يستطيعهُ ... وقتلٌ لأصحابِ الصَّبابةِ مذعفُ
ولمَّا رأينَ الصُّبحَ بادرنَ ضوءهُ ... دبيبَ قطا البطحاءِ أو هنَّ أقطفُ
وأدركنَ أعجازاً من الليلِ بعدَما ... أقامَ الصَّلاةَ العابدُ المتحنِّفُ
وما أبنَ حتَّى قلنَ يا ليتَ إنَّنا ... ترابٌ وليتَ الأرضَ بالنَّاسِ تخسفُ
فإنْ ننجُ من هذي ولم يشعروا بنا ... فقد كانَ بعضُ الحينِ يدنو فيصرفُ
فأصبحنَ صرعى في الحجالِ وبيننا ... رماحُ العدى والجانبُ المتخوَّفُ
يبلِّغهنَّ الحاجَ كلُّ مكاتبٍ ... طويلُ العصا أو مقعدٌ يتزحَّفُ
ومكمونةٍ رمداءَ لا يحذرونَها ... مكاتبةٍ ترمي الكلابَ وتحذفُ
رأتْ ورقاً بيضاً فشدَّتْ حزيمَها ... لها فهي أمضى من سليكٍ وألطفُ

ولنْ يستهيمَ الخرَّدُ البيضَ كالدُّمى | هدانٌ ولا هلباجةُ الليل مقرفُ
ولا جبلٌ ترعيَّةٌ أحبنُ النّسا | أغمُّ القفا ضخمُ الهراوة أغضفُ
حليفٌ لوَطْبيْ علبةٍ بقريَّةٍ | عظيمُ سوادِ الشَّخصِ والعودُ أجوفُ
ولكنْ رفيقٌ بالصِّبى متبطرقٌ | خفيفٌ دفيفٌ سابغُ الذَّيلِ أهيفُ
قريبٌ بعيدٌ ساقطٌ متهافتٌ | بكلِّ غيورٍ ذي فتاةٍ مكلّفُ
فتى الحيِّ والأضيافِ إنْ نزلوا بهِ | حذور الضُّحى تلعابةٌ متغطرفُ
يرى الليلَ في حاجاتهنَّ غنيمةً | إذا نامَ عنهنَّ الهدانُ المزيَّفُ
يلمُّ كإلمامِ القطاميّ بالقطا | وأسرعَ منهُ لمسةً حينَ يخطفُ
فاصبحَ في حيثُ التقينا غديَّةً | سوارٌ وخلخالٌ وبردٌ مفوَّفُ
ومنقطعاتٌ من حجولِ تركتُها | كجمرِ الغضا في بعضِ ما يتخطرفُ
وأصبحتُ غرِّيدَ الضُّحى قد ومقتني | بشوقٍ ولمَّاتُ المحبِّينَ تشعفُ

وقال جران العود وتروى للقحيف الخفاجي وللحكم الحضري:

بانَ الأنيسُ فما للقلبِ معقولُ | ولا على الجيرةِ الغادِينَ تعويلُ
أيْما همُ فعداةٌ ما نكلِّمهمْ | وهي الصَّديقُ بها وجدٌ وتخبيلُ
كأنَّني يومَ حثَّ الحاديان بها | نحوَ الأواثةِ بالطَّاعونِ مثلولُ
يومَ ارتحلتُ برحلي قلَ برذَعتي | والقلبُ مُستوهلٌ بالبينِ مشغولُ
ثمَّ اغترزتُ على نِضوي لأرفعهُ | إثرَ الحمول الغوادي وهو معقولُ
فاستعجلتْ عبرةٌ شعواءُ قحَّمها | ماءٌ ومالَ بها في جفنها الجولُ
فقلتُ ما لحمولِ الحيِّ قدْ خفيتْ | أكلَّ طرفيَ أمْ غالتهمُ غولُ
يخفونَ طوراً فأبكي ثمَّ يرفعهمْ | ألُ الضُّحى والهبلاَّتُ المراسيلُ
تخْدي بهمْ رجفُ الألْحي مليَّنةٌ | أظلالهنَّ لأيديهنَّ تنعيلُ
وللحداةِ على آثارهمْ زجلٌ | وللسَّرابِ على الحزَّانِ تبغيلُ
حتَّى إذا حالتِ الشَّهلاءُ دونهمُ | واستوقدَ الحرُّ قالوا قولةً قيلوا
واستقبلوا وادياً جريُ الحمامِ بهِ | كأنَّهُ نوحُ أنباطٍ مثاكيلُ

لم يبقِ من كبدي شيئاً أعيشُ بهِ   طولُ الصَّبابةِ والبيضُ الهراكيلُ

من كلِّ بدَّاءَ في البردينِ يشغلها   عن حاجةِ الحيِّ علاَّمٌ وتحجيلُ

ممَّا تجولُ وِشاحاها إذا انصرفتْ   ولا تحولُ بساقيْها الخلاخيلُ

يستنُّ أعداءَ متنَيها ولبَّتها   مرجَّلٌ منهلٌ بالمسكِ معلولُ

تمرُّهُ عكفَ الأطرافِ ذا غدرٍ   كأنَّهنَّ عناقيدُ القرى الميلُ

هيفُ المردَّى رداحٌ في تأوُّدها   محطوطَة المتنِ والأحشاءِ عُطبولُ

كأنَّ بينَ تراقيها ولبَّتها   جمراً من نجومِ الليلِ تفصيلُ

تشفي من السَّل والبرسامِ ريقتُها   سقمٌ لمنْ أسقمتْ داءٌ عقابيلُ

تشفي الصَّدا أينما مالَ الضَّجيعُ بها   بعدَ الكرى ريقةٌ وتقبيلُ

يصبو إليها ولو كانوا على عجلٍ   بالشِّعبِ من مكَّة الشِّيبُ المثاكيلُ

تسبي القلوبَ فمنْ زوَّارها دنفٌ   يعتدُّ آخرَ دنياهُ ومقتولُ

كأنَّ ضحكتَها يوماً إذا ابتسمتْ   برقٌ سحائبهُ غزرٌ زهاليلُ

كأنَّه زهرٌ جاءَ الجناةُ بهِ   مستطرفٌ طيِّبُ الأرواحِ مطلولُ

كأنَّها حينَ ينضو النومُ مفضلَها   سبيكةٌ لم تخوِّنها المثاقيلُ

أو مزنةٌ كشفتْ عنها الصّبّارَ هجاً   حتَّى بدا ريِّقٌ منها وتكليلُ

أو بيضةٌ بين أجمادٍ يقلِّبها   بالمنكبينِ سخامُ الزِّفِّ إجْفيلُ

يخشى النَّدى فيولِّيها مقاتلهُ   حتَّى يُوافي قرنَ الشَّمسِ ترجيلُ

أو نعجةٌ من إراخِ الرَّملِ أخذلها   عن ألفها واضحُ الخدَّين مكحولُ

بشقَّةٍ من نقا العزَّافِ يسكنُها   جنٌّ الصَّريمةِ والعينُ المطافيلُ

قالتْ لها النَّفسُ كوني عندَ مولدهِ   إنَّ المُسيكينَ إنْ جاوزتِ مأكولُ

فالقلبُ يُعنى بروعاتٍ تفزِّعهُ   واللَّحمُ من شدَّةِ الإشفاقِ مخلولُ

يعتادهُ بفؤادٍ غيرَ مقتَسِمٍ   ودرَّةٍ لم تخوّنها الأحاليلُ

حتَّى احتوى بكرَها بالجوِّ مطّردٌ   سمعمعٌ أهرتُ الشِّدقينِ هُذلولُ

شدَّ المماضغَ منهُ كلَّ منصرفٍ ... من جانبيهِ وفي الخرطومِ تسهيلُ

لم يبقَ من زغبٍ طارَ النَّسيلُ بهِ ... على قَرى ظهرهِ إلاّ شماليلُ

كأنَّ ما بينَ عينيهِ وزبرتهِ ... من صبغهِ في دماءِ القومِ منديلُ

كالرُّمحِ أرقلَ في الكفَّينِ واطَّردتْ ... منهُ القناةُ وفيها لهذمٌ غولُ

يطوي المفاوزَ غيطاناً ومنهلهُ ... من قلَّةِ الحزنِ أحواضٌ عداميلُ

لمَّا دعا الدَّعوةَ الأولى فاسمعها ... ودونهُ شقَّةٌ ميلانِ أو ميلُ

كادَ اللُّعاعُ من الحواذنِ يشحطُها ... ورجرجٌ بين لحييْها خناطيلُ

تُذري الخُزامى بأظلافٍ مخذرفةٍ ... ووقعهنَّ إذا وقعنَ تحليلُ

حتَّى أتتْ مربضَ المسكينِ تنحتهُ ... وحولهُ قطعٌ منها رعابيلُ

بحْثَ الكعابِ لقلبٍ في ملاعبِها ... وفي اليدينِ من الحنَّاءِ تفصيلُ

وقال جران العود:

طربْنا حينَ راجعَنا ادِّكارُ ... وحاجاتٌ عرضنَ لنا كبارُ

لحقنَ بنا ونحنُ على ثميلٍ ... كما لحقتْ بقائدها القطارُ

فرقرقتِ النِّطافَ عيونُ صحْبي ... قليلاً ثمَّ لجَّ بها انحدارُ

فظلَّتْ عينُ أجلَدِنا مروحاً ... مراحاً في عواقبهِ ابتدارُ

كشولٍ في معيَّنةٍ مروحٍ ... تشدُّ على وهيَّتها المرارُ

وكنَّا جيرةً بشعابِ نجدٍ ... فحقَّ البينُ وانقطعَ الجوارُ

سما طرفي غداةَ أثَيفياتٍ ... وقد يُهدي التَّشوُّقُ إذ غاروا

إلى ظعنٍ لأختِ بني غفارٍ ... بكابةَ حيثُ زاحمها العفارُ

يرجِّحنَ الحمولَ مصعِّداتٍ ... لعكَّاشٍ وقدْ يئسَ القرارُ

ويمَّمنَ الرِّكابَ بناتِ نعشٍ ... وفينا عن مغاربها ازورارُ

نجومٌ يرعوينَ إلى نجومٍ ... كما فاءتْ إلى الرُّبعِ الظُّؤارُ

فقلتُ وقلَّ ذاكَ لهنَّ منِّي ... سقى بلداً حللنَ بهِ القطارُ

رأيتُ وصُحبتي بخناصراتٍ ... حمولاً بعدَ ما متعَ النَّهارُ

يئينَ على الرِّحالِ وقدْ ترامتْ ... لأيدي العيسِ مهلكةٌ قفارُ
كأنَّ أواسطَ الأكوارِ فينا ... بنونَ لنا نلاعبهمْ صغارُ
فليسَ لنظرَتي ذنبٌ ولكنْ ... سقَى أمثالَ نظرتيَ الدِّرارُ
يكادُ القلبُ من طربٍ إليهمْ ... ومن طولِ الصَّبابةِ يُستطارُ
يظلُّ مجنِّبُ الكنفَيْنِ تهفو ... هفوَّ الصَّقرِ أمسكهُ الإسارُ
وفي الحيِّ الذينَ رأيتَ خودٌ ... شموسُ الأُنسِ آنسةٌ نوارُ
برودُ العارضينِ كأنَّ فاها ... بُعيدَ النَّومِ عاتقةٌ عقارُ
إذا انخضدَ الوسادُ بها فمالتْ ... مَميلاً فهو موتٌ أو خطارُ
تردُّ بفترةٍ عضديكَ عنها ... إذا اعتُنقتْ ومالَ بها انهِصارُ
يكادُ البعلُ يشربُها إذا ما ... تلقَّاهُ بنشوتِها انبهارُ
شميماً تنشرُ الأحشاءُ منهُ ... وحبّاً لا يباعُ ولا يعارُ
ترى منها ابنَ عمِّكَ حينَ يُضحي ... نقيَّ اللَّونِ ليسَ بهِ غبارُ
كوقفِ العاجِ مسَّ ذكيَّ مسكٍ ... يجيءُ به منَ اليمينِ التِّجارُ
إذا نادى المُنادي باتَ يبكي ... حذارَ الصُّبحِ لو نفعَ الحذارُ
ودَّ اللَّيلُ زيدَ عليهِ ليلٌ ... ولمْ يخلْ له أبداً نهارُ
يردُّ تنفُّسَ الصَّعداءِ حتَّى ... يكونُ مع الوتينِ له قرارُ
يكادُ الموتُ يدركهُ إذا ما ... بدا الثَّديانِ وانقلبَ الإزارُ
كأنَّ سبيكةً صفراءَ شِيفتْ ... عليها ثمَّ لِيثَ بها الخمارُ
يبيتُ ضجيعُها بمكانِ دلٍّ ... وملحٍ ما لدرَّتهِ غرارُ

الرحال بن محدوج

وقال الرحال بن مجدوح النميري، يهجو امرأته مثلما هجا جران العود امرأته، وكانا صديقين، وليست من الألف المختارة:

أقولُ لأصحابي الرّواحَ فقرِّبوا ... جُماليَّةً وجناءَ توزعُ بالنَّقرِ

وقرَّبنَ ذيَّالاً كأنَّ سراتهُ　　　سراةَ نقا العزَّافِ لبّدهُ القطرُ

فقلنَ أرحْ لا تحبسِ القومَ إنَّهمْ　　　ثَووا أشهراً قد طال ما قد ثوى السَّفرُ

فقامتْ بئيساً بعد ما طالَ نزرها　　　كأنَّ بها فتراً وليسَ بها فترُ

قطيعٌ إذا قامتْ قطوفٌ إذا مشتْ　　　خطاها وإن لم تألُ أدنى منَ الشّبرِ

إذا نهضت من بيتها كانَ عقبةً　　　لها غولُ ما بين الرّواقين والسترِ

فلا باركَ الرحمنُ في عودِ أهلها　　　عشيَّةَ زفُّوها ولا فيكِ من بكرِ

ولا باركَ الرحمنُ في الرَّقمِ فوقهُ　　　ولا بارك الرحمن في القطفِ الحمرِ

ولا في حديثٍ بينهنَّ كأنَّهُ　　　نئيمُ الوصايا حين غيَّبها الخدرُ

ولا جلوةٍ منها يحلِّينني بها　　　ألا ليتني غيِّبتُ قبلكِ في القبرِ

ولا في سقاطِ المسكِ تحتَ ثيابها　　　ولا في القوارير الممسكةِ الخضرِ

ولا فرشٍ ظوهرْنَ من كلِّ جانبٍ　　　كأنِّي أكوَّى فوقهنَّ من الجمرِ

ولا الزَّعفرانِ حينَ شحَّنها بهِ　　　ولا الحلي منها حين نيطَ إلى النَّحرِ

ولا رقةَ الأثوابِ حينَ تلبَّستْ　　　لنا في ثيابٍ غيرَ خشنٍ ولا قطرِ

ولا عجزٍ تحتَ الثّيابِ نبيلةٍ　　　تديرُ لها العينين بالنَّظرِ الشَّزرِ

وجهّزتها قبلَ المحاقِ بليلةٍ　　　فكانَ محاقاً كلُّهُ ذلكَ الشَّهرِ

وقد مرَّ تجرٌ فاشتروا لي بناءها　　　وأثوابها لا بارك الله في التَّجرِ

ولا فيَّ إذ أحبو أباها وليدةً　　　كأنيَّ مسقيٌّ يعلُّ من الخمرِ

وما غرَّني إلاّ خضابٌ بكفِّها　　　وكحلٌ بعينيها وأثوابها الصُّفرِ

وسالفةٍ كالسَّيفِ زايلَ غمدهُ　　　وعينٍ كعينِ الرِّئمِ في البلدِ القفرِ

وشبهِ قناةٍ لدْنةٍ مستقيمةٍ　　　وذاتِ ثنايا خالصاتٍ من الحبرِ

وإن جلستْ وسطَ النِّساءِ شهرنها　　　وإن هي قامتْ فهيَ كاملةُ الشِّبرِ

فلما برزناها الثِّيابَ تبيَّنتْ　　　طماحَ غلامٍ قد أجدَّ بهِ النَّقرُ

دعاني الهوى نحو الحجازِ مصعَّداً　　　وإنِّي وإيَّاها لمختلفا النَّجرِ

ألا ليتهمْ زفُّوا إليَّ مكانها　　　شديدَ القصيرى ذا عرامٍ من النُّمرِ

إذا شدَّ لم ينكلْ وإنْ همَّ لم يهبْ جريء الوقاعِ لا يورِّعهُ الزَّجرُ

ألا ليتَ أنَّ الذِّئبَ جلَّلَ درعها وإن كانَ ذا نابٍ حديدٍ وذا ظفرِ

تقول لتربيها سراراً هديتما لعلَّ الذي غنَّى به صاحبي مكرُ

فقلتُ لها كلاّ وما رقصتْ لهُ مواشكةٌ تنجو إذا قلقَ الضَّفرُ

أحبُّكِ ما غنَّتْ بوادٍ حمامةٌ مطوَّقةٌ ورقاءُ في هدبٍ خضرِ

لقد أصبحَ الرَّحالُ عنهنَّ صادفاً إلى يوم يلقى الله أو آخرَ العمرِ

عليكمْ بربَّاتِ النِّمارِ فإنَّني رأيتُ صميمَ الموتِ في النَّقبِ الصُّفرِ

زهير بن جناب

وقال زهير بن جناب بن هبل أحد بني عبد الله بن كنانة بن بكر بن عوف ابن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن ثور بن كلب:

أمنْ آلِ سلمى ذا الخيالُ المؤرِّقُ وقد يمقُ الطَّيفَ الطَّروبُ المشوَّقُ

وأنَّى اهتدتْ سلمى وسائلَ بيننا وما دونها من مهمهِ الأرضِ يخفقُ

فلمْ ترَ إلاّ هاجعاً عندَ حرَّةٍ على ظهرها كورٌ عتيقٌ ونمرقُ

فلمَّا رأتني والطَّليحَ تبسَّمتْ كما انهلَّ أعلى عارضٍ يتألَّقُ

فحيَّاكِ ودٌّ زوِّدينا تحيَّةً لعلَّ بها عانٍ من الكبلِ يطلقُ

فردَّتْ سلاماً ثمَّ ولَّتْ بحلفةٍ ونحنُ لعمري يا ابنةَ الخيرِ أشوقُ

فيا طيبَ ماريَّا ويا حسنَ منظرٍ لهوتُ بهِ لو أنَّ رؤياكِ تصدقُ

ويوماً بابليٍّ عرفتُ رسومها وقفتُ عليها والدُّموعُ ترقرقُ

فكادت تبينُ الوحيَ لما سألتها فتخبرنا لو كانتِ الدَّارُ تنطقُ

فيا رسمَ سلمى هجتَ للعينِ عبرةً وحزنا سقاكِ الوابلُ المتبعِّقُ

ألمْ تذكري إذ عيشنا بكِ صالحٌ وإذ أهلنا ودٌّ ولم يتفرَّقوا

ولمَّا اعتليتُ الهمَّ عدَّيتُ جسرةً زورَّةَ أسفارٍ تخبُّ وتعنقُ

جماليَّة أمَّا السَّنامُ فسامكٌ وأما مكانُ الرِّدفِ منها فمحنقُ

شويفيةُ النَّابين لم يغذُ درُّها ... فصيلاً ولم يحملْ عليها موسِّقُ

إذا قلتُ عاجٍ جلَّحتْ مشمعلَّةً ... كما ارمدَّ أدفي ذو جناحينِ نقنقُ

أبى قومنا أن يقبلوا الحقَّ فانتهوا ... إليه وأنيابٌ من الحربِ تحرقُ

فجاءوا إلى رجراجةٍ متمئرَّةٍ ... يكادُ المرنِّي نحوها الطَّرفَ يصعقُ

دروعٌ وأرماحٌ بأيدي أعزَّةٍ ... وموضونةٍ مما أفادَ محرِّقُ

وخيلٍ جعلناها دخيلَ كرامةٍ ... عقاداً ليوم الحربِ تحفى وتغبقُ

فما برحوا حتَّى تركنا رئيسهمْ ... تعفِّرُ فيه المضرحيُّ المذلقُ

فكائنْ ترى من ماجدٍ وابن ماجدٍ ... به طعنةٌ نجلاءُ للوجهِ تشهقُ

فلا غروَ إلاّ يومَ جاءتْ عطينةٌ ... ليستلبوا نسوانها ثمَّ يعنقوا

موالي يمينٍ لا موالي عتاقةٍ ... أشابةُ حيٍّ ليسَ فيهمُ موفَّقُ

عنترة

وقال عنترة بن عمرو بن شداد العبسيّ:

هلْ غادرَ الشُّعراءُ من متردِّمِ ... أم هل عرفتَ الدَّارَ بعد توهُّمِ

يا دارَ عبلةَ بالجواءِ تكلَّمي ... وعمي صباحاً دارَ عبلةَ واسلمي

فوقفتُ فيها ناقتي وكأنَّها ... فدنٌ لأقضي حاجةَ المتلوِّمِ

وتحلُّ عبلةُ بالجواءِ وأهلنا ... بالحزنِ فالصمَّانِ فالمتثلِّمِ

حيِّيتَ من طللٍ تقادم عهدهُ ... أقوى وأقفرَ بعدَ أمِّ الهيثمِ

حلَّتْ بأرضِ الزَّائرينَ فأصبحتْ ... عسراً عليَّ طلابها ابنةَ مخرمِ

علِّقتها عرضاً وأقتلُ قومها ... زعماً لعمرُ أبيك ليسَ بمزعمِ

ولقدْ نزلتِ فلا تظنِّي غيرهُ ... مني بمنزلةِ المحبِّ المكرمِ

كيف المزارُ وقد تربَّعَ أهلها ... بعنيزتينِ وأهلنا بالغيلمِ

إن كنتِ أزمعتِ الفراقَ فإنَّما ... زمَّتْ ركابكمُ بليلٍ مظلمِ

ما راعني إلاّ حمولةُ أهلها ... وسطَ الدِّيارِ تسفُّ حبَّ الخمخمِ

فيها اثنتانِ وأربعونَ حلوبةً ... سوداً كخافيةِ الغرابِ الأسحمِ
إذ تستبيكَ بذي غروبٍ واضحٍ ... عذبٍ مقبَّلهُ لذيذِ المطعمِ

وكأنَّ فارةَ تاجرٍ بقسيمةٍ ... سبقتْ عوارضها إليكَ من الفمِ
أو روضةً أنفاً تضمَّنَ نبتها ... غيثٌ قليلُ الدِّمنِ ليسَ بمعلمِ
جادتْ عليه كلُّ بكرٍ حرَّةٍ ... فتركنَ كلَّ قرارةٍ كالدِّرهمِ
سحّاً وتسكاباً فكلُّ عشيَّةٍ ... يجري عليها الماءُ لم يتصرَّمِ
وخلا الذُّبابُ بها فليسَ ببارحٍ ... غرداً كفعلِ الشَّاربِ المترنِّمِ
غرداً يحكَّ ذراعهُ بذراعهِ ... قدحَ المكبِّ على الزِّنادِ الأجذمِ
تمسي وتصبح فوقَ ظهرِ حشيَّةٍ ... وأبيتُ فوقَ سراةِ أدهمَ ملجمِ
وحشيَّتي سرجٌ على عبلِ الشَّوى ... نهدٍ مراكلهُ نبيلُ المحزمِ
هل تبلغنِّي دارها شدنيَّةٌ ... لعنتْ بمحرومِ الشَّرابِ مصرَّمِ
خطَّارةٌ غبَّ السُّرى زيَّافةٌ ... تطسُ الإكامَ بوقعِ خفٍّ ميثمِ
وكأنما أقصُ الإكامَ عشيَّةً ... بقريبِ بينَ المنكبينِ مصلَّمِ
تأوي لهُ قلصِ النَّعامِ كما أوتْ ... حزقٌ يمانيةٌ لأعجمَ طمطمِ
يتبعنَ قلَّةَ رأسهِ وكأنَّهُ ... حرجٌ على نعشٍ لهنَّ مخيَّمُ
صعلٍ يعوذُ بذي العشيرةِ بيضهُ ... كالعبد ذي الفرو الطِّوالِ الأصلمِ
شربتُ بماءِ الدُّحرضينِ فأصبحتْ ... زوراءَ تنفرُ عن حياضِ الدَّيلمِ
وكأنَّما ينأى بجانبِ دفِّها ال ... وحشي من هزجِ العشيّ مؤوَّمِ
هرٌّ جنيبٌ كلَّما عطفت لهُ ... غضبى اتَّقاها باليدينِ وبالفمِ
بركتْ على جنبِ الرِّداعِ كأنما ... بركتْ على قصبٍ أجشَّ مهضَّمِ
وكأنَّ رباً أو كحيلاً معقداً ... حشَّ الوقودَ به جوانبُ قمقمِ
ينباعُ من ذفرى غضوبٍ حرَّةٍ ... زيَّافةٍ مثلِ الفنيقِ المكدمِ
إن تُغدفي دوني القناعَ فإنَّني ... طبٌّ بأخذِ الفارسِ المستلئمِ

أثني عليَّ بما علمتِ فإنَّني سمحٌ مُخالقتي إذا لم أُظلمِ

فإذا ظلمتُ فإنَّ ظلميَ باسلٌ مرٌّ مذاقتهُ كطعمِ العلقمِ

ولقدْ شربتُ منَ المدامةِ بعدَما ركدَ الهواجرُ بالمشوفِ المعلمِ

بزجاجةٍ صفراءَ ذاتَ أسرَّةٍ قُرنتْ بأزهرَ في الشِّمالِ مفدَّمِ

فإذا شربتُ فإنَّني مستهلكٌ مالي وعِرضي وافرٌ لمْ يُكلمِ

وإذا صحوتُ فما أُقصِّرُ عن ندًى وكما علمتِ شمائلي وتكرُّمي

وحليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً تمكو فرائصهُ كشدقِ الأعلمِ

سبقتْ يدايَ لهُ بعاجلِ طعنةٍ ورشاشِ نافذةٍ كلونِ العندمِ

هلاَّ سألتِ القومِ يا ابنةَ مالكٍ إنْ كنتِ جاهلةً بما لمْ تعلمي

إذْ لا أزالُ على رحالةِ سابحٍ نهدٍ تعاورهُ الكماةُ مكلَّمِ

طوراً يعرِّضُ للطّعانِ وتارةً يأوي إلى حصدِ القسيِّ عرمرمِ

يُخبركِ منْ شهدَ الوقيعةَ أنَّني أغشى الوغى وأعفُّ عندَ المغنمِ

ومدجَّجٍ كرهَ الكماةُ نزالهُ لا مُمعنٍ هرباً ولا مستسلمِ

لمَّا رآني قد نزلتُ أُريدهُ أبدى نواجذهُ لغيرِ تبسُّمِ

جادتْ يدايَ لهُ بعاجلِ طعنةٍ بمثقَّفِ صدقِ الكعوبِ مقوَّمِ

فشككتُ بالرُّمحِ الأصمِّ ثيابهُ ليسَ الكريمُ على القنا بمحرَّمِ

ومشكِّ سابغةٍ هتكتُ فروجَها بالسَّيفِ عن حامي الحقيقةِ معلمِ

رِبذٍ يدلهُ بالقداحِ إذا شتا هتَّاكِ راياتِ التّجارِ ملوَّمِ

فطعنتهُ بالرُّمحِ ثمَّ علوتهُ بمهنَّدٍ صافي الحديدةِ مخذمِ

فتركتهُ جزرَ السِّباعِ ينشنَهُ يقضمنَ قلَّةَ رأسهِ والمعصمِ

عهدي به مدَّ النَّهارِ كأنَّما خضبَ البنانُ ورأسهُ بالعظلمِ

بطلٌ كأنَّ ثيابهُ في سرحةٍ يُحذى نعالَ السِّبتِ ليسَ بتوأمِ

يا شاةَ ما قنصٍ لمنْ حلَّتْ لهُ حرمتْ عليَّ وليتَها لم تحرمِ

فبعثتُ جاريتي فقلتُ لها اذهبي فتحسَّسي أخبارَها لي واعلمي

قالتْ رأيتُ من الأعادي غرَّةً والشَّاةُ ممكنةٌ لمنْ هو مرتمي
فكأنَّما التفتتْ بجيدِ جدايةٍ رشاءٍ من الغزلانِ حرٍّ أرثمِ

نُبِّئتُ عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي والكفرُ مخبثةٌ لنفسِ المنعمِ
ولقد حفظتُ وصاةَ عمِّي بالضُّحى إذْ تقلصُ الشَّفتانِ عن وضحِ الفمِ
في حومةِ الموتِ التي لا تشتكي غمراتِها الأبطالُ غيرَ تغمغُمِ
إذ يتَّقونَ بي الأسنَّةَ لم أخمْ عنها ولكنِّي تضايقَ مُقدمي
لمَّا رأيتُ القومَ أقبلَ جمعهمْ يتذامرونَ كررتُ غيرَ مذمَّمِ
يدعونَ عنترَ والرِّماحُ كأنَّها أشطانُ بئرٍ في لبانِ الأدهمِ
فازورَّ من وقعِ القنا بلبانهِ وشكا إليَّ بعبرةٍ وتحمحمِ
لو كانَ يدري ما المخاطبةُ اشتكَى ولكانَ لو علمَ الكلامَ مكلِّمي
ما زلتُ أرميهمْ بثغرةِ نحرهِ ولبانهِ حتَّى تسربلَ بالدَّمِ
ولقدْ شفَى نفسي وأبرأَ سقمَها قيلُ الفوارسِ ويكَ عنترَ أقدمِ
والخيلُ تقتحمُ الخَبارَ عوابساً ما بينَ شيظمةٍ وأجردَ شيظمِ
ذُللٌ ركابي حيثُ شئتُ مُشايعي لبِّي وأحفزهِ بأمرٍ مبرمِ
ولقدْ خشيتُ بأنْ أموتَ ولم تدرْ في الحربِ دائرةٌ على ابنيْ ضمضمِ
الشَّاتمي عرضي ولمْ أشتمُها والناذرينِ إذا لم ألقهما دمي
إنْ يفعلا فلقدْ تركتُ أباهُما جزرَ السِّباعِ وكلُّ نسرٍ قشعمِ

وقال عنترة:

طالَ الوقوفُ على رسومِ المنزلِ بين اللّكيكِ وبينَ ذاتِ الحرمَلِ
فوقفتُ في عرصاتِها متحيِّراً أسلُ الدِّيارَ كفعلِ منْ لمْ يذهَلِ
أفمنْ بكاءِ حمامةٍ في أيكةٍ ذرفتْ دموعكَ فوقَ ظهرِ المحمَلِ
لمَّا سمعتُ نداءَ مرَّةَ قد علا ومحلِّمٌ ينعونَ رهطِ الأخيلِ
ناديتُ عبساً فاستجابوا بالقنا وبكلِّ أبيضَ صارمٍ لم يُفلَلِ

حتَّى استبحنا آلَ عوفٍ غارةً بالمشرفيِّ وبالوشيجِ الذُّبَّلِ
إنِّي امرؤٌ من خيرَ عبسٍ منصباً شطري وأحمي سائري بالمنصل
وإذا الكتيبةُ أحجمتْ وتلاحمتْ ألفيتُ حسبكَ من معمٍّ مخولِ
والخيلُ تعلمُ والفوارسُ أنَّني فرَّقتُ جمعهمُ بطعنةً فيصلِ
إذ لا أُبادرُ في المضيقِ فوارسي ولا أوكّلُ بالرَّعيلِ الأوَّلِ
إنْ يلحقوا كرُّوا وإن يستلحموا شدُّو وإنْ يلفوْا بضنكِ أنزلِ
عندَ النُّزولِ تكونُ غايةُ مثلنا ويفرُّ كلُّ مضلّلٍ مستوهلِ
ولقدْ أبيتُ على الطّوى وأظلُّهُ حتَّى أنالَ بهِ كريمَ المأكَلِ
بكرتْ تخوِّفني الحتوفَ كأنَّني أصبحتُ عن عرضِ الحتوفِ بمعزلِ
فأجبتُها إنَّ المنيَّةَ منهلٌ لا بدَّ أن أُسقى بذاك المنهَلِ
فاقْني حياءَكِ لا أبالكِ فاعْلمي إنِّي امرؤٌ سأموتُ إنْ لم أُقتَلِ
إنَّ المنيَّةَ لو تمثَّلُ مثِّلتْ مثْلي إذا نزلوا بضنكِ المنزَلِ
والخيلُ ساهمةُ الوجوهِ كأنَّما تُسقى فوارسُها نقيعَ الحنظَلِ

وقال عنترة:

نأتكَ رقاشِ إلاّ عن لمامِ وأمْسى حبلُها خلقَ الرِّمامِ
وما ذِكري رقاشِ وقد أبنَّتْ رحى الأدماتِ عندَ ابنيْ شمامِ
ومسكنُ أهلِنا من نخلِ جزعٍ تبيضُ به مصائيفُ الحمامِ
وقفتُ وصحبَتي بثُعيلباتٍ على أقتادِ عوجٍ كالسَّمامِ
فقلتُ تبيَّنوا ظعناً سراعاً تأمُّ شواحطاً ملثَ الظَّلامِ
لقدْ منَّتكَ نفسكَ يومَ قوٍّ أحاديثَ الفؤادِ المستهامِ
فقدْ كذَبتكَ نفسكَ فاصدُقنها بما منَّتكَ تغريراً قطامِ
ومرقصةٍ رددتُ الخيلَ عنها وقد همَّتْ بإلقاءِ الزِّمامِ
فقلتُ لها اقْصري منهُ وسيري وقدْ علقَ الرَّجائزُ بالخِدامِ
وخيلٍ تحملُ الأبطالَ شعثٍ غَداة الرَّوعِ أمثالَ الزِّلامِ

عناجيحٍ تخبُّ على وَجاها		تثيرُ النَّقعَ بالموتِ الزُّؤامِ
إلى خيلٍ مسوَّمةٍ عليها		حماةُ الرَّوعِ في رهجِ القَتامِ
بأيديهم مهنَّدةٌ وسمرٌ		كأنَّ ظُباتها شعلُ الضِّرامِ
فجاؤوا عارضاً برداً وجئْناً		حريقاً في غريفٍ ذي اضطرامِ

وأسكتَ كلّ صوتٍ غيرَ ضربٍ		وعترسةٍ ومرميٍّ ورامِ
وزعتُ رَعيلها بالرُّمحِ شزراً		على ربذٍ كسِرحانِ الظَّلامِ
أكرُّ عليهمُ مهري كَليماً		قلائدهُ سبائبُ كالقِرامِ
إذا شكَّتْ بنافذةٍ يداهُ		تواردَها منازيعُ السِّهامِ
تقدَّمَ وهو مصطبرٌ مصرٌّ		بقارحهِ على فاسِ اللِّجامِ
يقدِّمهُ فتًى من آلِ قيسٍ		أبوهُ وأمُّهُ من آلِ حامِ
عجوزٌ من بني حامِ بنِ نوحٍ		كأنَّ جبينَها حجرُ المقامِ
وقرنٍ قد تركتُ لدَى مكرٍّ		صريعاً بينَ أصداءٍ وهامِ
تركتُ الطَّيرَ عاكفةً عليهِ		كما تَردي إلى العرُساتِ آمِ
تبيتُ نساؤهُ عجُلاً عليهِ		يراوحنَ التفجُّعَ بالنّدامِ

وقال عنترة في إغارته علي بني ضبَّة:

عَفا الرُّسومَ وباقيَ الأطلالِ		ريحُ الصَّبا وتجرُّمُ الأحوالِ
لعبتْ بعافيها وأخلقَ رسمُها		ووكيفُ كلِّ مجلجلٍ هطَّالِ
كانتْ بنو هندٍ فشطَّ مزارُها		وتبدَّلتْ خيطاً من الآجالِ
فلئنْ صرمتِ الحبلَ يا ابنةَ مالكٍ		وسمعتِ فيَّ مقالةَ العذَّالِ
فلعمرُ جدِّكِ إنَّني لمُشايعي		لبِّي وإنِّي للملوكِ لقالي
وسَلي لكيما تُخبري بفعالِنا		عندَ الوغى ومواقفِ الأهوالِ
والخيلُ تعثرُ بالقنا في جاحمٍ		تهفُو بهِ ويجلنَ كلَّ مجالِ
وأنا المجرِّبُ في المواطنِ كلِّها		من آلِ عبسٍ منصبي وفعالي

منهمْ أبي حقّاً فهمْ لي والدٌ ... والأمُّ من حامٍ فهمْ أخوالي

وأنا المنيَّةُ حينَ تشتجرُ القنا ... والطّعنُ منِّي سابقُ الآجالِ

ولربَّ قرنٍ قدْ تركتُ مجدَّلاً ... بلبانهِ كنواضحِ الجريالِ

تنتابهُ طُلسُ السِّباعِ مُغادراً ... في قفرةٍ متمزِّقِ الأوصالِ

أوجَرتهُ لدنَ المهزَّةِ ذابلاً ... مرنتْ عليهِ أشاجعي وخِصالي

ولربَّ خيلٍ قد وزعتُ رَعيلَها ... بأقبَّ لا ضغنٍ ولا مجفالِ

ومسربلٍ حلقَ الحديدِ مدجَّجٍ ... كاللَّيثِ بينَ عرينةِ الأشبالِ

غادرتهُ للجنبِ غيرَ موسَّدٍ ... متثنِّيَ الأوصالِ عندَ مجالِ

ولربَّ شربٍ قد صبحتُ مدامةً ... ليسوا بأنكاسٍ ولا أوغالِ

وكواعبٍ مثلَ الدُّمى أصبيتُها ... ينظرنَ في خفرٍ وحسنِ دلالِ

وسَلي بنا عكّاً وخثعمَ تُخبري ... وسَلي الملوكَ وطيِّئَ الأجيالِ

أو آلَ ضبَّةَ بالشِّباكِ إذ أسلمتْ ... بكرٌ حلائلَها ورهطَ عقالِ

وبني صباحٍ قد تركْنا منهمُ ... جزراً بذاتِ الرِّمثِ فوقَ أُثالِ

زيداً وسوداً والمقطّعَ أقصدتْ ... أرماحُنا ومجاشعَ بنَ حلالِ

رُعناهمُ بالخيلِ تردي بالقَنا ... وبكلِّ أبيضَ صارمٍ قصَّالِ

يومَ الشِّباكِ فأسلموا أبناءهمْ ... ونواعماً كالرَّبربِ الأطفالِ

منْ مثلِ قومي حينَ تختلفُ القنا ... وإذا تزولُ مقادمُ الأبطالِ

ففدًى لقومي عندَ كلِّ عظيمةٍ ... نفسي وراحلتي وسائرُ مالي

قومْي الصِّمامُ لمنْ أرادُوا ضيمهمْ ... والقاهرونَ لكلِّ أغلبَ خالي

والمُطعمونَ وما عليهمْ نعمةٌ ... والأكرمونَ أباً ومحتدَ خالي

نحنُ الحصى عدداً وسطنا قومَنا ... ورجالُنا في الحربِ غيرُ رجالِ

منَّا المُعينُ على النَّدى بفعالهِ ... والبذلِ في اللّزباتِ بالأموالِ

إنَّا إذا حمسَ الوغى نروي القنا ... ونعفُّ عندَ مقاسمِ الأنفالِ

نأتي الصَّريخَ على جيادٍ ضمَّرٍ ... قبِّ البطونِ كأنَّهنَّ مغالِ

من كلِّ شوهاءِ اليدينِ طمرَّةٍ ومقلَّصٍ عبلِ الشَّوى ذيَّالِ
زايلوا لا تأسينَّ على خليطٍ زالوا بعدَ الأُلى قتلوا بذي أخْثالِ
كانوا يشبُّونَ الحروبَ إذا خبتْ قدُماً بكلِّ مهنَّدٍ قصَّالِ
وبكلِّ محبوكِ السَّراةِ مقلَّصٍ تنمي مناسبهُ لذي العقَّالِ
ومعاودِ التَّكرارِ طالَ مضيُّهُ طعناً بكلِّ مثقَّفٍ عسَّالِ
من كلِّ أروعَ للكماةِ منازلٍ ناجٍ منَ الغمراتِ كالرِّئبالِ

يعطي المئينَ إلى المئينَ مرزَّأً حمَّالِ مفظعةٍ من الأثقالِ
وإذا الأمورُ تخوَّلتْ ألفيتَهم عصمَ الهوالكِ ساعةَ الزِّلزالِ
وهمُ الحماةُ إذا النّساءُ تحسَّرتْ يومَ الحفاظِ وكانَ يومَ نزالِ
يقصونَ ذا الأنفِ الحميِّ وفيهمُ حلمٌ وليسَ حرامهمْ بحلالِ
والمطعمونَ إذا السّنونَ تتابعتْ محلاً وضنَّ سحابها بسجالِ

وقال عنترة أيضاً:

يا عبلَ أينَ من المنيَّةِ مهربي إنْ كانُ ربِّي في السَّماءِ قضاها
وكتيبةٍ لبَّستها بكتيبةٍ شهباءَ باسلةٍ يُخافُ رداها
خرساءَ ظاهرةِ الأداةِ كأنَّها نارٌ يشبُّ سعيرها بلظاها
فيها الكماةُ بنو الكماةِ كأنَّهم والخيلُ تعثرُ في الوغى بقناها
شهبٌ بأيدي القابسينَ إذا بدتْ بأكفِّهم بهرَ الظلامَ سناها
من كلِّ أروعَ ماجدٍ ذي مرَّةٍ مرسٍ إذا لحقتْ خصًى بكلاها
وصحابةٍ شمِّ الأنوفِ بعثتهمْ ليلاً وقد مالَ الكرى بطلاها
فسريتُ في وقبِ الظَّلامِ أقودهمْ حتَّى رأيتُ الشَّمسَ زالَ ضحاها
فلقيتُ في قبلِ الهجرِ كتيبةً فطعنتُ أوَّلَ فارسٍ أولاها
وضربتُ قرني كبشِها فتجدَّلا وحملتُ مهري وسطها فمضاها
حتَّى رأيتُ الخيلَ بعدَ سوادِها كمتَ الجلودِ خضبنَ من جرحاها

يعثرنَ في علقِ النَّجيعِ جوافلاً ... ويطأنَ من حمسِ الوغى صرعاها
فرجعتُ محموداً برأسِ عظيمها ... وتركتُها جزراً لمنْ ناواها
ما سمتْ أُنثى نفسها في موطنٍ ... حتَّى أوفِّي مهرها مولاها
ولا رزأتُ أخا حفاظٍ سلعةً ... إلاّ لهُ عندي بها مثلاها
وأغضُّ طرفي إنْ بدتْ لي جارَتي ... حتَّى يواري جارتي مأواها
إنَّي امرؤٌ سمحُ الخليقةِ ماجدٌ ... لا أتبعُ النَّفسَ اللَّجوجَ هواها
ولئنْ سألتَ بذاكَ عبلةَ أخبرتْ ... أن لا أريدُ منَ النِّساءِ سواها

الحارث بن حلزة

وقال الحارث بن حلزة اليشكري:

آذنتنا ببينِها أسماءُ ... ربَّ ثاوٍ يملُّ منهُ الثَّواءُ
بعدَ عهدٍ لها ببرقةِ شمَّاءَ ... فأدنى ديارها الخلصاءُ
فالمحيَّاةُ فالصِّفاحُ فأعلى ... ذي فتاقٍ فعاذبٍ فالوفاءُ
فرياضُ القطا فأوديةُ الشُّر ... ببِ فالشُّعبتانِ فالأبلاءُ
لا أرى من عهدتُ فيها فأبكي ... اليومَ دلهاً وما يردُّ البكاءُ
وبعينيكَ أوقدتْ هندٌ النَّا ... رَ أخيراً تلوي بها العلياءُ
فتنوَّرتُ نارها من بعيدٍ ... بخزازٍ هيهاتَ منكَ الصّلاءُ
أوقدتْها بينَ العقيقِ فشخصينِ ... بعودٍ فما يلوحُ الضِّياءُ
غيرَ أنِّي قد أستعينُ على اله ... مِّ إذا خفَّ بالثَّويِّ النَّجاءُ
بزفوفٍ كأنَّها هقلةٌ أمُّ ... رئالٍ دويَّةٍ سقفاءُ
آنستْ نبأةً وأعجلها القنَّاصُ ... عصراً وقد دنا الإمساءُ
فترى خلفَها ومنَ الرَّجعِ والو ... قعِ منيناً كأنَّه أهباءُ
وطراقاً من خلفهنَّ طراقٌ ... ساقطاتٌ أودتْ بها الصَّحراءُ
أتلهَّى بها الهواجرَ إذ كلُّ ... ابنِ همٍّ بليَّةٌ عمياءُ

وأتانا منَ الحوادثِ والأنباءِ … خطبٌ نعنى به ونُساءُ

أنَّ إخواننا الأراقمَ يغلونَ … علينا في قولهمْ أحفاءُ

يخلطونَ البريءَ منَّا بذي الذَّ … نب ولا ينفعُ الخليّ الخلاءُ

فاتركوا الطِّيخَ والضَّلالُ وإمَّا … تتعاشوْا ففي التَّعاشي الدَّاءُ

واذكروا حلفَ ذي المجازي وما … قدِّمَ فيه العهودُ والكفلاءُ

حذرَ الرَّيبِ والتَّعدي ولا … ينقضُ ما في المهارقِ الأهواءُ

واعلموا أنَّنا وإيَّاكمُ فيها … اشترطْنا يومَ اختلفنا سواءُ

أعلينا جناحُ كندةَ أن يغ … نمَ غازيهمُ ومنَّا الجزاءُ

أمْ علينا جرى حنيفةَ أو ما … جمعتْ منْ محاربٍ غبراءُ

عنناً باطلاً وظلماً كما … قيلَ لطسمٍ أبوكمُ الأبَّاءُ

زعموا أنَّ كلَّ من ضربَ … العيرَ موالٍ لنا وإنَّا الولاءُ

أمْ جنايا بني عتيقٍ فمنْ يغدرْ … فإنَّا منْ حربِهمْ لبراءُ

أمْ علينا جرَّا أيادٍ كما … نِيطَ بجوزِ المحمَّلُ الأعباءُ

أم علينا جرَّى العبادِ كما … يعترُّ عن حجرةِ الرَّميضِ الظباءُ

أمْ علينا جرَّى قضاعةَ أمْ ليْ … سَ علينا فيما جنوْا أنداءُ

ليسَ منَّا المضرَّبونَ ولا … قيسٌ ولا جندلٌ ولا الحدَّاءُ

وثمانونَ من تميمٍ بأيديهمْ … رماحٌ صدورهنَّ القضاءُ

لمْ يحلُّو بَني رذاحٍ ببرقاءِ … نطاعٍ لهمْ عليهمْ دُعاءُ

تركوهمْ مجلّسينَ وآبوا … بنهابٍ يصمُّ منهُ الحداءُ

وأتوهمْ يسترجعونَ فلمْ … ترجعْ لهمْ شامةٌ ولا زهراءُ

ثمَّ فاؤوا منهمْ بقاصمةِ الظَّ … هرِ ولا يبردُ الغليلَ الماءُ

ثمَّ خيلٌ بعدَ ذاكَ معَ الغَ … لاَّقِ لا رأفةٌ ولا إبقاءُ

ومعَ الجونِ جونِ بني أو … سٍ عنودٌ كأنَّها دفواءُ

أجمعوا أمرهمْ عشاءً فلمَّا أصبحوا أصبحتْ لهمْ ضوضاءُ

من صريخٍ ومن مجيبٍ ومن تصهالِ خيلٍ خلالَ ذاكَ رغاءُ

أينما تلقَ تغلبياً فمطلولٌ عليهِ إذا أصيبَ العفاءُ

أيَّما خصلةٌ أردتمْ فأدُّوها إلينا يسعى بها الأملاءُ

انقشوا ما لدا مليحةَ فالصَّا قبُ فيهِ الأمواتُ والأحياءُ

أو نقشتمْ فالنَّقشُ يجشمهُ القوْ مُ وفيهِ الأسقامُ والإبراءُ

أو سألتمْ عنَّا فكنَّا جميعاً مثلُ عينٍ في جفنها أقذاءُ

أو منعتمْ ما تسئلونَ فمنْ حُدِّ ثتموهُ لهُ علينا العلاءُ

هل أتاكمْ أيامَ يتنهبُ النَّا سُ غواراً لكلِّ حيٍّ عواءُ

إذا رفعنا الجمالَ من سعفِ البحرَ ينِ سيراً حتَّى نهانا الحساءُ

فهزمنا جمعَ ابنِ أمِّ قطامٍ وله فارسيَّةٌ خضراءُ

ثمَّ ملنا على تميمٍ فأحرمنا وفينا من كلِّ قومٍ إماءُ

لا يقيمُ العزيزُ بالبلدِ السَّهلِ ولا ينفعُ الذليلَ النَّجاءُ

ليسَ ينجي الذي يوائلُ منَّا رأسُ طودٍ وحرَّةٌ رجلاءُ

فملكنا بذلكَ النَّاسَ حتَّى ملكَ المنذرُ بن ماءِ السَّماءُ

ملكٌ أضلعَ البريَّةَ لا يوجدُ يوماً فيما لديهِ كفاءُ

كتكاليفِ قومنا إذ غزا المنذرُ هل نحنُ لابنِ هندٍ رعاءُ

إذ أحلَّ العزاءَ قبَّةَ ميسونٍ فأدنى ديارها العوصاءُ

فتأوَّتْ لهُ قراضبةٌ من كلِّ حيٍّ كأنَّهمْ ألقاءُ

فهداهمْ بالأسودينِ وأمرُ اللهِ بلغٌ تشقى بهِ الأشقياءُ

إذ تمنُّونهمْ غروراً فساقتكمْ إليهمْ أمنيَّةٌ أشراءُ

لمْ يغرُّوكمْ غروراً ولكن يرفعُ الآلُ حزمهمْ والضَّحاءُ

أيُّها النَّاطقُ المرقِّشُ عنَّا عندَ عمروٍ ما إن لهُ إبقاءُ

لا تخلنا على غراتكَ إنَّا طالَ ما قد وشى بنا الأعداءُ

فبقينا على الشَّناءةِ تبنيها ... حصونٌ وعزَّةٌ قعساءُ

قبلَ ما اليومَ بيَّضتْ بعيونِ ... النَّاسِ فيها تغيُّظٌ وإباءُ

فكأنَّ المنونَ تردي بنا أع ... صمَ صمٍّ ينجابُ عنهُ العماءُ

مكفهرّاً على الحوادث لا ترْ ... تو ُللدَّهرِ مؤيدٌ صمَّاءُ

إنَّ عمراً لنا لديهِ خلالاً ... غيرَ شكٍّ في كُلهنَّ البلاءُ

ملكنا وابننا وأفضلُ من نمْ ... شي ومن دونِ ما لديهِ الثَّناءُ

إرَميٌّ بمثلهِ جالت الجنُّ ... فآبتْ لخصمها الإجلاءُ

أينما شرَّقتْ شقيقةُ إذ جا ... ءتْ معدٌّ لكلِّ قومٍ لواءُ

حولَ قيسٍ مستلئمينَ بكبشٍ ... قرظيٍّ كأنَّهُ عبلاءُ

وصتيتٍ منَ العواتكِ لا تنْ ... هاهُ إلاّ مبيضَّةٌ رعلاءُ

فحملناهمُ على حزمِ ثهلا ... نَ شلالاً ودمِّيَ الأنساءُ

وجبهناهمُ بطعنٍ كما تنهزُ ... في جمَّةِ الطَّويِّ الدِّلاءُ

وثنيناهمُ بضربٍ كما يخرُ ... جُ من خربةِ المزادِ الماءُ

وفعلنا بهمْ كما قدَّرَ اللهُ ... وما إنَّ للخائنينَ بقاءُ

ما جزعنا تحتَ العجاجةِ إذ وَ ... لَّوا شلالاً وإذ تلظَّى الصِّلاءُ

وفككنا غلَّ امرئِ القيسِ عنهُ ... بعدما طالَ حبسهُ والعناءُ

وأقدناهُ ربَّ غسَّانَ بالم ... نذرِ كرهاً إذ لا تكالُ الدِّماءُ

وأتيناهمُ بتسعةِ أملاكٍ ... كرامٍ أسلابهمُ أغلاءُ

وولدنا عمرو بن أمِّ أناسٍ ... من قريبٍ لمَّا أتانا الحباءُ

مثلها يخرجُ النَّصيحةَ للقوْ ... مِ فلاةٌ من دونها أفلاءُ

فهوَ الرَّبُّ والشَّهيدُ على يوْ ... مِ الحياريْنِ والبلاءُ بلاءُ

وقال الحارث بن حلزة أيضاً وهي مفضلية:

لمنِ الدِّيارُ عفونَ بالحبسِ ... آياتها كمهارقِ الفرسِ

لا شيءَ فيها غيرُ أصورةٍ سفعِ الخدودِ يلحْنَ في الشَّمسِ
أو غيرَ آثارِ الجيادِ بأعْ راضِ الجمادِ وآيةِ الدَّعس
فحبستُ فيها الرَّكبَ أحدسُ في بعضِ الأمورِ وكنتُ ذا حدْسِ
حتَّى إذا التفعَ الظِّباءُ بأطْ رافِ الظِّلالِ وقلنَ في الكنسِ
ويئستُ مما قد شغفتُ بهِ منها ولا يسليكَ كاليأسِ
أنمي إلى حرفٍ مذكَّرةٍ تهصُ الحصى بمواقعٍ خنسِ
خذمٍ نقائلها يطرنَ كأق طاعِ الفراءِ بصحصحٍ شأسِ
أفلا تعدِّيها إلى ملكٍ شهمِ المقادةِ ماجدِ النَّفسِ
وإلى ابن ماريةَ الجوادِ وهلْ شروى أبي حسَّانَ في الإنسِ
يحبوكَ بالزَّغفِ الفيوضِ على هميانها والدُّهمُ كالغرسِ
وبالسَّبيكِ الصُّفرِ يضعفها وبالبغايا البيضِ واللُّعسِ
لا ترتجي للمالِ يهلكهُ سعدُ السُّعودِ إليهِ كالنَّحسِ
فلهُ هنالكَ لا عليهِ إذا دنعتْ أنوفُ القومِ للتَّعسِ

عمرو بن كلثوم

وقال عمرو بن كلثوم التغلبي، وليس في ديوانه سواها إلاّ قطيعتان من الشعر:

ألا هبِّي بصحنكِ فاصبحينا ولا تبقي خمورَ الأندرينا
مشعشعةً كأنَّ الحصَّ فيها إذا ما الماءُ خالطها سخينا
تجورُ بذي اللُّبانةِ عن هواهُ إذا ما ذاقها حتَّى يلينا
ترى الرَّجلَ الشَّحيحَ إذا أمرَّتْ عليهِ لمالهِ فيها مهينا
وإنَّا سوفَ تدركنا المنايا مقدَّرةً لنا ومقدَّرينا
قفي قبلَ التفرُّقِ يا ظعينا نخبِّركِ اليقينَ وتخبرينا
بيومِ كريهةٍ ضرباً وطعناً أقرَّ بهِ مواليكِ العيونا
قفي نسألكِ هلْ أحدثتِ صرماً لوشكِ البينِ أم خنتِ الأمينا

تريكَ إذا دخلتَ على خلاءٍ ... وقد أمنتْ عيونَ الكاشحينا
ذراعيْ عيطلٍ أدماءَ بكرٍ ... تربَّعتِ الأجارعَ والمتونا
وثدياً مثلَ حقِّ العاجِ رخصاً ... حصاناً من أكفِّ اللاَّمسينا
ومتنيْ لدنةٍ طالتْ ولانتْ ... روادفها تنوءُ بما يلينا
وراجعتُ الصِّبى واشتقتُ لمَّا ... رأيتُ جمالها أصلاً حدينا
وأعرضتِ اليمامةُ واشمخرَّتْ ... كأسيافٍ بأيدي مصلتينا
وإنَّ غداً وإنَّ اليومَ رهنٌ ... وبعدَ غدٍ بما لا تعلمينا
فما وجدتْ كوجدي أمُّ سقبٍ ... أضلَّتهُ فرجَّعتِ الحنينا
ولا شمطاءُ لم يتركْ شقاها ... لها من تسعةٍ إلاّ جَنينا
أبا هندٍ فلا تعجلْ علينا ... وأمهلنا نخبِّركَ اليقينا
بأنَّا نوردُ الرَّاياتِ بيضاً ... ونصدرهنَّ حمراً قد روينا
وأيَّامٍ لنا ولهم طوالٍ ... عصيْنا الملكَ فيها أن نَدينا
وسيِّدِ معشرٍ قد توَّجوهُ ... بتاجِ الملكِ يَحمي المحْجرينا
تركْنا الخيلَ عاكفةً عليهِ ... مقلّدةً أعنَّتها صفونا
وقدْ هرَّتْ كلابُ الحيِّ منَّا ... وشذَّبْنا قتادةَ منْ يَلينا
متى ننقلْ إلى قومٍ رَحانا ... يكونوا في اللِّقاءِ لها طَحينا
يكونُ ثقالُها شرقيّ نجدٍ ... ولهوتُها قضاعةُ أجْمعينا
وإنَّ الضِّغنَ بعدَ الضِّغنِ يبدو ... ويظهرُ دائُنا داءً دَفينا
ورثْنا المجدَ قدْ علمتَ معدٌّ ... نُطاعنُ دونهُ حتَّى يَبينا
ونحنُ إذا عمادُ الحيِّ خرَّتْ ... على الأحفاضِ نمنعُ منْ يليْنا

نُدافعُ عنهمُ الأعداءَ قدما ... ونحملُ عنهمُ ما حمَّلونا
نُطاعنُ ما تراخَى النَّاسُ عنَّا ... ونضربُ بالسُّيوفِ إذا غُشينا
بسمرٍ من قنا الخطِّيِّ سمرٍ ... ذوابلَ أو ببيضٍ يعتَلينا

نشقُّ بها رؤوسَ القومِ شقّاً ونخْليها الرِّقابَ فيختَلينا
تخالُ جماجمَ الأبطالِ فينا وسوقاً بالأماعزِ يرتَمينا
نجزُّ رؤوسهم في غيرِ برٍّ فما يدرونَ ماذا يتَّقونا
كأنَّ سيوفَنا منَّا ومنهمْ مخاريقٌ بأيدي لاعبينا
كأنَّ ثيابَنا منَّا ومنهمْ خُضبنَ بأرجوانٍ أو طُلينا
إذا ما عيَّ بالأسنافِ حيٌّ منَ الهولِ المشبَّهِ أنْ يكونا
نصبْنا مثلَ رهوةَ ذاتَ حدٍّ محافظةً وكنَّا السَّابقينا
بفتيانٍ يرونَ القتلَ مجداً وبيضٍ في الحروبِ مجرَّبينا
حُديّا النَّاسِ كلّهم جميعاً مقارعةً بينهمْ عنْ بنينا
فأمَّا يومَ خشيَتنا عليهمْ فتصبحُ خيلُنا عصباً ثُبينا
وأمَّا يومَ لا نخشى عليهمْ فنُمعنُ غارةً متلبِّبينا
برأسٍ من بني جشمِ بنِ بكرٍ ندقُّ به السُّهولةَ والحزونا
بأيِّ مشيئةٍ عمرو بنَ هندٍ تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتزْدرينا
بأيِّ مشيئةٍ عمرو بنَ هندٍ نكونُ لخلفكمْ فيها قَطينا
تهدَّدنا وأوعدَنا رويداً متى كنَّا لأمِّكَ مُقتوينا
فإنَّ قناتَنا يا عمرو أعيتْ على الأعداءِ قبلكَ أنْ تلينا
إذا عضَّ الثِّقافُ بها اشمأزَّتْ وولَّتهمْ عشوْزنةً زبونا
عشوْزنةً إذا انقلبتْ أرنَّتْ تدقُّ قفا المثقَّفِ والجبينا
فهلْ حُدِّثْتَ في جشمَ بنِ بكرٍ بنقصٍ في خطوبِ الأوَّلينا
ورثْنا مجدَ علقمةَ بنِ سيفٍ أباحَ لنا حصونَ المجدَ دينا
ورثتُ مهلهلاً والخيرَ منهُم زهيراً نعمَ ذخرُ الذَّاخرينا
وعتَّاباً وكلثوماً جميعاً بهمْ نلْنا تراثَ الأكرمينا
وذا البُرةِ الذي حُدِّثْتَ عنهُ به نُحمى ونحمي المُحجرينا
ومنَّا قبلةُ السَّاعي كليبٌ فأيُّ المجدِ إلاّ قدْ ولَينا

متى تُعقدْ قرينتُنا بحبلٍ نجذُّ الحبلَ أو نقِصُ القرينا

ونوجَدُ نحنُ أمنعهمْ ذِماراً وأوفاهمْ إذا عقدوا يَمينا

ونحنُ غداةَ أُوقدَ في خُزازى رفدْنا فوقَ رفدِ الرَّافدينا

ونحنُ الحابسونَ بذي أُراطى تسفُّ الجلَّةُ الخورُ الدَّرينا

ونحنُ الحاكمونَ إذا مُنعنا ونحنُ الآخذونَ لما هَوينا

وكنَّا الأيمنينَ إذا الْتقينا وكانَ الأيسرينَ بنوا أبينا

فصالوا صولةً فيمنْ يليهمْ وصُلنا صولةً فيمن يلينا

فآبوا بالنِّهابِ وبالسَّبايا وأُبنا بالملوكِ مصفَّدينا

إليكمْ يا بني بكرٍ إليكمْ ألمَّا تعلموا منَّا اليَقينا

علينا البيضُ واليلبُ اليماني وأسيافٌ يقُمنَ وينحَنينا

علينا كلُّ سابغةٍ دلاصٍ ترى تحتَ النِّجادِ لها غضونا

إذا وضعتْ عن الأبطالِ يوماً رأيتَ لها جلودَ القومِ جُونا

كأنَّ غصونهنَّ متونُ غدرٍ تصفِّقها الرِّياحُ إذا جريَنا

وتحملُنا غداة الرَّوعِ جردٌ عُرفنَ لها نقائذُ وافتُلينا

ورثناهنَّ عن آباءِ صدقٍ نورِّثها إذا مُتنا بنينا

وقدْ علمَ القبائلَ منْ معدٍ إذا قببٌ بأبطحِها بُنينا

بأنَّا المطعِمونَ إذا قدرْنا وأنَّا المهلِكونَ إذا أُتينا

وأنَّا الشاربونَ الماءَ صفواً ويشربُ غيرُنا كدراً وطينا

وأنَّا المانعونَ لِما يلينا إذا ما البيضُ قابلتِ الجفونا

ألا أبلغْ بني الطَّمَّاحِ عنَّا ودعميّاً فكيفَ وجدْتمونا

نزلتمْ منزلَ الأضيافِ منَّا فعجَّلنا القِرى أنْ تشتِمونا

قرَيناكمْ فعجَّلنا قِراكمْ قبيلَ الصُّبحِ مرادةً طَحونا

على آثارِنا بيضٌ كرامٌ نحاذرُ أنْ تقسَّمَ أو تهونا

ظعائنُ من بني جشمٍ بنِ بكرٍ خلطنَ بميسمٍ حسباً ودينا

أخذنَ على بعولتهنَّ عهداً إذا لاقَوا فوارسَ معلَمينا

ليستلبُنَّ أبداناً وبيضاً وأسرى في الحديدِ مقرَّنينا

إذا ما رحنَ يمشينَ الهوَينا كما اضطربتْ متونُ الشَّاربينا

يقتنَ جيادَنا ويقلنَ لستمْ بعولَتنا إذا لمْ تمنَعونا

إذا لمْ نحمهنَّ فلا بقينا لشيءٍ بعدهنَّ ولا حَيينا

وما منعَ الظَّعائنَ مثلُ ضربٍ ترى منهُ السَّواعدَ كالقُلينا

إذا ما الملكُ رامَ النَّاسَ خسفاً أبيْنا أن نقرَّ الخسفَ فينا

ملأْنا البرَّ حتَّى ضاقَ عنَّا وبحرَ الأرضِ نملؤهُ سفينا

لنا الدُّنيا وما أضحى عليها ونبطشُ حينَ نبطشُ قادرينا

بغاةً ظالمينَ وما ظُلمنا ولكنَّا سنبدأُ ظالمينا

إذا بلغَ الرَّضيعُ لنا فطاماً تخرُّ لهُ الجبابرُ ساجدينا

ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

الحصين بن حمام

وقال الحصين بن الحمام، وهي مفضلية، وقرأها على شيخي ابن الخشاب حفظاً:

جزى اللهُ أفناءَ العشيرةِ كلّها بدارةِ موضوعٍ عقوقاً ومأثما

بني عمّنا الأدنينَ منهمْ ورهطُنا فزارةَ إذْ رامتْ بنا الحربُ معظَما

موالينا مولَى الولادةِ منهمُ ومولَى اليمينِ حابساً متقسَّما

ولمَّا رأيتُ الصَّبرَ قد حالَ دونهُ وإنْ كان يوماً كواكبَ مظلما

صبرنا وكانَ الصَّبرُ منَّا سجيَّةً بأسيافنا يقطعنَ كفّاً ومعصَما

نفلِّقُ هاماً من رجالٍ أعزَّةٍ علينا وهمْ كانوا أعقَّ وأظلَما

فليتَ أبا شبلٍ رأى كرَّ خيلنا وخيلهمُ بينَ السِّتارِ وأظلَما

نُطاردهمْ نستنقذُ الجردَ منهمُ ويستنقذونَ السَّمهريَّ المقوّما

عشيَّةَ لا تُغني الرِّماحُ مكانَها ولا النّبلُ إلاّ المشرقيَّ المصمَّما

لدنْ غدوةً حتَّى أتى الليلُ ما ترى منَ الخيلِ إلاّ خارجياً مسوَّما

وأجردَ كالسِّرحامِ يضربهُ النَّدى ومحبوكةً كالسِّيدِ شقَّاءَ صلدما

يطأنَ منَ القتلى ومن قصدِ القنا خباراً فما يجرينَ إلاّ تجشُّما

عليهنَّ فتيانٌ كساهُم محرِّقٌ وكانَ إذا يكسو أجادَ وأكرما

صفائحَ بُصرى أخلصتْها قيونُها ومطَّرداً منْ نسجِ داودَ مبهما

يهزُّونَ سمراً من رماحِ ردينةٍ إذا حرِّكتْ بضَّتْ عواملُها دَما

أثعلبَ لو كنتُم مواليَ مثلَها إذاً لمنعنا حوضكُم أنْ يهدَّما

ولولا رجالٌ من رزامِ بنِ مالكٍ وآلِ سبيعٍ أو أسوءَكَ علقما

وحتَّى تروا قوماً ما تضبُّ لثاتُهم يهزُّونَ أرماحاً وجيشاً عرمرَما

ولا غروَ إلاّ الخضرُ خضرَ محاربٍ يُمشُّونَ حولي حاسراً ومُلأَّما

وجاءتْ جحاشٌ قضُّها بقضيضِها وجمعُ عوالٍ ما أدقَّ وألأما

وهاربةُ البقعاءُ أصبحَ جمعُها أمامَ جموعِ النَّاسِ جمعاً عرمرَما

بمعتركٍ ضنكٍ بهِ قصدُ النَّقا صبرْنا لهُ قدْ بلَّ أفراسَنا دَما

وقلتُ لهمْ يا آلَ ذبيانَ ما لكمْ تفاقدتمُ لا تقدمونَ مقدَّما

أما تعلمونَ يومَ حلفِ عرينةٍ وحلفٍ بصحراءِ الشَّطونِ ومقْسما

وأبلغْ أُنيساً سيِّدَ الحيِّ أنَّهُ يسوسُ أموراً غيرُها كانَ أحزَما

فإنَّكَ لو فارقْتنا قبلَ هذهِ إذنْ لبعثْنا فوقَ قبركَ مأتَما

وأبلغْ تليداً إنْ عرضتَ ابنَ مالكٍ وهلْ ينفعنَّ العلمُ إلاّ المعلِّما

أقيمي عليكِ عبدَ عمروٍ وشايعي على كلِّ ماءٍ وسطَ ذبيانَ خيَّما

وعُوذي بأفناءِ العشيرةِ إنَّما يعوذُ الذَّليلُ بالعزيزِ ليُعصما

جزى اللهُ عنَّا عبدُ عمروٍ ملامةً وعدوانَ سهمٍ ما أدقَّ وألأما

وحيَّ منافٍ قدْ رأينا مكانهُم وقرَّانَ إذا أجرى إلينا وألجَما

وآلَ لقيطٍ إنَّني لو أسوؤهمْ إذاً لكسوتَ العمَّ برداً مسهَّما

وقالوا تبيَّنْ هلْ ترى بينَ واسطٍ ونهْي أكفٍّ صارخاً أعجَما

فألحقنَ أقواماً لئاماً بأصلِهمْ وشيَّدنَ أحساباً وفاجأنَ مغنَما

وأنجينَ منْ أبقينَ منَّا بخطَّةٍ من العذرِ لمْ يدنسْ وإنْ كانَ مُؤلما

أبى لابنِ سلمى أنَّهُ غيرَ خالدٍ مُلاقي المنايا أيَّ صرفٍ تيمَّما

فلستُ بمُبتاعِ الحياةِ بذلَّةٍ ولا مرتقٍ من خشيةِ البينِ سلَّما

ولكنْ خذوني أيَّ يومٍ قدرتمُ عليَّ فحزُّوا الرَّأسَ أنْ أتكلَّما

بآيةِ أنِّي قد فجعتُ بفارسٍ إذا عرَّدَ الأقوامُ أقدمَ مُعلما

عبيد بن الأبرص

وقال عبيد بن الأبرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مرّ بن مالك بن الحارث ابن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة:

أمنْ منزلٍ عافٍ ومنْ رسمِ أطلالِ بكيتُ وهلْ يبكي منَ الشَّوقِ أمثالي

ديارهمُ إذ همُ جميعٌ فأصبحتْ بسابسَ إلاّ الوحشُ في البلدِ الخالي

فإنْ تكُ غبراءُ الجُنينةِ أصبحتْ خلتْ منهمُ واستبدلتْ غيرَ أبدالِ

بما قدْ أرى الحيَّ الجميعَ بغبطةٍ بها واللَّيالي لا تدومُ على حالِ

قليلاً بها الأصواتُ إلاّ عوارفاً وإلاّ عراراً منْ غياهبِ آجالِ

أبعدَ بني عمِّي ورهطي وأخوَتي أُرجِّي ليانَ العيشِ ضلاًّ بتضْلالِ

فلستُ وإنْ أضحَوا مضَوا لسبيلِهمْ بناسيهمْ طولَ الحياةِ ولا سالِ

ألا تقفانِ اليومَ قبلَ تفرُّقٍ ونأيٍ بعيدٍ واختلافٍ وأشغالِ

إلى ظُعنٍ يسلكنَ بينَ تبالةٍ وبينَ أعالي الخَلّ لاحقةَ التَّالي

فلمَّا رأيتُ الحاديينِ تكشَّما ندمتُ على أنْ يذهبَا ناعمي بالِ

رفعْنا عليهنَّ السِّياطَ فقلَّصتْ بنا كلُّ فتلاءِ الذِّراعينِ مرقالِ

خلوجٌ برجْليها كأنَّ فروجَها فيافي سهوبٍ حينَ يُحتثُّ في الآلِ

فألحقْنا بالقومِ كلُّ دِفِقَّةٍ مصدَّرةٍ بالرَّحلِ وجناءَ شمْلالِ

فأُبنا ونازعنَ الحديثَ أوانساً … عليهنَّ جيشانيَّةٌ ذاتُ أغيالِ

فملنَ إلينا بالسَّوالفِ وانتحى … بنا القولُ فيما يشتَهي المرحُ الخالي

كأنَّ صباً جاءتْ بريحِ لطيمةٍ … من المسكِ لا تُسطاعُ بالثَّمنِ الغالي

وريحِ الخُزامى في مذانبِ روضةٍ … جَلا دِمنها سارٍ من المزنِ هطَّالِ

وقال عبيد أيضاً:

تغيَّرتِ الدّيارُ بذي الدَّفينِ … فأوديةُ اللِّوى فرمالُ لينِ

فخرْجا ذروةٍ فلوى ذَيالٍ … يعفِّي أيهُ مرُّ السَّنينِ

تبيَّنَ صاحبي أترى حُمولاً … يشبَّهُ سيرُها عومَ السَّفينِ

جعلنَ الفجَّ منْ رككٍ شمالاً … ونكَّبنَ الطَّويَّ عن اليمينِ

ألا عتبتْ عليَّ اليومَ عِرسي … وقدْ هبَّتْ بليلٍ تشتَكيني

فقالتْ لي كبرتَ فقلتُ حقّاً … لقدْ أخلفتُ حيناً بعدَ حينِ

تُريني آيةَ الإعراضِ عنها … وقطَّتْ في المقالةِ بعدَ لينِ

وحطَّتْ حاجبيْها أنْ رأتْني … كبرتُ وأنْ قدِ ابيضَّتْ قُروني

فقلتُ لها رُويدكِ بعضَ عتْبي … فإنِّي لا أرى أنْ تزْدهيني

وعِيشي بالذي يُغنيكِ حتَّى … إذا ما شئتُ أنْ تنأي فبيني

فإنْ يكُ فاتني أسفاً شبابي … وأمسى الرَّأسُ منِّي كاللّجينِ

وكانَ اللّهوُ حالفني زماناً … فأضحى اليومَ منقطعُ القرينِ

فقدْ ألجُ الخباءَ على العذارَى … كأنَّ عيونهنَّ عيونُ عينِ

يملنَ عليَّ بالأقرابِ طوراً … وبالأجيادِ كالرَّيطِ المصونِ

وأسمرَ قدْ نصبتُ لذي سناءٍ … يرى منِّي مخالطةَ اليقينِ

يحاولُ أنْ يقومُ وقدْ مضتهُ … مغابنةٌ بذي خرصٍ قتينِ

إذا ما عادهُ منَّا نساءٌ … سفحنَ الدَّمعَ من بعدِ الرَّنينِ

وخرقٍ قدْ دعوتُ الجونَ فيهِ … على أدماءَ كالعيرِ الشَّنونِ

وقال عبيد أيضاً:

يا ذا المخوّفنا بقت ل أبيهِ إذلالاً وحينا
أزعمتَ أنَّكَ قدْ قتلْ تَ سراتَنا كذباً ومينا

لوْما على حجرِ بنِ أُ مِّ قطامِ تبكي لا علينا
إنَّا إذا عضَّ الثّقا فُ برأسِ صعدتنا لوينا
نحمي حقيقتنا وبع ضُ القومِ يسقطُ بينَ بيْنا
هلاّ سألتَ جموعَ كن دةَ إذ تولَّوا أينَ أينا
أيَّامَ نضربُ هامهمْ ببواترٍ حتَّى انحنينا
وجموعُ غسَّانَ الملو كُ أتينهمْ وقد انطوينا
لحقاً أياطلُهنَّ قدْ عالجنَ أسفاراً وأينا
ولقدْ صلقنَ هوازناً بنواهلٍ حتَّى ارتوينا
نُعليهمُ تحتَ الضبَّا بِ المشرفيَّ إذا اعتزينا
نحنُ الأُلى فاجمعْ جمو عكَ ثمَّ وجّههمْ إلينا
واعلمْ بأنَّ جيادنا آلينَ لا يقضينَ دينا
ولقدْ أبحنَا ما حميْتَ ولا مُبيحَ لما حميْنا
هذا ولو قدرتْ علي كَ رماحُ قومي ما انتهيْنا
حتَّى تنوشكَ نوشةً عاداتهنَّ إذا انتويْنا
نُغلي السِّباءَ بكلِّ عا تقةٍ شمولٍ ما صحوْنا
ونهينُ في لذَّاتها عظمَ التِّلادِ إذا انتشيْنا
لا يبلغَ الباني ولو رفعَ الدَّعائمَ ما بنيْنا
كمْ رئيسٍ قد قتلْ ناهُ وضيمٍ قد أبيْنا
ولربَّ سيِّدِ معشرٍ ضخمِ الدَّسيعةِ قد رميْنا
عقبانهُ بظلالِ عق بانٍ تيمَّمُ منْ نويْنا
حتَّى تركنا شلوهُ جزرَ السِّباعِ وقد مضيْنا

إنَّا لعمركَ ما يضا ... مُ حليفُنا أبداً لديْنا

وأوانسٍ مثلِ الدُّمى ... حورِ العيونِ قد استبيْنا

وقال عبيد أيضاً:

يا خليليَّ قفا واستخبرا ال ... منزلَ الدَّارسَ عن أهلِ الحلالِ

مثلَ سحقِ البردِ عفا بعدكَ ال ... قطرُ مغناهُ وتأويبُ الشَّمالِ

ولقدْ يغنى بهِ جيرانكَ ال ... ممسكو منكَ بأسبابِ الوصالِ

ثمَّ أكدى ودُّهم إذ أزمعوا ال ... بينَ والأيَّامُ حالٌ بعدَ حالِ

فانصرف عنهمْ بعنسٍ كالوأى ال ... جأبِ ذي العانةِ أو شاةِ الرِّمالِ

نحنُ قدْنا من أهاضيبِ الملا ال ... خيلَ في الأرسانِ أمثالَ السّعالي

شذَّباً يغشينَ منْ مجهولةِ الأ ... رضِ وعثاً من سهولٍ ورمالِ

فانتجعنا الحارثَ الأعرجَ في ... جحفلٍ كالليلِ خطَّارِ العوالي

ثمَّ غادرْنا عديّاً بالقنا ال ... ذّبَّلِ بالسُّمرِ صريعاً في المجالِ

ثمَّ عجْناهنَّ خوصاً كالقطا الق ... اربِ الماءَ من أينِ الكلالِ

نحنُ قرصٍ يومَ جالتْ جولةُ ال ... خيلِ قبّاً عن يمينٍ وشمالِ

كم رئيسٍ يقدمُ الألفَ على الأج ... ردِ السَّابحِ ذي العقبِ الطّوالِ

قدْ أباحتْ جمعهُ أسيافنا البي ... ضُ في الرَّوعةِ من حيٍّ حلالِ

ولنا دارٌ ورثْنا عزَّها الأ ... قدمَ القدموسَ عن عمٍّ وخالِ

منزلٌ دمَّنهُ آباؤنا المو ... رثونَ المجَ في أُولى اللَّيالي

ما لنا فيها حصونٌ غيرُ ما ... المقرباتِ الجردِ تردي بالرِّجالِ

في روابي عدمليٍّ شامخِ الأ ... نفِ فيه إرثُ عزٍّ وكمالِ

فاتَّبعنا دأبَ أولانا الأولى المو ... قدي الحربَ وموفٍ بالحبالِ

وقال عبيد أيضاً:

لمنِ الدِّيارُ بصاحةٍ فحروسِ ... درستْ في الإقفارِ أيَّ دروسِ

إلاّ أوارياً كأنَّ رسومها ... في مهرقٍ خلقِ الدَّواةِ لبيسِ

دارٌ لفاطمةَ الرَّبيعَ بغمرةٍ ... فقفا شرافٍ فهضبِ ذاتِ رؤوسِ
أزمانَ علّقها وإنْ لمْ تكسهِ ... نكساً وشرُّ الدَّاءِ داءُ نكوسِ
وسبتكَ ناعمةٌ صفيّ نواعمٍ ... بيضٍ غرائرَ كالظِّباءِ العيسِ
خودٌ مبتَّلةُ العظامِ كأنَّها ... برديَّةٌ نبتتْ خلالَ غروسِ
أفلا تناسى حبّها بجلالةٍ ... وجناءَ كالأُجمِ المطينِ ولوسِ
رفعَ المرارُ منَ الرَّبيعِ سنامَها ... فنوتْ وأردفَ نابُها بسديسِ
فكأنَّما تحنو إذا ما أُرسلتْ ... عودَ العضاهِ وروقهُ بفؤوسِ
أفنيتُ بهجتَها وفضلَ سنامِها ... بالرَّحلِ بعدَ مخيلةٍ وشريسِ
وأميرِ خيلٍ قد عصيتُ بنهدةٍ ... جرداءَ خاظيةِ السَّراةِ جلوسِ

خُلقتْ على عسبٍ وتمَّ ذكاؤها ... وأحالَ فيها الصُّنعُ غيرَ بجيسِ
وإذا جهدنَ وقلَّ ماءُ نطافها ... وصُلُقنَ في ديمومةٍ إمليسِ
تنفي الأواثمَ عنْ سواءِ سبيلِها ... شركَ الأحزَّةِ وهي غيرُ شموسِ
أمَّا إذا استقبلتَها فكأنَّها ... ذبلتْ من الهنديّ غيرَ يبوسِ
أمَّا إذا ما أدبرتْ فكأنَّها ... قارورةٌ صفراءٌ ذاتُ كبيسِ
وإذا اقتنصنا لا يخفُّ خضابها ... وكأنَّ بركتها مداكُ عروسِ
وإذا رفعنا للحراجِ فنهبُها ... أدنى سوامِ الجاملِ المحبوسِ
هاتيكَ تحملُني وأبيضَ صارماً ... ومجرَّباً في مارنٍ مخموسِ
صدقٍ منَ الهنديِّ أُلبسَ جبَّةً ... لحقتْ بكعبٍ كالنَّواةِ مليسِ
في أسرةٍ يومَ الحفاظِ مصالتٍ ... كالأُسدِ لا ينمى لها بفريسِ
وبنو خزيمةَ يعلمونَ بأنَّنا ... من خيرِهمْ في غبطةٍ وبئيسِ
تُنكي عدوَّهمُ وينصحُ جيبُنا ... لهمُ وليسَ النُّصحُ بالمدموسِ

وقال عبيد أيضاً:

يا دارَ هندٍ عفاها كلُّ هطَّالِ ... بالجوٌّ مثلَ سحيقِ اليمنةِ البالي

جرتْ عليها رياحُ الصَّيف فاطَّرقتْ والرِّيحُ ممَّا تعفِّيها بأذيالِ

حبستُ فيها صحابي كيْ أُسائلُها والدَّمعُ قدْ بلَّ منِّي جيبَ سربالي

شوقاً إلى الحيِّ أيَّامَ الجميعُ بها وكيفَ يطربُ أو يشتاقُ أمثالي

وقدْ علا لمَّتي شيبٌ فودعني منهُ الغواني وداعَ الصَّارمِ القالي

وقد أُسلِّي همومي حينَ تحضرُني بحسرةٍ كعلاةِ القينِ شملالِ

زيَّافةٍ بقتودِ الرَّحلِ ناجيةٍ تفري الهجيرَ بتبغيلٍ وإرقالِ

مقذوفةٍ بلكيكِ اللَّحمِ عن عرضٍ كمفردٍ وحدٍ بالجوِّ ذيَّالِ

هذا وحربٍ عوانٍ قدْ سموتُ لها حتَّى شببتُ لها ناراً بأشعالِ

تحتي مسوَّمةٌ جرداءُ عجْلزةٌ كالسَّهمِ أرسلهُ من كفِّه الغالي

وكبشِ ملمومةٍ بادٍ نواجذهُ شهباءَ ذاتِ سرابيلٍ وأبطالِ

أوجرتُ جفرتهُ خرصاً فمالَ به كما انثنى مخضدٌ من ناعمِ الضَّالِ

وقهوةٍ كرفاتِ المسكِ طالَ بها في دنّها كرُّ حولٍ بعدَ أحوالِ

باكرتهُ قبلَ أن يبدو الصَّباحُ لنا في بيتِ منهمرِ الكفَّينِ مفضالُ

وغيلةٍ كمهاةِ الجوِّ ناعمةٍ كأنَّ ريقتها شيبتْ بسلسالِ

قد بتُّ ألعبها طوراً وتلعبُني ثمَّ انصرفتُ وهيَ منِّي على بالِ

بانَ الشَّبابُ فآلى لا يلمُّ بنا واحتلَّ بي من ملمِّ الشَّيبِ محلالِ

والشيبُ شينٌ لمنْ أرسى بساحتهِ للهِ درُّ سوادِ اللِّمَّةِ الخالي

وقال عبيد أيضاً:

تحاولُ رسماً من سُليمى دكادكا خلاءً تعفِّيهِ الرِّياحُ سواهكا

تبدَّلَ بعدي من سُليمى وأهلها نعاماً ترعاهُ وأُدماً ترائكا

وقفتُ بها أبكي بكاءَ حمامةٍ أركيَّةٍ تدعو الحمامَ الأواركَا

إذا ذكرتْ يوماً من الدَّهرِ شجوها على فرعِ ساقٍ أذرتِ الدَّمعَ سافكا

سراةَ الضُّحى حتَّى إذا ما صبابتي تجلَّتْ كسوتُ الرَّحلَ وجناءَ تامكا

كأنَّ قُتودي فوقَ جأبٍ مطرَّدٍ رأى عانةً تهوي فظلَّ مواشكا

ونحنُ قتلْنا الأجدلينِ ومالكاً   أعزّهما فقداً عليكَ وهالكا
ونحنُ جعلْنا الرُّمحَ قرناً لنحرهِ   فقطَّرهُ كأنَّما كانَ واركا
ونحنُ الأُلى إنْ تستطعكَ رماحُنا   نقدكَ إلى نارٍ لعمرُ إلاهكا
نقدكَ إلى نارٍ وإنْ كنتَ ساخطاً   ولا تنتشرْ نفوسُنا لفدائكا
ويومَ الرَّبابِ قد قتلْنا هُمامها   وحجراً وعمراً قد قتلنا كذالكا
ونحنُ صبحنا عامراً يومَ أقبلوا   سيوفًا عليهنَّ النّجارُ بواتكا
عطفْناهمُ عطفَ الضَّروسِ فأدبروا   سراعاً وقدْ بلَّ النَّجيعُ السَّنابكا
ونحنُ قتلنا مرَّةَ الخيرِ منكمُ   وقرصاً قتلنا كانَ ممَّنْ أولائكا
ونحنُ قتلنا جندلاً في جموعهِ   ونحنُ قتلنا شيخهُ قبلَ ذلكا

وربّكَ لولاهُ لقيتَ الذي لقوا   فذاكَ الذي نجَّاكَ ممَّا هنالكا
ظللتَ تغنِّي أنْ أخذتَ ذليلةً   كأنَّ معدّاً أصبحتْ في حبالكا
وأنتَ امرؤٌ ألهاكَ زقٌّ وقينةٌ   فتصبحَ مخموراً وتُمسي متاركا
عن الوترِ حتَّى أحرزَ الوترَ أهلهُ   فأنتَ تبكِّي إثرهُ متهالكا
فلا أنتَ بالأوتارِ أدركتَ أهلَها   ولا كنتَ إذْ لم تنتصرْ متماسكا

وقال عبيد أيضاً:

أمنْ أمِّ سلمٍ تلكَ لا تستريحُ   وليسَ لحاجاتِ الفؤادِ مريحُ
إذا ذقتُ فاها قلتُ طعمَ مدامةٍ   مشعشعةٍ ترخي الإزارَ قديحُ
بماءِ سحابٍ من أباريقِ فضَّةٍ   لها ثمنٌ في البائعينَ ربيحُ
تبصَّرْ خليلي هلْ ترى من ظعائنٍ   يمانيَّةٍ قد تغتدي وتروحُ
كعومِ سفينٍ في غواربِ لجَّةٍ   يكفِّئها في وسطِ دجلةَ ريحُ
جوانبها تغشَى المتالفَ أشرفتْ   عليهنَّ صهبٌ من يهودَ جنوحُ
وقد أغتدي قبلَ الغطاطِ وصاحبي   أمينُ الشَّظا رخوُ اللّبانِ سبوحُ
إذا حرَّكتهُ السَّاقُ قلتَ مجنَّبٌ   غضيضٌ غذتهُ عهدةٌ وسروحُ

مرابضهُ القيعانُ فرداً كأنَّه ... إذا ما تماشيهِ الظِّباءُ نطيحُ

فهاجَ بهِ حيٌّ غداةً فآسدوا ... كلاباً فكلُّ الضَّارياتُ شحيحُ

إذا خافَ منهنَّ اللّحاقَ نمتْ بهِ ... قوائمُ حمشاتُ الأسافلَ روحُ

وقدْ أتركَ القرنَ الكميَّ بصدرهِ ... مشلشلةٌ فوقَ السِّناتِ تفوحُ

دفوعٌ لأطرافِ الأناملِ ثرَّةٌ ... لها بعدَ إنزافِ العبيطِ نشيحُ

إذا جاءَ سربٌ من نساءٍ يعدنهُ ... تبادرنَ شتَّى كلّهنَّ ينوحُ

وقال عبيد أيضاً:

أمنْ رسومٍ آيُها ناحلُ ... ومنْ ديارٍ دمعكَ الهامِلُ

قد جرَّت الرِّيحُ بهِ ذيلَها ... عاماً وجونٌ مسبلٌ هاطِلُ

حتَّى عفاها صيِّتٌ رعدهُ ... داني النَّواحي مسبلٌ وابلُ

ظلتُ بها كأنَّني شاربٌ ... صهباءَ ممَّا عتَّقتْ بابلُ

بلْ ما بكاءُ الشِّيخِ في دمنةٍ ... وقدْ علاهُ الوضحُ الشَّاملُ

أقوتْ منَ اللاّئي همُ أهلُها ... فما بها إذْ ظعنوا آهلُ

وربَّما حلَّتْ سُليمى بها ... كأنَّها عطبولةٌ خاذلُ

لولا تسلِّيكَ جماليَّةٌ ... أدماءُ دامٍ خفّها باذِلُ

حرفٌ كأنَّ الرَّحلَ منها على ... ذي عانةٍ تحبو لهُ عاقِلُ

يا أيُّها السَّائلُ عن مجدِنا ... إنَّكَ عن مسعاتنا جاهلُ

إنْ كنتَ لم تسمعُ بإبائنا ... فسلْ تنبَّا أيُّها السَّائلُ

سائلْ بنا حجراً غداةَ الوغى ... يومَ تولَّى جمعهُ الحافلُ

يومَ لقُوا سعداً على مأقطٍ ... وحاولتْ منْ دونه كاهلُ

فأوردوا سرباً لهُ ذبَّلاً ... كأنَّهنَّ اللَّهبُ الشَّاعلُ

وعامراً أنْ كيفَ يعلوهمُ ... إذا الْتقينا المُرهفُ النَّاهلُ

وجمعُ غسَّانَ لقيناهمُ ... بجحفلٍ قسطلهُ ذائلُ

قوْمي بنو دودانَ أهلُ الحَجى ... يوماً إذا أُلقحتِ الحائلُ

كمْ فيهمُ من أيّدٍ سيِّدٍ ذي نفحاتٍ قائلٌ فاعِلُ
من قولهُ قولٌ ومنْ فعلهُ فعلٌ ومنْ نائلهُ نائِلُ
القائلُ القولَ الذي مثلهُ يمرعُ منهُ البلدُ الماحِلُ
لا يحرمْ السَّائلَ إنْ جاءهُ ولا يُعفِّي سيبهُ العاذِلُ
الطَّاعنُ الطَّعنةَ يومَ الوغى يذهلُ منهُ البطلُ الباسِلُ

وقال عبيد أيضاً:

أقفرَ منْ أهلهِ ملحوبُ فالقُطبيَّاتُ فالذّنوبُ
فراكسٌ فثُعيْلباتٌ فذا تُ فرقينِ فالقليبُ
فعردةٌ فقفا حبِّرٍ لي سَ بها منهمُ عريبُ
وبُدِّلتْ منْ أهلِها وحوشاً وغيَّرتْ حالَها الخطوبُ
أرضٌ توارثُها شعوبٌ فكلٌّ منْ حلَّها محروبُ
إمَّا قتيلاً وإمَّا هالكاً والشَّيبُ شينٌ لمنْ يشيبُ
عيناكَ دمعهُما سروبُ كأنَّ شأنيهِما شعيبُ
واهيةٌ أو معينٌ مُمع نٌ منْ هضبةٌ دونها لهوبُ
أوْ فلجُ ماءٍ ببطنِ وادٍ للماءِ منْ تحتيهِ قشيبُ

تصبو وأنَّى لكَ التَّصابي أنَّى وقدْ راعكَ المشيبُ
إنْ يكُ حُوِّلَ منها أهلُها فلا بديءٌ ولا عجيبُ
أو يكُ أقفرَ منها أهلُها وعادَها المحلُ والجدوبُ
فكلُّ ذي نعمةٍ مخلوسُها وكلُّ ذي أملٍ مكذوبُ
وكلُّ ذي إبلٍ موروثُها وكلُّ ذي سلبٍ مسلوبُ
وكلُّ ذي غيبةٍ يؤوبُ وغائبُ الموتِ لا يؤوبُ
أعاقرُ كذاتِ رحمٍ أو غانمٌ كمنْ يخيبُ
أفلحْ بما شئتَ فقدْ يُدرَ كُ بالضَّعفِ وقد يُخدعُ الأريبُ

لا يعظُ النَّاسُ منْ لا يعظُ ال دَّهرَ ولا ينفعُ التَّلبيبُ
لا ينفعُ اللُّبُّ عن تعلُّمٍ إلاّ السَّجيَّاتُ والقلوبُ
ساعدْ بأرضٍ إذا كنتَ بِ ها ولا تقلْ إنَّني غريبُ
منْ يسألِ النَّاسَ يحرموهُ وسائلُ اللهَ لا يخيبُ
قد يوصلُ النَّازحُ النَّائي ويُقطعُ ذو السُّهمةِ القريبُ
بلْ إنْ تكنْ قد علَتني كبر ةٌ والشَّيبُ لمنْ يشيبُ
والمرءُ ما عاشَ في تكذيبٍ طولُ الحياةِ لهُ تعذيبُ
بلْ ربَّ ماءٍ وردتهُ آجنٍ سبيلهُ خائفٌ جديبُ
ريشُ الحمامِ على أرجائهِ للقلبِ من خوفهِ وجيبُ
قطعتهُ غدوةً مُشيحاً وصاحبي بادنٌ خبوبُ
عيرانةٌ أُجدٌ فقارُها كأنَّ حاركَها كثيبُ
أخلفَ ما بازلاً سديسُها لاحقَّةٌ هي ولا نيوبُ
كأنَّها منْ حميرِ غابٍ جونٍ بصفحتهِ ندوبُ
أو شببٌ يحتفرُ الرُّخامى تلفُّهُ شمألٌ هبوبُ
فذاكَ عصرٌ وقد أراني تحملُني نهدةٌ سُرحوبُ
مضبَّرٌ خلقُها تضبيراً ينشقُّ عنْ وجهِها السَّبيبُ
زيتيَّةٌ ناقمٌ أبجلُها وليِّنٌ أسرُها رطيبُ
كأنَّها لقوةٌ طلوبٌ تخرُّ في وكرِها القلوبُ
باتتْ على إرمٍ رابي ةً كأنَّها شيخةٌ رقوبُ
فأصبحتْ في غداةٍ قرَّةٍ يسقطُ عنْ ريشِها الضَّريبُ
فأبصرتْ ثعلباً منْ ساعَ ةٍ دونَها سبسبٌ جديبُ
فنفضتْ ريشَها وانتفضَ تْ وهي منْ نهضةٍ قريبُ
فاشْتالَ وارتاعَ منْ حسيسَ ها وفعلهُ يفعلُ المذؤوبُ
يدبُّ من رؤيتِها دبيباً كأنَّ حملاقَها مقلوبُ

فأدركتْهُ فطرحتْهُ وال صَّيدُ منْ تحتِها مكروبُ

فرنَّحتهُ ووضعتهُ فك دَّحتْ وجههُ الحبوبُ

يضغو ومخلبُها في دفِّهِ لا بدَّ حيزومهُ مثقوبُ

وقال عبيد أيضاً:

أمنْ دمنةٍ بجوَّةِ سرغدِ تلوحُ كعنوانِ الكتابِ المجدَّدِ

لسعدةَ إذ كانتْ تُثيبُ بودِّها وإذْ هيَ لا تلقاكَ إلاّ بأسعدِ

وإذْ هي حوراءُ المدامعِ طفلةٌ كمثلِ مهاةٍ حرَّةٍ أمِّ فرقدِ

تُراعي به نبتَ الخمائلِ بالضُّحى وتأوي بهِ إلى أراكٍ وغرقدِ

وتجعلهُ في سربِها نصبَ عينِها وتثني عليهِ الجيد في كلِّ مرقدِ

فقدْ أورثتْ في القلبِ سقماً يعودهُ عياداً كسمِّ الحيَّةِ المتردِّدِ

غداةَ بدتْ منْ سترِها وكأنَّما يحفُّ ثناياها بحالكِ إثمدِ

وتبسمُ عن عذبِ اللّثاثِ كأنَّهُ أقاحي الرُّبى أضحى وظاهرهُ ندي

فإنِّي إلى سُعدى وإنْ طالَ نأيُها إلى نيلِها ما عشتُ كالحائمِ الصَّدي

إذا كنتَ لا تعبأ برأيٍ ولا تطعْ إلى اللُّبِّ أو تُرعي إلى قولِ مرشدِ

فلا تتَّقي ذمَّ العشيرةِ كلِّها وتدفعُ عنها باللِّسانِ وباليدِ

وتصفحُ عن ذي جهلِها وتحوطُها وتقمعُ عنها نخوةَ المتهدِّدِ

وتنزلُ منها بالمكانِ الذي بهِ يُرى الفضلُ في الدُّنيا على المتحمِّدِ

فلستَ وإنْ علَّلتَ نفسكَ بالمنى بذي سؤددٍ بادٍ ولا كربِ سيِّدِ

لعمركَ ما يخشى الجليسُ تفحُّشي عليهِ ولا أنأى على المتودِّدِ

ولا أبتغي ودَّ امرئٍ قلَّ خيرهُ وما أنا عنْ وصلِ الصَّديقِ بأصيدِ

وإنِّي لأُطفي الحربَ بعدَ شبوبِها وقد أُوقدتْ للغيِّ في كلِّ موقدِ

فأوقدتُها للظَّالمِ المصطلَي بها إذا لمْ يرعهُ رأيهُ عنْ تودّدِ

وأغفرُ للمولى هناةً تريبُني فما ظلمهُ ما لمْ ينلْني بمحقدِ

ومنْ رامَ ظُلمي منهمُ فكأنَّما توقَّصَ حيناً من شواهقِ صنددِ

وإنِّي لذو رأيٍ يُعاشُ بفضلِه وما أنا منْ علمِ الأمورِ بمبتدِ

إذا أنتَ حمَّلتَ الخؤونَ أمانةً فإنَّكَ قدْ أسندْتَها شرَّ مسندِ

وجدتُ خؤونَ القومِ كالعرِّ يُتَّقى وما خلتُ غمَّ الجارِ إلاَّ بمعهدِ

ولا تظهرنْ ودَّ امرئٍ قبل خبرِهِ وبعدَ بلاءِ المرءِ فاذممْ أوِ احمدِ

ولا تتبعنَّ الرَّأيَ منهُ تقصُّهُ ولكنْ برأيِ المرءِ ذي اللُّبِّ فاقتدِ

ولا تزهدنْ في وصلِ أهلِ قرابةٍ لذخرٍ وفي صرمِ الأباعدِ فازهدِ

وإنْ أنتَ منَ الدُّنيا متاعاً فإنَّهُ على كلِّ حالٍ خيرُ زادِ المزوَّدِ

تمنَّى مُريءُ القيسِ موتي وإنْ أمتْ فتلكَ سبيلٌ لستُ فيها بأوحدِ

لعلَّ الذي يرجو رداي وموْتتي سفاهاً وجبْناً أن يكونَ هو الرَّدي

فما عيشُ منْ يرجو خِلافي بضائري ولا موتُ منْ قدْ فاتَ قبلي بمُخلدي

وللمرءِ أيَّامٌ تعدُّ وقدِّمتْ حبالُ المنايا للفتى كلَّ مرصدِ

منيَّتهُ تجري لوقتٍ وقصرهُ مُلاقاتها يوماً على غيرِ موعدِ

فمنْ لمْ يمتْ في اليومِ لا بدَّ أنَّهُ سيعلقهُ حبلُ المنيَّةِ من غدِ

فقلْ للَّذي يبغي خلافَ الذي مضى تهيَّأ لأُخرى مثلَها فكأنْ قدِ

فإنَّا ومنْ قدْ بادَ منَّا لكالَّذي يروحُ وكالقاضي البتاتِ ليغْتدي

وقال عبيد أيضاً:

لمنْ جِمالٌ قبيلَ الصُّبحِ مزمومهْ ميمِّماتٍ بلاداً غيرَ معلومَهْ

عالينَ رقماً وأنماطاً مظاهرةً وكِلَّةٍ بعتيقِ العقلِ مرقومَهْ

من عبقريٍّ عليها إذ غدوْا صبحٌ كأنَّها منْ نجيعِ الجوفِ مدمومَهْ

كأنَّ ظعنهمُ نخلٌ موسَّقةٌ سودٌ ذوائبها بالحملِ مكمومَهْ

فيهنَّ هندٌ وقدْ هامَ الفؤادُ بها بيضاءُ آنسةٌ بالحسنِ موسومَهْ

في إنَّها كمهاةِ الجوِّ ناعمةٌ تُدني النَّصيفَ بكفٍّ غيرِ موشومَهْ

كأنَّها ريقتها بعدَ الكرى اغتبقتْ صهباءَ صافيةً بالمسكِ مختومَهْ

مِمَّا يغالي بها البيّاعُ عتَّقها ذو شاربٍ أصهبٌ يُغلى بها السِّيمَهْ

يا منْ لبرقٍ أبيتُ الليلَ أرقبهُ في مكفهرٍّ وفي سوداءَ ديمومَهْ

فيرقُها حرِقٌ وماؤها دفِقٌ وتحتها ريّقٌ وفوقَها ديمَهْ

فذلكَ الماءُ لو أنِّي شربتُ بهِ إذاً شفا كبداً شكاءَ مكلومَهْ

هذا ودويَّةٍ يعيا الهُداةُ بها ناءٍ مسافتُها كالبُردِ ديمومَهْ

جاوزتُ مهمهَ يهماها بعيْهمةٍ عيرانةٍ كعلاةِ القينِ معقومَهْ

أرمي بِها عرُضَ الدَّويِّ ضامزةً في ساعةٍ تبعثُ الحرباءَ مسمومَهْ

ولعبيد وما تدخل في القصائد:

سقى الرَّبابَ مُجلجلُ الأ كنافِ لمَّاحٌ بروقُهْ

جونٌ تكفكفهُ الصَّبا وهناً وتَمريهِ خريقُهْ

مَريَ العسيفِ عشارهُ حتَّى إذا درَّتْ عروقُهْ

ودنا يُضيءُ ربابهُ غاباً يضرِّمهُ حريقُهْ

حتَّى إذا ما ذرعهُ بالماءِ ضاقَ فما يطيقُهْ

هبَّتْ لهُ منْ خلفهِ ريحٌ شآميَّةٌ تسوقُهْ

حلَّتْ عزاليهُ الجنو بُ فثجَّ واهيةً خروقُهْ

أوس بن حجر

وقال أوس بن حجر التميمي:

ودِّع لميسَ الصَّارمِ اللاَّحي إذ فنَّدتْ في فسادٍ بعدَ إصلاحِ

إذْ تستبيكَ بمصقولٍ عوارضهُ حسنِ اللِّثاثِ عذابٍ غيرِ مملاحِ

كأنَّ ريقتَها بعد الكرى اغتبقتْ من ماءِ أصهبَ في الحانوتِ نضَّاحِ

هبَّتْ تلومُ وليستْ ساعةَ اللاّحي هلاّ انتظرتِ بهذا اللَّومِ إصباحي

قاتلَها اللهُ تلْحاني وقد علمتْ أنِّي لنفسيَ إفسادي وإصلاحي

أنْ أشربِ الخمرَ أو أُرزأ لها ثمناً فلا محالةَ يوماً أنَّني صاحي

ولا محالةَ منْ قبرٍ بمحنيةٍ   وكفنٍ كسراة الثورِ وضَّاحِ

دعِ العجوزينِ لا تسمعْ لقيلهما   واعمدْ إلى سيّدٍ في الحيِّ جحجاحِ

كانَ الشَّبابُ يلهِّينا ويعجبُنا   فما وهبنا ولا بعْنا بأرباحِ

يا منْ لبرقٍ أبيتُ اللَّيلَ أرقبهُ   في عارضٍ كمضيءِ الصُّبحِ لمَّاحِ

دانٍ مسفٍّ فويقَ الأرضِ هيدبهُ   يكادُ يدفعهُ منْ قامَ بالرَّاحِ

كأنَّ ريقهُ لمَّا علا شطباً   أقرابُ أبلقَ ينفي الخيلِ رمَّاحِ

هبَّتْ جنوبٌ بأعلاهُ ومالَ بهِ   أعجازُ مزنٍ يسحّ الماءَ دلاّحِ

فالْتجَّ أعلاهُ ثمَّ ارتجَّ أسفلهُ   وذاقَ ذرعاً بحملِ الماءِ منصاحِ

كأنَّما بينَ أعلاهُ وأسفلهِ   ريطاً ينشَّرهُ أو ضوءُ مصباحِ

ينزعُ جلدَ الحصى أجشُّ مبتركٌ   كأنَّهُ فاحصٌ أو لاعبٌ داحي

فمنْ بنجوتهِ كمنْ بمحفلهِ   والمستكنُّ كمنْ يمشي بقرواحِ

كأنَّ فيهِ عشاراً جلّةً شرفاً   شعثاً لَهاميمَ قد همَّتْ بإرشاحِ

هدلاً مشافرُها بحّاً حناجرها   تُزجي مرابعها في صحصحٍ ضاحي

فأصبحَ الرَّوضُ والقيعانُ ممرعةً   منْ بينِ مرتفقٍ منها ومُنطاحِ

وقال يرثي فضالة بن كلدة الأسدي:

عينيّ لا بدَّ من سكبٍ وتهمالِ   على فضالةَ جلَّ الرُّزءُ والعالِ

جمّا عليهِ بماءِ الشَّأنِ واحتفلا   ليسَ الفقودُ ولا الهلكى بأمثالِ

أمَّا حصانُ فلم تُحجبْ بكلّتها   وطفتُ في كلِّ هذا النَّاسِ أحوالي

على امرئٍ سوقةٍ ممنْ سمعتُ بهِ   أندى وأكملَ منهُ أيّ إكمالِ

أوهبَ منهُ لذي أثرٍ وسابغةٍ   وقينةٍ عند شربٍ ذاتِ أشكالِ

وخارجيٍّ يزكُّ الألفَ معترضاً   وهونةٍ ذاتِ شمراخٍ وأحجالِ

أبا دليجةَ منْ تُوصي بأرملةٍ   أمْ منْ لأشعثَ ذي طمرينِ طملالِ

ومنْ يكونُ خطيبَ القومِ إذْ جعلوا   لدى ملوكٍ أولي كيدٍ وأقوالِ

أمْ منْ لقومٍ أضاعوا بعضَ أمرهمِ   بينَ القسوطِ وبينَ الدِّينِ دلدالِ

خافوا الأصيلةَ واعتلَّتْ ملوكهمُ ... وحمّلوا من أذى غرمٍ بأثقالِ
أبا دليجةَ منْ يكفي العشيرة إذْ ... أمسَوا منَ الأمرِ في لبسٍ وبلبالِ
أمْ منْ لأهلٍ لواءٍ من مسكّعةٍ ... من أمرهم خلطوا حقّاً بإبطالِ
أمْ منْ لعاديةٍ تردِي ململمةٍ ... كأنَّها عارضٌ في هضبِ أوعالِ
لمَّا رأوكَ على نهدٍ مراكلهُ ... يسعى ببزِّ كميٍّ غيرِ معزالِ
وفارسٍ لا يحلُّ الحيُّ عدوتهُ ... ولُّوا سراعاً وما همُّوا بإقبالِ
وما خليجٌ منَ البرُّوتِ ذو حدبٍ ... يرمي الضَّريرَ بخشبِ الطَّلحِ والضَّالِ
يوماً بأجودَ منهُ حينَ تسألهُ ... ولا مغبٌّ بترحٍ بينَ أشبالِ
ليثٌ عليهِ منَ البرديِّ هبريَةٌ ... كالمرزُبانيِّ عيَّالٌ بأوصالِ
يوماً بأجرأَ منه حدَّ بادرةٍ ... على كميٍّ بمهوِ الحدِّ قصّالِ
لا زالَ مسكٌ وريحانٌ لهُ أرجٌ ... على صداكَ بصافي اللَّونِ سلسالِ
سقى صداكَ وُمساهُ ومصبحهُ ... رفهاً ورمسُكَ محفوظاً بأظلالِ
ورَّثتَني ودَّ أقوامٍ وخلَّتهمْ ... وذكرةً منكَ تغشاني بإجلالِ
فلنْ يزالَ ثناءٌ غيرَ ما كذبٍ ... قولَ امرئٍ غيرَ ناسيهِ ولا سالي
لعمرُ ما قدرٌ أجدى بمصرعهِ ... لقدْ أخلَّ بعرشي أيَّ إخلالِ
قدْ كانتِ النَّفسُ لو سامُوا الفداءَ بها ... إليكَ مُسمحةً بالأهلِ والمالِ

وقال يرثيه:

أيَّتها النَّفسُ أجملِي جزعا ... إنَّ الذي تحذرينَ قد وقعا
إنَّ الذي جمَّعَ السَّماحةَ والنَّ ... جدةَ والحزمَ والقوى جُمعا
الألمعي الذي يظنُّ لكَ الظَّ ... نَّ كأنْ قدْ رأى وقدْ سمعا
والمخلفَ المتلفَ المرزّأَ لمْ ... يمتعْ بضعفٍ ولمْ يمتْ طبعا
والحافظُ النَّاسَ في الجدوبِ إذا ... لمْ يرسِلوا تحتَ عائذٍ ربعا
وعزَّتِ الشَّمالُ الرِّياحَ وقدْ ... أمسى ضجيعَ الفتاةِ ملتفِعا

وشُبِّه الهيدبُ العبامُ منَ ال ... أقوامِ سقباً مجللاً فرِعا

وكانتِ الكاعبُ الممنَّعةُ ال ... حسناءُ في زادِ أهلِها سبعا

أودى فلا تنفعُ الإشاحةُ في ... شيءٍ لمنْ قدْ يحاولُ البدعا

ليبكِكَ الشّربُ والمدامةُ ال ... فتيانُ طرّاً وطامعٌ طمعا

وذاتُ هدمٍ بالٍ نواشرُها ... تصمتُ بالماءِ تولباً جدعا

والحيُّ إذْ حاذروا الصَّباحَ بأق ... وامٍ وجاشتْ نفوسهمْ جزعا

وقال أوس أيضاً:

هلْ عاجلٌ منْ متاعِ الحيِّ منظورُ ... أمْ بيتُ دومةَ بعدَ الإلفِ مهجورُ

أمْ هلْ كبيرٌ بكى لم يقضِ عبرتهُ ... إثرَ الأحبّةِ يومَ البينِ معذورُ

لكنْ بفرتاجَ فالخلصاءِ أنتَ بها ... فحنبلٍ فلِوى سرَّاءَ مسرورُ

وبالأُنيعمِ يوماً قد تحلُّ بهِ ... لدى خزازَ ومنها منظرٌ كيرُ

قدْ قلتُ للرَّكبِ لولا أنَّهمْ عجلوا ... عوجوا عليَّ فحيُّوا الحيَّ أو سيروا

قلَّتْ لحاجةِ نفسٍ ليلةٌ عرضتْ ... ثمَّ اقصِدوا بعدَها في السَّيرِ أو جوروا

غرٌّ غرائرُ أبكارٌ نشأنَ معاً ... حسنُ الخلائقِ عمَّا يُتَّقى نورُ

لبسنَ ريطاً وديباجاً وأكسيةً ... شتَّى بها اللَّونُ إلاّ أنها فورُ

ليسَ الحديثُ بنُهبى ينتَهبنَ ولا ... سرٌّ يحدّثنهُ في الحيِّ منشورُ

وقدْ تُلافي بيَ الحاجاتِ ناجيةٌ ... وجناءُ لاحقةُ الرِّجلينِ عيسورُ

تساقطُ المشيَ أفناناً إذا عصبتْ ... إذا ألحَّتْ على ركبانِها الخورُ

حرفٌ أخوها أبوها منْ مهجَّنةٍ ... وعمُّها خالُها وجناءُ مئْشيرُ

وقدْ ثوتْ نصفَ حولٍ أشهراً جدداً ... يسفي على رحلِها بالحيرةِ المورُ

قدْ فارقتْ وهي لمْ تجربْ وباعَ لها ... منَ الفصافصِ بالنُّمِّيَّ سفسيرُ

أبقى التهجُّرَ منها بعدَ كدنتِها ... منَ المحالةِ ما يشغَى بهِ الكورُ

تُلقي الجرانَ وتقلَولي إذا بركتْ ... كما تيسَّرَ للنَّفرِ المها النُّورُ

كأنَّ هرّاً جنيباً غُرضتها ... واصطكَّ ديكٌ برجليْها وخنزيرُ

كأنَّها ذو وُشومٍ بينَ مأفقةٍ ... والقطقانةِ والمذعورُ مذعورُ
أحسَّ ركزَ قنيصٍ منْ بني أسدٍ ... فانصاعَ منثوياً والخطوُ مقصورُ
يسعى بغضفٍ كأمثالِ الحصى زمعاً ... كأنَّ أحناكَها السُّفلى مآشيرُ
حتَّى أشبَّ لهنَّ الثَّورُ من كثبٍ ... فأرسلوهنَّ لمْ يدروا بما ثيروا
ولَّى مجدّاً وأزمعنَ اللَّحاقَ بهِ ... كأنَّهنَّ بجنبيْهِ الزَّنابيرُ
حتَّى إذا قلتَ نالتهُ أوائلُها ... ولو يشاءُ لنجَّتهُ المثابيرُ
كرَّ عليها ولم يفشلْ يُهارشُها ... كأنَّهنَّ بتواليهنَّ مسرورُ
فشكَّها بذليقٍ حدُّهُ سلبٌ ... كأنَّهُ حينَ يعلوهنَّ موتورُ
ثمَّ استمرَّ يُباري ظلَّهُ جذلاً ... كأنَّهُ مرزُبانٌ فازَ محبورُ
يالَ تميمٍ وذو قارٍ لهُ حدبٌ ... منَ الرَّبيعِ وفي شعبانَ مسجورُ
قدْ حلأتْ ناقتي بردٌ وراكبها ... عنْ ماءِ بصوةَ يوماً وهو مهجورُ
فما تناءى بها المعروفُ إذْ نفرتْ ... حتَّى تضمَّنها الأفدانُ والدُّورُ
قومٌ لئامٌ وفي أعناقهمْ عنفٌ ... وسعيهمْ دونَ سعْي النَّاسِ مبهورُ
ويلَ أُمِّهم معشراً جمٌّ بيوتهمُ ... منَ الرِّماحِ وفي المعروفِ تنكيرُ
إذْ يشزِرونَ إليَّ الطَّرفَ عنْ عرضٍ ... كأنَّ أعينهمْ منْ بُغضهمْ عورُ
نكَّبْتها ماءهمْ لمَّا رأيتهمُ ... صهبَ السِّبالِ بأيديهمْ بيازيرُ
مُخلَّفون ويقضي النَّاسُ أمرهمُ ... غُشي الملامةِ صنبورٌ فصنبورُ
لولا الهمامُ الذي تُرجى نوافلهُ ... لنالهمْ جحفلٌ تشقَى بهِ العورُ
لولا الهمامُ لقدْ خفَّتْ نعامتهمْ ... وقالَ راكبهمْ في عصبةٍ سِيروا

وقال أوس أيضاً:

حلَّتْ تماضرُ بعدَنا ربَبا ... فالغمرَ فالمرَّيْنِ فالشَّعبا
حلَّتْ شآميةً وحلَّ قساً ... أهلي فكانَ طِلابها نصبا
لحقتْ بأرضِ المنكرينَ ولمْ ... تمكنْ لحاجةِ عاشقٍ طلبا

شبَّهتُ آياتٍ بقينَ لها ... في الأولينِ زخارفاً قشُبا
تمشي بها ربدُ النَّعامِ كما ... تمشي إماءٌ سُربلتْ جُببا
ولقدْ أروغُ على الخليلِ إذا ... خانَ الخليلُ الوصلَ أو كذبا
بجلالةٍ سرحِ النّجاءِ إذا ... آلُ الجفاجفِ حولَها اضطربا
وكستْ لوامعهُ جوانبَها ... قصصاً وكانَ لأكمها سببا
خلطتْ إذا ما السَّيرُ جدَّ بها ... معْ لينها بمراحها غضبا
وكأنَّ أقْتادي رميتُ بها ... بعدَ الكلالِ ملمَّعاً شببا
منْ وحشِ أنبطَ باتَ منكرساً ... حرجاً يعالجُ مظلماً صخبا
لهقاً كأنَّ سراتهُ كُسيتْ ... خرزاً نقا لمْ يعدُ أنْ قشِبا
حتَّى أُتيحَ لهُ أخو قنصٍ ... شهمٌ يُطر ضوارياً كثبا
يُنحي الدِّماءَ على ترائبها ... والقدَّ معقوداً ومنقضِبا
فذأوْنَهُ شرفاً وكنَّ لهُ ... حتَّى تفاضلَ بينها جلبا
حتَّى إذا الكلابُ قالَ لها ... كاليومِ مطلوباً ولا طلبا
ذكرَ القتالَ لها فراجعَها ... عنْ نفسهِ ونُفوسها ندبا
فنحا بشِرَّتهِ لسابقِها ... حتَّى إذا ما روقهُ اختضبا
كرهتْ ضواريها اللَّحاقَ بهِ ... مُتباعداً منها ومقتربا
وانقضَّ كالدِّرِّيءِ يتبعهُ ... نقعٌ يثورُ تخالهُ طنُبا
يخفى وأحياناً يلوحُ كما ... رفعَ المنيرُ بكفِّه لبا
أبَني لُبينى لمْ أجدْ أحداً ... في النَّاسِ ألأمَ منكمُ حسبا
وأحقّ أنْ يُرمى بداهيةٍ ... إنَّ الدَّواهي تطلعُ الحدبا
وإذا تُسوئلَ عنْ محاتدكمْ ... لمْ توجدوا رأساً ولا ذنَبا

وقال أوس بن حجر أيضاً:

سلا قلبهُ عن سكرهِ فتأمّلا ... وكانَ بذكرى أمِّ عمرٍو موكّلا
وكانَ لهُ الحينُ المتاحُ حمولةً ... وكلُّ امرئٍ رهنٌ بما قدْ تحمّلا

لا أعتبُ ابنَ العمِّ إنْ كنتَ ظالماً وأغفرُ عنهُ الجهلَ إن كانَ أجهلا

وإنْ قالَ لي ماذا ترى يستشرُني يجدْني ابنَ عمٍّ مخلطَ الأمرِ مزيلا

أُقيمُ بدارِ الحزمَ ما دامَ حزمُها وأحرِ إذا حالتْ بأنْ أتحوّلا

وأستبدلُ الأمرَ القويَّ بغيرِه إذا عقدُ مأفونِ الرِّجالِ تحلّلا

فإنِّي امرؤٌ أعددتُ للحربِ بعدَما رأيتُ لها ناباً من الشَّرِّ أعصلا

أصمَّ رُدينيّاً كأنَّ كعوبهُ نوى القسبِ عرّاصاً مزجّاً منصّلا

عليهِ كمصباحِ العزيزِ يشبُّهُ لفصحٍ ويحشوه الذُّبالَ المفتّلا

وأملسَ صوليّاً كنهيِ قرارةٍ أحسَّ بقاعٍ نفخَ ريحٍ فأجفلا

كأنَّ قرونَ الشَّمسِ عندَ ارتفاعِها وقدْ صادفتْ طلقاً منَ النَّجمِ أعزلا

تردَّدَ فيه ضوؤها وشعاعُها فأحصنْ وأزينْ بامرئٍ أنْ تسربلا

وأبيضَ هنديّاً كأنَّ غرارهُ تلألؤُ برقٍ في حبيّ مكلّلا

إذا سلَّ من جفنٍ تأكلَ أثرهُ على مثلِ مصحاةِ اللُّجينِ تأكّلا

كأنَّ مدبَّ النَّملِ يتَّبعُ الرُّبى ومدرجَ ذرٍّ خافَ برداً فأسهلا

على صفحتيهِ من متونِ جلالهِ كفى بالذي أُبلي وأنعتُ منصلا

ومبضوعةٌ من رأسِ فرعٍ شظيَّةٌ بطودٍ تراهُ بالسَّحابِ مجلّلا

على ظهرِ صفوانٍ كأنَّ متونهُ عللنَ بدهنٍ يزلقُ المتنزّلا

يطيفُ بها راعٍ يجشّمُ نفسهُ ليُكلئَ فيها طرفهُ متأمّلا

فلاقى امرأً من ميدعانَ وأسمحتْ قرونتهُ باليأسِ منها فعجّلا

فقالَ لهُ هلْ تذكرنَّ مخبِّراً يدلّ على غنمٍ ويقصرُ معملا

على خيرِ ما أبصرتَها منْ بضاعةٍ لملتمسٍ بيعاً بها أوْ تأكّلا

فويقَ حبيلٍ شامخِ الرَّأسِ لم تكن لتبلغُه حتَّى تكلّ وتعملا

فأبصرَ ألهاباً من الطّودِ دونها ترى بينَ رأسيْ كلِّ نيقين مهبلا

فأشرطَ فيها نفسهُ وهو معصمٌ وألقى بأسبابٍ لها وتوكّلا

وقدْ أكلتْ أظفارهُ الصّخرُ كلما تعايا عليهِ طولُ مرقًى توصّلا

فما زالَ حتَّى نالها وهو معصمٌ على موطنٍ لو زلَّ عنهُ تفصّلا

فأقبلَ لا يرجو التي صعدت بهِ ولا نفسهُ إلاّ رجاءً مؤمّلا

فلمَّا نجا منْ ذلك الكربِ لم يزلْ يمظِّعها ماءَ اللّحاءِ لتذبلا

فأنحى عليها ذاتَ حدٍّ دعا لها رفيقاً بأخذٍ بالمداوسِ صيقلا

على فخذيهِ من برايةِ عودِها شبيهُ سفى البُهمى إذا ما تفتّلا

فجرَّدها صفراءَ لا الطّولُ عابَها ولا قصرٌ أزرى بها فتعطّلا

كتومٌ طلاعُ الكفِّ لا دون ملئِها ولا عجسُها عن موضعِ الكفِّ أفضلا

إذا ما تعاطوْها سمعتَ لصوتِها إذا أنبضوا عنها نئيماً وأزملا

وإنْ شدَّ فيها النَّزعُ أدبرَ سهمُها إلى منتهًى من عجسِها ثمَّ أقبلا

فلمَّا قضى مما يريدُ قضاءهُ وصلَّبها حرصاً عليها فأطولا

وحشوَ جفيرٍ من فروعٍ غرائبٍ تنطَّعَ فيها صانعٌ وتنبّلا

تخيّرنَ أنضاءٌ وركّبنَ أنصلاً كجمرِ الغضا في يومِ ريحٍ تزيّلا

فلمَّا قضى في الصُّنعِ منهنَّ فهمهُ فلم يبقَ إلاّ أنْ تسنَّ وتصقلا

كساهنَّ من ريشٍ يمانٍ ظواهراً سخاماً لُؤاماً ليّن المسِّ أطحلا

تخرنَ إذا أُنفزنَ في ساقطِ النَّدى وإنْ كانَ يوماً ذا أهاضيبَ مخضلا

خوارَ المطافيلِ الملمّعةِ الشَّوى وأطلاءها صادفنَ عرنانَ مبقلا

فذاكَ عتادي في الحروبِ إذا التظتْ وأردفَ بأسٌ من حروبٍ وأعجلا

وذلكَ من جمعي وباللهِ نلتهُ وإن تلقَني الأعداءُ لا ألْقَ أعزلا

وقومي خيارٌ من أُسيّدَ شجعةٌ كرامٌ إذا ما الموتُ خبّ وهرولا

ترى النَّاشئَ المجهولَ منَّا كسيّدٍ تبححَ في أعراضهِ وتأثّلا

وقدْ علموا أنْ من يُرد ذاك منهمُ من الأمرِ يركبْ من عنانِي مسحلا

فإنِّي رأيتُ النَّاسَ إلاّ أقلّهمْ خفافَ العقولِ يُكثِرونَ التنقّلا

بني أُمِّ ذ المالِ الكثيرِ يرونهُ وإن كانَ عبداً سيّدَ الأمرِ جحفلا

وهمْ لمقلّ المالِ أولادُ علّةٍ وإنْ كانَ محضاً في العمومة مُخولا
وليسَ أخوكَ الدائمُ العهدِ بالذي يذمّك إنْ ولّى ويُرضيكَ مقبلا
ولكنْ أخوكَ النّائي ما دمتَ آمناً وصاحبك الأدْنى إذا الأمرُ أعضلا

وقال أيضاً:

تنكَّرَ بعدي من أميمةَ صائفُ فبركٌ فأعلى تولبٍ فالمخالفُ
فقوٌّ فرَهبى فالسَّليلُ فعاذبٌ مطافيلُ عوذِ الوحش فيه عواطفُ
فبطنُ السليِّ فالسِّخالُ تعذَّرتْ فمعقلةٌ إلى الطّراةِ فواحفُ
كأنَّ جديدَ الدَّارِ يُبليك عنهمُ تقيُّ اليمينِ بعدَ عهدكَ حالفُ
بها العينُ والآرامُ ترعى سخالها فطيمٌ ودانٍ للفطامِ وناصفُ
وقدْ سألتْ عنِّي الوشاةُ فخُبِّرتْ وقد نُشرتْ منها لديَّ الصَّحائفُ
كعهدكَ لا عهدُ الشَّبابِ يُضلّني ولا هرمٌ ممَّن توجّهَ دالفُ
وقد أنتحي للجهلِ يوماً وتنتحي ظعائنُ لهوٍ ودُّهنَّ مساعفُ
نواعمُ ما يضحكنَ إلاّ تبسّماً إلى اللَّهوِ قد مالتْ بهنَّ السَّوالفُ
وأدماءَ مثلِ الفحلِ يوماً عرضتُها لرحلي وفيها جرأةٌ وتقاذفُ
فإنْ يهوَ أقوامٌ ردايَ فإنَّما يقيني الإلهُ ما وقَى وأصادفُ
وعنسٍ أمونٍ قد تعلَّلتُ متنها على صفةٍ أو لم يصفْ لي واصفُ
كُميتٍ عصاها النَّقرُ صادقةِ السُّرى إذا قيلَ للحيرانِ أينَ تخالفُ
علاةٍ كنازِ اللَّحمِ ما بينَ خفِّها وبينَ مقيلِ الرَّحلِ هولٌ نفانفُ
علاةٍ من النّوقِ المراسيلِ وهمةٍ نجاةٍ علتْها كبرةٌ فهي شارفُ
جماليّةٍ للرَّحلِ فيها مقدَّمٌ أمونٍ وملقًى للزَّميلِ ورادفُ
يشيِّعها في كلِّ هضبٍ ورملةٍ قوائمُ عوجٌ مجمراتٌ مقاذفُ
توائمُ أُلاّفٌ توالٍ لواحقٌ سواهٍ لواهٍ مربداتٌ خوانفُ
يزلّ قتودُ الرَّحلِ عن دأَياتها كما زلَّ عن رأس الشَّجيجِ المجارفُ
إذا ما ركابُ القومِ زيّل بينَها سُرى الليلِ منها مستكينٌ وصارفُ

علا رأسَها بعدَ الهبابِ وسامحتْ كمحلوجِ قطنٍ ترتميه النَّوادفُ

وأنحتْ كما أنحى المحالةَ ماتحٌ على البئرِ أضحى حوضهُ وهو ناشفُ

يخالطُ منها لينَها عجرفيّةٌ إذا لمْ يكنْ في المُقرفاتِ عجارفُ

كأنَّ ونًى خانتْ بهِ من نظامها معاقدُ فارْفضَّت بهنَّ الطَّوائفُ

كأنَّ كُحيلاً مُعقداً أو عنيَّةٌ على رجعِ ذِفريها من اللَّيثِ واكفُ

ينفِّرُ طيرَ الماءِ منها صريفُها صريفَ محالٍ أقلقتْهُ الخطاطفُ

كأنِّي كسوتُ الرَّحلَ أحقبَ قارباً لهُ بجنوبِ الشَّيِّطينِ مساوفُ

يقلِّبُ قيدوداً كأنَّ سراتَها صفا مدهنٍ قدْ زحفلتْهُ الزَّحالفُ

يقلِّبُ حقباءَ العجيزةِ سمحجاً بها ندبٌ من زرِّهِ ومناسفُ

وأخلفهُ من كلّ وقطٍ ومدهنٍ نطافٌ فمشروبٌ يبابٌ وناشفُ

وحلأها حتَّى إذا هيَ أحنقتْ وأشرفَ فوقَ الحاليينِ الشَّراسفُ

وخبَّ سفا قُريانهِ وتوقَّدتْ عليهِ منَ الصمّانتينِ الأصالفُ

فأضحى بقاراتِ السِّتّارِ كأنَّهُ ربيئةُ جيشٍ فهو ظمآنُ خائفُ

يقولُ لهُ الرَّاؤونَ هذاكَ راكبٌ يُؤبِّنُ شخصاً فوق علياءَ واقفُ

إذا استقبلتهُ الشَّمسُ صدَّ بوجههِ كما صدَّ عن نارِ المهوِّلِ حالفُ

تذكَّرَ عيناً من غمازةَ ماؤها لهُ حببٌ تستنّ فيه الزّخارفُ

لهُ ثئلٌ يهتزُّ جعدٌ كأنَّهُ مخالطُ أرجاءِ العيونِ القراطفُ

فأوردَها التّقريبُ والشَّدُّ منهلاً قطاهُ معيدٌ كرّةَ الوردِ عاطفُ

فلاقى عليها من صباحَ مدمِّراً لناموسهِ من الصَّفيحِ سقائفُ

صدٍ غائرُ العينينِ شقَّقَ لحمهُ سمائمُ قيظٍ فهوَ أسودُ شاسِفُ

أزبُّ ظهورِ السَّاعدينِ عظامهُ على قدرٍ شثنُ البنانِ جنادفُ

أخو قتراتٍ قد تيقَّنَ أنّهُ إذا لم يُصب لحماً من الوحشِ خاسفُ

معاودُ قتلِ الهادياتِ شواؤهُ من اللَّحمِ قُصرى بادنٍ وطفاطفُ

قصيٌّ مبيتِ اللَّيلِ للصيَّدِ مطعمٌ لأسهمهِ غارٍ وبارٍ وراصفُ

فيسَّرَ سهماً راشهُ بمناكبٍ ظهارٍ لؤامٍ فهو أعجفُ شارفُ

على ضالةٍ فزعٍ كأنَّ نذيرها إذا لم تُخفِّضهُ عن الوحشِ عازفُ

فأمهلهُ حتَّى إذا أنْ كأنَّهُ مُعاطي يدٍ من جمّةِ الماءِ غارفُ

وأرسلهُ مستيقنُ الظّنِّ أنَّهُ مخالطُ ما تحتَ الشَّراسيفِ جائفُ

فمرَّ النَّضيُّ للذّراعِ ونحرهِ وللحينِ أحياناً عن النَّفسِ صارفُ

فعضَّ بإبهامِ اليمينِ ندامةً ولهَّفَ سرّاً أُمَّه وهو لاهفُ

وجالَ ولمْ يعكمْ وشيَّعَ إلفهُ بمنقطعِ الغضراءِ شدٌّ مؤالفُ

فما زالَ يبري الشَّدَّ حتَّى كأنَّما قوائمهُ في جانبيهِ الزَّعانفُ

كأنَّ بجنبيهِ جنابينِ من حصًى إذا عدوّهُ مرَّ به متضايفُ

تواعدُ رِجلاها يديهِ ورأسهُ لها قتبٌ فوقَ الحقيبةِ رادفُ

يصرِّفُ للأصواتِ والرِّيحِ هادياً تميمَ النَّضيِّ كدَّحته المناسفُ

ورأساً كدنِّ التَّجرِ جأباً كأنَّما رمى حاجبيهِ بالحجارةِ قاذفُ

كِلا منخريهِ سائفاً أو معشِّراً بما انفضَّ من ماءِ الخياشيمِ راعفُ

وقال أوس أيضاً:

تنكّرتِ منَّا بعدَ معرفةٍ لمي وبعد التَّصابي والشَّبابِ المكرّمِ

وبعدَ ليالينا بجوِّ سويقةٍ فباعجةِ القردانِ فالمتثلّمِ

وما خفتُ أنْ تبلى النَّصيحةُ بيننا بهضبِ القليبِ فالرّقيّ فعيهمِ

فمِيطي بميَّاطٍ وإن شئتِ فانعَمي صباحاً وردّي بيننا الوصلَ واسلمي

وإن لم يكنْ إلاّ كما قلتِ فأْذني بصرمٍ وما حاولتِ إلاّ لتصرمي

لعمري لقد بيَّنتُ يومَ سويقةٍ لمنْ كانَ ذا لبٍّ بوجهةِ منسمِ

فلا وإلهي ما غدرتُ بذمَّةٍ وإنَّ أبي قبلي لغيرُ مذمّمِ

يجرِّدُ في السِّربالِ أبيضَ صارماً مُبيناً لعينِ النَّاظرِ المتوسّمِ

يجودُ ويُعطي المالَ من غيرِ ضنَّةٍ ويضربُ أنفَ الأبلخِ المتغشّمِ

يحلُّ بأوعارٍ وسهلٍ بيوتهُ لمنْ نابهُ من مستجيرٍ ومُعدمِ

محلاًّ كوعساءِ القنافذِ ضارباً به كنفاً كالمخدرِ المتأجّمِ

بجنبِ حبَّيٍّ ليلتينِ كأنما يفرِّطُ نحساً أو يفيضُ بأسهمِ

يجلجلُها طورينِ ثمَّ يفيضُها كما أُرسلتْ مخشوبةٌ لم تقوّمِ

تمتَّعنَ من ذاتِ الشُّقوقِ بشربةٍ ووازنَّ من أعلى جفافَ بمخرمِ

صبحنَ بني عبسٍ وأفناءَ عامرٍ بصادقةٍ جودٍ من الماءِ والدَّمِ

لحينهمُ لحيَ العصا فطردنهمْ إلى سنةٍ جرذانُها لم تحلّمِ

بأرعنَ مثلَ الطَّودِ غيرِ أشابةٍ تفاخرُ أُولاهمْ ولم يتصرّمِ

ويخلجْنهمْ من كلّ صمدٍ ورجلةٍ وكلّ غبيطٍ بالمغيرةِ مفعمِ

فأعقبَ خيراً كلُّ أهوجَ مهرجٍ وكلّ مفدّاةِ العلالةِ صلدمِ

لعمركَ إنَّا والأحاليفُ هؤلاءِ لفي حقبةٍ أظفارها لم تقلّمِ

فإنْ كنتَ لا تدعو إلى غيرِ نافعٍ فدعْني وأكرمْ ما بدا لكَ واذأمِ

فعندي قروضُ الخيرِ والشّرِّ كلّهِ فبؤسى لدى بؤسى ونُعمى بأنعمِ

فما أنا إلاّ مستعدٌّ كما أرى أخر شركيِّ الوردِ غيرُ معتّمِ

هجاؤكَ إلاّ أنَّ ما كانَ قد مضى عليَّ كأثوابِ الحرامِ المهينمِ

ومستعجبٍ ممَّا يرى من أناتِنا ولو زبنَتهُ الحربُ لم يترمرمِ

فإنَّا وجدْنا العِرضَ أفقرَ ساعةً إلى اللَّونِ من ريطٍ يمانٍ مسهّمِ

أرى حربَ أقوامٍ تدقّ وحربُنا تجلُّ فنعروري بها كلَّ معظمِ

ترى الأرضَ منَّا بالفضاءِ عريضةً معضِّلةً منَّا بجمعٍ عرمرمِ

وإنْ مقرمٌ منَّا ذرا حدُّ نابهِ تمخَّطَ فينا نابُ أخرَ مقدمِ

لنا مرجمٌ ننفي به عن بلادِنا وكلُّ تميمٍ يرجمونَ بمرجمِ

أُسيّدُ أبناءٌ له قد تتابعوا نجومُ سماءٍ من تميمٍ بمعلمِ

تركتُ الخبيثَ لم أشاركْ ولم أذقْ ولكنْ أعفَّ اللهُ مالي ومطعمي

فقوْمي وأعدائي يظنُّونَ أنَّني ... متى يُحدثوا أمثالها أتكلّمِ
رأتني معدٌّ معلماً فتناذرتْ ... مبادهتي أمشي برايةِ معلمِ
فتنهى ذوي الأحلامِ عنِّي حلومهمْ ... وأرفعُ صوتي للنَّعامِ المصلّمِ
وإنْ هزَّ أقوامٌ إليَّ وحدّدوا ... كسوتهمُ من حبرِ بزٍّ متحّمِ
يخيَّل في الأعناقِ منَّا خزايةٌ ... أوابدُها تهوي إلى كلّ موسمِ
وقد رامَ يجري بعد ذلكَ طامياً ... من الشُّعراءِ كلُّ عودٍ ومقحمِ
ففاءوا ولوْ أسْطوا على أمّ بعضهم ... أصاخَ فلمْ ينصتْ ولم يتكلّمِ
على حين أنْ تمَّ الذَّكاءُ وأدركتْ ... قريحةُ حسْيٍ من شريحٍ مغمّمِ
بنيٍّ ومالي دون عِرضي مسلّمٌ ... وقولي كوقعِ المشرفيِّ المصمّمِ

بشر بن أبي خازم

وقال بشر بن أبي خازم بن عوف حميري بن ناشرة بن أسامة بن والبة بن الحرث بن ثعلبة بن دودان بن أسد مفضلية:

أحقٌّ ما رأيتَ أمِ احتلامُ ... أمِ الأهوالُ إذ صحبي نيامُ
ألا ظعنتْ لنيَّتها إدامُ ... وكلُّ وصالِ غانيةٍ رمامُ
جددتَ بحبِّها وهزلتَ حتَّى ... كبرتَ وقيلَ إنَّك مستهامُ
وقدْ تغنى بها حيناً وتعنى ... بها والدَّهرُ ليس لهُ دوامُ
لياليَ تسبيكَ بذي غروبٍ ... كأنَّ رضابهُ وهناً مدامُ
وأبلجَ مشرقِ الخدَّينِ فخمٍ ... يُسنُّ على مراغمهِ القسامُ
تعرُّضَ جأبةِ المِدرى خذولٍ ... بصاحةَ في أسرَّتها السَّلامُ
وصاحبُها غضيضُ الطَّرفِ أحوى ... يضوعُ فؤادَها منهُ بغامُ
وخرقٍ تعزفُ الجنانُ فيهِ ... فيافيه تخرُّ بها السِّهامُ
ذعرتُ ظباءهُ متغوِّراتٍ ... إذا ادَّرعتْ لوامعها الإكامُ
بذعلبةٍ براها النَّصُّ حتَّى ... بلغتُ نُضارها وفني السَّنامُ
كأخنسَ ناشطٍ باتتْ عليهِ ... بحربةَ ليلةٌ فيها جهامُ

فباتَ يقولُ أصبحْ ليلُ حتَّى تجلَّى عن صريمته الظَّلامُ

وأصبحَ ناصلاً منها ضحيّاً نصولَ الدُّرِّ أسلمهُ النّظامُ

ألا أبلغْ بني سعدٍ رسولاً ومولاهمْ فقدْ حلبتُ صرامُ

نسومكمُ الرَّشادَ ونحنُ قومٌ لتاركِ ودِّنا في الحربِ ذامُ

فإنْ صفرتْ عيابُ الودّ منكمْ فلمْ يكُ بيننا فيها زمامُ

فإنَّ الجزعَ جزعَ عُريتناتٍ وبرقةَ عيهمٍ منكمْ حرامُ

سنمنعُها وإنْ كانتْ بلاداً بها تزبو الخواصرُ والسَّنامُ

بها قرَّتْ لبونُ النَّاسِ عيناً وحلَّ بها عزاليَهُ الغمامُ

وغيثٍ أحجمَ الرُّوَّادُ عنه به نفلٌ وحوذانٌ تؤامُ

تغالى نبتهُ واعتمَّ حتَّى كأنَّ منابتَ العلجانِ شامُ

أبحناهُ بحيٍّ ذي حلالٍ إذا ما ريعَ سربهمُ أقاموا

وما يندوهمُ النَّادي ولكنْ بكلِّ محلَّةٍ منهمْ فئامُ

وما تسعى رجالهمُ ولكنْ فضولُ الخيلِ ملجمةٌ صيامُ

فباتتْ ليلةً وأديمَ يومٍ على المهمى يحزُّ لها الثّغامُ

فلمَّا أسهلتْ من ذي صباحٍ وسالَ بها المدافعُ والإكامُ

أثرنَ عجاجةً فخرجنَ منها كما خرجتْ منَ الغرضِ السَّهامُ

بكلِّ قرارةٍ من حيثُ جالتْ ركيَّةُ سنبكٍ فيها انثلامُ

إذا خرجتْ أوائلهنَّ شعثاً مجلّحةً نواصيها قيامُ

بأحقيها الملاءُ محزَّماتٍ كأنَّ جذاعها أصُلاً جلامُ

يبارينَ الأسنَّةَ مصغياتٍ كما يتفارطُ الثّمدُ الحمامُ

ألم ترَ أنَّ طولَ الدَّهرِ يُسلي ويُنسي مثلَ ما نسيتْ جذامُ

وكانوا قومنا فبَغوا علينا فسُقناهم إلى البلدِ الشَّآمي

وكنَّا دونهمْ حصناً حصيناً لنا الرَّأسُ المقدَّمُ والسَّنامُ

وقالوا لنْ تُقيموا إذا ظعنَّا فكانَ لها وقد ظعنوا مقامُ
أثافيَ من خزيمةَ راسياتٍ لنا حلُّ المناقبِ والحرامُ
فإنَّ مقامنا يدعوا عليكمْ بأبطحِ ذي المجازِ لنا أثامُ

وقال بشر أيضاً مفضلية:

لمنِ الدِّيارُ غشيتها بالأنعمِ تبدو معارفُها كلونِ الأرقمِ
لعبتْ بها ريحُ الصَّبا فتنكَّرتْ إلاّ بقيَّةَ نؤيها المتهدِّمِ
دارٌ لبيضاءِ العوارضِ طفلةٍ مهضومةِ الكشحينِ ريَّا المعصمِ
سمعتْ بنا قيلَ الوشاةِ فأصبحتْ صرمتْ حبالكَ في الخليطِ المشئمِ
فظللتَ من فرطِ الصَّبابةِ والهوى طرفاً فؤادكَ مثلَ فعلِ الأهيمِ
لولا تسلِّي الهمَّ عنكَ بجسرةٍ عيرانةٍ مثلِ الفنيقِ المكدمِ
زيَّافةٍ بالرَّحلِ صادقةِ السُّرى خطَّارةٍ تهصُ الحصى بمثلَّمِ
سائلْ تميماً في الحروبِ وعامراً وهلِ المجرِّبُ مثلُ من لم يعلمِ
غضبتْ تميمٌ أنْ تُقتَّلَ عامراً يومَ النِّسارِ فأُعقبوا بالصَّيلمِ
إنَّا إذا نعروا لحربٍ نعرةً نشفي صداعهمُ برأسٍ صلدمِ
نعلو القوانسَ بالسُّيوفِ ونعتزي والخيلُ مشعلةُ النُّحورُ من الدَّمِ
يخرجنَ من خللِ الغبارِ عوابساً خببَ السِّباعِ بكلِّ أكلفَ ضيغمِ
من كلِّ مسترخي النِّجادِ منازلٍ يسمو إلى الأقرانِ غيرَ مقلَّمِ
ففضضنَ جمعهمُ وأفلتَ حاجبٌ تحتَ العجاجةِ في الغبارِ الأقتمِ
ورأوا عقابهمُ المدلّةِ أصبحتْ نُبذتْ بأفضحَ ذي مخالبَ جهضمِ
أقصدتُ حجراً قبلَ ذلكَ والقنا شرعٌ إليهِ وقد أكبَّ على الفمِ
ينوي محاولةَ القيامِ وقد مضتْ فيهِ مخارصُ كلِّ لدنٍ لهذمِ
وبني نميرٍ قد لقينا منهمُ خيلاً تضبُّ لثاتها للمغنمِ
فدهمنَها دهماً بكلِّ طمرَّةٍ ومقطَّعٍ حلقَ الرِّحالةِ مرجمِ
ولقدْ خبطنَ بني كلابٍ خبطةً ألصقنهمْ بدعائمِ المتخيّمِ

وصلقنَ كعباً قبلَ ذلكَ صلقةً بقنا تعاودهُ الأكفُّ مقوّمِ
حتَّى سقينا النَّاسَ كأساً مرَّةً مكروهةً حسُواتها كالعلقمِ
قلْ للمثلَّمِ وابنِ هندٍ بعدهُ إنْ كنتَ رائمَ عزِّنا فاستقدمِ

تلقى الذي لاقى العدوَّ وتصطبح كأساً صبابتُها كطعمِ العلقمِ
نحبو الكتيبةَ حينَ نفترشُ القنا طعناً كإلهابِ الحريقِ المضرمِ
منَّا بشجنةَ والذنابُ فوارسٌ وعتائدٌ مثلُ السَّوادِ المظلمِ
وبضرغدٍ وعلى السُّديرةِ حاضرٌ وبذي أمرَّ حريمهمْ لمْ يُقسمِ

وقال بشر يمدح أوساً:

هلْ أنتَ على أطلالِ ميَّةَ رابعُ بحوضى تسائلُ رسمَها أو تطالعُ
منازلُ منها أقفرتْ بتبالةٍ ومنها بأعلى ذي الأراكِ مرابعُ
تمشَّى بها الثِّيرانُ تردي كأنَّها دهاقينُ أنباطٍ عليها الصَّوامعُ
إلى ماجدٍ أعطى على الحمدِ مالهُ جميلِ المحيَّا للمغارمِ دافعُ
تداركَني أوسُ بنُ سُعدى بنعمةٍ وعرَّدَ منْ تُحنا إليهِ الأصابعُ
تداركَني منهُ خليجٌ فردَّني لهُ حدبٌ تستنُّ فيه الضَّفادِعُ
تداركَني من كربةِ الموتِ بعدما بدتْ نهلاتٌ فوقهنَّ الودائعُ
فأصبحَ قومي بعد بُؤسى بنعمةٍ لقومكَ والأيَّامُ عوجٌ رواجعُ
عبيدُ العصا لم يمنعوكَ نفوسهمْ سوى سيبِ سُعدى إنَّ سيبكَ واسعُ
وكنتَ إذا هشَّتْ يداكَ إلى العلى صنعتَ فلمْ يصنعْ كصنعكَ صانعُ
فتًى من بني لأمٍ أغرُّ كأنَّه شهابٌ بدافي ظلمةِ اللَّيلِ ساطعُ
فدًى لكَ نفسي يا ابنَ سُعدى وناقتي إذا أبدتِ البيضِ الخدامُ الضَّوائعُ
ومستسلمٍ بينَ الرِّماحِ أجبتهُ فأنقذتَه والبيضُ فيهِ شوارِعُ
بطعنةِ شزرٍ أو بضربةِ فيصلٍ إذا لم يكنْ للموتِ في القومِ دافعُ
أخو ثقةٍ في النَّائباتِ مرزاءٌ لهُ عطنٌ سهلُ المباءةِ واسعُ

لعمركَ لو كانتْ زنادكَ هجنةٌ ... لأوديتَ إذ خدِّي لخدِّكَ ضارِعُ

وقال بشر يرثي أخاه سميراً وقتله شراحيل بن الأصهب الجعفي:

هل لعيشٍ إذا مضى لزوالِ ... منْ رجوعٍ أمْ هلْ مثمِّرُ مالِ

ما رأيتُ المنونَ عرَّينَ حيّاً ... لا لعدمٍ ولا لكثرةِ مالِ

أصبحَ الدَّهرُ قد مضى بسميرٍ ... بسعورِ الوغى وبالمفضالِ

أريحيّاً أمضى على الهولِ منْ ... ليثٍ هموسِ السُّرى أبي أشبالِ

خضلَ الكفِّ ما يلطُّ إذا ما انْت ... ابهُ مجتدوهُ بالاعتلالِ

يا سميرَ الحروبِ منْ لحروبٍ ... مسعراتٍ يجلنَ بالأبطالِ

ذاتِ جرسٍ تسمو الكماةُ إلى الأب ... طالُ في نقعها سموَّ الجمالِ

يتساقَونَ سمَّها في دروعٍ ... سابغاتٍ من الحديدِ ثقالِ

كنتَ تصلى نيرانهنَّ إذا ضا ... قتْ لروعاتها صدورُ الرِّجالِ

وصريعٍ مستسلمٍ بينَ بيضٍ ... يتعاورْنهُ وسمرِ العوالي

قد تلافيتَ شلوهُ فوقَ نهدٍ ... أعوجيٍّ ذي ميعةٍ ونقالِ

فصرفتُ السُّمرَ النَّواهلَ عنهُ ... بصقيلٍ من مرهفاتِ النِّصالِ

يا سميرٌ منْ للنِّساءِ إذا ما ... قحطَ القطرُ أُمَّهاتِ العيالِ

كنتَ غيثاً لهنَّ في السَّنةِ الشَّه ... باءِ ذاتِ الغبارِ والأمحالِ

المهينُ الكومَ الجلادَ إذا ما ... هبَّتِ الرِّيحُ كلّ يومِ شمالِ

والمفيدُ المالَ التّلادَ لمنْ يع ... فوهُ والواهبُ الحسانَ الغوالي

وقال بشر أيضاً:

تغيَّرتِ المنازلُ بالكثيبِ ... وغيَّر آيها نسجُ الجنوبِ

منازلُ من سليمى مقفراتٌ ... عفاها كلُّ هطَّالٍ سكوبِ

وقفتُ بها أُسائلها ودمعي ... على الخدَّينِ في مثلِ الغروبِ

نأتْ سلمى وغيَّرها التَّنائي ... وقد يسلو المحبُّ عن الحبيبِ

فإنْ يكُ قد نأتْني اليومُ سلمى ... وصدَّت بعدَ إلفٍ عنْ مشيبي

فقدْ ألهو إذا ما شئتُ يوماً	إلى بيضاءَ آنسةٍ لعوبِ
ألا أبلغْ بني لأمٍ رسولاً	فبئسَ محلٌّ راحلةِ الغريبِ
لضيفٍ قدْ ألمَّ بها عشاءً	على الخسفِ المبيِّنِ والجدوبِ
إذا عقدوا لجارٍ أخفروهُ	كما غرَّ الرِّشاءِ من الذَّنوبِ
وما أوسٌ ولو سوَّدتموهُ	بمخشيِّ العرامِ ولا أريبِ

أتوعدُني بقومكَ يا بن سُعدى	وذلكَ من ملمّاتِ الخطوبِ
وحولي من بني أسدٍ حلولٌ	مبنٌّ بينَ شبَّانٍ وشيبِ
بأيديهمْ صوارمُ للتَّداني	وإنْ بعدوا فوافيةُ الكعوبِ
همُ ضربوا قوانسَ خيلِ حجرٍ	تُحيتَ الرَّدهِ في يومٍ عصيبِ
وهمْ تركوا عُتيبةَ في مكرٍّ	بطعنةِ لا ألفّ ولا هيوبِ
وهم تركوا غداةَ بني نميرٍ	شريحاً بينَ ضبعانٍ وذيبِ
وهم وردوا الجفارَ على تميمٍ	بكلِّ سميدعٍ بطلٍ نجيبِ
وحيَّ بني كلابٍ قد شجرْنا	بأرماحٍ كأشطانِ القليبِ
إذا ما شمَّرتْ حربٌ سمَونا	سموَّ البزلِ في العطنِ الرَّحيبِ

وقال بشر أيضاً مفضلية:

ألا بانَ الخليطُ ولمْ يُزاروا	فقلبكَ في الظَّعائنِ مستطارُ
قفا يا صاحبيَّ وقدْ أُراني	بصيراً بالظَّعائنِ حيثُ ساروا
تؤمُّ بها الحداةُ مياهَ نخلٍ	وفيها عنْ أبانينَ ازورارُ
أُحاذرُ أنْ تبينَ بنو عقيلٍ	بجارتنا فقدْ حقَّ الحذارُ
فلأياً ما قصرتُ الطَّرفَ عنهمْ	بقاينةٍ وقد تلعَ النَّهارُ
بليلٍ ما أتينَ على أرومٍ	وشابةَ عنْ شمائلها تعارُ
كأنَّ ظباءَ أسنمةٍ عليها	كوانسَ قالصاً عنها المغارُ
يفلِّجنَ الشِّفاهَ عن أقحوانٍ	جلاهُ غبَّ ساريةٍ قطارُ

وفي الأظعانِ آنسةٌ لعوبُ تيمَّمَ أهلُها بلداً فساروا
منَ اللاتي غُذينَ بغيرِ بؤسٍ منازلُها القصيبةُ فالغمارُ
غذاها قارصٌ يجري عليها ومحضٌ حينَ تنبعثُ العشارُ
نبيلةُ موضعِ الحجلينِ خودٌ وفي الكشحينِ والبطنِ اضمرارُ
ثقالٌ كلّما رامتْ قياماً وفيها حينَ تندفعُ انبهارُ
فبتُّ مسهّداً أرقاً كأنّي تمشّتْ في مفاصليَ العقارُ
أراقبُ في السَّماءِ بناتِ نعشٍ وقد دارتْ كما عطفَ الصِّوارُ
وعاندتِ الثُّريَّا بعدَ هدءٍ معاندةً لها العيُّوقُ جارُ
فيا للنَّاسِ للرَّجلِ المعنَّى لطولِ الدَّهرِ إذ طالَ الحصارُ
فإنْ تكنِ العقيليَّاتُ شطَّتْ بهنَّ وبالرَّهيناتِ الدِّيارُ
فقدْ كانتْ لنا ولهنَّ حتَّى زوتْنا الحربُ أيَّامٌ قصارُ
ليالي لا أطاوعُ منْ نَهاني ويضفو تحتَ كعبيَّ الإزارُ
فأعصي عاذلي وأُصيبُ لهواً وأُوذي بالزِّيارةِ منْ يغارُ
ولمَّا أنْ رأيتُ النَّاسَ صاروا أعادي ليسَ بينهمُ ائتمارُ
مضى سلاّفُنا حتَّى حللْنا بأرضٍ قد تحامتْها نزارُ
وشبَّتْ طيِّئُ الجبلينِ حرباً تهرُّ لشجوِها منها صحارُ
يسدُّونَ الشِّعابَ إذا رأونا وليس يُعيذهمْ منَّا انجحارُ
وحلَّ الحيُّ حيُّ بني سبيعٍ قراظبةً ونحنُ لهمْ إطارُ
وخذَّل قومهُ عمرو بنُ عمرو كجادعِ أنفهِ وبهِ انتصارُ
يُسميونَ الوسيقَ بذاتِ كهفٍ وما فيها لهمْ سلعٌ وقارُ
وأنزلَ خوفنا سعداً بأرضٍ هنالكَ لا تُجيرُ ولا تُجارُ
وأصعدتِ الرّبابُ فليسَ منها بصاراتٍ ولا بالحبسِ نارُ
فحاطونا القضا ولقدْ رأوْنا قريباً حيثُ يستمعُ السِّرارُ
وبدّلتِ الأباطحُ من نميرٍ سنابكَ يستثارُ بها الغبارُ

وليسَ الحيُّ حيٌّ بني كلابٍ بمنجيهمْ ولو هربوا الفرارُ

وقد ضمزتْ بجرَّتها سليمٌ مخافَتنا كما ضمزَ الحمارُ

وأمَّا أشجعُ الخنثى فولَّوا تيوساً بالشظيِّ لهمْ تعارُ

ولمْ يهلكْ لمرَّةَ إذْ تولَّوا فساروا سيرَ هاديةٍ فغاروا

فأبلغْ إنْ عرضتَ بنا رسولاً كنانةَ قومَنا في حيثُ صاروا

كفينا منْ تغيَّبَ واستبحنا سنامَ الأرضِ إذْ قحطَ القطارُ

بكلِّ قيادِ مسنفةٍ عنودٍ أضرَّ بها المسالحُ والغوارُ

مهارشةُ العنانِ كأنَّ فيهِ جرادةَ هبوةٍ فيها اصفرارُ

نسوفٍ للحزامِ بمرفقيْها يسدُّ خواءَ طُبييها الغبارُ

تراها منْ يبيسِ الماءِ شهباً مخالطُ درَّةٍ فيها غزارُ

بكلِّ قرارةٍ منْ حيثُ جالتْ ركيَّةُ سنبكٍ فيا انهيارُ

وخِنذيذٍ ترى الغرْمولَ منهُ كطيِّ الزِّقِّ علَّقهُ التِّجارُ

يضمَّرُ بالأصائلِ فهو نهدٌ أقبُّ مقلَّصٌ فيه اقورارُ

كأنَّ حفيفَ منخرهِ إذا ما كتمنَ الرَّبوَ كيرٌ مستعارُ

كأنَّ سراتهُ والخيلُ شعثٌ غداةَ وجيفهمْ مسدٌ مغارُ

يظلُّ يعارضُ الرُّكبان يهفو كأنَّ بياض غرَّته خمارُ

ولا ينجي من الغمراتِ إلاّ براكاءُ القتالِ أو الفرارُ

كأنّي بينَ خافيتيْ عقابٍ يكفكفني إذا ابتلَّ العذارُ

وقال بشر بن أبي خازم الأسدي أيضاً، وهي مفضّليّة:

عفت من سليمى رامةٌ فكثيبها وشطَّتْ بنا عنكِ النَّوى وغروبها

وغيَّرها ما غيَّر النَّاسَ قبلها فبانتْ وحاجاتُ النُّفوسِ تصيبها

ألمْ يأتها أنَّ الدُّموعَ نطافةٌ لعينٍ يوافي في المنامِ حبيبها

تحدَّرَ ماءُ العينِ عن جرشيَّةٍ على جربةٍ يعلو الدِّبارَ غروبها

بغربٍ ومربوعٍ وعودٍ تقيمهُ
محالةُ خطَّافٍ تصرُّ ثقوبها

معاليةً لا همَّ إلاّ محجَّرٌ
وحرَّةُ ليلى السَّهلُ منها ولوبها

رأتني كأُفحوصِ القطاةِ ذؤابتي
وما مسَّها من منعمٍ يستثيبها

أجبنا بني سعد بن ضبَّةَ إذ دعوا
فللهِ مولى دعوةٍ لا يجيبها

عطفنا لهمْ عطفَ الضَّروسِ من الملا
بشهباءَ لا يمشي الضَّراءُ رقيبها

فلمَّا رأونا بالنِّسارِ كأنَّنا
نشاصُ الثُّريَّا هيَّجتها جنوبها

فكانوا كذاتِ القدرِ لم تدرِ إذ غلتْ
لتنزلها مذمومةً أو تذيبها

جعلنَ قشيراً غايةً يهتدى بها
كما مدَّ أشطانَ الدِّلاءِ قليبها

لدنْ غدوةً حتَّى أتى اللَّيلُ دونهمْ
وأدركَ جريَ المنقياتِ لغوبها

قطعناهمُ فباليمامةِ قطعةٌ
وأخرى بأوطاسٍ يهرُّ كليبها

إذا ما لحقنا منهمُ بكتيبةٍ
تذكِّرُ منها ذحلها وذنوبها

نقلناهمُ نقلَ الكلابِ جراءها
على كلّ معلوبٍ يثورُ عكوبها

لحوناهمُ لحوَ العصيِّ فأصبحوا
على آلةٍ يشكو الهوانَ حريبها

بني عامرٍ إنَّا تركنا نساءكمْ
من الشَّلِّ والإيجافِ تدمى عجوبها

عضاريطنا مستبطنو البيض كالدُّمى
مضرَّجةً بالزَّعفرانِ جيوبها

تبيتُ النِّساءُ المرضعاتُ برهوةٍ
تفزَّعُ من خوفِ الجبانِ قلوبها

دعوا منبتَ السّيفينِ إنَّهما لنا
إذا مضرُ الحمراءُ شبَّتْ حروبها

وقال أيضاً يرثي نفسه:

أسائلةٌ عميرةُ عن أبيها
خلالَ الجيشِ تعترفُ الرِّكابا

تؤمِّلُ أن أؤوبَ لها بنهبٍ
ولم تعلمْ بأنَّ السَّهمَ صابا

فإنَّ أباكِ قد لاقى غلاماً
من الأبناءِ يلتهبُ التهابا

وإنَّ الوائليَّ أصابَ قلبي
بسهمٍ لم يكنْ نكساً لغابا

فرجِّي الخيرَ وانتظري إيابي
إذا ما القارظُ العنزيُّ آبا

فمنْ يكُ سائلاً عن بيتِ بشرٍ
فإنَّ لهُ بجنبِ الرَّدةِ بابا

ثوى في ملحدٍ لا بدَّ منهُ | كفى بالموتِ نأياً واعتزابا
رهينَ بلى وكلُّ فتًى سبيلى | فأذري الدَّمعَ وانتحبي انتحابا
مضى قصدَ السبيلِ وكلُ حيٍّ | إذا حانتْ منيَّتهُ أجابا
فإنْ أهلكْ عميرَ فربَّ زحفٍ | يشبَّهُ نقعهُ رهواً ضبابا
سموتُ لهُ لألبسهُ بزحفٍ | كما لفَّتْ شآميةٌ سحابا
على ربذٍ قوائمهُ إذا ما | شأتهُ الخيلُ ينسربُ انسرابا
شديدِ الأسرِ يحملُ أريحيّاً | أخا ثقةٍ إذا الحدثانُ نابا
صبوراً عندَ مختلفِ العوالي | إذا ما الحربُ أبرزتِ الكعابا
وطالَ تشاجرُ الأبطالِ فيها | وأبدتْ ناجذاً منها ونابا
وعزَّ عليَّ أن ألقى المنايا | ولمَّا ألقَ كعباً أو كلابا
ولمَّا ألقَ خيلاً من تميمٍ | تضبُّ لثاتها ترجو النِّهابا
ولمَّا يختلطْ خيلٌ بخيلٍ | فيطّعنوا ويضطربوا اضطرابا

فيا للنَّاسِ إنَّ قناةَ قومي | أبتْ بثقافها إلاّ انقلابا
همُ صدعوا الأنوفَ فأوعبوها | وهمْ تركوا بني سعدٍ يبابا

وقال أيضاً:

كفى بالنَّأي من أسماءِ كافِ | وليسَ لسقمهِ إنْ طالَ شافي
فيالكِ حاجةً ومطالَ شوقٍ | وقطعَ قرينةٍ بعدَ ائتلافِ
كأنَّ الأتحميَّةَ قامَ فيها | لحسنِ دلالها رشأٌ موافِ
من البيضِ الخدودِ بذي سديرٍ | تنوشُ الغضَّ من ضالٍ قضافِ
أو الأدمِ المرشَّحةِ العواطي | بأيديهنَّ من سلمٍ النِّعافِ
كأنَّ مدامةً من أذرعاتٍ | كميتاً لونها كدمِ الرُّعافِ
على أنيابها بعريضِ مزنٍ | أحالتهُ السَّحابةُ في الرَّصافِ
على أنّي على هجرانِ ليلى | أمنِّيها المودَّةَ في القوافي

وخلَّةِ آلفٍ بدَّلتُ صرماً إذا همَّ القرينةُ بانصرافِ

بحرجوجٍ يئطُّ النِّسعَ فيها أطيطَ السَّمهريَّةِ في الثِّقافِ

كأنَّ مواقعَ الثَّفناتِ منها إذا بركتْ رئمنَ على تجافي

معرَّسُ أربعٍ متقابلاتٍ يبادرنَ القطا سملَ النِّطافِ

فأبقى الأينُ والتَّهجيرُ منها صقوباً مثلَ أعمدةِ الخلافِ

تجرُّ نعالها ولها نفيٌّ من المعزاءِ مثلُ حصى الخذافِ

كأنَّ السَّوطَ يقبضُ كشحَ طاوٍ بأجمادِ اللُّبيِّنِ من جفافِ

شججتُ بها إذا الآرأمُ قالتْ رؤوسَ اللاَّمعاتِ من الفيافي

إلى أوسِ بن حارثةَ بن لأمٍ لربِّكِ فاعملي إن لم تخافي

فما صدعٌ بجبَّةَ أو بشرحٍ على زلقٍ ذوالقَ ذي كهافِ

تزلُّ اللَّقوةُ الشَّغواءُ عنها مخالبها كأطرافِ الأشافي

بأحرزَ موئلاً من جارِ أوسٍ إذا ما ضيمَ جيرانُ الضِّعافِ

وما ليثٌ بعثَّرَ في غريفٍ تغنِّيهِ البعوضُ على النِّطافِ

مكبٌّ ما يزالُ على أكيلٍ يناغي الشَّمسَ ليسَ بذي عطافِ

بأبأسَ سورةً بالقرنِ منهُ إذا دعيتْ نزالِ لدى الثِّقافِ

وما أوسُ بن حارثةَ بن لأمٍ بغمرٍ في الحروبِ ولا مضافِ

ثعلبة بن صعير

وقال ثعلبة بن صعير بن خزاعي بن مازن بن عمرو بن تميم، وهي مفضلية قرأهما حفظاً على شيخي ابن الخشاب:

هلْ عندَ عمرةَ من بتاتِ مسافرٍ ذي حاجةٍ متروِّحٍ أو باكرِ

سئمَ الإقامةِ بعدَ طولِ ثوائهِ وقضى لبانتهُ فليسَ بناظرِ

لِعداتِ ذي أربٍ ولا لمواعدٍ خلفٍ ولو حلفتْ بأسحمَ مائرِ

وعدتكَ ثمَّتَ أخلفتْ موعودها ولعلَّ ما منعتكَ ليسَ بضائرِ

وأرى الغواني لا يدومُ وصالها أبداً على يسرٍ ولا لمياسرِ

وإذا خليلكَ لم يدمْ لكَ وصلهُ فاقطعْ لبانتهُ بحرفٍ ضامرِ

وجناءَ مجفرةِ الضُّلوعِ رجيلةٍ ولقى الهواجرِ ذاتِ خلقٍ حادرِ

تضحي إذا دقَّ المطيُّ كأنَّها فدنُ ابنُ حيَّةَ شادهُ بالآجرِ

وكأنَّ عينيها وفضلَ قتانها فننان من كنفيْ ظليمٍ نافرِ

يبري لرائحةٍ يساقطُ ريشها مرُّ النَّجاءِ سقاطَ ليفِ الآبرِ

فتذكَّرتْ ثقلاً رثيدا بعدما ألقتْ ذكاءُ يمينها من كافرِ

فبنتْ عليهِ معَ الظَّلامِ خباءها كالأحمسيَّةِ في النَّصيفِ الحاسرِ

أسميُّ ما يدريكِ أن ربَّ فتيةٍ بيضِ الوجوهِ ذوي ندًى ومآثرِ

حسني الفكاهةِ لا تذمُّ لحامهم سبطى الأكفَ وفي الحروبِ مساعرِ

باكرتهم بسباءِ جونٍ ذارعٍ قبلَ الصَّباحِ وقبلَ لغوِ الطائرِ

فقصرتُ يومهمُ برنَّةِ شارفٍ وسماعِ مدجنةٍ وجدوى جازرِ

حتَّى تولى يومهمُ وتروَّحوا لا ينثنونَ إلى مقالِ الزَّاجرِ

ومغيرةٍ سومَ الجرادِ وزعتها قبلَ الصَّباحِ بشيَّآنٍ ضامرِ

تئقٍ كجلمودِ القذافِ ونثرةٍ ثقفٍ وعرَّاص المهزَّةِ عاترِ

ولربَّ واضحةِ الجبينِ غريرةٍ مثلِ المهاةِ تروقُ عينَ النَّاظرِ

قد بتُّ ألعبها وأقصرُ همَّها حتَّى بدا وضحُ الصَّباحِ الجاشرِ

ولربَّ خصمٍ جاهدينَ ذوي شذًى تقدي صدورهمُ بهترٍ هاترِ

لدٍّ ظأرتهمُ على ما ساءهمْ وخسأتُ باطلهمْ بحقٍّ ظاهرِ

بمقالةٍ من حازمٍ ذي مرَّةٍ يدأُ العدوَّ زئيرهُ للزائرِ

عبد يغوث

وقال عبد يغوث بن وقاص الحارثيّ، وكان أسره التيم يوم الكلاب، وهي مفضلية قرأها على شيخي ابن الخشاب:

ألا لا تلوماني كفى اللَّومُ ما بيا فما لكما في اللَّومِ خيرٌ ولا ليا

ألمْ تعلما أنَّ الملامةَ نفعها قليلٌ وما لومي أخي من شماليا

فيا راكباً إمَّا عرضتَ فبلِّغنْ نداماي َمن نجرانَ ألاَّ تلاقيا

أبا كربٍ والأيهمينِ كليهما وقيساً بأعلى حضرموتَ اليمانيا

جزى الله قومي بالكلابِ ملامةً صريحهمُ والآخرينَ المواليا

ولو شئتُ نجَّتني من الخيلِ نهدةٌ ترى خلفها الحوَّ العتاقِ تواليا

ولكنَّني أحمي ذمارَ أبيكمُ وكانَ الرِّماحُ يختطفنَ المحاميا

أقولُ وقد شدُّوا لساني بنسعةٍ أمعشرَ تيمٍ أطلقوا عن لسانيا

أمعشرَ تيمٍ قد ملكتمُ فأسجحوا فإنَّ أخاكمْ لم يكنْ من بوائيا

أحقاً عبادَ الله أن لستُ سامعاً نشيدَ الرِّعاءِ المعزبينَ المتاليا

وتضحكُ منِّي شيخةٌ عبشميَّةٌ كأنْ لم تري قبلي أسيراً يمانيا

وقد علمتْ عرسي مليكةُ أنَّني أنا اللَّيثُ معدوّاً عليهِ وعاديا

وقد كنتُ نحَّارَ الجزورِ ومُعملَ ال مطيِّ وأمضي حيثُ لا حيَّ ماضيا

وأنحرُ للشَّربِ الكرامِ مطيَّتي وأصدعُ بينَ القينتينِ ردائيا

وكنتُ إذا ما الخيلُ شمَّصها القنا لبيقاً بتصريفِ القناةِ بنانيا

وعاديةٍ سومَ الجرادِ وزعتها بكرِّي وقد أنحوْ إليَّ العواليا

كأنِّي لم أركبْ جواداً ولم أقلْ لخيليَ كرِّي نفِّسي عن رجاليا

ولم أسبأِ الزِّقَّ الرَّويَّ ولم أقلْ لأيسارِ صدقٍ أعظموا ضوءَ ناريا

جميل بن معمر

وقال جميل بن عبد الله بن معمر بن الحارث بن خيبر بن ظبيان وهو من قضاعة بن مرة بن مالك بن حمير بن سباء بن يشجب وعلماء مضر تزعم أن قضاعة من معد ولذلك قال جميل:

أنا جميلٌ في السِّنامِ من معدّ

من القضاعين في الرُّكنِ الأشدِّ

ما تبتغي الأعداءَ منّي ولقد

أعرمُ بالشَّتمِ لساني ومردّ

ألم تسألِ الرَّبعَ القواءَ فينطقُ وهل تخبرنكَ اليومَ بيداءُ سملقُ
بمختلفِ الأرواحِ بينَ سويقةٍ وأحدبَ كادتْ بعدَ عهدكَ تخلقُ
أضرَّتْ بها النَّكباءُ يوماً وليلةً ونفخُ الصَّبا والوابلُ المتبعِّقُ
وقفتُ بها حتَّى تجلَّتْ عمايتي وملَّ الوقوفَ العنتريسُ المنوَّقُ
وقال خليلي إنَّ ذا لسفاهةٌ إلاّ تزجرُ القلبَ اللَّجوجَ فتلحقُ
تعزَّ وإن كانت عليكَ كريمةً لعلَّكَ من أسبابِ بثنةَ تعتقُ
فقلتُ له إنَّ البعادَ يشوقني وبعضُ بعادِ البينِ والنَّأيِ أشوقُ
لعلَّكَ مشتاقُ ومبدٍ صبابةً ومظهرُ شكوًى إن أناسٌ تفرَّقوا
شأتكَ وأحْذتكَ الهوى ثعلبيَّةٌ شآكَ بها حيٌّ يمانونَ شرَّقوا
وقد حالَ أجبالُ المقطَّمِ دونها فذو النَّخلِ من وادي نطاةَ فتعنقُ
وحالتْ دروعُ التِّيهِ بيني وبينها وركنٌ من الأجبالِ أبيضُ أعنقُ
فلا وصلَ إلاّ أن تقرِّبَ بيننا مبينةُ عتقٍ ذاتِ نيرينِ خيفقُ
زورَّةُ أسفارٍ إذا حطَّ رحلها رأيتَ بدفَّيها تباشيرَ تبرقُ
إذا ما اكتست نيّاً مخيلاً فإنَّها رهينةُ بيُّوتٍ من الهمِّ يطرقُ
جماليَّةٌ نرمي بها كلَّ قفرةٍ لأصدائها بعدَ العشيَّةِ منطقُ
يبذُّ العتاقَ الناجياتِ ذميلها ويهلكنَ في موضوعها بينَ تعنقُ
لها عينُ ثورٍ في حجاجٍ كأنَّها إذا ضمَّها الأنساعُ وقبٌ محلَّقُ
وضبعانِ موَّارانِ في صعدائها إذا جعلتْ من صيهبِ الجرِّ تعرقُ
لها حاركٌ فوقَ الجرانِ تمدُّهُ إذا استنَّ آلُ الأمعزِ المترقرقُ

وأتلعُ نهَّاضٌ إذا عجستْ به مع الجريِ فيهِ عزَّةٌ وتطرُّقُ
أضرَّتْ بها الحاجاتُ حتَّى كأنَّما ألحَّ عليها جازرٌ متعرِّقُ
وكنتُ إذا رجِّيتُ أن تسقبَ النَّوى بها بعد نأيٍ والدِّيارُ تصفِّقُ
أحلَّتْ شهورُ الحرمِ بيني وبينها وجرِّعَ بالغيظِ الغيورُ المحنَّقُ

وبيضٍ رعابيبٍ تثنِّي خصورها إذا قمنَ أعجازٌ ثقالٌ وأسؤقُ

تنضَّيتُ من وجدٍ إليهنَّ بعدما كربنَ وأحشائي من الهولِ تخفقُ

بذي شطبٍ قد أخلصَ القينُ وشيهُ له حينَ تُغشيهِ الكريهةُ رونقُ

فمنهنَّ من غضَّ الأناملِ خشيةٍ ومنهنَّ لمّا أن رأتني تصفَّقُ

فأتبعتهمْ طرفي وقد زالَ رُكنهمْ وقد جعلَ الإنسانُ بالماءِ يغرقُ

ولولا جدالي ضقنَ ذرعاً بزائرٍ أتاهمْ به الحبُّ الذي ليسَ يمذقُ

ويومَ رثيماتٍ سما لكَ حبُّها ويومَ أخيٍّ كادتِ النَّفسُ تزهقُ

أنائلَ للودُّ الذي كان بيننا نضا مثلَ ما ينضو الخضابُ فيخلقُ

أنائلَ والله الذي أنا عبدهُ لقد جعلتْ نفسي من البينِ تُشفقُ

أنائلَ ما للعيشِ بعدك لذَّةٌ ولا مشربٌ إلاّ السِّمالُ المرنَّقُ

أنائلَ ما تنأينَ إلاّ كأنَّني بنجمِ الثُّريَّا ما نأيتِ معلَّقُ

أنائلَ ما رؤيا زعمتِ رأيتها لنا عجباً لو أنَّ رؤياكِ تصدقُ

أنائلَ إن الخيرَ يعتادُ ذا الهوى إذا النَّومُ أجلتهُ الهمومُ فيأرقُ

ومن يكُ ذاكمْ حظُّهُ من صديقهِ فيوشكُ باقي ودِّهِ يتمزَّقُ

وقال جميل أيضاً:

ألا ليتَ أيامَ الصَّفاءِ جديدُ ودهراً تولَّى يا بثينَ يعودُ

فنغنى كما كنَّا نكونُ وأنتمُ صديقٌ وإذ ما تبذلينَ زهيدُ

وما أنس مِ الأشياءِ لا أنسَ قولها وقد قرَّبتْ نضوي أمصرَ تريدُ

ولا قولها لولا العيونُ التي ترى أتيتكَ فأعذرني فدتكَ جدودُ

خليليَّ ما أخفي من الوجدِ ظاهرٌ فدمعي بما أخفي الغداةَ شهيد

ألا قد أرى والله أن رُبَّ عبرةٍ إذا الدارُ شطَّتْ بيننا ستزودُ

إذا قلتُ ما بي يا بثينةُ قاتلي من الوجدِ قالتْ ثابتٌ ويزيدُ

وإن قلتُ ردِّي بعضَ عقلي أعشْ به مع النَّاسِ قالتْ ذاكَ منكَ بعيدُ

إذا فكَّرتْ قالتْ قد أدركتُ ودّهُ وما ضرَّني بخلٌ ففيمَ أجودُ

فلا أنا مرجوعٌ بما جئتُ طالباً ... ولا حبُّها فيما يبيدُ يبيدُ
جزتكِ الجوازي يا بثينُ ملامةً ... إذا ما خليلٌ بانَ وهو حميدُ
وقلتُ لها بيني وبينك فاعلمي ... من الله ميثاقٌ لنا وعهودُ
وقدْ كان حبّيكمْ طريفاً وتالداً ... وما الحبُّ إلاّ طارفٌ وتليدُ
وإنَّ عروضَ الوصلِ بيني وبينها ... وإنْ سهَّلتهُ بالمنى لصعودُ
فأفنيتُ عيشي بانتظاري نوالها ... وأبلتْ بذاكَ الدَّهرَ وهو جديدُ
فليتَ وُشاةَ النَّاسِ بيني وبينها ... يذوقُ لهمْ سمّاً طماطمُ سودُ
وليتَ لهمْ في كلِّ ممسًى وشارقٍ ... تضاعفُ أكبالٌ لهمْ وقيودُ
ويحسبُ نسوانٌ من الجهلِ أنَّني ... إذا جئتُ إيّاهنَّ كنتُ أريدُ
فأقسمُ طرفَ العينِ أن يعرفَ الهوى ... وفي النَّفسِ بوْنٌ بينهنَّ بعيدُ
فأعرضنَ إنِّي عن هواكنَّ معرضٌ ... تماحلَ غيطانٌ بكنَّ وبيدُ
لكلِّ لقاءِ نلتقيهِ بشاشةٌ ... وكلُّ قتيلٍ عندهنَّ شهيدُ
علقتُ الهوى منها وليداً فلم يزلْ ... إلى اليومِ ينمي حبُّها ويزيدُ
يذكّرنيها كلُّ ريحِ مريضةٍ ... لها بالتِّلاعِ القاوياتِ وئيدُ
ألا ليتَ شعري هلْ أبيتنَّ ليلةً ... بوادي القرى إنِّي إذن لسعيدُ
وهل ألقيَنْ سُعدى من الدَّهرِ مرَّةً ... وما رثَّ من حبلِ الصَّفاءِ جديدُ
وقد تلتقي الأهواءُ من بعدِ يأسةٍ ... وقد تطلبُ الحاجاتُ وهي بعيدُ
وهل أزجرنْ حرفاً علاةً شملَّةً ... بخرقٍ تباريها سواهمُ قودُ
على ظهرِ مرهوبٍ كأنَّ نسورهُ ... إذا جارَ هلاَّكُ الطَّريقِ وفودُ

سبتني بعينيْ جؤذرٍ وسطَ ربْربٍ ... وصدرٍ كفاثورِ الرُّخامِ وجيدُ
تزيفُ كما زافتْ إلى سلفاتها ... مباهيةٌ طيَّ الوشاحِ ميودُ
إذا جئتها يوماً من الدَّهرِ زائراً ... تعرَّضَ منقوصُ اليدينِ صدودُ
يصدُّ ويغضي عن هواي ويجتني ... عليَّ ذنوباً إنَّه لعنودُ

فأصرمها عمداً كأني مجانبٌ ويغفلُ عنَّا تارةً فنعودُ

فمن يعطَ في الدنيا قريناً كمثلِها فذلك في عيشِ الحياةِ رشيدُ

يموتُ الهوى منِّي إذا ما لقيتها ويحيا إذا فارقتُها فيعود

ألم تعلمي يا أمَّ ذي الودعِ أنَّني أضاحكُ ذكراكمْ وأنتِ صلودُ

وقال جميل أيضاً:

لقد لامني فيها أخٌ ذو قرابةٍ حبيبٌ إليهِ في نصيحتهِ رشدي

فقالَ أفقْ حتَّى متى أنتَ هائمٌ ببثْنةَ فيها لا تعيدُ ولا تُبدي

فقلتُ له مهما قضى الله ما ترى علينا وهل مما قضى الله من ردِّ

فأنْ يكُ رشداً حبُّها أو غوايةٌ فقد جئتهُ ما كان مني على عمدِ

بثينُ أثيبي بالمودَّةِ أو ردِّي فؤادي فقد تجزى المودَّةَ بالودِّ

أفي النَّاسِ أمثالي أحبُّوا فحبُّهمْ كحبِّيَ أم أحببتُ من بينهمْ وحدي

فلمْ أرى مثلَ النَّاسِ لم يغلبوا الهوى ولم أرَ داءً كالهوى كيفَ لا يعدي

أكانَ كذا يلقى المحبُّونَ قبلنا بما وجدوا أو لم يجدْ أحدٌ وجدي

فقد جدَّ ميثاقُ الإلهِ بحبِّها وما للذي لا يتَّقي الله من عهدِ

فلا وأبيها الخيرِ ما خنتُ عهدها ولا ليَ علمٌ بالذي فعلتْ بعدي

وما زادها الواشونَ إلاّ كرامةً عليَّ وما زالتْ مودَّتها عندي

نزيدُ نماءً كلَّ يومٍ وليلةٍ وأمنحها فيما أسرُّ وما أبدي

إذا صقبتْ زدتُ اشتياقاً وإنْ نأتْ أرِقتُ لبينِ الدَّارِ منها وللبعدِ

أبى القلبُ إلاّ حبِّ بثنةَ لم يردْ سواها وحبُّ القلبِ بثنةَ لا يجدي

سبتكَ بمصقولٍ ترفُّ أشورهُ إذا ابتسمتْ في طيبِ ريحٍ وفي بردِ

كأنَّ عتيقَ الرَّاحِ خالطَ ريقها وصفوَ غريضِ المزنِ صفِّقَ بالشَّهْدِ

تأرّجُ بالمسكِ الأحمِّ ثيابها إذا عرقتْ فيها وبالعنبرِ الوردِ

وقال جميل أيضاً:

حلَّتْ بثينةُ من قلبي بمنزلةٍ بينَ الجوانحِ لم ينزلْ بها أحدُ

صادتْ فؤادي بعينيها ومبتسمٍ كأنَّهُ حينَ أبدتهُ لنا بردُ
عذبٍ كأنَّ ذكيَّ المسكِ خالطهُ والزّنجبيلُ وماُ المزنِ والشُّهدُ
وجيدِ أدماءَ تحنوهُ إلى رشإٍ أغنَّ لم يتَّبعها مثلهُ ولدُ
رجراجةٌ رخصةُ الأطرافِ ناعمةٌ يكادُ من بدنها في البيتِ ينخضدُ
خذْلٌ مخلخلها وعثٌ مؤزَّرها هيفاءُ لم يغذها بؤسٌ ولا ومدُ
هيفاءُ مقبلةً عجزاءُ مدبرةً تمَّتْ فليس يرى في خلقها أودُ
نعمَ لحافُ الفتى المقرورِ يجعلها شعارهُ حينَ يُخشى القرُّ والصّردُ
وما يضرُّ امرأً يمسي وأنتِ له أن لا يكونَ من الدُّنيا له سبدُ
يا ليتنا والمنى ليستْ مقرِّبةً أنَّا لقيناكِ والأحراسُ قد رقدوا
فيستفيقَ محبٌّ قد أضرَّ به شوقٌ إليكَ ويشفى قلبهُ الكمدُ
تلْكمْ بثينةُ قد شفَّتْ مودَّتها قلبي فلم يبقَ إلاّ الرُّوحُ والجسدُ
وعاذلونَ لَحوني في مودَّتها يا ليتهمْ وجدوا مثلَ الذي أجدُ
لمّا أطالوا عتابي فيكِ قلتُ لهمْ لا تفرطوا بعضِ هذا اللَّومِ واقتصدوا
قد مات قبلي أخو نهدٍ وصاحبهُ مرقِّشٌ واشتفى من عروةَ الكمدُ
وكلُّهمْ كان من عشقٍ منيَّتهُ وقد وجدتُ بها فوقَ الذي وجدوا
إنّي لأرهبُ أو قد كدتُ أعلمه أنْ سوفَ توردني الحوضَ الذي وردوا

وقال جميل أيضاً:

طربتُ وهاجَ الشَّوقُ منّي وربَّما طربتُ فأبكاني الحمامُ الهواتفُ
وأصبحتُ قد ضمَّنتُ قلبي حزازةً وفي الصَّدرِ بَلبالٌ تليدٌ وطارفُ
وأصبحتُ أكمي النَّاسَ أسرارَ حبِّها وللحبِّ أعداءٌ كثيرٌ وقارفُ

فكم غُصَّةٍ في عبرةٍ قد وجدتها وهيَّجها منِّي العيونُ الذَّوارفُ
إذا ذكرتكِ النَّفسُ ظلتُ كأنَّني يقرفُ قرحاً في فؤادي قارفُ
وقلتُ لقلبٍ قد تمادى به الهوى وأبلاهُ حبٌّ من بثينةَ رادفُ

لَعمركَ لولا الذِّكرُ لانقطعَ الهوى ... ولولا الهوى ما حنَّ للبينِ آلفُ
كلفتُ بحمّاءِ المدامعِ طفلةٍ ... حبيبٌ إلينا قربها لو تناصفُ
منَ اللُّفِّ أفخاذاً إذا ما تقلَّبتْ ... منَ الليلِ وهناً أثقلتها الرَّوادفُ
شفاءُ الهوى أمثالها منتهى المنى ... بها يقتدي البيضُ الكرامُ العفائفُ
قطوفُ الخطا عند الضُّحى عبلةُ الشَّوى ... إذا استعجلَ المشيَ العجالُ النَّحائفُ
أناةٌ كأنَّ الرِّيقَ منها مدامةٌ ... بُعيدَ الكرى أو ذافهُ المسكَ ذائفُ
فتلكَ التي هامَ الفؤادُ بذكرها ... سفاهاً وبعضُ الذِّكرِ للقلبِ شاعفُ
وما أنس من الأشياءِ لا أنسَ قولها ... غداةَ انصداعِ الشَّعبِ هل أنتَ واقفُ
ولا قولها بالخيفِ أنَّى أتيتنا ... حذارَ الأعادي أو متى أنتَ عاطفُ
ولا قولها لي يا جميلُ احفظنَّني ... ونفسكَ من بعضِ الذينَ تلاطفُ
بني عمِّيَ الأدنينَ منهم وغيرهمْ ... من الناسِ ضمَّتهمْ إليكَ المعارفُ
ولا عينها إذ يغسلُ الدَّمعُ كحلها ... وتبدي لنا منها الهوى وهيَ خائفُ
وقالت ترفَّقْ في مقالةِ ناصحٍ ... عسى الدَّهرُ يوماً بعدَ نأيٍ يساعفُ
فإنْ تدُنْ منَّا يرجعِ الودُّ راجعٌ ... وإلا فقد بانَ الحبيبُ الملاطفُ
فولَّيتُ محزوناً وقلتُ لصاحبي ... هو الموتُ إن بانَ الحبيبُ المؤالفُ
وصاحَ ببينِ الدَّارِ منَّا ومنهمُ ... غداةَ ارتحلنا للتَّفرُّقِ هاتفُ
فكمْ قد قطعنا دونكمْ من مجاهلٍ ... وموماةِ أرضٍ دونهنَّ نفانفُ
على كلِّ عيديٍّ النَّجارِ مُراكلٍ ... وأدمٍ تبارى وهيَ قودٌ حراجفُ
حراجيجُ أمثالُ القنا تهصُ السُّرى ... إذا نفضتْ هاماتهنَّ الرَّواجفُ
سروا ما سروا من ليلهمْ ثمَّ عرَّسوا ... سُحيراً وقد مالتْ بهنَّ السَّوالفُ
على كلِّ ثنيٍ من يديْ أرحبيَّةٍ ... طوى النَّحضَ عنها نازحاتٌ تنائفُ
إذا جاوزوا أعلامَ أرضٍ بدتْ لهم ... مهامهُ يُخشى في هداها المتالفُ

وقال جميل أيضاً:

عفا بردٌ من أمِّ عمروٍ فلفْلفُ ... فأُدمانُ منها فالصَّرائمُ مألفُ

وعهدي بها إذ ذاكَ والشَّملُ جامعُ ليالِيَ جمْلٌ بالمودَّةِ تسعفُ
فأصبحَ قفراً بعدما كان حقبةً وجمْلُ المنى تشتو به وتصيِّفُ
ففرَّقنا صرفٌ من الدَّهرِ لم يكنْ له دونَ تفريقٍ من الحيِّ مصرفُ
فليسَ بها إلاّ ثلاثٌ كأنَّها حمائمُ سفعٌ حولَ أورقَ عكَّفُ
أأن هتفتْ ورقاءُ ظلتَ سفاهةً تبكّي على جملٍ لورقاءَ تهتفُ
وقد نزحَ الدَّمعَ البكاءُ لذكرها من العينِ أغرابٌ تفيضُ وتغرفُ
وليسَ بكاءُ المرءِ بالعزفِ والتُّقى ولكنَّ عزفَ المرءِ عن ذاكَ أعرفُ
فلو كانَ لي بالصَّرمِ يا بثنَ طاقةٌ صرمتُ ولكنّي على الصَّرمِ أضعفُ
لها في سوادِ القلبِ مِ الحبِّ ميعةٌ هيَ الموتُ أو كادتْ على الموتِ تشرفُ
وما ذكرتكِ النَّفسُ يا بثنُ مرَّةً من الدَّهرِ إلاّ كادتْ النَّفسُ تتلفُ
وإلا علتني عبرةٌ واستكانةٌ وفاضَ لها جارٍ من الدَّمعِ يذرفُ
وما استطرفتْ نفسي حديثاً لِخلَّةٍ أسرُّ به إلاّ حديثكِ أظرفُ
لعمركَ لا ينفكُّ حبُّكِ فاعلمي جوًى لازمي ما دامتِ العينُ تطرفُ
أمنصفتي جملٌ فتعدلَ بيننا إذا حكمتْ والعادلُ الحكمَ ينصفُ
تعلَّقْتها والنَّفسُ منِّي صحيحةٌ فما زال ينمي حبُّ جملٍ وتضعفُ
إلى اليومِ حتَّى سلَّ جسمي وشفَّني وأنكرتُ من نفسي الذي كنتُ أعرفُ
شعفتُ بجملٍ بعدَ إذ كنتُ سالياً ومثلُ الذي ألقى من الحبِّ يشعفُ
صيودٌ كغصنِ البانِ ما فوقَ حقْوِها وما تحتهُ منها نقاً يتقصَّفُ

من البيضِ معطارٌ يزينُ لبانها جمانٌ وياقوتٌ ودرٌّ مؤلَّفُ
لها مقلتا ريمٍ وجيدُ جدايةٍ وبطنٌ كطيِّ السَّابريَّةِ أهيفُ
من السَّاجياتِ الطَّرفِ حورٍ كأنَّها نعاجٌ غذاهنَّ الأريضُ فلفلفُ
تسوِّفُ دَيني وهي ذاتُ يسارةٍ فحتى متى ديني لديها يسوَّفُ
على ذاكَ إنِّي لا بخيلُ عليهمُ ولا فاحشٌ فيما أطالبُ ملحفُ

لقد أخلفتْ ظنّي وكانت مخيلةً وكم من مخيلٍ يُرتجى ثمَّ يخلفُ
فلمْ يكُ لي إلاّ التّلهُّفُ إذ نأتْ وظنَّتْ وما يجدي عليَّ التّلهُّفُ
وقد صدفتْ عنّي بغيرِ جريرةٍ وما ليَ ذنبٌ عندها حينَ تصدفُ
عليكِ سلامُ الله أمَّ مطرِّفٍ وإن كانَ هذا الحبُّ لا يتصرَّفُ
تقول وقد فاضتْ من العينِ عبرةٌ أفقْ إنّ جهلاً منكَ هذا التّكلُّفُ
وكانت تحيدُ الأسدُ عنّي مخافتي فهل يقتلنِّي ذو رعاثٍ مطرَّفُ
تكلَّفتَ جملاً وهي عنكَ بخيلةٌ فهيهاتَ منكَ اليومَ ما تتكلَّفُ
ألا أيّهذا اللاَّئمي أن أحبّها تأمّلْ كذا أيّي وأيُّكَ أعنفُ
أجدَّكَ لم تحببْ فتخفقَ رسْلةٌ برحلكَ أو باقي الهبابِ مشرِّفُ
علندًى كعيرِ العونِ قد شقَّ نابهُ على الأينِ فيه عزَّةٌ وتعجرفُ
أمَ أنتَ امرؤٌ ترعيَّةٌ جُلُّ همِّهِ جمالٌ ومعزًى لا تزالُ تؤنَّفُ
شماريخُ كالقنوانِ نعَّمَ نبتها طويلُ القرا هوهاءةُ اللُّبِّ أجوفُ
إذا نفرتْ عن ظهرِ غيبٍ رأيتهُ من الشَّدِّ أجلى بعدَ إذ هو أغضفُ
إذا مرضتْ منها عناقُ رأيتهُ بسكِّينه من حولها يتلهَّفُ
محبٌّ لصغراها بصيرٌ بنسلها حفوظٌ لأخراها أحَيدبُ أحنفُ
إذا ولجَ النَّاسُ الظِّلالَ فإنّهُ معَ الشاءِ حتَّى يسرحَ الشاءَ محقفُ
له محنةٌ سودٌ ربابٌ كأنَّها إذا وردتْ ماءً براذينُ ترجفُ
بناتُ خداريٍّ كأنَّ قرونها إذا أشرفتْ فوقَ الجماجمِ علَّفُ
وراسيةٌ قعراءُ ضمَّنَ شربها إذا هتفَ القُمريُّ جونٌ معلَّفُ
طباقاءُ لم يشهدْ خصوماً ولم ينخْ قلاصاً إلى أكوارها حينَ تُعكفُ
ولم يشهدِ الفتيانَ ليلاً يلفُّهمْ على شعبِ الأكوارِ حمراءُ حرجفُ
فلولا ابنةُ العذريّ لم ترَ ناقتي شلال ولم أعسفْ بها حيثُ أعسفُ
وما كنتُ أدري ما الكراتيمُ قبلها فقد كلَّفتنيهنَّ فيما أكلَّفُ
فإن تسألي يا بثنَ عنّا فإنّنا لنا المجدُ قدماً والعديدُ المضعَّفُ

قضاعةٌ قومي إنْ قومي ذؤابةٌ بفضلِ المساعي في الملمّاتِ تعرفُ
لنا سابقانِ الملكُ والعزُّ والنَّدى قديماً وفي الإسلامِ ما لا يعنَّفُ
إذا انتهبَ الأقوامُ مجداً فإنَّنا لنا معرفا مجدٍ وللنَّاسِ معرفُ
فما سادنا قومٌ ولا ضامنا عدًى إذا شجرَ القومَ الوشيجُ المثقَّفُ
لنا حومةٌ يحمى الحريمَ بعزِّها عديدُ الحصى لم يحصها المتكلِّفُ
على كلِّ مسحاجٍ إذا ابتلَّ لبدها تهافتَ منها ثائبٌ متغضِّفُ
وكنّا إذا ما معشرٌ أجحفوا بنا ومرَّتْ جواري طيرهمْ وتعيَّفوا
وضعنا لهمْ صاعَ القصاصِ رهينةً بما سوفَ نوفيها إذا النَّاسُ طفّفوا
ترى النّاسَ ما سرنا يسيرونَ خلفنا وإن نحنُ أومأنا إلى الناسِ وقَّفوا
برزنا وأصحرنا لكلِّ قبيلةٍ بأسيافنا إذ يؤكلُ المتضعَّفُ

وقال جميل أيضاً:

عاودتُ من جملٍ قديمَ صبابتي وأخفيتُ من وجدي الذي كان خافيا
أتعذرُ لا بلْ لا محالةَ أنهُ ملومٌ إذا ذو الشَّيبِ رامَ التَّصابيا
حبيبٌ دعا عن طولِ ليلٍ حبيبهُ صبا صبوةً لما أطالَ التقائيا
إذا قلتُ أنساها تردَّدَ حبُّها كذي الدَّيْنِ يقضي مغرماً كان كاليا
أقولُ لداعي الحبِّ والحجرُ بيننا ووادي القرى لبَّيكَ لما دعانيا
فلمْ تنكرِ الدَّاعي ولكنَّ حبَّها أصيلٌ ويبلى كالذي كنتُ باليا

فما أحدثَ النَّأيُ المفرِّقُ بيننا سلوّاً ولا طولُ اجتماعٍ تقاليا
كأنْ لم يكنْ نايٌ إذا كان بعدهُ تلاقٍ ولكنْ لا إخالُ تلاقيا
خليليَّ إنْ لم تبكيا ليَ ألتمسْ خليلاً إذا أنزفتُ دمعاً بكى ليا
وقالَ خليلي إنَّ تيماءَ موعدٌ لبثنَ إذا ما الصَّيفُ ألقى المراسيا
ألمْ يكُ إذ أهلي وأهلك جيرةٌ تخبِّرني إن بنتُ ألا تلاقيا
ذري ردَّ قولٍ قد مضى كنتُ قلتهُ ولِعتِ به أو ضلَّةً من ضلاليا

فإنَّكِ لو تجلينَ نحو تِهامةٍ … أو الرُّكنِ من حورانَ أصبحتُ جاليا

وقد خفتُ أن يغترَّني الموتُ بغتةً … وفي النَّفسِ حاجاتٌ إليكِ كما هيا

وإنّي لتُنسيني الحفيظةُ كلَّما … لقيتكِ يوماً أن أبثَّكِ ما بيا

ألم تعلمي يا عذبةَ الماءِ أنَّني … أظلُّ إذا لم أُسقَ ماءكِ صاديا

وما زلتِ بي يا بثنَ حتَّى لو أنَّني … من الوجدِ أستبكي الحمامَ بكى ليا

وددتُ على حبِّي الحياةَ لو أنَّها … يزادُ لها في عمرها من حياتيا

فأقسمتُ لا ألحو محبّاً ولا أرى … له لاحياً إلاّ دعوتُ الجوازيا

وإلا اعترتني عبرةٌ بعدَ فترةٍ … وإلا تداعى الحبُّ منّي تداعيا

فلا تسمعوا قولاً لهمْ إن تظاهروا … عليَّ بلومٍ أنتَ سدَّيتهِ ليا

فما زادني الواشون إلاّ صبابةً … ولا زادني النَّاهونَ إلاّ تماديا

إذا علمتْ وجدي بها وصبابتي … فإنَّ المنايا قاصداتٌ وشاتيا

وقال جميل أيضاً:

لقد أورثتْ قلبي وكان مصحَّحاً … بثينةُ صدعاً يومَ طارَ رداؤها

إذا خطرتْ من ذكرِ بثنةَ خطرةٌ … عصتني شؤونُ العينِ فانهلَّ ماؤها

فإنْ لم أزرها عادني الشَّوقُ والهوى … وعاودَ قلبي من بثينةَ داؤها

وكيفَ بنفسٍ أنتِ هيَّجتِ سُقمها … ويمنعُ منها يا بُتينُ شفاؤها

لقد كنتُ أرجو أن تجودي بنائلٍ … فأخلفَ نفسي من جداكِ رجاؤها

فلو أنَّ نفسي يا بثينُ تُطيعني … لقد طالَ عنكمْ صبرها وعزاؤها

ولكن عصتني واستبدَّتْ لإمرها … فأنتِ هواها يا بثينُ وشاؤها

فأحيي هداك الله نفساً مريضةً … طويلاً بكمْ تهيامها وعناؤها

وكمْ وعدتنا من مواعدَ لو وفتْ … بوأيٍ فلم تنجزْ قليلٍ غناؤها

وكم لي عليها من ديونٍ كثيرةٍ … طويلٌ تقاضيها بطيءٌ قضاؤها

تجودُ به في النَّومِ غيرِ مصرَّدٍ … ويحزنُ أيقاظاً عليها عطاؤها

إذا قلتُ قد جادتْ لنا بنوالها … أبتْ ثمَّ قالت خطَّةٌ لا أشاؤها

أعاذلتي فيها لكِ الويلُ أقصري ... من اللَّومِ عنّي اليومَ أنتِ فداؤها
فما ظبيةٌ أدماءُ لاحقةُ الحشا ... بصحراءِ قوٍّ أفردتها ظباؤها
تراعي قليلاً ثمَّ تحنو إلى طلا ... إذا ما دعتهُ والبغامُ دعاؤها
بأحسنَ منها مقلةً ومقلَّداً ... إذا جليتْ لم يستطاعُ اجتلاؤها
وتبسمُ عن غُرٍّ عذابٍ كأنَّها ... أقاحٍ حكتها يومَ دجنٍ سماؤها
إذا اندفعتْ تمشي الهوينى كأنَّها ... قناةٌ تعلَّتْ لينها واستواؤها
إذا قعدتْ في البيتِ يشرقُ بيتها ... وإن برزتْ يزدادُ حسناً فناؤها
قطوفٌ ألوفٌ للحجالِ يزينها ... معَ الدَّلِّ منها جسمها وحياؤها
منعَّمةٌ ليستْ بسوداءَ سلفعٍ ... طويلٌ لجيرانِ البيوتِ نداؤها
فدتكِ من النّسوانِ كلُّ شريرةٍ ... صخوبٍ كثيرٍ فُحشها وبذاؤها
فهذا ثنائي إن نأتْ وإذا دنتْ ... فكيفَ علينا ليتَ شعري ثناؤها

وقال جميل أيضاً:

وغرِّ الثَّنايا من ربيعةَ أعرضتْ ... حروبُ معدٍّ دونهنَّ ودوني
تحمَّلنَ من ماءِ الثُّديِّ كأنَّما ... تحمَّلنَ من مرسًى ثقالَ سفينِ
فلمَّا دخلنَ الخيمَ سدَّتْ فروجهُ ... بكلِّ لبانٍ واضحٍ وجبينِ
وعالَينِ رقماً فوقَ كلِّ عذافرٍ ... إذا حثَّ رخوُ الأخدعينِ ذقونِ
كأنَّ الخدورَ أولجتْ في ظلالها ... ظباءُ الملا ليستْ بذاتِ قرونِ
إلى رجّحِ الأعجازِ حورٍ نمى بها ... مع العتقِ والأحسابِ صالحُ دينِ

تبادرنَ أبوابَ الحجالِ كما مشى ... حمامُ ضحًى في أيكةٍ وفنونِ
وقال خليلي طالعاتٌ من الصَّفا ... فقلتُ تأمَّلْ ليسَ حيثُ تريني
قرضْنَ شمالاً ذا العشيرةِ كلَّهُ ... وذاتَ اليمينِ البرْقَ برقَ هجينِ
فأصعدْنَ في سرَّاءَ حتَّى إذا انتحتْ ... شمالاً نحا حاديهمُ ليمينِ
فلمَّا تعسَّفنَ الأداهمَ فُتْنني ... وسمَّحَ للبينِ المشتِّ قريني

فألقتْ عصاها واستقرَّ بها النَّوى ... على جنبِ نهيٍ ذي شرائعَ جونِ

أبيني لنا قبلَ الفراقِ أبيني ... بثينةُ حقّاً صرمكمْ بيقينِ

فلو أرسلتْ يوماً بثينةُ تبتغي ... يميني ولو عزَّتْ عليَّ يميني

لأعطيتها ما جاءَ يبغي رسولها ... وقلتُ لها بعدَ اليمينِ سليني

سليني ما لي يا بثينَ فإنَّما ... يبيِّنُ عندَ المالِ كلُّ ضنينِ

فما لكِ لمَّا خبَّرَ النَّاسُ أنَّني ... أسأتُ بظهرِ الغيبِ لم تسليني

فأبليَ عذراً أو أجيءَ بشاهدٍ ... من النَّاسِ عدلٍ أنَّهم ظلموني

ولستُ وإن عزَّتْ عليَّ بقائلٍ ... لها بعدَ صرمٍ يا بثينَ صليني

لحى الله من لا ينفعُ الودُّ عندهُ ... ومن حبلهُ إنْ مدَّ غيرُ متينِ

ومن هو إنْ تحدثُ له العينُ نظرةً ... يقضّبْ لها أسبابَ كلِّ قرينِ

ومن هو ذو لونينِ ليسَ بدائمٍ ... على خلقٍ خوَّانُ كلِّ أمينِ

فليتَ رجالاً فيكَ قد نذروا دمي ... وهمُّوا بقتلي يا بثينَ لقوني

أرادوا لكيما يقتلوني ولا يدوا ... دمي ثمَّ إنَّ الواقياتِ تقيني

إذا ما رأوني مقبلاً من ثنيَّةٍ ... يقولونَ من هذا وقد عرفوني

وكيفَ لا توفي دماؤهمْ دمي ... ولا مالهمْ ذو كثرةٍ فيدوني

حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ إلى منًى ... هويَّ القطا يجتزنَ بطنَ دفينِ

لأيقنَ هذا القلبُ أن ليسَ لاقياً ... سُليمى ولا أمَّ الجُسيرِ لحينِ

من البيضِ لم تعقدْ نطاقاً بخصرها ... ولم يرْخِ متنيها ارتكاضُ جنينِ

كأنَّ دموعَ العينِ إذ شطَّتِ النَّوى ... ببثنةَ يسقيها رذاذُ معينِ

جلتْ برداً غرّاً ترفُّ غروبهُ ... عِذابَ الثَّنايا لم تشبْ بأجونِ

وقال جميل أيضاً:

أمنْ آلِ ليلى تغتدي أم تروَّحُ ... وللمغتدي أمضى هموماً وأسرحُ

ظللنا لدى ليلى وظلَّتْ ركابنا ... بأكوارها محبوسةً ما تسرَّحُ

إذا أنتَ لم تظفرْ بشيءٍ طلبتهُ ... فبعضُ التَّأنِّي في اللُّبانةِ أنجحُ

وقامتْ تراءى بعدما نامَ صحبتي لنا وسوادُ اللَّيلِ قد كادَ يجلحُ
بذي أشرٍ كالأقحوانِ يزينهُ ندى الطَّلِ إلاّ أنَّه هو أملحُ
كأنَّ خزامى عالجٍ في ثيابها بعيدَ الكرى أو فأرَ مسكٍ تذبَّحُ
كأنَّ الذي يبتزُّها من ثيابها على رملةٍ من عالجٍ متبطِّحُ
وبالمسكِ تأتيكَ الجنوبُ إذا جرتْ لكَ الخيرُ أم ريّا بثينةَ تنفحُ
من الخفراتِ البيضِ خودٌ كأنَّها إذا ما مشتْ شبراً من الأرضِ تُنزحُ
منعمةٌ لو يدرجُ الذَّرُ بينها وبين حواشي ثوبها ظلَّ يجرحُ
إذا ضربتها الرِّيحُ في المرطِ أجفلتْ مآكمها والرّيحُ في المرطِ أفضحُ
ترى الزُّلَّ يلعنَّ الرِّياحَ إذا جرتْ وبثنةُ إن هبَّتْ لها الرِّيحُ تفرحُ
إذا الزُّلُّ حاذرنَ الرِّياحَ رأيتها من العجبِ لولا خشيةُ الله تمرحُ
وإنّي وإنْ لم تسمعي لمقالتي لأحمدُ نفسي في التَّنائي وأمدحُ
ويرتاحُ قلبي والتَّنوفةُ بيننا لذكراكِ أو ينهلُّ دمعي فيسفحُ
وبثنةُ قد قالتْ وكلُّ حديثها إلينا ولو قالتْ بسوءٍ مملَّحُ
تقولُ بني عمّي عليكَ أظنَّةٌ وأنتَ العدوُّ المسرفُ المتنطِّحُ
وقالتْ عيونٌ لا تزالُ مطلَّةً علينا وحولي من عدوّكَ كشَّحُ
إذا جئتنا فانظر بعينٍ جليَّةٍ إلينا ولا يغرُركَ من يتنصَّحُ
رجالٌ ونسوانٌ يودّونَ أنَّني وإيّاكَ نخزى يا بن عمّي ونفضحُ

وقالتْ تعلَّمْ أنَّ ما قلتَ باطلٌ أيادي سبا منهنَّ إن كنتَ تمزحُ
وحولي نساءٌ إن ذكرتَ بريبةٍ شمتنَ وما منهنَّ إلاّ سيفرحُ
ووالله ما يدري جميلُ بن معمرٍ أليلى بقوٍّ أم بثينةُ أنزحُ
وكلتاهما أمستْ ومن دونِ أهلها لعوجِ المطايا والقصائدِ مسبحُ
أمنْ أجلِ أن عجنا قليلاً ولم نقلْ لليلى كلاماً لا أبا لك تكْلحُ
فمتْ كمداً أو عشْ ذميماً فإنَّها جيوبٌ لليلى تحفظُ الغيبَ نصَّحُ

سلوا الواجدينَ المخبرينَ عن الهوى وذو البثِّ أحياناً يبوحُ فيصرحُ

أتقرحُ أكبادُ المحبِّينَ كالذي أرى كبدي من حبِّ بثنةَ يقرحُ

فوالله ثمَّ الله إنِّي لصادقٌ لذكركِ في قلبي ألذُّ وأملحُ

من النّسوةِ السُّودِ اللَّواتي أمرْنني بصرمكِ إنِّي من ورائكَ منفحُ

لقد قلنَ ما لا ينبغي أن يقلنهُ وينضحنَ جلداً لم يكن فيكَ ينضحُ

بكى بعلُ ليلى أن رأى القومَ عرَّجوا صدورَ المطايا وهي في السَّيرِ جنَّحُ

ووالله ما أدري أصرمٌ تريدهُ بثينةُ أم كانتْ بذلكَ تمزحُ

عشيَّةَ قالتْ لا يكنْ لكَ حاجةٌ رأيتكَ تأسو باللّسانِ وتجرحُ

فقلتُ أصرمٌ أم دلالٌ وإنْ يكنْ دلالٌ فهذا منكِ شيءٌ مملَّحُ

إليَّ وإنْ حاولتِ صرمي وهجرتي فما قبلي منْ جانبِ الأرضِ أفسحُ

ألمْ تعلمي وجدي إذا شطَّتِ النَّوى وكنتُ إذا تدنو بك الدَّارُ أفرحُ

فإنِّي عرضتُ الودَّ حتَّى رددتهِ وحتّى لحى فيكِ الصَّديقُ وكشَّحُ

فأشمتِّ أعدائي ووسيءَ بما رأى صديقي ولا في مرجعٍ كنتُ أكدحُ

فهلاَّ سألتِ الرَّكبَ حينَ يلفُّني وإيَّاهمُ خرقٌ من الأرضِ أفيحُ

أأُكرمُ أصحابي وأبذلُ ذا يدي وأعرضُ عن جهلِ الصَّديقِ وأصفحُ

وأُكثرُ قولاً والحبيبِ موكَّلٌ سقى أهلَ جملٍ حيثُ أمسوا وأصبحوا

أجشُّ هزيمُ الرَّعدِ دانٍ ربابهُ له هيدبٌ جمُّ العثاثينَ رجَّحُ

ذكرتكِ يومَ النَّحرِ يا بثنُ ذكرةً على قرنٍ والعيسُ بالقومِ جنَّحُ

عواطفَ بالعينِ بينَ مسرَّةٍ لقاحاً وأُخرى حائلٍ تتلقَّحُ

دهنَّ بأسقاطِ اللُّغامِ كأنَّهُ إذا قطَّعتهُ الرِّيحُ قزٌّ مسرَّحُ

ويومَ وردْنا قرحَ هاجتْ ليَ البكا من الورقِ حمَّاءُ العلاطينِ تصدحُ

ويومَ وردْنا الحجرَ يا بثنُ عادَني لكِ الشَّوقُ حتَّى كدتُ باسمكِ أُفصحُ

وليلةَ بتْنا بالجنينةِ هاجَني سنا بارقٍ منْ نحوِ أرضكِ يلمحُ

فعدتُ لهُ والقومُ صرعى كأنَّهمْ لدى العيسِ بالأكوارِ خشبٌ مطرَّحُ

أراقبهُ حتَّى بدا متبلِّجٌ ... منَ الصُّبحِ مشهورٌ وما كدتُ أُصبحُ

وليلةَ بتْنا ذاتَ حاجٍ ذكرتكمْ ... هدواً وقدْ نامَ الخليُّ المصحَّحُ

وبتُّ كئيباً لادِّكاري وصحبَتي ... على مشرعٍ فانهلَّتِ العينُ تسفحُ

ويومَ معانٍ قالَ لي فعصيتهُ ... أفقْ عنْ بثينَ الكاشحُ المتنصِّحُ

ويومَ نزلْنا بالحبالِ عشيةً ... وقد حُبستْ فينا الشَّراةُ وأذرحُ

ذكرتكمُ فانهلَّتْ العينُ إنَّها ... إذا لمْ يكنْ صبرٌ أخفُّ وأروحُ

وليلةَ عرَّسنا بأوديةِ الغضا ... ذكرتكِ إنَّ الحبَّ داءٌ مبرِّحُ

ويومَ تبوكٍ كدتُ منْ شدَّةِ الأسى ... عليكِ بما أُخفي منَ الوجدِ أصرحُ

سلمة بن الخرشب

وقال سلمة بن الخرشب الأنماري في يوم الرَّقم، والرّقم موضع، وهي مفضلية:

إذا ما غدوتمْ لأرضِنا ... بني عامرٍ فاسْتظهروا بالمرائرِ

فإنَّ بني ذبيانَ حيثُ علمتمُ ... بجزعِ البتيلِ بينَ بادٍ وحاضرِ

يسدُّونَ أبوابَ القبابِ بضمَّرٍ ... إلى عننٍ مستوثقاتِ الأواصرِ

فأمسَوا حلالاً ما يفرِّقُ بينهمْ ... على كلِّ ماءٍ بين فيدَ وساجرِ

وأصعدتِ الحطَّابُ حينَ تقاربوا ... على خشبِ الطَّرفاءِ فوقَ العواقرِ

نجوتَ بنصلِ السَّيفِ لا غمدَ فوقهُ ... وسرجٍ على ظهرِ الرِّحالةِ قاترِ

فأثنِ عليها بالَّذي أنتَ أهلهُ ... ولا تكْفرنْها لا فلاحَ لكافرِ

فلو أنَّها تجري على الأرضِ أُدركتْ ... ولكنَّها تهفو بتمثالِ طائرِ

خداريَّةٍ فتخاءَ ألثقَ ريشَها ... سحابةُ يومٍ ذي أهاضيبَ ماطرِ

فدًى لأبي أسماءَ كلُّ مقصِّرٍ ... منَ القومِ من ساعٍ بوترٍ وواترِ

بذلتَ المخاضَ البزلَ ثمَّ عشارها ... ولم تنهَ منها عنْ صفوفٍ مظائرِ

مقرِّنُ أفراسٍ له برواحلٍ ... فغاولْنهمْ مستقبلاتِ الهواجرِ

فأدْركتَهم شرقَ المروْراتِ مقصراً بقيَّةُ نسلٍ من بناتِ القراقرِ
فلمْ تنجُ إلاّ كلُّ خوصاءَ تدَّعي بذي شرفاتٍ كالفنيقِ المخاطرِ
وإنَّكَ يا عامِ ابنَ فارسٍ قرزلٍ معيدٌ على قيلِ الخنا والهواجرِ
هرقنَ بساحوقٍ جفاناً كثيرةً وأدَّينَ أُخرى من حَقينٍ وحازرِ

وقال سلمة أيضاً:

تأوَّبهُ خيالٌ من سُليمى كما يعتادُ ذا الدَّينِ الغريمُ
فإنْ تقبلُ بما علمتْ فإنِّي بحمدِ اللهِ وصَّالٌ صرومُ
ومختاضٍ تبيضُ الرُّبدُ فيهِ تُحومي نبتهُ فهوَ العميمُ
غدوتُ بهِ تُدافعُني سبوحٌ فراشُ نسورِها عجمٌ جريمُ
منَ المتلفِّتاتِ بجانبَيْها إذا ما بلَّ محزمَها الحميمُ
إذا كانَ الحزامُ بقصريَيها إماماً حيثُ يمتسكُ البريمُ
تُدافعُ حدَّ طُبيَيْها وحيناً يعادلهُ الجراءُ فيستقيمُ
كميتٌ غيرُ محلفةٍ ولكنْ كلونِ الصِّرفِ علَّ بهِ الأديمُ
تعادى منْ قوائمِها ثلاثٌ بتحجيلٍ وقائمةٌ بهيمُ
كأنَّ مسيحتَيْ ورقٍ عليها نمتْ قرطيهِما أُذنٌ خذيمُ
تعوَّذُ بالرُّقى من غيرِ خبلٍ ويعقدُ في قلائدِها التَّميمُ
وتُمكنُنا إذا نحنُ اقتنصنْا منَ الشَّحَّاجِ أسعلهُ الجميمُ
هويَّ عقابِ عردةَ أشأزتْها بذي الضَّمرانِ عكرشةٌ درومُ

أول هذه القصيدة في المفضليات:

تأوّبه خيالٌ من سليمى

ووجدت لها في أشعار بني عبس ثلاثة أبيات وهي:

تكلَّمْ أيُّها الطَّللُ القديمُ عفتْ فيهِ أُجيرةُ فالحريمُ
تأبَّدَ ما بدا للرِّيحِ منهُ وآلاءٌ بتيمُنَ لا تريمُ
إذا ما قلتُ أقصرَ عنْ صباهُ فكانَ كحينِ محتضرُ السَّقيمُ

بشامة بن عمرو

وقال بشامة بن عمرو بن حزن بن هلال بن وائلة بن سهم بن مرة، وهي مفضلية وقرأها علي شيخي أبي محمد بن الخشاب حفظاً:

هجرتَ أُمامةَ هجراً جميلاً وحمَّلكَ النَّأيُ عبئاً ثقيلا

وحمِّلتَ منها على نأيِها خيالاً يُوافي ونيْلاً قليلا

ونظرةَ ذي شجنٍ وامقٍ إذا ما الرَّكائبُ جاوزنَ ميلا

أتتْنا تُسائلُ ما بثُّنا فقلْنا لها قدْ عزمْنا الرَّحيلا

وقلنا لها كنتِ قدْ تعلمينَ منذُ ثوى الرَّكبُ عنَّا غفولا

فبادَرَتاها بمستعجلٍ منَ الدَّمعِ ينضحُ خدّاً أسيلا

وما كانَ أكثرَ ما نوَّلتْ منَ القولِ إلاّ صفاحاً وقيلا

وعذرتُها أنَّ كلَّ امرئٍ معدٌّ لهُ كلَّ يومٍ شكولا

كأنَّ النَّوى لم تكنْ أصقبتْ ولمْ تأتْ قومَ أديمٍ حلولا

فقرَّبتُ للرَّحلِ عيرانةً عذافرةً عنتريساً ذمولا

مداخلةَ الخلقِ مضبورةً إذا أخذَ الحاقفاتُ المقيلا

لها قردٌ تامكٌ نيُّهُ تزلُّ الوليَّةُ عنهُ زليلا

تطرَّدُ أطرافَ عامٍ خصيبٍ ولمْ يدنِ عبدٌ إليها فصيلا

توقَّرُ شازرةٌ طرفَها إذا ما ثنيتُ إليها الجديلا

بعينٍ كعينِ مفيضِ القداحِ إذا ما أراغَ يريدُ الحويلا

وحادرةٍ كنَفَيها المسي حُ تنضحُ أوبرَ شتّاً غليلا

وصدرٍ لها مهيعٌ كالخلي فِ تخالُ بأنَّ عليهِ شليلا

ومرَّتْ على كشبٍ غدوةً وحاذتْ بجنبِ أريكٍ أصيلا

توطَّأُ أغلظُ حزَّانِه كوطءِ القويِّ العزيزِ الذَّليلا

إذا أقبلتْ قلتَ مذعورةٌ من الرُّمدِ تلحفُ هيقاً ذمولا

وإنْ أدبرتْ قلتَ مشحونةٌ أطاعتْ لها الرِّيحُ قلعاً جفولا

وإنْ أعرضتْ راءَ فيها البصيرُ ما لا يكلِّفهُ أنْ يفيلا

يداً سرحاً مائراً ضبعُها تسومُ وتقدمُ رِجلاً زجولا

وعوجاً تناطحنَ نحنَ المطايا بهنَّ وتهدي مشاشاً كهولا

تعزُّ المطيَّ جماعَ الطَّريقِ إذا أدلجَ القومُ ليلاً طويلا

كأنَّ يديْها إذا أرقلتْ وقدْ جرنَ ثمَّ اهتدينَ السَّبيلا

يدا عائمٍ خرَّ في غمرةٍ قد أدركهُ الموتُ إلاّ قليلا

وخُبِّرتُ قومي ولمْ آتهمْ أجدُّوا بأعلى شويسٍ حلولا

فإمَّا هلكتُ ولمْ أتهمْ فأبلغْ أماثلَ سهمٍ رسولا

فإنْ قومكمْ خيِّروا خصلتيْ نِ كلتاهما جعلوها عدولا

خزيُ الحياةِ وحربُ الصَّديقِ وكلاًّ أراهُ طعاماً وبيلا

فإنْ لمْ يكنْ غيرُ إحداهُما فسيروا إلى الموتِ سيراً جميلا

ولا تقعدوا وبكمْ منَّةٌ كفى بالحوادثِ للمرءِ غولا

وحشُّوا الحروبَ إذا أُوقدتْ رماحاً طوالاً وخيلاً فحولا

ومنْ نسجِ داوودَ موضونةً ترى للقواضبِ فيها صليلا

ولكنَّكمْ وعطاءَ الرِّها نِ جرَّتِ الحربُ جلاً جليلا

كثوبِ ابنِ بيضٍ وقاهمْ بهِ فسدَّ على السَّالكينَ السَّبيلا

مزرد بن ضرار

وقال مزرد بن ضرار بن صيفي الذبياني وهو أخو الشماخ وهي مفضلية:

ألا يا لقومٍ والسفاهةُ كاسمها أعائذتي من حبِّ سلمى عوائدي

سويقةُ بلبالي إلى فلجاتها فذو الرمثِ أبكتني لسلمى معاهدي

معاهدُ ترعى بينها كل رعلةٍ غرابيبُ كالهندِ الحوافي الحوافدِ

تراعي بذي الغلانِ صعلاً كأنهُ بذي الطلحِ جاني علفٍ غيرُ عاضدِ

وقالت ألا تثوي فتقضي لبابةً أبا حسنٍ فينا وتبلو مواعدي
أتاني وأهلي في جهينةَ دارهم بنصعٍ فرضوى من وراءِ المرابدِ
تأوهُ شيخٍ قاعدٍ وعجوزهِ حزينينِ بالصعلاءِ ذاتِ الأساودِ
وعالا وعاما حين باعا بأعنزٍ وكلبينِ لعبانيةً كالجلامدِ
هجاناً وحمراً معطراتٍ كأنها حصى مغرةٍ ألوانها كالمجاسدِ
تدققُ أوراكٌ لهنَّ عرضنةٌ على ماءِ يمؤودٍ عصا كل ذائدِ
أزرعَ بن ثوبٍ إن جاراتِ بيتكم أزلنَ وألهاكَ ارتغاءُ الرغائدِ
وأصبحَ جاراتُ ابنِ ثوبٍ بواشماً منَ الشرِّ يشويهنَّ شيَّ القدائدِ
تركتُ ابنَ ثوبٍ وهو لا سترَ دونهُ ولو شئتُ غنتني بثوبٍ ولائدي
صقعتُ ابن ثوبٍ صقعةً لا حجى لها يولولُ منها كلُّ آسٍ وعائدِ
فردوا لقاحَ الثعلبيَّ أداؤها أعفُّ وأتقى من أذىً غيرِ واجدِ
وإن لم تردوها فإنَّ سماعها لكم أبداً من باقياتِ القلائدِ
وما خالدٌ منا وإن حلَّ فيكمُ أبانينِ بالنائي ولا المتباعدِ
تسفهتهُ غرماً لهُ إذ رأيتهُ غلاماً كغصنِ البانةِ المتغايدِ
تحنُّ لقاحُ الثعلبي صبابةً لأوطانها من غيقةٍ فالفدافدِ
وعاعى ابن ثوبٍ في الرعاءِ بصبةٍ حيالٍ وأخرى لم ترَ الفحلَ والدِ
فيا آلَ ثوبٍ إنما ذودُ خالدٍ كنارِ اللظى لا خيرَ في ذودِ خالدِ
بهن دروءٌ من نحازٍ وغدةٍ لها ذرباتٌ كالثديِّ النواهدِ
جربنَ فما يهنأنَ إلا بغلقةٍ عطينٍ وأبوالِ النساءِ القواعدِ
فلم أرَ رزءاً مثلهُ إذ أتاكمُ ولا مثلَ ما يهدى هديةَ شاكدِ
فيا لهفى ألا تكونَ تعلقت بأسبابِ حبلٍ لابنِ دارةَ ماجدِ
فيرجعها قومٌ كأنَّ أباهمُ ببيشةَ ضرغامٌ طوالُ السواعدِ
ولو جارها اللجلاجُ أو لو أجارها بنو باعثٍ لم تنزُ في حبلِ صائدِ
ولو كنَّ جاراتٍ لآلِ مساحقٍ لأدينَ هوناً معنقاتِ المواردِ

ولو في بني الثرماءِ حلت تحدبوا | عليها بأرماحِ حدادِ الحدائدِ
مصاليتُ كالأسيافِ ثم مصيرهم | إلى خفراتٍ كالقنا المترائدِ
ولكنها في مرقبٍ متناذرٍ | كأنَّ بها منه قروضَ الجداجدِ

وقلتُ ولم أملك: رزامَ بنَ مازنٍ | إلى آيةٍ فيها حياءُ الخرائدِ

وقال مزرد أيضاً، مفضلية، وقرأها في جملة المفضليات على شيخي ابن الخشاب:

صحا القلبُ عن سلمى وملَّ العواذلُ | وما كادَ لأياً حبُّ سلمى يزايلُ
فؤاديَ حتى طارَ غي شبيبتي | وحتى علا وخطٌ من الشيبِ شاملُ
يقنئهُ ماءُ اليرناءِ تحتهُ | شكيرٌ كأطرافِ الثغامةِ ناصلُ
فلا مرحباً بالشيبِ من وفدِ زائرٍ | متى يأتِ لا تحجب عليهِ المداخلُ
وسقياً لريعانِ الشبابِ فإنهُ | أخو ثقةٍ في الدهرِ إذ أنا جاهلُ
إذ الهو بليلى وهيَ لذٌّ حديثها | لطالبها مسؤولُ خيرٍ فباذلُ
وبيضاءَ فيها للمخالم صبوةٌ | ولهوٌ بمن يرنو إلى اللهوِ شاغلُ
لياليَ إذ تصبي الحليمَ بدلها | وتمشي خزيلَ الرجعِ فيهِ تفاتلُ
وعيني مهاةٍ في صوارٍ مرادها | رياضٌ سرت فيها الغيوثُ الهواطلُ
وأسحمَ ريانِ القرونِ كأنهُ | أساودُ رمانَ السباطُ الأطاولُ
وتخطو على برديتين غذاهما | نميرُ المياهِ والعيونُ الغلاغلُ
فمن يكُ معزالَ اليدينِ مكانهُ | إذا كشرت عن نابها الحربُ خاملُ
فقد علمت فتيانُ ذبيانَ أنني | أنا الفارسُ الحامي الذمارَ المقاتلُ
وأني أردُّ الكبشَ والكبشُ جامحٌ | وأرجعُ رمحي وهو ريانُ ناهلُ
وعندي إذا الحربُ العوانُ تلقحت | وأبدت هواديها الخطوبُ الزلازلُ
طوالُ القرى قد كادَ يذهبُ كاهلاً | جوادُ المدى والعقبِ والخلقُ كاملُ
أجشُّ صريحيٌّ كأنَّ صهيلهُ | مزاميرُ شربٍ جاوبتها جلاجلُ
متى يرَ مركوباً يقل بازُ قانصٍ | وفي مشيهِ عند القيادِ تساتلُ

تقوكُ إذا أبصرتهُ وهوَ صائمٌ خباءٌ على نشزِ أو السيدُ ماثلُ

خروجُ أضاميمٍ وأحصنُ معقلٍ إذا لم يكن إلا الجيادَ معاقلُ

مبرزُ غاياتٍ وأن يتلُ عانةً يذرها كذودٍ عاثَ فيها مخايلُ

يرى طامحَ العينين يرنو كأنهُ مؤانسُ ذعرٍ فهو بالأذنِ خاتلُ

إذِ الخيلُ من غبّ الوجيفِ رأيتها وأعينها مثلَ القلاتِ حواجلُ

وقلقلتهُ حتى كأنَّ ضلوعهُ سفيفُ حصيرٍ فرقتهُ الرواملُ

يرى الشدَّ والتقريبَ نذراً إذا عدا وقد لحقت بالصلبِ منهُ الشواكلُ

لهُ طحرٌ عوجٌ كأنَّ بضيعها قداحٌ براها صانعُ الكفِّ نابلُ

وصمُّ الحوامي ما يبالي إذا عدا أوعثُ نقاً عنت لهُ أم جنادلُ

وسلهبةٌ جرداءُ باقٍ مريسها موثقةٌ مثلُ الهراوةِ حائلُ

كميتٌ عناةُ السراةِ نمى بها إلى نسبِ الخيلِ الصريحُ وجافلُ

منَ المسبطراتِ الجياد طمرةٌ لجوجٌ هواها السبسبُ المتماحلُ

صفوحٌ بخديها وقد طالَ جريها كما قلبَ الكفَّ الألدُّ المجادلُ

يفرطها عن كبةِ الخيلِ مصدقٌ كريمٌ وشدٌّ ليسَ فيه تخاذلُ

وإن ردَّ من فضلِ العنانِ توردت هويَّ قطاةٍ أتبعتها الأجادلُ

مقربةٌ لم تقتعد غيرَ غارةٍ ولم تمترِ الأطباءَ منها السلائلُ

إذا ضمرت كانت جدايةَ حلبٍ أمرت أعاليها وشدَّ الأسافلُ

فقد أصبحت عندي تلاداً عقيلة ومن كل مالٍ متلداتٌ عقائلُ

وأحبسها ما دام للزيتِ عاصرٌ وما طافَ فوقَ الأرضِ حافٍ وناعلُ

ومسفوحةٌ فضفاضةٌ تبعيةٌ وآها القتير تجتويها المعابلُ

دلاصٌ كظهرِ النونِ لا يستطيعها سنانٌ ولا تلكَ الحظاءُ الدواخلُ

موشحةٌ كالنهي دانٍ حبيكها لها حلقٌ بعدَ الأناملِ فاضلُ

مشهرةٌ تحنى الأصابعُ نحوها إذا اجتمعت يومَ الحفاظِ القبائلُ

وتسبغةٌ في تركةِ حميريةٍ دلامصةٍ ترفضُّ عنها الجنادلُ

كأنَّ شعاعَ الشمسِ في حجراتها مصابيحُ رهبانٍ زهتها القنادلُ

وجوبٌ يرى كالشمسِ في طخيةِ الدجى وأبيضُ ماضٍ في الضريبةِ قاصلُ

سلافُ حديدٍ ما يزالُ حسامهُ ذليقاً وقدتهُ القرونُ الأوائلُ

إذا ما عدا العادي بهِ نحو قرنهِ وقد سامهُ قولاً فدتكَ المناصلُ

وأملسُ هنديٌّ متى يعلُ حدهُ ذرى البيضِ لا تسلم عليهِ الكواهلُ

ألستَ نقياً لا تليقُ بكَ الذرى ولا أنتَ إن طالت بكَ الكفُّ ناكلُ

حسامٌ خفيُّ الجرسِ عندَ استلالهِ صفيحتهُ مما تنقي الصياقلُ

ومطردٌ لدنُ الكعوبِ كأنما تغشاهُ منباعٌ منَ الزيتِ سائلُ

أصمُّ إذا ما هزَّ مارت سراتهُ كما مارَ ثعبانُ الكثيبِ الموائلُ

لهُ فارطٌ ماضي الغرارِ كأنهُ هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ناحلُ

فدع ذا ولكن ما ترى رأيَ عصبةٍ أتتنيَ منهم منديات عضائلُ

يهزونَ عرضي بالمغيبِ ودونهُ لقرمهمِ مندوحةٌ ومآكلُ

على حينَ أن جربتُ واشتدَّ جانبي وأنبحَ مني رهبةً من أناضلُ

وجاوزتُ رأسَ الأربعينَ فأصبحت قناتيَ لا يلفى لها الدهرَ عادلُ

وقد علموا في سالفِ الدهرِ أنني معنٌّ إذا جدَّ الجراءُ ونابلُ

زعيمٌ لمن قاذفتهُ بأوابدٍ يغني بها الساري وتحدى الرواحلُ

تكرُّ فما تزدادُ إلا استنارةً إذا رازتِ الشعرَ الشفاهُ العواملُ

مذكرةٍ تلقى كثيراً رواتها ضواحٍ لها في كلِّ أرضٍ أزاملُ

فمن أرمه منها ببيتٍ يلح بهِ كشامةِ وجهٍ ليس للشامِ غاسلُ

كذاك جزائي في الهديّ وإن أقل فلا البحرُ منزوحٌ ولا الصوتُ صاحلُ

فعدِّ قريضَ الشعرِ إن كنتَ مغزراً فإنَّ غزيرَ الشعرِ ما شاءَ قاتلُ

لنعتِ صباحي طويلٍ شقاؤهُ لهُ رقميات وصفراءُ ذابلُ

بقينَ لهُ مما يبري وأكلبٌ تقلقلُ في أعناقهنَّ السلاسلُ

سخامٌ ومقلاءُ القنيصِ وشيظمٌ وجدلاءُ والسرحانُ والمتناولُ
بناتُ سلوقيين كانا حياتهُ فماتا فأودى شخصهُ فهوَ خاملُ
وأيقنَ إن ماتا بجوعٍ وخيبةٍ وقال لهُ الشيطانُ إنكَ عائلُ
فطوفَ في أصحابهِ يستثيبهم فآبَ وقد أكدت عليهِ المسائلُ
إلى صبيةٍ مثلِ المغالي وخرملٍ رواد ٍومن شرِّ النساءِ الخراملُ
فقالَ لها هل من طعامٍ فإنني أذمُّ إليكِ الناسَ أمكِ هابلُ
فقالت نعم هذا الطويُّ وماؤهُ ومحترقٌ من حائلِ الجلدِ قاحلُ
فلما تناهت نفسهُ من طعامهِ وأمسى طليحاً ما يعانيهِ باطلُ
تغشى يريدُ النومَ فضلَ ردائهِ فأعيا على العينِ السهادَ البلابلُ

عبدة بن الطبيب

وقال عبدة بن الطبيب واسمه يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد لهم بن جشم بن عبد شمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم:

هل حبلُ خولةَ بعدَ الهجرِ موصولُ أم أنتَ عنها بعيدُ الدارِ مشغولُ
حلت خويلةُ في دارٍ مجاورةً أهلَ المدائنِ فيها الديكُ والفيلُ
يقارعونَ رؤوسَ العجمِ ضاحيةً منهم فوارسُ لا عزلٌ ولا ميلُ
فخامر العقلَ من ترجيعِ ذكرتها رسٌّ لطيفٌ ورهنٌ منكَ مكبولُ
رسٌّ كرسِّ أخي الحمى إذا غبرت يوماً تأوبهُ منها عقابيلُ
وللأحبةِ أيامٌ تذكرها وللنوى قبلَ يومِ البينِ تأويلُ
إنَّ التي ضربت بيتاً مهاجرةً بكوفةِ الجندِ غالت دونها غولُ
فعدِّ عنها ولا تشغلكَ عن عملٍ إنَّ الصبابةَ بعدَ الشيبِ تضليلُ
بجسرةٍ كعلاةِ القينِ دوسرةٍ فيها على الأينِ إرقالٌ وتبغيلُ
عنسٍ تشيرُ بقنوانٍ إذا زجرت من خصبةٍ بقيت فيها شماليلُ
قرواءُ مقذوفةٌ بالنحضِ يشعفها فرطَ المراحِ إذا كلَّ المراسيلُ
وما يزالُ لها شأوٌ يوقرهُ محرفٌ من سيورِ الغرفِ مجدولُ

إذا تجاهدَ سيرُ القومِ في شركٍ — كأنهُ شطبٌ بالسروِ مرمولُ
نهجٍ ترى حولهُ بيضَ القطا قبصاً — كأنه بالأفاحيصِ الحواجيلُ
حواجلٌ ملئت زيتاً مجردةً — ليست عليهنَّ من خوصِ سواجيلُ
وقل ما في أداوي القوم فانجردوا — وفي الأداوى بقياتٌ صلاصيلُ

والعيسُ تدلكُ دلكا عن ذخائرها — ينحزنَ منهنَّ محجونٌ ومركولُ
ومزجياتٍ بأكوارٍ محملةٍ — شوارهنَّ خلالَ القومِ محمولُ
تهدي الركابَ سلوفٌ غيرُ غافلةٍ — إذا توقدتِ الحزانُ والميلُ
رعشاءُ تنهضُ بالذفرى مواكبةٌ — في مرفقيها عن الدفينِ تفتيلُ
عيهمةٌ ينتحي في الأرضِ منسمها — كما انتحى في أديمِ الصرفِ إزميلُ
تخدي به قدماً طوراً وترجعهُ — فحدهُ من ولافِ القبصِ مفلولُ
ترى الحصى مشفتراً عن مناسمها — كما تجلجلُ بالوغلِ الغرابيلُ
كأنها يوم وردِ القوم خامسةٌ — مسافرٌ أشعبُ الروقينِ مكحولُ
مجتابُ نصعٍ جديدٍ فوقَ نقبتهِ — وبالقوائمِ من خالٍ سراويلُ
مسفعُ الوجهِ في أرساغهِ خدمٌ — وفوقَ ذاكَ إلى الكعبينِ تحجيلُ
باكرهُ قانصٌ يسعى بأكلبهِ — كأنهُ من صلاءِ الشمسِ مملولُ
يأوي إلى سلفعٍ شعثاءَ عاريةٍ — في حجرها تولبٌ كالقردِ مهزولُ
يشلي ضواريَ أشباهاً مجوعةً — فليسَ منها إذا أمكنَّ تهليلُ
يتبعنَ أشعثَ كالسرحانِ منصلتاً — لهُ عليهنَّ قيدَ الرمحِ تمهيلُ
فضمهنَّ قليلاً ثم هاجَ بهِ — سفعٌ بآذانها شينٌ وتنكيلُ
فاستثبتَ الروعُ في إنسانِ صادقةٍ — لم تجرِ من رمدٍ فيها الملاميلُ
فانصاعَ وانصعنَ تهفو كلها سدكٌ — كأنهنَّ من الضمرِ المزاجيلُ
فاهتزَّ ينفضُ مذريينِ قد عتقا — مخاوضٌ غمراتِ الموتِ مخذولُ
شروى شبيهينِ مكروباً كعوبهما — في الجنبتينِ وفي الأطرافِ تأسيلُ

كلاهما يبتغي نهكَ القتال بهِ ... إنَّ السلاحَ غداةَ الروعِ محمولُ

يخالسُ الطعنَ إيشاغاً على دهشٍ ... بسلهبٍ سنخهُ في الشأنِ ممطولُ

حتى إذا مضَّ طعناً في جواشنها ... وروقهُ من دمِ الأجوافِ معلولُ

ولى وصرعنَ في حيثُ التبسنَ بهِ ... مضرجاتٌ بأجراحٍ ومقتولُ

كأنه بعدَ ما جدَّ النجاءُ بهِ ... سيفٌ جلا متنهُ الأصناعُ مسلولُ

مستقبلَ الريحِ يهفو وهو مبتركٌ ... لسانهُ عن شمالِ الشدقِ معدولُ

يخفي الترابَ بأظلافٍ ثمانيةٍ ... في أربعٍ مسهنَّ الأرضَ تحليلُ

مردفاتٍ على أطرافها ذمعاً ... كأنها بالعجاياتِ الثآليلُ

له جناباِن من نقعٍ يثورهُ ... ففرجهُ من حصى المعزاءِ مكلولُ

ومنهلٍ آجنٍ في جمهِ بعرٌ ... مما تسوقُ إليهِ الريحُ إجفيلُ

كأنهُّ ودلاءُ القومِ إذ نهزوا ... حمٌّ على ودكٍ في القدرِ مجمولُ

أوردتهُ القومَ قد رانَ النعاسُ بهم ... فقلتُ إذ نهلوا من جمهِ قيلوا

حدَّ الظهيرةِ حتى يرحبوا أصلاً ... إنَّ السقاءَ لهُ رمٌّ وتبليلُ

لما وردنا رفعنا ظلَّ أرديةٍ ... وفارَ للقومِ باللحمِ المراجيلُ

ورداً وأشقرَ لم ينهئهُ طابخهُ ... ما غيرَ الغليُ منهُ فهوَ مأكولُ

ثمتَ قمنا إلى جردٍ مسومةٍ ... أعرافهنَّ لأيدينا مناديلُ

ثم ارتحلنا على عيسٍ مخدمةٍ ... يزجي رواكعها مرنٌ وتنعيلُ

يدلحنَ بالماءِ في وفرٍ مخربةٍ ... منها حقائبُ ركبانٍ ومعدولُ

ترجو فواضلَ ربٍّ سيبهُ حسنٌ ... وكلُّ خيرٍ لديهِ فهوَ مقبولُ

ربٌّ حبانا بأموالٍ مخولةٍ ... وكلُّ شيءٍ حباهُ اللهُ تخويلُ

والمرءُ ساعٍ لأمرٍ ليسَ يدركهُ ... والعيشُ شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

وعازبٍ جادهُ الوسميُّ في صفرٍ ... تسري الذهابُ عليهِ فهوَ موبولُ

ولم تسمع بهِ صوتاً فيفزعها ... أوابدُ الربدِ والعينُ المطافيلُ

كأنَّ أطفالَ خيطانِ النعامِ بهِ ... بهمٌ مخالطهُ الحفانُ والحولُ

أفزعتُ منهُ وحوشاً وهيَ ساكنةٌ كأنها نعمٌ في الصبحِ مشلولُ
بساهمِ الوجهِ كالسرحانِ منصلتٍ طرفٍ تكاملَ فيهِ الحسنُ والطولُ
خاظي الطريقةِ عريانٌ قوائمهُ قد شفهُ من ركوبِ البردِ تذبيلُ
كأنَّ فرحتهُ إذ قامَ معتدلاً شيبٌ يلوحُ بالحناءِ مغسولُ
يغلو بهنَّ ويثني وهو مقتدرٌ في كفتهنَّ إذا استرغبنَ تعجيلُ

وقد غدوتُ وقرنُ الصبح منفتقٌ ودونهُ من سوادِ الليلِ تجليلُ
إذ أشرفَ الديكُ يدعو بعضَ أسرتهِ لدى الصباحِ وهم قومٌ معازيلُ
إلى التجارِ فأعداني بلذتهِ رخوُ الإزارِ كنصلِ السيفِ مشمولُ
خرقٌ يجدُّ إذا ما الأمرُ جدَّ بهِ مخالطُ اللهوِ واللذاتِ ضليلُ
حتى أتكأنا على فرشٍ يزينها من جيدِ الرقمِ أزواجٌ تهاويلُ
فيها الدجاجُ وفيها الأسدُ مخدرةً من كلِّ شيءٍ يرى فيها تماثيلُ
في كعبةٍ شادها بانٍ وزينها فيها ذبالٌ يضيءُ الليلَ مفتولُ
لنا أصيصٌ كجذمِ الحوضِ هدمهُ وطءُ العراكِ لديهِ الزقُّ مغلولُ
والكوبُ أزهرُ معصوبٌ بقلتهِ فوقَ السياعِ منَ الريحانِ إكليلُ
مبردٌ بمزاجِ الماءِ بينهما حبٌّ كجوزِ حمارِ الوحشِ مبزولُ
والكوبُ ملآنُ طافٍ فوقهُ زبدٌ وطابقُ الكبشِ في السفودِ مخلولُ
يسعى بها منصفٌ عجلانُ ينفضهُ فوقَ الخوانِ وفي الصاعِ التوابيلُ
ثم اصطبحنا كميتاً قرقفاً أنفاً من طيبِ الراحِ واللذاتُ تعليلُ
صرفاً مزاجاً وأحياناً يعللنا شعرٌ كمذهبةِ السمانِ محمولُ
تذري حواشيهُ جيداءُ آنسةٌ في صوتها لسماعِ الشربِ ترتيلُ
تغدو علينا تلهينا ونصفدها تلقى البرودُ عليها والسرابيلُ

وقال عبدة أيضاً وهي مفضلية:

أبنيَّ إني قد كبرتُ ورابني بصري وفيَّ لمصلحٍ مستمتعُ

فلئن هلكتُ لقد بنيتُ مساعياً … يبقى لكم منها مآثرُ أربعُ
ذكرُ إذا ذكرَ الكرامُ يزينكم … ووراثةُ الحسبِ المقدمِ تنفعُ
ومقامُ أيامٍ لهنَّ فضيلةٌ … عندَ الحفيظةِ والمجامعُ تجمعُ
ولهى منَ الكسبِ الذي يغنيكمُ … يوماً إذا احتضرَ النفوسَ المطمعُ
أوصيكمُ بتقى الإلهِ فإنهُ … يعطي الرغائبَ من يشاءُ ويمنعُ
وببرِّ والدكم وطاعةِ أمرهِ … إنَّ الأبرَّ منَ البنينَ الأطوعُ
إنَّ الكبيرَ إذا عصاهُ أهلهُ … ضاقت يداهُ بأمرهِ ما يصنعُ
ودعوا الضغائنَ لا تكن من شأنكم … إنَّ الضغائنَ للقرابةِ توضعُ
واعصوا الذي يزجي النمائمَ بينكم … متنصحاً ذاكَ السمامُ المنقعُ
يزجي عقاربهُ ليبعثَ بينكم … حرباً كما بعثَ العروقَ الأخدعُ
حرانَ لا يشفي غليلَ فؤادهِ … عسلٌ بماءٍ في الإناءِ مشعشعُ
لا تأمنوا قوماً يشبُّ صبيهم … بينَ القوابلِ بالعداوةِ ينشعُ
فضلت عداوتهم على أحلامهم … وأبت ضبابُ صدورهم لا تنزعُ
قومٌ إذا دمسَ الظلامُ عليهم … حدجوا قنافذَ بالنميمةِ تمزعُ
أمثالُ زيدٍ حينَ أفسدَ رهطهُ … حتى تشتتَ أمره فتصدعوا
إنَّ الذينَ ترونهم إخوانكم … يشفي غليلَ صدورهم أن تصرعوا
وثنيةٍ من أمرِ قومٍ غرةٍ … فرجت يدايَ فكانَ فيها المطلعُ
ومقامِ خصمٍ قائمٍ ظلفاتهُ … من زلَّ طارَ لهُ ثناءٌ أشنعُ
أصدرتهم فيهِ أقومُ درأهم … عضَّ الثقافِ وهم ظماءٌ جوعُ
فرجعتهم شتى كأنَّ عميدهم … في المهدِ يمرثُ ودعتيهِ مرضعُ
ولقد علمتُ بأنَّ قصري حفرةٌ … غبراءُ يحملني إليها شرجعُ
فبكى بناتي شجوهنَّ وزوجتي … والأقربونَ إليَّ ثمَّ تصدعوا
وتركتُ في غبراءَ يكرهُ وردها … تسفي عليَّ الريحُ حينَ أودعُ
فإذا مضيتُ إلى سبيلي فابعثوا … رجلاً لهُ قلبٌ حديدٌ أصمعُ

إنَّ الحوادثَ يخترمنَ وإنما | عمرُ الفتى في أهلهِ مستودعُ
يسعى ويجمعُ جاهداً مستهتراً | جداً وليسَ بآكلٍ ما يجمعُ

ذو الإصبع العدواني

وقال ذو الإصبع العدواني واسمه حرثان بن السموءل وهي مفضلية:

إنكما صاحبيَّ لن تدعا | لومي ومهما أضع فلن تسعا
إنكما من سفاهِ رأيكما | لن تجنباني الشكاةَ والقذعا
لم تعقلا جفرةً عليَّ ولم | أوذِ نديماً ولم أنل طبعا
إلاَّ بأن تكذبا عليَّ ولن | أملكَ أن تكذبا وأن تلعا

أجعلُ مالي دونَ الأذى عرضاً | وما وهى م الأمورِ فانصدعا
إن تزعما أنني كبرتُ فلم | ألفَ بخيلاً نكساً ولا ورعا
أما ترى شكتي رميحَ أبي | سعدٍ فقد أحملُ السلاحَ معا
السيفَ والرمحَ والكنانةَ وال | نبلَ جميعاً محشورةً صنعا
قومَ أفواقها وأترصها | أنبلُ عدوانَ كلها صنعا
ثمَّ كساها أحمَّ أسود في | ناناً وكانَ الثلاثَ والتبعا
إما تري قوسهُ فنابئةُ الأز | رِ هتوفاً تخالها ضلعا
إما تري نبلهُ فخشرمُ خشا | ءَ إذا مسَّ دبرهُ لكعا
إما تري سيفهُ فأبيضُ قصا | لٌ إذا مسَّ معظماً قطعا
ثم ابتعثنا أسودَ رابيةٍ | مثلَ السعالي عقائلاً ترعا
ليسوا بعالينَ دارَ مكرمةٍ | إلاَّ تبددنَ نحوها صدعا

وأول هذه القصيدة في رواية أخرى

أهلكنا الليلُ والنهارُ معا | والدهرُ يأتي مصمماً جذعا
والشمسُ في رأسِ فلكةٍ نصبت | يرفعها في السماءِ من رفعا
السعدُ يجري أمامها صعداً | ونحسها أي ذاكَ ما صنعا

فيسعدُ النائمُ المدثرُ بالسع ... دِ ويلقى الشقاء من سبعا

فإنها والأنامَ من تلفٍ ... ما حمَّ من أمرِ غيبةٍ وقعا

أمرٌ بليطِ السماءِ ملتبكٌ ... والناسُ في الأرضِ فرقوا شيعا

ذلكَ من ربهم بقدرتهِ ... ما شاءَ من غيرِ هيبةٍ صنعا

ويفرقُ الجمعُ بعدَ ثروتهِ ... ما شاءَ من بعدِ فرقةٍ جمعا

كما سطا بالإرامِ عادِ وبالحج ... رِ وأزكى لتبعٍ تبعا

فليسَ فيما أصابني عجبٌ ... إن كانَ شيباً أنكرتِ أو صلعا

وكنتُ إذ رونقُ الأديمِ بهِ ... ماءُ شبابي تخالهُ شرعا

لا أقبلُ البيتَ في الندي ولا ... يعجبني ماؤهُ فأنتجعا

والحيُّ فيهِ الفتاةُ ترمقني ... حتى مضى شأوُ ذاكَ فانقطعا

والمهرُ صافي الأديمِ أصنعهُ ... يطيرُ عنهُ عفاؤهُ قزعا

أقصرُ من قيدهِ وأودعهُ ... حتى إذا السربُ ريعَ أو فزعا

كأنَّ أمامَ الجيادِ يقدمها ... يهزُّ لدناً وجؤجؤاً تلعا

فغامسَ الموتُ أو حمى ظعناً ... أو ردَّ نهباً لأيِّ ذاك سعى

وقال أيضاً وهي مفضلية:

يا من لقلبٍ شديدِ الهمِّ محزونِ ... أمسى تذكرَ ريا أم هارونِ

أمسى تذكرها من بعدِ ما شحطت ... والدهرُ ذو غلظةٍ حيناً وذو لينِ

وقد غنينا وشملُ الدارِ يجمعنا ... نطيعُ رياً وريا لا تعاصيني

نرمي الوشاةَ فلا نخطي مقاتلهم ... بخالصٍ من صفاءِ الودِّ مكنونِ

لي ابنُ عمٍّ على ما كانَ من خلقٍ ... مختلفانِ فأرميهِ ويرميني

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا ... فخالني دونهُ أو خلتهُ دوني

لاهِ ابنَ عمكَ لا أفضلتَ في حسبٍ ... شيئاً ولا أنتَ دياني فتحزوني

ولا تقوتُ عيالي يومَ مسغبةٍ ... ولا بنفسكَ في العزاءِ تكفيني

فإن ترد عرضَ الدنيا بمنقصتي ... فإنَّ ذلكَ مما ليسَ يشجيني

ولا ترى فيَّ غيرَ الصرمِ منقصةً ... وما سواهُ فإنَّ الله يكفيني

لولا أياصرُ قربى لستَ تحفظها ... ورهبةُ اللهِ فيمن لا يعاديني

إذن بريتكَ برياً لا انجبارَ لهُ ... إني رأيتكَ لا تنفكُّ تبريني

إنَّ الذي يقبضُ الدنيا ويبسطها ... إن كانَ أغناكَ عني سوفَ يغنيني

اللهُ يعلمني والله يعلمكم ... والله يجزيكمُ عني ويجزيني

ماذا عليَّ وإن كنتم ذوي رحمي ... ألا أحبكمُ إذ لم تحبوني

لو تشربون دمي لم يروَ شاربكم ... ولا دماؤكمُ جمعاً ترويني

لي ابنُ عمٍّ لو أنَّ الناسَ في كبدٍ ... لظلَّ محتجزاً بالنبلِ يرميني

إنكَ إلاَّ تدع شتمي ومنقصتي ... أضربكَ حيثُ تقولُ الهامةُ اسقوني

كلُّ أمرئٍ صائرٌ يوماً لشيمتهِ ... وأن تخلقَ أحياناً إلى حينِ

إني لعمركَ ما بابي بذي غلقٍ ... على الصديق ولا خيري بممنونِ

ولا لساني على الأدنى بمنطلقٍ ... بالمنكراتِ ولا فتكي بمأمونِ

لا يخرجُ القسرُ مني غيرَ مغضبةٍ ... ولا ألينُ لمن لا يبتغي لينِ

وأنتمُ معشرٌ زيدٌ على مئةٍ ... فأجمعوا أمركم شتى فكيدوني

فإن علمتم سبيلَ الرشدِ فانطلقوا ... وإن جهلتم طريقَ الرشدِ فأتوني

يا ربَّ ثوبٍ حواشيهِ كأوسطهِ ... لا عيبَ في الثوبِ من حسنٍ ومن لينِ

يوماً شددتُ على فوهاءَ فاهقةٍ ... يوماً من الدهرِ تاراتٍ تواتني

قد كنتُ أعطيكمُ مالي وأمنحكم ... ودي على مثبتٍ في الصدرِ مكنونِ

يا ربَّ حيٍّ شديدِ الشغب ذي لجبٍ ... ذعرتُ من راهنٍ منكم ومرهونِ

رددتُ باطلهم من رأسِ قائلهم ... حتى يظلوا خصوماً ذا أفانينِ

يا صاحِ لو لنتَ لي ألفيتني يسراً ... سمحاً كريماً أجازي من يجازيني

عروة بن أذينة

وقال عروة بن أذينة الكناني:

أعرصةُ الدارِ أم توهمها هاجتكَ أم غلةٌ تجمجمها

من حبٍّ سعدى شقت عليكَ وقد شطت نواها وغارَ قيمها

وأصبحت لا تزارُ صارمةً من غيرِ ذنبٍ من ليسِ يصرمها

حدت نبالي عنها وما نفعت وألحقت بالفؤادِ أسهمها

يومَ تراءت كأنها أصلاً مزنةُ بحرٍ يخفى تبسمها

حينَ توسمتها فأرمضني بعدَ اندمالٍ مني توسمها

تجلو شتيتاً أغرَّ ريقته معسولةٌ طيبٌ تنسمها

كأنَّ مستانها تلمُّ بهِ لطايمُ المسكِ حينَ يلثمها

دوايةُ المقلتينِ مشرقةٌ بالحسنِ يجري في مائها دمها

كفضةِ الكنزِ أشربت ذهباً يكادُ طرفُ الجليسِ يكلمها

إذا بدت لم تزل لهُ عجباً يونقهُ دلها وميسمها

نقدَ المها العينِ كلما ذكرت بالدمعِ حتى يفيضَ أسجمها

لا تبعدن خلةٌ مساليةٌ لم يبقَ منها إلا تزممها

إني كريمٌ آبى الهوانَ من الخ لةِ قد رابني تجهمها

وأعدلُ النفسَ وهي آلفةٌ عن الهوى للردى يقدمها

لمرةِ الحزمِ لا أفرطها أنقضُ ما دونها وأبرمها

أهدى لها مخطئ الرشادِ كما يهدي لأمِّ الطريقِ مخرمها

لا أجعلُ الجايرَ الملولَ وذا ال شيمةِ لا يستقيمُ منسمها

كجلدةِ البوِّ لا تزالُ بهِ مغرورةً أمهُ تشممها

يعرفها أنفها وتنكرها بالعينِ منها فكيفَ ترأمها

إني امرؤٌ من عشيرةٍ صدقٍ أصونُ أعراضها وأكرمها

وأتقي سخطها وأمنعها ممن يزني بها ويشتمها

أحمي حماها ولن تصادفني في يومِ كربٍ ألمَّ أسلمها

قد علمت أنني أخو ثقةٍ أهينُ أعداءها وأكرمها

وأنني قرمها تقدمني | في العزِّ والمكرماتِ أكرمها
لنا منَ العزِّ القديمِ ومن | سرِّ بيوتِ الكرامِ أجسمها
وإننا في الوغى ذوو نقمٍ | وجمرةٌ يتقى تضرمها
يتبعنا الناسُ في الأمورِ كما | يتبعُ نظمَ الجوزاءِ مرزمها
ملوكنا في الملوكِ أعدلهم | حكماً وعندَ الفضالِ أعظمها
نحنُ العرانينُ من ذرى مضرٍ | أغزرها نائلاً وأحلمها
بيضٌ بهاليلُ صيدُ مملكةٍ | يرى شريفاً من قامَ يخدمها
تهضمُ أعداءها وما أحد | ممن تظلُّ السماءُ يهضمها
إنَّ قريشاً هم الذرى نسباً | وقائلُ الصدقِ من يفخمها
تعلمُ الناسَ كلما جهلوا | ولن ترى عالماً يعلمها
يمنعها اللهُ أن تذلَّ وما | قدمَ من فضلها ويعصمها
كلُّ معدٍّ وكلُّ ذي يمنٍ | نرمها ملكها ونخطمها
في عصبةٍ من بني خزيمة تن | في العارَ لا يرتجى تظلمها
موسرها ذو ندى يعاشُ بهِ | وكالغنيِّ السريِّ معدمها
منا النبيُّ الأميُّ سنتهُ | فاضلةٌ نافعٌ تعلمها
وأهلُ بدرٍ منا خيارهمُ | وأفهمُ العالمينَ أفهمها
يقضي لهُ اللهُ بالذي سبقت | وما وعاهُ الكتابُ محكمها
يأبى لي الذمَّ رأيُ ذي حسبٍ | وافٍ ونفسٍ باقٍ تكرمها
وشيمةٌ سهلةٌ مقدمةٌ | لم يكُ ذو عسرةٍ يوحمها
والأرضُ فيها عما كرهتُ إذن | منادحٌ واسعٌ ترغمها
نحنُ البقايا وكلُّ صالحةٍ | تهدي إلى الخيرِ حينَ نقسمها

وقال عروة بن أذينة أيضاً:

يا ديارَ الحيِّ بالأجمة | لم تكلم سائلاً كلمةْ
أينَ من كنا نسرُّ بهِ | فيكِ والأهواءُ ملتئمةْ

إذ حرى شعبُ المشاشِ لنا ... ومصيفٌ تلعةُ الرخمةْ
ومنَ البطحاءِ قد نزلوا ... دارَ زيدٍ فوقها العجمةْ
ثمُّ حلوا حلةً لهمُ ... بطنَ وادٍ قنةَ السلمةْ
وانتحوا بالفرشِ تتبعهم ... منةٌ من نفسكَ السقمةْ
إنَّ للدينا وزهرتها ... نعمةً لا بدَّ منصرمةْ
وكفى حزناً لنا ولهم ... بعدَ وصلٍ عاقهُ الشأمةْ
إنَّ تبدلنا بهم بدلاً ... ليسَ من ابدالهم بلمةْ
فكأني يومَ بينهمِ ... جسدٌ ليست لهُ نسمةْ
لا بديعٌ صرمُ غانيهٍ ... أصبحت بالصرمِ معتزمةْ
إننا قومٌ ذوو حسبٍ ... عامرٌ منا وذوا الخدمةْ
والرئيسُ العدلُ إذ عرست ... حربُ أعداءٍ لنا ضرمةْ
فهجمنا الموتَ فوقهمُ ... بالطواغي ظاهرَ الأكمةْ
وقريناهمُ أسنتنا ... وسيوفاً تقتلُ الحرمةْ
حلفوا لا يأتلون لنا ... وتركنا الخطةَ الهشمةْ
وأبى رأيَ الضعيفِ لنا ... مرةٌ جأواءُ معتزمةْ
فرجعنا بالقنا قصداً ... وسيوفِ الهندِ منثلمةْ
وعتاقُ الطيرِ عاكفةٌ ... وضباعُ الجزعِ متخمةْ
ورمينا الناسَ عن عرضٍ ... وقدورُ الحربِ محتدمةْ
بمصاليتِ الوغا ثبتٍ ... وعناجيجٍ لها نحمةْ
مصغياتٍ في أعنتها ... تحملُ الأبطالَ مستلمةْ
وعلى شعبٍ هبطنَ بنا ... أهلُ شعبٍ خطةً أضمةْ
غارةٌ أردت نساءهمُ ... في طحونِ الوردِ ملتهمةْ
ربما منهم منعمةٌ ... سافرٌ ليست بملتثمةْ
غودرت تنعى الملوكَ كما ... غودرت في المعطنِ الحلمةْ

لم تعظمهم أسنتنا إذ لهم من فوقهم عظمةْ

وكأنَّ الملكَ بينهمُ إذ لقونا طاحَ عن نشمةْ

نكشفُ الغما إذا نزلت كشفَ بدرٍ ليلةَ الظلمةْ

بأسودِ الغيلِ مخدرةً تمنعُ الأشبالَ مستلمةْ

ونقي الأحسابَ وافرةً بوجوهِ المالِ محتزمةْ

شيخنا القاضي قضيتهُ في حطيمِ الكعبةِ الحرمةْ

في زمانِ الناسِ إذ حلفوا كقرومِ القرةِ القطمةْ

حكموهُ في دمائهمِ فاستبانَ الحجةَ الفهمةْ

وقضاءٌ لا يقالُ لهُ فيمَ تقضي بيننا ولمةْ

وقال عروة بن أذينة أيضاً:

أفي رسومِ محلٍّ غير مسكونِ من ذي الأجارع كادَ الشوقُ يبكيني

قفرٍ عفا غيرَ أوتادٍ منبذةٍ ومنحنٍ خطَّ دونَ السيلِ مدفونِ

وهامدٍ كسحيقِ الكحلِ ملتبدٍ أكنافَ ملمومةٍ أثباجها جونِ

عوارفٌ ذللٌ أمست معطلةً في منزلٍ ظلَّ فيهِ الدمعُ يعصيني

وبالسقا والى مثنى قراينهِ رسمٌ بهِ كان عهدُ الربربِ العينِ

أيامَ سعدى هوى نفسي ونيقتها من لامَ زينها عندي بتزيينِ

للظبيةِ البكرِ عيناها وتلعتها في حسنِ مبتسمٍ منها وعرنينِ

تنوء منها إذا قامت بمردفةٍ كأنها الغرُّ من أنقاءِ معرونِ

لا بعدُ سعدى مريحي من جوى سقمٍ يوماً ولا قربها إن حمَّ يشفيني

أمست كأمنيةٍ سعدى ملاوذةً كانت بها النفسُ أحياناً تمنيني

إذا الوشاة لحوا فيها عصيتهمُ وخلتُ أن بسعدى اللومَ يغريني

وما اجتنابكُ من تهوى تباعدهُ ظلماً وتهجرهُ حيناً إلى حينِ

إني امرؤٌ لم يخن ودي مكاذبةٌ ولا الغنى حفظَ أهلِ الودِّ ينسيني

وقد علمتُ وما الإسرافُ من خلقي أنَّ الذي هو رزقي سوفَ يأتيني

أسعى لهُ فيعنيني تطلبهُ ولو قعدتُ أتاني لا يعنيني

وأنَّ حظَّ امرئٍ غيري سيأخذهُ لا بدَّ لا بدَّ أن يحتازهُ دوني

فلن أكلفَ نفسي فوقَ طاقتها حرصاً أقيمُ بهِ في معطنِ الهونِ

أبيتُ ذلك رأياً لستُ قاربهُ ولا معرضهُ عرضي ولا ديني

من كانَ من خدمِ الدنيا أشتَّ بهِ حتى يقالَ صحيحٌ مثل مجنونِ

نعالج العيشَ أطوارً تقلبهُ فيهِ أفانين تطوى عن أفانينِ

باليسرِ والعسرِ والأحداثُ معرضةٌ لا بدَّ من شدةٍ فيها ومن لينِ

حتى تكلَّ وتلقى في تطردها أطباقَ ملهىً بها حيرانَ مفتونِ

ولو تخفضَ لم ينقض تخفضهُ مكتوبَ رزقٍ له ما عاشَ مضمونِ

فما امرؤٌ لم يضع ديناً ولا حسباً بفضلِ مالٍ وقى عرضاً بمغبونِ

كم من فقيرٍ غنيّ النفسِ تعرفهُ ومن غنيٍّ فقيرِ النفسِ مسكينِ

ومن مواخٍ طوى كشحاً فقلتُ لهُ إنَّ انطواءك هذا عنكَ يطويني

لا تحسبنَّ مواخاتي مقصرةً ولا رضاكَ وقد أذنبتَ يرضيني

لا خيرَ عندكَ في غيبٍ وفي حضرٍ إلاَّ أهاويلُ من خلطٍ وتلوينِ

بأيِّ رأيكَ في أمرٍ عنيتُ بهِ وفضلِ مالكَ يوماً كنتَ تكفيني

فليتَ شعري وما أدري فتخبرني بأيّ قرضي منَ الأيامِ تجزيني

أبالذي كانَ مني مرةً حسناً أم بالقبيحِ وما أقبحتُ ترميني

فما حفظتَ وما أحسنتَ رعيتهُ سراً أمنتَ عليهِ غيرَ مأمونِ

عجزاً عن الخيرِ تلويهِ وتمطلهُ بخلاً عليَّ بهِ والشرَّ تقضيني

ما كنتَ ممن تجاريني بديهتهُ ولا منَ الأمدِ الأقصى يغاليني

منتكَ نفسك أمراً لا تولفهُ حتى تولفَ بينَ الضبِّ والنونِ

النونُ يهلكُ في بيداءَ مقفرةٍ والضبُّ يهلكُ بينَ الماءِ والطينِ

لا تغضبنَّ فإني غيرُ معتبهِ من كنتُ أوليتهُ ما كانَ يوليني

وقال عروة بن أذينة:

أما قتلتَ ديارَ الحيِّ عرفانا ... يومَ الكفايةِ بعدَ الحيِّ إذ بانا

إلاَّ توهمَ آياتٍ بمنزلةٍ ... هاجت عليكَ لباناتٍ وأحزانا

قف ساعةً ثمَّ أما كنتَ مدكراً ... وباكياً عبرةً يوماً فمل آنا

ولو بكيتُ الصبا يوماً وميعتهُ ... إذن بكيتُ على ما فاتَ أزمانا

من شرةٍ من شبابٍ لستُ راجعهُ ... حتى يزورَ ثبيراً صخرُ لبنانا

لم يعطَ قلبكَ عن سعدى ولو بخلت ... صبراً ولم تسقِ عنها النفسَ سلوانا

فاقصد برأيكَ عنها قصدَ مجتنبٍ ... ما لا تطيقُ فقد دانتكَ أديانا

عهدي بها صلتةَ الخدين واضحةً ... حوراءَ مثلَ مهاةِ الرملِ مبدانا

مقنعةً في اعتدالِ الخلقِ خرعبةً ... تكسو الترائبَ ياقوتاً ومرجانا

يصفو لنا العيشُ والدنيا إذا رضيت ... وقد تكدرُ ما لم ترضَ دنيانا

لولا الحياءُ طلبنا يوم ذي بقرٍ ... ممن تغورَ قصدَ البيتِ أظعانا

بيضُ السوالفِ يورثنَ القلوبَ جوى ... لا يستطيعُ لهُ الإنسانُ كتمانا

قالَ العواذلُ قد حاربتَ في فننٍ ... منَ الصبا وشباب الغصنِ ريعانا

ومن يطعهنَّ يقرع سنهُ ندماً ... ولا يكنَّ لهُ في الخيرِ أعوانا

لا يرضَ من سخطةٍ والحقُّ مغضبةٌ ... من كانَ من فضلنا المعلومِ غضبانا

تلقى ذرى خندفٍ دوني وتغضبُ لي ... إذا غضبتُ بنو قيس بن عيلانا

حياً حلالاً نفى الأعداءَ عزهمُ ... حتى أطرنا بهم مثنى ووحدانا

أوفى معدٍّ وأولاهم بمكرمةٍ ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً وسلطانا

من شاءَ عدَّ ملوكاً لا كفاء لهم ... منا ومن شاءَ منا عدَّ فرسانا

إذا الملوكُ اجرهدت غيرَ نازعةٍ ... كانوا لها في احتدامِ الموتِ أقرانا

حتى تلينَ وما لانوا وقد لقيت ... أعداؤنا حرباً منهم وليانا

فهم كذلك من كادوا فإنَّ لهُ ... إن لم يمت منهمُ ذلاً وإثخاناً

لا ينكرُ الناسُ إنا من ورائهم ... في الحربِ نرعاهمُ واللهُ يرعانا

أحياؤنا خيرُ أحياءٍ وأكرمهم وخيرُ موتى من الأمواتِ موتانا
منا الرسولُ نخيرُ الناسَ كلهمُ ولا نحاشي من الأقوامِ إنسانا
وذاكَ نورٌ هدى اللهُ العبادَ بهِ من بعدِ خبطهم صماً وعميانا
فأبصروا فاستبانَ الرشدُ مشعرةً بعدَ الضلالِ قلوبَ الناسِ إيمانا
فينا الخلافةُ والشورى وقادتها فمن له عندَ أمرٍ مثلَ شورانا
أو مثلُ أولنا أو مثلُ آخرنا أو مثلُ أنسابنا أو مثلُ مقرانا
وكلُّ حيٍّ لهُ قلبٌ يعيشُ بهِ في الناسِ أصبحَ يرجونا ويخشانا

نبغي قريشاً ويأبى اللهُ ربهمُ إلاَّ اصطناعهم نصراً وإحسانا
وما قريشٌ إذا عضت حروبهمُ يوماً بأكلةِ جافي الدينِ غرثانا
وما أرادهمُ باغٍ يغشهمُ يبغي الزيادةِ إلاَّ أزدادَ نقصانا
قومٌ إذا الحمدُ لم يوجد لهُ ثمنٌ ألفيتَ عندهم للحمدِ أثمانا
قماقمُ العزِّ لا يغرى خطيبهمُ ولا يقومُ إذا ما قامَ خزيانا
قد جربتهم حروبُ الناسِ واقتبست منهم ثواقبُ نارِ الحربِ نيرانا
فلم يلينوا لهم في كلّ معجمةٍ ولم يروا منهمُ في الحربِ إدهانا
إذا الشياطينُ رامتهم بأجمعهم لم يبقِ منهم جنودُ اللهِ شيطانا
هم العرانينُ والأثرونَ قبصَ حصىً وجوهرِ السرِّ والعيدانِ عيدانا
والأكرمونَ نصاباً في أرومتهم والأثقلونَ على الأعداءِ أركانا

وقال عروة بن أذينة أيضاً:

صرمت سعيدةُ ودها وخلالها منا وأعجبها البعادُ فما لها
سمعت من الواشي البعيدِ بصرمنا قولاً فأفسدها وغيرَ حالها
وإذا المودةُ لم تكن مصدوقةً كرهَ اللبيبُ بعقلهِ استقبالها
ولقد بلوتُ وما ترى من لذةٍ في العيشِ بعدكَ قربها ووصالها
عصرَ الشبابِ وما تجدُّ مودةً للغانياتِ ولا هوىً إلاَّ لها

حتى رأينا للصريمةِ آيةً مثلَ النهارِ وعددت أشغالها

وتجرمت عللَ الذنوبِ فأصبحت قد زايلتكَ وزودتكَ خبالها

وطوت حبالاً من حبالكَ بعدما وصلت بهِ أخرى الزمانِ حبالها

حوراءُ واضحةٌ تزالُ صبابةً ما عشتَ تذكرُ حسنها وجمالها

وحديثها الحسنُ الجميلُ وعقلها ذاكَ الأصيلُ إذا أردتَ محالها

ومقالها في الكاشحينَ فأوشكت ما نسيت في الكاشحينَ مقالها

وغدايرٌ سودٌ لها ومقلدٌ بيضٌ ترايبهُ ينيفُ شكالها

وأغرَّ مثلَ البدرِ زانَ أسالةً منهُ محاسنُ لا تعدُّ خصالها

ومفلجٍ خصرِ الغروب ومضمرٍ خلى لأثناءِ الوشاحِ مجالها

وعجيزةٌ نفخٌ وساقٌ خدلةٌ بيضاءُ تفصمُ كظةً خلخالها

عشنا بها زمناً كظلِّ سحابةٍ مرت ولم ينفعكَ شيمكَ خالها

وبلا ولا ولقد وحتى مرةً تقريبها وبعادها ومطالها

تدنو فتطمعُ ثمَّ تصرفُ قولها يأساً فيقطعُ صرمها إجلالها

تلقى بها عندَ الدنوِّ زمانةً وتريكَ ما شحطَ المزارُ خيالها

طيفٌ إذا لم يدنُ منكَ رأيتهُ في زيها متميلاً تمثالها

ويزيدها أيضاً عليَّ كرامةً أني وربكَ لا أرى أمثالها

إن تمسِ ساليةً وليسَ بذكرها كلفاً أخافُ بهجريَ استقالتها

فلقد بكتها العينُ حيناً كلما ذكرت سعيدةَ راجعت تهمالها

معنيةً تذري الدموعَ صبابةً بعدَ العزاءِ ترى البكا أشفى لها

واليأسُ أحسنُ من رجاءٍ كاذبٍ إذ لم يكن وصلُ الصديقِ بدا لها

ويلُ أمها لولا التنقض خلةً لو كانَ أقطعها البعادُ وهالها

كانت على رأيٍ فأصبحَ كاشحٌ عن رأيها في الكاشحينَ أزالها

منهم لها دونَ الصديقِ بطانةٌ نرجوهمُ ليعلوهم ما عالها

أنى وكيفَ لها بذلك بعدما غالَ المودةَ عندها ما غالها

وأتت رضى أعدائها بصديقها ... عمداً لتقطعَ ودها ودلالها

بل هل عرفتَ لها الديارَ بناعقٍ ... معفوةً لبسَ البلى أطلالها

وتناءجت فيها البوارحُ كلما ... راحت تحنُّ تعسفت أذيالها

تعفو الصبا ذيلَ الدبورِ وتارةً ... يدعو لها نفسُ الجنوبِ شمالها

يسهكنَ أمثالَ الروائمِ ولهاً ... فقدت فرجعتِ الحنينَ فصالها

في كلِّ منزلةٍ لعبنَ بدمنها ... وخلصنَ إذ خفَّ الدقاقُ جلالها

ونخلنها نخلَ الطحينِ مقيمةً ... كلُّ الرياحِ تعيرها غربالها

ثمَّ استعنَّ على الديارِ مخيلةٌ ... حلت على عرصاتها أثقالها

دهماءُ واهيةُ الكلى بحريةٌ ... نحرت بها المستمطراتُ هلالها

فإذا يمرُّ حبيٌّ زاخرٌ ... بالدارِ جادَ بوبلهِ فأسالها

فتركنها صلدى العراصِ وطلقت ... أدبارها ورواجعاً أقبالها

فتظلُّ تعرفُ ما عرفتَ توهماً ... منها وتنكرُ واقفاً أبدالها

متبلداً بعدَ الأنيسِ ولا ترى ... إلاَّ الوحوشَ يمينها وشمالها

عيناً مخدمةَ الشوا وكأنها ... بلقُ السوابقِ كشفت أجلالها

وعواطفَ الأرآمِ تزجي خذلاً ... فيهِ سواكنُ بالربا أطفالها

من كلِّ واضحةِ السراةِ فريدةٍ ... في روضةٍ أنفٍ تمجُّ ظلالها

وجدايةٍ مثلِ السبيكةِ نومت ... في عازبٍ مرحِ النباتِ غزالها

وسنانَ خرَّ من النعاسِ كأنما ... أسقي المدامةَ لا يردُّ فضالها

صهباءَ من زبدِ الكرومِ تبالغت ... في عقلهِ متصرفاً جريالها

يرعينَ كلَّ خميلةٍ وسرارةٍ ... رضعت بها خلفَ الربيعِ سخالها

وترى بها ربدَ النعامِ كأنها ... جوفُ الخيامِ هوى الثمامُ خلالها

من كلِّ أزعرَ نقنقٍ ونعامةٍ ... تقرو برعلتها الصغارِ رمالها

مثلِ الجهامةِ كلما خلفت لها ... أرجُ العشيةِ راجعت إجفالها

زعرٌ مخرجةُ الزفوفِ وربها في الرأيِ خفةَ حلمها وضلالها
والعونُ تنتجعُ الفلاةَ فأضمرت منها البطونَ وأعرضت أكفالها
قبٌّ محملجةٌ طوى أقرابها جريُ الفحول بها وهذبَ آلها
ينفي الجحاشَ ولا يقاربُ عوذها إلا الشماعُ ويستحثُّ حيالها
فإذا أرنَ بها شنونٌ قارحٌ تركت لشرتها الخفافُ ثقالها
وإذا أرادَ الوردَ هاجَ بلفهِ عنفَ الأجيرِ على القلاصِ دنا لها
يضربنَ صفحةَ وجهه وجبينهُ في الروعِ قد وسقت لهُ أحمالها
إلا أوارنَ كلّ بكرٍ عايطٍ تهدي لمستنِّ الرياح نسالها
ألقت عقيقةَ شتوةٍ عن لونها قبلَ المصيفِ فخرقت سربالها
هذا ومهلكةٍ ترقصُ شمسها كالرجعِ في رهجِ الوديقةِ آلها
غبراءُ ديمومٌ يحارُ بها القطا عصباً يفرقُ بعدهُ أرسالها
جاوزتها بهبابِ ذاتِ برايةٍ ضمت عرى عقدِ النسوعِ محالها
سرح إذا رميت بها مجهولةٌ مرتُ المنازلِ فارقت أميالها
في كلِّ خاشعةِ الحزون مضلةٍ كالترسِ يعسفُ سهلها وجبالها
تهدي مواعجَ قد أضرَّ بها الوجى بعدَ المراحِ وأعملت أعمالها
يخبطنَ في الخرقِ البعيدِ إذا وهت أخفافهنَّ منَ السريحِ نعالها
فإذا بدت أعلامُ أرضٍ جاوزت أعلامها فرمت بها أهوالها
حتى رجعتُ بها وقد أكللتها لاقى إرانَ مطردٍ أكلالها
مثل الشجارِ حشاشةً منهوكةً قد كانَ ذلك قيدها وعقالها
إني امرؤٌ أقري الهمومَ صرامةً وأقوتُ شحمَ ذرى المطيِّ رحالها
ولربَّ حيلةِ حازمٍ ذي هوةٍ يسرتها ولحازمٌ ما احتالها
ومقالةٍ في موطنٍ ذي مأقطٍ طبقتُ مفصلها ومرتُ عيالها
ولربَّ حجةِ خصمٍ سوءٍ ظالمٍ حنقٍ عليَّ منحتهُ إبطالها
فرجعتهُ قد عادَ بعدَ تخمطٍ يقلي المشاغبةَ التي أجرى لها

ولربَّ عرفٍ قد بذلتُ وخطةٍ … أسهلتُ حزنَ طريقها أسهالها
ومكارمٍ سمحٍ بذلتُ كرامةً … يوماً لهُ وقفيةً ما سالها
ومعالجِ الشحناءِ قد ألجمتهُ … نكلاً وأسرتهُ فكانَ نكالها
ولربَّ قافيةٍ تكادُ حذوتها … تلقى بخيرٍ سائلاً من قالها
أرسلتها مثلَ الشهابِ غريبةً … لا تستطيعُ رواتها إرسالها
ولئن سألتَ بي العشيرةَ مرةً … أحبارها العلماءَ أو أقيالها
لتنبئنكَ أنني ذو مأقطٍ … أني إذا اللحنُ الصليبُ دعا لها
وليثنينَّ عليَّ منهم صادقٌ … خيراً ومحمدةً تعدُّ فعالها
ولتلقيني لا ذكرتُ نساءها … ذكرَ اللئيمِ ولا شتمتُ رجالها
فلتجرِ بعدَ الحادثاتِ بما جرت … ولتجرينَّ كحالها أولى لها

وقال عروة بن أذينة أيضاً:

بخلت رقاشِ بودها ونوالها … سقياً وإن بخلت لبخلِ رقاشا
ظفرت بودكَ إذ سبتكَ كأنها … وحشيةً لا تستطيعُ حواشا
والودُّ يمنحُ غير من يجزى بهِ … كالماءِ ضمنَ ناشحاً حشاشا

ولقد غشيتِ لنا رسومَ منازلٍ … بدلنَ بعدَ تأنسٍ إيحاشا
أحبب بأوديةِ العقيقِ لحبها … والعرصتينِ وبالمشاشِ مشاشا
لما وقفتُ بهنَّ بعدَ تأنسٍ … ذرفت دموعكَ في الرداءِ رشاشا
ولربَّ سالٍ قد تذكرَ مرةً … شجواً فأجهشَ أو بكى إجهاشا
أمسى إذا ذكرت يحادثُ نفسهُ … وإذا نأت لقي الهمومَ غشاشا
شوقاً تذكرهُ فحنَّ صبابةً … لما أرادَ عن الصبا إفراشا
وعلا بهِ الرأيُ الجسيمُ وزادهُ … حلماً فعيشَ بهِ كذاكَ وعاشا
تمت مروءتهُ وساورَ همهُ … غلباً وأتبعَ رأيهُ إكماشا
يبني مكارمَ ذاهبينَ جحاجحٍ … كانوا ثمالَ أراملٍ ورياشا

من سرِّ ليثٍ لا تطيشُ حلومهم ... جهلاً إذا جهلَ اللئيمُ وطاشا

أصبحتُ أذكرُ من فناءِ عشيرتي ... حزناً إذا بطنُ الجواشنِ جاشا

بذهابِ ساداتٍ وأهل مهابةٍ ... حشدٍ إذا ما الدهرُ هاجَ جياشا

كانوا عتيقَ الطيرِ قبلُ فأصبحوا ... في الناسِ تزدحمُ البلادُ خشاشا

ورثوا المكارمَ عن كرامٍ سادةٍ ... لم يورثوا صلفاً ولا إفحاشا

وغبرتُ بعدهمُ ولستُ بخالدٍ ... مثلُ الوقيعةِ تحذرُ النجاشا

في مثلِ فضلاتِ السيوفِ بقيةً ... لم يخلقوا زمعاً ولا أوباشا

ولقد عرفتُ وإن حزنتُ عليهمِ ... أن سوفَ أخفضُ للحوادثِ جاشا

وملكتُ من أبدالِ سوءٍ بعدهم ... مثلَ الكلابِ تعادياً وهراشا

نعمَ الفوارسُ والثمالُ لأركبٍ ... بعد الطوى نزلوا بهم أوحاشا

لا بدَّ أنهمُ إذا ما أهكعوا ... سيعجلونَ قراهمُ نشناشا

ولقد عجبتُ لحاينٍ متعرضٍ ... أبدت عداوتهُ لنا استغشاشا

عبدٌ أساءَ بسبهِ أربابهُ ... منهم أصابَ مطاعماً ورياشا

تنعى الكرامَ ولستَ بالغَ مجدهم ... حتى تحولَ بركهِ أكماشا

ولوَ أنهُ يوماً تكلفَ شأوهم ... أبقى بهِ تعبُ السياقِ جراشا

أو كانَ أصعدَ في جبالِ قديمهم ... لاقى لها رتباً وكابدَ ناشا

نعشوا مفاقرهُ فأصبح كافراً ... حسنَ البلاءِ ولم يكن نعاشا

وكذاكَ كانَ أبوهُ يفعلُ قبلهُ ... وكلاهما في الدهرِ كانَ قماشا

يحيى السنينَ بهم ويكفرُ كلما ... وقعَ الربيعُ فمحضراً أكراشا

إني لأصبرُ في الحقوقِ إذا اعتزت ... وأميشُ قبلَ سؤالهِ الممياشا

وإذا الهمومُ تضيفتني لم أكن ... جلساً لطارقةِ الهمومِ فراشا

وقريتهنَّ زماعَ أمرٍ صارمٍ ... والعيسُ يحرمها السرى الإنفاشا

من بعدِ إذ كانت سنوه مرةً ... نعماً تساقطُ بالحمى الأعشاشا

فرجعتها بعدَ المراحِ خسيسةً ... قد زال تامكُ نيها منحاشا

ولربَّ كبشِ كتيبةٍ ململمةٍ قدنا إليهِ كتائباً وكباشا

دسراً إذا حميَ الهياجُ بحدهِ وجعلتَ تسمعُ للرماحِ قراشا

فتسارعت فيهِ السيوفُ بوقعها نكباً وترعشُ تحتها إرعاشا

وكذاكَ تصطادُ الكميَّ رماحنا ونجرها المتناول المنتاشا

ونعضُّ هامَ المعلمينَ سيوفنا بيضَ الظباتِ إلى الدماءِ عطاشا

وإذا المشاغبُ شاكَ منها شوكةً طالَ الضمارُ وأعيتِ النقاشا

وقال عروة أيضاً:

يا حبذا الدارُّ بالروحاءِ من دارِ وعهدُ أعصارها من بعدِ أعصارِ

هاجت عليَّ مغانيها وقد درست ما يردعُ القلبُ من شوقٍ وإذكارِ

يا صاحبيَّ اربعا إنَّ انصرافكما قبلَ الوقوفِ أراهُ غيرَ إعذارِ

فعرجا ساعةً نبكي الرسومَ بها واستخبرا الدارَ إن جادت بأخبارِ

وكيفَ تخبرنا دارٌ معطلةٌ قفرٌ وهابي رمادٍ بين أحجارِ

وعرصةٌ من عراصِ الأرضِ موحشةٌ ما إن بها من أنيسٍ غيرُ آثارِ

تغدو الرياحَ وتسري في مغابنها بمجلبٍ من غريبِ التربِ موارِ

فلا تزالُ من الأنواءِ صادقةٌ بحريةُ الخالِ تعفوها بأمطارِ

مقيمةً لم ترم عهدَ الجميع بها كأنما جعلت بواً لأظآرِ

إن تمسِ سعدى وقد حالت مودتها وأقصرت لانصرافٍ أيَّ إقصارِ

فقد غنينا زماناً ودنا حسنٌ على معاريضَ من لومٍ وإهجارِ

ومن مقالِ وشاةٍ حاسدينَ لها أن يدركوا عندنا فيها بإكثارِ

كنا إذا ما زرت في الودِّ نعتبها وآيةُ الصرمِ ألاَّ يعتبَ الزاري

إذ لذةُ العيشِ لم تذهب بشاشتها وإذ بنا عهد سلمى غيرُ ختارِ

حتى متى لا مبينُ اليأسِ يصرمني ولا تقضى من اللذاتِ أوطاري

من ضيعَ السرَّ يوماً أو أشادَ بهِ فقد منعتُ من الواشين أسراري

عهدي بها قسمت نصفينِ أسفلها ... مثلُ النقا من كثيبِ الرملةِ الهاري

وفوقَ ذاكَ عسيبٌ للوشاحِ بهِ ... مجرىً لكشحِ ألوفٍ السترِ معطارِ

في ميعةٍ من شبابٍ غربهُ عجبٌ ... لو كانَ يرجعُ غضاً بعدَ إدبارِ

هيهاتَ لا وصلَ إلاَّ أن تجددهُ ... بذاتِ معجمةٍ مرداةِ أسفارِ

ملمومةٍ نحتت في حسنِ خلقتها ... وأجفرت في تمامٍ أي إجفارِ

وأرغدت أشهراً بالقهبِ أربعةً ... في سرِّ مستأسدِ القريانِ محبارِ

ترعى البقاعَ وفرعَ الجزعِ من مللٍ ... مراتعَ العينِ من نقوى ومن دارِ

في فاخرِ النبتِ مجاجِ الثرى مرحٍ ... يخايلُ الشمسَ أفواجاً بنوارِ

قربتها عرمساً للرحلِ عرضتها ... أزواجَ لماعةِ الفودين مقفارِ

فلم تزل تطلبُ الحاجاتِ معرضةً ... حتى اتقتني بمخٍّ باردٍ رارِ

قد غودرت حرجاً لا قيدَ يمسكها ... وصلبها ناحلٌ محدودبٌ عاري

وقد برى اللحمَ عنها فهيَ قافلةٌ ... كما برى متنَ قدحِ النبعةِ الباري

تهجري ورواحي لا يفارقها ... رحلٌ وطولُ ادلاجي ثمَّ إبكاري

هذا وطارقِ ليلٍ جاء معتسفاً ... يعشو إلى منزلي لما رأى ناري

يسري وتخفضهُ أرضٌ وترفعهُ ... في قارسٍ من شفيفِ البردِ مرارِ

حتى أتى حينَ ضمَّ الليلُ جوشنهُ ... وقلتُ هل هو منجابٌ بإسحارِ

فاستنبحَ الكلبَ منحازاً فقلتُ لهُ ... حيٌّ كرامٌ وكلبٌ غيرُ هرارِ

أهلاً بمسراكَ أقبل غيرَ محتشمٍ ... لا يذهبُ النومُ حقَّ الطارقِ الساري

هذا لهذا وإنا حينَ تنسبنا ... من خندفٍ لسنامُ المحتدِ الواري

تغشى الطعانَ بنا جردٌ مسومةٌ ... تؤذي الصريخَ بتقريبٍ وإحضارِ

قبل عوابسُ بالفرسانِ نعرضها ... على المنايا بإقدامٍ وتكرارِ

منا الرسولُ وأهلُ الفضلِ أفضلهم ... منا وصاحبهُ الصديقُ في الغارِ

من عدَّ خيراً عددنا فوقَ عدتهِ ... من طيبينَ نسميهم وأبرارِ

منا الخلائف والمستمطرونَ ندىً ... وقادةُ الناسِ في بدوٍ وأمصارِ

وكلُّ قرمٍ معدي الأرومِ لنا ... منهُ المقدمُ من عزٍّ وأخطارِ

كم من رئيسٍ صدعنا عظم هامتهِ ... ومن همامٍ عليهِ التاجُ جبارِ

ومن عدوٍّ صبحنا الخيلَ عاديةً ... في جحفلٍ مثلِ جوزِ الليلِ جرارِ

قوداً مسانيفَ ترقى في أعنتها ... مقورةً نقعها يعلو بإعصارِ

لا يخلصُ الظبيُ من هضاءِ جمعهم ... ولا يفوتهمُ بالتبلِ ذو الثارِ

صيدُ القرومِ بنو حربٍ قراسيةٌ ... من خندفٍ لحصانِ الحجرِ مذكارِ

عزُّ القديمِ وأيامُ الحديثِ لنا ... لم نطعمِ الناسَ منا غيرَ أسآرِ

ألقت عليَّ بنو بكرٍ شراشرها ... ومن أديمهم من قدَّ أسياري

قد يشتكيني رجالٌ ما أصابهمُ ... مني أذى غيرَ أن أسمعتهم زاري

لا صبرَ للثعلبِ الضباحِ ليسَ لهُ ... حرزٌ على عدواتِ المشبلِ الضاري

لا تستطيعُ الكدى الأثمادُ راشحةً ... مدَّ البحورِ بأمواجٍ وتيارِ

وقال عروة بن أذينة:

أمن حبّ سعدى وتذكارها ... حبستَ تبلدُ في دارها

مديماً ونفسكَ معنيةٌ ... تكادُ تبوحُ بأسرارها

على اليأسِ من حاجةٍ أضمرت ... فشقت عليكَ بأضمارها

وقد أورثت لكَ منها جوىً ... نصيباً على بعدِ مزدارها

ألا حبذا كيفَ كانَ الهوى ... سعادُ وسالفُ أعصارها

وشرخُ الشبابِ الذي فاتنا ... ودنيا تولت بأدبارها

رأت وضحَ الشيبِ في لمتي ... فهاجَ تقضيَ أوطارها

فجنت من الشيبِ واسترجعت ... وأنفرها فوقَ إنفارها

مباعدةً بعدَ أزمانها ... بملحاءِ ريمٍ وأمهارها

فبتت قوى الحبلِ مصبوبةً ... على نقضها بعدَ إمرارها

وقد هاجَ شوقكَ بعدَ السلوِّ ... مشبوبةٌ من سنا نارها

بثغرةَ يوقدها ربربٌ   كعينِ المها بينَ دوارها

حسانُ السوالفِ بيضُ الوجوهِ   منها الخطى قدرُ أشبارها

تكادُ إذا دامَ طرفُ الجليسِ   يكلمُ رقةَ أبشارها

يطفنَ بخودٍ لباخيةٍ   كشمسِ الضحى تحت أستارها

أجرتكَ حبلكَ في حبها   فطالَ العناءُ بأجرارها

وكم ليلةٍ لكَ أحييتها   قصيرٌ بها ليلُ سمارها

بعونٍ عليهنَّ من بهجةٍ   وحسنِ غضاضةِ أبكارها

خرجنَ إلينا على رقبةٍ   خروجَ السحابِ لأمطارها

بزيٍّ جميلٍ كزهرِ الرياضِ   أشرقَ زاهرُ نوارها

يعدنَ مواعدَ يلوينها   فلا بدَّ من بعدِ إنظارها

فلو معسراتٌ فيدفعننا   بعسرٍ عذرنا بأعسارها

ولكن يجدنَ فيمطلننا   بليِّ الديونِ وإنكارها

ألم تعنكَ الظعنُ الموجعاتُ   حبَّ القلوبِ بأبكارها

على كلِّ وهمٍ طويلِ القرى   وعيهلةٍ عبرِ أسفارها

عراهمُ مرغدةٌ كالصروحِ   قد عدلت بعدَ تهدارها

كأنَّ أزمتها في البرى   أراقمُ نيطت بأذرارها

تفوتُ العيونَ ببعدِ المدى   وتتبعها طرفَ أبصارها

وفتيانِ صدقٍ دعوا للصبى   فشدوا المطي بأكوارها

فهذا لهذا وقل مدحةً   تسيرُ غرائبُ أشعارها

محبرةً نسجها مترصٌ   على حسنها وشيُ أنيارها

لأهلِ الندى وبناةِ العلى   وصيدِ معدٍّ وأخيارها

كنانةُ من خندفٍ قادةٌ   لوردِ الأمورِ وإصدارها

لنا عزُّ بكرٍ وأيامها   ونصرُ قريشٍ وإنصارها

وما عزَّ من حانَ في حربهم   بضغمِ الأسودِ وتهصارها

غلبنا الملوكَ على ملكهم وفتنا العداةَ بأوتارها

فضلنا العبادَ بكلِّ البلادِ عزاً أخذنا بأقطارها

وخندفُ تخطرُ من دوننا ومن ذا يقومُ لتخطارها

وقيسٌ وحيا نزارٍ معاً بحورٌ تجيشُ بتيارها

أبرت على الناسِ أيامهم فهم عارفونَ بأبرارها

تقرُّ القبائلُ من طولهم بفضلٍ فما بعدَ إقرارها

وقال عروة أيضاً:

سرى لكَ طيفٌ زارَ من أمِّ عاصمِ فأحبب بهِ من زورِ جافٍ مصارمِ

ألمَّ بنا والركبُ قد وضعتهمُ نواجي السرى قودٌ بأغبرَ قاتمِ

أناخوا فناموا قد لووا بأكفهم أزمةَ خوصٍ كالسمامِ سواهمِ

فبتُّ قريرَ العينِ ألهو بغادةٍ طويلةِ غصنِ الجيدِ ريا المعاصمِ

رخيمةُ أعلى الصوتِ خودٌ كأنها غزالٌ يراعي واشحاً بالصرائمِ

فيا لكَ حسناً من معرسِ راكبٍ ولذتهِ لو كنتَ لستَ بحالمِ

فطرتُ مروعاً لا أرى غيرَ أينقٍ وقعنَ بجوٍّ بينَ شعثِ المقادمِ

ثنى سيرهم دأبُ السرى فتجدلوا عن العيسِ إذا ملوا عناقَ القوادمِ

فقلتُ وأنى من عصيمةَ فتيةٌ أناخوا بخرقٍ لغباً كالنعائمِ

وقد رجمت شهراً يدورُ بها الكرى ذوائبهم ميلُ الطلى والعمائمِ

كتمتُ لها الأسرارَ غير مثيبةٍ ولا تصلحُ الأسرارُ إلاَّ بكاتمِ

فلم تجزني إلا البعادَ فليتني بذلكَ من مكتومها غيرُ عالمِ

لقد علمت قيسٌ وخندفُ أننا فسل كلَّ قومٍ علمهم بالمواسمِ

ضربنا معداً قاطبينَ على الهدى بأسيافنا نذري شؤونَ الجماجمِ

وقمنا على الإسلامِ حتى تبينت شرائعُ حقٍّ مستقيمِ المخارمِ

وقدنا الجيادَ المقرباتِ على الوجا إلى كلِّ كلحاً في الشكائمِ

إذا صبحت حياً عليهم ضيافةٌ بفرسانهم أعضضنهم بالأباهمِ

على كلِّ كردوسٍ يجالدُ حازمٌ رئيسٌ لمعروفِ الرئاسةِ حازمِ
فوارسها تدعو كنانةَ فيهمِ صناديدُ نزالونَ عندَ الملاحمِ
ونتبعُ أخراها كتائبَ مصدقٍ تزيفُ بأولاها حماةُ البوازمِ

مصاليتُ ورادونَ في حمسِ الوغى ردى الموتِ خواضونَ غبرَ العظائمِ
إذا قرعتنا الحادثاتُ سما لنا بنوا الحربِ والكافونَ ثقلَ المغارمِ
نجومٌ أضأت في البلادِ بأهلها وقام بها في الحقِ فيءُ المقاسمِ
ملوكٌ مناجيبُ الفحولِ خضارمٌ بحورٌ وأبناءُ البحورِ الخضارمِ
بنى ليَ عزَّ المكرماتِ مقدماً لنا المجدُ آباءٌ بناةُ المكارمِ
لهاميمُ من فرعي كنانةَ مجدهم تليدٌ لهُ عزُّ الأمورِ الأقادمِ
غلبنا على الملكِ الذي نحنُ أهلهُ معداً وفضضنا ملوكَ الأعاجمِ
وأنسابنا معروفةٌ خندفيةٌ فأنى لها بالشتمِ ضرُّ المشاتمِ
سبقنا أضاميم الزمانِ فقد مضى لنا السبقُ غاياتِ الذكورِ الصلادمِ
ونحنُ أكلنا الجاهليةَ أهلها غواراً وشذبنا مجيرَ اللطايمِ
وكان لنا المرباعُ غيرَ تنحلٍ وكل معدٍّ في جلودِ الأراقمِ
مضرينَ بالأعداءِ من كلِّ معشرٍ نهينُ معاطيسَ الأنوفِ الرواغمِ
إذا رامنا عريضُ قومٍ بشغبةٍ تذبذبَ عن مرداةِ مجدٍ قماقمِ
ونحنُ على الإسلامِ ضاربَ جمعنا فأعطيَ فلجاً كلُّ جمعٍ مصادمِ
ونحنُ ولاةُ الأمرِ ما بعدَ أمرنا مقالٌ ولا مغدىً لخصمٍ مخاصمِ
ورثنا رسولَ اللهِ إرثَ نبوةٍ ومخلافَ ملكٍ تالدٍ غير دائمِ
وعلياءَ من بيتِ النبيِّ تكنفت مناسبها حوماتَ أنسابِ هاشمِ
وملكاً خضماً سلَّ بالحقِّ سيفهُ على الناسِ حتى حازَ نقشَ الدراهمِ
وقامَ بدينِ اللهِ يتلو كتابهُ على الناسِ منا مرسلٌ جدُّ قائمِ
ففينا الندى والباعُ والحلمُ والنهى وصولاتُ أيدٍ بادراتِ الجرائمِ

وعزٌّ كنانيٌّ يقودُ خطامهُ معداً ولم يطمع بهِ حبلُ خاطمِ

لنا مقرمٌ سامٍ يهدُّ هديرهُ مسامات صيدِ المقرباتِ الصلاقمِ

وما زالَ منا للأمورِ مدبرٌ يقودُ الملوكَ ملكهُ بالخزايمِ

وراعٍ لأعقابِ العشيرةِ حافظٍ يجودُ بمعروفٍ كثيرٍ لسايمِ

لعمركَ ما زلنا فروعَ دعامةٍ لنا فضلها المعروفُ فوقَ الدعايمِ

وإني لطلاعُ النجادِ فواردٌ على الحزمِ قوامٌ كرامُ المقاومِ

عطوفٌ على المولى وإن ساءَ نصرهُ كسوبُ خلالَ الحمدِ عفُّ المطاعمِ

أبي إذا سيمَ الظلامةَ باسلٌ عزيزٌ إذا أعيت وجوهُ المظالمِ

ونحنُ أناسٌ أهلُ عزٍّ وثروةٍ ودفاعُ رجلٍ كالدبا المتراكمِ

مجالسُ فتيانٍ كرامٍ أعزةٍ ونادي كهولٍ كالنسورِ القشاعمِ

إذا فزعوا يوماً لروعٍ توهست جيادهمُ بالمعلمينَ الخلاجمِ

صبحناهمُ حرَّ الأسنةِ بالقنا ضحىً ثمَّ وقعُ المرهفاتِ الصوارمِ

فكانوا خلى حربٍ لنا التهمتهمُ ونحنُ بنو عصلِ الحروبِ الكواهمِ

وجارٍ منعناهُ فقرَّ جنابهُ ونامَ وما جارُ الذليلِ بنائمِ

وكنا لهُ ترساً من الخوفِ يتقي بنا شوكةَ الأعداءِ أهلِ النقايمِ

ومولى ثمالٍ كلُّ حقٍّ يربهُ على مالهِ حتى تلادِ الكرائمِ

ومعتركٍ بالشرِّ ينظرُ نظرةً ولا تنطقُ الأبطالُ غيرَ غماغمِ

بهِ قد شهدناهُ وفزنا بذكرهِ وجئنا بأسلابٍ لهُ وغنائمِ

وأصيدَ ذي تاجٍ غللنا يمينهُ إلى الجيدِ في يومٍ من الحربِ جاحمِ

فحثَّ حثيثَ الخيلِ يرجمُ عدوهُ بهِ حثَّ مشبوبٍ من النقعِ هاجمِ

وضيفٍ سرى أرغى هدواً بعيرهُ ليقرى فعجلنا القرى غيرَ عاتمِ

وكانت لنا دونَ العيالِ ذخيرةً نخصُّ بها حتى غدا غيرَ لائمِ

وداعٍ لمعروفٍ فزعنا لصوتهِ بلبيكَ في وجهٍ لهُ غيرِ واجمِ

فخيرتهُ مالاً طريفاً وتالداً يصونُ بهِ عرضاً لهُ غيرَ نادمِ

وذي شنآنٍ طافَ بي فانتهزتهُ بنابٍ حديدٍ حينَ يضغمُ كالمِ
فكيف يسامي ماجداً ذا حفيظةٍ جموحاً على درءِ الألدِّ المراجمِ
لئيمٌ ربا واللؤمُ في بطنِ أمهِ وقلدهُ في المهدِ قبلَ التمائمِ

أنا ابنُ حماةِ العالمينَ وراثةً وأعظمهم جرثومةً في الجرائمِ
وأمنعهم داراً وأكثرهم حصىً وأدفعهم عن جارهِ للمظالمِ

وقال عروة بن أذينة أيضاً:

أهاجتكَ دارُ الحيِّ وحشاً جنابها أبت لم تكلمنا وعيَّ جوابها
نعم ذكرتنا ما مضى وبشاشةً إذا ذكرتها النفسُ طالَ انتحابها
وعيشاً بسعدى لانَ ثمَّ تقلبت به حقبةٌ غالَ النفوسَ انقلابها
كأن لم يكن ما بيننا كانَ مرةً ولم تغنَ في تلكَ العراصِ قبابها
ألا لن يعودَ الدهرُ خلةَ بيننا ولكن إيابُ القارظينِ إيابها
وعهدي بها ذوابةُ الطرفِ تنتهي إلى رملةٍ منها هيالٍ حقابها
وما فوقهُ لدنُ العسيبِ وشاحهُ يغني الحشا أثناؤها واضطرابها
وتضحكُ عن حمشِ اللثاثِ كأنما نشا المسكِ في ذوبِ النسيلِ رضابها
على قرقفٍ شجت بماءِ سحابةٍ لشربٍ كرامٍ حينَ فتَّ قطابها
لها واردٌ دانٍ على جيدِ ظبيةٍ بسائلةٍ ميثاء عفرٍ ذئابها
دعاها طلاً خافت عليهِ بجزعها كواسبَ لحمٍ لا يمنُّ اكتسابها
إذا سمعت منهُ بغاماً تعطفت وراعَ إليهِ لبها وانسلابها
ألمت بنا طيفاً تسدى ودونهُ مخاريقُ حسمى قورها وهضابها
كأنَّ خزامى طلةً ضافها الندى وفارةَ مسكٍ ضمنتها ثيابها
فكدتُّ لذكراها أطيرُ صبابةً وغالبتُ نفساً زادَ شوقاً غلابها
إذا اقتربت سعدى لججتَ بهجرها وإن تغترب يوماً يرعكَ اغترابها
ففي أيِّ هذا راحةٌ لكَ عندها سواءٌ لعمري نأيها واقترابها

تباعدها عندَ الدنوِّ وربما دنت ثمَّ لم ينفع وشدَّ حجابها

وفي النأي منها ما علمتَ إذا النوى تجردَ ناويها وشدت ركابها

كفى حزناً ألاَّ تزالَ مريرةً شطونٌ بها تهوي يصيحُ غرابها

يقولُ لي الواشونَ سعدى بخيلةٌ عليكَ معنٍّ ودها وطلابها

فدعها ولا تكلف بها إذ تغيرت فلم يبقَ إلاَّ هجرها واجتنابها

فقلتُ لهم سعدى عليَّ كريمةٌ وكالموتِ بلهَ الصرمِ عندي عتابها

فكيفَ بما حاولتمُ إنَّ خطةً عرضتم بها لم يبقَ نصحاً خلابها

وسعدى أحبُّ الناسِ شخصاً لو أنها إذا أصقبت زيرت وأجدى صقابها

ولكن أتى من دونها كلمُ العدى ورجمُ الظنونِ جورها ومصابها

فأمست وقد جذت قوى الحبلِ بغتةً وهرت وكانت لا تهرُّ كلابها

وعادَ الهوى منها كظلِّ سحابةٍ ألاحت ببرقٍ ثمَّ مرَّ سحابها

فلا يبعدن وصلٌ لها ذهبت بهِ ليالٍ وأيامٌ عناناً ذهابها

ولا لذةُ العيش الذي لن يردهُ على النفسِ يوماً حزناً واكتئابها

ولا عبراتٌ يترغُ العينَ فيضها كما فاضَ من شكٍّ الصناع طبابها

إذا أغرقت إنسانها وسوادهُ تداعى بملءِ الناظرين انسكابها

ومن حبِّ سعدى لا أقولُ قصيدةً أرشحها إلاَّ لسعدى شبابها

لها مهلٌ من ودنا ومحلةٌ من القلبِ لم تحلل عليها شعابها

فإن تكُ قد شطت بها غربةُ النوى وشرفَ مزداراً عليكَ انتيابها

فقد كنتَ تلقاها وفي النفسِ حاجةٌ على غيرِ عينٍ خالياً فتهابها

وتشفقُ من إحشامها بمقالةٍ إذا حضرت ذا البثِّ غلقَ بابها

فلا وأبيها ما دعانا تهالكٌ إلى صرمها إن عنَّ عنا ثوابها

وما زال يثنيني على حبِّ غيرها وإكرامهِ إكرامها وحبابها

وقولي عسى أن تجزني الودَّ أو ترى فتعتبَ يوماً كيفَ دأبي ودأبها

وكم كلفتنا من سرى حدِّ ليلةٍ حبيبٌ إلى الساري المجدِّ انجيابها

كأن على الأشرافِ ضربَ جليدةٍ		نذائفَ برسٍ جللتهُ حدابها
ومن فورِ يومٍ ناجمٍ متضرمٍ		بأجوازِ موماةٍ تعاوى ذئابها
يظلُّ المها فيها إلى كلِّ مكنسٍ		دموحاً إذا ما الشمسُ سالَ لعابها
ووالى الصريرَ الجندبُ الجونُ وارتقت		حرابيُّ في العيدانِ حانَ انتصابها

تكادُ إذا فارت على الركبِ تلتظي		وديقتها يشوي الوجوهَ التهابها
قطعتُ بمجذامِ الرواحِ شملةٍ		إذا باخَ لوثُ العيسِ ناجٍ هيابها
سفينةُ برٍّ حينَ يستوقدُ الحصى		ويزدالُ في البيدِ الشخوصَ سرابها
وإني لمن جرثومةٍ تلتقي الحصى		عليها ومن أنسابِ بكرٍ لبابها
ومن مالكٍ آل القلمسِ فيهم		لنا سرُّ أعراقٍ كريمٍ نصابها
وعبدُ مناةَ الأكثرونَ لعزهم		بوادرُ يخشى حدها وذبابها
عرانينُ تنميها كنانةُ قصرةً		نصابُ قريشٍ في الأرومِ نصابها
وفرعُ قريشٍ فرعنا وانتسابنا		إلى والدٍ محضٍ إليهِ انتسابها
قرابتنا من بينِ كلِّ قرابةٍ		وليس بدعوى جلَّ عنها اجتلابها
ومكةُ من ينكر من الناسِ يلقنا		بمعرفةٍ بطحاؤها وخشابها
فنحنُ خيارُ الناسِ كلَّ قبيلةٍ		تذلُّ بما نقضي عليها رقابها
ورثنا رسولَ اللهِ بعدَ نبوةٍ		خلافةُ ملكٍ لا يرامُ اغتصابها
وعدلاً وحكماً تنتهي عندَ فضلهِ		ونخمدُ نارَ الحربِ يصرفُ نابها
وما جبلٌ إلاَّ لنا فوقَ فرعهِ		فروعُ جبالٍ مشمخرٌّ صعابها
وهل أحدٌ إلاَّ وطئنا بلادهُ		بملمومةِ الأركانِ ذاكٍ شهابها
كتائبُ قد كادت كراديسُ خيلها		يسدُّ استجاراً مطلعَ الشمس غابها
لو أنَّ جموعَ الجنِّ والإنسِ أجلبت		لنا صدها عما تريدُ ضرابها
لنا نسبٌ محضٌ وأحلامُ سادةٍ		بحورٌ لدى المعروفِ طامٍ عبابها
وألويةٌ يمشونَ للموتِ تحتها		إذا خفقت مشيَ الأسودِ عقابها

همُ يحلبون الحربَ أخلافَ درها ويمرونها حتى يغيضَ حلابها

وهم خيرُ من هزَّ المطي وأقصرت جمار منى يوماً ولفت حصابها

وأكرمُ من يمشي على الأرضِ صفيت لهم طيبةٌ طابت وطابَ ترابها

ملوكٌ يدينونَ الملوكَ إذا أبوا فلم يأذنوا لم يرجَ كرهاً خطابها

وما في يدٍ نلنا بها من ذا حميةٍ وإن ذاقَ طعمَ الذلِّ إلا احتسابها

إذا ما رضوا كان الرضاءُ رضاءهم وإن غضبوا أوهى الأديمَ غضابها

ولولاهمُ لم يهتدِ الناسُ دينهم وضلوا ضلالَ النيبِ تعوي سقابها

ولم يهلكوا إلاَّ على جاهيلةٍ عصاها عليهم ترتبٌ وعذابها

ولكن بها بعدَ الإلهِ تبينوا شرائعَ حقٍّ كانَ نوراً صوابها

وما أخذت في أولِ الأمرِ عصبةٌ لنا صفرت من نصحِ جيبٍ عيابها

ونحنُ وجوهُ المسلمينَ وخيرهم نجاراً كما خيرُ الجيادِ عرابها

وقال عروة بن أذينة:

صرمتَ سعيدةَ صرماً نجاثا ومنتكَ عاجلَ بذلٍ فراثا

وأصبحتَ كالمستبيثِ الجوادِ فينا فأوجعهُ ما استباثا

كذي الكلمِ داملهُ ثمَّ خافَ منهُ خلافَ الجفوفِ انتكاثا

وللصرمِ هولٌ على ذي الهوى وإن لجَّ يدعو إليهِ احتثاثا

إذا ذاقهُ لم يجد راحةً تعدى ولم يلقَ منهُ غياثا

وعهدي بسعدى لها بهجةٌ كأمِّ الأديغمِ تقرو براثا

تنسسهُ وترى أنهُ صغيرٌ وقد رشحتهُ ثلاثا

خلالَ ظلالِ أراكِ الأميلِ يجني بريراً وطوراً كباثا

وما ذكرُ سعدى وقد باعدت وعادَ قوى الحبلِ منها رماثا

لعمري لئن ربعُ سعدى عفا بشوظى لقد ضمَّ بيضاً دماثا

فبنَّ وفيهنَّ ما لو أقامَ أقللتُ عمن يبينُ اكتراثا

كأنَّ القلائدَ في جيدها إلى حيثُ يعقدُ منها الرعاثا

مِنَ الدرِّ يحفلُ ياقوتهُ — كجمر الغضا يتلظى مجاثا
على ظبيةٍ مغزلٍ أشرفت — لخشفٍ لها لم يلحها ارتغاثا
وقد أضمنُ السرَّ مستودعاً — يسايلُ من سالَ عنهُ نقاثا
وأطوي الخليلَ على حالةٍ — إذا ضمنَ السرَّ إلا انقباثا
وضيفٍ خرجتُ إلى صوتهِ — أرحبُ لم ير مني التباثا
أناخَ فعجلتُ حقَّ القرى — وكنتُ بهِ لا أحبُّ اللباثا
ومولى مسيءٍ إلى نفسهِ — كحاثي التراب عليهِ انبثاثا
يضلُّ عن الرشدِ في رأيهِ — ويأبى إلى الغي إلاَّ انخثاثا

أقمتُ لهُ الزيغَ من رأيهِ — وبالخيرِ نحوي منَ الشرِّ لاثا
وقومٍ غضابٍ ولم أشكهم — تغشونني حسداً وابتحاثا
ويهدونَ لي منهمُ غيبةً — يعضلُ دوني عوجاً رثاثا
أمرُّ فيغضونَ من ظنتي — كأنهمُ يكلحونَ الكراثا
وتعطي المحاولَ تحميلهم — خلائق منهم لئاماً خباثا
لهم مجلسٌ يهجرونَ التقى — وينتجثونَ القبيحَ انتجاثا
إذا أصبحوا لم يقولوا الخنا — ولم يأكلوا الناسَ أضحوا غراثا
تجاوزتُ عن جهلهم رغبةً — وهم يعرضونَ لحوماً غثاثا
ولو شئتُ نحيتُ عيدانهم — عن النبعِ لم يكُ صمَّ اعتلاثا
ولكن نرى الحلمَ فضلاً ولا — نحاولُ قطعَ الأصولِ اجتثاثا
ونزلتهم قدرَ أحسابهم — موالي كانوا لنا أو تراثا
نكون لهم خطراً مثلهم — ومن شاءَ خارَ بقولٍ وهاثا
إذا كانَ ليثُ الشرى ثعلباً — وأصبحَ صقرٌ عتيقٌ بغاثا
أعدُّ أسامةَ أو ذا الشياحِ — بلعاءَ في رهطهم أو قباثا
ألاكَ بنو الحربِ مشبوبةٍ — تجرُّ الدماءَ وتلغي المغاثا

صناديدُ غلبٌ كأسدِ الغريفِ ... خضماً وهضماً وضغماً ضباثا

ولسنا كمن ينثني صدقهُ ... كأنَّ العدوَّ بهِ الملحَ ماثا

تطيعُ إذا النصحُ يوماً بدا ... وتأبى مراراً فتعصي حناثا

تم المختار من شعر عروة ابن أذينة الكناني الليثي

المتوكل الليثي

وقال المتوكل بن عبد الله بن نهشل بن مسافع بن وهب بن عمر بن لقيط بن يعمر بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة. وكان كوفياً مترله بالكوفة في عهد يزيد بن معاوية وكان يكنى أبا جهمة:

للغانياتِ بذي المجازِ رسومُ ... فببطنِ مكةَ عهدهنَّ قديمُ

فبمنحرِ الهدي المقلدِ من منى ... جددٌ يلحنَ كأنهنَّ وشومُ

هجنَ البكاءَ لصاحبي فزجرتهُ ... والدمعُ منهُ في الرداءِ سجومُ

قال انتظر نستحفِ مغنى دمنةٍ ... أنى انتوت للسائلين رميمُ

قلتُ انصرف إنَّ السؤالَ لجاجةٌ ... والناسُ منهم جاهلٌ وحليمُ

فأبى بهِ أن يستمرَّ عن الهوى ... لنجاحِ أمرٍ لبهُ المقسومُ

والحبُّ ما لم تمضين لسبيلهِ ... داءٌ تضمنهُ الضلوعُ مقيمُ

أبلغ رميمَ على التنائي أنني ... وصالُ إخوانِ الصفاءِ صرومُ

أرعى الأمانة للأمينِ بحقها ... فيبينُ عفا سرهُ مكتومُ

وأشدُّ للمولى المدفعِ ركنهُ ... شفقاً من التعجيزِ وهو مليمُ

ينأى بجانبه إذا لم يفتقر ... وعليَّ للخصمِ الألدِّ هضيمُ

إن الأذلةَ واللئامَ معاشرٌ ... مولاهمُ المتهضمُ المظلومُ

وإذا أهنتَ أخاك أو أفردته ... عمداً فأنتَ الواهنُ المذمومُ

لا تتبع سبلَ السفاهةِ والخنا ... إنَّ السفيهَ معنفٌ مشتومُ

وأقم لمن صافيتَ وجهاً واحداً ... وخليقةً إنَّ الكريمَ قؤومُ

لا تنهَ عن خلقٍ وتأتيَ مثلهُ ... عارٌ عليكَ إن فعلتَ عظيمُ

وإذا رأيتَ المرءَ يقفو نفسهُ والمحصناتِ فما لذاكَ حريمُ
ومعيري بالفقرِ قلتُ لهُ اقتصد إني أمامك في الزمانِ قديمُ
قد يكثرُ النكس المقصرِ همهُ ويقلُّ مالُ المرءُ وهو كريمُ
تراكُ أمكنةٍ إذا لم أرضها حمالُ أضغانٍ بهنَّ غشومُ
بل ربَّ معترضٍ رددتُ جماحهُ في رأسهِ فأقرَّ وهو لئيمُ
أغضى على حدِّ القذى إذ جئتهُ وبأنفهِ مما أقولُ وسومُ
أنضجتُ كيتهُ فظلَّ منكساً وسطَ النديِّ كأنهُ مأمومُ
متقنعاً خزيانَ أعلى صوتهِ بعدَ اللجاجةِ في الصراخِ نئيمُ
أقصر فأني لا يرومُ عضادتي يا بنَ الجموحِ موقعٌ ملطومُ
وإذا شربتَ الخمرَ فابغِ تعلةً غيري يئينُ بها إليك نديمُ
أنى تحاربني وعودكَ خروعٌ قصفٌ وأنتَ من العفافِ عديمُ
ما كان ظهري للسياطِ مظنةً زمناً كأني للحدودِ غريمُ
قد كنتُ قلتُ وأنتَ غيرُ موفقٍ ماذا زويملةُ الضلالِ يرومُ
أنتَ امرؤٌ ضيعتَ عرضكَ جاهلٌ ورضيتَ جهلاً أن يقالَ أثيمُ

إني أبى ليَ أن أقصرَ والدٌ شهمٌ على الأمرِ القوي عزومُ
وقصائدي فخرٌ وعزي قاهرٌ متمنعٌ يعلو الجبالَ جسيمُ
وأنا امرؤٌ أصلُ الخليلَ ودونهُ شمُّ الذرى ومفازةٌ ديمومُ
ولئن سئمتُ وصاله ما دامَ بي متمسكاً إني إذن لسؤومُ
لا بل أحيي بالكرامةِ أهلها وأذمُّ من هوَ في الصديقِ وخيمُ
وبذاكَ أوصاني أبي وأنا امرؤٌ فرعٌ خزيمةُ معقلي وصميمُ
لا أرفدُ النصحَ امرءاً يغتشني حتى أموتَ ولا أقولَ حميمُ
لمبعدٍ قربي يمتُّ بدونها إنَّ امرءاً حرمَ الهدى محرومُ
تلقى الدني يذمُّ من ينوي العلى جهلاً ومتنُ قناتهِ موصومُ

فعلَ المنافقِ ظلَّ يأبنُ ذا النهى | في دينهِ ونفاقهُ معلومُ
هذا وإما أمسِ رهنَ منيةٍ | فلقد لهوتُ لو أنَّ ذاك يدومُ
بكواعبٍ كالدرِّ أخلصَ لونها | صونٌ غذينَ بهِ معاً ونعيمُ
في غيرِ غشيانٍ لأمرٍ محرمٍ | ومعي أخٌ لي للخليلِ هضومُ
ولقد قطعتُ الخرقَ تحتي جسرةٌ | خطارةٌ غبَّ السرى علكومُ
موارةُ الضبعينِ يرفعُ رحلها | كتدٌ أشمُّ وتامكٌ مدمومُ
تقص الإكامَ إذا عدت بملاطسٍ | سمرِ المناسمِ كلهنَّ رثيمُ
مدفوقةٌ قدماً تبوعُ في السرى | أجدٌ مداخلةٌ الفقارِ عقيمُ
زيافةٌ بمقذها وبليتها | من نضحِ ذفراها الكحيلُ عصيمُ
وجناءُ مجفرةٌ كأنَّ لغامها | قطنٌ بأعلى خطمها مركومُ
أرمي بها عرضَ الفلاةِ إذا دجا | ليلٌ كلونِ الطيلسانِ دهيمُ
تهدي نجايبَ ضمراً وكأنما | ضمنَ الوليةَ والقتودَ ظليمُ
متواتراتٍ تعتلينَ ذواقناً | فكأنهنَّ من الكلالةِ هيمُ
ولها إذا الحرباءُ ظلَّ كأنهُ | خصمٌ ينازعهُ القضاةَ خصيمُ
عنسٌ كأنَّ عظامها موصولةٌ | بعظامِ أخرى في الزمامِ سعومُ
ولقد شهدتُ الخيلَ يحملُ شكتي | طرفٌ أجشُّ إذا ونينَ هزيمُ
ربذُ القوائمِ حينَ يندى عطفه | ويمورُ من بعدِ الحميمِ حميمُ
ينفي الجيادَ إذا اصطككنَ بمأزمٍ | قلقُ الرحالةِ والحزامِ عذومُ
وإذا علت من بعدِ وهدٍ مرقباً | عرضت لها ديمومةٌ وحزومُ
يهدي أوائلها الموقفُ غدوةً | ويلوحُ فوقَ جبينهِ التسويمُ
طالت قوائمهُ وتمَّ تليلهُ | وابتزَّ سائرَ خلقهِ الحيزومُ
مسحنفرٌ تذري سنابكه الحصى | فكأنَّ تذراهُ نوى معجومُ
ذو رونقٍ يذري الحجارةَ وقعهُ | وبهنَّ للمتوسمينَ كلومُ
فكأنهُ من ظهرِ غيبٍ إذا بدا | يمتلُّ هيقٌ في السرابِ يعومُ

هزجُ القيادِ أمراً شزراً هيكلٌ نزقٌ على فأسِ اللجامِ أزومُ

يهوي هويَّ الدلوِ أسلمها العرى فتصوبت ورشاؤها مجذومُ

متتابعٌ كفتٌ كأنَّ صهيلهُ جرسٌ تضمنَ صوتهُ الحلقومُ

صلبُ النسورِ لهُ معدٌّ مجفرٌ سبطُ الضلوعِ وكاهلٌ ململومُ

متغاوثٌ في الشدِّ حين تهيجه كتغاوثِ الحسي الخسيف طميمُ

من آلِ أعوجَ لا ضعيفٌ مقصفٌ سغلٌ ولا نكدُ النباتِ ذميمُ

سلطُ السنابكِ لا يورعُ غربهُ فأسٌ أعدَّ لهُ معاً وشكيمُ

شنجُ النسا ضافي السبيبِ مقلصٌ بكظامةِ الثغرِ المخوفِ صرومُ

يرمي بعينيهِ الفجاجَ وربهُ للخوفِ يقعدُ تارةٌ ويقومُ

كالصقرِ أصبحَ باليفاعِ ولفهُ يومٌ أجادَ من الربيعِ مغيمُ

وقال المتوكل في امرأته أم بكر وكانت سألته الطلاق، فطلقها، وندم، ويمدح فيها عكرمة بن ربعي:

قفي قبلَ التفرقِ يا أماما وردي قبلَ بينكمُ السلاما

طربتُ وشاقني يا أمَّ بكرٍ دعاءَ حمامةٍ تدعو حماما

فبتُّ وباتَ همي لي نجياً أعزي عنكَ قلباً مستهاما

إذا ذكرت لقلبكِ أمُّ بكرٍ يبيتُ كانما اغتبقَ المداما

خدلجةٌ ترفُّ غروبُ فيها وتكسو المتنَ ذا خصلٍ سخاما

أيا قلبي فما تهوى سواها وإن كانت مودتها غراما

ينامُ الليلَ كلُّ خليِّ همٍّ وتأبى العينُ مني أن تناما

أراعي التالياتِ من الثريا ودمعُ العينِ منحدرٌ سجاما

على حينِ ارعويتُ وكانَ رأسي كأنَّ على مفارقهِ ثغاما

سعى الواشون حتى أزعجوها ورثَّ الحبلُ فانجذمَ انجذاما

فلستُ بزائلٍ ما دمتُ حيا مسراً من تذكرها هياما

ترجيها وقد شطت نواها ومنتكَ المنى عاماً فعاما

خدلجةٌ لها كفلٌ وبوصٌ يَنوءُ بها إذا قامت قياما
مخصرةٌ ترى في الكشحِ منها على تثقيلِ أسفلها انهضاما
لها بشرٌ نقيُّ اللونِ صافٍ وأخلاقٌ يشينُ بها اللئاما
ونحرٌ زانهُ درٌّ حليٌّ وياقوتٌ يضمنهُ النظاما
إذا ابتسمت تلألأ ضوءُ برقٍ تهللَ في الدجنةِ ثمَّ داما
وإن مالَ الضجيعُ فدعصُ رملٍ تداعى كانَ ملتبداً هياما
وإن قامت تأملَ من رآها غمامةَ صيفٍ ولجت غماما
وإن جلست فدميةُ بيتِ عيدٍ تصانُ فلا ترى إلا لماما
إذا تمشي تقولُ دبيبَ سيلٍ تعرجَ ساعةً ثمَّ استقاما
فلو أشكو الذي أشكو إليها إلى حجرٍ لراجعني الكلاما
أحبُّ دنوها وتحبُّ نأيي وتعتامُ الثناء لها اعتياما
كأني من تذكرِ أمِّ بكرٍ جريحُ أسنةٍ يشكو كلاما
تساقطُ أنفساً نفسي عليها إذا سخطت وتغتمُّ اغتماما
غشيتُ لها منازلَ مقفراتٍ عفت إلا أياصرَ أو ثماما
ونؤياً قد تهدم جانباهُ ومبناها بذي سلمِ الخياما
كأنَّ البخترية أمُّ خشفٍ تربعتِ الجنينةَ فالسلاما
تطوفُ بواضحِ الذفرى إذا ما تخلفَ ساعةً بغمت بغاما
صليني واعلمي أني كريمٌ وأنَّ حلاوتي خلطت عراما
وأني ذو مدافعةٍ صليبٌ خلقتُ لمن يضارسني لجاما
فلا وأبيكِ لا أنساكِ حتى تجاورَ هامتي في القبرِ هاما
لقد علمت بنو الشداخِ أني إذا زاحمتُ اضطلعُ الزحاما
فلستُ بشاعرِ السفسافِ منهم ولا الجاني إذا أشرَ الظلاما
ولكني إذا حاربتُ قوماً عبأتُ لهم مذكرةً عقاما
أقي عرضي إذا لم أخشَ ظلماً طغامَ الناسِ إنَّ لهم طغاما

إذا ما البيتُ لم تشدد بشيءٍ قواعدُ فرعه انهدمَ انهداما
سأهدي لابنِ ربعيٍّ ثنائي ومما أن أخصَّ بهِ الكراما
لعكرمةُ بن ربعي إذا ما تساقا القومُ بالأسلِ السماما
أشدُّ حفيظةً من ليثِ غابٍ تخالُ زئيرهُ اللجبَ اللهاما
أخو ثقةٍ يرى يبني المعالي يضيمُ ويحتمي من أن يضاما
يرى قولاً نعم حقاً عليهِ وقولاً لا لسائلهِ حراما
فتى لا يرزأ الخلانَ إلاَّ ثناءهمُ يرى بالبخلِ ذاما
كأنَّ قدورهُ من رأسِ ميلٍ على علياءَ مشرفةٍ نعاما
تظلُّ الشارفُ الكوماءُ فيها مطبقةً مفاصلها عظاما
يحشُّ وقودها بعظامِ أخرى فلا ينفكُّ يحتدمُ احتداما
كأنَّ الطائفينَ بها صوادٍ رأت ريا وقد وردت حياما
لو أنَّ الحوشبينِ لهُ لكانا لمن يغشى سرادقهُ طعاما
لقد جاريتما يا ابني رويمٍ هزيمَ الغربِ ينثلمُ انثلاما
يقصرُ سعيُ أقوامٍ كرامٍ ويأبى مجدهُ إلا تماما
له بحرٌ تغمدَ كلَّ بحرٍ فما عدلَ الدوارجَ والسناما
يرى للضيفِ والجيرانِ حقاً ويرعى في صحابتهِ الذماما
إذا بردَ الزمانُ أهانَ فيه على الميسورِ والعسرِ السواما
يسابقُ بالتلادِ إلى المعالي حمامَ النفسِ إن لها حماما
أغرُّ تكشفُ الظلماءُ عنهُ يفرُّ من الملامةِ أن يلاما
نما ونمت بهم أعراقُ صدقٍ وحيٌّ كان أولهم زماما
كأنَّ الجارَ حين يحلُّ فيهم على الشمِّ البواذخِ من شماما
يقيمونَ الضرابَ لمن أتاهم ونارُ الحربِ تضطرمُ اضطراما
هو المعطي الكرامَ وكلَّ عنسٍ صموتٍ في السرى تقصُّ الإكاما

وخنذيذٍ كمريخِ المغالي	إذا ما خفَّ يعتزمُ اعتزاما
طويلِ الشخصِ ذي خصلٍ نجيبٍ	أجش تقطُّ زفرته الحزاما
فلم أرَ سوقةً يربي عليهِ	بنائلهِ ولا ملكاً هماما

وقال المتوكل أيضاً يمدح حوشباً الشيباني ويهجو عكرمة:

أجدَّ اليومَ جيرتكَ احتمالا	وحثَّ حداتهم بهم الجمالا
فلم يأووا لمن تبلوا ولكن	تولت عيرهم بهم عجالا
وقطعتِ النوى أقرانَ حيٍّ	تحملَ عن مساكنه فزالا
علوا بالرقمِ والديباجِ بزلاً	تخيلُ في أزمتها اختيالا
وفي الأظعانِ آنسةٌ لعوبٌ	ترى قتلي بغيرِ دمٍ حلالا
حباها اللهُ وهي لذاك أهلٌ	مع الحسبِ العفافةَ والجمالا
أميةُ يومَ دارِ القسرِ ضنت	علينا أن تنولنا نوالا
دنت حتى إذا ما قلتُ جادت	أجدت بعدُ بخلاً واعتلالا
لعمركَ ما أميةُ غيرُ خشفٍ	دنا ظلُّ الكناسِ لهُ فعالا
إذا وعدتكَ معروفاً لوتهُ	وعجلتِ التجرمَ والمطالا
تذكرني ثناياها مراراً	أقاحي الرملِ باشرتِ الطلالا
لها بشرٌ نقيُّ اللونِ صافٍ	ومتنٌ خطَّ فاعتدلَ اعتدالا
إذا تمشي تأودُ جانباها	وكادَ الخصرُ ينخزلُ انخزالا
فإن تصبح أميةُ قد تولت	وعادَ الوصلُ صرماً واعتلالا
تنوءُ بها روادفها إذا ما	وشاحاها على المتنينِ جالا
فقد تدنو النوى بعد اغترابٍ	بها وتفرقُ الحيَّ الحلالا
تعبسُ لي أميةُ بعدَ أنسٍ	فما أدري أسخطاً أم دلالا
أبيني لي فربَّ أخٍ مصافٍ	رزئتُ وما أحبُّ بهِ بدالا
أصرمٌ منكِ هذا أم دلالٌ	فقد عنى الدلالُ إذن وطالا
أمِ استبدلتِ بي ومللتِ وصلي	فبوحي لي بهِ وذري الختالا

فلا وأبيكِ ما أهوى خليلاً ... أقاتله على وصلي قتالا

فكم من كاشحٍ يا أمَّ بكرٍ ... من البغضاءِ يأتكلُ ائتكالا

لبستُ على قنادعَ من أذاهُ ... ولولا اللهُ كنتُ لهُ نكالا

يقولُ فتى ولو وزنوهُ يوماً ... بحبةِ خردلٍ رجحت وشالا

أنا الصقرُ الذي حدثتَ عنهُ ... عتاقُ الطيرِ تندخلُ اندخالا

قهرتُ الشعرَ قد علمت معدٌ ... فلا سقطاً أقولُ ولا انتحالا

ومن يدنو ولو شطت نواكم ... لكم في كلِّ معظمةٍ خيالا

تزورُ ودونها يهماءُ قفرٌ ... تشكى الناعجاتُ بها الكلالا

تظلُّ الخمسُ ما يطعمنَ فيهِ ... ولو موتنَ من ظماٍ بلالا

سوى نطفٍ بعرمضهنَّ لونٌ ... كلونِ الغسلِ أخضرَ قد أحالا

بها ندرأ قوادمَ من حمامٍ ... ملقاةٍ تشبهها النصالا

إذا ما الشوقُ ذكرني الغواني ... وأسؤقها المملأةَ الخدالا

وأعناقاً عليها الدرُّ بيضاً ... وأعجازاً لها ردحاً ثقالا

ظللتُ بذكرهنَّ كأنَّ دمعي ... شعيبا شنةٍ سرباً فسالا

رأيتُ الغانياتِ صدفنَ لما ... رأينَ الشيبَ قد شملَ القذالا

سقى أرواحهنَّ على التنائي ... ملحُّ الودقِ ينجفلُ انجفالا

إذا ألقى مراسيهُ بأرضٍ ... رأيتَ لسيرِ ريقه جفالا

يزيلُ إذا أهرَّ ببطنِ وادٍ ... أصولَ الأثلِ والسمرَ الطوالا

على أنَّ الغوانيَ مولعاتٌ ... بأن يقتلنَ بالحدقِ الرجالا

إذا ما رحنا يمشينَ الهوينا ... وأزمعنَ الملاذةَ والمطالا

تركنَ قلوبَ أقوامٍ مراضاً ... كأنَّ الشوقَ أورثهم سلالا

قصدنَ العاشقينَ بنبلِ جنٍّ ... قواصدَ يقتتلنهمُ اقتتالا

كواذبُ إن أخذنَ بوصلِ ودٍّ ... أثبنك بعدَ مرِّ الصرمِ خالا

فلستُ براجعٍ فيهنَّ قولاً ... إذا أزمعنَ للصرمِ انتقالا

تشعبَ ودهنَّ بناتِ قلبي وشوقُ القلبِ يورثه خيالا
نواعمُ ساجياتُ الطرفِ عينٌ كعينِ الإرخِ تتبعُ الرمالا
أوانسُ لم تلوحهنَّ شمسٌ ولم يشددنَ في سفرٍ رحالا
نواعمُ يتخذنَ لكلِّ ممسى مروطَ الخزِّ والنقبَ النعالا
يصنَّ محاسناً ويرينَ أخرى إذاً ذو الحلمِ أبصرهنَّ مالا

رأينا حوشباً يسمو ويبني مكارمَ للعشيرةِ لن تنالا
ربيعاً في السنينِ لمعتفيه إذا هبت بصرادٍ شمالا
حمولاً للعظائمِ أريحياً إذا الأعباءُ أثقلتِ الرجالا
وجدتُ الغرَّ من أبناءِ بكرٍ إلى الذهلينِ ترجعُ والفضالا
بنو شيبانَ خيرُ بيوتِ بكرٍ إذا عدوا وأمتنها حبالا
رجالاً أعطيت أحلامَ عادٍ إذ انطلقوا وأيديها الطوالا
وتيمُ اللهِ حيٌّ حيُّ صدقٍ ولكن الرحى تعلو الثفالا
أعكرمَ كنتَ كالمبتاعِ بيعاً أتى بيعَ الندامةِ فاستقالا
أقلني يا ابنَ ربعي ثنائي وهبها مدحةً ذهبت ضلالا
تفاوتني عمايَ بها وكانت كنظرةِ من تفرسَ ثمَّ مالا
حبوتك بالثناءِ فلم تثبني ولم أترك لممتدحٍ مقالا
فلستُ بواصلٍ أبداً خليلا إذا لم تغنِ خلته قبالا

وقال المتوكل أيضاً:

صرمتكَ ريطةُ بعدَ طولِ وصالِ ونأتكَ بعد تقتلٍ ودلالِ
علقَ الفؤادُ بذكرِ ريطةَ إنه شغلٌ أتيحَ لنا من الأشغالِ
أسديةٌ قذفت بها عنكَ النوى إن النوى ضرارةٌ لرجالِ
بل حالَ دونَ وصالها بعضُ الهوى وتبدلت بدلاً من الأبدالِ
إن الغواني لا يدمنَ وإنما موعودهنَّ وهنَّ فيءُ ظلالِ

حاشى حبيبةَ إنما هي جنةً لو أنها جادت لنا بنوالِ

خلطت ملاحتها بحسنِ تقتلٍ وفخامةٍ للمجتلي وجلالِ

صفراءُ رادعةٌ تصافي ذا الحجى وتعافُ كلَّ ممزحٍ بطالِ

زعمَ المحدثُ أنها هي صعدةٌ عجزاءُ خدلةُ موضعِ الخلخالِ

خودٌ إذا اغتسلت رأيتَ وشاحها فوقَ الريمِ يجولُ كلَّ مجالِ

لا تبتغي مقةٌ إذا استنطقتها إلا بصدقِ مقالةٍ وفعالِ

ليست بآفكةٍ يظلُّ عشيرها منها وجارُ الحيِّ في بلبالِ

أبلغ حبيبةَ أنني مهدٍ لها ودي وإن صرمت جديدَ حبالي

إني امرؤٌ ليسَ الخنا من شيمتي وإذا نطقتُ نطقتُ غيرَ عيالِ

نزلت حبيبةُ من فؤادي شعبةً كانت حمى وحشاً من النزالِ

ووفت حبيبةُ بالذي استودعتها وركائبي مشدودةٌ برحالي

لا تطنزي بي يا حبيبُ فإنني عجلٌ لمن يهوى الفراقَ زوالي

كم من خليلٍ قد رفضتُ فلم يجد بعدي لموضع سره أمثالي

أبدى القطيعةَ ثمّ راجع حلمهُ بعد استماعِ مقالةِ الجهالِ

إني امرؤٌ أصلُ الخليلَ وإن نأى وأذبُّ عنهُ بحيلةِ المحتالِ

من يبلني بالودِّ يوماً أجزه بالقرضِ مثلَ مثاله بمثالي

فصلي حبيبتنا وإلاَّ فاصرمي أعرف وتقصرُ خطوتي وسؤالي

واعصي الوشاةَ فقد عصيتُ أقاربي ووصلتُ حبلكِ وارعوى عذالي

من تكرمي أكرم ومن يكُ كاشحاً يعلم وراءكِ بالمغيبِ نضالي

بل كيفَ أهجركم ولم ترَ مثلكم عينيَّ في حرمٍ ولا إحلالِ

أنتِ المنى وحديثُ نفسي خالياً أهلي فداؤكِ يا حبيبُ ومالي

هل أنتِ إلا ظبيةٌ بخميلةٍ أدماءُ تثني جيدها لغزالِ

تسبي الرجالَ بذي غروبٍ باردٍ عذبٍ إذا شرعَ الضجيعُ زلالِ

كالأقحوانِ يرفُّ عن غبِّ الندى في السهلِ بين دكادكٍ ورمالِ

وإذا خلوتَ بها خلوتَ بحرةٍ ريا العظامِ دميثةٍ مكسالِ

نعمَ الضجيعُ إذا النجومُ تغورت في كلِّ ليلةِ قرةٍ وشمالِ

تصبي الحليمَ بعينِ أحورَ شادنٍ تقرو دوافعَ روضةٍ محلالِ

وبواضحِ الذفرى أسيلٍ خدهُ صلتِ الجبينِ وفاحمٍ ميالِ

وبمعصمٍ عبلٍ وكفٍّ طفلةٍ وروادفٍ تحتَ النطاقِ ثقالِ

أسديةٌ يسمو بها آباؤها في كلِّ يومِ تفاخرٍ ونضالِ

بينَ القصيرةِ والطويلةِ برزةٌ ليست بفاحشةٍ ولا متفالِ

كالشمسِ أو هي غيرُ أسوى إذ بدت في الصحوِ غبَّ دجنةٍ وحلالِ

إن تعرضي عنا حبيبُ وتبتغي بدلاً فلستُ لكم حبيبُ بقالِ

هل كانَ ودكِ غيرَ آلٍ لامعٍ يغشى الصوى ويزولُ كلَّ مزالِ

قد كانَ في حججٍ مضينَ لعاشقٍ طلبٌ لغانيةٍ وطولُ مطالِ

أسئمتِ وصلي أم نسيتِ مودتي إياكِ في حججٍ مضينَ خوالِ

إلاَّ يكن ودي يغيرهُ البلى والنأيُ عنكِ فإنَّ ودكِ بالي

منيتني أمنيةً فتركتها وركبتِ حالاً فانصرفتُ لحالي

يا صاحبيَّ قفا على الأطلالِ أسلِ الديارَ ولا تردُّ سؤالي

عن أهلها إني أراها بدلت بقرَ الصريمةِ بعدَ حيٍّ حلالِ

قد كنتُ أحسبُ فيما مضى من يسلُ أو يصبر فلستُ بسالي

تمشي الرئالُ بها خلاءً حولها ولقد أراها غير ذاتِ رئالِ

فسقى مساكنَ أهلها حيثُ انتوت صوبُ الغمامِ بواكفٍ هطالِ

ردَّ الخليطُ جمالهم فتحملوا للبينِ بعدَ الفجرِ والآصالِ

وحدا ظعائنهم أجشُّ مشمرٌ ذو نيقةٍ في السيرِ والتنزالِ

رفعوا الخدورَ على نجايبَ جلةٍ من كلِّ أغلبَ بازلٍ ذيالِ

متدافعٍ بالحملِ غيرَ مواكلٍ شهمٍ إذا استعجلته شملالِ

يرمي بعينيهِ الغيوبَ مفتلٍ ... رحبِ الفروجِ عذافرٍ مرقالِ
طرقت حبيبةُ وهي فيهم موهناً ... إنَّ المحبَّ مخالطُ الأهوالِ
فاشتقتُ والرجلُ المحبُّ مشوقٌ ... وجرى دموعُ العينِ في السربالِ
لم تسرِ ليلتها حبيبةُ إذ سرت ... إلا لتشغفنا بطيفٍ خيالِ
أنى اهتديتِ لفتيةٍ غبَّ السرى ... قد خفَّ حلمهمُ مع الإرمالِ
متوسدي أيدي نواعجَ ضمرٍ ... متضمناتِ سآمةٍ وكلالِ
وضعوا رحالهم بخرقٍ مجهلٍ ... قمنٍ مطالعهُ من الإيغالِ
ترمي خيامهمُ شمالٌ زعزعٌ ... وتطيرُ بينَ سوافلٍ وعوالِ
من كلِّ ممهولِ اللبانِ مقلصٍ ... ذي رونقٍ يعلو القيادَ طوالِ
يرقى ويطعنُ في العنانِ إذا انتهى ... منهُ الحميمُ وهمَّ بالإسهالِ
لأياً بلأيٍ ما ينالُ غلامنا ... منهُ مكانَ معذرٍ وقذالِ
في ضمرٍ لم يبقِ طولُ قيادنا ... منهنَّ غيرَ جناجنٍ ومحالِ
يردينَ في غلسِ الظلامِ عوابساً ... صعرَ الخدودِ تكدسَ الأوعالِ
ويرينَ من خللِ الغبارِ إذا دعا ... داعي الصباحِ كأنهنَّ مغالي
والمشرفيةُ كلُّ أبيضَ باترٍ ... منها وآخرُ مخلصٍ بصقالِ
إذ لا ترى إلاَّ كمياً مسنداً ... تحتَ العجاجِ ملحبِ الأوصالِ
والخيلُ عقرى بين ذاكَ كأنما ... بنحورها نضحٌ من الجريالِ
للطيرِ منها والسباعِ ذخيرةٌ ... في كلِّ معتركٍ لها ومجالِ
تدني رجالاً من مواطنَ عندها ... أجرٌ ومنقطعٌ من الآجالِ

وقال المتوكل أيضاً:

خليليَّ عوجا اليومَ وانتظراني ... فإنَّ الهوى والهمَّ أمُّ أبانِ
هيَ الشمسُ تدنو لي قريباً بعيدها ... أرى الشمسَ ما أسطيعها وتراني
نأت بعدَ قربِ دارها وتبدلت ... بنا بدلاً والدهرُ ذو حدثانِ
فهاجَ الهوى والشوقُ لي ذكرَ حرةٍ ... من المرجحناتِ الثقالِ حصانِ

شموسُ وشاحاها إذا ابتزَّ ثوبها ... على متنِ خمصانيةِ سلسانِ

رقودُ الضحى ريا العظامِ كأنها ... مهاةُ كناسٍ من نعاجِ قطانِ

شديدةُ إشراقِ التراقي أسيلةٌ ... عليها رقيباً مربإٍ حذرانِ

ومن دونها صعبُ المراقي مشيدٌ ... نيافٌ وصراران مؤتلفانِ

خليليَّ ما لامَ امرأً مثلُ نفسهِ ... إذا هيَ لامت فاربعا وذراني

سبتني بجيدٍ لم يعطل ولبةٍ ... عليها ردافا لؤلؤُ وجمانِ

وأسحمَ مجاجِ الدهانِ كأنهُ ... بأيدي النساءِ الماشطاتِ مثاني

جرى ليَ طيرٌ أنني لم أنالها ... وإنَّ الهوى والنجرَ مختلفانِ

فعزيتُ قلباً كان صباً إلى الصبا ... وعديتُ والعينانِ تبتدرانِ

بأربعةٍ في فضلِ بردي ومحملي ... كما انهلَّ غربا شنةٍ خضلانِ

خليليَّ غضا اللومَ عني إنني ... على العهدِ لا مخنٍ ولا متوانِ

ستعلمُ قومي أنني كنتُ سورةً ... من العزِّ إن داعي المنون دعاني

ألا ربَّ مسرورٍ بموتي لو أتى ... وأخرَ لو أنعى لهُ لبكاني

ندمتُ على شتمِ العشيرةِ بعدما ... تغنى عراقيٌّ بهم ويماني

قلبتُ لهم ظهرَ المجنِّ وليتني ... عفوتُ بفضلٍ من يدي ولساني

بني عمنا إنا كما قد علمتمُ ... أولو خشنةٍ مخشيةٍ وزبانِ

على أنني لم أرمِ في الشعرِ مسلماً ... ولم أهجُ إلاَّ من رمى وهجاني

همُ بطروا الحلمَ الذي من سجيتي ... فبدلتُ قومي شدةً بليانِ

فلو شئتمُ أولادَ وهبٍ نزعتمُ ... ونحنُ جميعاً شملنا أخوانِ

نهيتُ أخاكم عن هجائي وقد مضى ... لهُ بعدَ حولٍ كاملٍ سنتانِ

فمنَّ ومناهم رجالٌ رأيتهم ... إذا ضارسوني يكرهونَ قراني

وكنتُ امرأً يأبى لي الضيمَ أنني ... صرومٌ إذا الأمر المهمُّ عناني

وصولٌ صرومٌ لا أقولُ لمدبرٍ ... هلمَّ إذا ما اغتشني وعصاني

خليليَّ لو كنتُ امرأً فيَّ سقطةٌ تضعضعتُ أو زلت بي القدمانِ
أعيشُ على بغيِ العداةِ ورغمهم وآتي الذي أهوى على الشنآنِ
ولكنني ثبتُ المريرةِ حازمٌ إذا صاح حلابي ملأتُ عناني
خليليَّ كم من كاشحٍ قد رميتهُ بقافيةٍ مشهورةٍ ورماني
فكانَ كذاتِ الحيضِ لم تبقِ ماءها ولم تنقِ عنها غسلها لأوانِ
تشمتُ للأعداءِ حين بدا لهم من الشرِّ داني الوبلِ ذو نفيانِ
فهابوا وقاعي كالذي هابَ خادراً شتيمَ المحيا خطوهُ متداني
تشبهُ عينيهِ إذا ما فجئتهُ سراجينَ في ديجورةٍ تقدانِ
كأنَّ ذراعيهِ وبلدةَ نحرهِ خضبنَ بحناءٍ فهنَّ قواني
عفرناً يضمُّ القرنَ منهُ بساعدٍ إلى كاهلٍ عاري القرا ولبانِ
أزبُّ هربتُ الشدقِ وردٌ كأنما يعلى أعالي لونه بدهانِ
مضاعفُ لونُ الساعدين مضبرٌ هموسُ دجى الظلماءِ غيرُ جبانِ
أبا خالدٍ حنت إليك مطيتي على بعدِ منتابٍ وهولِ جنانِ
كأنَّ ذراعيها إذا ما تذيلت يدا ماهرٍ في الماءِ يغتليانِ
إذا رعتها في سيرةٍ أو بعثتها عدت بي ونسعا ضفرها قلقانِ
جماليةٌ مثلُ الفنيقِ كأنما يصيحُ بفلقي رأسها صديانِ
أبا خالدٍ في الأرضِ نأيٌ ومفسحٌ لذي مرةٍ يرمى بهِ الرجوانِ
فكيفَ ينامُ الليلَ حرٌّ عطاؤهُ ثلاثٌ لرأسِ الحولِ أو مئتانِ
تناهت قلوصي بعد إسآدي السرى إلى ملكٍ جزلِ العطاءِ هجانِ
ترى الناسَ أفواجاً ينوبونَ بابهُ لبكرٍ من الحاجاتِ أو لعوانِ

وقال المتوكل أيضاً:

نامَ الخليُّ فنومُ العينِ تسهيدُ والقلبُ مختبلٌ بالخودِ معمودُ
إن ساعفت دارها ضنت بنائلها وسقيها الصاديَ الحرانَ تصريدُ
شطت نواها وحانت غربةٌ قذفٌ وذكرُ ما قد مضى بالمرءِ تفنيدُ

إذ تستبيكَ بميالٍ لهُ حبكٌ واضحٍ زانهُ اللباتُ والجيدُ

وذي طرائقَ لم تحمل بهِ ولداً فالكشحُ مضطمرٌ ريانُ ممسودُ

كأنَّ أردافها دعصٌ برابيةٍ مستهدفٌ نخلتهُ الريحُ منضودُ

خودٌ خدلجةٌ نضحُ العبيرِ بها يشفي مضاجعها لبسٌ وتجريدُ

لما رأت أنني لا بدَّ منطلقٌ وللفتى أجلٌ قد خطَّ معدودُ

قامت تكرهني غزوي وتخبرني أن سوفَ يخلدني روعٌ وتبليدُ

هل المنيةُ إلاَّ طالبٌ ظفرٌ وحوضها منهلٌ لا بدَّ مورودُ

والناسُ شتى فمهديٌ نقيبتهُ وجائرٌ عن سبيلِ الحقِّ محدودُ

وذو نوالٍ إذا ما جئتَ تسألهُ شيئاً ومستكثرٌ بالخيرِ موجودُ

والخيرُ والشرُّ إما كنتِ سائلتي شتى معاً وكذاكَ البخلُ والجودُ

إني امرؤٌ أعرفُ المعروفَ ذو حسبٍ سمحٌ إذا حاردَ الكومُ المرافيدُ

أجري على سنةٍ من والدي سبقت وفي أرومته ما ينبتُ العودُ

مطلبٌ بتراتٍ غيرِ مدركةٍ محسدٌ والفتى ذو اللبِّ محسودُ

عندي لصالحِ قومي ما بقيتُ لهم حمدٌ وذمٌّ لأهلِ الذمِّ معدودُ

أعيت صفاتي على من يبتغي عنتي فما يوهنُ متنيها الجلاميدُ

كم قد هجانيَ من مستقتلٍ حمقٍ فيهِ إذا هزَّ عندَ الحقِّ تغريدُ

جانٍ على قومهِ بادٍ مقاتلهُ كالعيرِ أحزنهُ دجنٌ وتقييدُ

كأنهُ كودنٌ تدمى دوابرهُ فيهِ من السوطِ والساقينِ تربيدُ

كزٌّ الندى مجدهُ دينٌ يؤخرهُ ولؤمه حاضرٌ لا بدَّ منقودُ

من معشرٍ كحلت باللؤمِ أعينهم زرقٌ بهم ميسمٌ منهُ وتقليدُ

ما زلتُ أقدمهم حتى علوتهمُ وهزني رافدٌ منهم ومرفودُ

وقد نهيتهمُ عني علانيةً لو كانَ ينفعهم نهيٌ وتوصيدُ

أمَّ الصبيينَ دومي إنني رجلٌ حبلي لأهلِ الندى والوصلِ ممدودُ

لا تسألي القومَ عن مالي وكثرتهِ قد يقترُ المرءُ يوماً وهو محمودُ

وسائلي عند جدِّ الأمرِ ما حسبي إذا الكماةُ التقى فرسانها الصيدُ

وقد أروغُ سوامَ الحيِّ تحملني شقاءُ مثلُ عقابِ الدجنِ قيدودُ

حقباءُ سهلبةُ الساقينِ منهبةٌ في لحمها من وجيفِ القومِ تخديدُ

تؤخرُ السرجَ تأخيراً إذا جمزت عن متنها وحزامُ السرجِ مشدودُ

ترى بسنبكها وقعاً تبينه كأنهُ في جديدِ الأرضِ أخدودُ

في رأسها حين يندى عطفها صددٌ وفي مناكبها للشدِّ تحديدُ

كأنها هقلةٌ ربداءُ عارضها هيقٌ تأوبَ جنحَ الليلِ مطرودُ

كأنَّ هاديها إذ قامَ ملجمها جذعٌ تحسرَ عنهُ الليفُ مجرودُ

هشُّ المشاشِ هواءُ الصدرِ منتخبٌ مقلصٌ عن قميصِ الساقِ موطودُ

وفيلقٍ كشعاعِ الشمسِ مشعلةٍ تعشي البصيرَ إذا مالت بهِ البيدُ

قومي إذا ما لقوا أعداءهم صبروا واستوردوهم كما يستوردُ العودُ

ترى نوادرِ أطرافٍ بمزحفهم والهامُ بينهمُ مذرى ومقدودُ

والمشرفيةُ قد فلت مضاربها والسمهريةُ مرفضٌ ومقصودُ

وفتيةٌ كسيوفِ الهندِ قلتُ لهم سيروا وأعناقهم غبَّ السرى غيدُ

أرمي بهم وبنفسي مهمهاً زلقاً وعرضَ مطردٍ أكنافه سودُ

تخدي بهم في الوغى قبٌ مساحلها جردٌ ضوامرُ أمثالُ القنا قودُ

فيهم فوارسُ لا ميلٌ ولا كشفٌ عليهم زغفٌ بالشكِّ مسرودُ

وقال المتوكل أيضاً:

يا ريطُ هل لي عندكم نائلُ أم لا فإني من غدٍ راحلُ

لا يكُ ما منيتنا باطلاً وشرُّ ما عيشَ بهِ الباطلُ

أفي لودي فاصرمي أو صلي أو لتلادي لكمُ باذلُ

يا ريطُ يا أختَ بني مالك أنتِ لقلبي شغلٌ شاغلُ

إنَّ ملاكَ الوصلِ أن تفعلي ما قلتِ إنَّ الموفيَ الفاعلُ

دومي على الودِّ الذي بيننا ... لا يقلِ الهجرَ لنا قائلُ
بوحيِ لا أو بنعم إنما ... مطلكِ هذا خبلٌ خابلُ
أو أيئسينا إنَّ من دونكم ... وحشاً يرى غرتها الخاتلُ
فإن في لا أو نعم راحةً ... إني لما استودعتني حاملُ
لم يبقَ من ريطةَ إلاَّ المنى ... عاجلها مستأخراً آجلُ
ليتَ الذي أضمرتُ من حبها ... ينحلُّ أو ينقلهُ ناقلُ
كلفها قلبي وعلقتها ... ولا يرى من ودها طائلُ
يا أسمَ كوني حكماً بيننا ... عدلاً فإنَّ الحكمَ العادلُ
من هوَ لا مفشي الذي بيننا ... يوماً من الدهرِ ولا باخلُ
فلم تثب أختُ بني مالكٍ ... ولم تجد لي بالذي آملُ
لا هيَ تجزيني بودي لها ... ولا امرؤٌ عن ذكرها ذاهلُ
لسانها حلوٌ ومعروفها ... حيثُ يحلُّ الأعصمُ العاقلُ
يا ريطَ هل عندكم دائمٌ ... إني لمن واصلني واصلُ
كم لامني يا ريطَ من صاحبٍ ... فيكِ وبعضُ القومِ لي قائلُ
وعاذلٍ قلتُ لهُ ناصحٍ ... نفسكَ أرشد أيها العاذلُ
فقالَ لي: كيفَ تصابي إمرئٍ ... والشيبُ في مفرقهِ شاملُ
ريطةُ لو كنتَ بها خابراً ... آنسةٌ مجلسها آهلُ
مثلُ نوارِ الوحشِ لم يرمها ... رامٍ من الناسِ ولا حابلُ
مثلُ مهاةِ الرملِ في ربربٍ ... يتبعها ذو جدةٍ خاذلُ
أصيلةٌ يألفها ذو الحجى ... ويتقيها البرمُ الجاهلُ
في كلِّ ممسى منهمُ زائرٌ ... لا شنأُ الوجهِ ولا عاطلُ
يعتسفُ الأصرمُ من دونها ... أغبرَ مرهوبَ الردى ماحلُ
هل أنتَ إن ريطةُ شطتُ بها ... عنكَ النوى من سقمٍ وائلُ

أقفرَ من ريطةَ جنبا منى ... فالجزعُ من مكةَ فالساحلُ

ألاَّ رسوماً قد عفا آيها ... معروفها ملتبدٌ ناحلُ

كأنَّ دارَ الحيِّ لما خلت ... غربلَ أعلى تربها ناخلُ

من نسجِ ريحٍ درجت فوقها ... جالَ عليها تربها الجائلُ

بينَ جنوبٍ وصباً تغتدي ... طاوعها ذو لجبٍ هاطلُ

كأنما الوحشُ بها خلفةً ... بعدَ الأنيسِ النعمُ الهاملُ

وقد أراها وبها سامرٌ ... منهم وجردُ الخيلِ والجاملُ

تغيرت ريطةُ عن عهدنا ... وغالَ ودي بعدها غائلُ

وكلُّ دنيا ونعيمٍ لها ... منكشفٌ عن أهلهِ زائلُ

لا والذي يهوى إلى بيته ... من كلِّ فجٍّ محرمٌ ناحلُ

ما لي من علمٍ بها باطنٍ ... وقد براني حبها الداخلُ

هل يبلغني دارها إن نأت ... أغلبُ خطارُ السرى ذائلُ

ناجٍ ترى المرفقَ عن زوره ... كأنما يفتلهُ فاتلُ

يا ريطَ يا ريطَ ألم تخبري ... عنا وقد يحمدنا السائلُ

والجارُ والمختبطُ المعتفي ... معروفنا والآخرُ النازلُ

إن تسألي عنا يقل سادةٌ ... فيهم حلومٌ وندىً فاضلُ

نهينُ للضيفانِ شحمَ الذرى ... فمنهمُ الواردُ والناهلُ

نحنُ بنو الشداخِ لم يعلهم ... حافٍ من الناسِ ولا ناعلُ

تناذرَ الأعداءُ إيقاعنا ... فارسهم والآخرُ الراجلُ

خيولنا بالسهلِ مشطونةً ... مثلُ السعالى والقنا الذابلُ

نعدها إن كادنا معشرٌ ... أو نزلت حربٌ بنا حائلُ

في كلِّ ملتفٍّ لفرسانها ... منهم عقيرٌ وفتىً مائلُ

يعدونَ بالأبطالِ نحوَ الوغى ... وهمهنَّ الشرفُ القابلُ

عوجٌ عناجيجُ تباري الوغى ... مثلُ المغالي لحمها ذابلُ

يخرجنَ من أكدرَ معصوصبٍ ... وردَ القطا يحفزها الوابلُ

بكلِّ كهلٍ وفتى نجدةٍ ... يصدُّ عنهُ البطلُ الباسلُ

يروي بكفيهِ غداةَ الوغى ... صدرَ سنانِ الرمحِ والعاملُ

أروعُ واري الزندِ ذو مرةٍ ... تشقى بهِ المتليةُ البازلُ

تم المختار من شعر المتوكل الليثي واخترن أكثر شعره.

عروة بن الورد

قال عروة بن الورد بن زيد بن ناشب بن هدم بن لدم بن عوذ بن غالب بن قطيعة بن عبس، وكان يقال له عروة الصعاليك في امرأته أم وهب وكان أزارها أهلها في بني كنانة، فسقوه الخمر حتى سكر، ثم طلبوا إليه أن يخلي سبيلها فخلى سبيلها. وكانت له كارهة لأنه كان يغيب عنها الدهر في غاراته ومغازيه، فلما صحا وعرف ما صنع به ندم، وقال:

أرقتُ وصحبتي بمضيقِ عمقٍ ... لبرقٍ من تهامةَ مستطيرِ

تكشفَ عائذٍ بلقاءَ تنفي ... ذكورَ الخيلِ عن ولدٍ صغيرِ

إذا قلتُ استهلَّ على قديدٍ ... يحورُ ربابه حورَ الكسيرِ

سقى سلمى وأينَ محلُّ سلمى ... إذا حلت مجاورةَ السريرِ

إذا حلت بأرضِ بني عليٍّ ... وأهلي بينَ إمرةٍ وكيرِ

ذكرتُ منازلاً من أمِّ وهبٍ ... محلَّ الحيِّ أسفلَ ذي النقيرِ

وأحدثُ معهدٍ من أمِّ عمرو ... معرسنا فويقَ بني النضيرِ

فقالت ما تريدُ فقلتُ ألهو ... إلى الإصباحِ آثرَ ذي آثيرِ

بآنسةِ الحديثِ رضابُ فيها ... بعيدَ النومِ كالعنبِ العصيرِ

أطعتُ الآمرينَ بصرمِ سلمى ... فطاروا في بلادِ اليستعورِ

سقوني الخمرَ ثمَّ تكنفوني ... عداةُ اللهِ من كذبٍ وزورِ

وقالوا لستَ بعدَ فداءِ سلمى ... بمغنٍ ما لديكَ ولا فقيرِ

فلا وأبيكَ لا كاليومِ أمري ... ومن لكَ بالتدبرِ في الأمورِ

إذن لملكتُ عصمةَ أمِّ وهبٍ ... على ما كانَ من حسكِ الصدورِ

فيا للناسِ كيفَ ألومُ نفسي على شيءٍ ويكرههُ ضميري

ألا يا ليتني عاصيتُ طلقاً وجباراً ومن لي من أميرِ

وقال عروة بن الورد وكانت امرأته نهته عن الغزو:

أقلي عليَّ اللومَ يا ابنةَ منذرِ ونامي فإن لم تشتهي ذاكَ فاسهري

ذريني ونفسي أمَّ حسانَ إنني بها قبلَ أن لا أملكَ البيعَ مشتري

أحاديثَ تبقى والفتى غيرُ خالدٍ إذا هو أمسى هامةً فوقَ صيرِ

تجاوبُ أحجارَ الكناسِ وتشتكي إلى كلِّ معروفٍ رأتهُ ومنكرِ

ذريني أطوف في البلادِ لعلني أخليكِ أو أغنيكِ عن سوءِ محضرِ

فإن فازَ سهمٌ للمنيةِ لم أكن جزوعاً وهل عن ذاك من متأخرِ

وإن فازَ سهمي كفكم عن مقاعدٍ لكم عند أدبارِ البيوتِ ومنظرِ

تقولُ لكَ الويلاتُ هل أنتَ تاركٌ ضبواً برجلٍ تارةً وبمنسرِ

ومستثبتٌ في مالكِ العامِ إنني أراكَ على الأقتادِ صرماءَ مذكرِ

فجوعٌ بها للصالحينَ مزلةٍ مخوفٍ رداها أن تصبكَ فأحذرِ

أبى الخفضَ من يغشاكِ من ذي قرابةٍ ومن كلِّ سوآرِ المعاصمِ تعتري

ومستهنئٍ زيدٌ أبوهُ فلا أرى لهُ مدفعاً فاقني حياءكِ واصبري

لحا اللهُ صعلوكاً إذا جنَّ ليلهُ مضى في المشاشِ آلفاً كلَّ مجزرِ

يعدُّ الغنى من نفسهِ كلِّ ليلةٍ أصابَ قراها من صديقٍ ميسرِ

ينامُ عشاءً ثمَّ يصبحُ ناعساً يحتُّ الحصى عن جنبهِ المتعفرِ

قليلُ التماسِ المالِ إلاَّ لنفسهِ إذا هو أضحى كالعريشِ المحورِ

يعينُ نساءَ الحيِّ ما يستعنهُ فيمسي طليحاً كالبعيرِ المحسرِ

ولكنَّ صعلوكاً صفيحةُ وجههِ كضوءِ شهابِ القابسِ المتنورِ

مطلاً على أعدائهِ يزجرونهُ بساحتهم زجرَ المنيحِ المشهرِ

وإن بعدوا لا يأمنونَ اقترابهُ تشوفَ أهلِ الغائبِ المتنظرِ

فذلكَ إن يلقَ المنيةَ يلقها ... حميداً وإن يستغنِ يوماً فأجدرِ
أيهلكُ معتمٌّ وزيدٌ ولم أقم ... على ندبٍ يوماً ولي نفسُ مخطرِ
ويوماً على نجدٍ وغاراتِ أهلها ... ويوماً بأرضٍ ذاتِ شتٍّ وعرعرِ
يناقلنَ بالشمطِ الكرامِ أولي النهى ... نقابَ الحجازِ في السريحِ المسيرِ
يريحُ عليَّ الليلُ أضيافَ ماجدٍ ... كريمٍ ومالي سارحاً مالُ مقترِ
سلي الساغبَ المعترَّ يا أمَّ مالكٍ ... إذا ما اعتراني بين ناري ومجزري
أأبسطُ وجهي إنهُ أولُ القرى ... وأبذلُ معروفي لهُ دونَ منكري
سيفزعُ بعدَ اليأسِ من لا يخافنا ... كواسعُ في أخرى السوامِ المنفرِ
يطاعنُ عنها أولُ الخيل بالقنا ... وبيضٍ خفافٍ ذاتِ لونٍ مشهرِ

وقال عروة بن الورد:

أفي نابٍ منحناها فقيراً ... لهُ بطنابنا طنبٌ مصيتُ
وفضلةُ سمنةٍ ذهبت إليهِ ... وأكثرُ حقهِ ما لا نقوتُ
تبيتُ على المرافقِ أمُّ وهبٍ ... وقد نامَ العيونُ لها كتيتُ
وإنَّ حميتنا أبداً حرامٌ ... وليسَ لجارِ منزلنا حميتُ
وربتَ شعبةٍ آثرتُ فيها ... يداً جاءت تعيرُ لها هتيتُ
وربتَ جوعةٍ لم يدرَ فيها ... أخو شبعٍ على ماذا أبيتُ
يؤامرني أميري ذاتَ نفسي ... وقد ألقت مراسيها البيوتُ
يقولُ الحقُّ مطلبهُ جميلٌ ... وقد طلبوا إليكَ فلم يقيتوا
فقلتُ لهُ ألا احيَ وأنت حرٌّ ... ستشبعُ في حياتكَ أو تموتُ
إذا ما فاتني لم أستقلهُ ... حياتي والملائمُ لا يفوتُ
وقد علمت سليمى أن رأيي ... ورأيَ المحلِ مختلفٌ شتيتُ
وأني لا يريني البخلُ رأيي ... سواءٌ إن عطشتُ وإن رويتُ
وأني حينَ تشتجرُ العوالي ... عوالي اللبِّ ذو رأيٍ زميتُ
قؤولٌ ذاتَ علمي حيثُ علمي ... وأما العلمُ أخطاني صموتُ

وأكفي ما علمتُ بفضلِ علمي وأسألُ ذا البيانِ بما عييتُ

وقال عروة بن الورد:

أليسَ ورائي أن أدبَّ على العصا فيشمتَ أعدائي ويسأمني أهلي
رهينةَ قعرِ البيتِ كلَّ عشيةٍ يطيفُ بي الولدانُ أهدجُ كالرألِ
أقيموا بني لبنى صدورَ مطيكم فإنَّ منايا الناسِ شرٌّ من الهزلِ
فإنكمُ لن تبلغوا كلَّ همتي ولا إربتي حتى تروا منبتَ الأثلِ
ولو كنتُ مثلوجَ الفؤادِ إذا بدت بلادُ الأعادي لا أمرُّ ولا أحلي
رجعتُ على حرسينِ إذ قالَ مالكٌ هلكتَ وهل يلحي على بغيةٍ مثلي
لعلَّ ارتيادي في البلادِ وحيلتي وشدي حيازيمَ المطيةِ بالرحلِ

سيدفعني يوماً إلى ربِّ هجمةٍ يدافعُ عنها بالعقوقِ وبالبخلِ
قليلٌ تواليها وطالبُ وترها إذا صيحَ فيها بالفوارسِ والرجلِ
إذا ما هبطنا منهلاً في مخوفةٍ بعثنا ربيئاً في المرابيءِ كالجذلِ
يقلبُ في الأرضِ الفضاء بطرفهِ وهنَّ مناخاتٌ ومرجلنا يغلي

وقال عروة بن الورد:

ألم تعرف منازلَ أمِّ عمرو بمنعرجِ النواصفِ من أبانِ
وقفتُ بها ففاضَ الدمعُ مني كمنحدرٍ من النظمِ الجمانِ
ولكن لا يلبثُ وصلَ حيٍّ وجدةَ وجههِ مرُّ الزمانِ
ومولى قد أثارَ عليَّ حرباً وكانت قبلُ واضعةَ الجرانِ
فواكلني وإياها وأغضى وجرت حربَ معضلةٍ عوانِ
فكنتُ لزازها حتى تجلت ولم أبعث لها أحداً مكاني
ومكروبٍ كشفتُ الكربَ عنهُ بضيقةِ مأزقٍ لما دعاني
فقلتُ لهُ أتاكَ أتاكَ فانهض وليثٌ حينَ أنهضُ غيرَ وانِ
فلما إن تبرزَ كانَ ذنباً نعدُّ وكانَ ذلكَ ما جراني

فما أنا عندَ هيجا كلَّ يومٍ بمثلوجِ الفؤادِ ولا جبانِ

يصافيني الكريمُ إذا التقينا ويبغضني اللئيمُ إذا رآني

عبيد بن أيوب

وقال عبيد بن أيوب العنبري وهو من اللصوص:

لقد خفتُ حتى لو تمرُّ حمامةٌ لقلتُ عدوٌّ أو طليعةُ معشرِ

وخفتُ خليلي ذا الصفاءِ ورابني وقيلَ فلانٌ أو فلانةُ فاحذرِ

فأصبحتُ كالوحشيِّ يتبعُ ما خلا ويتركُ مأنوسَ البلادِ المدعثرِ

إذا قيلَ خيرٌ قلتُ هذي خديعةٌ وإن قيلَ شرٌّ قلتُ حقٌّ فشمرِ

كتبت هذه القطعة لحسنها و لم تدخل في الأخبار.

وقال أيضاً:

أراني وذئبَ القفرِ خدنينِ بعدما تدانا كلانا يشمئزُّ ويذعرُ

إذا ما عوى جاوبتُ سجعَ عوائهِ بترنيمِ محزونٍ يموتُ وينشرُ

تذللتهُ حتى دنا وألفتهُ وأمكنني لو أنني كنتُ أغدرُ

ولكنني لم يأتمني صاحبٌ فيرتابَ بي ما دامَ لا يتغيرُ

وللهِ درُّ الغولِ أيُّ رفيقةٍ لصاحبِ قفرٍ خائفٍ يتقترُ

تغنت بلحنٍ بعدَ لحنٍ وأوقدت حواليَّ نيراناً تبوخُ وتزهرُ

أنستُ لها لما بدت وألفتها وحتى دنت واللهُ بالغيبِ أبصرُ

فلما رأت ألاَّ أهالَ وأنني وقورٌ إذا طار الجنانُ المطيرُ

دنت بعدَ ذاكَ الروعُ حتى ألفتها وصافيتها واللهُ بالغيبِ أخبرُ

ألم ترني حالفتُ صفراءَ نبعةً ترنُّ إذا ما رعتها وتزمجرُ

تزمجرُ غيري أحرقوها بضرةٍ فباتت لها تحتَ الخباءِ تذمرُ

لها فتيةٌ ماضونَ حيثُ رمت بهم شرابهمُ غالٍ من الجوفِ أحمرُ

إذا افتقرت راشتهمُ بغناهمُ عطاءً لهم حتى صفا ما يكدرُ

ألمَّ خيالٌ من أميمةَ طارقٌ وقد تليت من آخرِ الليلِ غبرُ

فيا فرحاً للمدلجِ الزائرِ الذي أتاني في ربطاته يتبخترُ

فثرتُ وقلبي مقصدٌ للذي به وعينيَّ أحياناً تجمُّ فتغمرُ

إلى ناعجٍ أما أعالي عظامهِ فشمٌّ وسفلاها على الأرضِ تمهرُ

فقلتُ لهُ قولاً وحادثتُ شدهُ بأعوادٍ ميسٍ نقشهنَّ محبرُ

أيا جملي إن أنتَ زرتَ بلادها برحلي وأجلادي فأنتَ محررُ

وهل جملٌ مجتابُ ما حالَ دونها من الأرضِ أو ريحٌ تروحُ وتبكرُ

وكيفَ ترجيها وقد حالَ دونها من الأرضِ مخشيُّ التنائفِ مذعرُ

وأنتَ طريدٌ مستسرٌّ بقفرةٍ مراراً وأحياناً تصبُّ فتظهرُ

فيا ليتَ شعري هل يعودنَّ مربعٌ وقيظٌ بأكنافِ الظليفِ ومحضرُ

أقاتلتي بطالةٌ عامريةٌ بأردانها مسكٌ ذكيٌّ وعنبرُ

وقال عبيد بن أيوب أيضاً:

كأن لم أقد سبحانكَ اللهُ فتيةً لندفعَ ضيماً أو لوصلٍ نواصلهْ

على علسياتٍ كأنَّ هويها هويَّ القطا الكدري نشت ثمائلهْ

وفارقتهم والدهرُ موقفُ فرقةٍ عواقبهُ دار البلى وأوائلهْ

وأصبحتُ مثلَ السهمِ في قعرِ جعبةٍ نضيا فضاً قد طالَ فيها قلاقلهْ

وأصبحتُ ترميني العدى عن جماعةٍ على ذاكَ رامٍ من بدت لي مقاتلهْ

فمنهم عدوٌّ لي مخالٍ مكاشحٍ وآخرُ لي تحتَ العضاهِ حبائلهْ

وعاديةٌ تعدو عليَّ كثيبةٌ لها سلفٌ لا ينذرُ القتلَ قاتلهْ

فناشدتهم باللهِ حتى أظلني من الموتِ ظلٌّ قد علتني عواملهْ

فلما التقينا لم يزل من عديدهم صريعٌ هواءٌ للترابِ جحافلهْ

ولو كنتُ لا أخشى سوى فردِ معشرٍ لقرَّ فؤادي واطمأنت بلابلهْ

وسرتُ بأوطاني وصرتُ كأنني كصاحبِ ثقلٍ حطَّ عنهُ مثاقلهْ

ألم ترني حالفتُ صفراءَ نبعةً لها ربذيٌّ لم تثلم معابلهْ

وطالَ احتضاني السيفَ حتى كأنهُ يناطُ بجلدي جفنه وحمائلهْ
وجربتُ قلبي فهو ماضٍ مشيعٌ قليلٌ لخلانِ الصفاءِ غوائلهْ
وساخرةٍ مني ولكن تبينت شمائل بسامٍ عجالٍ رواحلهْ
قليلُ رقادِ العينِ تراكُ بلدةٍ إلى جوزِ أخرى لا تبنُّ منازلهْ
على مثلِ جفنِ السيفِ يرفعُ آلهُ مصاصاتُ عتقٍ وهو طاوٍ ثمائلهْ
ووادٍ مخوفٍ لا تسارُ فجاجهُ بركبٍ ولا تمشي لديهِ أراجلهْ
به الأسدُ والأسباد من علقت به فقد ثكلتهُ عندَ ذاكَ ثواكلهْ
تباشرنَ بي لما برزتُ لعادةٍ تعودتها والعادُ جمٌّ خوابلهْ
فقلتُ تنكبنَ الطريقَ لمختطٍ أخي شقةٍ غولٍ على من ينازلهْ
فكلمتُ من لم يدرِ ما عربيةٌ ومن عاشَ في لحمِ الأنيسِ أشابلهْ
فلما التقينا خامَ منهنَّ خائمٌ وآخرُ ذو طيرٍ تحومُ حواجلهْ
فما رمتُ جوفِ الغيلِ حتى ألفتهُ وأعجبني أسرابهُ ومداخلهْ
فإني وبغضي الإنسَ من بعدِ حبها ونأييَ ممن كنتُ ما إن أزايلهْ
لكالصقرِ جلى بعدما صادَ فتيةً قديراً ومشوياً ترفُّ خرادلهْ
أهابوا به فازداد بعداً وهاجهُ على النأيِ يوماً طلٌّ دجنٍ ووابلهْ
أزاهدةٌ فيَّ الأخلاءُ أن رأت فتى مطرداً قد أسلمتهُ تبائلهْ
وقد تزهدُ الفتيانُ في السيفِ لم يكن كهاماً ولم تعمل بغشٍ صياقلهْ
فلا تعترض في الأمرِ تكفى شؤونهُ ولا تنصحن إلاَّ لمن هو قابلهْ
ولا تخذلِ المولى إذا ما ملمةٌ ألمت ونازل في الوغى من ينازلهْ
ولا تحرم المرءَ الكريمَ فإنهُ أخوكَ ولا تدري لعلكَ سائلهْ

وقال عبيد بن أيوب أيضاً:

ليت الذي سخرت مني ومن جملي ذاقت كما ذقتُ من خوفٍ وأسفارِ
ومن طلابٍ وطلابٍ ذوي حنقٍ يرمونَ نحويَ من غيظٍ بأبصارِ
إما تريني وسربالي يطيرُ كما طارت عقيقةُ قرمٍ غيرِ خوارِ

إن يقتلوني فآجالُ الكماةِ كما خبرتِ قتلٌ وما بالقتلِ من عارِ
وإن نجوتُ لوقتٍ غيرهِ فعسى وكلُّ نفسٍ إلى وقتٍ ومقدارِ
يا ربِّ قد حلفَ الأعداءُ واجتهدوا أيمانهم أنني من ساكنِ النارِ
أيحلفونَ على عمياءَ ويحهمُ ما علمهم بعظيمِ العفوِ غفارِ
إني لأرجو من الرحمنِ مغفرةً ومنةً من قوامِ الدينِ جبارِ
وما أخافُ هلاكاً بين عفوهما وما يفوتهما المستوهلُ الساري
إليهما منهما أنجو على وجلٍ كما نجا خائفٌ خاشٍ لآثاري
أنا الغلامُ عتيقُ اللهِ مبتهلٌ بتوبةٍ بعدَ إحلاءٍ وإمرارِ
خليتُ بابات جهلٍ كنتُ أتبعها كما يودعُ سفرُ عرصةَ الدارِ
إني لأعلمُ أني سوفَ يتركني صحبي رهينةُ تربٍ بينَ أحجارِ
فرداً برابيةٍ أو وسطَ مقبرةٍ تسفي عليَّ رياحُ البارحِ الذاري

الخطيم المحرزي

وقال الخطيم المحرزي من بني عبشمس، وهو من اللصوص، يستعطف قومه وهو مسجون بنجران:

أبت ليَ سعدٌ أن أضامَ ومالكٌ وحيُّ الربابِ والقبائلُ من عمرو
وإن أدعُ في القيسيةِ الشمِّ تأتني قرومٌ تسامى كلهم باذخُ القدرِ
وإن تلقَ ندماني يخبركَ أنني ضعيفُ وكاءِ الكيسِ لم أغذَ بالفقرِ
وتشهدُ لي العوذُ المطافيلُ أنني أبو الضيفِ أقري حينَ لا أحدٌ بقري

فلولا قريشٌ ملكها ما تعرضت لي الجنُّ بلهَ الإنسُ قد علمت قدري
وما ابنُ مراسٍ حينَ جئتُ مطرداً بذي علةٍ دوني ولا حاقدِ الصدرِ
عشيةَ أعطاني سلاحي وناقتي وسيفي جداً من فضلِ ذي نائلٍ غمرِ
خليلي الفتى العكليّ لم أرَ مثلهُ تحلبُ كفاهُ الندى شائعُ القدرِ
كأنَّ سهيلاً نارهُ حينَ أوقدت بعلياء لا تخفى على أحدٍ يسري

وتيهاءَ مكسالٍ إذا الليلُ جنها تزملَ فيها المدلجونَ على حذرِ

بعيدةِ عينِ الماءِ تركضُ بالضحى كركضكَ بالخيلِ المقربةِ الشقرِ

فلاةٍ يخافُ الركبُ أن ينطقوا بها حذارَ الردى فيها مهولةٍ قفرِ

سريعٍ بها قولُ الضعيفِ ألا اسقني إذا خبَّ رقراقُ الضحى خببَ المهرِ

سمت لي بالبينِ اليماني صبابةٌ وأنتَ بعيدٌ قد نأيتَ عن المصرِ

أتيحَ لذي بثٍّ طريدٍ تعودهُ همومٌ إذا ما باتَ طارقها يسري

بنجرانَ يقري الهمَّ كلَّ غريبةٍ بعيدةِ شأوِ الكلمِ باقيةَ الأثرِ

يمثلها ذو حاجةٍ عرضت لهُ كئيبٌ يؤسى بينَ قرنةَ والفهرِ

فقالَ وما يرجو إلى الأهلِ ردةً ولا أن يرى تلكَ البلاد يدَ الدهرِ

لعمركَ أني يومَ نعفِ سويقةٍ لمعترفٌ بالبينِ محتسبُ الصبرِ

غداةَ جرت طيرُ الفراقِ وأنبأت بنأيٍ طويلٍ من سليمى وبالهجرِ

ومرت فلم يزجرُ لها الطيرُ عائفٌ تمرُّ لها من دونِ أطلالها تجري

سنيحاً وشرُّ الطيرِ ما كان سانحاً بشؤمى يديهِ والشواحجُ في الفجرِ

فما أنسَ مل أشياءِ لا أنسَ طائعاً وإن أشقذتني الحربُ إلاَّ على ذكرِ

عيوفُ الذي قالت تعزَّ وقد رأت عصى البين شقت واختلافاً من النجرِ

عليكَ السلامُ فارتحل غير باعدٍ وما البعدُ إلاَّ في التنائي وفي الهجرِ

وعفت لجفنِ العينِ جائلَ عبرةٍ كما ارفضَّ نجمٌ من جمانٍ ومن شذرِ

تهللَ منها واكفٌ مطرت بهِ جمومٌ بملءِ الشأنِ مائحةُ القطرِ

وقالت تعلم أنَّ عندي معشراً يرونكَ ثأراً أو قريباً من الثأرِ

فقلتُ لها إني ستبلغ مدتي إلى قدرٍ ما بعدهُ لي من قدرِ

ألا ليتَ شعري هل أبيتنَّ ليلةً بأعلى بليٍّ ذي السلامِ وذي السدرِ

وهل أهبطن روضَ القطا غير خائفٍ وهل أصبحنَّ الدهرَ وسط بني صخرِ

وهل أسمعن يوماً بكاءَ حمامةٍ تنادي حماماً في ذرى تنضبٍ خضرِ

وهل أرين يوماً جيادي أقودها بذاتِ الشقوقِ أو بأنقائها العفرِ

وهل تقطعنَّ الخرقَ بي عيدهيةٌ نجاةٌ من العيديِّ تمرحُ للزجرِ

طوت لقحاً مثلَ السرارِ وبشرت بأصهبَ خطارٍ كخافيةِ النسرِ

هبوعٌ إذا ما الريمُ لاذَ من اللظى بأولِ فيءٍ واستكنَّ من الهجرِ

وباشرَ معمورَ الكناسِ بكفهِ إلى أن يكونَ الظلُّ أقصرَ من شبرِ

وقد ضمرت حتى كأنَّ وضينها وشاحَ عروسٍ جالَ منها على خصرِ

حديثةُ عهدٍ بالصعوبةِ ديثت ببعضِ الركوبِ لا عوانٍ ولا بكرِ

تخالُ بها غبَّ السرى عجرفيةً على ما لقينَ من كلالٍ ومن حسرِ

ولو مرَّ ميلٌ بعد ميلٍ وأصبحت عتاقُ المطايا قد تعادينَ بالفترِ

وهل أرين بين الحفيرةِ والحمى حمى النيرِ أو يوماً بأكثبة الشعرِ

جميعَ بني عمي الكرامِ وإخوتي وذلكَ عصرٌ قد مضى قبلَ ذا العصرِ

أخلايَ لم يشمت بنا ذو شناءةٍ ولم تضطرب مني الكشوحُ على غمرِ

ولا منهمُ حتى دعتنا غواتنا إلى غايةٍ كانت بأمثالنا تزري

أتيناهمُ إذ أسلمتهم حلومهم فكنا سواءً في الملامةِ والعذرِ

فلأياً بلأيٍ ما نزعتا وقبلهُ مددنا عنانَ الغيِّ متسقاً يجري

فكنا لأقوامٍ عظاتٍ وقطعت وسائلُ قربى من حميمٍ ومن صهرِ

لحى اللهُ من يلحى على الحلمِ بعدما دعتنا رجالٌ للفخارِ وللعقرِ

وجاؤوا جميعاً حاشدينَ نفيرهم إلى غايةٍ ما بعدها ثمَّ من أمرِ

وقلتُ لهم إن ترجعوا بعدَ هذهِ جميعاً فما أمي بأمِّ بني بدرِ

قدحنا فأورينا على عظمِ ساقنا فهل بعدَ كسرِ الساقِ للعظمِ من جبرِ

بني محرزٍ هل فيكمُ ابنُ حميمةٍ يقومُ ولو كانَ القيامُ على جمرِ

بما يؤمنُ المولى وما يرأبُ النأي وخيرُ الموالي من يريشُ ولا يبري

كما أنا لو كان المشردُ منكمُ لأبليتُ نجحاً أو لقيتُ على عذرِ

لأعطيتُ من مالي وأهلي رهينةً ولا ضاقَ بالإصلاحِ مالي ولا صدري

بني محرزٍ من تجعلونَ خليفتي إذا نابكم يوماً جسيماً من الأمرِ
بني محرزٍ كنتم وما قد علمتمُ كفاريةٍ خرقاءَ عيت بما تفري
رأت خللاً ما كلهُ سدُّ خرزها وأثأى عليها الخرزُ من حيثُ لا يدري
بني محرزٍ إن تكنسِ الوحشُ بينكم وبيني وتبعدُ من قبوركمُ قبري
فقد كنتُ أنهى عنكمُ كلَّ ظالمٍ وأدفعُ عنكم باليدين وبالنحرِ
معنى إذا خصمٌ أدلَّ عليكمُ بني محرزٍ يوماً شددتُ لهُ أزري
بحدِّ سنانٍ يستعدُّ لمثلهِ ورقمِ لسانٍ لا عييٍّ ولا هذرِ

وقال الخطيم أيضاً لسليمان بن عبد الملك وقد استجار به:

وقائلةٍ يوماً وقد جئتُ زائراً رأيتُ الخطيمَ بعدنا قد تخددا
أما إنَّ شيبي لا يقومُ بهِ فتىً إذا حضرَ الشحُّ اللئيمَ الضفنددا
فلا تسخري مني أمامةُ أن بدا شحوبي ولا أنَّ القميصَ تقددا
فإني بأرضٍ لا يرى المرءُ قربها صديقاً ولا تحلى بها العينُ مرقدا
إذا نامَ أصحابي بها الليلُ كلهُ أبت لا تذوقُ النومَ حتى ترى غدا
أتذكرُ عهدَ الحارثيةِ بعدما نأيتَ فلا تستطيعُ أن تتعهدا
لعمرك ما أحببتُ عزةَ عن صبىً صبتهُ ولا تسبي فؤادي تعمدا
ولكنني أبصرتُ منها ملاحةً ووجهاً نقياً لونه غيرَ أنكدا
منَ الخفراتِ البيضِ خمصانةِ الحشا ثقال الخطا تكسو الفريدا المقلدا
فقد حليت عيني بها وهويتها هوى عرضٍ ما زال مذ كنتُ أمردا
كأنَّ منَ البردي ريانَ ناعماً بحيثُ ترى منها سواراً ومعضدا
تهادى كعومِ الركِّ كعكهُ الصبا بأبطحِ سهلٍ حينَ تمشي تأودا
يهيمُ فؤادي ما حييتُ بذكرها ولو أنني قد متُّ هامَ بها الصدا
لها مقلتا مكحولةٍ أمُّ جؤذرٍ تراعي مها أضحى جميعاً وفردا
وأظمى نقياً لم تغلل غروبهُ كنورِ أقاحٍ فوقَ أطرافهِ الندى
لدى ديمٍ جادت وهبت لهُ الصبا تلقينَ أياماً من الدهرِ أسعدا

فلا والذي من شاءَ أغوى فلم يكن   لهُ مرشدٌ يوماً ومن شاءَ أرشدا
يمينُ بلاءٍ ما علمتُ بسيئٍ   عليها وإن قالَ الحسودُ فأجهدا
وإني لمشتاقٌ إلى اللهِ أشتكي   غليلَ فؤادٍ قد يبيتُ مسهدا
وما لامني في حبِّ عزةَ لائمٌ   من الناسِ إلاَّ كانَ عندي من العدا
ولا قالَ لي أحسنتُ إلاَّ حمدتهُ   بما قالَ لي ثمَّ اتخذت لهُ يدا
فلو كنت مشعوفاً بعزةَ مثل ما شعفتُ   بها ما لمتني يا ابنَ أربدا
إذن لازدهاك الشوقُ حتى ترى الصبا   من الجهلِ في أدنى المعيشة أحمدا
وما لمتني في حبها بل عذرتني   فأصبحتَ من وجدٍ بعزةَ مقصدا
ليالىَ أهلانا جميعاً وعيشنا   رفيعٌ وشعبا الحيِّ لم يتبددا
لها بينَ ذي قارٍ فرملِ مخفقٍ   من القفِّ أو من رملهِ حينَ أربدا
أواعسُ في برثٍ من الأرضِ طيبٍ   وأوديةٌ ينبتنَ سدراً وغرقدا
أحبُّ إلينا من قرى الشامِ منزلاً   وأجبالها لو كانَ أن أتوددا
أعوذُ بربي أن أرى الشام بعدها   وعمانَ ما غنى الحمامُ وغردا
فذاكَ الذي استنكرتُ يا أمَّ مالكٍ   وأصبحتُ منهُ شاحبَ اللونِ أسودا
وإني لماضي الهمِّ لو تعلمينهُ   وركابُ أهوالٍ يخافُ بها الردى
ومسعرُ حربٍ كنتُ ممن أشبها   إذا ما الجبانُ النكسُ هابَ وعردا
وأزدادُ في رغمِ العدوَ لجاجةً   وأمكنُ من رأسِ العدوِّ المهندا

ويعجبني نصُّ القلاصِ على الوجا   وإن سرنَ شهراً بعدَ شهرٍ مطردا
عواسفُ خرقٍ ما لهنَّ تئيةٌ   إذا ملنَ في سهبٍ تعرفنَ قرددا
يخصنَ بأيديهنَّ بيداً عريضةً   وليلاً كأثناءِ الرويزي أسودا
إذا مالَ جلُّ الليلِ واطرقَ الكرى   أثرنَ قطاً من آخرِ الليلِ هجدا
ورحلي على هوجاءَ حرفٍ شملةٍ   ذمولٍ إذا التاثَ المطيُّ وهودا
موثقةِ الأنساءِ مضبورةِ القرى   تسومُ بهادٍ في القلادةِ أقودا

على مرساتِ الجندلِ الصمِّ رفعت	بهنَّ كما رفعتَ ظلاً ممددا
لها عجزٌ تمت ورجلٌ قبيضةٌ	تشلُّ يداً ما الخطو فيها بأحردا
بها أثرٌ في موضعِ النسعِ لاحبٌ	ومصدرُ فضل النسعِ من حيثُ أوردا
جرى النسعُ منصباً من الرحلِ وارداً	فلما مضى من خلفهِ الرحلُ أصعدا
إلى كاهلٍ منها إذا شدَّ فوقهُ	بأحبلهِ الميسُ العلافيُّ أوفدا
كأنَّ أمامَ الرحلِ منها وخلفهُ	صفيحاً لدى صفقي قراها مسندا
سفينةُ برٍّ تحتَ أودعَ لا تني	براكبها تجتابُ سهباً عمردا
إذا امتدَّ أثناءُ الزمامِ ازدهت بهِ	كما يزدهي الذعرُ الظليمَ الخفيددا
تذاءبُ أحياناً مراحاً وحدةً	زهتها فما باليتُ ألاَّ تزيدا
بذي شقةِ جوابِ أرضٍ تقاذفت	بهِ سارَ حتى غارَ ثمتَ أنجدا
أعذني عياذاً يا سليمانُ إنني	أتيتكَ لما لم أجد عنكَ مقعدا
لتؤمنني خوفَ الذي أنا خائفٌ	وتبلعني ريقي وتنظرني غدا
فراراً إليكَ من واريَ ورهبةً	وكنتَ أحقَّ الناسِ أن أتعمدا
وأنتَ امرؤٌ عودتَ نفسكَ عادةً	وكل امرئٍ جارٍ على ما تعودا
تعودتَ ألاَّ تسلمَ الدهرَ خائفاً	أتاكَ ومن آمنتهُ أمنَ الردى
أجرتَ يزيدَ بن المهلبِ بعدما	تبينَ من بابِ المنيةِ موردا
ففرجتَ عنهُ بعدما ضاقَ أمرهُ	عليهِ وقد كانَ الشريدَ المطردا
سننتَ لأهلِ الأرضِ في العدلِ سنةً	فغارَ بلاءُ الصدقِ منكَ وأنجدا
وأنتَ المصفى كل أمركَ طيبٌ	وأنتَ ابنُ خيرِ الناسِ إلاَّ محمدا
وأنتَ فتى أهلِ الجزيرةِ كلها	فعالاً وأخلاقاً وأسمحهم يدا
وأنتَ من الأعياصِ في فرعِ نبعةٍ	لها ناضرٌ يهتزُّ مجداً وسوددا

وقال أيضاً:

نزلنا بمخشيٍّ الردى آجن الصرى	تناذرهُ الركبانُ جدبِ المعللِ
غشاشا ملا حتى روينَ وعلقوا	أداوى سقوا فيها ولما تبللِ

وأشعثَ راضٍ في الحياةِ بصحبتي
وإن متُّ آسى فعلَ خرقٍ شمردلِ

تبدلَ بالنعمى بئيساً وشفهُ
مخاوفُ تزري بالغريرِ المغفلِ

طريدٍ مطا حتى كأنَّ ثيابهُ
على جلدِ مسجونٍ وإن لم يكبلِ

دنا لي فأعداني وقالَ وقد بدت
شواهدُ مشهورٍ أغرَّ محجلِ

وقالَ وقد مالت بهِ نشوةُ الكرى
نعاساً ومن يعلق سرى الليلِ يكسلِ

أنخ نعطِ أنضاءَ النعاسِ دواءها
قليلاً ورفه عن قلائصَ كللِ

فقلتُ لهُ كيفَ الإناخةُ بعدما
حد الليلَ عريانُ الطريقةِ منجلي

ألا ترهبُ الأعداءَ أن يمحلوا بنا
أو البعثَ من ذاك الأميرِ الموكلِ

وأشعثَ قد ألقى الوسادةَ فانطوى
إلى دفِّ منجاةِ الذراعينِ عيهلِ

وقد ضمرت حتى كأنَّ وضينها
وشاحٌ بكفي ناهدٍ لم تسربلِ

وهنَّ يقطعنَ اللغامَ كأنهُ
سبائخُ من قطنٍ بأذرعِ غزلِ

فألقى بثنييهِ على شرخِ رحلها
أخو قفراتٍ ثمَّ قالَ لها حلِ

إذا وثبت من مبركٍ غادرت بهِ
دماً من أظلٍّ راعفٍ لم ينعلِ

ألم تعلمي يا عمركِ اللهُ أنني
أضمنُ سيفي حقَّ ضيفي ومرجلِ

إذا الشولُ راحت وهي حدب ظهورها
يسفنَ مقذى مقرمٍ لم يجزلِ

فأجلت وقد أمكنتهُ من عقيرةٍ
تخيرتها سمنى أيانقَ بزلِ

أفزَّ نساً من بعدِ ساقٍ أثرها
لعابُ الفرندِ الخالصِ المتنخلِ

ولستُ بقوالٍ إذا قالَ صاحبي
لكَ الخيرُ مرني أنتَ ما شئتَ أفعلِ

ولكنني أقضي لهُ فأريحهُ
ببزلاءَ تنجيهِ من الشكِّ فيصلِ

وداعٍ دعا والليلُ من دونِ صوتهِ
بهيمٌ كلونِ السندسِ المتجللِ

دعا دعوةً عبد العزيزِ وعرقلاً
وما خيرُ هيجا لا تحشُّ بعرقلِ

ألا أيها الغادي لغيرِ طريقهِ
تناهُ ولما تعيَ بالمتنزلِ

ولما أقل فاها لفيكَ فإنما
ختلتَ رقيبَ الوحشِ غيرَ مختلِ

لعمركَ إنَّ المستثيرَ عداوتي لكالمتبغي الثكلَ من غيرِ مثكلِ

السمهري بن بشر

وقال السمهري بن بشر العكلي وهو من اللصوص:

ألا حيّ ليلى قد ألمَّ لمامهما وكيفَ معَ القومِ الأعادي كلامها
تعلل بليليَ إنما أنتَ هامةٌ منَ الهامِ يدنوُ كلَّ يومٍ حمامها
وبادر بليلى أوبةَ الركبِ إنهم متى يرجعوا يحرم عليكَ لمامها
وكيفَ أحييها وقد نذروا دمي وأقسمَ أقوامٌ مخوفٌ قسامها
لأجتنبنها أو ليبتدرنني ببيضٍ عليها الأثرُ فقمٌ كلامها
لقد طرقت ليلى ورجلي رهينةٌ فما راعني في السجنِ إلاَّ سلامها
فلما ارتفقتُ للخيالِ الذي سرى إذا الأرضُ قفرٌ قد علاها قتامها
فقلتُ نساءُ الجنَّ هولنها لنا ليحزنَّ عيناً ما يجفُّ سجامها
كأنَّ وميضَ البرقِ بيني وبينها إذا حانَ من بينِ الحديثِ ابتسامها
فإلاَّ تكن ليلى طوتك فإنهُ شبيهٌ بليلى دلها وقوامها
فقمتُ بأثوابي فألقيتُ قاتراً على مثلِ فحلِ الشولِ ناوٍ سنامها
طروحٌ مروحٌ فوقَ رحٍّ كأنما يناطُ بجذعٍ من أوالَ زمامها
طواها اعتقالُ الرجلَ في مدلهمةٍ إذا شركُ الموماةِ أودى نظامها
على شعبتي ميس وأدماءِ حرةٍ يطيرُ بأجوالِ الفلاةِ لغامها
ونبئتُ ليلى بالغريينَ سلمت عليَّ ودوني طخفةٌ فرجامها
فإنَّ التي أهدت على نأي دارها سلاماً لمردودٌ عليَّ سلامها
عديدَ الحصى والأثلِ من بطن بيشةٍ وطرفائها مام دامَ فيها حمامها
ألا ليتنا نحيا جميعاً بغبطةٍ وتبلى عظامي حينَ تبلى عظامها
كذلكَ ما كانَ المحبون قبلنا إذا ماتَ موتاها تزاورَ هامها

جحدر بن معاوية

وقال جحدر بن معاوية العكلي، وكان من اللصوص من بني محرز بطن من عكل:

تأوبني فبتُّ لها كنيعاً همومٌ لا تفارقني حوانِ
هيَ العوادُ لا عوادُ قومي أطلنَ عيادتي في ذا المكانِ
إذا ما قلتُ قد أجلينَ عني ثنى ريعانهنَّ عليَّ ثانِ
فإنَّ مقرَّ منزلهنَّ قلبي فإن أنفهتهُ فالقلبُ آنِ
أليس اللهُ يعلمُ أنَّ قلبي يحبكَ أيها البرقُ اليماني
وأهوى أن أعيدَ إليكَ طرفي على عدواءَ من شغلٍ وشانِ
نظرتُ وناقتايَ على تعادٍ مطاوعتا الأزمةِ ترحلانِ
إلى ناريهما وهما قريبٌ تشوقانِ المحبَّ وتوقدانِ
وهيجني بلحنٍ أعجميٍّ على غصنينِ من غربٍ وبانِ
فكانَ البانُ أن بانت سليمى وفي الغربِ اغترابٌ غيرُ دانِ
أليسَ الليلُ يجمعُ أمَّ عمرو وإيانا فذاكَ بنا تدانِ
بلى ونرى الهلالَ كما تراهُ ويعلوها النهارُ كما علاني
فما بينَ التفرقِ غيرُ سبعٍ بقينَ من المحرمِ أو ثمانِ
فيا أخويَّ من جشمِ بن سعدٍ أقلاَّ اللومَ إن لم تنفعا لي
إذا جاوزتما سعفاتِ هجرٍ وأوديةَ اليمامةِ فانعياني
إلى قومٍ إذا سمعوا بنعيي بكى شبانهم وبكى الغواني
وقولا جحدرٌ أمسى رهيناً يحاذرُ وقعَ مصقولٍ يمانِ
يحاذرُ صولةَ الحجاج ظلماً وما الحجاج ظلاماً لجانِ
ألم ترني غذيتُ أخا حروبٍ إذا لم أجنِ كنتُ مجنَّ جانِ
فإن أهلك فربَّ فتىً سيبكي عليَّ مخضبٍ رخصِ البنانِ
ولم أكُ ما قضيتُ ديونَ نفسي ولا حقَّ المهندِ والسنانِ

وقال جحدر أيضاً في إبراهيم بن عربي والي اليمامة:

إني أرقتُ لبرقٍ ضافني ساري كأنَّ في العينِ منهُ مسَّ عوارِ

أو حرَّ فلفلةٍ كانت بها قذيت
لما يرى قشرها عن حرها الباري

إنَّ الهمومَ إذا عادتكَ واردةً
إن لم تفرج لها وردٌ بإصدارِ

كانت عليكَ سقاماً تستكينُ لهُ
وأنصبتكَ لحاجاتٍ وإذكارِ

فصرتُ في السجنِ والحراسُ تحرسني
بعدَ التلصصِ في برٍّ وأمصارِ

وسيرِ حرفٍ تجوبُ الليلَ جافلةً
عومَ السفينةِ في ذي اللجةِ الجاري

يا نفسَ لا تجزعي إني إلى أمدٍ
وكلُّ نفسٍ إلى يومٍ ومقدارِ

وما يقربُ يومي من مدى أملي
فاقني حياءك ترحالي وتسياري

إني إلى أجلٍ إن كنتِ عالمةً
إليهِ ما منتهى علمي وآثاري

للهِ أنتِ فإن يعصمكِ فاعتصمي
وإن كذبتِ فحسبي اللهُ من جارِ

أدعيهِ سراً وناديه علانيةً
واللهُ يعلمُ إعلاني وإسراري

وما السعادةُ في الدنيا لذي أملٍ
إنَّ السعيدَ الذي ينجو من النارِ

سقياً لسجنك من سجنٍ وساكنهِ
بديمةٍ من ذهابِ الماءِ مدرارِ

بكلِّ جونٍ رواياهُ مطبعةٌ
واهي العزالي من الجوزاءِ جرارِ

وقد دعوتُ وما آلو لأسمعهُ
أبا الوطيدِ ودوني سجنُ دوارِ

في جوفٍ ذي شرفاتٍ سدَّ مخرجهُ
ببابِ ساجٍ أمينِ القفل صرارِ

أدعوهُ دعوةَ مظلومٍ لينصرني
ثمَّ استغثتُ بذي نعمى وأخطارِ

أشكو إلى الخيرِ إبراهيم مظلمتي
في غيرِ جرمٍ وإخراجي من الدارِ

الدهرَ أرسفُ في كبلٍ أعالجهُ
وحلقةٍ قاربوا فيها بمسمارِ

أدورُ فيهِ نهاري ثمَّ منقلبي
بالليلِ أدهمَ مزرورٌ بأزرارِ

كأنهُ بينَ أستارين قدهما
سراةُ أورقَ مطليٌّ من القارِ

يا أقربَ الناسِ من حمدٍ ومكرمةٍ
وأبعدَ الناسِ من ذمٍّ ومن عارِ

وأعظمَ الناسِ عفواً عندَ مقدرةٍ
وليثَ غابٍ على أعدائهِ ضارِ

وردٌ هزبرٌ يميتُ القرنَ صولتهُ
وضمهُ بين أنيابٍ وأظفارِ

أنعم عليَّ بنعمى منكَ سابغةٍ	من سيبِ أروعَ نفاعٍ وضرارِ
أوفى اليمامةِ من يعلق بذمتهِ	يأخذ يداهُ بحبلٍ غيرِ خوارِ

طهمان بن عمرو

وقال طهمان بن عمرو الكلابي وهو من اللصوص، وهي جيدة على ايطائه فيها:

سقى دار ليلى بالرقاشينِ مسبلٌ	مهيبٌ بأعناقِ الغمام دفوقُ
أغرُّ سماكيٌّ كأنَّ ربابهُ	بخاتيٌّ صفت فوقهنَّ وسوقُ
كأنَّ سناهُ حينَ تقدعهُ الصبا	وتلقحُ أخراهُ الجنوبَ حريقُ
وباتَ بحوضى والسبالِ كأنما	ينشرُ ريطٌ بينهنَّ صفيقُ
وما بي عن ليلى سلوٌّ ومالها	تلاقٍ كلانا النأيَ سوفَ يذوقُ
سقاكِ وأن أصبحتِ واهيةَ القوى	شقائقَ عرضٍ ما لهنَّ فتوقُ
ولو أنَّ ليلى الحارثيةَ سلمت	عليَّ مسجى في الثيابِ أسوقُ
حنوطي وأكفاني لديَّ معدةٌ	وللنفسِ من قربِ الوفاةِ شهيقُ
إذن لحسبتُ الموتَ يتركني لها	ويفرجُ عني غمهُ وأفيقُ
ونبئتُ ليلى بالعراقِ مريضةً	فماذا الذي تغني وأنتَ صديقُ
سقى اللهُ مرضى بالعراقِ فإنني	على كلِّ شاكٍ بالعراقِ شفيقُ
وإني على لا ينزلُ الناسُ منزلاً	تحميتِ من قلبي بهِ لحقيقُ
وإني لليلى بعدَ شيبِ مفارقي	وبعدَ تحني أعظمى لصديقُ
وإني من أن يلغى بكِ القومُ بينهم	أحاديثَ أجنيها عليكِ شفيقُ
لعلكَ بعدَ السجنِ والقيدِ أن ترى	تمرُّ على ليلى وأنتَ طليقُ
طليقُ الذي نجا من الكربِ بعدما	تلاحمَ من دربٍ عليكَ مضيقُ
وقد جعلت أخلاقُ قومكِ إنها	من الزهدِ أحياناً عليكِ تضيقُ
ألا طرقت ليلى على نأي دارها	وليلى على شحطِ المزارِ طروقُ
أسيراً يعضُّ القيدُ ساقيةِ فيهما	من الحلقِ السمرِ اللطافِ وثيقُ

وكم دونَ ليلى من تنايفَ بيضها صحيحٌ بمدحي أمهِ وفليقُ
ومن ناشطٍ ذبٍّ الريادِ كأنهُ إذا راحَ من بردِ الكناسِ فنيقُ
يثيرُ الرخامى بالعشيِّ كأنما على وجههِ مما يثيرُ دقيقُ

وغبراءَ مغطيٍّ بها الآلُ لا يرى لها من ثنايا المنهلينِ طريقُ
فقلتُ وحرباءُ الضحى متشمسٌ وللبرقِ يرمحنَ المتانَ نقيقُ
على ظهرِ مذعانٍ كأنَّ جرانها يمانٍ نضا جفنينِ فهو دلوقُ
هل الهجرُ إلاَّ أن أصدَّ فلا أرى بأرضكِ إلاَّ أن يضمَّ طريقُ
تقولُ ابنةُ الطائي ما لكَ لا أرى بكفيكَ من مالٍ يكادُ يليقُ
رأت صرمةً حدباً يحفُّ عديدها غواشٍ يغشي ربها وحقوقُ
يزينُ ما أعطيتُ مني سماحةٌ ووجهٌ إلى من يعتريهِ طليقُ
تروكٌ لطيراتِ السفيهِ تكرماً وذو نزلٍ عندَ اللقاءِ غلوقُ
وإنَّ بنا عن جارنا أجنبيةً حياءً وللمهدي إليهِ طريقُ
يرى جارنا الجنبَ الوحيشَ ولا يرى لجارتنا منا أخٌ وصديقُ

القتال الكلابي

وقال القتال واسمه عبد الله بن مجيب الكلابي وهو من اللصوص وكان قد حبس في أيام مروان بن الحكم حبسه بعض ولاة المدينة فيما كان اتهم به من أمر ابن هبار وخشي القتال أن يقاد فقتل صاحب السجن وخرج وقال:

نظرتُ وقد جلى الدجى طاسمُ الصوى بسلعٍ وقرنُ الشمسِ لم يترجلِ
إلى ظعنٍ بينَ الرسيسِ فعاقلٍ عوامدَ للشيقينِ أو بطنِ خنثلِ
ألا حبذا تلك الديارُ وأهلها لو أنَّ عذابي بالمدينةِ ينجلي
برزتُ بها من سجنِ مروانَ غدوةً فآنستها بالأيمِ لما تحملِ
وآنستُ حيا بالمطالي وجاملاً أبابيلَ هطلى بين راعٍ ومهملِ
ومردٍ على جردٍ يسارٍ لمجلسٍ كرامٍ بأيديهم موارنُ دبلِ

بكيتُ بخلصى شنةٍ شدَّ فوقها   على عجلٍ مستخلفٍ لم تبللِ
على شارفٍ تعدو إذا مالَ ضفرها   عسيرِ القيا صعبةٍ لم تذللِ
جديدٍ كلاها منهجٍ حجراتها   فللماءِ سحٌّ من طبابٍ مشلشلِ
أقولُ لأصحابي الحديدِ تروحوا   إلى نارِ ليلى بالعقوبينِ نصطلي
يضيءُ سناها وجهَ ليلى كأنما   يضيءُ سناها وجهُ أدماءَ مغزلِ
غلا عظمها واستعجلت عن لدانها   وشبت شباباً وهي لما تربلِ
بدت بينَ أستارٍ عشاءً يلفها   تنازعُ أرواحٍ جنوبٍ وشمألِ
يكادُ بأثقابِ اليلنجوج جمرها   يضيءُ إذا ما سترها لم يجللِ
ومن دونِ حوثُ استوقدت هضبُ شابةٍ   وهضبُ تعارٍ كلُّ عنقاءَ عيطلِ
يغني الحمامُ الورقُ في قذفاتهِ   ويحرزُ فيها بيضهُ كلُّ أجدلِ
ولما رأيتُ البابَ قد حيلَ دونهُ   وخفتُ لحاقاً من كتابٍ مؤجلِ
رددتُ على المكروهِ نفساً شريسةً   إذا وطنت لم تستقد للتذللِ
إذا قلتُ رفهني من السجنِ ساعةً   تدارك بها نعمى عليَّ وأفضلِ
يشدُّ وثاقي عابساً ويتلني   إلى حلقاتٍ في عمودٍ مرملِ
أقولُ لهُ والسيفُ يعصبُ رأسهُ   أنا ابنُ أبي أسماءَ غيرُ التنحلِ
عرفتُ نداي من نداهُ وجرأتي   وريحاً تغشاني إذا اشتدَّ مسحلي

وقال القتال أيضاً:

صرمت شميلةُ وجهةً فتجلدِ   من ذا يقولُ لها علينا تقصدِ
أشميلَ ما أدراكِ إن عاصيتني   إنَّ الرشادَ يكونُ خلفكِ من غدِ
يا ظبيةً عطفت لآدمَ شادنٍ   هلا أويتِ لقلبِ شيخٍ مقصدِ
فإذا أرادَ الوصلَ لا تصلينهُ   ووصلتِ أصحابَ الشبابِ الأغيدِ
وتطربت حاجاتُ ذبٍّ فاضلٍ   أهواءَ حبٍّ في أناسٍ مصعدِ
حضروا ظلالَ الأثلِ فوقَ صعائدٍ   ورموا فراخَ حمامهِ المتغردِ

وشميلَ ما يدريكِ أن ربَ ماجنٍ   طامٍ عيالمهُ مخوفِ المرصدِ
جاهرتهُ بزمامِ ذاتِ براية   وحدي سوى أجدٍ وسيفٍ مفردِ
ومشيتُ في أعطافهِ متدنياً   وأحطتُ أقفرُ من حيالِ الموردِ
وقفرتُ أنظرُ هل لنا بأنيسه   عهدٌ صفائحَ في إزارٍ ملبدِ
ثم التفعتُ بصدرِ هوجاءِ السرى   في لاحبٍ أقصُ النعافَ معبدِ
تعلو النجادَ بمضرحي لم يذق   لبأَ الإماءِ غداةَ غبِّ المولدِ
أدنو إلى المعروفِ ما استدنيتني   فإذا أقادُ معاسراً لم أنقدِ

وشميلَ لا تسلنني بكِ واسألي   أصحابَ رحلي بالفلاةِ الصيهدِ
والخيلُ إذ جاءت بريعانٍ لها   حزقاً توقصُ بالقنا المتقصدِ
والقومَ إذ درهوا بأبلجَ مصعبٍ   حنقٍ يجورُ على السبيلِ ويهتدي
أني أكونُ لهُ شجاً بمناقلٍ   ثبتِ الجنانِ ويعتلي بالقرودِ
حتى تلينَ قناتهُ وقناتنا   عندَ الحفاظِ صليبةٌ لم تتأدِ
وإذا القرومُ سمت لنا أعناقها   نحنو إليها بالهجانِ المزبدِ
وإذا تروفدتِ الخطوبُ وجدتني   وأبا أبي وأبي عظيمي المرفدِ
فأبي الذي حبسَ الضبابَ وقد غدت   عصباً تجهزُ للنجاءِ الأجردِ
وتطايرت عبسٌ فأصبحَ منهمُ   وادي الدواهن خالياً لم يوردِ
وأتى عكاظَ فقالَ أني مانعٌ   يا ابنَ الوحيدِ عكاظَ فاذهب فاقعدِ
عقرَ النجائبَ والخيولَ فأصبحت   عقرى تعطبُ كلها عطبٌ ردي
يومَ الخيالِ فلم تخايل جعفرٌ   إلاّ بجهدِ نجائهم حتى الغدِ
فإذا تهددُ من دخيلِ أباءةٍ   تمشي الهوينا في ظلالِ الغرقدِ
ضارٍ بهِ علقُ الدماءِ كأنهُ   رئبالُ ملكٍ في قباءٍ مجسدِ
فإذا خفضتُ خفضتُ تحتَ ضبارمٍ   أحمت وقائعهُ سلوكَ الفدفدِ
وإذا رفعتُ رفعتُ لستُ بآمنٍ   من خبطةٍ بالنابِ يفسدُ واليدِ

وقال القتال أيضاً:

لطيبةَ ربعٌ بالكليبينِ دارسُ فبرقُ نعاجٍ غيرتهُ الروامسُ
وقفتُ بهِ حتى تعالت لي الضحى أسياً وحتى ملَّ فتلٌ عرامسُ
وما إن تبينُ الدارُ شيئاً لسائلٍ ولا أنا حتى جنني الليلُ آيسُ
على آلةٍ ما ينبري لي مساعدٌ فيسعدني إلاَّ البلادُ الأمالسُ
تجوبُ على ورقٍ لهنَّ حمامةٌ ومنثلمٌ تجري عليهِ الأداهسُ
وسفعٍ كذودِ الهاجريِّ بجعجعٍ تحفرُ في أعقارهنَّ الهجارسُ
مواثلُ ما دامتِ خزازٌ مكانها بجبانةٍ كانت إليها المجالسُ
تمشي بها ربدُ النعامِ كأنها رجالُ القرى تجري عليها الطيالسُ
وما مغزلٌ من وحشِ عرنانَ أتلعت بسنتها أخلت عليها الأواعسُ
تصدى لملطومِ الألدينِ ضاعها لهُ أتحمياتٌ وأنفٌ خنابسُ
إذا واجهتهُ الشمسُ صدَّ بوجهه سوى خدها إذ أشرقت وهو ناعسُ
بذي جدتينِ جدةٍ حبشيةٍ ومغربةٍ تجري عليها القراطسُ
ترعى الفضاءَ كلَّ مجرى سحابةٍ وفي النفسِ منهُ رأفةٌ وهواجسُ
إذا اعتزلتهُ لا يزالُ بعينها حذاراً عليهِ شخصُ رامٍ يخالسُ
تذكرني شبهاً لطيبةَ إذ بدت لنا وصوارُ الوحشَ في الظلِ كانسُ
ترددُ أمثالَ الأساودِ أرسلت بمتني خذولٍ يغتديها أشامسُ
كأنَّ سحيقَ المسكِ من صنِّ فارةٍ يشابُ بها غادٍ من الثلج قارسُ
تصبُّ عليهِ قرقفٌ بابليةٌ بأنيابها والليلُ بالطلِّ لابسُ
فصدت حياءً والمودةُ بيننا وأبيضُ بلٌّ بالظعائنِ حابسُ
فإما تريني قد تجللَ لمتي رداعُ الشبابِ فاسألي ما أمارسُ
بأني أعني بالمصاعبِ حقبةً من الدهرِ حتى هنَّ حدبٌ حرامسُ
إذا مصعبٌ قضيتُ يوماً قضاءهُ فأني لقرمٍ مصعبٍ متشاوشُ
فأذهبتهم شتى فلاقوا بليةً من الشرِّ لا يحظى بها من أقايسُ

وقال أيضاً يمدح عبد الله بن حنظلة الكلابي:

ظعنت قطاةُ فما تقولكَ صانعاً ... وقعدتَ تشكو في الفؤادِ صوادعا

وكأنها إذ قربت أجمالها ... أدماءُ لم ترشح غزالاً خاضعا

بغمت فلم يصحب لها فاستقبلت ... من عاقلٍ شعباً يسلنَ دوافعا

ظلت تعجبُ من سوالفِ عوهجٍ ... أدماءَ تلتقطُ البريرَ اليانعا

دع ذا ولكن حاجتي من جعفرٍ ... رجلٌ تطلعَ للأمورِ مطالعا

يهنا ابنُ حنظلةَ الثناءَ يتمهُ ... قدماً ويبنيهِ بناءً رافعا

وإذا الرفاقُ مع الرفاقِ أهمها ... عجرُ المتاعِ أتت فناءً واسعا

بحراً تنازعهُ البحورُ تمدهُ ... إنَّ البحورَ ترى لهنَّ شرايعا

ويبيتُ يستحيي الأمورَ وبطنهُ ... طيانُ طيَّ البردِ يحسبُ جائعا

من غيرِ لا عدمٍ ولكن شيمةٌ ... إن الكرامَ همُ الكرامُ طبائعا

ربَ أمرِ قومٍ قد حفظتَ عليهمُ ... لولا الإلهُ وأنتَ أصبحَ ضائعا

تبعوكَ إذ ضاقَ السبيلُ عليهمُ ... وأبى بلاؤكَ أن تكونَ التابعا

وتبيتُ ناركَ باليفاعِ كأنها ... شاةُ الصوارِ علا مكاناً يافعا

غرضاً لكلِّ مدفعٍ يرمى بهِ ... رمي السهامِ ترى لهنَّ مواقعا

وورثتَ ستةَ أفحلٍ مسعاتهم ... مجدُ الحياةِ وكنتَ أنتَ السابعا

وإذا تنازعُ قرمَ قومٍ سوقةٍ ... في المجدِ سمحَ كارهاً أو طائعا

ما ضاعَ مجدُ أبٍ ورثتَ تراثهُ ... إذ كانَ مجدُ أبٍ لآخرَ ضائعا

سبقَ ابنُ حنظلةَ السعاةُ بسعيهِ ... للغايةِ القصوى سريعاً وادعا

عضت بعبدِ الله إذ عضت بهِ ... عضت بعبدِ الله سيفاً قاطعا

تبدي الأمورُ لهُ إذا ما أقبلت ... ما كنَّ في أدبارهنَّ صوانعا

عبيد الله بن الحر

وقال عبيد الله بن الحر بن عمرو بن خال بن المجمع بن مالك بن كعب ابن سع بن عوف بن حريم بن جعفي الجعفي، وجعله السكري مع اللصوص و لم يكن لصاً، إنما كان لا يعطي الأمراء طاعة، وكان يضم إليه جماعة ويغير بهم:

ألم تعلمي يا أمَّ توبةَ أنني ... على حدثانِ الدهرِ غيرُ بليدِ

فإن لم أصبحِ شاكراً بكتيبةٍ ... فعالجتُ بالكفين غلَّ حديدِ

وقد علمت خيلي بساباطَ أنني ... إذا حيلَ دونَ الطعنِ غيرُ عنودِ

أكرُّ وراءَ المحجرينَ وأدعي ... مواريثَ آباءٍ لنا وجدودِ

إذا فرغت أسيافنا من كتيبةٍ ... نبذنا بأخرى في الصباحِ ركودِ

وإن خرجوا من غمرةٍ ردها لهم ... دعايَ وتحريضي لهم ونشيدي

أقولُ لهم تموا فدىً والدي لكم ... ومالي جميعاً طارفي وتليدي

أفديهم بالوالدين وفيهم ... نوافذُ طعنٍ مثلُ حرِّ وقودِ

ترى النضخَ من وقعِ الأسنةِ بينهم ... جسيداً بلباتٍ لهم وخدودِ

وغيرَ ألوانَ الأسنةِ بيننا ... بأحمرَ من صونِ العروقِ فصيدِ

فدارت رحانا واستدارت رحاهمُ ... وكانَ جلادٌ دونَ كلِّ وعيدِ

وأبسلَ أهلُ المأقطين نفوسهم ... مضاربةً إذ طارَ كلُّ شرودِ

دعوني إلى مكروهها فأجبتهم ... وما أنا إذ يدعونني ببعيدِ

أقدمُ مهري في الوغا ثمَّ أنتحي ... على قربوسِ السرجِ غيرَ صدودِ

إذا ما اتقوني بالسيوفِ غشيتهم ... بنفسٍ لما تخشى النفوسَ ورودِ

فما رمتُ حتى صرعَ القومُ نشوةً ... سكارى وما ذاقوا شرابَ حدودِ

ولكنَّ وقعَ المشرفيةِ بينهم ... لتجهزَ من يدنو لدارِ خلودِ

كأنَّ رؤوسَ الدارعينَ عشيةً ... من الحنظلِ الملقى بكلِّ صعيدِ

فأقلعتِ الغماءُ عنهم وفرجت ... ونحنُ بها من كاتمٍ وشهيدِ

وقال عبيد الله بن الحر أيضاً، وقد أخرج امرأته من السجن، وكان في مائة وثمانين فارساً معهم الفؤوس والكلاليب لمكابرة السجن، وقاتلهم يومئذ بالكوفة، وخرج آخر النهار منها، وأودع امرأته في بيوت جعفي:

ألم تعلمي يا أمَّ توبةَ أنني أنا الفارسُ الحامي حقائقَ مذحجِ

وأني صبحتُ السجنَ في رونقِ الضحى بكلِّ فتىً حامي الذمار مدججِ

فما إن برحنا السجنَ حتى بدا بنا جبينٌ كقرنِ الشمسِ غيرُ مشنجِ

وخدٌّ أسيلٌ من فتاةٍ حييةٍ ألا فسقاها كلُّ مزنٍ مبعجِ

فما العيشُ إلا أن أزوركِ خالياً كعادتنا من قبلِ حربي ومخرجي

وما أنتِ إلاَّ منيةُ النفس والهوى عليكِ سلامٌ من حبيبٍ مسحجِ

وما زلتُ محزوناً بحبسكِ واجماً وإني لما تلقينَ من بعدِه شجي

فبالله هل أبصرتِ مثليَ فارساً وقد ولجوا عليكِ من كلِّ مولجِ

ومثليَ حامي دونَ مثلكِ إنني أشدُّ إذا ما غمرةٌ لم تفرجِ

أضاربهم بالسيفِ عنكَ لترجعي إلى الأمنِ والعيشِ الرفيعِ المخرفجِ

إذا ما أحاطوني كررتُ عليهم ككرِّ أبي شبلينِ في الخيسِ محرجِ

دعوتُ إليَّ الشاكريَّ ابنَ كاملٍ فولى حثيثاً ركضهُ لم يعرجِ

ولو يدعني باسمي كررتُ عليهم خيولَ كرامِ الضربِ أكثرها الوجي

ولا غروَ إلاَّ قولُ سلمى ظعينتي أما أنتَ يا ابنَ الحرِّ بالمتحرجِ

دعِ القومَ لا تقتلهمُ وانجُ سالماً وشمر هداكَ اللهُ بالخيلِ واخرجِ

وإني لأرجو يا ابنةَ الخيرِ أن أرى على خيرِ أحوالِ المؤمل فارتجي

ألا حبذا قولي لأحمرَ طيىءٍ ولابن خليدٍ قد دنا الصبحُ فادلجِ

وقولي لذا أقضم وقولي لذا ارتحل وقولي لذا من بعدها ذاك أسرجِ

وسيري بفتيانٍ كرامٍ أحبهم مغذاً وضوءُ الصبحِ لم يتبلجِ

يطيعونَ متلافاً مفيداً معذلاً بهِ يرتجي عفوَ الغنى كل مرتجي

وقال عبيد الله بن الحر أيضاً في حبس مصعب:

من مبلغُ الفتيانَ أنَّ أخاهمُ أتى دونهُ بابٌ منيعٌ وحاجبهْ

بمنزلةٍ ما كانَ يرضى بمثلها إذا قامَ غنتهُ كبولٌ تجاوبهْ

على الساقِ فوقَ الكعبِ أسودُ صامتٌ شديدٌ يداني خطوهُ ويقاربهْ

وما ذاكَ من جرمٍ أكونُ اجترمتهُ ولكن سعى الساعي بما هو كاذبهْ

وقد كانَ في الأرضِ العريضةِ مسلكٌ وأيُّ امرءٍ أعيت عليهِ مذاهبهْ

دعاني إليهِ مصعبٌ فأجبتهُ نهاري وليلي كلهُ أنا دائبهْ

أروحُ وأغدو دائماً وكأنما أبادرُ غنماً في الحياةِ أناهبهْ

فكان حبائي إذ أنختُ ببابهِ حجولٌ وأحراسٌ وصعبٌ مراتبهْ

فإني لم أنكث لهم عهدَ بيعةٍ ولم آتِ أمراً محدثاً أنا راهبهْ

فأني لكم مثلي يذببُ عنكمُ إذا الصفُّ دارت للقراعِ كتائبهْ

وإني من قومٍ سيذكر فيهمُ بلائي إذا ما غصَّ بالماءِ شاربهْ

كأنَّ عبيدَ اللهِ لم يمسِ ليلةً موطنةً تحتَ السروجِ جنائبهْ

ولم يدعُ فتياناً كأنَّ وجوههم مصابيحُ في داجٍ توارت كواكبهْ

لعمركَ إني بعدَ عهدي ونصرتي لكالسيفِ فلت بعدَ حدٍّ مضاربهْ

وقد علمَ المختارُ أني لهُ شجى إذا صدَّ عنهُ كلُّ قرنٍ يكالبهْ

أكرُّ عليهِ الخيلُ تدمى نحورها أطاعنهُ طوراً وطوراً أضاربهْ

فكم من صريعٍ قد تركتُ بمعزلٍ عكوفاً عليه طيرهُ وثعالبهْ

وحصنٍ منيعٍ قد صبحتُ بغارةٍ وأهلِ نعيمٍ يضربُ الطبلَ لاعبهْ

وقال أيضاً وهو في السجن:

لنعمَ ابنُ أختِ القومِ يسجنُ مصعبٌ لطارقِ ليلٍ خائفٍ ولنازلِ

ونعمَ الفتى يا ابنَ الزبيرِ سجنتمُ إذا قلقت يوماً ضفورُ الرحائلِ

فلو متُّ في قومي ولم آتِ عجزةً يضعفني فيها امرؤٌ غيرَ عادلِ

لأكرم بها من ميتةٍ إن لقيتها أطاعنُ فيها كلُّ خرقٍ منازلِ

وما كنتُ أخشى أن أراني مقيداً على غيرِ جرمٍ وسطَ بكرِ بن وائلِ

وألفيتني يا ابنَ الزبير كأنما رميتُ بسهمٍ من سهامكَ ناصلِ

فإن أنفلت لا تجمعُ الشمسُ بيننا ولا الليلُ إلا في القنا والقنابلِ

متى أدعُ فتيانَ الصعاليكِ يركبوا ظماءَ الفصوصِ نائماتِ الأباجلِ
تشبههها الطيرَ السراعَ إذا اغتدت بفرسانها في السبسبِ المتماحلِ
تطيرُ معَ الأيدي إذا ارتفعت لها شمائلها ألحقنها بالمساحلِ
يقودُ رعانَ الخيلِ بي وبصحبتي كميتُ الأعالي بربريٌّ الأسافلِ
علينا دلاصٌ من تراثِ محرقٍ وتركٌ جلا عنها مداسُ الصياقلِ
ومطرداتٌ من رماحِ ردينةٍ وأتراسُ جونٌ علقت بالشمائلِ
فلو شئتَ لم تسجن صديقاً ولم تهب إليكِ بصقعاءِ المناكبِ بازلِ
من الجربِ يمريها ودرتها دمٌ إذا أمتريت أخلافها بالمناصلِ
أنا ابنُ أبي قيسٍ فإن كنتَ سائلاً بقيسٍ تجدهم ذروةً في القبائلِ
ألم ترَ قيساً قيسَ عيلانَ برقعت لحاها وباعت نبلها بالمغازلِ
ومازلتُ أرجو الأزدَ حتى رأيتها تقصرُ عن بنيانها المتطاولِ
ومقتلُ مسعودٍ ولم يثأروا بهِ وصارتِ سيوفُ الأزدِ مثل المناجلِ
وما خيرُ عقلٍ أورثَ الأزدَ ذلةً تسبُّ بهِ أحياؤهم في المحافلِ

على أنهم شمطٌ كأنَّ لحاهمُ لحاءُ تيوسٍ حليت عن مناهلِ

دريد بن الصمة

وقال دريد بن الصمة الجشمي من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن يرثي عبد الله أخاه وقتله بنو عبس:

أرثَّ جديدُ الحبلِ من أمِّ معبدِ بعاقبةٍ وأخلفت كلَّ موعدِ
وبانت ولم أحمد إليكَ نوالها ولم ترجُ فينا ردةَ اليومِ أو غدِ
كأنَّ حمولَ الحيِّ إذ تلعَ الضحى بناصفةِ السحناءِ عصبةُ مذودِ
أو الأثأبُ العمُّ المحزمُ سوقهُ بشابةَ لم يخبط ولم يتعضدِ
أعاذلَ مهلاً بعضَ لومكِ واقصدي وإن كانَ علمُ الغيبِ عندكِ فارشدي
وقلتُ لعارضٍ وأصحابِ عارضٍ ورهطِ بني السوداءِ والقومُ شهدي

وقلتُ لهم إنَّ الأحاليف أصبحت مطنبةٌ بينَ الستار وثهمدِ

علانيةً ظنوا بألفي مدحجٍ سراتهم في الفارسي المسردِ

ولما رأيتُ الخيلَ قبلاً كأنها جرادٌ تباري وجهةَ الريحِ مغتدِ

أمرتهمُ أمري بمنعرجِ اللوى فلم يستبينوا النصحَ إلا ضحى الغدِ

فلما عصوني كنتُ منهم وقد أرى غوايتهم وأنني غيرُ مهتدي

وهل أنا إلاَّ من غزيةَ إن غوت غويتُ وإن ترشد غزيةُ أرشدِ

دعاني أخي والخيلُ بيني وبينهُ فلما دعاني لم يجدني بقعددِ

أخي أرضعتني أمهُ بلباتها بثديِ صفاءٍ بيننا لم يجددِ

فجئتُ إليهِ والرماحُ تنوشهُ كوقعِ الصياصي في النسيجِ الممددِ

وكنتُ كأمِّ البوِّ ريعت فأقبلت إلى جلدٍ من مسكِ سقبٍ مقددِ

فطاعنتُ عنهُ الخيلَ حتى تنهنهت وحتى علاني حالكُ اللونِ أسودِ

قتالَ امرئٍ آسى أخاهُ بنفسهِ ويعلمُ أنَّ المرءَ غيرُ مخلدِ

تنادوا فقالوا أردتِ الخيلُ فارساً فقلتُ أعبدُ اللهِ ذلكمُ الردي

فإن يكُ عبدُ اللهِ خلى مكانهُ فما كانَ وقافاً ولا طايشَ اليدِ

ولا برما إذا الرياحُ تناوحت برطبِ العضاهِ والهشيمِ المعضدِ

كميشُ الإزارِ خارجٌ نصفُ ساقهِ صبورٌ على العزاءِ طلاعُ أنجدِ

قليلٌ تشكيهِ المصيباتِ حافظٌ من اليوم أعقابَ الأحاديثِ في غدِ

إذا هبطَ الأرضَ الفضاءَ تزينت لرؤيتهِ كالمأتمِ المتبددِ

وكنتُ كأني واثقٌ بمصدرٍ يمشي بأكنافِ الخبيبِ بمشهدِ

وهونَ وجدي أنني لم أقل لهُ كذبتَ ولم أبخل بما ملكت يدي

وغارةِ بينِ الليلِ واليومِ فلتةٍ تداركتها ركضاً بسيدٍ عمردِ

سليم الشظا عبلِ الشوى شنجِ النسا طويلِ القرى نهدٍ أسيلِ المقلدِ

يفوتُ طويلَ القومِ عقدُ عذارهِ منيفٍ كجذعِ النخلةِ المتجردِ

فإن تمكنِ الأيامُ والدهرُ تعلموا بني قاربٍ أنا غضابٌ بمعبدِ

وقال دريد أيضاً:

هل مثلُ قلبكَ في الأهواءِ معذورُ ... والشيبُ بعدَ شبابِ المرءِ مقدورُ
قد خفَّ صحبي وأشكوني وأرقني ... خودٌ تربيها الأبوابُ والدورُ
لما رأيتُ بأن جدوا وشيعني ... يومَ الصبابةِ والمنصورُ منصورُ
واكبتهم بأمونٍ جسرةٍ أجدٍ ... كأنها فدنٌ بالطينِ ممدورُ
وجناءَ لا يسأمُ الإيضاعَ راكبها ... إذا السرابُ اكتساهُ الحزنُ والقورُ
كأنها بينَ جنبي واسطٍ شببٌ ... وبينَ ليانَ طاوي الكشحِ مذعورُ
يا آلَ سفيانَ ما بالي وبالكمُ ... أنتم كثيرٌ وفي الأحلامِ عصفورُ
إذا غلبتم صديقاً تبطشونَ بهِ ... كما تهدمُ في الماءِ الجماهيرُ
وأنتمُ معشرٌ في علوكم شنجٌ ... بزخُ الظهورِ وفي الأستاهِ تأخيرُ
يا آلَ سفيانَ إني قد شهدتكمُ ... أيامَ أمكمُ حمراءُ مئشيرُ
هلاَّ نهيتم أخاكم عن سفاهتهِ ... إذ تشربونَ وغاوي الخمرِ مزجورُ
لن تسبقوني ولو أمهلتكم شرفاً ... عقبي إذا أبطأ الفحجِ اليحاميرُ
إلى الصراخِ وسربالي مضاعفةٌ ... كأنها مفرطٌ بالسيءِ ممطورُ
بيضاءُ لا ترتدى إلا على فزعٍ ... من نسجِ داوودَ فيها السكُ مقتورُ
قد علمَ القومُ إني من سرانهم ... إذا تقلصَ في البطنِ المذاكيرُ

إذا طردنا كسونا الخيلَ أنضيةً ... وإن طردنا كأنا خلفنا زورُ
قومٌ إذا اختلفَ الهيجاءُ واختلفت ... صبرٌ إذا عردَ العزلُ العواويرُ
لقد أروعُ سوامَ الخيلِ ضاحيةً ... بالجردِ يركضها الشعثُ المغاويرُ
يحملنَ كلَّ هجانٍ صارمٍ ذكرٍ ... وتحتهمُ شزبٌ قبٌّ محاضيرُ
أوعدتمُ إبلي كلاَّ سيمنعها ... بنو غزيةَ لا ميلُ ولا عورُ
كأنَّ ولدانهم لما اختلطنَ بهم ... تحتَ العجاجةِ بالأيدي العصافيرُ
تنجو سوالفها من ساطعٍ كدرٍ ... كما تجللتِ الوعثَ اليعافيرُ

متنطقاً بحسامٍ غيرِ منقضمٍ عضبِ المضاربِ فيهِ السمُّ مذرورُ
وعاملٍ مارنٍ صُمٍّ معاقمهُ فيهِ سنانٌ حديدُ الحدِّ مطرورُ

وقال دريد أيضاً:

إن يكُ رأسي كالثغامةِ نسلهُ يطيفُ بي الولدانُ أحدبَ كالقردِ
رهينةَ قعرِ البيتِ كلَّ عشيةٍ كأني أرادى أن أصوبَ في مهدِ
فمن بعدَ فضلٍ في شبابٍ وقوةٍ ورأسٍ أثيثٍ حالكِ اللونِ مسودِ
فقد أبعثُ الوجناءَ يدمى أظلها على ظهرِ سبسابٍ كحاشيةِ البردِ
فأوردتها ماءً قليلاً أنيسهُ حديثاً بعهدِ الناسِ أو غيرَ ذي عهدِ
فأعكسها في جمةٍ فنضأتها فآنستُ ما أبغي وأتعبتها تردي
إلى علمٍ ناءٍ كأنَّ مسافهُ مخللُ كتانٍ من النأي والبعدِ
وخيلٍ كأسرابِ القطا قد وزعتها على هيكلٍ نهدِ الجزارةِ مرمدِ
سوابقها يخرجنَ من متنصفٍ خروجَ القواري الخضرِ من سبلِ الرعدِ
وغيثٍ من الوسميِّ حوٍّ تلاعهُ علتهُ جمادى بالبوارقِ والرعدِ
تبطنتهُ تعدو ببزيَ نهدةٌ جلالةُ ما بينَ الشراسيفِ واللبدِ
وتخطو على صمٍّ كأنَّ نسورها نوى القسبِ يستوقدنَ في الظربِ الصلدِ
لها حضرٌ كيفَ الحريقُ وعقبها كجمِّ الخسيفِ بعدَ معمعةِ الوردِ
قليلُ البتاتِ غيرَ قوسٍ وأسهمٍ وأبيضَ قصالِ الضريبةِ محتدِّ
وأسمرَ مربوعٍ متلٍّ كعوبهُ يصرفُ فيهِ لهذماً وادقَ الحدِّ

وقال دريد أيضاً في الخنساء وخطبها فكرهته لكبره:

وقاكِ اللهُ يا ابنةَ آلِ عمرو من الفتيانِ أمثالي ونفسي
ولا تلدي ولا ينكحكِ مثلي إذا ما ليلةٌ طرقت بنحسِ
إذا عقبُ القدورِ تكونُ ماءً تحبُّ حلائلُ الأبرامِ عرسي
وقد علمَ المواضعُ في جمادى إذا استعجلنَ عن حزٍّ بنهسِ
بأني لا أبيتُ بغيرِ لحمٍ وأبدأُ بالأراملِ حينَ أمسي

وأني لا ينادي الحيُّ ضيفي وضيفي لا يبيتُ خبيثَ نفسي

وتزعمُ أنني شيخٌ كبيرٌ وهل نبأتها أني ابنُ أمسِ

تريدُ أفيحجَ القدمينِ شثناً يبادرُ بالجدايرِ كلَّ كرسِ

وأصفرُ من قداحِ النبعِ صلبٌ خفيُّ الوسمِ من ضرسٍ ولمسِ

دفعتُ إلى المفيضِ إذا استقلوا على الركباتِ مطلعَ كلِّ شمسِ

وإن أكدي فتامكةٌ تؤدي وإن أوري فإني غيرُ شكسِ

ومرقصةٍ رددتُ الخيلَ عنها بموزعةِ التوالي ذاتِ فلسِ

وما قصرت يدي عن عظمِ أمرٍ أهمُّ بهِ وما سهمي بنكسِ

وما أنا بالمزجي حينَ يسمو عظيمٌ مل أمورٍ ولا بوهسِ

وقد أجتازُ عرضَ الخرقِ ليلاً بأعيسَ من جمالِ العيدِ جلسِ

كأنَّ على تنائفهِ إذا ما أضاءت شمسهُ أثوابَ برسِ

وقال دريد أيضاً:

غشيتُ برابغٍ طللاً محيلاً أبت آياتهُ إلاَّ تحولا

تعفت غيرُ سفعٍ ماثلاتٍ يطيرُ سوادهُ سملاً جفولا

سواكنهُ جوامعُ بينَ جأبٍ يساقطُ بينَ سمنتهِ النسيلا

إذا ما صاحَ حشرجَ في سحيلٍ وإرنانٍ فأتبعهُ سحيلا

وظلمانٍ مجوفةٍ بياضاً وعينٍ ترتعي منهُ بقولا

وقفتُ بها سراةَ اليومِ صحبي أكفكفُ دمعَ عيني أن يسيلا

ألا أبلغ وشاةَ الناسِ أني أكونُ لهم على نفسي دليلا

بأني قد تركتُ وصالَ هندٍ وبدلَ ودها عندي ذهولا

فإني آتي التي تهوونَ منها فقد عاصيتها زمناً طويلا

فلا تلدي ولا ينكحك مثلي إذا طردَ السفا هيفاً نصولا

وأجدبتِ البلادُ فكنَّ غبراً وعادَ القطرُ منزوراً قليلا

فإنكِ إن سألتِ سراةَ قومي إذا ما حربهم نتجت فصيلا

ألستُ أعدُّ سابغةً ونهداً وذا حدينِ مشهوراً صقيلا

وأعفو عن سفيههمِ وأرضى مقالةَ من أرى منهم خليلا

بجنبِ الشعبِ يرهقني إذا ما مضى فيهِ الرعيلُ رأى رعيلا

ونحنُ معاشرٌ خرجوا ملوكاً تفكُّ عن المكبلةِ الكبولا

متى ما تأتِ نادينا تجدنا جحاجحةً خضارمةً كهولا

وشباناً إذا فزعوا تغشوا سوابغَ يسحبونَ لها ذيولا

الشمردل بن شريك

وقال الشمردل بن شريك اليربوعي:

بانَ الخليطُ فأدلجوا بسوادِ وأجدَّ بينهمُ على ميعادِ

لما بدا وهجُ السمومِ وعارضت هيفُ الجنوبِ أوائلَ الأورادِ

وتصوبت سورُ الإخاذِ وذكرت بالعدِّ من هو بالتنوفةِ بادِ

وجرى السرابُ على الأماعزِ بعدما خبَّ السفا بظواهرِ الأسنادِ

كرهوا الرواحَ فقوضوا بأصيلةٍ ودعا برائحةِ الجمالُ منادي

بجوازيءٍ كصفا الأسيلِ تربعت مستنَّ أوليةٍ وصوبَ عهادِ

في سامقٍ غردِ الذبابِ ترى لهُ صحناً بكلِّ قرارةٍ ووهادِ

حتى إذا عفتِ السحوجُ وغمها نيُّ الكلي ومواضعُ الأقتادِ

طارت عقايقها وقد علقَ السفا خدماً بجلتها من الأقيادِ

وسعى القطينُ فصافحت برؤوسها خدرُ الأزمةِ أيديَ الأوغادِ

وعرفنَ عادتهنَّ ثمَّ منعنها من كبرياءِ بهنَّ غير شرادِ

جنى إذا علقت أزمتها البرى راجعنَ دلَّ نجابةٍ وقيادِ

غلبُ الرقابِ كأنَّ هامُ رؤوسها من فوقِ أعينها مقابرُ عادِ

من كلِّ مختلفِ الشؤونِ مفرجٍ صعقِ الشباةِ يهمُّ بالإيعادِ

وكسينَ من ربذِ الأشلةِ زينةً حينَ استبانَ من الصباحِ هوادي
ثمَّ استقلَّ منعماتٌ كالدمى شمسُ العتابِ قليلةُ الأحقادِ
كذبُ المواعدِ لا يزالُ أخو الصبا منهنَّ بينَ مودةٍ وبعادِ
حتى ينالَ حبالهنَّ تخلباً عقلَ الشريدِ وهنَّ غيرُ شرادِ
والحبُّ يعطفُ بعدَ هجرٍ بيننا وبهيجُ مغتبطاً لغيرِ تعادِ
كالحائماتِ يرينَ شرباً دونهُ رصدُ الشريعةِ والقلوبُ صوادي
ولقد نظرتَ وردَّ نظرتك الهوى بكثيبِ تلعةَ والقلوبُ صوادي
والآلُ يتضعُ الحدابَ وتغتلي بزلُ الجمالِ إذا تشنعَ حادي
كالزنبريِّ تقاذفتهُ لجةٌ يصدعنها بكلاكلٍ وهوادي
في موجِ ذي حدبٍ كأنَّ سفينهُ دونَ السماءِ على ذرى أطوادِ
إنا لننفعُ من أردنا نفعهُ ويخافُ صولتنا الذين نعادي
والموتُ يولعُ كلَّ يومٍ وقيعةٍ منا بأهلِ سماحةٍ وذيادِ
أمثالِ عقبةَ والعلاءِ وعامرٍ والسجفِ غير مغمرَّ وزيادِ
كانوا إذا نهلَ القنا بأكفهم سلبوا السيوفَ أعالي الأغمادِ
فتيانُ مكرمةٍ وشيبٌ سادةٌ مثرونَ ليسَ بحورهم بثمادِ
وهمُ الحماةُ إذا النساءُ استعبرتِ والمطعمونَ عشيةَ الصرادِ
ولقد علمتُ ولو مضوا لسبيلهم وأطالَ ذكرهمُ ضميرُ فؤادي
إنَّ المصابَ وإن تلبثَ بعدهُ كرواحِ مرتحلٍ وآخرَ غادي

وقال أيضاً:

طربتُ وذو الحلمِ قد يطربُ وليسَ لعهدِ الصبا مطلبُ
خلا واسطٌ وكأن لم يكن بهِ منزلُ الحيَّ والربربُ
قياماً تفادينَ فوقَ الكثيب تداعى به بدنٌ كعبُ
ثقالُ الروادفِ نجلُ العيون لهنَّ فؤادك مستصحبُ
وأسرعَ في البينِ قيلُ الوشاةِ ولا يعدمُ الناسَ من يشغبُ

ولا يلبثُ الدهرُ ذا سلوةٍ تراوحهُ الشرقُ والمغربُ
ومرُّ الليالي وأيامها وبدءُ الحوادثِ والعقبُ
وكم من نعيمٍ ومن عبرةٍ تقضى إلى أجلٍ يكتبُ
فإن يكُ صحبكَ لم يربعوا وقالوا ترحلنا أصوبُ

فودع سليمةَ إنَّ الفؤادَ غداً عن زيارتها أجنبُ
وما رحتُ حتى تولى النهارُ وقال صحابي ألا تركبُ
فرحتُ وفي الصدرِ من بينها كصدعِ الزجاجةِ لا يشعبُ
فويلُ امها خلةً لو تدومُ على ما تقولُ ولا تكذبُ
ولكنَّ أكثرَ موعودها كبرقٍ ألاحَ بهِ الخلبُ
من البيضِ لم توذِ جاراتها ولم يك فيهم لنا نيربُ
ولم يفزعِ الحيَّ من صوتها أمامَ بيوتهم تصخبُ
قطوفٌ تهادى إذا أعنقت كما يطأُ الموعثَ المتعبُ
كأنَّ علالةَ أنيابها شمولٌ بماءِ الصفا تقطبُ
كميتٌ لسورتها نفحةٌ كرائحةِ المسكِ أو أطيبُ
تزيدُ الجوادَ إلى جوده ويفترُ عنها وما ينصبُ
وتصعدُ لذتها في العظامِ إذا خالطت عقلَ من يشربُ
وقد جلبت لكَ من أرضها سليمةُ والوصلُ قد يجلبُ
على حينَ ولى مراحُ الشبابِ وكادت صبابتهُ تذهبُ
فلما رأت أنَّ في صدرهِ من الوجدِ فوقَ الذي يحسبُ
أدلت لتقتلهُ بالعتابِ فكادَ على عقله يغلبُ
ونحنُ على نزواتِ العتابِ كلانا بصاحبهِ معجبُ
إذا جئتُ قالت تجنبتنا وكيفَ زيادةُ من يرقبُ
بهجرِ سليمة مرَّ السنيحُ فلم تدرِ ما قالَ إذ ينعبُ

وماذا عليكَ إذا فارقت ... أصاحَ الغرابُ أمِ الثعلبُ

فيا حاجةَ القلب لما استوى ... ظلاماً بأحداجها المنقبُ

وأدلجتِ الشمسُ يحدُ القطينُ ... بها ليلةَ اندفعَ الموكبُ

يضيءُ سناها رقاقَ الثيابِ ... فلا الوجهُ أحوى ولا مغربُ

سرت بالسعودِ إلى أن بدا ... لها القاعُ فالحزمُ فالمذنبُ

فما درةٌ تتوافى التجارُ ... إلى غايصٍ عندهُ تطلبُ

رمى صدفيها بأجرامهِ ... كما انقضَّ بازلهُ مرقبُ

بأحسنَ منها ولا مغزلٌ ... أطاعَ لها المكرُ والحلبُ

بسفحٍ مجودٍ ولاهُ الخريفُ ... منَ الدلوِ ساريةٌ تهضبُ

وظلماءَ جشمتنا سيرها ... ولم يبدُ فيها لنا كوكبُ

وهاجرةٍ صادقٍ حرها ... تكادُ الثيابُ بها تلهبُ

كأنَّ الحرابيَّ من شمسها ... تلوحُ بالنارِ أو تصلبُ

ورقاصةِ الآلِ فوقَ الحدابِ ... يظلُّ السرابُ بها يلعبُ

وتحتَ قتوديَ زيافةٌ ... خنوفٌ إذا صخبَ الجندبُ

جماليةُ الخلقِ مضبورةٌ ... على مثلها يقطعُ السبسبُ

وخودٌ إذا القومُ قالوا ارفعوا ... ضربنَ وجالت وما تضربُ

كأنَّ قتودي وأنساعها ... تضمنهنَّ وأي أحقبُ

مرنٌّ يحاذرُ روعاتهِ ... سماحيجُ مثلُ القنا شزبُ

إذا امتنعت بعدَ أطهارها ... فلا الطوعَ تعطي ولا تغضبُ

رعى ورعينَ حديقَ الرياضِ ... إلى أن تجرمتِ العقربُ

وهاجت بوارحُ ذكرنهُ ... مناهلَ كانَ بها يشربُ

فظلت إلى الشمسِ خوصَ العيونِ ... تناجي أيخفضُ أم يقربُ

فبيتنَ عيناً من الجمجمانِ ... تنازعها طرقٌ نيسبُ

بها ساهرُ الليلِ عاري العظامِ ... عرى لحمهُ أنهُ يدأبُ

قليلُ السوامِ سوى نبلهِ — وقوسٌ لها وترٌ مجذبُ
فلما شرعنَ رمى واتقى — بسهمٍ ثنى حدهُ الأثأبُ
فحصنَ فثارَ على رأسهِ — من القاعِ معتبطٌ أصهبُ
فكادَ بحسرةِ ما فاتهُ — يجنٌّ من الوجدِ أو يكلبُ
فإن يكُ لوني علاهُ الشحوبَ — فإنَّ أخا الهمِّ من يشحبُ
وقد عجمتني شدادُ الأمورِ — فلا أستكينُ إذا أنكبُ
لئن أبدتِ الحربُ أنيابها — وقامَ لها ذائدٌ مرهبُ
وما زالَ عندي ذو هيئةِ — حسامٌ أصولُ بهِ مقضبُ
من القلعياتِ لا محدثٌ — كليلٌ ولا طبعٌ أجربُ
تلذُّ اليمينُ انتضاءً بهِ — إذا الغمدُ عن متنهِ يسلبُ
أعاذلَ إني رأيتُ الفتى — إذا ماتَ بالبخلِ لا يندبُ
ولو كنتُ قطبةَ أو مثلهُ — ذممتُ ولم يبقَ ما أكسبُ
تراهُ يحارشُ أصحابهُ — قياماً كما احترشَ الأكلبُ
على معظمٍ أيهم نالهُ — فذلكِ فيهم هو المتربُ

وقال الشمردل أيضاً يرثى أخاه وائلاً:

لعمري لإن غالت أخي دارُ فرقةٍ — وآبَ إلينا سيفهُ ورواحلهْ
وحلت بهِ أثقالنا الأرضُ وانتهى — بمثواهُ منها وهو عفٌّ منازلهْ
لقد ضمنت جلدَ التقى كان يتقى — بهِ جانبُ الثغرِ المخوفِ زلازلهْ
وصولٌ إذا استغنى وإن كانَ مقتراً — من المالِ لم يحفِ الصديقَ مسايلهْ
هضومٌ لأيتامِ الشتاءِ كأنما — يراهُ الحيا أيتامهُ وأراملهْ
رخيصُ نضيج القدرِ يغلي بنيئهِ — إذا بردت عندَ الصلاءِ أناملهْ
أقولُ وقد رجمتُ عنهُ وأسرعت — إليَّ بأخبارِ اليقين محاصلهْ
إلى اللهِ أشكو لا إلى الناسِ فقدهُ — ولوعةَ حزنٍ أوجعَ القلبَ داخلهْ

وتحقيقَ رؤيا في المنامِ رأيتها ... فكانَ أخي رمحي ترفضَ عاملهْ

سقى جدثاً أعرافُ غمرةَ دونهُ ... بهضبةَ كتمانِ الربيعِ ووابلهْ

بمثوى غريبٍ ليسَ منا مزارهُ ... بدانٍ ولاذو الودِّ منا يواصلهْ

إذا ما أتى يومٌ من الدهرِ بيننا ... فحياكَ عنا شرقهُ وأصائلهْ

وكلُّ سنا صبحٍ أضاءَ ومغربٍ ... من الشمسِ وافى جنحَ ليلٍ أوائلهْ

تحيةَ من أدى الرسالةَ حييت ... إلينا ولم ترجع بشيءٍ رسائلهْ

أبى الصبرُ أنَّ العينَ بعدك لم يزل ... يخالطُ جفنيها قذى ما تزايلهْ

تبرضَ بعدَ الجهدِ من عبراتها ... بقيةُ دمعٍ شجوها لكَ باذلهْ

وكنتُ أعيرُ الدمعَ قبلك من بكى ... فأنت على من ماتَ بعدك شاغلهْ

تذكرني هيفُ الجنوبِ ومنتهى ... نسيم الصبا رميساً عليهِ جنادلهْ

وهاتفةٌ فوقَ الغصونِ تفجعت ... لفقدِ حمامٍ أفردتها حبائلهْ

منَ الورقِ بالأصيافِ نواحةُ الضحى ... إذا الغرقدُ التفت عليهِ غياطلهْ

وسورةُ أيدي القومِ إذ حلتِ الحبى ... حبى الشيبِ واستعوى أخا الحلم جاهلهْ

فعينيَّ إذ أبكاكما الدهرُ فابكيا ... لمن نصرهُ قد بانَ عنا ونائلهْ

وإن ما نحت عينا حزينٍ فما نحا ... عليهِ لبذلٍ أو لخصمٍ يجادلهْ

أخي لا بخيلٌ في الحياةِ بمالهِ ... عليَّ ولا مستبطأ الفرضِ خاذلهْ

أقامَ حميداً بينَ تثليثَ دارهُ ... وبيشةَ لا يبعد أخي وشمائلهْ

وتهجيرهُ بالقومِ بعدَ كلالهم ... إذا اجلوذَ الخمسَ البعيدَ مناهلهْ

على مثل جونيِّ العطاشِ من القطا ... تجاهدَ لما أفزعتهُ أجادلهْ

وشعثٍ يظنونَ الظنونَ سما بهم ... لنائي الصوى يثني الضعيفَ تهاولهْ

بخرقٍ من الموماةِ قودٍ رعانهُ ... يكادُ إذا أضحى تجولُ مواثلهْ

تشبهُ حسراهُ القراقيرَ يرتمي ... بها ذو حدابٍ يضربُ البيدَ ساحلهْ

إذا النشزُ فوقَ الآلِ ظل كأنهُ ... قرى فرسٍ يغشى الآجلة كاهلهْ

وسدمٍ سقى منها الخوامسَ بعدما ... ضرحنَ الحصى حتى توقدَ جائلهْ

إذا استعبرت عوذُ النساءِ وشمرت ... مآزرَ يومٍ لا توارى خلاخلهْ

وثقنَ بهِ عندَ الحفيظةِ فارعوى ... إلى صوتهِ جاراتهُ وحلائلهْ

إلى ذائدٍ في الحربِ لم يكُ خاملاً ... إذا عاذَ بالسيفِ المجردِ حاملهْ

كما ذادَ عن عريسةِ الغيلِ مخدرٌ ... يخافُ الردى ركبانهُ وأراجلهْ

فما كنتُ أرى لامرئٍ عندَ موطنٍ ... أخاً بأخي لو كانَ حياً أبادلهْ

وكنتُ بهِ أخشى القتالَ فعزني ... عليهِ من المقدارِ ما لا أقاتلهْ

لعمركَ إنَّ الموتَ منا لمولعٌ ... بمن كان يرجى نفعهُ ونوافلهْ

فما البعدُ إلاَّ أننا بعدَ صحبةٍ ... كأن لم نبايت وائلاً ونقابلهْ

سقى الضفراتِ الغيثُ ما كانَ ثاوياً ... بهنَّ وجادت تستهلُّ هواطلهْ

وما بي حبَّ الأرضِ إلاَّ جوارها ... صداهُ وقولٌ ظنَّ أني قائلهْ

وقال الشمردل أيضاً:

إنَّ الخليطَ أجدَّ منكَ بكورا ... وترى المحاذرَ بالفراقِ جديرا

صرموا حبالكَ فاتضعتِ لحاجةٍ ... تبكي الحزينَ وتترحُ المحبورا

بالقنفذين غداةَ لو كلمتنا ... دهقانُ ما كتمَ الفؤادُ ضميرا

لما تخايلَ غدوةً أترابها ... رفعنَ فوقَ ذرى الجمالِ خدورا

رحلت هوادجهنَّ كلُّ ربحلةٍ ... قامت تهاونُ خلقها الممكورا

صمتُ الخلاخل في رواءِ خدلةٍ ... بيضٍ تقلُّ روادفاً وخصورا

سلمنَ قبلَ وداعهنَّ لغربةٍ ... ورعى الهوى بقراً أوانسَ حورا

دارَ الجميع بروضةِ الخيلِ اسلمي ... وسقيتِ مرتجزَ العشيِّ مطيرا

ولقد أرى بك حاضراً ذا غبطةٍ ... إذ لا أخافُ على الشقاقِ أميرا

يا أمَّ نجدةَ لو رأيتِ مطينا ... بعدَ الكرى ومناخهنَّ هجيرا

لرأيتِ جائلةَ الغروضِ وفتيةً ... وقعت كلاكلها بهم تغويرا

من كلِّ يعملةِ النجاءِ شملةٍ ... قوداءَ يملأ نحرها التصديرا

ترمي النجادَ بمقلتي متوجسٍ ... لهقٍ تروحَ ناشطاً مذعورا

أمسى بمحنيةٍ يحكُّ بروقهِ ... حقفاً يهيلُ ترابهُ المحدورا

من صوبِ ساريةٍ كأنَّ بمتنهِ ... منها الجمانُ ولؤلؤاً منشورا

طالت عليهِ وباتَ من نفحِ الصبا ... وجلاً يوقرُ جأشهُ توفيرا

حتى غدا حبقاً وحققَ ذعرهُ ... عاري الأشاجع ما يزالُ ضريرا

يشلي قوانصَ من كلابِ محاربٍ ... طلساً يجلنَ إذا سمعنَ صفيرا

حاذرنَ شدةَ محصفٍ ذي شرةٍ ... حاضرنهُ فوجدنهُ محضيرا

حتى ارعوى لحميةٍ لحقتِ بهِ ... والكبرياءُ يشيعُ المكثورا

ينهسنَ كاذنهُ ويمنعُ لحمهُ ... طعنٌ يصيبُ فرائصاً ونحورا

قالت حبابةُ ما لجسمكَ ناحلاً ... وكساكَ منزلةِ الشبابِ قتيرا

والجفنُ ينحلُ ثمَّ يوجدُ نصلهُ ... عندَ الضريبةِ صارماً مأثورا

هلاَّ سألتِ إذا اللقاحُ تروحت ... هدجاً وراحَ قريعها مقرورا

ألاَّ أحفَّ على الدخانِ ولا أرى ... سبلَ السماحةِ يا حبابَ وعورا

إني لأبذلُ للبخيلِ إذا اعترى ... مالي وأتركُ مالهُ موفورا

وإذا طلبتُ ثوابَ ما آتيتهُ ... فكفى بذاكَ لسائلي تذكيرا

فذرا عتابي كلما صبحتما ... عذالتي لتقصدا وتجورا

وإذا رشادُ الأمرِ صارَ إليكما ... فتربصا بي أن أقولَ أشيرا

وقال أيضاً:

بانَ الخليطُ بحبلِ الودِّ فانطلقوا ... وزيلَ البينُ من تهوى ومن تمقُ

ليتَ المقيمُ مكانَ الظاعنين وقد ... تدنو الظنونَ وينأى من بهِ تثقُ

وما استحالوا عن الدارِ التي تركوا ... عني كأنَّ فؤادي طائرٌ علقُ

وفي الخدورِ مهاً لما رأينَ لنا ... نحواً سوى نحوهنَّ أغرورقَ الحدقُ

أريننا أعيناً نجلاً مدامعها ... دافعنَ كلَّ دوى أمسى بهِ رمقُ

بموطنٍ يتقى بعضَ الكلامِ بهِ ... وبعضهُ من غشاشِ البينِ مسترقُ

ثم استمروا يشقونَ السرابَ ضحى ... كأنهم نخلُ شطي دجلةَ السحقُ
فما رأيتُ كما تفري الحداةُ بهم ... ولا كنظرةِ عينٍ جفنها غرقُ
إذا أقولُ لهم قد حانَ منزلهم ... وضرجَ البزلَ من أعطافها العرقُ
حثوا نجائبَ تلوي من خزايمها ... جذبَ الأزمةِ في أزرارها الحلقُ
من كلِّ أشحجَ نهاضٍ تخالُ بهِ ... جناً يخالطهُ من سومهِ عنقُ
يغتالُ نسعي وضينِ الخدرِ محزمه ... مساندٌ شدَّ منهُ الدايُ والطبقُ
رحبُ الفروجِ إذا ما رجلهُ لحقت ... سيراً بمائرةٍ في عضدها دفقُ
حتى إذا صحرت شمسُ النهارِ وقد ... أفضى الجبيلُ وزالَ الحزمُ والنسقُ
تورعوا بعدما طال الحزيزُ بهم ... وكادَ ضاحي ملاءِ القزِّ يحترقُ
وفيهم صورٌ ما بذها أحدٌ ... منَ الملوكِ وما تجري بهِ السوقُ
من كلِّ ميالةٍ خرسٍ خلاخلها ... لأياً تقومُ وبعدَ اللأي تنتطقُ
تسقي البشامَ ندىً يجري على بردٍ ... ما في مراكزهِ جذٌّ ولا ورقُ
غرثى لوشاحِ صموتِ الحجل ما انصرفت ... إلاَّ تضوعَ منها العنبرُ العبقُ
كالشمسِ يوم سعودٍ أو مرشحةٍ ... بالأسحمينِ دعاها توأمٌ خرقُ
حيِّ الديارَ التي كانت مساكننا ... قفراً بها لرياحِ الصيفِ مخترقُ
وكلُّ مهتزمٍ راحَ الشمالُ بهِ ... تكشفَ الخيلِ في أقرابها بلقُ
فاستقبلتهُ الصبا تهدي أوائلهُ ... فاستكرهَ السهلَ منهُ وابلٌ بعقُ

وما توهمُ من سفعٍ بمنزلةٍ ... حالفنَ ملتبداً يعرى وينسحقُ
تعيرهُ الريحُ طوراً ثمَّ ترجعهُ ... كما استعيرَ رداءُ اليمنةِ الخلقُ
وقد يكونُ الجميعُ الصالحونَ بها ... حتى إذا اصفرَّ بعدَ الخضرة الورقُ
شقَّ العصا بينهم من غيرِ نائرةٍ ... مستجذبٌ لم يغطهُ خافضٌ أنقُ
كأنَّ فصحَ النصارى كان موعدهم ... هذا مقيمٌ وهذا ظاعنٌ قلقُ
يا أمَّ حربٍ برى جسمي وشيبني ... مرُّ الخطوبِ التي تبري وتعترقُ

ونامَ صحبي واحتمت لعادتها بالكوفةِ العينُ حتى طالَ ذا الأرقُ
أرعى الثريا تقودُ التاليات معاً كما تتابعَ خلفَ الموكبِ الرفقُ
معارضاتٍ سهيلاً وهو معترضٌ كأنهُ شاةُ رملٍ مفردٍ لهقُ
قلبي ثلاثةُ أثلاثٍ لباديةٍ وحاضرٍ وأسيرٍ دونهُ غلقُ
لكلهم من فؤادي شعبةٌ قسمت فشفني الهمُّ والأحزانُ والشفقُ
إن يجمعِ اللهُ شعباً بعدَ فرقتهِ فقد تريعُ إلى مقدارها الفرقُ
وإن يخنا زمانٌ لا نعاتبهُ فقد أرانا وما في عظمنا رققُ
يخشى العدوَّ ولا يرجو ظلامتنا إذا تفرعَ حكمُ المجلسِ الرهقُ
ونكرمُ الضيفَ يغشانا بمنزلةٍ تحتَ الجليدِ إذا ما استنشقَ المرقُ
نبيتُ نلحفهُ طوراً ونغبقهُ شحمَ القرى وقراحُ الماءِ يغتبقُ
إذ هيجت قزعاً تحدوهُ نافجةٌ كأنما الغيمُ في صرادها الخرقُ
وقد علمتُ وإن خفَّ الذي بيدي إنَّ السماحةَ مني والندى خلقُ
ولا يؤنبُ أضيافي إذا نزلوا ولا يكونُ خليلي الفاحشُ النزقُ
ولو شهدتِ مقامي بالحسامِ على رأسِ المسناةِ حيثُ استبتِ الفرقُ
إذن لسركَ إقدامي محافظةً بالسيفِ صلتاً وداجي الليلِ مطرقُ
إذ قلتُ للنفسِ عودي بعدَ ما جشأت وما ازدهاني بذاكَ الموطنِ الفرقُ
وما استكنتَ إلى ما كانَ من ألمٍ وقد يهونُ ضربَ الأذرعِ الحنقُ
حتى انجلى الروعُ في ظلماءَ داجيةٍ ما كادَ آخرها للصبحِ ينفرقُ

وقال الشمردل أيضاً:

ألنكرتَ أطلالَ الرسومِ وقد ترى بها غانياتٌ دلهنَّ وثيقُ
يقارفننا بالودِّ نحفي فريقهُ ومنهُ بأظلالِ الأراكِ فريقُ
وما أنصفت ذلفاءُ أما دنوها فهجرٌ وأما نأيها فيشوقُ
تباعدُ ممن واصلت وكأنها لآخرَ ممن لا تودُّ صديقُ
لقد علمَ المستودعُ السرَّ أنني ستورٌ لهُ صدري عليهِ شفيقُ

وأني امرؤٌ تعتادني أريحيةٌ	بمالي إن حلت عليهِ حقوقُ

إذا العزبُ اجتابَ الدخانَ وأصبحت	بليلاً وأمسى الغيمُ وهو رقيقُ

فإن أنجحَ الواشي وأصبحَ بيننا	وبينكِ مغبرُّ الفجاجِ معيقُ

فجادكِ وسميٌّ كأنَّ ربابهُ	قطارُ عباديٍّ عليهِ وسوقُ

هزيمٌ إذا حلت عزاليهُ الصبا	يرى لبناتِ الماءِ فيه نغيقُ

وظلمةِ ليلٍ دونَ ذلفاءَ قستها	إذا لم يكن للطلمساءِ فتوقُ

بأعيسَ من حرِّ المهارى يزينهُ	نجارٌ كلونِ الأخدريِّ عتيقُ

لقوداءَ شملالِ السرى قاعَ فوقها	بهِ من قرومِ الناعجاتِ فنيقُ

ترى الصلبَ منهُ والضلوعَ كأنها	سقائفُ ساجٍ سمرهنَّ وثيقُ

لدى شعشعانٍ في الزمامِ يقودهُ	خريعٌ كسبتِ الموسميِّ خفوقُ

يرنُّ الحصى من وقعهِ ثم ترتمي	بهِ يسراتٌ رجعهنَّ رشيقُ

تقاذفَ قرقورِ الصراري أجملت	بهِ نيرجٌ تحدو الجهامَ خريقُ

مللتُ لهُ طولَ الثواءِ وقد ثوى	ثلاثَ ليالٍ في الوثاقِ يتوقُ

يردُّ الجبينُ بالجرانِ كأنهُ	إذا قامَ جذعٌ من أوالَ سحوقُ

ونادى منادٍ بالأذانِ وقد غدا	برحلي موارُ اليدين خليقُ

فما ذرَّ قرنُ الشمسِ حتى ارتمت بهِ	منَ القورِ بينَ المكرعاتِ طريقُ

شبيب بن البرصاء

وقال شبيب بن البرصاء المري، وهي مفضلية قرأها حفظاً على شيخي أبي محمد بن أحمد بن الخشاب:

ألم ترَ أنَّ الحيَّ فرقَ بينهم	نوىً يوم صحراءِ الغميمِ لجوجُ

نوىً شطنتهم عن هوانا وهيجت	لنا طرباً إنَّ الطروبَ يهيجُ

فلم تذرفِ العينانِ حتى تحملت	معَ الصبحِ أحفاضٌ لهم وحدوجُ

وحتى رأيتُ الحيَّ تسفي ديارهم	مزعزعةٌ جنحَ الظلامِ دروجُ

فأصبحَ مسرورٌ ببينكَ معجبٌ وباكٍ لهُ عندَ الديارِ نشيجُ

فإن تكُ هندٌ جنةً حيلَ دونها فقد يعزفُ اليأسَ الفتى فيعيجُ

إذا احتلتِ الرنقاءَ هندٌ مقيمةً وقد حالَ دوني من دمشقَ بروجُ

وبدلتُ أرضَ الشيح منها وبدلت تلاعَ المطالي سخبرٌ ووشيجُ

فلا وصلَ إلاَّ أن تقربَ بيننا قلايصُ يخدينَ المثانيَ عوجُ

ومخلفةٌ أنيابها جدليةٌ تشدُّ حشاها نسعةٌ ونسيجُ

لها ربذاتٌ بالنجاءِ كأنها دعائمُ أرزٍ بينهنَّ فروجُ

إذا هبطت أرضاً عزازاً تحاملت مناسمُ منها راعفٌ وشجيجُ

ومغبرةِ الآفاقِ يجري سرابها على أكمها قبلَ الضحى فيموجُ

قطعتُ إذا الأرطى ارتدى في ظلالهِ جوازئُ يرعينَ الفلاةَ دموجُ

لعمرو ابنةِ المريِّ ما أنا بالذي لهُ أن تنوبَ النابياتُ ضجيجُ

وقد علمت أمُّ الصبيينِ أنني إلى الضيفِ قوامُ السناتِ خروجُ

وإني لأغلي اللحم نياً وإنني لممن يهينُ اللحمَ وهو نضيجُ

إذا المرضعُ العوجاءُ بالليلِ عزها على ثديها ذو ودعتين لهوجُ

إذا ما ابتغى الأضيافُ من يبذلُ القرى قرت لي مقلاتُ الشتاءِ خدوجُ

جماليةٌ بالسيفِ من عظمِ ساقها دمٌ جاسدٌ لم أجلهُ وسحوجُ

كأنَّ رحالَ الميسِ في كلِّ موقفٍ عليها بأجوازِ الفلاةِ سروجُ

عوف بن الأحوص

وقال عوف بن الأحوص الكعبي، وهي مفضلية قرأها على شيخي ابن الخشاب:

هدمتِ الحياضُ فلم يغادر لحوضٍ من نصابيهِ إزاءُ

لخولةَ إذ همُ مغنىً لأهلي وأهلكِ ساكنونَ معاً رياءُ

فلأياً ما تليقُ رسوم دارٍ وما أبقى منَ الحطبِ الصلاءُ

وإني والذي حجت قريشٌ محارمهُ وما جمعت حراءُ

وشهرِ بني أميةَ والهدايا ... إذا حبست مضرجها الدماءُ

أذمكَ ما ترقرقَ ماءُ عيني ... عليَّ إذن من اللهِ العفاءُ

أقرُّ بحبكم ما دمتُ حياً ... وألزمهُ وإن بلغَ الفناءُ

ولا تتعوجوا في الحلمِ عمداً ... كما يتعوجُ العودُ السراءُ

ولا أفتي لكم من دونِ حقٍّ ... فأبطلهُ كما بطلَ الحجاءُ

فإني والحكومةَ يا ابنَ كلبٍ ... عليَّ وإن تكفنني سواءُ

خذوا دأباً بما أثايتُ فيكم ... فليسَ لكم على دأبٍ علاءُ

وليسَ لسوقةٍ فضلٌ علينا ... وفي أشياعكم لكمُ بواءُ

فهل لكَ في بني حجرِ بن عمرو ... فتعلمهُ وأجهلهُ ولاءُ

أو العنقاءِ ثعلبةَ بن عمرو ... دواءُ القومِ للكلبى شفاءُ

وما إن خلتكم من آلِ نصرٍ ... ملوكاً والملوكُ لهم غلاءُ

ولكن نلتَ مجدَ أبٍ وخالٍ ... وكانَ إليهما ينمي العلاءُ

أبوكَ بجيدٌ والمرءُ كعبٌ ... فلم تظلم بأخذك ما تشاءُ

ولكن معشرٌ من جذمِ قيسٍ ... عقولهمُ الأباعرُ والرعاءُ

وقد شجيت أنِ استمسكتُ منها ... كما يشجى بمسعرهِ الشواءُ

قتاةُ مذربٍ أكرهتُ فيها ... شراعياً مقالمهُ ظماءُ

وقال أيضاً وهي مفضلية وقرأها على شيخي ابن الخشاب:

ومستنبحٍ يخشى القواءَ ودونهُ ... من الليلِ بابا ظلمةٍ وستورها

رفعتُ لهُ ناري فلما اهتدى لها ... زجرتُ كلابي أن يهرَّ عقورها

فلا تسأليني وأسألي ما خليقتي ... إذا ردَّ عافي القدرِ من يستعيرها

وكانوا قعوداً حولها يرقبونها ... وكانت فتاةُ الحيِّ ممن ينيرها

ترى أنَّ قدري لا تزالُ كأنها ... لذي القرةِ المقرورِ أمٌّ يزورها

مبرزةً لا يجعلُ السترُ دونها ... إذا أخمدَ النيرانُ لاحَ بشيرها

إذا الشولُ راحت ثمَّ لم تفدِ لحمها ... بألبانها ذاقَ السنانَ عقيرها

وإني لتراكُ الضغينةِ قد بدا ثراها من المولى فما استثيرها

تسوقُ صريمٌ شاءها من جلاجلٍ إليَّ ودوني ذاتُ كهفٍ وقورها

إذا قيلتِ العوراءُ وليتُ سمعها سواي ولم أسأل بها ما دبيرها

فماذا نقمتم من بنينَ وسادةٍ بريءٍ لكم من كلِّ غمرٍ صدورها

همُ رفعوكم بالسماءِ فكدتمُ تنالونها لو أنَّ حياً يطورها

ملوكٌ على أنَّ التحيةَ سوقةٌ ألاياهمُ يوفى بها ونزورها

فإلاَّ يكن مني ابنُ زحرٍ ورهطهُ فمني رياحٌ عرفها ونكيرها

وكعبٌ فإني لابنها وحليفها وناصرها حيثُ استمرَّ مريرها

لعمري لقد أشرفتُ يومَ عنيزةٍ على رغبةٍ لو شدَّ نفساً ضميرها

ولكنَّ هلكَ المرءِ ألاَّ تمرهُ ولا خيرَ في ذي مرةٍ لا يغيرها

الأخنس بن شهاب

وقال الأخنس بن شهاب التغلبي، وهي مفضلية قرأها على شيخي ابن الخشاب حفظاً:

لابنةِ حطانَ بنِ عوفٍ منازلٌ كما رقشَ العنوانَ في الرقِّ كاتبُ

ظللتُ بها أعرى وأشعرُ سخنةً كما اعتادَ محموماً بخيبرَ صالبُ

تظلُّ بها ربدُ النعامَ كأنها إماءٌ تزجى بالعشيِّ حواطبُ

خليليَّ هوجاءُ النجاءِ شملةٌ وذو شطبٍ لا يجتويهِ المصاحبُ

وقد عشتُ دهراً والغواةُ صحابتي أولئكَ خلصاني الذينَ أصاحبُ

رفيقاً لمن أعيى وقلدَ حبلهُ وحاذرَ جراهُ الصديقُ الأقاربُ

فأديتُ عني ما استعرتُ من الصبا وللمالِ مني اليومَ راعٍ وكاسبُ

لكلِّ أناسٍ من معدٍّ عمارةٍ عروضٌ إليها يلجؤونَ وجانبُ

لكيزٌ لها البحرانِ والسيفُ كلهُ وإن يأتها بأسٌ من الهندِ كاربُ

تطايرُ عن أعجازِ حوشٍ كأنها جهامٌ أراقَ ماءهُ فهوَ آئبُ

وبكرٌ لها برُّ العراقِ وإن تشأ ... يحل دونها من اليمامةِ حاجبُ
وصارت تميمٌ بينَ قفٍ ورملةٍ ... لها من حبالٍ منتأى ومذاهبُ
وكلبٌ لها خبتٌ فرملةُ عالجٍ ... إلى الحرةِ الرجلاءِ حيثُ تحاربُ
وغسانُ حيٌّ عزهم في سواهمُ ... يجالدُ عنهم مقنبٌ وكتائبُ
وبهراءُ حيٌّ قد عرفنا مكانهم ... لهم شركٌ حولَ الرصافةِ لاحبُ
وغارت إيادٌ في السوادِ ودونها ... برازيقُ عجمٌ تبتغي من تضاربُ
ولخمٌ ملوكُ الناسِ يجبى إليهمُ ... إذا قالَ منهم قائلٌ فهو واجبُ
ونحنُ أناسٌ لا حجازَ بأرضنا ... مع الغيثِ ما نلقى ومن هوَ غالبُ
ترى رائداتِ الخيلِ حولَ بيوتنا ... كمعزى الحجازِ أعوزتها الزرائبُ
فيغبقنَ أحلاباً ويصبحنَ مثلها ... فهنَّ من التعداءِ قبٌّ شوازبُ
فوارسها من تغلبَ ابنةَ وائلٍ ... حماةٌ كماةٌ ليسَ فيها أشائبُ
همُ الضاربونَ الكبشَ يبرقُ بيضهُ ... على وجههِ من الدماءِ سبائبُ
بجأواءَ ينفي وردها سرعانها ... كأنَّ وضيحَ البيضِ فيها الكواكبُ
وإن قصرت أسيافنا كانَ وصلها ... خطانا إلى القومِ الذينَ نضاربُ
فللهِ قومٌ مثلُ قومي سوقةً ... إذا اجتمعت عندَ الملوكِ العصائبُ
أرى كلَّ قومٍ ينظرونَ إليهمُ ... وتقصرُ عما يفعلونَ الذوائبُ
أرى كلَّ قومٍ قاربوا قيدَ فحلهم ... ونحنُ خلعنا قيدهُ فهوَ ساربُ

معن بن أوس

وقال معن بن أوس بن نصر بن زياد بن أسحم بن ربيعة بن عدي بن ثعلبة بن ذؤيب بن سعد بن عداء بن عثمان بن مزينة:

عفا وخلا ممن عهدتُّ بهِ خمُّ ... وشاقكَ بالمسحاءِ من شرفٍ رسمُ
عفا حقباً من بعدِ ما خفَّ أهلهُ ... وحنت بهِ الأرواحُ والهطلُ السجمُ
يلوحُ وقد عفا منازلهُ البلى ... كما لاحَ فوقَ المعصمِ الخدلِ الوشمُ
مدامنُ حيٍّ صالحين رمت بهم ... نوى الشحطِ إذا ردوا الجمالَ وإذا زموا

بعينيكَ راحوا والحدوجُ كأنها سفاينُ أو نخلٌ مدللةٌ زعمُ

وفي الحيِّ نعمٌ قرةُ العينِ والمنى وأحسنُ من يمشي على قدمٍ نعمُ

وكانت لهذا القلبِ نعمُ زمانةً خبالاً وسقماً لا يعادلهُ سقمُ

منعمةٌ لم تغدَ في رسلِ كلبةٍ ولم تتجاوب حولَ كلتها البهمُ

سبتني بعينى جؤذرٍ بخميلةٍ وجيدٍ كجيدِ الرئم زينهُ النظمُ

ووحفٍ يثنى في العقاصِ كأنهُ عليها إذا دنت غدايرهُ كرمُ

وأقنى كحدِ السيفِ يشرفُ قبلها وأشنبَ رفافِ الثنايا لهُ ظلمُ

لها كفلٌ رابٍ وساقٌ عميمةٌ وكعبٌ علاهُ النحضُ ليسَ لهُ حجمُ

تصيدُ ألبابَ الرجالِ بأنسها ويقتلهم منها التدللُ والنعمُ

لباخيةٌ عجزاءُ جمٌّ عظامها نمت في نعيمٍ واتمهلَّ بها الجسمُ

توالدها بيضٌ حرايرُ كالدمى نواعمُ لا سودٌ قصارٌ ولا ختمُ

وأجدادُ صدقٍ لا يعابُ فعالهم همُ النضدُ السرُّ الغطارفةُ الشمُ

مطاعيمُ في البؤسى لمن يعتريهم إذا يشتكى في العامِ ذي السنةِ الأزمُ

مصاليتُ أبطالٌ إذا الحربُ شمرت بأمثالهم يومَ الوغى يكشفُ الهمُ

إذا انتسبت مدت يديها إلى العلى وصدقها الإسلامُ والحسبُ الضخمُ

كأني إذا لم ألقَ نعماً مجاورٌ قبائلَ من ياجوج من دونها الردمُ

وذي رحمٍ قلمتُ أظفارَ ضغنهِ بحلمي عنهُ وهو ليسَ لهُ حلمُ

يحاولُ رغمي لا يحاولُ غيرهُ وكالموتِ عندي أن يعزى بهِ الرغمُ

فإن أعفُ عنهُ أغضِ عيناً على قذىً وليسَ لهُ بالصفحِ عن ذنبهِ علمُ

وإن أنتصر منهُ أكنْ مثلَ رائشٍ سهامَ عدوٍّ يستهاضُ بها العظمُ

صبرتُ على ما كانَ بيني وبينهُ وما يستوي حربُ الأقارب والسلمُ

ويشتمُ عرضي في المغيب جاهداً فليسَ لهُ عندي هوانُ ولا شتمُ

إذا سمته وصلَ القرابةِ سامني قطيعتها تلكَ السفاهةُ والإثمُ

المثقب العبدي

وإن أدعهُ للنصفِ يأبى ويعصني ... ويدعُ لحكمٍ جائرٍ غيرهُ الحكمُ

وقد كنتُ أكوي الكاشحينَ وأشتفي ... وأقطعُ قطعاً ليسَ ينفعهُ الحذمُ

فلولا اتقاءُ اللهِ والرحمُ التي ... رعايتها حقٌّ وتعطيلها ظلمُ

إذن لعلاهُ منصلي أو خطمتهُ ... بوسمٍ شنارٍ لا يشابههُ وسمُ

ويسعى إذا أبني ليهدمَ صالحي ... وليسَ الذي يبني كمن شأنهُ الهدمُ

يودُّ لو أني معدمٌ ذو خصاصةٍ ... وأكرهُ جهدي أن يخالطهُ عدمُ

ويعتدُّ غنماً للحوادثِ نكبتي ... وما إن لهُ فيها سناءٌ ولا غنمُ

أكونُ لهُ إن ينكب الدهرُ مدرهاً ... أكالبُ عنهُ الخصمَ إذا عضهُ الخصمُ

وألجمُ عنهُ كلَّ أبلخَ طامحٍ ... ألدَّ شديدِ الشغبِ غايتهُ الغشمُ

ويشركهُ في مالهِ بعدَ ودهِ ... على الوجدِ والإعدامِ قسمٌ هو القسمُ

بكفٍّ مفيدٍ يكسبُ الحمدَ بالندى ... ويعلمُ أنَّ البخلَ يعقبهُ الذمُ

نجيبٌ يجيبُ المستغيثَ إذا دعا ... ويسمو إلى كسبِ العلاءِ إذا يسمو

فتىً لا يبيتُ الهمُّ يقدعُ قلبهُ ... كذي الهمِّ والهيابُ يفزعهُ الهمُ

إذا همَّ أمضى همهُ غيرَ متعبٍ ... ويفرجُ عنهُ الشكُّ في أمرهِ العزمُ

أخو ثقةٍ جلدُ القوى ذو مخارجٍ ... مخالطُ حزمٍ حينَ يلتمسُ الحزمُ

يكونُ لهُ عندَ النوائبِ جنةً ... ومعقلَ عزَّ حيثُ تمتنعُ العصمُ

فما زلتُ في ليني لهُ وتعطفي ... عليهِ كما تحنو على الولدِ الأمُ

وقولي إذا أخشى عليهِ مصيبةً ... ألا اسلم فذاكَ الخالُ ذو العقدِ والعمُ

وصبري على أشياءَ منهُ تريبني ... وكظمي على غيظي وقد ينفعُ الكظمُ

لأستلَّ منهُ الضغنَ حتى سللته ... وقد كانَ ذا حقدٍ يضيقُ بهِ الجرمُ

دفنتُ انثلاماً بيننا فرقعتهُ ... برفقي وتأليفي وقد يرقعُ الثلمُ

وأبرأتُ غلَّ الصدرِ منهُ توسعاً ... بحلمي كما يشفى بالآدويةِ الكلمُ

وأطفأتُ نارَ الحربِ بيني وبينهُ ... فأصبحَ بعدَ الحرب وهو لنا سلمُ

المثقب العبدي

وقال المثقب العبدي، واسمه عائذ بن محصن بن ثعلبة بن وائلة بن عدي بن حرب بن دهن بن عذرة بن منبّه بن نكرة بن لكبز بن أفصى بن عبد القيس. وهي مفضلية، وقرأها علي شيخي أبي محمد بن الخشاب في جملة المفضليات، وفي ديوانه:

ألا إنَّ هنداً أمسِ رثَّ جديدُها ... وضنّتْ وما كانَ المَتاعُ يؤودُها

فلو أنَّها من قبلُ دامت لبانةً ... على العهدِ إذ تصطادُني وأصيدُها

ولكنّها ممّا يميط بودّه ... بشاشة أدنَى خلّةٍ يستفيدُها

أجدّك ما يدريكَ أنْ ربَّ بلدَةٍ ... إذا الشّمسُ في الأيّام طالَ ركودُها

وصاحت صواديحُ النّهارِ وأعرضتْ ... لوامعُ يُطوَى ريطُها وبُرودُها

قطعتُ بفتلاءِ اليدْين ذريعَةٍ ... يغولُ البلادَ سومُها وبريدُها

فبتُّ وباتَتْ كالنَّعامَةِ ناقتِي ... وباتَت عليها صفنَتي وقتودُها

وأغضَبْ كما أغضَيتُ عيني فعرسَتْ ... على الثَّفناتِ والجرانِ هجودُها

على طرُقٍ عندُ الأراكَةِ ربَّةٍ ... توازي شريمَ البحرِ وهوَ قعيدُها

كأنَّ جنيباً عندَ معقدِ غرزِها ... تحاولهُ عن نفسِهِ ويريدُها

تهالكَ منهُ في الرَّخاءِ تهالُكاً ... تهالُكَ إحدى الجونِ حانَ ورودُها

فنهنَهْتُ منها والمناسمُ ترتمي ... بمعزاءَ شتىً لا يُرَدُّ عنودُها

وأيقنتُ إن شاءَ الإلهُ فإنَّهُ ... سيبلغني أجلادُها وقصيدُها

فإنَّ أبا قابوسَ عندي بلاؤُهُ ... جزاءً بنعمىَ لا يحلُّ كنودُها

رأيتُ زنادَ الصّالحينَ نمينَهُ ... قديماً كما بذَّ النجومَ سعودُها

ولو علمَ اللهُ الجبالَ عصينَه ... لجاءَ بأمراسِ الجبالِ يقودُها

فإن تكُ منّا في عمانَ قبيلةٌ ... تواصتْ بأجنابٍ وطالَ عنودُها

فقدْ أدركتها الحادثاتُ فأصبحَتْ ... إلى خيرِ من تحتَ السمّاءِ وفودُها

إلى ملكٍ بذَّ الملوكَ فلمْ تسَع ... أفاعيلَهُ حزمُ المُلوكِ وجودُها

وأيُّ أناسٍ لا أباحَ بغارةٍ ... يوازي كبيداتِ السّماءِ عمودُها

وجأواءَ فيها كوكبُ الموتِ فخمةٍ تقمّصُ بالأرضِ الفضاءِ وثيدُها

لها فرطٌ يحمي النّهابَ كأنَّهُ لوامعُ عقبانٍ يروعٌ طريدُها

وأمكن أطرافَ الأسنَّةِ والقَنا يعاسيبُ قودٌ كالشِّنان خدودُها

تنبَّعَ من أعضادها وجلُودها حميماً وآضتْ كالحماليجِ سودُها

وطارَ قشاريُّ الحديدِ كأنَّهُ نخالةُ أقواعٍ يطيرُ حصيدُها

بكلِّ مقصّيٍّ ولكِّ صفيحةٍ تتابعَ بعدَ الحارشيِّ خدودُها

فأنعم أبيتَ اللَّعنَ إنّك أصبحتْ لديكَ لكيزٌ كَهلُها ووليدُها

وأطلقهُمُ تمشي النّساءُ خلالهُمْ مفكّكةً وسطَ الرِّحالِ قيودُها

وقال المثقب أيضاً، وهي مفضلية قرأتها على شيخي أبي محمد بن الخشاب:

أفاطمَ قبلَ بينكِ متّعيني ومنعُكِ كما سألْتُ كأنْ تبيني

فلا تعدي مواعدَ كاذباتٍ تمرُّ بها رياحُ الصّيفِ دوني

فإنّي لو تخالفُني شمالي لما أتبَعتُها أبداً يميني

لمَن ظعنٌ تطالِعُ منْ صبيبٍ فما خرجَتْ من الوادي لحينِ

مررْنَ على شرافِ فذاتِ رجلٍ ونكّبنَ الذّرانحَ باليمين

وهنَّ كذاكَ حينَ قطعنَ فلجاً كأنَّ حمولهُنَّ على سفينِ

يشَبَّهنَ السَّفينَ وهنَّ بُخْتٌ عراضاتُ الأباهرِ والشّؤونِ

وهنَّ على الرّجائز واكناتٌ قواتلُ كلِّ أشجعَ مستكينِ

كغزلانٍ خذَلنَ بذاتِ ضالٍ تنوشُ الدّانياتِ من الغضونِ

ظهرنَ بكلّةٍ وسدلنَ رقماً وثقّبنَ الوصاوصَ للعيونِ

أرينَ محاسناً وكننَّ أخرى من الدِّبياجِ والبشرِ المصونِ

ومن ذهبٍ يلوحُ على تريبٍ كلونِ العاجِ ليسَ بذي غضونِ

وهنَّ على الظّلامِ مطلّباتٌ طويلاتُ الّذوائبِ والقرونِ

بتهليةٍ أريشُ بها سهامي تبذُّ المرشقاتِ من القطينِ

علونَ رباوةً وهبطنَ غيباً فلمْ يرجعنَ قائلةً لحينِ

فقلتُ لبعضهنَّ وشدَّ رحلِي لهاجرَةٍ نصبتُ لها جبينِي

لعلَّكِ إنْ صرمَتِ الحبْلَ منّي كذاكَ أكونُ مصحِبَتي قرونـي

فسلِّ الهمَّ عنكَ بذاتِ لوثٍ عذافرَةٍ كمطرقةِ القيونِ

بصادقَةِ الوجيفِ كأنَّ هِرّاً يباريها ويأخُذُ بالوَضينِ

كسَاها تامكاً قِرداً عليها سوادِيُّ الرَّضيخِ من اللّجينِ

إذا قلقت شدَدتُ لها سنافاً أمامَ الزّور من قلقِ الوضينِ

كأنّ مواقعَ الثَّفناتِ منها معرَّسُ باكراتِ الوردِ جونِ

يجدُّ تنفُّسُ الصُّعداء منها قوى النّسعِ المحرَّم ذي المُتُونِ

تصكُّ الجانبينِ بمشفترٍ له صوتٌ أبحُّ منَ الرَّنينِ

كأنَّ نفيَّ ما تنفِي يداها قذافُ غريبةٍ بيدي معينِ

تشدُّ بدائمِ الخطرانِ جثلٍ خوايةَ فرجِ مقلاتٍ دهينِ

وتسمعُ للذّبابِ إذا تغنّى كتَغريدِ الحمامِ على الغصونِ

فألقيتُ الزّمامَ لها فنامَتْ لعادتِها منَ السّدَفِ المبينِ

كأن مناخها ملُقى لحام على معزائها وعلى الوجينِ

كأنَّ الكورَ والأنساعَ منها على قرواء ماهرةٍ دهينِ

يشقُّ الماءَ جؤجؤُها ويعلُو غواربَ كلِّ ذي حدبٍ بطينِ

غدتْ قوداءَ منشقّاً نساها تجاسرُ بالنّخاعِ وبالوتِينِ

إذا ما قمتُ أرحلُها بليلٍ تأوَّهُ آهةَ الرَّجلِ الحزينِ

تقولُ إذا درأتُ لها وضيني أهذا دينُهُ أبداً وديني

أكلَّ الدَّهرِ حلٌّ وارتحالٌ أما يبقي عليَّ ولا يقيني

فأبقى باطلي والجدُّ منها كدُكان الدّرابنة المطينِ

ثنيتُ زمامَها ووضعتُ رحلِي ونمرُقَةً رفدتُ بها يمينِي

فرحتُ بها تعارض مسبطرّاً على ضحضاحهِ وعلى المُتونِ

إلى عمرو ومن عمْرٍو أتتني أخي النّجداتِ والحلمِ الرَّصينِ
فأمّا أن تكونَ أخي بحقٍّ فأعرفَ منكَ غثّي من سميني
وإلاَّ فاطرحِني واتّخذني عدُوّاً أتّقيكَ وتتّقيني
وما أدري إذا وجّهت وجهاً أريدُ الخيرَ أيُّهُما يليني
أألخيرُ الّذي أنا أبتَغيهِ أم الشّرُّ الذي هو يبتغيني

وقال المثقب أيضاً: الرمل

لا تقولَنَّ إذا ما لم تردْ أنْ تتمَّ الوعدَ في شيءٍ نعمْ
حسنٌ قولُ نعمْ من بعدِ لا وقبحٌ قولُ لا بعدَ نعمْ
إنَّ لا بعدَ نعمْ فاحشَةٌ فبلا فابدأْ إذا خفتَ النّدمْ
فإذا قلتْ نعمْ فاصبر لها بنجاحِ الوعدِ إنّ الخلفَ ذمْ
واعلم أنَّ الذَّم نقصٌ للفتى ومتى لا يتقِ الذمَّ يذُمْ
أكرمُ الجارَ وأرعَى حقّه إنَّ عرفانَ الفتى الحقَّ كرمْ
لا تراني راتعاً في مجلِسٍ في لحُومِ النَّاسِ كالسَّبعِ الضَّرِمْ
إنَّ شرَّ النّاسِ من يكشرُ لي حينَ يلقاني وإنْ غبتُ شتمْ
وكلامٍ سيِّئٍ قد وقرَتْ أذني عنهُ وما بِي مِن صممْ
فتصبّرتُ امتعاضاً أنْ يرَى جاهلٌ أنِّي كما كانَ زعمْ
ولبعضُ الصَّفحِ والإعراضِ عنْ ذي الخنا أبقى وإنْ كان ظلمْ
إنَّما جادَ بشأسٍ خالدٌ بعدما حاقتْ به إحدى الظُلَمْ
من منايا يتخاسيْنَ بهِ يبتدرْنَ الشّخصَ من لحمٍ ودمْ
مترعُ الجفنةِ ربعِيُّ النَّدَى حسنٌ مجلِسُهُ غيرُ لطَمْ
يجعلُ الهنْءَ عطايا جمَّةً إنَّ بعضَ المالِ في العرضِ أمَمْ
لا يبالي طيِّبَ النَّفسِ بهِ تلفَ المالِ إذا العرْضُ سلِمْ

الحارث بن ظالم

وقال الحارث بن ظالم المرّي في قتل خالد بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة حين قتله وهرب، وهي مفضلية، وقرأتها على شيخي أبي محمد؟

نأتْ سلمَى و أمسَتْ في عدُوٍّ ... تحُتُّ إليهمُ القلُص الصعِّايا
وحلَّ النَّعفَ من قنَوين أهْلِي ... وحلَّت روضَ بيشةَ فالرَّبابا
وقطَّعَ وصلَها سيفِي وأنِّي ... فجعْتُ بخالدٍ عمْداً كلابا
وأنَّ الأحوصين تولَّياها ... وقد غضبا عليَّ فما أصابا
على عمْدٍ كسَوتُهُما قبُوحاً ... كما أكسُو نساءَهُمُ السِّلابا
وأنّي يومَ غمرةَ غيرَ فخرٍ ... تركتُ النَّهبَ والأسرَى الرّغابا
فلستُ بشاتمٍ أبداً قريشاً ... مصيباً رغمُ ذلكَ منْ أصابا
فما قومي بثعلبةَ بنِ سعدٍ ... ولا بفزارةَ الشُّعرَى رقابا

وقومِي إن سألتِ بنُو لؤَيٍّ ... بمكّةَ علَّمُوا النّاسَ الضِّرابا
سفِهنا باتّباعِ بني بغيضٍ ... وتركِ الأقربينَ بنا انتسابا
سفاهةَ فارطٍ لمّا تروَّى ... هراقَ الماءَ واتَّبَعَ السَّرابا
لعمرُكَ إنَّني لأحبُّ كعْباً ... وسامةَ إخوتِي حبِّي الشَّرابا
فما غطفانُ لي بأبٍ ولكنْ ... لؤيٌّ والدي قولاً صوابا
فلمّا أن رأيتُ بني لؤيٌّ ... عرفتُ الودَّ والنَّسبَ القُرابا
رفعتُ الرُّمحَ إذْ قالوا قريشٌ ... وشبَّهتُ الشَّمائلُ والقبابا
صحبتُ شظيَّةً منهمُ بنَجدٍ ... تكونُ لمنْ يحاربهُمْ عذابا
وحشَّ رواحةُ الجُمحيُّ رحلِي ... بناقتِهِ ولم ينظُرْ ثوابا
فيا للّهِ لمْ أكسِبْ أثاماً ... ولم أهتكْ لذي رحمٍ حجابا
أقامُوا للكتائبِ كلَّ يومٍ ... سيوفَ المشرفيَّةِ والحِرابا
فلو أنِّي أشاءُ لكنْتُ منهمْ ... وما سيَّرْتُ أتَّبِعُ السَّحابا
ولا قظْتُ الشّرّبةَ كلَّ يومٍ ... أعدِّي عن مياههمِ الذُّبابا

مياهاً ملحةً بمبيتِ سوءٍ تبيتُ سقابُهم صردَى سغابا
كأنَّ التّاجَ معقودٌ عليهمْ إذا وردتْ لقاحُهُمُ شِزابا

عامر الخصفي

وقال عامر الخصفيّ بن محارب يردّ على ابن الحمام، وهي مفضلية؟

من مبلغٌ سعدَ بن ذبيانَ مالكاً وسعدَ بن ذبيانَ الّذي قد تختَّما
فريقيْ بَنِي ذبيانَ إذ زاغَ رأيُهُمْ وإذ أطعمُوا صاباً علينا وشًبرُما
جنيتُمْ علينا الحربَ ثمَّ ضجعتُمُ إلى السِّلمِ لمّا أصبحَ الأمرُ مبْهما
فما إنْ شهدْنا خمرَكُمْ إذ شربْتُمُ على دهشٍ واللهِ شربَةَ أشْأما
وما إنْ جعلْنا غايتَيْكُمْ بهضبةٍ يظلُّ بها الغفرُ الرَّجيل مخطَّما
وما إن جعلنا بالمضيق رجالنا فقلنا ليرْمِ الخيلَ منْ كانَ أحزما
ويومٍ يودُّ المرءُ لو ماتَ قبلَهُ ربطنا له جأشاً وإنْ كانَ معْظَما
دَعونا بَني ذهلٍ إليهِ وقومَنا بني عامرٍ إذ لا ترَى الشَّمسُ منجَما
ويومَ زجيجٍ صبَّحتْ جمعَ طيِّئٍ عناجيجَ يحملنَ الوشيجَ المُقوَّما
نراوحُ بالقلعِ الأصمِّ رؤوسهم إذا القلعُ الرُّوميُّ عنها تثلَّما
وإنّا لنثنِي الخيلَ قبّاً شوازباً على الثَّغرِ يغشيها الكميَّ المكلَّما
ونضربُها حتَّى نحلِّلَ نفرَها وتخرُجَ ممّا تكرَهُ النّفسُ مقدَما
أثعلبَ لولا ما تدعَّونَ بينَنا من الحلفِ قد سدَّى بعقدٍ وألحما
لقدْ لقيتْ شولٌ بجنبَيْ بوانةٍ نصيّاً كأعرافِ الكوادنِ أسحما
فأبقتْ لنا آباؤهُم من تراثهمْ دعائمَ مجدٍ كانَ في النَّاس معلَما
ونرسِي إلى جرثومةٍ أدركتْ لنا حديثاً وعاديّاً من المجدِ خضرما
بني منْ بنى منهمْ بناءً فمكّنوا مكاناً لنا منهُ رفيعاً وسلّما
أولئكَ قومي إنْ يلُذْ ببيوتِهِمْ أخُو حدثٍ يوماً فلنْ يتهضَّما
وكم فيهمُ من سيِّدٍ ذي مهابَةٍ يهابُ إذا ما رائدُ الحربِ أضرَما

لنا العزَّةُ القعساءُ نختطمُ العدَى | بها ثمَّ نستعصي بها أن نخطَّما
همُ يطدُونَ الأرضَ لولاهمُ ارتمتْ | بمن فوقَها من ذي بيانٍ وأعجَما
وهم يدعمُونَ القومَ في كلِّ موطنٍ | بكلِّ خطيبٍ يتركُ القومُ كظَّما
نقومُ فلا يعيْا الكلامَ خطيبُنا | إذا الكربُ أنسَى الجبْسَ ما قدْ تعلّما
وكنّا نجوماً كلّما انقضَّ كوكبٌ | بدا أزهرٌ منهنَّ ليسَ بأقتَما
بدا زاهِرٌ منهنَّ تأوي نجومُهُ | إليهِ إذا مستْأسِدُ الشّرِّ أظلَما
ألا أيّها المستخبِرِي ما سألتني | بأيّامنا في الحربِ إلاَّ لتعلَما
فما يستطيعُ الناسَ عقداً نشدُّهُ | وننقضُهُ منهُمْ وإنْ كانَ مبرَما
يغنّي حصيْنٌ بالحجازِ بناتِهِ | وأعيا عليهِ الفخرُ إلاَّ تهكُّما
وإنَّا لنشفِي صورةَ التَّيسِ مثلَهُ | ونضربُه حتَّى نبُلَّ استَهُ دَما

معود الحكماء

وقال معاوية بن مالك بن جعفر بن كلاب، وهو معوّد الحكماء وهي مفضلية، قرأتها على ابن الخشّاب:

أجدَّ القلبُ منْ سلمَى اجتنابا | وأقصرَ بعدَ ما شابتْ وشابا
وشابَ لداتُهُ وعدَلْنَ عنهُ | كما أنضَيتَ من لبسٍ ثيابا
فإن تكُ نبلُها طاشَتْ ونبلِيْ | فقدْ نرَمي بها حقَباً صيابا
فتصطادُ الرِّجالَ إذا رمتْهمْ | وأصطادُ المخبّأةَ الكعابا
فإنَّ تكُ لا تصيدُ اليومَ شيئاً | وآبَ قنيصُها سلْماً وخابا
فإنَّ لها منازلَ خاوياتٍ | على نملَي وقفْتُ بها الرّكابا
من الأجزاعِ أسفلَ من نميْلٍ | كما رجّعتَ بالقلمِ الكتابا
كتابَ محبِّرٍ هاجٍ بصيرٍ | ينمِّقُهُ وحاذَرَ أنْ يعابا
وقفتُ بها القَلوصَ فلم تجبني | ولو أمسَى بها حيٌّ أجابا
وناجيةٍ بعثْتُ على سبيلٍ | كأنَّ على مغابنها ملابا
ذكرتُ بها الإيابَ ومنْ يسافرْ | كما سافرتُ يذّكرِ الإيابا

رأيتُ الصّدعَ من كعبٍ فأودَى ... وكانَ الصَّدعُ لا يعِدُ ارتئابا
فأمسى كعبُها كعْباً وكانتْ ... منَ الشَّنأنِ قد دعيتْ كعابا
حملتُ حمالةَ القُرَشيِّ عنْهمُ ... ولا ظُلماً أردتُ ولا اختلابا
أعوِّدُ مثلَها الحكماءَ بعدي ... إذا ما نائبُ الحَدَثانِ نابا
سبقتُ بها قدامةَ أو سُميراً ... ولو دعيا إلى مثْلٍ أجابا
وأكفِيها معاشِرَ قد أرتْهُمْ ... منَ الجَرباءِ فوقَهُمُ طِبابا
يهرُّ معاشِراً منِّي ومنهُمُ ... هريرَ النَّاب حاذرَتِ العصابا
سأحملُها ويعقلُها غنيٌّ ... وأورِثُ مجدَها أبَداً كلابا
فإنْ أحْصُرْ بها نفسي فإنّي ... أتيتُ بها غداتئذٍ صوابا
وكنتُ إذا العظيمَةُ أفظعتْهُمْ ... نهضْتُ ولا أدبُّ لها دبابا
بحمدِ اللهِ ثمَّ عطاءِ قومٍ ... يفكّونَ الغنائمَ الرِّقابا
إذا نزلَ السَّحابُ بأرضِ قومٍ ... رعيناهُ وإن كانوا غضابا
بكلِّ مقلّصٍ عبْلٍ شواهُ ... إذا وضعتْ أعنّتُهُنَّ ثابا
ودافعةِ الحزامِ بمرفقيْها ... كشاةِ الرَّملِ آنستِ الرِّكابا

جابر بن حني

وقال جابر بن حنيٍّ التّغلبي، وهي مفضلية، وقرأها على شيخي ابن الخشاب:

ألا يا لقومٍ للجديدِ المصرَّمِ ... وللحلمِ بعدَ الزلّةِ المتوهَّمِ
وللمرءِ يعتادُ الصَّبابةَ بعدما ... أتى دُونَها ما فرْطُ حولٍ مجرَّمِ
فيا دارَ سلمَى بالصَّريمةِ فاللّوَى ... إلى مدفعِ القيْقياءِ فالمتثلَّمِ
ظللتُ على عرفانِها ضيْفَ قفزةٍ ... لأقضِيَ منها حاجةَ المتلوِّمِ
أقامتْ بها بالصَّيْفِ ثمَّ تذكَّرتْ ... مصائرَها بينَ الجواءِ فعيهَمِ
تعوِّجُ رهباً في الزِّمامِ وتنثني ... إلى مُهذباتٍ في وشيجٍ مقوَّمِ
أنافتْ وزافَتْ في الزِّمامِ كأنَّها ... إلى غرْضِها أجْلادُ هرٍّ مؤوَّمِ

إذا زالَ رعنٌ عن يديْها ونحرِها ... بدا رأسُ رعنٍ واردٍ متقدِّمِ
وصدَّتْ عنِ الماءِ الرَّواءِ لجوفِها ... دويٌّ كدُفِّ القينةِ المُترنمٌ
تصعَّدُ في بطحاءِ عرقٍ كأنَّما ... ترقَّى إلى أعلى أريكٍ بسلَّمِ
لِتعلبَ أبكي إذْ أثارتْ رماحُها ... غوائلَ شرٍّ بينَها متثلِّمِ
وكانوا همُ البانينَ قبلَ اختلافِهمْ ... ومنْ لا يشدْ بنيانَهُ يتهدَّمِ
بحيٍّ ككوثلِّ السَّفينةِ أمرهُمْ ... إلى سلفٍ عادٍ إذا احتلَّ مرزمِ
أنفتُ لهمْ من عقْلِ قيْسٍ ومرثدٍ ... إذا وردُوا ماءً ورمحِ ابن مرثَمِ
ويوماً لدَى الحشّارِ من يلْوِ حقَّهُ ... يبزبزْ وينزعْ ثوبهُ ويظَلَّمِ
وفي كلِّ أسواقِ الحجازِ إتاوةٌ ... وفي كلِّ ما باع امرؤٌ مكْس درهمِ
ألا تستَحِي منّا ملوكٌ وتتّقي ... محارمَنَا لا يَبُؤ الدَّمُ بالدَّمِ
نعاطِي الملوكَ السِّلْمَ ما قصدوا بنا ... وليسَ علينا قتْلُهُمْ بمُحّرَّمِ
وكائنْ أزَرْنا الموتَ من ذي تحيَّةٍ ... إذا ما ازْدَرانا أو آسفَّ لمأثَمِ

وقدْ زعمتْ بهراءُ أنَّ رماحَنَا ... رماحُ نصارى لا تخوضُ إلى الدَّمِ
فيومَ الكلابِ قد أزالَتْ رماحُنا ... شُرحبيلَ إذ آلى أليَّةَ مقسمِ
ليستلبنَّ أدراعَنَا فأزالَهُ ... أبو حنشٍ عن ظهرِ شقّاءَ صلْدمِ
تناولَهُ بالرُّمْحِ ثمَّ ثنى بهِ ... فخرَّ صريعاً لليدَينِ وللفمِ
وكان معادينا تهرُّ كلابُهُ ... مخافَةَ جمعٍ ذِي زُهاءٍ عرمرَمِ
يرَى النّاسُ منّا جلدَ أسْودَ سالخٍ ... وفروةَ ضِرغامٍ من الأسْدِ ضيغَمِ

المرقش الأكبر

وقال المرقّش الأكبر، وهو عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة وقيل عوف وهو عم المرقش الأصغر عمّ طرفة، وهي مفضلية، وقرأهّا في جملة المفضليات على شيخي ابن الخشاب رحمه الله:

أمِنْ آلِ أسماءَ الطُّلولُ الدَّوارسُ ... تخطِّطُ فيها الطِّيرُ قفرٌ بسابسُ
ذكرتُ بها أسماءَ لو أنَّ وليَهَا ... قريبٌ ولكنْ حبستنِي الحوابِسُ

ومنزلِ ضنكٍ لا أريدُ مبيتَهُ كأنِي بهِ منْ شدَّةِ الرَّوعِ آنسُ

لتبصرَ عينِي أنْ رأتني مكانها وفي النَّفسِ إنْ خلَّى الطَّريقَ الكواديسُ

وجيفاً وإبساساً ونقْراً وهزَّةً إلى أن تكلَّ العيسُ والمرءُ حادسُ

ودويَّةٍ غبراءَ قدْ طالَ عهدُها تهالكُ فيها الوردُ والمرءُ ناعسِ

قطعتُ إلى معرُوفها منكراتها بعيهامةٍ تنسَلُّ واللّيلُ دامسُ

تركتُ بها ليلاً طويلاً ومنزلاً وموقدَ نارٍ لمْ ترمُهُ القوابِسُ

وتسمعُ تزقاءُ منَ البومِ حولنا كما ضربتْ بعدَ الهدوءِ النّواقيسُ

فيصبحُ باقي رحلِها حيثُ عرّستْ منَ اللّيلِ قد دبَّت عليه الرَّوامسُ

وتصبحُ كالدَّوداةِ ناطَ زمامُها إلى شُعبِ الجوارِي العوانسُ

ولمّا أضاءَ النّارَ عندَ شِوائنا عرانا عليها أطلَسُ اللَّونِ بائسُ

نبذْنا إليهِ حزَّةً منْ شِوائنا حياءً وما فحشِي على منْ أجالِسُ

فآضَ بها جذلانَ ينفضُ رأسَهُ كما آبَ بالنّهبِ الكمِيُّ المخالِسُ

وأعرضَ أعلامٌ كأنَّ رؤوسَها رُؤُسُ جبالٍ في خليجٍ تغامسُ

إذا علَمٌ خلَّفتهُ يهتدي به بدا علمٌ في الآلِ أغبَرُ طامسُ

تعاللتُها وليسَ طبِّي بدرِّها وكيفَ التماسُ الدّرِّ والضّرعُ يابسُ

بأسمرَ عالٍ صدرهُ منْ جلازهِ وسائرُهُ منَ العلاقةِ نائسُ

وقال أيضاً:

ألا بانَ جيراني ولستُ بعائفِ أدانَ بهمْ صرفُ النَّوَى أمْ مخالفي

وفي الحيِّ أبكارٌ سبينَ فؤادَهُ علالةُ ما زوَّدنَ والحبُّ شاعفي

دقاقُ الخصورِ لم تعفّرْ قُرونُها لشجوٍ ولم يحضرْنَ حمّى المزالفِ

نواعمُ أبكارٌ سرائرُ بدَّنٌ حسانُ الوجوهِ ليّناتُ السّوالفِ

يهدّلنَ في الآذانِ من كلِّ مذْهَبٍ لهُ ربدٌ يعيا به كلُّ واصفِ

إذا ظعنَ الحيُّ الجميعُ احتبستهمْ مكانَ النَّديمِ للنَّجيِّ المساعفِ

فصرنَ شقيّاً لا يبالينَ غيّه يعوّجْنَ من أعناقِها بالمواقفِ

نشرنَ حديثاً آنساً فوضعنَهُ   خفيضاً فلا يلغَى به كلُّ طائفِ
فلمّا تبنَّى الحيُّ جئنَ إليهمِ   فكانَ النّزولُ في حجورِ النّواصفِ
تنزَّلْنَ عن دومٍ تهفُّ متونُهُ   مزيَّنةٌ أكنافُها بالزَّخارِفِ
بودِّكَ ما قومي على أنْ هجرتُهُمْ   إذا أشجذَ الأقوامَ ريحُ أظائفِ
وكانَ الرِّقادُ كلَّ قدحٍ مقرَّمٍ   وعادَ الجميعُ نجعةً للزَّعانفِ
جديرونَ ألاَّ يحبسُوا مجتدِيهمِ   للحمٍ وألاّ يدرؤوا قدحَ رادِفِ
عظامُ الجفانِ بالعشيّاتِ والضُّحى   مشاييطُ للأبْدانِ غيرُ التَّوارفِ
إذا يسروا لم يورثِ اليسرُ بينهُمْ   فواحشُ ينعَى ذكرُها بالمصايفِ
فهلْ تبلغنِّي دارِ قوميَ جسرَةٌ   خنوفٌ علنديً جعلدٌ غيرُ شارفِ
سديسٌ عليها كبرةٌ أو بويزلٌ   جماليَّةٌ في سيرها كالتَّقاذُفِ

وقال المرقش الأكبر أيضاً: السريع

هل بالدِّيار أنْ تجيبَ صممْ   لو كان رسمٌ ناطقاً كلَّمْ
الدّارُ قفزٌ والرُّسومُ كما   رقشَ في ظهرِ الأديمْ قلمْ
ديارُ أسماءَ التي تبلَتْ   قلبِي فعينِي ماؤُها يسجَمْ
أضحَت خلاءً نبتُها ثئدٌ   نوَّرَ فيها زهرُهُ واعتمْ
بلْ هلْ شجتكَ الظعنُ باكرةً   كأنَّهنَّ النَّخلُ من ملهَمْ
النَّشْرُ مسكٌ والوُجُوهُ دَنا   نيرُ وأطرافُ الأكفِّ عنمْ
لم يشجُ قلبي ملْ حوادثِ إلا   اَّ صاحبِي المتروكُ في تغلمْ
ثعلبُ ضرّابُ القوانسِ بالسَّيْ   فِ وهادِي القومِ إذْ أظلَمْ
فاذهبْ فدىً لكَ ابنُ عمِّكَ لا   يخلُدُ إلاَّ شابةٌ وإرَمْ
لو كانَ حيٌّ ناجياً لنجا   من يومه المزلَّمُ الأعصَمْ
في باذخاتٍ من عمايةَ أو   يرفعُهُ دونَ السّماءِ خيمْ
من دونِه بيضُ الأنوقِ وفَو   قهُ طويلُ المنكبينِ أشمْ
يرقاهُ حيثُ شاءَ منهُ وإ   مّا تنسِه منيَّةٌ يهرمْ

فغالَهُ ريبُ الحوادِثِ حَ تْى زلَّ عن أريّادِهِ فحطِمْ

ليسَ على طولِ الحياةِ ندمْ ومن وراءِ المرءِ ما يعلمْ

يهلِكُ والدٌ ويخلفُ موْ لودٌ وكلُّ ذي أبٍ يتيمْ

والوالداتُ يستفدْنَ غنىً ثم على المقدارِ من تُعقَمْ

ما ذنبنا في أنْ غزا ملكٌ من آل جفنة حازمٌ مرغمْ

مقابلٌ بينَ العواتِكِ وال غلّفِ لا نكْسٌ ولا توأمْ

حارَبَ واستعوَى قراضِبَةٌ ليسَ لهمْ ممّا يحازُ نعمْ

بيضٌ مصاليتٌ وجوهُهُمُ ليستْ مياهُ بحارِهِمْ بعمَمْ

فانقضَّ مثلَ الصَّقرِ يتبَعُهُ جيشٌ كغلاّنِ الشّريفِ لِهَمْ

إنْ يغضبُوا يغضبْ لذاكَ كما ينسلُّ من خرشائهِ الأرقَمْ

فنحنُ أخوالكَ عمركَ وال خالُ لهُ معاظمٌ وحرَمْ

لسنا كأقوامٍ مطاعمهُمْ كسبُ الخَنا ونهكةُ المحرَمْ

إنْ يخصِبُوا يعيَوا بخصبْهِمِ أو يجدبُوا فهُمْ بها ألأمْ

عامَ ترى الطّيرَ دواخِلَ في بيوتِ قومٍ معهمْ ترتمْ

ويخرجُ الدّخانُ من خللِ ال سّترِ كلونِ الكودنِ الأصحَمْ

حتّى إذا ما الأرضُ زيّنَها النّبتُ وجنَّ روضُها وأكمْ

ذاقوا ندامةً فلو أكلُوا الخطبانَ لم يوجدْ لهُ علقمْ

لكنّنا قومٌ أهابَ بنا قومُنا عفافةٌ وكرمْ

أموالُنا نقي النُّفوسَ بها منْ كلِّ ما يدني إليهِ الذّمْ

لا يبعدِ اللهُ التّلبّبَ وال غاراتِ إذ قالَ الخميسُ نعمْ

والعدوَ بينَ المجلِسيْن إذا وليَّ العشيُّ وقدْ تنادَى العمْ

يأتي الشَّبابُ الأقورين ولا تغبطْ أخاكَ أنْ يقالَ حكمْ

المرقش الأصغر

وقال المرقش الأصغر، وهو أشعر من الأكبر، وأطول عمراً، وهو ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك، وهو عم طرفة:

أمنْ رسمِ دارٍ ماءُ عينيكَ يسفحُ غدا من مقامٍ أهلُهُ وتروّحوا
تزجِّي به خنسُ الظّباءِ سخالَها جآذرُها بالجوِّ وردٌ وأصبَحُ
أمن بنتَ عجلانَ الخيالُ المطرَّحُ ألمَّ ورحلي ساقطٌ متزحزحُ
فلمّا انتبهتُ للخيالِ فراعني إذا هو رحْلِي والبلادُ توضَّحُ
ولكنّهُ زورٌ يوقِّظُ نائماً ويحدثُ أشجاناً بقلبكَ تجرَحُ
بكلِّ مبيتٍ تعترينا ومنزلٍ فلو أنَّها إذْ تدلجُ اللّيلَ تصبحُ
فولّتْ وقدْ بثّتْ تباريحَ ما ترى ووجدي بها إذ تحدرُ الدَّمْعُ أبرَحُ
وما قهوةٌ صهبْاءُ كالمسكِ ريحُها تعلّى على النّاجودِ طوراً وتقدَحُ
ثوتْ في سباء الدّنّ عشرين حجّةً يطانُ عليها قرمدٌ وتروَّحُ
سباها رجالٌ من يهودَ تباعدُوا لجيلانَ يدْنيها إلى السّوقِ مربحُ
بأطيبَ من فيها إذا جئْتُ طارقاً منَ الليلِ بلْ فوها ألذُّ وأنصحُ
غدونا بضافٍ كالعسيبِ مجَلَّلٍ طويناهُ حيناً فهوَ شزْبٌ ملوّحُ
أسيلٌ نبيلٌ ليس فيهِ معابةٌ كميتٌ كلونِ الصّرفِ أرجلُ أقرحُ

على مثلهِ آتي النّديَّ مخايلاً وأغمزُ سرّاً أيُّ أمريَّ أربَحُ
ويسبقُ مطروداً ويلحقُ طارداً ويخرجُ من غمِّ المضيقِ ويجرحُ
تراهُ بشكّاتِ المدجِّجِ بعدما تقطّعُ أقرانُ المغيرَةِ تجمَحُ
شهدْتُ به في غارةٍ مسبطرَّةٍ يطاعنُ أولاها فئامٌ مصبّحُ
كما انتفجَتْ من الظّباء جدايةٌ أشمُّ إذا ذكّرتهُ الشّدَّ أفيحُ
يجمّ جمومَ الحسْي جاشَ مصيقهُ وجرّدهُ من تحتُ غيلٌ وأبطحُ

وقال أيضاً:

ألا يا اسلمِي لا صرمَ لي اليومَ فاطمِا ولا أبداً ما دامَ وصلُكِ دائما

رمتكَ ابنةَ البكريِّ عنْ فرعِ ضالةٍ ... وهنَّ بنا خوصٌ يخلنَ نعائما

تراءتْ لنا يومَ الرَّحيل بواردٍ ... وعذبِ الثّنايا لم يكنْ متراكما

سقاهُ حبيُّ المزْنِ في متهلّلٍ ... من الشّمسِ روّاه رباباً سواجما

أرتكَ بذاتِ الضَّالِ منها معاصماً ... ووجهاً أسيلاً كالوذيلةِ ناعما

صحا قلبُهُ منها على أنَّ ذكرَةً ... إذا خطرتْ دارَتْ به الأرضُ قائما

تبصَّرْ خليلي هل ترى من ظعائنٍ ... خرجنَ سِراعاً واقتعدنَ المفائما

تحمّلنَ من جوِّ الوريعةِ بعدما ... تعالى النّهارُ واجترعنَ الصّرائما

تحلّينَ ياقوتاً وشذْراً وصيغَةً ... وجزعاً ظفاريّاً ودرّا توائما

سلكنَ القرَى والجزعَ تحدَى جمالُهُمْ ... ووركّنَ قوّاً واجتزعنَ المخارما

ألا حبَّذا وجهٌ يُرينا بياضهُ ... ومنسدلاتٍ كالمثاني فواحما

وإنِّي لا ستحيي فطيْمة خائفاً ... خميصاً وأستحيي فطيمةَ طاعما

وإنِّي لأستحييكِ والخرقُ بيننَا ... مخافةَ أن تلقَى أخاً ليَ صارما

وإنّي وإنْ كلّت قلوصي لراجمٌ ... بها وبنفسي يا فطيمَ المراجما

ألا يا اسْلَمي بالكوكبَ الطّلْقِ فاطما ... وإنْ لم يكنْ صرفُ النّوَى متلائما

ألا يا اسلمي ثمَّ اعلمي أنَّ حاجتي ... إليكِ فردِّي من نوالكِ فاطما

متى ما يشأْ ذو الودِّ يصرمْ خليلَهُ ... ويعبدْ عليهِ لا محالةَ ظالما

وآلي جنابٌ حلفةً فأطعتهُ ... فنفسَكَ ولِّ اللَّومَ إنْ كنتَ لائما

فمن يلقَ خيراً يحمدِ النّاسُ أمرَهُ ... ومن يغوِ لا يعدمْ على الغيِّ لائما

ألَمْ ترَ أنَّ المرءَ يجذِمَ كفَّهُ ... ويجشَمُ منْ لوْمِ الصَّديقِ المجاشِما

أمنْ حلمٍ أصبحتَ تنكتُ واجِماً ... وقد تعترِي الأحلامُ منْ كانَ نائما

وقال أيضاً: مجزوء

لابنةِ عجلانَ بالجوِّ رسومْ ... لمْ يتعفَّيْنَ والعَهدُ قديمْ

لابنةِ عجلانَ إذْ نحنُ معاً ... وأيُّ حالٍ من الدَّهرِ تدُومْ

أضحتْ قِفاراً وقدْ كانَ بها ... في سالفِ الدَّهرِ أربابُ الهجومْ

بادوا وأصبحَتُ منْ بعدِهمْ أحسبُني خالداً ولا أريمْ

يا ابنةَ عجلانَ ما أصبرَنِي على خطُوبٍ كنحْبٍ بالقدومْ

كأنَّ فيها عقاراً قرقفاً نشَّ من الدَّنِّ فالكأسُ رذومْ

في كلِّ ممسىً لها مقطرَةٌ فيها كباءٌ معدٌّ وحميمْ

لا تصطلِي النّارَ باللّيلِ ولا توقظُ للزّادِ بلْهاءُ نؤومْ

أرَّقنِي اللّيْلَ برقٌ ناصبٌ ولمْ يعنِّي على ذاكَ حميمْ

من لخيالٍ تسدَّى موهناً أشعرنِي الهمَّ فالقلْبُ سقيمْ

وليلةٍ بتُّها مسهرَةٍ قدْ كرَّرتها علَى عينِي الهمومْ

لم أغتمضْ طولَها حتّى انقضتْ أكلؤُها بعدَ ما نامَ السَّليمْ

تبكي على الدَّهْرِ والدَّهرُ الذي أبكاكَ فالدَّمعُ كالشَّنِّ هزيمْ

فعمركَ اللّهَ هلْ تدرِي إذا لمتَ في حبِّها فيمَ تلومْ

تؤْذي صديقاً وتبدي ظنّةً تحرقُ منها وسهماً ما تشيم

كمْ منْ أخي ثروةٍ رأيْتُهُ حلَّ على مالِهِ دهرٌ غشومْ

ومن عزيزِ الحمَى ذي منعةٍ أضحى وقدْ أثّرَتْ فيهِ الكلومْ

بينا أخو نعمَةٍ إذْ ذهبتْ وتحوَّلَتْ شقوةٌ إلى نعيمْ

وبينما ظاعنٌ ذو شقّةٍ إذْ يحلُّ رحْلاً وخفَّ المقيمْ

أوس بن غلفاء

وقال أوس بن غلفاء الهجيميّ، يهجو يزيد بن الصّعق الكلابيّ:

جلبْنا الخيلَ من جنبَيْ أريكٍ إلى لجأٍ إلى ضلعِ الرِّخامِ

بكلِّ منفّقِ الجرذانِ مجرٍ شديدِ الأسرِ للأعداءِ حامِ

أصَبنا منْ أصبْنا ثمَّ فئنا إلى أهلِ الشّريفِ إلى شمامِ

وجدْنا منْ يقودُ يزيدُ منهمْ ضعافَ الأمرِ غيرَ ذوي نظامِ

فأجرِ يزيدُ مذْموماً أو انزعْ على علبٍ بأنفكَ كالخطامِ

كأنَّكَ عيرُ ساليَةٍ ضروطٍ كثير الجهلِ شتّامُ الكرامِ

فإنَّ النّاسَ قدْ علموكَ شيْخاً تهوّكُ بالنّواكَةِ كلَّ عامِ

وإنّكَ من هجاءِ بنِي تميمٍ كمزدادِ الغرامِ إلى الغرامِ

همُ منُّوا عليكَ فلمْ تثبْهُمْ فتيلاً غيرَ شتْمٍ أو خصامِ

وهمْ تركوكَ أسلحَ من حبارَى رأتْ صقراً وأشردَ من نعامِ

وهمْ ضربَوكَ ذاتَ الرّأسِ حتىً بدتْ أمُّ الدّماغ من العظامِ

إذا يأسونَها نشرتْ عليهمْ شرَنبثةُ الأصابعِ أمّ هامِ

فمنَّ عليكَ أنَّ الجلدَ وارَى غثيثتَها وإحرامُ الطّعامِ

وهمْ أدّوا عليكَ بنِي عداءٍ بأفوقَ ناصلٍ وبشرٍّ ذامِ

وحيّيْ جعفرٍ والحيَّ كعباً وحيَّ بني الوحيدِ بلا سوامِ

فإنّا لمْ يكنْ ضبّاءُ فينا ولا ثقفٌ ولا ابنُ أبي عصامِ

ولا فضحُ الفضوحِ ولا شييْمٌ ولا سلماكُمُ صمّي صمامِ

قتلْتُمْ جاركُمْ وقذفتُمُوه بأمّكمُ فما ذنبُ الغلامِ

ألا منْ مبلغِ الجرميِّ عنّي وخيرُ القولِ صادقةُ الكلامِ

فهلاَّ إذْ رأيتَ أبا معاذٍ وعلبةَ كنتَ فيها ذا انتقامِ

أراهُ مجامعَ الورِكينِ منها مكانَ السَّرجِ أثبتَ بالحزامِ

كثير بن عبد الرحمن

وهو حبي وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعيّ يمدح عبد الملك بن مروان:

خليليَّ إنْ أمُّ الحكيمِ تحمّلتْ وأخلتْ لخيماتِ العذيبْ ظلالَها

فلا تسقِياني من تهامةَ بعدَها بلالاً وإنْ صوبُ الرَّبيعِ أسالَها

وكنتمْ تزينونَ البلاطَ ففارقتْ عشيّةَ بنتُمْ زينها وجمالها

فقد أصبحَ الرّاضون إذ أنتمُ بها مسوسُ البلادِ يشتكونَ وبالها

فقد أصبحتْ شتّى تبثُّكَ ما بها ولا الأرضَ ما يشكو إليكَ احتلالها

إذا شاءَ أبكتْهُ منازلُ قد خلتْ لعزَّةَ يوماً أو مناسبُ قالَها

فهل يصبحنْ يا عزُّ من قد قتلته منَ الهمِّ خلواً نفسهُ لا هوىً لها

وما أنسَ ملْ أشياء لا أنسَ ردَّها غداةَ الشَّبا أجمالَهَا واحتمالَها

وقد لقَّنا في أوّلِ الدَّهرِ نعمةٌ فعشنا زماناً آمنينَ انفتالَها

كآلفةٍ إلفاً إذا صدَّ وجهَةً سوى وجههِ حنَّتْ لهُ فارعوى لها

فلستُ بناسيها ولستُ بتاركٍ إذا أعرضَ الأدمُ الجوازي سؤالها

أأدركُ من أمِّ الحكيِّمِ غبطَةً بها خبَّرتني الطّيرُ أم قد أنى لَها

أقولُ إذا ما الطّيرُ مرَّتْ سحيقةً لعلّك يوماً فانتظرْ أنْ تنالَها

فإنْ تكُ في مصرٍ بدارِ إقامةٍ مجاورةً في السّاكنينَ رمالَها

ستأتيكَ بالرُّكبان خوضٌ عوامدٌ يعارضنَ مبراةً شددْتُ حبالها

عليهنَّ معتمُّون قد وهبُوا لَها صحابتَهُمْ حتّى تجذَّ وصالَها

متى أخشىَ عدوَى الدّار بيني وبينها أصلْ بنواحِي النّاجياتِ حبالَها

على ظهرِ عاديٍّ تلوحُ متونُهُ إذا العيسُ عالتهُ اسبطرَّ فعالها

وحافيةٍ منكوبةٍ قدْ وقيتُها بنعلي ولم أعقدْ عليها قبالَها

لهنَّ منَ النَّعلِ الذي قدْ حذوْتُها منَ الحقِّ لو دافعتُها مثلُ ما لها

إذا هبطتْ وعثاً من الخطّ دافعتْ عليها رذايا قد كللْنَ كلالَها

إذا رحلَتْ منها قلوصٌ تبغمتْ تبغُمَ أمِّ الخشفِ تبغي غزالَها

تذكّرتُ أنَّ النَّفسَ لم تسلُ عنكُمُ ولم تقضِ منْ حبِّي أميَّةَ بالها

وأنّي بذي دورانَ تلقَى بكَ النّوى على بردى تظعانَها فاحتمالَها

أصاريمَ حلّتْ منهمُ سفْحَ راهطٍ فأكنافَ تبنى مرجها فتلالَها

كأنَّ القيانَ الغرَّ وسطَ بيوتِهمْ نعاجٌ بجوٍّ منْ رماحَ خلا لَها

لهمْ أنديات بالعشيِّ وبالضُّحَى بهاليلُ يرجُو الرّاغبونَ نوالَها

كأنّهمُ قصراً مصابيحُ راهبٍ بموزنَ روّى بالسّليط ذبالها

يجوسُونَ عرضَ العبقريَّةِ نحوَها | تمسُّ الحواشِي أو تلمَّ نعالَها
همُ أهلِ ألواحِ السَّرير ويمنَةٌ | قرابينُ أرادفاً لها وشمالها
يحيّون بهلولاً به ردَّ ربَّهُ | إلى عبد شمسٍ عزَّها وجمالَها
مسائحُ فوديْ رأسهِ مسبغلّةٌ | جرَى مسكُ دارينَ الأحمُّ خلالها
أحاطتْ يداهُ بالخلافةِ بعدَما | أرادَ رجالٌ آخرونَ اغتيالَها
فما تركُوها عنوةً عنْ مودَّةٍ | ولكنْ بحدِّ المشرفيّ استقالَها
هو المرءُ يجزي بالمودَّة أهلها | ويحذُو بنعلِ المستثيبِ قبالَها
بلوهُ فأعطوهُ المقادةَ بعدَما | أدبَّ البلادَ سهلَها وجبالها
مقانبَ خيلٍ لا تزالُ مطلَّةً | عليهمْ فملُّوا كلَّ يومٍ قتالَها
دوافعَ بالرَّوحاءِ طوراً وتارَةً | مخارمَ رضْوى مرجَها فرمالَها
يقيِّلْنَ بالبزواءِ والجيشُ واقفٌ | مزادَ الرَّوايا يصطببنَ فضالَها
وقدْ قابلتْ منها ثرىً مستثيلةً | مباضعَ في وجهِ الضُّحَى فثعالَها
يعاندنَ في الأرسانِ أجوازَ برزةٍ | عتاقَ المطايا مسنفاتٍ حبالَها
فغادرنَ عسبِ الوالقيّ وناصحٍ | تخصُّ به أمُّ الطَّريق عيالها
على كلِّ خنذيذِ الضُّحى متمطّرٍ | وخيفانةٍ قدْ هذَّبَ الجرْيُ آلَها
وخيلٍ بعاناتٍ فسنِّ سميرةٍ | لهُ لا يردُّ الذّائدونَ نهالَها
إذا قيلَ خيلُ الله يوماً ألا اركبي | رضيتُ بكفِّ الأردنيّ انسحالَها
إذا عرضتْ شهباءُ خطّارةُ القنا | تريكَ السّيوفَ هزَّها واستلالَها
رميتَ بأبناءِ الفقيميّةِ الوغَى | يؤمّونَ مشيَ المشبلاتِ ظلالها
كأنَّهمُ آسادُ حليةَ أصبحتْ | خوادرَ تحمِي الخلَّ ممّنْ دنا لَها
إذا أخذوا أدراعَهَم فتسربَلُوا | مقلّصَ مسرودَاتها ومذالَها
رأيتَ المنايا شارعاتٍ فلا تكنْ | لها سنناً نصباً وخلِّ مجالَها
وحربٍ إذا الأعداءُ أنشتْ حياضَها | وقلّبَ أمراسُ السّواني محالَها
وردتَ على فرّاطِهمْ فدهمتَهُمْ | بأخطارِ مَوتٍ يلتهمنَ سجالَها

وقاريةٍ أحواضَ مجدِكَ دونَها ... ذياداً يبيلُ الحاضِناتِ سِخالَها
وشهباءَ تردي السّلوقيّ فوقَها ... سَنا بارِقاتٍ تكرَهُ العينُ خالَها
قصدتَ لها حتَّى إذا ما لقيتَها ... ضربْتَ ببُصريِّ الصّفيحِ قذالَها
وكنتَ إذا نابتْكَ يوماً ملمَّةٌ ... نبلْتَ لها أبا الوليدِ نبالَها
سموتَ فأدركتَ العلاءَ وإنّما ... يلقّى عليّاتِ العلا من سَما لَها
وصلْتَ فنالتْ كفُّكَ المجدَ كلّهُ ... ولمْ تبلُغِ الأيدي السَّوامي مصالَها
على ابن أبي العاصي دلاصٌ حصينةٌ ... أجادَ المسدّي سردَها وأذالَها
يؤودُ ضعيفَ القومِ حملُ قتيرها ... ويستضلعُ الطّرفَ الأشمَّ انشلالَها
وسوداءَ مطراقٍ إلى آمن الصّفا ... أبيٍّ إذا الحاوي دنا فصدَا لَها
كففتَ يداً عنْها وأرضيتَ سمعَها ... من القولِ حتّى صدّقتهُ وعالَها
وأشعرتَها نفْثاً بليغاً فلو ترَى ... وقد جعلَتْ أنْ ترعيَ النَّفسَ بالَها
تسلَّلتُها من حيثُ أدركَها الرُّقى ... إلى الكفِّ لمَّا سالمَتْ وانسلالَها
وإنّي امرؤٌ قد كنتُ أحسنتُ مرّةً ... وللمرءِ آلاءٌ عليَّ استطالَها
فأقسمُ ما منْ خلّةٍ قدْ خبرتُها ... من النّاس إلاّ قدْ فضلتَ خلالَها
وما ظنّةٌ في جنبكَ اليومَ منهمُ ... أزنُّ بها إلا اضطلَعتَ احتمالَها
وكانوا ذوي نعمَى فقدْ حالَ دونَها ... ذوُو أنعُمٍ فيها مضى فاستحالَها
فلا تكفرُوا مروانَ آلاءَ فعلهِ ... بني عبدَ شمسٍ واشكرُوهُ فعالَها

أبوكمْ تلافَي قبَّةَ الملكِ بعدَما ... هوى سمكُها وغيَّر النّاسُ حالَها
إذا النَّاسُ سامُوها حياةً زهيدَةً ... هي القتلُ والقتلُ الذي لا شوى لَها
أبى اللهُ للشّمِّ الآلاءِ كأنَّهمْ ... سيوفٌ أجادَ القينُ يوماً صقالَها
فلله عيناً من رأى من عصابةٍ ... تناضلُ عن أحسابِ قومٍ نضالها
وإنَّ أميرَ المؤمنينَ هوَ الذي ... غزا كامناتِ النُّصحِ منّي فنالَها
وإنّي مدلٌّ أدَّعي أنَّ صحبةً ... وأسبابَ عهدٍ لم أقطّعْ وصالَها

فلا تجعلنِّي في الأمورِ كعصبَةٍ تبرّأتُ منها إذ رأيتُ ضلالَها

عدوٍّ ولا أحرَى صديقٍ ونصحُها ضعيفٌ وبثُّ الحقِّ لمّا بدا لها

تبلّجَ لمّا جئتُ وأخضرَّ عودُهُ وبلَّ وسيلاتِي إليهِ بلالَها

وقال كثير أيضاً، وحكى أنه قال: هي خير قصائدي:

ألا يا لقومٍ للنَّوى وانفتالها وللصرّمِ من أسماءَ ما لم تدالِها

على شيمةٍ ليست بجدٍّ طليقةٍ إلينا ولا مقلِيَّةٍ من شمالِها

هو الصَّفحُ منها خشيةً أن تلومها وأسبابُ صرمٍ لم تقعْ بقبالِها

ونحنُ على مثلٍ لأسماءَ لم نجزْ إليها ولم تقطعْ قديمَ خلالِها

وشوقِي إذا استيقنتُ أن قدْ تخيَّلتْ لبينِ نوى أسماءُ بعضَ اختيالِها

وأسماءُ لا مشنُوعةٌ بملامةٍ إلينا ولا معذورةٌ باعتلالِها

وإنّي على سقمِي بأسماءَ والّذي تراجعُ منِّي النِّفسُ بعدَ اندمالِها

لأرتاحُ من أسماءَ للذِّكرِ قدْ خلا وللرَّبعِ من أسماءَ بعدَ احتمالِها

وإنْ شحطتْ يوماً بكيتُ وإنْ دنَتْ تذلّلْتُ واستكثرتُها باعتزالِها

وأجمعُ هجراناً لأسماءَ إنْ دنتْ بها الدَّارُ لا من زهدةٍ في وصالِها

فما وصلَتنا خلّةٌ كوصالِها ولا ما حلتْنا خلَّةٌ كمحالِها

فهل تجزينْ أسماءُ أورقَ عودُها ودامَ الذي تثرَي به من جمالِها

حنيني إلى أسماءَ والخرقُ دونَها وإكرامِيَ القومَ العدَى منْ جلالِها

هل أنتَ مطيعِي أيُّها القلبُ عنوةً ولم تلحُ نفْساً لم تلَمْ في احتيالِها

فتجْعلَ أسماءَ الغداةَ كحاجَةٍ أجمَّتْ فلمّا أخلفتْ لمْ تبالِها

وتجهلَ من أسماءَ عهدَ صبابَةٍ وتحذُوَها من نعلِها بمثالِها

لعمرُ أبي أسماءَ مادام عهدُها على قولَها ذاتَ الزُّمَين وحالِها

وما صرمَتْ إذ لم تكنْ مستثيبَةً بعاقبةٍ حبلَ امرئٍ من حبالِها

فواعجباً من شوبها عذبَ مائِها بملحٍ وما قد غيَّرتْ من مقالِها

ومن نشرِها ما حمّلتْ من أمانةٍ ومن وأيِها بالوعدِ ثمَّ انتقالِها

وكنّا نراها باديَ الرَّأي خلَّةً صدُوقاً على ما أعطيتْ من دلالِها
وليلةِ شفَّانٍ يبلُّ ضريبُها بنا صفحاتِ العِيسِ تحتَ رحالِها
سريتُ ولولا حبُّ أسماءَ لم أبتْ تهزهزُ أثوابي فنونُ شمالِها

وقال كثير أيضاً:

ألا حيِّيا ليلى أجدَّ رحيلي وآذنَ أصْحابي غداً بقفُولِ
تبدَّت لهُ ليلى لتغْلِبَ صبرَهُ وهاجتكَ أمُّ الصَّلتِ بعدَ ذهولِ
أريد لأنسَى ذكرَها فكأنّما تمثّل لي ليلى بكلِّ سبيلِ
إذا ذكرتْ ليلى تغشّتكَ عبرَةٌ تعلُّ بها العينانِ بعدَ نهولِ
وكم من خليلٍ قال لي لو سألتَها فقلتُ نعم ليلى أضنُّ بخيلِ
وأبعدهُ نيلاً وأوشكُهُ قلىً وإنْ سئلتْ عرفاً فشرُّ مسولِ
حلفتُ بربِّ الرّاقصاتِ إلى منىً خلالَ الملا يمددنَ كلَّ جديلِ
تراها وِفاقاً بينهنَّ تفاوتٌ ويمددنَ بالإهلالِ كلَّ أصيلِ
تواهقْنَ بالحجّاج منْ بطنِ نخلةٍ ومن عزورٍ والخبتِ خبتِ طويلِ
بكلِّ حرامٍ خاشعٍ متوجِّهٍ إلى اللهِ يدعوهُ بكلِّ نقيلِ
على كلِّ مذعانِ الرّواحِ معيدَةٍ ومخشيّةٍ ألاّ تعيدَ هزيلِ
شوامذَ قدْ أرتجنَ دونَ أجنّةٍ وهوجٍ تبارَى في الأزمَّةِ حولِ
يمينَ امرئٍ مستغلظٍ بأليَّةٍ ليكذبَ قيلاً قدْ ألحَّ بقيلِ

لقد كذبَ الواشونَ ما بحتُ عندهمْ بليلى ولا أرسلتُهُمْ برسولِ
فإن جاءكِ الواشُون عنّي بكذبَةٍ فروها ولم يأتوا لها بحويلِ
فلا تعجلِي يا ليلَ أنْ تتفهَّمي بنصحٍ أتى الواشونَ أم بحبولِ
وإنْ طبتِ نفساً بالعطاءِ فأجز لي وخيرُ العطايا ليلَ كلُّ جزيلِ
وإلاَّ فإجمالٌ إليَّ فإنّني أحبُّ من الأخلاقِ كلَّ جميلِ
فإنْ تبذلي لي منك يوماً مودّةً فقدماً صنعتُ القرضَ عندَ بذولِ

وإنْ تبخلي يا ليلَ عنِّي فإنني توكّلني نفسي بكلِّ بخيلِ
ولستُ براضٍ من خليلي بنائلٍ قليلٍ ولا راضٍ لهُ بقليلِ
وليس خليلي بالملول ولا الّذي إذا غبتُ عنه باعني بخليلِ
ولكن خليلي منْ يدومُ وصالُهُ ويحفظُ سرِّي عندَ كلِّ دخيلِ
ولم أرّ من ليلى نوالاً أعدُّهُ ألا ربَّما طالبتَ غيرَ منيلِ
يلومكَ في ليلَى وعقلكَ عندَها رجالٌ ولم تذهبْ لهمْ بعقولِ
يقولون ودِّعْ عنكَ ليلَى ولا تهِمْ بقاطعةِ الأقرانِ ذات حليلِ
فما نقعتْ نفسِي بما أمروا بهِ ولا عجتُ من أقوالهِمُ بفتيلِ
تذكرتُ أتراباَ لعزَّةَ كالمَها حبينَ بليطٍ ناعمٍ وقبولِ
وكنتُ إذا لاقيتُهُنَّ كأنني مخالطةٌ عقلي سلافُ شمُولِ
تأطَّرنَ حتَّى قلتُ لسنَ بوارحاً رجاءَ الأماني أنْ يقلنَ مقيلِي
فلأياً بلأيٍ ما قضينَ لُبانةُ من الدّارِ واستقللنَ بعدَ طويلِ
فلمّا رأى واستيقنَ البينَ صاحبي دعا دعوةً يا حبتَرَ بنَ سلولِ
وقلتُ وأسررتُ النّدامةَ ليتني وكنتُ امرأً أغتشُّ كلَّ عذولِ
سلكتُ سبيلَ الرّائحاتِ عشيَّةً مخارمَ نصْعٍ أو سلكْنَ سبيلِي
فأسعدتُ نفساً بالهوَى قبل أنْ ترَى عوادِيَ نأيٍ بينَنا وشغُولِ
ندمتُ على ما فاتني يومَ بينِهمْ فوا حسرَتا ألاَّ يرينَ عويلِ
كأنَّ دموعَ العينِ واهيةُ الكُلَى وعتْ ماء غربٍ يومَ ذاكَ سجيلِ
تكنَّفَها خرقٌ تواكلنَ خرزَها فأرخينَهُ والسيَّرُ غيرُ بجيلِ
أقيمي فإنَّ الغورَ يا عزَّ بعدَكمْ إليَّ إذا ما بنتِ غيرُ جميلِ
كفَى حزناً للعينِ أنْ راءَ طرفُها لعزَّةَ عيراً آذنت برحيلِ
وقالوا نأتْ فاخترْ من الصبَّرِ والبُكا فقلتُ البُكا أشفَى إذن لغليلِي
فولَّيتُ محزوناً وقلتُ لصاحبي أقاتلتي ليلَى بغيرِ قتيلِ
لعزَّةَ إذ يحتلُّ بالخيفِ أهلُها فأوحشَ منها الخيفُ بعدَ حلولِ

وبدِّل منها بعدَ طولِ إقامةٍ تبعُّتَ نكباء العشِيِّ جفولِ
لقدْ أكثرَ الواشونَ فينا وفيكمُ ومالَ بنا الواشون كلَّ مميلِ
وما زلتُ في ليلَى لدُنْ طرَّ شاربي إلى اليومِ كالمقصَى بكلِّ سبيلِ

وقال كثير يمدح عزة وكان يحبها:

خليلَيَّ هذا ربعُ عزَّةَ فاعقلا قلوصَيْكما ثمَّ أبكيا حيثُ حلَّت
وما كنْتُ أدرِي قبلَ عزَّةَ ما البُكا ولا موجعاتِ القلبِ حتَّى تولَّت
وما أنصفَتْ أمّا النِّساءُ فبغّضتْ إلينا وأمّا بالنَّوالِ فضنَّت
فقدْ حلفَتْ جُهداً بما نحرتْ لهُ قريشُ غداةَ المأزمينَ وصلَّت
أناديك ما حجَّ الحجيجُ وكبَّرَتْ بفيفاء آلٍ رفقةٌ وأهلَّت
وكانتْ لقطعِ الحبلِ بيني وبينها كتاذرةٍ نذراً وفتْ فأحلَّت
فقلتُ لها يا عزَّ كلُّ مصيبةٍ إذا وطِّنتْ يوماً لها النَّفس ذلَّت
ولم يلقَ إنسانٌ من الحبِّ ميعةً تغمُّ ولا عمياءَ إلاَّ تجلَّت
فإنْ سألَ الواشُونَ فيمَ صرمتَها فقلْ نفسُ حرٍّ سُلِّيتْ فتَسلت
كأنِّي أنادِي صخرةً حينَ أعرضتْ منَ الصمِّ لو تمشِي بها العصمُ زلّتِ
صفوحٌ فما تلقاكَ إلاَّ بخيلَةً فمنْ ملَّ منها ذلكَ الوصلَ ملَّت
أباحتْ حمىً لم يرعَهُ النّاسُ قبلَها وحلَّتَ تلاعاً لم تكنْ قبلُ حلَّت

فليتَ قلوصي عندَ عزَّةَ قيّدتْ بحبلٍ ضعيفٍ عرَّ منها فضلّت
وغودرَ في الحيِّ المقيمينَ رحلُها وكانَ لها باغٍ سوايَ فبلَّت
وكنتُ كذي الظّلعِ لمّا تحاملتْ على ظلْعها بعدَ العثارِ استقلّت
أريدُ الثَّواءَ عندَها وأظُنّها إذا ما أطلنا عندَها المكثَ ملَّت
يكلّفها الخنزيرُ شتمي وما بها هوانِي ولكنْ للمليكِ استذلّت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ لعزَّةَ من أعراضنا ما استحلَّت
واللهِ ما قاربتُ إلاَّ تباعدَتْ بصرمٍ ولا أكثرتُ إلاَّ أقلَّت

ولي زفراتٌ لو يدمنَ قتلنني توالي التي تأتي المنى قد تولَّتِ
فإنْ تكنِ العتَبى فأهلاً ومرحباً وحقّتْ لها العتبى لدينا وقلّتِ
وإنْ تكنِ الأخرَى فإنَّ وراءَنا بلاداً إذا كلّفتُها العيسَ كلَّتِ
خليليَّ إنَّ الحاجبيَّةَ طلَّحتْ قلُوصيكُما وناقتِي قدْ أكلَّتِ
فلا يبعدنْ وصلٌ لعزَّةَ أصبحتْ بعاقبةٍ أسبابُهُ قدْ تولّتِ
أسيئي بنا أو أحسنِي لا ملومَةً لدينا ولا مقليّةً إنْ تقلّتِ
ولكنْ أنيلِي واذكُرِي من مودَّةٍ لنا خلَّةً كانت لديكُم فضلَّتِ
وإنِّي وإنْ صدَّتْ لمُثنٍ وصادقٌ عليها بما كانتْ لدينا أزلَّتِ
فما أنا بالدّاعي لعزَّةَ بالرَّدى ولا شامتٍ إنْ نعلُ عزَّةَ زلَّتِ
فلا يحسبِ الواشونَ أنَّ صابتِي بعزَّةَ كانتْ غمرةً فتجلَّتِ
فأصبحتُ قد أبللتُ من دنفٍ بها كما أدنفتْ هيماءُ ثمَّ استبلّتِ
فواللهِ ثمَّ اللهِ لا حلَّ بعدها ولا قبلها من خلَّةٍ حيثُ حلَّتِ
وما مرَّ منْ يومٍ عليَّ كيومها وإنْ عظمتْ أيامُ أخرى وجلَّتِ
وحلَّتْ بأعلَى شاهقٍ من فؤادهِ فلا القلبُ يسلاها ولا النَّفسُ ملَّتِ
فوا عجباً للقلبِ كيفَ اعترافُهُ وللنّفسِ لمّا وطّنت فاطمأنّتِ
وإني وتهيامي بعزَّةَ بعدما تخلّيتُ ممّا بيننا وتخلَّتِ
لكالمرتجي ظلَّ الغمامةِ كلَّما تبوّأ منها للمقيل اضمحلّتِ
كأنّي وإيّاها سحابةُ ممحلٍ رجاها فلمّا جاوزتهُ استهلَّتِ

وقال كثير يمدح بشر بن مروان، وأمه قطية بنت بشر بن عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب:

ألَمْ تربعْ فتخبرُكَ الطُّلولُ ببينةَ رسمُها رسمٌ محيلُ
تحمَّلَ أهلُها وجرى عليها رياحُ الصَّيفِ والسَّربُ الهطولُ
تحنُّ بها الدَّبورُ إذا أربَّتْ كما حنَّتْ مولَّهةٌ عجولُ
تعلَّقَ ناشئاً من حبِّ سلمى هوىً سكنَ الفؤادَ فما يزولُ
سبتني إذْ شبابي لمْ يعقّبْ وإذ لا يستبلُّ لها قتيلُ

فلم يملَلْ مودَّتها غلاماً وقد ينسى ويطّرفُ الملولُ

فأدركَكَ المشيبُ على هواها فلا شيبٌ نهاكَ ولا ذهولُ

تصيدُ ولا تصادُ ومن أصابتْ فلا قوداً وليسَ به حميلُ

هجانُ اللّونِ واضحةُ المحيّا قطيعُ الصّوتِ آنسةٌ كسولُ

وتبسِمُ عن أغرَّ لهُ غروبٌ فراتِ الرِّيقِ ليسَ بهِ فلولُ

كأنَّ صبيبَ غاديةٍ بلصبٍ تشجُّ بهِ شآميةٌ شمولُ

على فيها إذا الجوزاءُ كانتْ محلّقةً وأردفَها رعيلُ

فدعْ ليلَى فقدْ بخلَتْ وصدَّتْ وصدَّعَ بينَ شعبينا الشّكولُ

وأحكِمْ كلَّ قافيةٍ جديدٍ تخبِّرُها غرائبَ ما تقولُ

لأبيضَ ماجدٍ تهدِي ثناءً إليهِ والثَّناءُ له قليلُ

أبي مروانَ لا تعدِلْ سواهُ به أحداً وأينَ بهِ عديلُ

بطاحيٌّ له نسبٌ مصفَّى وأخلاقٌ لها عرضٌ وطولُ

فقدْ طلبَ المكارمَ فاحتواها أغرُّ كأنَّهُ سيفٌ صقيلُ

تجنَّبَ كلَّ فاحشةٍ وعيبٍ وصافي الحمدَ فهوَ لهُ خليلُ

إذا السّبعونَ لم تسكتْ وليداً وأصبحَ في مباركها الفحولُ

وكانَ القطرُ أجلاباً وصرّاً تهبُّ به شآميةٌ بليلُ

فإنَّ بكفِّهِ ما دامَ حيّاً من المعروفِ أوديةٌ تسيلُ

تقولُ حليلتي لمّا رأتني أرقتُ وضافني همٌّ دخيلُ

كأنَّك قدْ بدا لكَ بعدَ مكثٍ وطولِ إقامةٍ فينا رحيلُ

فقلتُ أجلَ فبعضَ اللّومِ إنّي قديماً لا يلائمني العذولُ

وأبيضَ ينعسُ السِّرحانُ فيهِ كأنَّ بياضهُ ريطٌ غسيلُ

خدتْ فيهِ برحلِي ذاتُ لوثٍ منَ العيديّ ناجيةٌ ذمولُ

سلوكٌ حينَ تشتبهُ الفيافِي ويخطِئُ قصدَ وجهتِهِ الدَّليلُ

إذا فضلَتْ معاقدُ نسعتيْها وأصبحَ ضفرُها قلقاً يجولُ

على قرواءَ قد ضمرتْ ففيها ولم تبلغْ سليقتَها ذبولُ

طوتْ طيَّ الرِّداءِ الخرقَ حتَّى تقاربَ بعدَهُ سرحٌ نصولُ

منَ الكتُمِ الحوافظِ لا سقوطٌ إذا سقطَ المطِيُّ ولا سؤولُ

تكادُ تطيرُ إفراطاً وسغباً إذا زجرَتْ ومدَّ لها الجدِيلُ

إلى القرمِ الّذي فاتتْ يداهُ بفعلِ الخيرِ بسطةَ منْ ينبلُ

إذا ما غاليَ الحمدِ اشتراهُ فما إنْ يستقلُّ ولا يقيلُ

أمينُ الصدّرِ يحفظُ ما تولّى كما يلفى القويُّ به النَّبيلُ

نقيٌّ طاهرُ الأثوابِ برٌّ لكلِّ الخيرِ مصطنعٌ محيلُ

أبا مروانَ أنتَ فتى قريشٍ وكهلُهُمُ إذا عدَّ الكهولُ

تولّيه العشيرةُ ما عناها فلا ضيقُ الذّراعِ ولا بخيلُ

إليكَ تشيرُ أيديهمُ إذا ما رضُوا أو غالهُمْ أمرٌ جليلُ

كلا يوميهِ بالمعروفِ طلقٌ وكلُّ فعالهِ حسنٌ جميلُ

جوادٌ سابقٌ في اليسرِ بحرٌ وفي العلاَّتِ وهّابٌ بذولُ

تأنَّسَ بالنّباتِ إذا أتاها لرؤيةِ وجههِ الأرضُ المحولُ

لبهجةِ واضحٍ سهلٍ عليهِ إذا رئيَ المهابةُ والقبولُ

لأهلِ الودّ والقربى عليهِ صنائعُ بثّها برٌّ وصولُ

أيادٍ قد عرفنَ مظاهراتٍ له فيها التّطاولُ والفضولُ

وعفوٌ عن مسيئهمِ وصفحٌ يعودُ به إذا غلقَ الحجولُ

إذا هوَ لم تذكّرهُ نهاهُ وقارَ الدّين والرّأيُ الأصيلُ

وللفقراءِ عائدةٌ ورحمٌ ولا يقصَى الفقيرُ ولا يعيلُ

جنابٌ واسعُ الأكنافِ سهلٌ وظلٌ في منادحهِ ظليلُ

وكمْ من غارمٍ فرَّجتَ عنهُ مغارمَ كلُّ محملَها ثقيلُ

وذي لددٍ أريتَ الشّدّ حتّى تبيّنَ واستبانَ لهُ السّبيلُ

وأمرٍ قد فرقتَ اللّبسَ منهُ بحلمٍ لا يجورُ ولا يميلُ
نمى بكَ في الذّؤابَةِ في قريشٍ بناءُ العزِّ والمجدُ الأثيلُ
أرومٌ ثابتٌ يهتزٌّ فيهِ بأكرَمِ منبتٍ فرعٌ أصيلُ

وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعيّ ومات سنة خمس ومائة يوم مات عكرمة مولى ابن عباس، وصلّي عليهما بعد الظهر:

لعزّةَ من أيّامِ ذي الغصن هاجنِي بضاحي قرارِ الرّوضتينِ رسومُ
فروضةُ ألجامٍ تهيجُ لي البُكا وروضاتُ شوطي عهدهنَّ قديمُ
هي الدّارُ وحشاً غيرَ أنْ قدْ يحلّها ويغنى بها شخصٌ عليَّ كريمُ
فما برباعِ الدّارِ أنْ كنتُ عالماً ولا بمحلِّ الغانياتِ أهيمُ
سألتُ حكيماً أينَ صارتْ بها النَّوى فخبَّرني ما لا أحبُّ حكيمُ
أجدُّوا فأمَّا آلُ عزَّةَ غدوةً فبانوا وأمّا واسطٌ فمُقيمُ
فما للنّوى لا باركَ اللهُ في النَّوى وعهدُ النَّوى عندَ المحبِّ ذميمُ
لعمرِي لئنْ كانَ الفؤادُ من الهوَى بغَى سقماً إنّي إذاً لسقيمُ
فإمَّا تريني اليومَ أبدي جلادةً وإنّي لعمري تحتَ ذاكَ كليمُ
وما ظعنتْ طوعاً ولكن أزالها زمانٌ بنا بالصّالحينَ مشومُ
فوا حزناً لمّا تفرَّقَ واسطٌ وأهلُ التي أهذي بها وأحُومُ
وقالَ ليَ البلاَّغُ ويحكَ إنَّها بغيركَ حقّاً يا كثيرُ تهيمُ
أتشخصُ والشَّخصُ الذي أنتَ عادلٌ به الخلدَ بينَ العائداتِ سقيمُ
يذكّرنيها كلُّ ريحٍ مريضةٍ لها بالتِّلاعِ القاوياتِ نسيمُ
تمرُّ السِّنونَ الماضياتُ ولا أرى بصحنِ الشَّبا أطلالهُنَّ تريمُ

ولستُ ابنةَ الضّمريّ منك بناقمٍ ذنوبَ العدى إنّي إذن لظلومُ
وإنِّي لذُو وجدٍ لئنْ عادَ وصلُها وإنِّي على ربّي إذنْ لكريمُ
إذا برقتْ نحو البُويبِ سحابَةٌ لعينيكَ منها لا تجفُّ سجُومُ

ولستُ براءٍ نحو مصرَ سحابةً وإن بعدَتِ إلاَّ قعدتُّ أشيمُ
فقدْ يوجدُ النّكسُ الدّنيُّ عنِ الهوَى عزُوماً ويصبُو المرءُ وهوَ كريمُ
وقالَ خليلي ما لها إذ لقيتها غداةَ الشَّبا فيها عليكَ وجومُ
فقلتُ لهُ إنَّ المودَّةَ بيننا على غيرَ فحشٍ والصّفاءُ قديمُ
وإنِّي وإنْ أعرضتُ عنها تجلُّداً على العهدِ فيما بيننا لمقيمُ
وإنَّ زماناً فرّقَ الدَّهرُ بيننا وبينكُمُ في صرفهِ لمشُومُ
أفي الدِّينِ هذا إنَّ قلبَكِ سالمٌ صحيحٌ وقلبي من هواكِ سقيمُ
وإنَّ بخوفي منكِ داءً مخامراً وخوفُكِ ممّا بي عليكِ سليمُ
لعمُركِ ما أنصفتني في مودَّتي ولكنّني يا عزَّ عنكِ حليمُ
عليَّ دماءُ البدنِ إنْ كانَ حبُّها على النّأي أو طولُ الزَّمانِ يريمُ
وأقسمُ ما استبدلتُ بعدكِ خلَّةً ولا لكِ عندي في الفؤادِ قسيمُ

وقال كثير يمدح يزيد بن عبد الملك:

لعزّةَ أطلالٌ أبتْ أنْ تكلَّما تهيجُ مغانيها الطَّروبَ المتيّما
كأنَّ الرّياحَ الذّارياتِ عشيَّةً بأطلالِها ينسُجنَ ريطاً مسَهَّما
أبتْ وأبَى وجدِي بعزَّةَ إذْ نأتْ على عدواءِ الدّارِ أنْ تيصرَّما
ولكنْ سقَى صوبُ الرَّبيعِ إذا أتى على قلهيَّ الدّارِ والمتَخيَّما
بغادٍ منَ الوسمِيِّ لمّا تصوَّبتْ عثانينُ واديهِ على القعرِ ديَّما
سقَى الكُدْرَ فاللّعباءَ فالبُرقَ فالحمىَ فلوذَ الحصى منْ تغلمينِ فأظلما
فأروَى جنُوب الدّونكين فضاجعٍ فدرٍّ فأبلَى صادقَ الودقِ أسحما
تثجُّ رواياه إذا الرَّعدُ زجَّها بشابةَ فالقهبِ المزادَ المحذلما
فأصبحَ منْ يرعَى الحمَى وجنوبَهُ بذِي أفقٍ مكّاؤهُ قد ترنَّما
ديارٌ عفتْ من عزَّةَ الصَّيفَ بعدما تجدُّ عليهنَّ الوشيعَ المنمنما
فإنْ أنجدتْ كان الهوى بكَ منجداً وإنْ أتهمتْ يوماً بها الدّارُ أتْهما
أجدَّ الصِّبا واللّهو أنْ يتصرَّما وأن يعقباكَ الشَّيبَ والحلمَ منهُما

لبستُ الصبّا واللهوَ حتّى إذا انقضى جديدُ الصبّا واللّهوِ أعرضتُ عنهُما

خليليَّ كانا صاحبيكَ فودَّعا فخذْ منهما ما نوّلاكَ ودَعهُما

على إنَّ في قلبي لعزَّةَ وقرَةً منَ الحبِّ ما تزدادُ إلاَّ تيمُّما

يطالبُها مستَيقِناً لا تثيبُهُ ولكنْ يسلِّي النَّفسَ كي لا يلوَّما

يهابُ الّذي لم يؤتَ حلماً كلامَهَا وإنْ كانَ ذا حلمٍ لديها تحلّما

تروكٌ لسقطِ القولِ لا يهتدي بهِ ولا هيَ تستوشِي الحديثَ المكتَّما

ويحسَبُ نسوانٌ لهنَّ وسيلةً من الحبِّ لا بلْ حبُّها كانَ أقدَما

وعلّقتُها وسطَ الجواري غريرةً وما قلّدتْ إلاّ التَّميمَ المُنظّما

عيوفُ القذَى تأبَى فلا تعرفُ الخنَا وترمِي بعينيها إلى منْ تكرَّما

إلى أنْ دعتْ بالدِّرعِ قبلَ لداتها وعادتْ تُرى منهنَّ أبهَى وأفخَما

وغالَ فضولَ الدّرعِ ذي العرضِ خلقُها وأتعبَتِ الحجلَينِ حتّى تقصمّا

وكظّتْ سوارَيها فلا يألوانها لدنْ جاورا الكفّينِ أنْ يتقدَّما

وتدْنِي على المتنينِ وحفاً كأنَّه عناقيدُ كرمٍ قد تدلّى فأنْعما

منَ الهيفِ لا تخزَى إذا الرِّيحُ الصقتْ على متنها ذا الطُّرّتين المنمنما

وكنتُ إذا ما جئتُها بعدَ هجرةٍ تقاصرَ يومئذٍ نهارِي وأغْيما

فأقسمتُ لا أنسَى لعزَّةَ نظرةً لها كدتُ أبدي الوجدَ منّي المجمجما

عشيّةَ أومَتْ والعيونُ حواضرٌ إليَّ برجعِ الكفِّ أنْ لا تكلّما

فأعرضتُ عنها والفؤادُ كأنَّما يرى لو تناديه بذلكَ مغنما

فإنَّك عمرِي هلْ أريكِ ظعائناً بصحْنِ الشَّبا كالدَّومِ من بطنِ تريما

نظرتُ إليها وهيَ تنضُو وتكتسَي من القفرِ آلاً كلَّما زالَ أقتَما

وقد جعلتْ أشجانَ برك يمينها وذاتَ الشِّمالِ منْ مريخةَ أشأما

مولّيةً أيسارَها قطنَ الحمى تواعدْنَ شرباً منْ حمامةَ معلما

نظرْتُ إليها وهي تحدْى عشيّةً فأتبعتهُمْ طرفيَّ حتىً تتمّما

تروعُ بأكنافِ الأفاهيدِ عيرُها   نعاماً وحقْباً بالفدافدِ صيَّما
ظعائنُ يشفينَ السَّقيمَ منَ الجوَى   بهِ ويخبّلْنَ الصَّحيحَ المسلَّما
يهنَّ المنقىً عندهنَّ عنْ القذَى   ويكرِ من ذا القاذورةِ المتكرِّما
وكنتُ إذا ما جئتُ أجللنَ مجلسِي   وأظهرنَ منّي هيبةً لا تجهُّما
يحاذِرنَ منِّي غيرَةً قدْ علمنَها   قديماً فما يضحكنَ إلا تبسّما
يكلّلن حدَّ الطَّرفِ عن ذي مهابةٍ   أبانَ أولاتِ الدَّلِّ لمّا توسَّما
تراهنَّ إلاَّ أنْ يؤدِّينَ نظرَةً   بمؤخرِ عينٍ أو يقلّبنَ معصما
كواظمَ لا ينطِقنَ إلاَّ محورةً   رجيعةَ قولٍ بعدَ أنْ يتفهَّما
وكنَّ إذا ما قلنَ شيئاً يسرُّهُ   أسرَّ الرِّضا في نفسه وتجرَّما
فأقصرَ عنْ ذاكَ الهوَى غيرَ أنَّه   إذا ذكرتْ أسماءُ عاجَ مسلّما

وقال كثير:

عفتْ غيقةٌ من أهلِها فحريمها   فبرقةُ حسمَي قاعُها فصريمُها
وهاجتْكَ أطلالٌ لعزَّةَ باللِّوى   يلوحُ بأطرافِ البراقِ رسومُها
إلى المئبرِ الدّاني من الرَّملِ ذي الغضا   تراها وقد أقوتْ حديثاً قديمُها
وكانَ خليلي يومَ رُحنْا وفتّحتْ   من الصَّدرِ أشراجٌ وفضَّتْ ختومُها
أصابتْكَ نبلُ الحاجبيَّةِ إنَّها   إذا ما رمتْ لا يستبلُّ كليمُها
كأنَّك مردُوعٌ منَ الشَّمسِ مطرَدٌ   يقارفهُ من عقدةِ البقعِ هيمُها
أخو حيَّةٍ عطشَى بأرضٍ ظميَّةٍ   تجلَّلَ غشياً بعدَ غشيٍ سليمُها
إذا شحطتِ يوماً بعزَّةَ دارُها   عنْ الحيّ صفقاً فاستمرَّ مريرُها
فإنْ يمسِ قدْ شطَّت بعزَّةَ دارُها   ولمْ يستقمْ والعهدُ منها زعيمُها
فقدْ غادرَتْ في القلبِ منِّي زمانةً   وللعينِ عبراتٌ سريعاً سجومُها
فذوقي بما جشَّمتِ عيناً مشومةً   قذاها وقد يأتي على العينِ شومُها
فلا تجزعِي لمّا نأتْ وتزحزحَتْ   بعزَّة دوراتُ النَّوَى ورجُومُها

ولِي منْكِ أيّامٌ إذا شحطُ النَّوَى طوالٌ وليلاتٌ تزولُ نجومُها
قضى كلُّ ذي دينٍ فوفَّى غريمَهُ وعزَّةُ ممطولٌ معنًّى غريمُها
إذا سمتُ نفسي هجرَها واجتنابَها رأتْ غمراتِ الموتِ فيما أسُومُها
إذا بنتِ بانَ العُرفُ إلاَّ أقلَّهُ منَ النَّاسِ واستعلى الحياةَ ذميمُها
وتخلِقُ أثوابَ الصِّبا وتنكَّرَتْ نواحٍ من المعروفِ كانتْ تقيمُها
فهل تجزينِّي عزَّةُ القرضَ بالهوى ثواباً لنفسٍ قد أصيبَ صميمُها
بأنّي لم تبلغْ لها ذا قرابةٍ أذاتي ولم أقررْ لواشٍ يذيمُها
متى ما تنالا بي الأولى يقصبُونها إليَّ ولا يشْتَمْ لديَّ حميمُها
وقدْ علمتْ بالغيبِ أنْ لن أودَّها إذا هي لم يكرَمْ عليَّ كريمها
فإنْ وصلتْنا أمُّ عمروٍ فإنَّنا سنقبَلُ منها الودَّ أو لا نَلومُها
فلا تزجُرِ الغاوينَ عنْ تبعَ الصِّبا وأنتَ غويُّ النَّفسِ قدْماً سقيمُها
بعزَّةَ متبولٌ إذا هي فارقتْ معنىً بأسبابِ الهوى ما يريمُها
ولمَّا رأيتُ النَّفسَ نفساً مصابةً تداعَى عليها بثُّها وهمومُها
عزمتُ عليها أمرهَا فصرَمْتُهُ وخيرُ بديعاتِ الأمورِ عزيمُها
وما جابَهُ المدرَى خذولٌ خلالَها أراكٌ بذي الرّيان دانٍ صريمها
بأحسنَ منها سنّةً ومقلّداً إذا ما بدتْ لبّاتُها ونظيمُها

وتفرُقُ بالمدرَى أثيثاً نباتُهُ كجنَّةِ غربيبٍ تدلَّتْ كرومُها
إذا ضحكتْ لم تنتهزْ وتبسّمتْ ثنايا لها كالمزْنِ غرٌّ ظلومُها
كأنَّ على أنيابها بعدَ رقدَةٍ إذا انتبهتْ وهناً لمنْ يستنيمُها
مجاجةُ نحلٍ في أباريق صفقةٍ بصهباءَ يجريَ في العظامِ هميمُها
ركودُ الحميّا وردةُ اللّونِ شابَها بماءِ الغوادي غيرَ رنقٍ مديمُها
فإنْ تصدُفي يا عزَّ عنِّي وتصرمِي ولا تقبلِي منّي خلالاً أسُومُها
فقدْ أقطعُ الموماةَ يستنُّ آلُها بها جيفُ الحسرَى يلوحُ هشيمُها

على ظهرِ حرجوجٍ يقطّع بالفتى　　نعافَ الفيافي سبتُها ورسِيمها

وقدْ أزجرُ العوجاءَ أنقبَ خُفٌّها　　مناسِمُها لا يستبلُّ رثيمُها

وقد غيبتْ سمراً كأنَّ حروفَها　　مواثمُ مرضاخٍ يطيرُ جريمُها

وليلةِ إيجافٍ بأرضِ مخوفةٍ　　تقتني بجوناتِ الظّلامِ جهومُها

فبتُّ أساري ليلَها وضريبَها　　على ظهرِ حرجوجٍ نبيلٍ حزيمُها

تواهقُ أطلاحاً كأنَّ عيونَها　　وقيعٌ تعادتْ عن نطافٍ هزُومِها

أضَرَّ بها الإدلاجُ حتّى كأنَّها　　من الأينِ خرصانٌ نحاها مقيمُها

تنازعُ أشرافَ الإكامِ مطيّتي　　من اللّيلِ سيجاناً شديداً فحومُها

بمشرفةِ الأجداثِ خاشعة الصّوَى　　تداعَى إذا أمسَتْ صداها وبومُها

إذا استقبلتْها الرّيحُ حالَ رغامُها　　وحالفَ جولانَ السَّرابِ أرُومُها

يمشّي بحزّانِ الإكامِ والرُّبا　　كمستكبرٍ ذي موزجينِ ظليمُها

رأيتُ بها العوجَ اللَّهاميمَ تغتلي　　وقدْ صقلتْ صقلاً وتلّتْ جسومُها

تراكلُ الأكوارِ في كلّ صيهَبٍ　　منَ الحرِّ أثباجاً قليلاً لحومُها

ولو تسألينَ الرَّكبَ في كلِّ سربخٍ　　إذا العيسُ لم ينبسْ بليلٍ بغومُها

من الحجرة القصوَى وراءَ رحالِها　　إذا الأسدُ بالأكوارِ طافَ رزومُها

وجرَّبتُ إخوانَ الصَّفاءِ فمنهُمُ　　حيمدُ الوصالِ عندنا وذميمُها

وأعلمُ أنّي لن أسربلَ جنّةً　　منَ الموتِ معقوداً عليَّ تميمُها

ومن يبتدع ما ليسَ من سوسِ نفسهِ　　يدعهُ ويغلبهُ على النَّفسِ خيمُها

وقال كثير أيضاً:

أشاقكَ برقٌ آخرَ اللّيلَ واصبُ　　تضمّنَهُ فرشُ الجبا فالمشاربُ

يجرُّ ويستأنِي نشاصاً كأنّهُ　　بغيقة حادٍ جلجلَ الصّوتَ جالبُ

تألّقَ واحمومَي وخيّمَ بالرُّيا　　أحمُّ الذُّرَى ذو هيدبٍ متراكبُ

إذا حرَّكتهُ الرِّيحُ أرزمَ جانبٌ　　بلا هرقٍ منهُ وأومضَ جانبُ

كما أومضتْ بالعينِ ثمَّ تبسَّمَتْ　　خريعٌ بدا منها جبينٌ وحاجبُ

يمجُّ النّدى لا يذكُرُ السّيرَ أهلَهُ   ولا يرجعُ الماشِي بهِ وهوَ جادِبُ

وهبتُ لسُعدَى ماءَهُ ونباتَهُ   وما كلَّ ودٍّ لمنْ ودَّ واهبُ

لتروى بهِ سعدَى ويروَى محلُّها   وتغدقَ أعدادٌ بهِ ومشارِبُ

تذكّرتُ سعدَى والمطِيُّ كأنَّهُ   بآكامِ ذي ريطٍ غطاطٌ قواربُ

فقدْ فتنَ ملْتجّاً كأنَّ نشيجهُ   سعالُ جوٍ أعيتْ عليهِ الطَّبائبُ

فقلتُ ولم أملكْ سوابقَ عبرَةٍ   سقى أهلَ بيسانَ الدُّجونُ الهواضبُ

وإنّي ولو صاحَ الوشاةُ وطرَّبوا   لمتَّخذٌ سعدى شباباً فناسبُ

يقولونَ أجمعْ من عزيزةَ سلوةً   وكيفَ وهل يسلُو اللّجوجُ المطالِبُ

أعزُّ أجدَّ الرَّكبُ أنْ يتزحزحوا   ولم يعتبِ الزّاري عليك المعاتبُ

فأحيي هداكِ اللهُ منْ قدْ قتلتهِ   وعاصِي كما يعصَى لديهِ الأقاربُ

وإن طلابي عانساً أمَّ ولدَةٍ   لممّا تمنّيني النُّفوسُ الكواذبُ

ألا ليتَ شعرِي هلْ تغيّرَ بعدَنا   أراكٌ فصرْما قادمِ فتناضبُ

فبرقُ الجبا أمْ لا فهنَّ كعهدنا   تنزَّى على آرامِهنَّ الثَّعالِبُ

تقي اللهَ فيه أمَّ عمروٍ ونوّلي   مودّتهُ لا يطلبنّكِ طالبُ

فمن لا يغمّض عينهُ عن صديقه   وعن بعضِ ما فيه يمتْ وهوَ عاتبُ

ومن يتتبّع جاهداً كلَّ عثرةٍ   يجدها ولا يسلمْ لهُ الدّهرَ صاحبُ

فلا تأمنيهِ أن يسرَّ شماتةً   فيظهرُها إنْ أعقبتْهُ العواقبُ

كأنْ لم أقل واللّيلُ ناجٍ بريدُهُ   وقد غالَ أميالَ الفجاجِ الرَّكائبُ

خليليَّ حثّا العيسَ نصبحْ وقدْ بدتْ   لنا من جبالِ الرّامتينِ مناكبُ

فو الله ما أدري أآتٍ على قلىً   وبادِي هوانٍ منكمُ ومغاضبُ

سأملكُ نفسي عنكمُ إنْ ملكتُها   وهلْ أغلبَنْ إلاَّ الذي أنا غالبُ

حليلةُ قذّافِ الدّيارِ كأنّهُ   إذا ما تدانينا منَ الجيشِ هاربُ

إذا ما رأني بارزاً حالَ دونَها   بمخبطةٍ يا حسنَ من هو ضاربُ

ولو تنقبُ الأضلاعُ أُلفيَ تحتَها لسعدَى بأوساط الفؤادِ مطاربُ

بها نعمٌ من ماثلِ الحبِّ واضحٌ بمجتمع الأشراجِ ناءٍ وقاربُ

تضمَّنَ داءً منذُ عشرينَ حجَّةً لكم ما تسليِّهِ السّنُونَ الكواذِبُ

وقال كثير:

عفا السَّفحُ من أمِّ الوليدِ فكبكبُ فنعمانُ وحشٌ فالرَّكيُّ المثقَّبُ

خلاءٌ إلى الأحواضِ عافٍ وقدْ يرَى سوامٌ بها فيه مراحٌ ومعزَبُ

على أنَّ بالأقوازِ أطلالَ دمنةٍ تجدُّ بها هوجُ الرِّياحِ وتلعَبُ

لعزَّةَ إذْ حبلُ المودَّة دائمٌ وإذ أنتَ متبولٌ بعزَّةَ معجَبُ

وإذ لا ترى في النّاسِ شيئاً يفوقُها وفيهنَّ حسنٌ لو تأمّلت مجنبُ

هضيمُ الحشا رودُ المطا بخترِيَّةٌ جميلٌ عليها الأتحميُّ المنشَّبُ

هي الحرَّةُ الدَّلُّ الحصانُ ورهطُها إذا ذكرَ الحيُّ الصَّريحُ المهذَّبُ

رأيتُ وأصحابي بأيلةَ موهناً وقدْ لاحَ نجمُ الفرقدِ المتصوِّبُ

لعزَّةَ ناراً ما تبوخُ كأنَّها إذا ما رمقناها من البعُدِ كوكبُ

تعجَّبَ أصحابي لها حينَ أوقدَتْ وللمصطلُوها آخرَ اللّيلِ أعجَبُ

إذا ما خبتْ من آخرِ اللّيلِ خبوَةً أعيدَ لها بالمندَليِّ فتثقبُ

وقفنا فشبَّتْ شبَّةً فبدا لنا بأهضامِ واديها أراكٌ وتنضُبُ

ومنْ دونِ حيثُ استوقدَتْ منْ مجالخ مراحٌ ومغدىً للمطِيِّ وسبسبُ

أتتنا بريّاها وللعيسِ تحتنا وجيفٌ بصحراءِ الرّسيسِ مهذّبُ

جنوبٌ تسامي أوجُهَ الرّكبِ مسّها لذيذٌ ومسراها منَ الأرضِ طيّبُ

فيا طولَ ما شوقي إذا حالَ دونَها بصاقٌ ومن أعلام صنددَ منكبُ

كأنْ لم يوافقْ حجَّ عزّةَ حجُّنا ولم يلقَ ركباً بالمحصَبَّ أركُبُ

حلفتُ لها بالرَاقصاتِ إلى منىً تغذُّ السّرَى كلبٌ بهنَّ وتغلبُ

وربِّ الجيادِ السّابحات عشيَّةً مع العصرِ إذ مرّتْ على الحبلِ تلحَبُ

لعزّةَ همُّ النَّفسِ منهنَّ لو ترَى إليها سبيلاً أو تلمُّ فتصقبُ

ألامُ على أمِّ الوليدِ وحبُّها ... جوىً داخلٌ تحتَ الشَّراسيفِ ملهبُ
ولو بذلتْ أمُّ الوليدِ حديثَها ... لعصمٍ برضوَى أصبحَتْ تتقرَّبُ
تهبَّطنَ من أكنافِ ضأسَ وأيلةٍ ... علينا ولو أغرَى بهنَّ المكلّبُ
تلعَّبُ بالعزهاةِ لم يدرِ ما الصبّا ... وييأسُ من أمِّ الوليدِ المجرِّبُ
ألا ليتنا يا عزَّ كنّا لذي غنىً ... بعيرين نرعى في الخلاء ونعزبُ
كلانا به عرٌّ فمن يرنا يقلْ ... على حسنِها جرباءَ تعدِي وأجربُ
إذا ما وردنا منهلاً صاحَ أهلُهُ ... علينا فما ننفكُّ نرمَى ونضربُ
نكونُ بعيريْ ذي غنىً فيضعُنا ... فلا هوَ يرعانا ولا نحنُ نطلبُ
يطرّدُنا الرِّعيانُ عنْ كلِّ تلعةٍ ... ويمنعُ منّا أنْ نرَى فيهِ نشرَبُ
وددتُّ وبيتِ اللهِ أنَّكِ بكرَةٌ ... هجانٌ وأنِّي مصعبٌ ثمَّ نهربُ

وقال كثير:

ألا طرقتْ بعدَ العشاءِ جنوبُ ... وذلكَ منها إنْ عجبتَ عجيبُ
تسدَّتْ ومرٌّ دونَنا وأراكُهُ ... ودونانُ أمسَى دونَها ونقيبُ
ونحنُ ببطحاءِ الحجُونِ كأنّنا ... مراضٌ لهمْ وسطَ الرّحالِ نحيبُ

فحيَّتْ نياماً لم يردُّوا تحيّةً ... إليها وفي بعضِ اللّمامِ شغوبُ
لقدْ طرقتنا في التّنائِي وإنّها ... على القربِ علمي للسُّرَى لهيوبُ
أحبُّكِ ما حنَّتْ بغورِ تهامَةٍ ... إلى البوِّ مقلاتُ النّتاجِ سلوبُ
وما سجعتْ من بطنِ وادٍ حمامةٌ ... يجاوبُها صاتُ العشيِّ طروبُ
وإنّي ليثنيني الحياءُ فأنثني ... وأقعدُ والممشَى إليكِ قريبُ
وآتِي بيوتاً حولكُمْ لا أحبُّها ... وأكثرُ هجرَ البيتِ وهو حبيبُ
وأغضي على أشياءَ منكِ تريبُني ... وأدعَى إلى ما نابَكمْ فأجيبُ
وما زلتُ من ذكراكِ حتّى كأنني ... أميمٌ بأكنافِ الدِّيارِ سليبُ
وحتّى كأنِّي من جوى الحبِّ منكمُ ... سليبٌ بصحراءِ البريحِ غريبُ

أبثّكِ ما ألقَى وفي النَّفسِ حاجةٌ لها بين جلدِي والعظامِ دبيبُ
أراكمْ إذا ما زرتُكُمْ وزيارتِي قليلٌ يرَى فيكُمْ إليَّ قطُوبُ
أبيني أتعويلٌ علينا بما أرَى منَ الحبِّ أم عندي إليكِ ذنوبُ
أبينِي فأمّا مستحيرٌ بعلّةٍ عليَّ وأمّا مذنبٌ فأتوبُ
حلفتُ وما بالصدّقِ عيبٌ على امرئٍ يراهُ وبعضُ الحالفينَ كذوبَ
بربِّ المطايا السّابحاتِ وما بنتْ قريشٌ وأهدَتْ غافقٌ وتجيبُ
وملقَى الولايا من منىً حيثُ حلَّقَتْ إيادٌ وحلَّتْ غامدٌ وعتيبُ
يمينَ امرئٍ لم يغشَ فيها أثيمةً صدوقٍ وفوقَ الحالفينَ رقيبُ
لنعمَ أبو الأضيافِ يغشونَ نارهُ وملقى رحالِ العيسِ وهيَ لغوبُ
ومختبطُ الجادي إذا ما تتابعتَ على النّاسِ مثنى قرّةٍ وجدوبُ
وحامي ذمارِ القومِ فيما ينوبُهُمْ إذا ما اعترتْ بعدَ الخطوبِ خطوبُ
على كلِّ حالٍ إنْ ألمّتْ ملمّةٌ بنا عمرٌ والنّائباتُ تنوبُ
فتىً صمتُهُ حلمٌ وفصلٌ مقالُهُ وفي البأسِ محمودُ الثّناء صليبُ
خطيبٌ إذا ما قالَ يوماً بحكمةٍ من القولِ مغشِيُّ الّرواقِ مهيبُ
كثيرُ النّدَى يأتي النّدَى حيثُ ما أتى وإنْ غابَ غابَ العرفُ حيثُ يغيبُ
كريمُ كرامٍ لا يرى في ذوي النّدَى له في النّدى والمأثراتِ ضريبُ
أبيٌّ أبَى أنْ يعرفض الضيّمَ غالبٌ لأعدائهِ شهمُ الفؤادِ أريبُ
يقلّبُ عيني أزرقٍ فوقَ مرقبٍ يفاعٍ لهُ دونَ السَّماءِ لُصُوبُ
غدا في غداةٍ قرَّةٍ فانتحتْ لهُ على إثرِ ورّادِ الحمامِ جنوبُ
جنا لأبي حفصٍ ذرَى المجدِ والدٌ بنى دونَهُ للبانيينِ صعُوبُ
فهذا على بنيان هذاك يبتني بناهُ وكلٌّ منجبٌ ونجيبُ
وجدُّ أبيهِ قد ينافي على البنا بناهُ وكلٌّ شبَّ وهو أديبُ
فأنتَ على منهاجهمْ تقتدي بهمْ أمامَكَ ما سدُّوا وأنتَ عقيبُ
فأصبحتَ تحذُو من أبيكَ كما حذا أبوكَ أباهُ فعلهُ فتصيبُ

وأمسيتَ قلباً نابتاً في أرومةٍ كما في الأرومِ النّابتاتِ قلوبُ

أبوكَ أبو العاصي فمنْ أنتَ جاعلٌ إليهِ وبعضُ الوالدينِ نجيبُ

وأنتَ المنقّى منْ هنا ثمَّ منْ هنا ومنْ هاهُنا والسَّعدُ حينَ تؤوبُ

أقمتَ بهلكَي مالكٍ حين عضَّهُم زمانٌ يعرّ الواجدينَ عصيبُ

وأنتَ المرَجّى والمفدّى لمالكٍ وأنتَ حليمٌ نافعٌ ومصيبُ

وليتَ فلمْ تغفلْ صديقاً ولم تدعْ رفيقاً ولم يحرمْ لديكَ غريبُ

وأحييتَ من قدْ كان موّتَ مالهُ فإنْ متَّ من يدعى له فيجيبُ

مضيتَ لسوراتِ العلَى فاحتويتَها وأنتَ لسوراتِ العلاءِ كسُوبُ

وما النّاسُ أعطوكَ الخلافةَ والتّقى ولا أنتَ فاشكرْهُ يثبكَ مثيبُ

ولكنّما أعطاكَ ذلكَ عالمٌ بما فيك معطٍ للجزيلِ وهوبُ

وقال كثير:

أبائنةٌ سعدى نعمْ ستبينُ كما انبتَّ من حبلِ القرينِ قرينُ

أأن زمَّ أجمالٌ وفارقَ جيرَةٌ وصاحَ غرابُ البينِ أنتَ حزينُ

كأنّكَ لم تسمعْ ولم ترَ قبلَها تفرُّقَ ألاّفٍ لهنَّ حنينُ

حنينٌ إلى ألاّفهنّ وقدْ بدا لهنَّ من الشَّكِّ الغداةَ يقينُ

وهاجَ الهوى أظعانُ عزَّةَ عدوَةً وقدْ جعلتْ أقرانُهُنَّ تبينُ

فلمّا استقلَّتْ عنْ مناخٍ جمالُها وأسفرنَ بالأحمالِ قلتُ سفينُ

تأطّرنَ في الميثاءِ ثمَّ تركنَهُ وقدْ لاحَ منْ أثقالهنَّ شحونُ

كأنّي وقدْ نكّبنَ برقةَ واسطٍ وخلّفنَ أحواض النّجَيلِ طعينُ

فأتبعتُهُمْ عينيَّ حتَّى تلاحمتْ عليهم قنانٌ منْ خفينن جونُ

فقدْ حالَ من حزمِ الحماتينِ دونَهُم وأعرضَ من وادِي البُلَيْدِ شجونُ

وفاتتكَ عير الحيِّ لمّا تقلّبتْ ظهورٌ بهمْ من ينبعٍ وبطونُ

وقد حالَ من رضوَى وضيبر دونهم شماريخُ للأروى بهنَّ حصونُ

على البختِ أو أشباهها غيرَ أنّها صهابيّةٌ حمرُ الدُّفوفِ وجونُ

وأعرضَ ركبٌ من عباثرَ دونهُمْ ومنْ خدٍّ رضوَى المكفهرِّ جبينُ

فأخلفنَ ميعادي وخنَّ أمانتِي وليسَ لمنْ خانَ الأمانةَ دينُ

وأورثنهُ نأياً فأضحَى كأنَّهُ مخالطُهُ يومَ السّريرِ جنونُ

كذبنَ صفاءَ الودِّ يومَ شنوكةٍ وأدركَني من عهدِهنَّ وهونُ

وإنَّ خليلاً يحدثُ الصّرمَ كلّما نأيتَ وشطّتْ دارُهُ لظنُونُ

وطافَ خيالُ الحاجبيّةِ موهناً ومرٌّ وقرنٌ دونَها ورنينُ

وعاذلةٍ ترجو ليالي نجهتُها بأنْ ليسَ عندي للعواذلِ لينُ

تلومُ امرأً في عنفوانِ شبابِهِ وللتَّرْكِ أشياعُ الصَّبابَةِ حينُ

وما شعرتْ أنّ الصّبا إذْ تلومُني على عهدِ عادٍ للشَّبابِ خدينُ

وإنّي ولو داما لأعلمُ أنّني لحفرَةِ موتٍ مرَّةً لدفينُ

وإنّي لم أعلَم ولم أجدِ الصِّبا يلائمُهُ إلاَّ الشّبابَ قرينُ

وأنَّ بياضَ الرّأسِ يعقبُ بالنّهى ولكنَّ أطلالَ الشبابِ تزينُ

لعمري لقدْ شقّتْ عليَّ مريرةٌ ودارٌ أحلَّتْكِ البويبَ شطونُ

وقال كثير يرثي عمر بن عبد العزيز، وليست في المختار:

لقدْ كنتَ للمظلومِ عزاً وناصراً إذا ما تعيّا في الأمورِ حصونُها

كما كانّ حصناً لا يرامُ ممنّعاً بأشبالِ أسدٍ لا يرامُ عرينُها

وليتَ فما شانتكَ فينا ولايةٌ ولا أنتَ فيها كنتَ ممّنْ يشينها

فعفّتْ عن الأموالِ نفسكَ رغبةً وأكرمْ بنفسٍ عندَ ذاكَ تصونُها

وعطلتَها من بعدِ ذلكِ كالّذي نهى نفسه أنْ خالفتهُ يهينُها

كدحتَ لها كدحَ امرئٍ متحرِّجٍ قد أيقنَ أنَّ اللهَ سوفَ يدينُها

فما عابَ من شيءٍ عليهِ فإنّهُ قد استيقنتْ فيهِ نفوسٌ يقينُها

فعشتَ حميداً في البريَّةِ مقسطاً تؤدِّي إليها حقَّها ما تخونُها

ومتَّ فقيداً فهي تبكي بعولةٍ عليكَ وحزنٍ ما تجفُّ عيونُها

إذا ما بدا شجواً حمامٌ مغرِّدٌ ... على أثلةٍ خضراءَ دانٍ غصونُها
بكتْ عمرَ الخيراتِ عيني بعبرةٍ ... على إثرِ أخرَى تستهلُّ شؤونُها
تذكرتُ أيّاماً خلتْ ولياليا ... بها الأمنُ فيها العدلُ كانت تكونُها
فإنْ تصبحِ الدّنيا تغيّرَ صفوُها ... فحالتْ وأمستْ وهي غثٌّ سمينُها
فقدْ غنيتْ إذ كنتَ فيها رخيَّةً ... ولكنَّها قدماً كثيرٌ فنونُها
فلو كان ذاقَ الموتَ غيركَ لم تجدْ ... سخياً بها ما عشتَ فيها يمونُها
فمن لليتامى والمساكِينِ بعدَهُ ... وأرملةٍ باتتْ شديداً أنينُها
وليس بها سقمٌ سوى الجوعِ لم تجدْ ... على جوعِها من بعدِها من يعينُها
وكنتَ لها غيثاً مريعاً ومرتَعاً ... كما في غمارِ البحرِ أمرعَ نونُها
فإنْ كانَ للدُّنيا زوالٌ وأهلُها ... لعدلٍ إذا ولَّى فقد حانَ حينُها
أقامتْ لكمْ دنيا وزالَ رخاؤها ... فلا خيرَ في دنيا إذا زالَ لينُها
بكتهُ الضّواحي واقشعرَّتْ لفقدِهِ ... بحزنٍ عليها سهْلُها وحزونُها
فكلُّ بلادٍ نالَها عدلُ حكمِه ... شديدٌ إليها شوقُها وحنينُها

فلمّا بكتْهُ الصّالحاتُ بعدلِه ... وما فاتَها منهُ بكتهُ بطونُها
ولمّا اقشعرَّت حينَ ولَّى وأيقنتْ ... لقدْ زالَ منها أنسُها وأمينُها
وقالت لهُ أهلاً وسهلاً وأشرقَتْ ... بنورٍ له مستشرقات بطونُها
فإن أشرقتْ منها بطونٌ وأبشرتْ ... له إذ ثوى فيها مقيماً رهينُها
وقد زانَها زيناً لهُ وكرامةً ... كما كان في ظهرِ البلادِ يزينُها
لقدْ ضمّنتهُ حفرةٌ طابَ نشرُها ... وطابَ جنيناً ضمّنتهُ جنينُها
سقى ربُّنا من ديرِ سمعانَ حفرَةً ... بها عمرُ الخيراتِ رهناً دفينُها
صوابحَ من مزنٍ ثقالٍ غوادياً ... دوالحَ دُهماً ماخِضاتٍ دُجونها

وقال كثير:

لعزَّةَ هاجَ الشَّوقَ فالدّمعُ سافحُ ... مغانٍ ورسمٌ قد تقادمَ ماصحُ

بذي المرخِ والمسروحِ غيّرَ رسمَها ضروبُ النَّدى قد أعتقتْها البوارِحُ

لعينيكَ منها يومَ حزمِ مبرَّةٍ شريجانِ من دمعٍ نزيعٌ وسايحُ

أتيٌّ ومفعومٌ حثيثٌ كأنَّهُ غروبُ السواني أترعتها النواضحُ

إذا ماهرقْنَ الماءَ ثم استقينهُ سقاهنَّ جمٌّ من سميحةَ طافحُ

لياليَ مِتها الواديانِ مظنَّةٌ فبرقُ العنابِ دارُها فالأباطِحُ

ليالي لا أسماءُ قالٍ مودِّعٌ ولا مرهنٌ يوماً لكَ البذلَ جارحُ

صديقٌ إذا لاقيتهُ عن جنابَةٍ ألدُّ إذا ناشدتَهُ العهدَ بالحُ

وإذ يبرئُ القرحَى المراضَ حديثُها وتسمُو بأسماءَ القلوبُ الصَّحائحُ

فأقسمُ لا أنسَى ولو حالَ دونَها مع الصُّرمِ عرضُ السَّبسَبِ المتنازحُ

أمنّي صرمتِ الحبلَ لمّا رأيتني طريدَ حروبٍ طرَّحتهُ الطّوارحُ

فأسحقَ برداهُ ومحَّ قميصهُ فأثوابُهُ ليستْ لهنَّ مضارحُ

فأعرضتِ إنَّ الغدرَ منكنَّ شيمةٌ وفجعُ الأمينِ بغتةً وهو ناصحُ

فلا تجبهيهِ ويبَ غيرك إنَّهُ فتى عن دنيَّاتِ الخلائقِ نازحُ

هو العسلُ الصّافي مراراً وتارَةً هوَ السَّمُّ تستدمي عليه الذَّرارِحُ

لعلّكِ يوماً أنْ تريهِ بغبطةٍ تودِّينَ لو يأتيكمُ وهو صافحُ

يروقُ العيونَ النَّاظراتِ كأنَّهُ هرقليُّ وزنٍ أحمرُ التِّبرِ راجحُ

وآخرُ عهدٍ منكِ يا عزَّ إنَّهُ بذي الرَّمثِ قولٌ قلتهِ وهوَ صالحُ

ملاحكِ بالبردِ اليَماني وقدْ بدا من الصرّمِ أشراطٌ لهُ وهو رائحُ

ولم أدرِ أنَّ الوصلَ منك خلابةٌ كجاري سرابٍ رقرقتهُ الصَّحاصحُ

أغرّكِ منّا أنَّ دلَّكِ عندنا وأسجادَ عينيكِ الصَّيودينِ رابحُ

وأنْ قدْ أصبتِ القلبَ منّي بلغّةٍ وحبٍّ لهُ في أسودِ القلبِ قادحُ

ولو أنَّ حبّي أمَّ ذي الودعِ كلَّهُ لأهلكِ مالٌ لم تسعهُ المسارحُ

يهيمُ إلى أسماءِ شوقاً وقدْ أتَى لهُ دونَ أسماءَ الشّغُولُ السّوانحُ

وأقصرَ عن غربِ الشّبابِ لداتُهُ بعاقبةٍ وأبيضَّ منه المسائحُ

ولكنّه من حبِّ عزّةَ مضمرٌ ... خبالاً به قدْ بطّنتهُ الجوانحُ

تصرّدُنا أسماءُ دامَ جمالُها ... ويمنحُها منّي المودّةَ مانحُ

خليليّ هل أبصرتُما يومَ غيقةٍ ... لعزّةَ أظعاناً لهنَّ تمايحُ

ظعائنُ كالسَّلوى التي لا جوَى لَها ... أو المنَّ إذ فاحت بهنَّ الفوائحُ

كأنَّ قنا المرّانِ تحتَ خدورِها ... ظباءُ الملا نيطتْ عليها الوشائحُ

تحمَّلنَ في نحرِ الظَّهيرةِ بعدَما ... توقّدَ من صحنِ السَّريرِ الصَّرادحُ

على كلِّ عيهامٍ يبلُّ جديلهُ ... كحيلٌ بذفراهُ وباللِّيتِ ناتحُ

خليليَّ روحا وانظر ذا لبانَةٍ ... به باطنٌ من حبِّ عزَّةَ فادحُ

سبتكَ بعينَيْ ظبيةٍ يستنيصُها ... أغنُّ البغامِ أعيسُ اللَّونِ راشحُ

إلى أرُكٍ بالجزعِ من بطنِ بيشَةٍ ... عليهنَّ صيّفنَ الحمامُ النّوائحُ

كأنَّ القماريَّ الهواتفَ بالضّحَى ... إذا أظهرَتْ قيناتُ شربٍ صوادحُ

وذي أشرٍ عذبِ الرُّضابِ كأنَّهُ ... إذا غارَ أردافُ الثُّريّا السَّوابحُ

مجاجةُ نحلٍ في أباريقَ صفِّقَتْ ... بصفوِ الغوادي شعشعتهُ المجادحُ

تروقُ عيونَ اللائي لا يطمعونَها ... ويروى برياها الضّجيعُ المكافِحُ

وغرّ تغادي ظلمَهُ ببنانِها ... مع الفجرِ من نعمانَ أخضرُ مائحُ

قضى كلُّ ذي دينٍ وعزَّةُ خلَّةٌ ... لهُ لم تنلهُ فهو عطشانُ قامحُ

وإنّي لأكمِي النّاسَ ما تعدينني ... من البخلِ أنْ يثري بذلكَ كاشحُ

وأرضى بغيرِ البذلِ منها لعلَّها ... تفارقنا أسماءُ والودُّ صالحُ

وأصبحتُ ودَّعتُ الصبِّا غير أنني ... لعزَّةَ مصفٍ بالمناسبِ مادحُ

أبائنةٌ يا عزَّ عدواً نواكمُ ... سقتكِ الغوادي خلفهً والرَّوائحُ

من الشّمِّ مشراقٌ ينيف بقرطها ... أسيلٌ إذا ما قلّدَ الحليَ واضحُ

وقال كثير:

ألم يحزنكَ يومَ غدَت حدوجُ ... لعزَّةَ إذ أجدَّ بها الخروجُ

بضاحِي النَّقبِ حينَ خرجنَ منهُ ... وخلفَ متونِ ساقتِها الخليجُ
رأيتُ جمالَها تعلُو الثّنايا ... كأنَّ ذرى هوادِجها البرُوجُ
وقد مرَّتْ على تربانَ تحدَى ... لها بالنَّعفِ من مللٍ وسيجُ
رأيتُ حدوجَها فظللْتُ صبّا ... تهيّجنِي مع الحزنَ الحدوجُ
إذا بصرتْ بها العينانِ لجَّتْ ... بدمعِهما معَ النّظرِ اللّجوجُ
وبالسّرحاتِ من ودّانَ راحتْ ... عليها الرّقمُ والبلقُ البهيجُ
وهاجتني بحزمِ عفارياتٍ ... وقدْ يهتاجُ و الطّربِ المهيجُ
على فضلِ الرَّواحِ تضمّنتْها ... خصيباتُ المعالفِ والمروجُ
يشجُّ بها ذؤابةَ كلِّ حزنٍ ... سبوتٌ أو مواكبَةٌ دروجُ
وفي الأحداجِ حينَ دنونَ قصراً ... بحزنِ سويقةٍ بقرٌ دموجُ
حسانُ السَّيرِ لا متواترِاتٌ ... ولا ميلٌ هوادجُها تموجُ
فكدتُّ وقد تغيّبتِ التّوالي ... وهنَّ خواضعُ الحكماتِ عوجُ
بذي جددٍ من الجوزاءِ موفٍ ... كأنَّ ضبابهُ القطنُ النَّسيجُ
فقدْ جاوزنَ هضبَ قتاياداتٍ ... وعنَّ لهنَّ من رككٍ شروجُ
أموتُ ضمانةً وتجلَّلتني ... وقدْ أتهمنَ مردمةً ثليجُ
كأنَّ دموعَ عيني يوم بانتْ ... دلاةٌ بلّها فرطٌ مهيجُ
يريغُ بها غداةَ الوردِ ساقٍ ... سريحُ المتحِ بكرَتُهُ مريجُ
فلو أبديت ودَّكِ أمَّ عمروٍ ... لدى الإخوانِ ساءهمُ الوليجُ
لكانَ لحبِّكِ المكتومِ شأنٌ ... على زمنٍ ونحنُ بهِ نعيجُ
تؤمِّلُ أنْ تلاقي أمَّ عمرٍو ... بمكَّةَ حيثُ يجتمعُ الحجيجُ

وقال كثير يمدح أبا بكر بن عبد العزيز بن مروان:

ألا أنْ نأتْ سلمَى فأنتَ عميدُ ... ولمَّا يفدْ منها الغداةَ مفيدُ
ولستَ بممسٍ ليلةً ما بقيتُها ... ولا مصبحٍ إلاَّ صباكَ جديدُ
ديارٌ بأعناءِ السَّريرِ كأنَّما ... عليهنَّ في أكنافِ غيقةَ شيدُ

تمرُّ السَّنونَ الخالياتُ ولا أرى بصحنِ الشَّبا أطلالهنَّ تبيدُ

فغيقةُ فالأكفالُ ظبيةٍ نظلُّ بها أدمُ الظّباءِ ترودُ

وخطباءَ تبكي شجوها فكأنَّها لها بالتّلاعِ القاوياتِ فقيدُ

كما استعلبتْ رأد الضّحَى حميريَّةٌ ضروبٌ بكفَّيها الشّراعَ سمودُ

لياليَ سعدَى في الشَّبابِ الذي مضَى ونسوتُها بيضُ السَّوالفِ غيدُ

يباشرنَ فأرَ المسكِ في كلِّ مهجعٍ ويشرقُ جاديٌّ بهنَّ مفيدُ

فدع عنكَ سلمَى إذْ أتَى النَّأيُ دونَها وأنتَ امرؤٌ ماضٍ زعمتَ جليدُ

وسلِّ همومَ النَّفسِ إنَّ علاجَها إذا المرءُ لم ينبلْ بهنَّ شديدُ

بعيساءَ في دأياتِها ودفوفِها وحارِكها تحتَ الوليِّ نهودُ

وفي صدرها صبٌّ إذا ما تدافعَتْ وفي شعبٍ بينَ المنكبَينِ سنودُ

وتحتَ قتودِ الرَّحلِ عنسٌ حريزةٍ علاةٌ يباريها سواهمُ قودُ

تراها إذا ما الرّكبُ أصبحَ ناهلاً ورجّيَ وردُ الماءِ وهو بعيدُ

نزيفُ كما زافتْ إلى سلفاتِها مباهيةٌ طيَّ الوشاحِ ميودُ

إليكَ أبا بكرٍ تخبُّ براكبٍ على الأينِ فتلاءُ اليدينِ وخودُ

يجوزُ ربا الأصرامِ أصرامِ غالبٍ أقولُ إذا ما قيلَ أينَ تريدُ

أريدُ أبا بكرٍ ولو حال دونَهُ أماعزُ تعتالُ المطيَّ وبيدُ

لتعلمَ أنّي للمودَّةِ حافظٌ وما لليدِ الحسنَى لديَّ كنودُ

وإنّكَ عندي في النّوالِ وغيرِهِ وفي كلِّ حالٍ ما بقيتَ حميدُ

فآلاءُ كفٍّ منكَ طلقٍ بنانُها ببذلكَ إذ في بعضهنَّ جمودُ

وآلاءُ منْ قدْ حال بيني وبينَهُ عدىً ونقاً للسَّافياتِ طريدُ

فلا تبعدنْ تحتَ الضّريحةِ أعظمٌ رميمٌ وأثوابٌ هناكَ جرودُ

بما قدْ أرى عبد العزيزِ نجمهُ إذا تلتقي طلقَ الطُّلُوعِ سعودُ

له من بنيهِ مجلسٌ وبنيهمُ كرامٌ كأطرافِ السُّيوفِ قعودُ

فما لامرئٍ حيٍّ وإنْ طالَ عمرُهُ ... ولا للجبالِ الرَّاسياتِ خلودُ

وأنتَ أبا بكرٍ صفيِّيَ بعدَهُ ... تحنّى على ذي ودِّهِ وتعودُ

وأنتَ امرُؤٌ ألهمتَ صدْقاً ونائلاً ... وأورثكَ المجدَ التّليدَ جدودُ

جدودٌ من الكعبينِ بيضٌ وجوهُها ... لهم مأثراتٌ مجدهنَّ تليدُ

وقال كثير:

نظرتُ وأعلامُ الشَّربَّة دوننا ... فهضبُ المروراةِ الدَّواني وسودُها

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم بتاريخ نهار الأحد عاشر جمادى الأول من شهور سنة 998

يا ناظراً فيه العينين تنظره ... لا تنس صاحبه بالخير واذكره

وهبْ له دعوةً للّه خالصة ... لعلّها في محل الضيق تنفعه

عمرو بن برّاقة

وقال عمرو بن برّاقة الهمداني:

تقولُ سليمَى لا تعرَّضْ لتلفةٍ ... وليلكَ عن ليلِ الصَّعاليكِ نائمُ

وكيفَ ينامُ اللّيلَ من جلُّ همّه ... حسامٌ كلونِ الملحِ أبيضُ صارمُ

غموضٌ إذا عضَّ الكريهةَ لم يدعْ ... لها طمعاً اليمين ملازمُ

ألمْ تعلمِي أنَّ الصَّعاليكَ نومُهمْ ... قليلٌ إذا نامَ الخلِّيُّ المسالِم

إذا اللّيلُ أدجَى واكفهرَّ ظلامهُ ... وصاحَ من الأفراطِ بومٌ جواثمُ

ومالَ بأصحابِ الكرَى غالباتُهُ ... فإنّي على أمرِ الغوايَةِ حازمُ

كذبتُمْ وبيتِ الله لا تأخذونَها ... مراغمةً ما دامَ للسَّيفِ قائمْ

تحالفَ أقوامٌ عليَّ ليسْلمُوا ... وجرُّوا عليَّ الحربَ إذْ أنا سالمُ

أفاليومَ أدعى للهوادة بعدَما ... أجيلَ على الحيِّ المذاكي الصَّلادمُ

فإنَّ حريماً إذْ رجا أنْ أرُدَّها ... ويذهبَ مالي يا ابنةَ القيلِ حالمُ

متى تجمع القلبَ الذّكيّ وصارماً ... وأنفاً حميّاً تجتنبكَ المظالمُ

متى تطلبِ المالَ الممنَّعَ بالقنا ... تعشْ ماجداً أو تخترِمكَ المخارِمُ

وكنتُ إذا قومٌ غزوني غزوتُهُمْ ... فهلْ أنا في ذا يالهمدانَ ظالمُ

فلا صلحَ حتَّى تقرَعَ الخيلُ بالقَنا ... وتضربَ بالبيضِ الخفافِ الجماجمُ

ولا أمنَ حتّى تغشمَ الحربُ جهرةً ... عبيدةَ يوماً والحروبُ غواشمُ

أمستبطئ عمرو بن نعمانَ غارتي ... وما يشبهُ اليقظانَ من هو نائمُ

إذا جرَّ مولانا علينا جريرةً ... صبرنا لها إنَّا كِرامٌ دعائمُ

وننصرُ مولانا ونعلمُ أنّهُ ... كما النّاسُ مجرومٌ عليهِ وجارِمُ

وقال عمرو بن البراق، وهي إحدى المنصفات، هكذا يقول الأصمعي:

عرفتَ من الكنودِ ببطنِ ضيمٍ ... فجوٍّ بشائمٍ طللاً محيلا

تعفّى رسمُهُ إلاَّ خياماً ... مجلَّلةٌ جوانبُها جليلا

عداني أنْ أزورَكِ أنَّ قومي ... وقومكِ ألقحُوا حرباً شمُولا

وأنّكِ لو رأيتِ النّاسَ يومَ ... الحيار عذرْتِ بالشغُلِ الخليلا

غداةَ تصارَختْ عبدُ بن عمرٍو ... وأهلُ تضاعَ فاحتملُوا قتيلا

غداةَ حبا لهمُ عمرُو بن عمرٍو ... بشكّةِ كاملٍ يدعُو جزيلا

فردُّوهُ بمشعلةٍ قلوسٍ ... تخالُ رداءهُ منْها طميلا

وقامَ مصوِّتٌ منّا ومنْهُم ... وكلٌّ ينتحِي حنقاً وبيلا

وقامَ مصوِّتانِ برأسِ عثٍّ ... أقامَ الحربَ والعيَّ الطَّويلا

وغودرَ في ديارهمِ حبيشٌ ... وعيلَ على الأركاسِ أنْ يؤولا

وعيلَ على الحمولِ ومنْ علْيها ... فلا سيراً يطيقُ ولا حلولا

ونسلكُهمْ مدارجَ بطنِ حرٍّ ... إلى قرنٍ كما سقتَ الحسيلا

كأنَّ نساءهُمْ بقرٌ مراجٌ ... خلالَ شقائقٍ تطأُ الوحولا

لهنَّ صواعقٌ يعرفنَ فينا ... بني الأخواتِ والنَّسَبَ الدَّخيلا

بكلِ خبيبةٍ ومجازِ عرضٍ ... ترى نمطاً يطوحُ أو خميلا

فلمّا أنْ هبطنا القاعَ ردُّوا ... غواشينا فأدبرْنا جفولا

وقامَ لنا ببطنِ القاعِ صيقٌ ... فخلّى الوازعونَ لنا السّبيلا

فأدركَنا دعاهُم من بعيدٍ ... نهزُّ البيضَ يشفِين الغليلا

فأيّاً ما رأيتَ نظرتَ طرفاً ... عليهِ الطّيرُ منعفِراً تليلا

فلمّا أنْ رأيتُ القومَ فلّوا ... فلا زنداً قبضتُ ولا فتيلا

حبكتُ ملاءتِي العلْيا كأنّي ... حبكتُ بها قطاميّاً هزيلا

كأنَّ ملاءتَيَّ على هجَّفٍ ... أحسَّ عشيَّةً ريحاً بليلا

على حتَّ البرايةِ زمخريِّ ... السواعد ينبري رتكاً ذليلاً

وأدبَرَ عائذُ البُقميّ شدّاً ... يكدُّ الصمدَ والحزنَ الرَّجيلا

وغادرْنا وغادرَ موليانا ... بقاعِ أبيدةَ الوغمَ الطّويلا

عمر بن أبي ربيعة

المختار من شعر عمر بن أبي ربيعة قال عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة. وأمّ عمر مولدة من مولّدات اليمن، اسمها مجد:

أمنْ آل نعمٍ أنتَ غادٍ فمبكرُ ... غداةَ غدٍ أو رائحٌ فمهجّرُ

بحاجةِ نفسٍ لم تقلْ في جوابها ... فتبلغَ عذراً والمقالةُ تعذرُ

نهيمُ إلى نعمٍ فلا الشَّملُ جامعٌ ... ولا الحبلُ موصولٌ ولا القلبُ مقصرُ

ولا قربُ نعمٍ إنْ دنتْ لك نافعٌ ... ولا نأيُها يسلي ولا أنتَ تصبرُ

وأخرَى أتتْ من دونِ نعمٍ ومثْلُها ... نهى ذا النُّهَى لو ترعوي أو تفَكِّرُ

إذا زرتُ نعماً لم يزلْ ذو قرابةٍ ... لها كلّما لاقيتها يتنمّرُ

عزيزٌ عليهِ أنْ ألمَّ ببيتِها ... مسرٌّ ليَ الشّحناءَ للبغضِ مظهرُ

ألِكني إليْها بالسّلامِ فإنَّه ... يشهَّرُ إلمامي بها وينكَّرُ

على أنّها قالتْ غداةَ لقيتُها ... بمدفعِ أكنانٍ أهذا المشهّرُ

قفي فانظري يا أسمَ هلْ تعرفينَهُ ... أهذا المغيريُّ الذي كانَ يذكرُ

أهذا الّذي أطريتِ نعتاً فلمْ أكدْ ... وعيشكِ أنساهُ إلى يوم أقبَرُ

لئنْ كانَ إيّاهُ لقدْ حالَ بعدَنا ... عن العهدِ والإنسانُ قد يتغيّرُ
فقالتْ نعمْ لا شكَّ غيّرَ لونَهُ ... سُرى اللّيلِ يحيْي نصَّهُ والتَّهجّرُ
رأتْ رجلاً أمّا إذا الشَّمسُ عارضتْ ... فيضحَى وأمّا بالعشيِّ فيحضرُ
أخا سفرٍ جوّابَ أرضٍ تقاذفتْ ... به فلواتٌ فهوَ أشعثُ أغبرُ
قليلٌ على ظهرِ المطيّةِ ظلّهُ ... سوى ما نفى عنهُ الرّداءُ المحَبّرُ
وأعجبَها من عيشِها ظلُّ غرفةٍ ... وريّانُ ملتفُّ الحدائقِ أنضرُ
ووالٍ كفاها كلَّ شيءْ يهمُّها ... فليستْ لشيءْ آخرَ الليلِ تسهَرُ
وليلةِ ذي دورانَ جشّمني السُّرَى ... وقد يجشمُ الهولَ المحبُّ المغرِّرُ
فبتُّ رقيباً للرّفاقِ على شفا ... أراقبُ منهم من يطوفُ وأنظرُ
إليهمْ متى يستأخذِ النومُ فيهمِ ... ولي مجلسٌ لولا اللُّبانةُ وأوعرُ
وبانتْ قلوصي بالعراءِ ورحلُها ... لطارقِ ليلٍ أو لمنْ جاءَ معورُ
فبتُّ أناجِي النَّفسَ أينَ خباؤُها ... وإنّي لما تأتي منَ الأمرِ مصدَرُ
فدلَّ عليها القلبَ ريّاً عرفتُها ... لها وهوَى الحبِّ الذي كانَ يظهَرُ
فلمّا فقدتُ الصَّوتَ منهُمْ وأطفئتْ ... مصابيحُ شبَّتْ بالعِشاءِ وأنؤرُ
وغابَ قميْرٌ كنتُ أهوَى غيوبَهُ ... وروّحَ رعيانٌ ونوَّمَ سمَّرُ
ونفّضتُ عنّي النّومَ أقبلتُ مشيةَ ... الحبابِ ولكنّي من القومِ أزورُ
فحيّيتُ إذْ فاجأتُها فتواءلتْ ... وكادتْ بمرفوعِ التّحيّةِ تجهرُ

فقالتْ وعضّتْ بالبنانِ فضحتْتني ... وأنتَ امرؤٌ ميسور أمرِكَ أعسَرُ
أريتكَ إذْ هنَّا عليكَ ألم تخفْ ... رقيباً وحولِي من عدوِّكَ حضَّرُ
فقلتُ كذاكَ الحبُّ قد يحملُ الفتَى ... على الهولِ حتّى يستقادَ فينحرُ
فو اللّهِ ما أدّري أتعجيلُ راحةٍ ... سرتْ بكَ أم قدْ نامَ منْ كنتَ تحذرُ
فقلتُ لها بل قادَني الحبُّ والهَوى ... إليكِ وما نفسٌ من النّاسِ يشعُرُ
فقالتْ وقدْ لانتْ وأفرخَ روعُها ... كلاكَ بحفظٍ ربُّكَ المتكَبِّرُ

فأنتَ أبا الخطّاب غيرُ منازعٍ علَيَّ أميرٌ ما مكثتُ مؤمَّرُ

فبتُّ قريرَ العينِ أعطيتُ حاجتِي أقبِّلُ فاها في الخلاء فأكثرُ

فيا لك من ليلٍ تقاصرَ طولُهُ وما كانَ ليلِي قبلَ ذلكَ يقصرُ

ويالكَ من ملهىً هناكَ ومجلسٍ لنا لم يكدِّرْهُ علينا مكدِّرُ

يمجُّ ذكيَّ المسكِ منها مفلّجٌ نقيُّ الثنايا ذو غروبٍ مؤشَّرُ

يرفُّ إذا تفترُّ عنهُ كأنّهُ حصَى بردٍ أو أقحوانٍ منوّرُ

وترنو بعينيها إليَّ كما رَنا إلى ظبيةٍ وسطَ الخميلةِ جؤذَرُ

فلمّا تقضّى اللّيلُ إلاَّ أقلُّهُ وكادتْ توالي نجمهِ تتغوَّرُ

أشارتْ بأنَّ الحيَّ قدْ حانَ منهمُ هبوبٌ ولكنْ موعدٌ لكَ عزورُ

فما راعني إلاَّ منادٍ تحمّلُوا وقدْ شُقَّ معروفٌ من الصُّبحِ أشقَرُ

فلمّا رأتْ من قدْ تثوَّر منهمُ وأيقاظهُم قالت أشرْ كيفَ تأمُرُ

فقلتُ أباديهمْ فأمّا أفوتُهمْ وأمّا ينالُ السّيفُ ثأراً فيثأرُ

فقالتْ أتحقيقٌ كما قال كاشحٌ علينا وتصديقٌ لما كان يؤثرُ

فإنْ كانَ ما لا بدَّ منهُ فغيرُهُ من الأمرِ أدنَى للخفاءِ وأستَرُ

أقصُّ على أختيَّ بدءَ حديثنا وما بي من أنْ تعلما متأخَّرُ

لعلَّهما أنْ تبغيا لكَ مخرَجاً وأنْ ترحُبا سرباً بما كنتُ أحصرُ

فقامتْ كئيباً ليسَ في وجهها دمٌ منَ الحزنِ تدني عبرةً تتحدَّرُ

فقالتْ لأختيْها أعينا على فتىً أتى زائراً والأمرُ للأمرِ يقدَرُ

فأقبلَتا فارتاعتَا ثمَّ قالَتا أقلّي عليكِ اللّومَ فالخطبُ أيسَرُ

فقالتْ لها الصغرَى سأعطيهِ مطرَفي ودرعِي وهذا البردَ إنْ كانَ يحذرُ

يقومُ فيمشي بيننَا متنكّراً فلا سُّرنا يفشُو ولا هوَ يظهَرُ

فكانَ مجنّي دونَ من كنتُ أتّقي ثلاثُ شخوصٍ كاعبانِ ومعصرُ

فلمّا أجزْنا ساحةَ الحيِّ قلنَ لِي أما تتّقي الأعداءَ واللّيلُ مقمرُ

وقلنَ أهذا دأبكَ الدّهرَ سادِراً أما تستحي أو ترعَوِي أو تفكِّرُ

إذا جئتَ فامنحْ طرفَ عينيكَ غيرَنا ... لكيْ يحسَبُوا أن الهوّى حيثُ تبصِرُ
على أنّني قدْ قلتُ يا نعمُ قولةً ... لها والعتاقُ الأرحبيَّةُ تزجَرُ
هنيئاً لبعلِ العامريّةِ نشرُها ... اللّذيذ وريّاها الّذي أتذكَّرُ
فقمتُ إلى حرفٍ تخوَّنَ نيَّها ... سرَى اللّيلِ حتّى لحمُها يتحسَّرُ
وحبسِي على الحاجاتِ حتّى كأنّها ... بليَّةُ لوحٍ أو شجارٌ ومؤسَّرُ
وماءٍ بموماةٍ قليلٍ أنيسُهُ ... بسابسُ لمْ يحدثْ بها الصيَّفُ محضرُ
به مبتنىً للعنكبوتِ كأنَّهُ ... على شرفِ الأرجاءِ خامٌ منشَّرُ
وردتُ وما أدري أما بعدَ موردي ... من اللّيلِ أم ما قدْ مضَى منهُ أكثرُ
فطافتْ به مغلاةُ أرضٍ تخالُها ... إذا التفتتْ مجنونةً حينَ تنظُرُ
تنازعُني حرصاً على الماءِ رأسَها ... ومن دونِ ما تهوَى قليبٌ معوَّرُ
محاولةً للوردِ لولا زمامُها ... وجذبِي لها كانتْ مراراً تكسَّرُ
فلمّا رأيتُ الضرَّ منها وأنّني ... ببلدةِ أرضٍ ليسَ فيها معصَّرُ
قصرتُ لها من جانبِ الحوضِ منشأً ... صغيراً كقيدِ الشِّبرِ أو هوَ أصغرُ
إذا شرعَتْ فيهِ فليْسَ لمُلتقى ... مشافرِها منهُ قدَى الكفِّ مسأرُ
ولا دلوَ إلاَّ القعبُ كانَ رشاءهُ ... إلى الماءِ نسعٌ والجديلُ المظفَّرُ

فسافتْ وما عافتْ وما صدَّ شُربَها ... عن الرِّيِّ مطروقٌ من الماءِ أكدَرُ

وقال عمر بن أبي ربيعة أيضاً: المتقارب

صحا القلبُ عن ذكرِ أمِّ البنينَ ... بعدَ الذي قدْ مضى في العصُرْ
وأصبح طاوع عذاله ... وأقصر بعد الآباء المَبرْ
أخيراً وقدْ راعهُ لائحٌ ... من الشَّيْبِ من يعلُهُ ينزجَرْ
على أنَّ حبِّي ابنةَ المالكِي ... كالصّدعِ في الحجرِ المنفطِرْ
يهيمُ النّهارَ ويدنُو لهُ ... جنانُ الظّلامِ بليلٍ سهرْ
وينمي لها حبُّها عندَنا ... فمنْ قالَ منْ كاشحٍ لم يضُرْ

من المسبغينَ رقاقَ الثّيابِ تكسَى النّعالُ فضولَ الأزُرْ

فإنْ تصرمِي الحبلَ أو تصبِحي وصلتِ برثِّ القوَى منبترْ

فنحنُ المصاليتُ يومَ الهيا جِ والمانعونَ ذمارَ الدُبُرْ

ونحنُ المقيمُونَ يومَ الحفا ظِ والضَّاربونَ ببيضٍ بتُرْ

ونحنُ المغيرونَ تحتَ العجا جِ عندَ بدوءِ العذارَى الخفرْ

ونحنُ المتاريكُ ظلمَ الصَّدي قِ والسَّابقونَ بحسنِ العذُرْ

وننمِي إلى فرعِ جرثومَةٍ أقامتْ على قاهرٍ مشمخرْ

أشمَّ منيفٍ يناغِي السَّما ء تنبُو قوادمُهُ بالغفرْ

وغيثٍ تبطَّنْتُ قريانهُ بأجردَ ذي ميعةٍ منهمرْ

مسحٍّ الفضاء كسيدِ الآبا ء جمٍّ الجراءِ شديدِ الحضُرْ

له ميعةٌ كاضطرامِ الحري قِ في العيصِ والأجَمِ المستعِرْ

ويهوِي كمثلِ هويِّ الدَّلا ةِ في قطعةِ الكربِ المنحَدِرْ

وتبقى سنابكهُ بالفلاةِ كمثلِ الدّوادي لدَى محتفرْ

وقال عمر أيضاً، وهي قطعة استحسنتها له فكتبتُها، وهي خارجة من الشَّرط في الاختيار إذ هي قطعة، وذكر الزبير بن بكّار قال أجمع من له علمٌ ببلدنا إنَّه أغرى ما سمعوا من الشعر هذه القطعة هي:

أألحقُّ إن الرَّبابِ تباعدَتْ أو انبتَّ حبلٌ أنَّ قلبكَ طائرُ

أفقْ قدْ أفاقَ الواجدونَ وفارَقوا الهوَى واستمرَّتْ بالرِّجالِ المرايرُ

زعِ القلبَ واستبقِ الحياءَ فإنَّما تبعِّدُ أو تدني الرّبابَ المقادرُ

أمتْ حبَّها واجعَل رجاءَ وصالِها وعشرَتِها كبعضِ من لا تعاشِرُ

وهبْها كشيءٍ لمْ يكنْ أو كنازحٍ به الدّارُ أو منْ غيبتْهُ المقابرُ

فكالنّاسِ علّقتَ الرَّبابَ فلا تكنْ أحاديثَ من يبدو ومن هوَ حاضِرُ

فإنْ أنتَ لم تفعلْ ولستَ بفاعلٍ ولا سامعٍ قولَ الذي هو زاجرُ

فنفسكَ لم عينين حيثُ الّذي ترَى وطاوعتَ هذا الغيّ إذْ أنتَ سادرُ

وقال عمر أيضاً:

أأقامَ أمسِ خليطُنا أمْ سارا — سائلْ بعمرِكَ أيُّ ذاكَ اختارا

وإخالُ أنَّ نواهمُ قذَّافةٌ — كانتْ معاودَةَ الفراقِ مرارا

قامتْ تراءى بالصّفاحِ كأنَّها — كانتْ تزيدُ لنا بذاكَ ضرارا

فبدتْ ترائبُ من ربيبٍ شادنٍ — ذكرَ المليلَ إلى الكناسِ فصارا

رحلتْ عشيَّةَ بطنِ نخلةَ إذْ بدتْ — وجهاً يضيءُ بياضُهُ الأستارا

كالشمسِ تعجبُ من يرى ويزينُها — حسبٌ أغرُّ إذا تريدُ فخارا

سقيتْ بوجهكَ كلُّ أرضٍ جبتها — ولمثلِ وجهكَ أسقيَ الأمطارا

من ذا نواصلُ إذ صرمتِ حبالَنا — أو من نحدِّثُ بعدَكِ الأسرارا

هيهاتَ منكَ قعيقهانُ وأهلُها — بالحرَّتينِ فشطَّ ذاكَ مزارا

سكّنْ فؤادكَ لا يطيرُ به الهوَى — ولو أنَّ قلبكَ يستطيعُ لطارا

لو يبصرُ الثَّقفُ البصيرُ جبينَها — وصفاءَ خدَّيْها العتيقَ لحارا

وأرى جمالَكِ فوقَ كلِّ جميلةٍ — وشعاعَ وجهكِ يخطفُ الأبصارا

إنّي رأيتُكِ غادةً خمصانةً — ريَّا الرَّوادفِ لذَّةً مبشارا

محطوطةِ المتنينِ أكملَ خلقُها — مثلُ السّبيكةِ بضّةً معطارا

تسقِي الصّديقَ ببارِدٍ ذي رونقٍ — لو كانَ في غلسِ الظّلامِ أنارا

وسقتْهُ بشرةُ عنبراً وقرنفلاً — والزّنجبيلَ وخلطهنَّ عقارا

والذوبَ من عسلِ السَّراةِ كأنَّما — غضبَ الأميرُ ببيعِها المشتارا

وكأنَّ نطفةَ بارقٍ وطبرزداً — ومدامةً قدْ عتّقتْ أعصارا

تجري على أنيابِ بشرةَ كلَّما — طرقتْ ولا تدري بذاكَ غرارا

يروى بها الظّمآنُ حينَ يسوفهُ — لذّاً المقبّل بارداً مخمارا

ويفوزُ منْ هو في الشّتاءِ شعارُهُ — أكرمْ بها تحتَ اللّحافِ شعارا

جودي لمحزونٍ ذهبتِ بعقلِهِ — لم يقضِ منكِ بشيرَةُ الأوطارا

وإذا ذهبتُ أسومُ قلبيَ خطّةً — من صرمها ألفيتُهُ خوّارا

واغرورقتْ عينايَ حينَ أسومُهُ والقلبُ هاجَ بذكرِها استعبارا

فبتلكَ أهذِي ما حييتُ صبابةً وبكِ الحياةَ أشبِّبُ الأشعارا

وقال عمر بن أبي ربيعة:

ألَمْ تربعْ على الطّللِ المريبِ عفا بينَ المحصَّبِ فالطَّلُوبِ

بمكّةَ دارساً درجتْ عليهِ خلافَ الحيِّ ذيلُ صباً هبوبِ

وأقفرَ غير منتضدٍ ونؤيٍ أجدَّ الشَّوقَ للقلبِ الطَّروبِ

كأنَّ الرَّبعَ ألبسَ عبقريّاً من الجنديِّ أو بزِّ الجروبِ

كأنَّ مقصَّ رامسةٍ عليها مع الحدثانِ سطرٌ في عسيبِ

لنعمٍ إذ تعاودهُ هيامٌ به أعيا على الحاوي الطّبيبِ

لعمركَ إنّني منْ دينِ نعمٍ لكالدَّاعي إلى غيرِ المجيبِ

وما نعمٌ ولو علّقتَ نعماً بجازيةِ الثّوابِ ولا مثيبِ

إذا نعمٌ نأتْ بعدتْ وتعدُو عوادٍ أنْ تزارَ مع الرَّقيبِ

وإنْ شطّتْ بها دارٌ تعيَّا عليهِ أمرهُ بالُ الغريبِ

أسمِّيها لتكتم باسمِ نعمٍ ويبدي القلبُ عن شخصٍ حبيبِ

وأكتمُ ما أسمّيها وتبدو شواكلُهُ لذي اللّبِّ الأريبِ

فإمّا تعرضِي عنَّا وتعدي لقولِ ممازحٍ ملقٍ كذوبِ

فكمْ منْ ناصحٍ في آلِ نعمٍ عصيتُ وذي ملاطفةٍ نسيبِ

فهلاَّ تسألِي أفناءَ معدٍ وقدْ تبدُو التّجاربُ للّبيبِ

سبقنا بالمكارمِ فاستبحنا قرَى ما بينَ مأربَ فالدُّروبِ

بكلِّ قيادِ سلهبَةٍ سبوحٍ وسامِي الطّرفِ ذي حضرٍ نجيبِ

ونحنُ فوارسُ الهيجا إذا ما رئيسُ القومِ أجمعَ للهروبِ

نقيم على الحفاظ فلنْ ترانا نشلُّ نخافُ عاقبةَ الخطوبِ

ويمنعُ سربَنا في الحربِ شمٌّ مصاليتٌ مساعرُ في الحروبِ

ويأمنُ جارُنا فينا ويلقَى فواضلَنا بمختبطٍ خصيبِ

ونعلمُ أنّنا سنبيدُ يوماً كما قدْ بادَ من عددِ الشُّعوبِ
فتجتنبُ المقاذعَ حيثَ كانتْ ونكتسبُ العلاءَ معَ الكسُوبِ
ولو سئلَتْ بنا البطحاءُ قالتْ هم أهلُ الفواضلِ والسّيوبِ
ويشرقُ بطنُ مكّةَ حينَ نضحّي به ومناخُ واجبةِ الجنوبِ
وأشعثَ إنْ دعوتُ أجابَ وهناً على طولِ الكرَى وعلى الدّؤوبِ
وكانَ وسادهُ أحناءَ رحلٍ على أصلابِ ذعلبةٍ هبوبِ
أقيمُ بها سوادَ اللّيلِ نصّاً إذا حبَّ الرُّقادُ إلى الهيوبِ

وقال عمر بن أبي ربيعة:

قالَ لي صاحبي ليعلمَ ما بي أتحبُّ القتولَ أختَ الرّبابِ
قلتُ وجدِي بها كوجدِكَ بالعذ بِ إذا ما منعْتَ بردَ الشَّرابِ
من رسولِي إلى الثّريّا بأنّي ضقتُ ذرعاً بهجرها والكتابِ
أزهقتْ أمُّ نوفلٍ إذْ دعتْها مهجتِي ما لقاتلي من متابِ
حينَ قالتْ قومِي أجيبي فقالتْ من دعانِي قالتْ أبو الخطّابِ
فأجابتْ عندَ الدُّعاءِ كما لبَّى رجالٌ يرجونَ حسنَ الثّوابِ
أبرزُوها مثلَ المهاةِ تهادَى بينَ خمسٍ كواعبٍ أترابِ
فتبدَّتْ حتّى إذا جنَّ قلبي حال دوني ولائذٌ بالثِّيابِ
وهي مكنونةٌ تحيَّرَ منها في أديمِ الخدَّينِ ماءُ الشّبابِ
حين شبَّ القتولُ والعتقُ منها حسنُ لونٍ يرفُّ كالزّريابِ
ذكّرتني من بهجةِ الشَّمسِ لمَّا طلعتْ منْ دجنّةٍ وسحابِ
دميةٌ عندَ راهبٍ قسِّيسٍ صوّرُوها في مذبَحِ المحرابِ

فارجحنَّتْ في حسنِ خلقٍ عميمٍ تتهادَى في مشيِها كالحبُابِ
ثمَّ قالوا تحبُّها قلتُ بهراً عدد القطرِ والحصَى والتُّرابِ
سلبتنِي مجاجةُ المسكِ عقلِي فسلُوها بما يحلُّ اغتصابِي

وقال عمر بن أبي ربيعة:

خليليَّ مرّا بي على رسمِ منزلِ ... وربعٍ لشنباءَ ابنةِ الخيرِ محولِ
أتى دونَهُ عصرٌ فأخنَى برسمهِ ... خلوجان من ريحِ جنوبٍ وشمألِ
سرَى جلِّ ضاحِي جلدهِ ملتقاهُما ... ومرُّ صباً بالمورِ هوجاءُ مجفَلِ
وبدِّلَ بعدَ الحيِّ عيناً سواكِناً ... وخيطَ نعامٍ بالأماعزِ همَّلِ
بما قدْ أرى شنباءَ حيناً تحلُّهُ ... وأترابُها في ناضرِ النّبتِ مبقِلِ
لياليَ تصطادُ القلوبَ بفاحمٍ ... وعيني خذولٍ مونقِ الجوِّ مطفلِ
وجونٍ يثنَّى في العقاصِ كأنَّهُ ... دوانِي قطوفٍ أو أنابيبُ عنصلِ
تضلُّ مداريها خلالَ فرُوعها ... إذا أرسلَتْهُ أو كذا غيرَ مرسلِ
وتنكَلَّ عن غرٍّ شتيتٍ نباتُهُ ... عذابٍ ثناياهُ لذيذِ المقبَّلِ
كمثلِ أقاحِي الرَّملِ يجلو متونَهُ ... سقوطُ ندىً من آخرِ اللّيلِ مخضلِ
إذا ابتسمتْ قلتَ انكلالُ غمامةٍ ... خفا برقُها في عارضٍ متهلّلِ
كأنَّ سحيقَ المسكِ خالطَ طعمهُ ... وريحَ الخزامَى في جديدِ القرنفلِ
بصهباءَ دِرياقِ المدامِ كأنَّها ... إذا ما صفا راووقُها ماءُ مفصلِ
وتمشِي على برديَّتينِ غذاهُما ... همايمُ أنهارٍ بأبطحَ مسهلِ
من الحورِ مخماصٍ كأنَّ وشاحَها ... بعسلوجِ غابٍ بينَ غيلٍ وجدوَلِ
قليلةِ إزعاجِ الحديثِ يروعُها ... تعالِي الضّحَى لم تنتطقْ عنْ تفضّلِ
سؤومُ الضّحَى مكورةُ الخلْقِ غادةٌ ... هضيمُ الحشا حسّانةُ المتعطّلِ
فأمستْ أحاديثَ الفؤادِ وهمَّهُ ... وإنْ كانَ منها قدْ غدا لم ينوَّلِ
وقدْ هاجنِي منْها على النأيِ دمنَةٌ ... لها بقديدٍ دونَ نعفِ المشلّلِ
أرادتْ فلمْ تسطعْ كلاماً وأومأتْ ... إلينا ونصَّتْ جيدَ حوراءِ معزلِ
فقلتُ لأصحابي اربُعوا ساعةٍ ... عليَّ وعوجوا من سواهمَ ذبلَّ
قليلاً فقالوا إنَّ أمركَ طاعةٌ ... لما تشتهي فاقضِ الهوَى وتأمَّلِ
لكَ اليومَ حتى الليلَ إنْ شئتَ فأتمرْ ... وصدرَ غدٍ أو كلُّهُ غيرَ معجلِ

وإنّا على أن تسعفَ النفسُ بالهوَى حراصٌ فما حاولتَ من ذاكَ فافعلِ

ونصُّ المطايا في رضاكَ وحبسُها لكَ اليومَ مبذولٌ ولكنْ تحمَّلِ

فلمّا رأيتُ الحبسَ في رسمِ منزلٍ سفاهاً وجهلاً بالفؤادِ الموكَّلِ

فقلتَ لهمْ سيُروا فإنَّ لقاءَها توافِي الحجيجَ بعدَ حولٍ مكمَّلِ

فما ذكرهُ شنباءَ والدّارُ غربَةٌ عنوجٌ وإنْ تجمعْ تضنَّ وتبخلِ

وإنْ تنأ تحدثْ للفؤادِ زمانةً وإنْ تقتربْ تعدُ العوادِي وتشغلِ

وإنْ تغدُ لا تحفلْ وإنْ تدنُ لا تصلْ وإنْ تنأ لا تصبرْ وإنْ تدنُ تجذَلِ

وإنْ تلتمسْ منّا المودَّةَ نعطِها وإنْ تلتمسْ ممّا لديْها تعلَّلِ

فقدْ طالَ لو تبكِي إلى متحوِّبٍ بكاكَ إلى شنباءَ يا قلبُ فاحتلِ

أفقْ إنَّما تبكِي إلى متمنّعٍ من البخلِ مألوسِ الخليقةِ حوَّلِ

فقدْ كادَ يسلُو القلبُ عنها ومن يطلْ عليهِ التَّنائي والتَّباعدُ يذهلِ

على إنَّهُ إنْ يلقَها بعدَ غيبةٍ يعدْ لكَ داءٌ عائدٌ غيرُ مرسلِ

فإنَّكِ لا تدرينَ أنْ ربَّ فتيةٍ عجالَى ولولا أنتَ لمْ أتعجَّلِ

منعتُهُمُ التَّعريسَ حتَّى بدا لهمْ قواربُ معروفٍ منَ الصّبْحِ منجلِي

ينصّونَ بالموماةِ خوصاً كأنَّها شرائجُ نبعٍ أو شريٍّ معطَّلِ

دقاقاً براها السَّيرُ منها منعَّلُ السَّريحِ وواقٍ من حفاً لمْ ينعَّلِ

فأضحوا جميعاً تعرفُ العينُ فيهمِ كرَى النَّومِ مسترْخي العمائمِ ميَّلِ

على هدمٍ جحدِ الثَّرى ذي مسافةٍ مخوفِ الرَّدى عاري السَّلائقِ مجهَلِ

ترى جيفَ الحفّانِ فيهِ كأنَّها خيامٌ على ماءِ حديثٍ بمنهلِ

إرداةَ أن ألقاكِ يا أثلَ والهوَى كذلكَ حمَّالُ الفتَى كلَّ محملِ

فبعضَ البعادِ يا أثيلَ فإنَّني تروكُ الهوَى عنِ الهوانِ بمعزلِ

أبى لِي ربِّي أنْ أضامَ وصارمٌ حسامٌ وعزٌّ من حديثٍ وأوَّلِ

مقيمٌ بإذنِ الله ليسَ ببارحٍ مكانَ الثُّريّا قاهرٌ غيرُ منزلِ

أقرَّتْ معدٌّ إنَّنا نحنُ خيرُها جدّى	لطالبِ عرفٍ أو لضيفٍ محّولِ
مقاويلُ بالمعروفِ خرسٌ عنِ الخَنا	قضاةٌ بفصلِ الحقِّ في كلِّ محفلِ
أخوهمْ إلى حصنٍ منيعٍ وجارهمْ	بعلياءِ عنٍّ ليسَ بالمتذلّلِ
وفينا إذا ما حادثُ الدَّهرِ أجحفتْ	نوائبُهُ والدَّهرُ جمٌّ التنقُّلِ
لذي الغرمِ أعوانٌ وبالحقِّ قائلٌ	وللحقِّ تبَّاعٌ وللحربِ مصطلِي
وللخيرِ كسَّابٌ وللمجدِ رافعٌ	وللحمدِ أعوانٌ وللخيرِ معتلِ
نبيحُ حصونَ من نعادِي وحصننا	أشمُّ منيعٌ حزنُهُ لم يسهَّلِ
نقودُ ذلولاً من نعادي وقرمُنا	أبيُّ القيادِ مصعبٌ لم يذلَّلِ
نفلِّلُ أنيابَ العدُوِّ ونابُنا	حديدٌ شديدٌ ورقهُ لمْ نذلّلِ
أولئكَ آبائي وعزمِي ومعقِلي	إليهمْ أثيلَ فاسألِي أيَّ معقلِ

وقال عمر أيضاً:

ألمْ تسألِ الأطلالَ والمتربَّعا	ببطنِ حليَّاتٍ دوارسَ بلقَعا
إلى السَّرحِ من وادي المغمَّسِ بدّلتْ	معالمهُ وبلاً ونكباءَ زعزَعا
فيبخلنَ أو يخبرنَ بالعلمِ بعدَما	نكأنَ فؤاداً كان قدماً مفجَّعا
بهندٍ وأترابٍ لهند إذ الهوَى	جميعٌ وإذ لم نخشَ أنْ نتصدَّعا
وإذا نحنُ مثلُ المزنِ كانَ مزاجُهُ	كما صفقَ السّاقي الرَّحيقَ المشعشعا
وإذ لا نطيعُ العاذلينَ ولا نرَى	لواشٍ لدينا يطلبُ الصرّمَ موضعا
تنوعتنَ حتَّى عاودَ القلبَ سقمُهُ	وحتّى تذكرتُ الحديثَ المودَّعا
فقلتُ لمطريهنَّ في الحسنِ إنَّما	ضررتَ فهلْ تسطيعُ نفعاً فتنفعا
وشرَّيتَ فاستشرى وقدْ كانَ قد صَحا	فؤادٌ بأمثالِ المَها كانَ موزَعا
وهيَّجتَ قلباً كانَ قدْ ودَّعَ الصِّبا	وأشياعَهُ فاشفعْ عسَى أنْ تشفَّعا
فقالَ اكتفلْ ثمَّ التثمْ فأتِ باغياً	نسلِّمْ ولا تكثرْ بأنْ تتورَّعا
فإنِّي سأخفي العينَ عنكَ فلا ترَى	مخافةَ أن يفشُو الحديثَ فيسمعَا
فأقبلتُ أهوِي مثلَ ما قالَ صاحبِي	لموعدِهِ أزجي قعوداً موقعاً

فلمّا تواقفنا وسلّمتْ أشرقتْ ... وجوهٌ زهاها الحسنُ أنْ تتقنّعا
تبالهنَ بالعرفانِ لمّا عرفنني ... وقلنَ امرؤٌ باغٍ أكلَّ وأوضعا
وقرّبنَ أسبابَ الهوى لمتيَّمٍ ... يقيسُ ذراعاً كلّما قسنَ إصبَعا
فلمّا تنازعْنا الأحاديثَ قلنَ لي ... أخفتَ علينا أنْ تغرَّ وتخدَعا
فبالأمسِ أرسلْنا بذلكَ خالداً ... إليكَ وبيّنّا لهُ الشّأنَ أجمَعا
فما جئتنا إلاّ على وفقِ موعدٍ ... على ملاءٍ منّا خرجنا لهُ معا
رأينا خلاءً من عيونٍ ومجلِساً ... دميثَ الرُّبا سهلَ المحلَّةِ ممرِعا
وقلنَ كريمٌ نالَ وصلَ كرائمٍ ... فحقَّ بنا في اليومِ أنْ نتمتَّعا

وقال عمر أيضاً:

تشطُّ غداً دارُ جيرانِنا ... وللدّارُ بعدَ غدٍ أبعدُ
إذا جاوزَتْ غمرَ ذي كندَةٍ ... معَ الرَّكبِ قصدٌ لها الفرقدُ
يحثُّ الحداةُ بها عيرَها ... سراعاً إذا ماونتْ تطرَدُ
هنالكَ أمّا تعزِّي الهوَى ... وإمَّا على إثرهِمْ تكمدُ
ولستَ ببدعٍ لئنْ دارُها ... نأتْ والعزاءُ إذنْ أجلدُ
دعانِيَ منْ شيبِ القّذا ... ل رئمُ لهُ عنُقٌ أغيدُ
وعينٌ تصابي وتدعُو الفتَى ... لما تركُهُ للفتَى أرشَدُ
صرمتُ وواصلْتُ حتَّى علمتُ ... أينَ المصادرُ والموردُ
وجرَّبتُ من ذاكَ حتَّى عرفتُ ... ما أتوقَّى وما أعمدُ
فإنَّ التي شيَّعتْها الفتاةُ ... في الخدرِ قلبي بها مقصَدُ

أقولُ وقدْ جدَّ من بينهمِ ... غداةَ إذٍ عاجلٌ موفدُ
ألستَ مشيّعنا ليلةً ... فتقضيِ اللّبانةَ أو تعهدُ
فقلتُ بلَى قلَّ لِي عندكَمْ ... كلالُ المطيِّ إذا تجهَدُ
فعودِي إليها فقولي لها ... مساءَ غدٍ لكمُ الموعدْ

وآيةُ ذلكَ أنْ تسمعِي إذا جاءكُمُ ناشدٌ ينشدُ

فرُحنا سراعاً وراحَ الهوَى دليلاً إليكُمْ بنا يقصدُ

فلمّا دنوْنا لجرسِ النُّباحِوللضوْءِ والحيُّ لم يرقدُوا

نأينا عنِ الحيِّ حتّى إذا تودَّعَ من نارِها الموقِدُ

بعثْنا لنا باغياً ناشداً وفي الحيِّ بغيةُ من أنشدُ

فقامتْ فقلتُ بدتْ صورةٌ من الشَّمسَ شيَّعَها الأسعدُ

فجاءتْ تهادَى على رقبَةٍ منَ والخوفِ أحشاؤُها ترعدُ

تقولُ وتظهِرُ وجداً بنا ووجدِي ولوْ أظهرتُ أوجدُ

ألا منْ شقائي تعلّقتُكُمْ وقدْ كانَ لي عنكُمُ مقعدُ

وكفَّتْ سوابقَ من عبرَةٍ على الخدِّ جالَ بها إثمدُ

عراقيَّةٌ وتهامِي الهَوى يغورُ بمكّةَ أو ينجدُ

وقال عمر أيضاً:

أفي رسمِ دارٍ أنتَ واقفُ بقاعٍ تعفَّتْهُ الرِّياحُ العواصفِ

بما حازتِ الشَّعباءُ فالخيمَةُ التي قفا محرضٍ كأنَّهنَّ صحائفُ

سحا تُربَها أرواحُها فكأنَّما أحالَ عليها بالرَّغامِ النَّواسِف

وقفتُ بها لا منْ أسائلُ ناطقٌ ولا أنا إذْ لمْ ينطقِ الرَّسمَ صارفُ

ولا أنا عمَّنَ يألفُ الرَّبعَ ذاهلٌ ولا التَّبلُ مردودٌ ولا القلبُ عازفُ

ولا أنا ناسٍ مجلساً زارنَا بهِ عشاءً ثلاثٌ كاعبانِ وناصفُ

أسيلاتُ أبدانٍ دقاقٌ خصورُها وثيراتُ ما التفّتْ عليهِ الملاحفُ

إذا قمنَ أو حاولنَ مشياً تأطَّراً إلى حاجةٍ مالتْ بهنَّ الرَّوادفُ

نواعمُ ما يدرِينَ ما عيشُ شقوةٍ ولا هنَّ نمّاتُ الحديثِ زعانفُ

إذا مسّهنَّ الرَّشحُ أو ساقطَ النَّدَى تضوَّعَ بالمسكِ السَّحيقِ المشارفُ

يقلنَ إذا ما كوكبٌ غارَ ليتَهُ بحيثُ رأيناهُ عشاءً يخالفُ

لثنا بهِ ليلَ التَّمامِ بلذَّةٍ نعمناهُ حتَّى جلا الصّبحَ كاشفُ

فلمّا هممنا بالتفرُّقِ أعجلتْ بقايا اللّبانات الدُّموعُ الذّوارفُ
وأصعدنَ في وعثِ الكثيبِ تأوُّداً كما اجتازَ في الوحلِ النّعاجُ الخوارفُ
فأتبعتُهنَّ الطَّرفَ متَّبلَ الهَوى كأنّي يعانيني من الجنِّ طائفُ
تعفّي على الآثارِ أنْ تعرفَ الخُطا ذيولَ الثّيابِ يمنةٌ ومطارفُ
دعاهُ إلى هندٍ تصابٍ ونظرةٌ تدلّي إلى أشياءَ فيها متالفُ
سبتْهُ بوحفٍ في العقاصِ كأنَّهُ عناقيدُ دلاَّها من الكرمِ قاطفُ
وجيدِ خذولٍ بالصَّريمةِ مغزلٍ ووجهٍ حميٍّ أضرعتهُ المخاوفُ
فكلُّ الذي قدْ قلتِ يومَ لقيتُكُمْ على حذرِ الأعداءِ للقلبِ شاعفُ
وحبُّكِ داءٌ للفؤادِ مهيِّجٌ سقاماً إذا ناحَ الحمامُ الهواتفُ
ونشرُكِ شافٍ للذي بي منَ الجَوى وذكركِ ملتذٌّ على النَّومْ طارفُ
وقربُكِ إنْ قاربتِ للشَّملِ جامعٌ وإنْ بنتِ يوماً بانَ منْ أنا آلفُ
وإن راجعتْهُ في التَّرسُّلِ لم يزلْ له من أعاجيب الحديثِ طرائفُ
فإنْ عاتبتُهُ مرَّةً كانَ قلبُهُ لها ضلعُهُ حتّى تعودَ العواطفُ
فكلُّ الذي قدْ قلتِ قدْ كانَ ذكرهُ على القلبِ قرْحاً ينكأ القرحَ قارفُ
بصيرٌ بممشاها وإنْ كانَ بينَنا وبينَهمُ بعدَ المحلِّ تنائفُ
أثيبي ابنة المكنيِّ عنهُ بغيرهِ وعنكِ سقاكِ الغادياتُ الرَّوادفُ
على أنّها قالتْ لأسماءَ سلِّمي عليهِ وقولي حقَّ ما أنتَ خائفُ
أرى الدَّهرَ قدْ شطَّتْ بنا عنْ نواكمُ نوىً غربَةٌ فانظُرْ لأيٍّ تساعفُ
فقلتُ أجلْ لا شكَّ قدْ نبَّأتْ بهِ ظباءٌ جرتْ فاعتافَ من هوَ عائفُ

فقالتْ لها قولي ألستَ بزائرٍ بلادي وإنْ قلّتْ هناكَ المعارفُ
كما لو ملكنْا أنْ نزورَ بلادكُمْ فعلْنا ولمْ يكبُرْ علينا التَّكاليفُ
فقلتُ لها قولي لها قلَّ عندَنا لها جشمُ الظّلماءِ فيما يصادفُ
ونصِّي إليكِ العيسَ شاكيةَ الوَجا مناسِمها ممّا تلاقي رواعفُ

براهنَّ نصِّي والتَّهجُّرُ كلَّما
توقَّدَ مسمومٌ من اليومِ صائفُ

تحسَّرُ عنهنَّ العرائكُ بعدَما
بدأنَ وهنَّ المفقراتُ العلائفُ

وإنّي زعيمٌ أنْ تقرِّبَ فتيَةٌ
إليكِ معيداتُ السِّفارِ عواطفُ

وقال عمر أيضاً:

جرى ناصحٌ بالودِّ بيني وبينَها
فقرَّبني يومَ الحصابِ إلى قتلِي

فطارتْ بحدٍّ من فؤادي ونازعتْ
قرينتَها حبلَ الصّفاءِ إلى حبلِي

فما أنسَ ملأشياءِ لا أنسَ موقفِي
وموقفَها وهناً بقارعةِ النخلِ

فلمّا تواقفنا عرفتُ الذي بها
كمثلِ الّذي بي حذوكَ النعلَ بالنعلِ

فقلنَ لها هذا عشاءٌ وأهلُنا
قريبٌ ألمّا تسأمِي مركبَ البغلِ

فقالتْ فما تهوينَ قلنَ لها انزلِي
فللأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رجلِ

وقمنَ إليها كالدُّمَى فاكتنفنها
وكلٌّ يفدِّي بالمودَّةِ لا يؤلِي

نجومٌ دراريٌّ تكنَّفنَ صورةً
من البدرِ وافتْ غيرُ هوجٍ ولا خجلِ

فسلّمتُ واستأنستُ خيفةَ أنْ يرى
عدوٌّ مكاني أو يرى كاشحٌ فعلِي

فقالتْ وأرختْ جانبَ السِّترِ إنَّما
معِي فتحدَّثْ غيرَ ذي رقبةٍ أهلِي

فقلْتُ لها ما بي لهمْ من ترقّبٍ
ولكن سرِّي ليس يحمله مثلِي

فلمّا اقتصَرْنا دونهنَّ حديثنا
وهنَّ طبيباتٌ بحاجةِ ذي الشَّكْلِ

عرفنَ الذي نهوَى فقُلْنَ لها ائذني
نطفْ ساعةً في طيبِ رملٍ وفي سهلِ

فقالتْ فلا تلبثْنَ قلنَ تحدَّثي
بلغناكِ واستجمعنَ مورَ مها الرَّملِ

فقمنَ وقدْ أفهمنَ ذا اللُّبِّ إنَّما
فعلنَ الذي يفعلنَ من ذاكَ من أجلِي

جرير بن عطية

قال جرير بن عطيّة بن الخطفى، وهو حذيقة بن بدر بن سلمه بن عوف بن كليب بن يربوع بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم يهجو عمرَ بن لجأ التيمي من تيم الرّباب، وقرأتُها على شيخي أبي محمّد بن الخشّاب حفظاً في جملةِ ديوان جرير، وقيلَ: خيرُ شعره:

حيِّ الهدملةَ من ذاتِ المواعيسِ
فالحنوَ أصبحَ قفراً غيرَ مأنوسِ

بينَ المخيصرِ والعزّافِ منزلةٌ كالوحيِ من عهدِ موسَى في القراطيسِ

حيٍّ الدِّيارَ التي شبَّهتُها خللاً أو منهجاً من يمانٍ محَّ ملبُوسِ

لا وصلَ إذ صرمتْ هندٌ ولو وقفتْ لاستفتنتني وذا المسحينِ في القوسِ

لو لمْ تردْ قتلَنا جادتْ بمطرفٍ ممّا يخالطُ حبَّ القلبِ منفوسِ

قدْ كنتِ خدناً لنا يا هندُ فاعتبري ما غالكِ اليومَ من شيبي وتقويسي

لمّا تذكّرتُ بالديرينِ أرَّقني صوتُ الدَّجاجِ وقرعٌ بالنَّواقيسِ

فقلتُ للرّكبِ إذ جدَّ المسيرُ بنا يا بعدَ يبرينَ منْ بابِ الفراديسِ

علَّ الهوى من بعيدٍ أنْ تقرّبَهُ أمُّ النُّجومِ ومرُّ القومِ بالعيسِ

لو قدْ علونَ سماوياً مواردُهُ من نحوِ دومةِ خبتٍ قلَّ تعريسي

هل دعوةٌ منْ جبالِ الثلجِ مسمعةٌ أهلَ الإيادِ وحيّاً بالنَّباريسِ

إنّي إذا الشّاعرُ المغرورُ حرَّبني جارٌ لقبرٍ على مرّانَ مرموسِ

قدْ كانَ أشوسَ أبّاءً فأورثنا شغباً على النَّاسِ في أبنائه الشُّوسِ

تحمِي ونغتصبُ الجبّارُ نجنُبُهُ في محصدٍ من حبالِ القدِّ محموسِ

يخزَى الوشيظُ إذا قالَ الصّميمُ لهمْ عدُّوا الحصى ثمَّ قيسُوا بالمقاييسِ

لا يستطيعُ امتناعاً فقعُ قرقرةٍ بينَ الطَّريقينِ بالبيدِ الأماليسِ

وابنُ اللّبونِ إذا ما لزَّ في قرنٍ لم يستطعْ صولةَ البزلِ القناعيسِ

إنّا إذا معشرٌ كشَّتْ بكارتُهمْ صلنا بأصيدَ سامٍ غيرِ معكوسِ

هل منْ حلومٍ لأقوامٍ فينذرهمْ ما جرَّبَ القومُ من عضّي وتضريسِي

إنّي جعلتُ فما ترجَى معاسرَتِي نكلاً لمستصعَبِ الشَّيطانِ عتريسِ

أحمِي مواسمَ تشْفي كلَّ ذي خطلٍ مسترضعٍ بلبانِ الجنِّ مسلُوسِ

منْ يتّبعْ غيرَ متبوعٍ فإنَّ لنا في ابنيْ نزارٍ نصيباً غيرَ مخسوسِ

وابنا نزارٍ أحلاّني بمنزلةٍ في رأسِ أرعنَ عاديٍّ القداميسِ

إنّي امرؤٌ من نزارٍ في أرومتهمْ مستحصدٌ أجمي فيهمْ وعرِّيسِي

لا تفخرنَّ على قومٍ عرفتَ لهمْ ... نورَ الهدَى وعرينَ العزِّ ذي الخيسِ

قومٌ لهمْ خصَّ إبراهيمُ دعوتَهُ ... إذ يرفعُ البيتَ سوراً فوقَ تأسيسِ

نحنُ الّذينَ ضربْنا النّاسَ عنْ عرضٍ ... حتّى استقامُوا وهمْ أتباعُ إبليسِ

أقصرْ فإنَّ نزاراً لنْ يفاضلَها ... فرعٌ لئيمٌ وأصلٌ غيرُ مغروسِ

قدْ جرَّبتْ عركي في كلِّ معتركٍ ... غلبُ الأسودِ فما بالُ الضّغابيسِ

يلقَى الزّلازلَ أقوامٌ دلفتُ لهمْ ... بالمنجنيقِ وصكّاً بالملاطيسِ

لمّا جمعتُ غواةَ النَّاسِ في قرنٍ ... غادرتُهمْ بينَ محسورٍ ومفروسِ

كانوا كهاوٍ ردى منْ حالقي جبلٍ ... ومغرقٍ في حبابُ الماءِ مغموسِ

خيلي التي وردتْ نجرانَ ثمَّ ثنتْ ... يومَ الكلابِ بوردٍ غيرِ محبوسِ

قد أفعمتْ واديْ نجرانَ معلمةً ... بالدَّارِ عينَ وبالخيلِ الكراديسِ

قد نكتسي بزَّةَ الجبّارِ نجنبُهُ ... والبيضَ نضربها فوقَ القوانيسِ

نحنُ الذينَ هزَمْنا جيشَ ذي نجبٍ ... والمنذرينِ اقتسرْنا يومَ قابُوسِ

تدعوكَ تيمٌ وتيمٌ في قرَى سبأٍ ... قدْ عضَّ أعناقَها جلدُ الجواميسِ

والتّيمُ ألأمُ منْ يمشي وألأمهمْ ... أولادُ ذهلٍ بنو السُّودِ المدانيسِ

تدعى لشرِّ أبٍ يامرفقيْ جعلٍ ... في الصيفِ تدخلُ نقباً غيرَ مكنوسِ

وقال جرير يجيب الفرزدق، ويردُّ عليه، وهي في النقائض:

لمنِ الدِّيارُ رسومهنَّ بوالِ ... أقفرنَ بعدَ تأنُّسٍ وحلالِ

عفى المنازلَ بعدَ منزلنا بها ... مطرٌ وعاصفُ نيرجٍ مجفالِ

عادتْ تقايَ على هوايَ وربَّما ... حنَّتْ إذا ظعنَ الخليطُ جمالِي

إنّي إذا بسطَ الرّماةُ لغلوهم ... عندَ الحفاظِ غلوتُ كلَّ مغالِي

رفعَ المطيُّ بما وسمتُ مجاشعاً ... والزَّنبَريُّ يعومُ ذو الأجلالِ

في ليلتينِ إذا حذَوتُ قصيدَةً ... بلغتْ عمانَ وطيِّئَ الأجبالِ

هذا تقدُّمُنا وزجري مالكاً ... لا يودينَّكَ حينُ قينِكَ مالِ

لمّا رأوا رجمَ العذابِ يصيبُهمْ ... كانَ القيونُ كساقةِ الأفيالِ

يا قرطُ إنَّكمُ قرينةُ خزيةٍ والللؤمُ معتقلٌ قيونُ عقالِ
أمسَى الفرزدقُ للبعيثِ جنيبةُ كابنِ اللّبونِ قرنتَهُ المشتالِ
أرداكَ قينكَ يا فرزدقُ محلباً ما زادَ قومكَ ذاكَ غيرَ خبالِ
ولقدْ وسمتْ مجاشعاً بأنوفها ولقدْ كفيتكَ مدحةَ ابن جعالِ
فانفخْ بكيركَ يا فرزدقُ إنّني في باذخٍ لمحلِّ بيتكَ عالِ
لمّا وليتُ لثغرِ قومِي مشهداً آثرتُ ذاكَ على بنِيَّ ومالِ
إنّي ندبتُ فوارسِي وفعالَهُمْ وندبتَ شرَّ فوارسٍ وفعالِ
نحنُ الولاةُ لكلِّ حربٍ تتقَى إذْ أنتَ محتضرٌ لكيركَ صالِ
من مثلُ فارسِ ذي الخمارِ وقعنبٍ والحنتفينِ لليلةِ البلبالِ
والرِّدفِ إذ ملكَ الملوكَ ومنْ لهُ عظمُ الدّسائعِ كلَّ يومِ فضالِ
الذّائدونَ إذا النّساءُ تبدّلتْ شهباءَ ذاتَ قوانسٍ ورعالِ
قومٌ همُ غمُّوا أباكَ وفيهمِ حسبٌ يفوتُ بني قفيرةَ عالِ
إنّي لتستلبُ الملوكَ فوارسِي وينازلونَ إذا يقالُ نزالِ
من كلِّ أبيضَ يستضاءُ بوجههِ نظرَ الجحيجِ إلى خروجِ هلالِ
تمضي اسنّتنا وتعلمُ مالكٌ أنْ قدْ منعتُ حزونتِي ورمالِي
فاسألْ بذي نجبٍ فوارسَ عامرٍ واسألْ عيينةَ يومَ جزعِ ظلالِ

ولربَّ معضلةٍ دفعنا بعدَما عيَّ القيونُ بحيلةِ المحتالِ
إنَّ الجيادَ يبتنَ حولَ قبابنا من آلِ أعوجَ أو لذِي العقّالِ
منْ كلِّ مشترفٍ وإنْ بعدَ المدَى ضرمِ الرِّقاقِ مناقلِ الأجرالِ
متقاذفٍ تلعٍ كأنَّ عنانَهُ علقٌ بأجردَ من جذوعِ أوالِ
صافي الأديمِ إذا وضعتَ جلالَهُ ضافِي السَّبيبِ يبيتُ غيرَ مذالِ
والمقرباتُ نقودهنَّ على الوَجَى بحثَ السِّباعِ مدامعَ الأوشالِ
تلكَ المكارمُ يا فرزدقُ فاعترفْ لاسوقَ بكركَ يومَ جوفِ أبالِ

أبنِي قفيرةَ من يوزِّعُ وردَنا	أم منْ يقومُ لشدَّةِ الأحمالِ
أحسبتَ يومكَ بالوقيظِ كيومِنا	يومَ الغبيطِ بقلّةِ الأدحالِ
ظلَّ اللّهازمُ يلعبونَ بنسوةٍ	بالجوِّ يومَ يفخنَ بالأبوالِ
يبكينَ من حذرِ السّباءِ عشيَّةً	ويملنَ بينَ حقائبٍ ورحالِ
لا يخفينَّ عليكَ أنَّ مجاشعاً	شبهُ الرَّجالِ وما همُ برجالِ
مثلُ الضّباعِ يسفْنَ ذيخاً رائحاً	ويخرنَ في كمرٍ ثلاثَ ليالِ
وإذا ضئينُ بني عقالٍ ولدّتْ	عرفوا مناخرَ سخلِها الأطفالِ
أمّا سبابي فالعذابُ عليهمُ	والموتُ للنَّخباتِ عندَ قِتالِي
كالنّيبِ خرَّمَها الغمائمُ بعدَما	ثلَّطنَ عنْ حرضٍ بجوفِ أثالِ
جوفٌ مجارفُ للخزيرِ وقدْ أوَى	سلبَ الزُّبيرِ إلى بنِي الذَّيّالِ
ودعا الزّبيرُ مجاشعاً فتزمزمَتْ	للغدرِ ألأمُ آنفٍ وسبالِ
يا ليتَ جارَكمُ الزُّبيرَ وضيفكُمْ	إيّاي لبَّسَ حبلَهُ بحبالِي
اللّهُ يعلمُ لو تناولَ ذمَّةً	منّا لجزِّعَ في النُّحُورِ عوالِي
وتقولُ جعثنٍ إذ رأتكَ مقنعاً	قبّحتَ منْ أسدٍ أبي أشبالِ
ألوى بها شذبُ العروقِ مشذّبٌ	فكأنَّما وكنتْ على طربالِ
باتتْ تناطحُ بالحبوبِ جبينَها	والرُّكبتينِ مدافعَ الأوعالِ
ما بالُ أمِّكَ إذْ تسربلَ درعَها	ومنَ الحديدِ مفاضةٌ سربالِي
شابتْ قفيرَةُ وهي فائرةُ النَّسا	في الشَّولِ بينَ أصرَّةٍ وفصالِ
بكرتْ معجّلَةً يشرشرُ بظْرَها	قتبٌ ألحَّ على أزبَّ ثفالِ
قبحَ الإلهُ بني خضافٍ ونسوةً	باتَ الخزيرُ لهنَّ كالأحقالِ
من كلِّ آلفةِ المواخرِ تتَّقِي	بمجرَّدٍ كمجرَّدِ البغّالِ
قامتْ سكينةُ للفجورِ ولمْ تقُمْ	أختُ الحتاتِ لسورَةِ الأنفالِ
ودَّتْ سكينةُ أنَّ مسجدَ قومِها	كانتْ سواريهِ أيورُ بغالِ
ولدَ الفرزدقَ والصَّعاصعَ كلَّهمْ	علجٌ كأنَّ بظورهنَّ مقالِ

يا ضبَّ قد فرغتْ يمينِي فاعلمُوا | خلواً وما شغلَ القيونُ شمالي
يا ضبَّ علّي أنْ تصيبَ مواسمِي | كوزاً على حنقِي ورهطَ بلالِ
يا ضبَّ إنِّ قدْ طبخْتُ مجاشعاً | طبخاً يزيلُ مجامعَ الأوصالِ
يا ضبَّ لولا حينكُمْ ما كنتمُ | غرضاً لنبلِي حينَ جدَّ نضالِي
يا ضبَّ إنَّكمُ البكارُ وإنَّني | متخمّطٌ قطمٌ يخافُ صيالي
يا ضبَّ غيركمُ الصَّميمُ وأنتمُ | تبعٌ إذا عدَّ الصَّميمُ موالِي
يا ضبَّ إنَّكمُ لسعدٍ حشوَةٌ | مثلُ البكارُ ضممتَها الأغفالِ
يا ضبَّ إنَّ هوَى القيونِ أضلّكمْ | كضلالِ شيعةِ أعورَ الدّجَّالِ

وقال جرير يردُّ على الفرزدق، وهي في النقائض:

ما هاجَ شوقكَ من رسومِ ديارِ | بلوَى عنيقٍ أو بصلبِ مطارِ
أبقَى العواصفُ من بقيَّةِ رسمِها | شذبَ الخيامِ ومربطَ الأمهارِ
أمنَ الفراقِ لقيتَ يومَ عنيزةٍ | كهواكَ يومَ شقائقِ الأحفارِ
ورأيتُ نارَكِ إذا أضاءَ وقودُها | فرأيتُ أحسنَ مصطلينَ ونارِ
أمّا البعيثُ فقدْ تبيَّنَ أنَّهُ | عبدٌ فعلَّكَ في البعيثِ تمارِي
واللُّؤمُ قدْ خطبَ البعيثَ وأرزقت | أم الفرزدق عند شرّ حوارِ
إن الفررذق والبعيث وأمَّهُ | وأبا البعيثِ لشرُّ ما إستارِ

طاحَ الفرزدقُ في الرِّهانِ وغمَّهُ | غمرُ البديهةِ صادقُ المضمارِ
ترجُو الهوادةَ يا فرزدقُ بعدَما | أطفأتَ ناركَ واصطليتَ بنارِي
إنِّي ليحرقُ منْ قصدتُ لشتمهِ | نارِي ويلحقُ بالغواةِ سعارِي
تبّاً لفخركَ بالضَّلالِ ولمْ يزلْ | ثوبا أبيكَ مدنّسينِ بعارِ
ماذا تقولُ وقدْ علوتُ عليكمُ | والمسلمُونَ لما أقولُ قوارِي
وإذا سألتَ قضَى القضاةُ عليكمُ | وإذا افتخرتَ علا عليكَ فخارِي
فأنا النّهارُ علا عليكَ بضوئهِ | واللّيلُ يقبضُ بسطةَ الأبصارِ

إنَّا لنربَعُ بالخميسِ ترَى لهُ رهجاً ونضربُ قونسَ الجبّارِ
إذ لا تغارُ على النّساء مجاشعٌ يومَ الحفاظِ ولا يفونَ لجارِ
أنّي لقومكَ مثلَ عدوَةِ خيلِنا بالشّعبِ يومَ مجزَّلِ الأمرارِ
قومي الّذين يزيدُ سمعي ذكرهمْ سمعاً وكانَ بضوئهمْ إبصاري
والمورِدونَ على الأسنّةِ قرَّحاً حمراً مساحلهنَّ غيرَ مهارِ
هلْ تشكرونَ لمنْ تداركَ سبيكُمْ والمُرْدفاتُ يملنَ بالأكوارِ
إنّي لتعرَفُ في الثغورِ فوارِسي ويفرِّجونَ قتامَ كلِّ غبارِ
نحنُ البناةُ دعائماً وسوارياً يعلونَ كلَّ دعائمٍ وسوارِي
تدعُو ربيعةُ والقميصُ مفاضَةٌ تحتَ النِّجادِ تشدُّ بالأزرارِ
إنَّ البعيثَ وعبدَ آلِ مقاعسٍ لا يقرآنِ بسورةِ الأحبارِ
أبلغْ بني وقبانَ أنَّ نساءَهمْ خورٌ بناتُ موقّعٍ خوّارِ
كنتمْ بني أمةٍ فأغلقَ دونكمْ بابُ المكارمِ يا بني النَّخوارِ
أبنِي قفيرةَ قدْ أناخَ إليكمُ يومَ التَّقاسمِ لؤمُ آلِ نزارِ
إنَّ اللّئامِ بنِي اللّئامِ مجاشعٌ والأخبثينَ محلَّ كلِّ إزارِ
إنَّ المواجنَ منْ بناتِ مجاشعٍ مأوى اللّصوصِ وملعَبُ العهَّارِ
تبكِي المغيبةُ من بناتِ مجاشعٍ ولهَى إذا سمعتْ نهيقَ حمارِ
لا تبتغي كمراً بناتُ مجاشعٍ ويردنَ مثلَ بيازرِ القصّارِ
أبنيَّ شعرةَ ما أردتَ وحربُنا بعدَ المراسِ شديدةُ الإضرارِ
سارَ القصائدُ فاستبحنَ مجاشعاً ما بينَ مصرَ إلى جنوبِ وبارِ
يتلاومونَ وقدْ أباحَ حريمَهمْ قينٌ أحلَّهمُ بدارِ بوارِ
أعليَّ تغضبُ أنْ قفيرةُ أشبهتْ منهُ مكانَ مقلَّدٍ وعذارِ
نامَ الفرَزْدَقُ عنْ نوارَ كنومهِ عنْ عقرِ جعثنَ ليلةَ الإخفارِ
قال الفرزدقُ إذ أتاهُ حديثُها ليستْ نوارُ مجاشعٍ بنوارِ
تدعُو ضريسَ بَني الحتاتِ إذا انتشتْ وتقولُ ويحكَ من أحسَّ سوارِي

إنَّ القصائدَ لنْ تزالَ سوانِحاً بحديثِ جعثنَ ما ترنَّمَ سارِي

لمّا بنَى الخطفَى رضيتُ بما بنَى وأبُو الفرزَدَقِ نافخُ الأكيارِ

ويبيتُ يشربُ عندَ كلِّ مقصِّصٍ خضلِ الأناملِ واكفَ المعصارِ

لا تفخرَنَّ فإنَّ دينَ مجاشعٍ دينُ المجوسِ تطوفُ حولَ دوارِ

وقال جرير أيضاً يجيبُ الفرزدق:

ألا حيِّ ربعَ المنزلِ المتقادمِ وما حلَّ مذ حلَّتْ بِهِ أمُّ سالمِ

تميميَّةٌ حلَّتْ بحومانةَ قساً حمَى الخيلِ ذادتْ عن قسىً فالصَّرائمِ

أبيتِ فما تقضينَ ديناً وطالَما بخلتِ بحاجاتِ الصَّديقِ المكارمِ

بنا كالجوَى ممّا نخافُ وقدْ نرَى شفاءَ القلُوبِ الصّادياتِ الحوائمِ

أعاذلَ هيجينِي لبينٍ مصارمٍ غداً أو ذرينِي من عتابِ الملاومِ

أغرَّكِ منّي أنَّما قادَنِي الهوَى إليكِ وما عهدٌ لكنَّ بدائمِ

ألا ربَّما هاجَ التَّذكُّرُ والهوَى بتعلةَ أعشاشٍ دموعِ السَّواجمِ

عفتْ قرقرَى والوشمُ حتَّى تنكَّرتْ معارفُها والخيمُ ميلُ الدَّعائمِ

وأقفرَ وادِي ثرمداءَ وربَّما تدانَى بذِي بهدَى حلولُ الأصارمِ

لقدْ ولدتْ أمُّ الفرزدقِ فاجراً فجاءتْ بوزوازٍ قصيرِ القوائمِ

وما كانَ جارٌ للفرزدقِ مسلمٌ ليأمنَ قرداً ليلهُ غيرُ نائمِ

يوصّلُ حبليهِ إذا جنَّ ليلُهُ ليرقَى إلى جاراتِه بالسَّلالِمِ

أتيتَ حدودَ اللهِ مذْ كنتَ يافعاً وشبتَ فما ينهاكَ شيبُ اللّهازمِ

تتبَّعُ في الماخورِ كلَّ مريبَةٍ ولستَ بأهلِ المحصناتِ الكرائمِ

رأيتكَ لا توفِي لجارٍ أجرتَهُ ولا مستعفٌّ عن لئامِ المطاعمِ

هوَ الرّجسُ يا أهلَ المدينةِ فاحذرُوا مداخلَ رجسٍ بالخبيثاتِ عالمِ

لقدْ كانَ إخراجُ الفرزدَقِ عنكمُ طهوراً لما بينَ المصلَّى وواقمِ

أتمدَحُ يا ابنَ القينِ سعداً وقدْ جرتْ لجعثنَ فيهمْ طيرُها بالأشائمِ

وتمدَحْ يا ابنَ القينِ سعداً وقدْ ترَى أديمكَ فيهمْ واهياً غيرَ سالمِ

تبرِّئُهُمُ من عقرِ جعثنَ بعدَما أتتكَ بمسلُوخِ البظارَةِ وارمِ

تنادي بنصفِ اللّيلِ يآلَ مجاشعٍ وقدْ جلدَ استِها بالعجارِمِ

فإنَّ مجرَّ الجعثنَ ابنةِ غالبٍ وكيريْ جبيرٍ كانَ ضربةَ لازمِ

تلاقِي بناتِ القينِ من خبثِ مائهِ ومنْ وهجانِ الكيرِ سودَ المعاصمِ

وإنَّكَ يا ابنَ القينِ لستَ بنافِخٍ بكيرِكَ إلا قاعداً غيرَ قائمِ

فما وجدَ الجيرانُ حبلَ مجاشعٍ وفيّاً ولا ذا مرَّةٍ في العزائمِ

ولامتْ قريشٌ في الزّبيرِ مجاشعاً ولم يعذرُوا من كان أهلَ الملاومِ

وقالتْ قريشٌ ليتَ جارَ مجاشعٍ أتى شبثاً أو كانَ جارَ ابن خازمِ

ولو حبلُ تيميٍّ تناولَ جارَكُمْ لما كان عاراً ذكرهُ في المواسمِ

فغيركَ أدّى للخليفةِ حقّهُ وغيركَ جلَّى عنْ وجوهِ الأهاتمِ

وإنَّ وكيعاً حينَ خارتْ مجاشعٌ كفَى شعبَ صدعِ الفتنةِ المتفاقمِ

لقدْ كنتَ فيها يا فرزدقُ تابعاً وريشُ الذُّنابّي تابعٌ للقوادمِ

ندافعُ عنكمُ كلَّ يومِ عظيمةٍ وأنتَ قراحيٌّ بسيفِ الكواظمِ

أجبناً وفخراً يا بني زبد استُها ونحنُ نشبُّ الحربَ شيبَ المقادمِ

أباهلَ ما أحببتُ قتلَ ابن مسلمٍ ولا أن تروعوا قومكُمْ بالمظالمِ

أباهلَ قدْ أوفيتُمُ من دمائكمْ إذا ما قتلتُمْ رهطَ قيسِ بنْ عاصمِ

تحضّضُ يا ابنَ قيساً ليجعلوا لقومكَ يوماً مثلَ يومِ الأراقمِ

إذا ركبتْ قيسٌ خيولاً مغيرةً على القينِ يقرَعْ سنَّ خزيانَ نادمِ

وقبلكَ ما أخزَى الأخيطلُ قومَهُ وأسلمهُمْ في المأزقِ المتلاحمِ

رويدكمُ مسحَ الصّليبِ إذا دنا هلالُ الجزا واستعجلُوا بالدَّراهمِ

وما زالَ في قيسٍ فوارسُ مصدقٍ حماةٌ وحمّالونَ ثقلَ المغارمِ

وقيسٌ همُ الكهفُ الّذي نستعدُّهُ لفضلِ المساعِي وابتناءِ المكارمِ

إذا حدبتْ قيسٌ عليَّ وخندفٌ أخذتُ بفضلِ الأكثرين الأكارمِ

فإنْ شئتَ من قيسٍ ذرَى متمَنِّعٍ وإنْ شئتَ طوداً خندفيَّ المخارِمِ
ألمْ ترني أردي بأكنافِ خندفٍ وأكنافِ قيسٍ نعمَ كهفُ المراجمِ
وقيسٌ همُ الكهفُ الّذي نستعدُّهُ لدفعِ الأعادي أو لحملِ العظائمِ
بنو المجدِ قيسٌ والعواتكُ منهمُ ولدنَ بحوراً للبحُورِ الخضارمِ
لقدْ حدبتْ قيسٌ وأفناءُ خندفٍ على مرهبٍ حامِي ذمارَ المحارمِ
فما زادني بعدُ المدَى نقضَ مرَّةٍ ولا رقَّ عظمِي للفؤوسِ العواجمِ
تراني إذا ما النّاسُ عدُّوا قديمهمْ وفضلَ المساعِي مسفراً غيرَ واجمِ
بأيّامِ قومٍ ما لقومكَ مثلَها بها سهّلوا عنّي خبارَ الجراثمِ
إذا ألجمتْ قيسٌ عناجيجَ كالقَنا مججنَ دماً منْ طولِ علكِ الشَّكائمِ
سبوا نسوةَ النّعمانِ وابنيْ محرِّقٍ وعمرانَ قادُوا عنوةً بالخزائمِ
وهمْ أنزلُوا الجونينِ في حومةِ الوغَى ولم يمنَعِ الجونينِ عقدُ التّمائمِ
كأنَّكَ لم تشهدْ لقيطاً وحاجباً وعمرو بن عمرو إذ دعوا يا آل دارمِ

ولم تشهدِ الجونينِ والشّعبَ ذا الصّفا وشدّاتِ قيسٍ يومَ ديرِ الجماجمِ
أكلَّفتَ قيساً أن نبا سيفُ غالبٍ وشاعتْ لهُ أحدوثةٌ في المواسمِ
بسيفِ أبي رغوانَ سيفِ مجاشعٍ ضربتَ ولم تضربْ بسيفِ ابن ظالمِ
ضربتَ به عندَ الإمامِ فأرعشَتْ يداكَ وقالوا محدَثٌ غيرُ صارمِ
ضربتَ بهِ عرقوبُ نابٍ بصوأرٍ ولا يضربونَ البيضَ تحتَ العمائمِ
عنيفٌ بهزِّ السّيفِ قينُ مجاشعٍ رفيقٌ بأخراتِ الفؤوسِ الكرازمِ
ستخبرُ يا ابن القينِ إنَّ رماحَنا أباحتْ لنا ما بينَ فلجٍ وعاسمِ
ألا ربَّ قومٍ قدْ نكحنا بناتهمْ بصمِّ القنا والمقرباتِ الصّلادمِ
لقد حظيتْ قدماً سليمٌ وعامرٌ وعبسٌ بتجريدِ السّيوفِ الصّوارمِ
وعبسٌ همُ يومَ الفروقينِ طوّقوا بأسيافهمْ قدموسَ رأسٍ صلادمِ
وإنّي وقيساً يا ابن قينِ مجاشعٍ كريمٌ صفيٌّ مدحتي للأكارمِ

إذا عدَّتِ الأيامُ أخزيتَ دارماً ويخزيكَ يا ابنَ القينَ مسعاةُ دارمِ

ألم تعطِ عصباً ذا الرّقيبةِ حكمَهُ ومنيةَ قيسٍ في نصيبِ الزّهادمِ

وأنتمْ فررتُم عنْ ضرارٍ وعثجَلٍ وأسلمَ مسعودٌ غداةَ الحناتمِ

وفي أيّ يومٍ واضحٍ لم تقرّنوا أسارَى كتقرينِ البكارِ المقاحمِ

ويومَ الصّفا كنتمْ عبيداً لعامرٍ وبالحزنِ أصبحتُمْ عبيدَ اللّهازمِ

وليلةَ وادي رحرحانَ رفعتُمْ فراراً ولم تلوُوا زفيفَ النّعائمِ

تركتُمْ أبا القعقاعِ في الغلِّ معبداً وأيُّ أخٍ لمْ تسلمُوا للأداهمِ

جلبتُم إلى عوفٍ مزاداً فقادهُ برمَّةِ مخذولٍ على الدَّينِ غارمِ

إذا نزلُوا يوماً سمعتُمْ ملامةً بجمعٍ منَ الأعياصِ أو آلِ هاشمِ

أحاديثُ ركبانِ المحجّةِ كلّما تأوّهنَ خوصاً داميات المناسمِ

وجارتْ عليكمْ في الحكومةِ منقرٌ كما جارَ عرفٌ في قتيلِ الضّماضمِ

فأخزاكمُ عوفٌ كما قدْ خزيتُمُ وأدركَ عمّارٌ تراتَ البراجمِ

لقدْ ذقتُ منّي طعمَ حربٍ مريرةٍ وما أنتَ إنْ جاريتَ قيساً بسالمِ

قفيرةٌ من قنٍّ لسلمى بن جندلٍ أبوكَ ابنُها بينَ الإماءِ الخوادمِ

وقال جرير يهجُو الرّاعي النُّميري:

أقلّي اللّومَ عاذلَ والعتابا وقولِي إنْ أصبْتُ لقدْ أصابا

أجدَّكَ لا تذكّرُ أهلَ نجدٍ وحيّاً طالَ وما انتظرُوا الإيابا

بلى فارفضَّ دمعكَ غيرَ نزرٍ كما عينتَ بالسّرَبِ الطّبابا

أيجمعُ قلبُهُ طرباً إليكُمْ وهجراً بيتَ أهلِك واجتنابا

سألناها الشّفاءَ فما شفتْنا ومنّتنا التّودّدَ والخلابا

وقلتُ بحاجةٍ وطلبتُ أخرَى وهاجَ عليَّ بينهمُ اكتئابا

أسيلَةُ معقدِ القرْطينِ منها وريّاً حيثُ تعتقدُ الحقابا

ولا يمشي اللّئيمُ لها بسبٍّ ولا تهدي لجارَتها السِّبابا

ووجدٍ قدْ طويتُ يكادُ منهُ ضميرُ القلبِ يلتهبُ الْتهابا

متى أذكَرْ لخورِ بنِي عقالٍ تبيَّنَ في وجوههمُ اكتئابا
إذا لاقى بنُور وقبانَ غمّاً شددتُ على أنوفِهمِ العصابا
أبى لي ما مضى لي في تميمٍ وفي حتَّى خزيمةَ أنْ أعابا
سيعلمُ منْ يكونُ أبوهُ قيناً ومنْ عرفتْ قصائدُهُ اجتلابا
أثعلبةَ الفوارِسِ أو رياحاً عدلتَ بهمْ طهيَّةَ والخشابا
رأيتَ سوادَهُ فدنونَ منهُ فيرميهنَّ أخطأ أو أصابا
فلا وأبيكَ ما لا قيتَ حيّاً كيربوعٍ إذا رفعُوا العقابا
وما وجدَ الملوكُ أعزَّ منّا وأسرَعَ من فوارِسِيَ استلابا
إذا حربٌ تلقَّحُ عنْ حيالٍ ودرَّتْ بعدَ مريتِها اعتصابا
ونحنُ الحاكمونَ على قلاخٍ كفينا ا الجريرةِ والمصابا
حمينا يومَ نجبٍ حمانا وأحرزْنا الصّنائعَ والنّهابا
لنا تحتَ الحمائلِ سابغاتٌ كنسجِ الرِّيحِ تطّردُ الحبابا

وذي تاجٍ لهُ خرزاتُ ملكٍ سلبناهُ السّرادقَ والحجابا
ألا قبحَ الإلهُ بني عقالٍ زادهُم بغدرِهمِ ارتيابا
أجيرانَ الزّبيرِ برئتُ منكمْ فألقوا السّيفَ واتّخذوا العيابا
لقدْ غرَّ القيونُ دماً كريماً ورحلاً ضاعَ وانتهبَ انتهابا
وقدْ قعستْ ظهورُهُمُ بخيلٍ تجاذبُهمْ أعنَّتها جذابا
علامَ تقاعسونَ وقدْ دعاكمْ أهانكُمُ الذي وضعَ الكتابا
تعشُّوا من خزيرهمِ فنامُوا ولمْ تهجَعْ قرائبُهُ انتحابا
أتنسونَ الزّبيرَ ورهنَ عوفٍ وجعثنَ بعدَ أعينَ والرَّبابا
ألمْ ترَ أنَّ جعثنَ سعدٍ تسمَّى بعدَ قضَّتِها الرُّحابا
تحزحزُ حينَ جاوزَ ركبتيها وهزَّ القزبريُّ بها فغابا
ترى برصاً بمجمعِ اسكتيْها كعنفقةِ الفرزدقِ حينَ شابا

وهلْ أمٌّ تكونُ أشدُّ رعياً   وصرّاً من قفيرةَ واحتلابا

ومقرفةِ اللّهازمِ من عقالٍ   يغرّقُ ماءُ نخبتِها الذُّبابا

تواجهُ بعلَها بعضارطيٍّ   كأنَّ على مشافرهِ جُبابا

وخورُ مجاشعٍ تركُوا لقيطاً   وقالوا حنوَ عينكَ والغُرابا

وأضبعُ ذي معاركَ قدْ علمتُمْ   لقينَ بجنبهِ العجبُ العجابا

وليلةَ رحرحانَ تركتُ شيباً   وشعثاً في بيوتكمُ سغابا

رضعتُمْ ثمَّ سالَ على لحاكُمْ   ثعالهُ حينَ لمْ تجدُوا شرابا

وإنَّ مجاشعاً جمعوا فياشاً   وأستاهاً إذا فزعُوا رطابا

فلا وأبيكَ ما لهمُ عقولٌ   وما وجدتْ مكاسرهمْ صلابا

تركتمْ بالوقيطِ عضارطاتٍ   تردَّفُ عندَ رحلتِها الرِّكابا

لقدْ خزي الفرزدقُ في معدٍّ   فأمسَى جهدُ نصرَتهِ اغتيابا

ولاقى القينُ والنَّخباتُ غمّاً   ترى لوُكُوفِ عينيهِ انصبابا

أتوعدُني وأنتَ مجاشعيٌّ   أرى في جنبِ لحيتكَ اضطرابا

فما خفتُ الفرزدقَ قدْ علمتُمْ   وما حقٌّ ابنُ بروعَ أنْ يهابا

أعدَّ اللّهُ للشُّعراءِ منّي   صواعقَ يخضعونَ لها الرِّقابا

قرنتُ العبدَ عبدَ بني نميرٍ   مع القينينِ إذْ غلبا وخابا

أتاني عنْ عرادةَ قولَ سوءٍ   فلا وأبي عرادةَ ما أصابا

وكمْ لكَ يا عرادُ من أمٍّ سوءٍ   بأرض الطّلحِ تحتبلُ الزَّبابا

عرادةُ منْ بقيّةِ قومِ لوطٍ   ألا تبّاً لما فعلُوا تبابا

لبئسَ الكسبُ تكسبُهُ نميرٌ   إذا استأنوكَ وانتظروا الإيابا

أتلتمسُ السّبابَ بنو نميْرٍ   فقدْ وأبيهمِ لاقوْا سبابا

أنا البازي المطلُّ على نميرٍ   أتحتُ من السّماء لها انصبابا

إذا علقتْ مخالبُهُ بقرنٍ   أصابَ القلبَ أو هتكَ الحجابا

ترَى الطَّيرَ العتاقَ تظلُّ منهُ   جوانحَ للكلاكلِ أنْ تصابا

فلو وضعتْ فقاحُ بني نميرٍ على خبثِ الحديد إذنْ لذابا
فلا صلّى المليكُ على نميرٍ ولا سقيتْ قبورهمُ السَّحابا
وخضراءِ المغابنِ من نميرٍ يشينُ سوادُ محجرها النّقابا
إذا قامتْ لغيرِ صلاةِ وترٍ بعيدَ النّومِ أنبحتِ الكلابا
تطلّى وهي سيئةُ المعرَّى بصنِّ الوبرِ تحسبُهُ ملابا
كأنَّ شكيرَ نابتِ اسكتيْها سبالُ الزُّطِّ عقَّلتِ الرّكابا
وقدْ جلّتْ نساءُ بني نميرٍ وما عرفتْ أناملُها الخضابا
إذا حلّتْ نساءُ بني نميرٍ على تبراكَ خبّثتِ التُّرابا
ولو وزنتْ حلومُ بنِي نميرٍ على الميزانِ ما وزنتْ ذبابا
فصبراً يا تيوس بني نميرٍ فإنَّ الحربَ موقدةٌ شهابا
لعمرُ أبي نساء بني نميرٍ لساءَ لها بمقصبتِي سبابا
سيهدمُ حائطيْ قرماءَ منّي قوافٍ لا أريدُ لها عتابا
دخلنَ قصورَ يثربَ معلماتٍ ولم يتركنَ من صنعاءَ بابا
تطولكمُ حبالُ بني تميمٍ ويحمي زأرُها أجماً وغابا
ألمْ نعتقْ نساءَ بني نميرٍ فلا شكراً جزيتَ ولا ثوابا

أجندَلُ ما تقولُ بنو نميرٍ إذا ما الأيرُ في استِ أبيكِ غابا
ألمْ ترنِي صببتُ على عبيدٍ وقدْ فارتْ أباجلُهُ وشابا
أعدُّ لهُ مواسمَ حامياتٍ فيشفي حرُّ شعلَتِها الجرابا
فغضَّ الطّرفَ إنّكَ من نميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا
أتعدلُ دمنةً خبثتْ وقلَّتْ إلى فرعينِ قدْ كثرا وطابا
وحقَّ لمنْ تكنّفهُ قريعٌ وضبّةُ لا أبا لكَ أنْ يعابا
فلولا الغرُّ منْ سلفى كلابٍ وكعبٍ لاغتصبتكمُ اغتصابا
وإنّكمُ قطينُ بني سليمٍ ترى برقَ العباءِ لكمْ ثيابا

إذنْ لنفيتُ عبدَ بنِي نميرٍ وعلّي أنْ أزيدهمُ ارتيابا

فيا عجباً أتوعدُني نميْرٌ براعِي الإبلِ يحترشُ الضِّبابا

لعلّكَ يا عبيدُ حسبتَ حربي تقلُّدكَ الأصرَّةَ والعلابا

إذا نهضَ الكرامُ إلى المعالِي نهضتَ بعلبةٍ وأثرتَ نابا

تبوءُ لها بمحينة وحيناً تبادرُ حدَّ درتها السِّقابا

تحنُّ له العفاسُ إذا أفاقتْ وتعرفُهُ الفصالُ إذا أهابا

فأوْلِع بالعفاسِ بني نميرٍ كما أولعتَ بالدَّبَرِ الغرابا

وبئسَ القرْضُ قرضكَ عندَ قيسٍ تهجّيها وتمتدحُ الوطابا

وتدعو خمشَ أمكَ أنْ ترانا نجوماً لا ترومُ لها طلابا

فلنْ تسطيعَ حنظلتِي وسعدِي وعمرِي إنْ دعوتُ ولا الرِّبابا

قرومٌ تحملُ الأعباءَ عنكُمْ إذا ما الأمرُ في الحدَثانِ نابا

همُ ملكُوا الملوكَ بذاتِ كهفٍ وهمْ منعوا من اليمنِ الكلابا

إذا غضبتْ عليكَ بنو تميمٍ وجدتَ النّاسَ كلَّهمُ غضابا

ألسنا أكثرَ الثّقلينِ رجلاً ببطنِ منىً وأعظمَهُ قبابا

وأجدرَ أنْ تجاسرَ ثمَّ نادَى بدعوَى يآلَ خندفَ أنْ يجابا

لنا البطحاءُ نفعمُها السّواقِي ولمْ يكُ سيلُ أوديتِي شعابا

فما أنتمْ إذا عدلتْ قرومِي شقاشقَها وهافتتِ اللُّعابا

تنحَّ فإنَّ بحريَ خندفيٌّ ترى لفحولِ جريتِهِ عُبابا

بموجٍ كالجبالِ فإنْ ترمهُ تغرّقْ ثمَّ يرمِ بكَ الجنابا

وما تلقَى محلّي في تميمٍ بذي زللٍ ولا نسبي انتسابا

علوتُ عليكَ ذروةَ خندفيٍّ ترى منْ دونها رتباً صعابا

لنا حوضُ الرّسولِ وساقياهُ ومنْ ورثَ النبوّةَ والكتابا

ومنّا منْ يجيزُ حجيجَ جمعٍ وإنْ خاطبتَ عزّكمُ خطابا

ستعلمُ من أعزُّ حمىً بنجدٍ وأعظمُها بغائرةٍ هضابا

أعزُّكَ بالحجازِ فإنْ تسهَّلْ لغورِ الأرضِ تنتهبُ انتهابا

أتيعرُ يا ابن بروعَ منْ بعيدٍ فقدْ أسمعتَ فاستمعِ الجوابا

فلا تجزعْ فإنَّ بني نميرٍ كأقوامٍ نفحتَ لهمْ ذنابا

شياطينُ البلادِ يخفنَ زأري وحيَّةُ أريحيّا لي استجابا

تركتُ مجاشعاً وبنِي نميرٍ كدارِ السّوءِ أسرعتِ الخرابا

ألمْ ترَنِي وسمتُ بنِي نميرٍ وزدتُ على أنُوفهمُ العِلابا

وقال جرير:

أجدَّ رواحُ الحيّ أم لا تروَّحُ نعم كلُّ من يعنى بجملٍ مترَّحُ

إذا ابتسمتْ أبدتْ غروباً كأنّها عوارضُ مزنٍ تستهلُّ وتلمحُ

لقد هاجَ هذا الشَّوقُ عيناً مريضةً أجالتْ قذىً ظلّتْ به العينُ تمرحُ

بمقلةِ أقنَى ينفضُ الطّلَّ باكرٍ تجلَّى الدُّجى عن طرفهِ حينَ يصبحُ

فأعطيتُ عمراً منْ أُمامةَ حكمَهُ وللمشتري منهُ أمامةَ أربحُ

صحا القلبُ عن سلمَى وقد برّحتْ بهِ وما كانَ يلقَى من تماضرَ أبرحُ

رأيتُ سليمَى لا تبالي الذي بنا ولا عرضاً من حاجةٍ لا تسرِّحُ

إذا سايرتْ أسماءُ قوماً ظعائناً فأسماءُ من تلكَ الظّعائنِ أملحُ

ظللنَ حوالِي خدرَ أسماءَ وانتحَى بأسماءَ موّارُ الملاطينِ أروحُ

تقولُ سليمَى ليسَ في الصّرمِ راحةٌ بلى إنَّ بعضَ الصّرمِ أشفى وأروَحُ

أحبُّكِ إنَّ الحبُّ داعيةُ الهوَى وقدْ كادَ ما بينِي وبينكِ يبرَحُ

ألا تزجرينَ القائلينَ ليَ الجَفا كما أنا معنِيٌّ وراءكِ منفحُ

ألمّا على سلمَى ولمْ أرَ مثلَها خليلَ مصافاةٍ تزارُ وتمدَحُ

وقد كانَ قلبي من هواهُ وذكرةٍ ذكرنا بها سلمَى على النّأي يفرحُ

إذا جئتُها يوماً من الدّهرِ زائراً تغيَّرَ مغيارٌ من القومِ أكلحُ

فللّهِ عينٌ لا تزالُ لذكرِها على كلِّ حالٍ تستهلُّ وتسفحُ

وما زالَ عنّي قائدُ الشّوقِ والهوَى إذا جئتُ حتّى كادَ يبدو فيفصحُ
أصونُ الهوَى من رهبةٍ أنْ تعزَّها عيونٌ وأعداءٌ من القومِ كشَّحُ
فما برحَ الوجدُ الذي قدْ تلبَّستْ به النَّفسُ حتّى كادَ لي الشّوقُ يذبحُ
لشتّانَ يومٌ بينَ سجفٍ وكلّةٍ ومرُّ المطايا تغتدي وتروَّحُ
أعائفنا ماذا تعيفُ وقدْ مضتْ بوارحُ قدّامَ المطّيِ وسنَّحُ
نفيسُ بقيّاتِ النّطافِ على الحصى وهنَّ على طيِّ الحيازيم جنَّحُ
ويومٍ منَ الجوزاءِ مستوقدِ الحصَى تكادُ صياصي العينِ منهُ تصيّحُ
شديدِ اللّظَى حامي الوديقة ريحُه أشدُّ لظىً من شمسهِ حينَ تصمَحُ
بأغبرَ وهّاجِ السّمومِ ترى به دفوفُ المهارَى والذّفاريّ تنتحُ
نصبتُ لها وجهي وعنساً كأنَّها من الجهدِ والإسادِ قرمٌ ملوَّحُ
ألمْ تعلمِي أنَّ النَّدى من خليقتي وكلُّ أريبٍ تاجرٍ يتربَّحُ
فلا تصرميني أن ترى ربَّ هجمَةٍ يريحُ بذمٍّ ما يريحُ ويسرحُ
يراها قليلاً لا تسدُّ ققورهُ على كلِّ بثٍّ حاضرٍ يتترَّحُ
رأتْ صرمةً للحنظليِّ كأنَّها شظيُّ القنا منها مناقٍ ورزَّحُ
سيكفيكِ والأضيافَ إن نزلُوا بنا إذا لمْ يكنُ رسلٌ شواءٌ ملوَّحُ
وجامعةٌ لا يجعلُ السّترُ دونها لأضيافنا والفائزُ المتمنّحُ
ركودٌ تسامى بالمحالِ كأنَّها شموسٌ تذبُّ القائدين وتضرحُ
إذا ما ترامى الغليُ في حجراتِها ترى الزّوْرَ في أرجائها يترجَّحُ
ألمْ ينهَ عنّي أنْ لستُ ظالماً بريئاً وأنّي للمتاحينَ متيحُ
فمنهمْ رميٌّ قد أصيبَ فؤادهُ وآخرُ لاقى صكّةً فمرنَّحُ
بني مالكٍ أمسَى الفرزدقُ جاحراً سكيتاً وبذَّتهْ خناذيذُ قرَّحُ
لقدْ أحرزَ الغاياتِ قبلَ مجاشعٍ فوارسُ غرٌّ وابنُ شعرةَ يكدَحُ
وما زالَ منّا سابقٌ قدْ علمتمُ يقلّدُ قبلَ السّابقينَ ويمدحُ
علتكَ أواذيٌّ من البحرِ فاقتبضْ بكفَّيكَ فانظرْ أيَّ لجَّيْهِ تقدَحُ

لقومِيَ أوفَى ذمَّةً منْ مجاشعٍ ... وخيرٌ إذا شلَّ السَّوامُ المصبَّحُ

تخفُّ موازينُ الخناثي مجاشعٍ ... ويثقلُ ميزانِي عليهمْ فيرجحُ

فخرتُ بقيسٍ وافتخرتَ بتغلِبٍ ... فسوفَ ترى أيُّ الفريقينِ أربَحُ

فأمّا النَّصارَى العابدونَ صليبهُمْ ... فخابُوا وأمّا المسلمونَ فأفلحُوا

ألَمْ يأتهمْ أنَّ الأخيطلَ قد هوىَ ... وطوَّحَ في مهواةِ قومٍ فطوَّحُوا

تداركَ مسعاةَ الأخيطلِ لؤمُهُ ... وظهرٌ كظهرِ القاسطيّةِ أفطحُ

لنا كلَّ عامٍ جزيةٌ تتَّقي بها ... عليكَ وما تلقَى من الذُّلِّ أترَحُ

ومازالَ ممنوعاً لقيسٍ وخندفٍ ... حمىً تتوطّاهُ الخنازيرُ أفيحُ

إذا أخذتْ قيسٌ عليكَ وخندفٌ ... بأقطارِها لم تدرِ من أينَ تسرَحُ

فما لكَ من نجدٍ حصاةٌ تعدُّها ... ومالكَ في غوريْ تهامةَ أبطحُ

لقدْ سلَّ أسيافُ الهذيلِ عليكمُ ... رقاقُ النّواحي ليسَ فيهنَّ مصفحُ

وخاضتْ حجولُ الوردِ بالمرجِ منكمُ ... دماءً وأفواهُ الخنازيرِ كلَّحُ

لقيتُمْ بأيدي عامرٍ مشرفيَّةً ... تغضُّ بهامِ الدّارعينَ وتجرحُ

بمعتركٍ تهوي لوقعِ ظباتِها ... خذاريفُ هامٍ أم معاصمُ تطرَحُ

سما لكمْ الجحافُ بالخيلِ عنوَةً ... وأنتَ بشطِّ الزّابيينِ تنوَّحُ

عليهمْ مفاضاتُ الحديدِ كأنّها ... أضنّا يومَ دجنٍ في أجاليدَ صحصحُ

وظلَّ لكمْ يومٌ بسنجارَ فاضحٌ ... ويومٌ بأعطانِ الرَّحوبينِ أفضحُ

وضيّعتمُ بالبشرِ عوراتِ نسوةٍ ... تكشَّفْ عنهنَّ العباءُ المسيَّحُ

بذلكَ أحمينا البلادَ عليكمُ ... فما لكَ في ساحاتها متزحزحُ

أبا مالكٍ مالتْ برأسكَ نشوةٌ ... وعرَّدتَ إذ كبشُ الكتيبةِ أملحُ

إذا ما رأيتَ اللّيتَ من تغلبيَّةٍ ... فقبِّحَ ذاكَ اللِّيتُ والمتوشَّحُ

ترى محجراً منها إذا ما تنقَّبتْ ... قبيحاً وما تحتَ النِّقابينِ أقبحُ

إذا جرِّدتْ لاحَ الصّليبُ على استها ... ومن جلدِها زهمُ الخنازيرِ تنفحُ

ولمْ تمسحِ البيتَ العتيقَ بكفِّها ... ولكنْ لقربانِ الصَّليبِ تمسَّحُ
يقينَ صباباتٍ من الخمرِ فوقها ... صهيرُ خنازيرِ السَّوادِ المُملّحُ

وقال جرير يهجو الفرزدق، ويمدح بني جعفر:

أزرْتَ ديارَ الحيِّ أمْ لا تزورُها ... وأنَّى من الحيِّ الجمادِ فدورُها
وهلْ تنفعُ الدّارُ المخيلةُ ذا الهوى ... إذا أسننَّ أعرافاً على الدّارِ مورُها
كأنَّ ديارَ الحيِّ من قدمِ البلَى ... قراطيسُ رهبانٍ أحالتْ سطورُها
كما ضربتْ في معصمٍ حارثيَّةٌ ... يمانيةٌ بالوشمِ باقٍ نؤورُها
تفوتُ الرُّماةَ الوحشَ وهي غريرَةٌ ... وتخشى نوارُ الوحشَ ما لا يضيرُها
لئنْ زلَّ يوماً بالفرزدقِ حلمُهُ ... وكانَ لقيسٍ حاسداً لا يضيرُها
من الحينِ سقتَ الخورَ خورَ مجاشعٍ ... إلى حربِ قيسٍ وهيَ حامٍ سعيرُها
كأنَّكَ يا ابنَ القينِ واهبُ سيفهِ ... لأعدائهِ والحربُ تغلي قدُورُها
فلا تأمننَّ الحيَّ قيساً فإنَّهمْ ... بنو محصناتٍ لم تدَنَّسْ حجورُها
ميامينُ خطّارونَ يحمونَ نسوةً ... مناجيبُ تغلو في قريشٍ مهورُها
ألا إنَّما قيسٌ نجومٌ مضيئةٌ ... يشقُّ دجى الظَّلْماءِ باللّيلِ نورُها
تعدُّ لقيسٍ من قديمِ فعالِها ... بيوتٌ أواسيها طوالٌ وسورُها
فوارسُ قيسٍ يمنعونَ حماهمُ ... وفيهمْ جبالُ العزِّ صعباً وعورُها
وقيسٌ همُ قيسُ الأسنَّةِ والقَنا ... وقيسٌ حماةُ الحربِ تدمَى نحورُها
سليمٌ وذبيانٌ وعمروٌ وعامرٌ ... حصونٌ إلى عزٍّ طويلٌ عمورُها
ألمْ ترَ قيساً لا يضامُ لها حمىً ... ويقضي بسلطانٍ عليكَ أميرُها
ملوكٌ وأخوالُ الملوكِ ومنهمُ ... عيونُ الحيا يحيي البلادَ مطيرُها
وإنَّ جبالَ العزِّ من آلِ خندفٍ ... لقيسٍ فقدْ عزَّتْ وعزَّ نصيرُها
ألم ترَ قيساً حينَ خارتْ مجاشعٌ ... تجيرُ ولا تلقَى قبيلاً يجيرُها
بني دارمٍ من ردَّ خيلاً مغيرةً ... غداةَ الصَّفا لم ينجُ إلاَّ عشورُها
وردتُمْ على قيسٍ بخورِ مجاشعٍ ... فبؤتمْ على ساقٍ بطيءٌ جبورُها

كأنَّهمُ بالشّعبِ مالتْ عليهمُ نضادٌ وأجبالُ السّتارِ ونيرُها

لقدْ نذرتْ جدعَ الفرزدقِ جعفرٌ إذا حزَّ أنفُ القينِ حلَّ نذورُها

ذوو الحجراتِ الشُّمُّ من آلِ جعفرٍ يسلِّمُ جانِيها ويعطى فقيرُها

حياتهمُ عزٌّ وتبني لجعفرٍ إذا ذكرتْ مجدَ الحياةِ قبورُها

وعردتُمُ عن جعفرٍ يومَ معبدٍ فأسلمَ والفلحاءُ عانِ أسيرُها

أتنسونَ يوميْ رحرحانَ وأمُّكمُ جنيبةُ أفراسٍ يحثُّ بعيرُها

وتذكرُ ما بينَ الضبّاب وجعفرٍ وتنسونَ قتلَى لم تقتَّلْ ثؤورُها

لقد أكرهتْ زرقَ الأسنَّةِ فيكمُ قرا سمهريّاتٍ قليلٍ فطورُها

فقلَّ غناءً عنكَ في حربِ جعفرٍ تغنِّيكَ زرّاعاتُها وقصُورُها

إذا لم يكنْ إلاَّ قيونُ مجاشعٍ حماةً عن الأحسابِ ضاعتْ ثغورُها

ألمْ ترَ أنَّ اللهَ أخزَى مجاشعاً إذا ذكرتْ بعدَ البلاءِ أمورُها

بأنَّهمُ لا محرمٌ يتقونهُ وأنْ لا يفي يوماً بجارٍ مجيرُها

لقد بنيتْ قدماً بيوتُ مجاشعٍ على الحنثِ حتَّى قدْ أصلّتْ قعورُها

فكمْ فيهمِ منْ سوأةٍ ذاتِ أقرحٍ تدمَّى وأخرَى قدْ أُتمَّتْ شهورُها

إذا طرقتْ منخوبةٌ من مجاشعٍ أتى دونَ رأسِ السَّابياءِ خزيرُها

بنو نخباتٍ لا يفونَ بذمَّةٍ ولا جارةٌ فيهمْ تهابُ ستورُها

ولا تتّقي غبَّ الحديثِ مجاشعٍ إذا هيَ جاءتْ أو أمدَّتْ أيورُها

وخبثَ حوضَ الخورِ خورِ مجاشعٍ رواحُ المخازي نحوَها وبكورُها

أفخراً إذا رأيتْ وطابُ مجاشعٍ وجاءتْ بتمرٍ من حوارينَ عيرُها

بني عشرٍ لا نبعَ فيهِ وخروعٍ وزنداهُمُ أثلٌ تناوحَ خورُها

ويكفي خزيرُ المرجلينَ مجاشعاً إذا ما السَّرايا حثَّ ركضاً مغيرُها

لقد علمَ الأقوامُ أنَّ مجاشعاً إذا عرفتْ بالمخزي قلَّ نكيرُها

ولا يعصمُ الجيرانَ عقدُ مجاشعٍ إذا الحربُ لم يرجعْ بصلحٍ سفيرُها

أفي كلَّ يومٍ تستجيرُ مجاشعٌ تفرُّقَ نبلِ العبدِ قلَّ جفيرُها

تفلَّقَ عنْ أنفِ الفرزدقِ عاردٌ له فضلاتٌ لم تجدْ من يقورُها

وأبرأتُ من أمِّ الفرزدَقِ ناخساً وقردُ استِها بعدَ المنامِ تثيرُها

وفقّأ عينيْ غالبٍ عندَ كيرِه نوادِي شرارِ القينِ حينَ يطيرُها

وداويتُ من عرِّ الفرزدقِ نقبةً بنفطٍ فأمستْ لا يخافُ نشورُها

وأنهلتُهُ بالسُّمِّ ثمَّ عللتُهُ بكأسٍ من الذّيفانِ مرٍّ عصيرُها

وآبَ إلى الأقيانِ ألأمُ وافدٍ إذا حلَّ عن ظهرِ النّجيبةِ كورُها

أيوماً لماخورِ الفرزدقِ خزيةٌ ويوماً زوانِي بابلٍ وخمورُها

إذا ما شربتَ البابليَّةَ لم تبلْ حياءً ولا يسقى عفيفاً عصيرُها

تشبِّه من عاداتِ أمِّكَ سيرَةً بحبليكَ والمرقاةُ صعبٌ حدورُها

ومازلتَ لم تعقدْ حفاظاً ولا حجىً ولكنْ مواخيراً تؤدَّى أجورُها

أثرتُ عليكَ المخزياتِ ولمْ يكنْ ليعدَمَ جاني سوأةٍ من يثيرُها

وتمدحُ سعداً لا عدمتَ ومنقراً لدى حرملِ السِّيدانِ يحبُو عقيُرها

وردَّتْ على عاسِي العروقِ ولمْ يكنْ ليسقيَ أفواهَ العروقِ درورُها

دعتْ أمّكَ العمياءُ ليلةَ منقرٍ ثبوراً لقدْ ذلَّتْ وذلَّ ثبورُها

أشاعتْ بنجدٍ للفرزدقِ خزيةً وغارتْ جبالَ الغورِ فيمنْ يغورُها

لعمركَ ما تنسَى فتاةُ مجاشعٍ ولا ذمَّةٌ غرَّ الزُّبيرَ غرورُها

يلجِّجُ أصحابُ السَّفينِ بغدرِكم وخوصٌ على مرّانَ يجري ضفورُها

تراغيتُمُ يومَ الزّبيرِ كأنكُمْ ضباعٌ أصلَّتْ في مغارٍ جعورُها

ولو كنتَ منّا ما تقسَّمَ جاركُمْ سباعٌ وطيرٌ لمْ تجدْ منْ يطيرُها

ولو نحنُ عاقدْنا الزُّبيرَ لقيتهُ مكانَ أنوقٍ لا تنالُ وكورُها

تدافعُ يوماً عن تميمٍ فوارسي إذا الحربُ أبدَى حدَّ نابٍ هريرُها

فمنْ مبلغٌ عنّي تميماً رسالةً علانيةً والنَّفسُ نصحٌ ضميرُها

عطفتُ عليكمْ ودَّ قيسٍ ولمْ يكنْ لهمْ بدلاً أقيانُ ليلى وكيرُها

وقال جريرٌ يجيب الفرزدق عن فائيته:

ألا أيُّها القلبُ الطَّرُوبُ المكلَّفُ		أفقْ ربَّما ينأى هواكَ ويسعفُ
ظللتَ وقدْ خبّرتَ أنْ ليسَ جازعاً		لربعٍ بسلمانينَ عينكَ تذرفُ
وتزعمُ أنَّ البينَ لا يشعفُ الفتَى		بلى مثلُ بيني يومَ لبنانَ يشعفُ
وطالَ حذاري غربةَ البينِ والنّوى		وأحدوثةً من كاشحٍ يتقوَّفُ
ولو علمتْ علمي أمامَهُ كذَّبتْ		مقالةَ منْ يبغَى عليهِ ويعنفُ
بأهلِي أهلُ الدّارِ إذ يسكُنونَها		وجادكَ من دارٍ ربيعٌ وصيِّفُ
سمعتُ الحمامَ الورقَ في رونقِ الضُّحى		على السِّدرِ من وادِي المراضينِ تهتفُ
نظرتُ ورائِي نظرةً قادَها الهوَى		وألحِي المهارى يومَ عسفانَ ترجفُ
ترى العرمسَ الوجناءَ يدمَى أظلُّها		وتحذَى نعالاً والمناسمُ ترعفُ
مددْنا لذاتِ البغيِ حتّى تقطعتْ		أزابيُّها والشَّدقميُّ المعلَّفُ
ذرحنَ حصَى المعزاءِ حتَّى عيونُها		مهجَّجةٌ أحناؤهنَّ وذرَّفُ

كأنَّ دياراً بينَ أسنمَةِ النَّقا		وبينَ هذاليلِ النحيزةِ مصحفُ
فلستُ بناسٍ ما تغنَّتْ حمامةٌ		ولا ما ثوى بينَ الجناحينِ رفرفُ
دياراً من الحيِّ الذينَ نحبُّهُمْ		زمانَ القرَى والصَّارخُ المتلهِّفُ
همُ الحيُّ يربوعٌ تعادَى جيادُهمْ		على الثَّغرِ والكافونَ ما يتخوَّفُ
عليهمْ من الماذيِّ كلُّ مفاضةٍ		دلاصٍ لها ذيلٌ حصينٌ ورفرَفُ
ولا يستوي عقرُ الكزومِ بصوارٍ		وذو التاجِ تحتَ الرّايةِ المتسّيفُ
ومولى تميمٍ حينَ يأوي إليهمِ		وإنْ كانَ فيهمْ ثروةُ العزِّ منصفُ
وما شهدتْ يومَ الإيادِ مجاشعٌ		وذا نجبٍ يومَ الأسنّةِ ترعفُ
فوارسُنا الحوّاطُ والسّرحُ دونهمْ		وأردافُنا المحبوُّ والمتنصَّفُ
لقدْ مدَّ للقينِ الرِّهانِ فردَّهُ		عنْ المجدِ عرقٌ من قفيرةَ مقرفُ
لحا اللهُ من ينبُو الحسامُ بكفِّهِ		ومن هو للماخورِ في الحجلِ يرسفُ

ترفّقتَ بالكرينِ قينَ مجاشعٍ وأنتَ بهزِّ المشرفيّةِ أعنفُ
وتنكرُ هزَّ المشرفيَّ يمينُهُ ويعرفُ كفّيهِ الإناءُ المكتَّفُ
ولو كنتَ منّا يا ابنَ شعرةَ ما نبا بكفَّيكَ مصقولُ الحديدةِ مرهَفُ
عرفتمْ لنا الغرَّ السَّوابقَ قبلكُمْ وكانَ لقينيكَ السُّكيتُ المخلَّفُ
نعضّ الملوكَ الدّارعينَ سيوفَنا ودفُّكَ من نفاخةِ الكيرِ أجنفُ
ألمْ ترَ أنَّ الله أخزَى مجاشعاً إذا ضمَّ أفواجَ الحجيجِ المعرّفُ
فيومَ منىً نادتْ قريشٌ بغدرِهمْ ويومَ الهدايا في المشاعرِ عكَّفُ
ويبغضُ سترُ البيتِ آل مجاشعٍ وحجّابُهُ والعابدُ المتطوّفُ
فكانَ حديثُ الرّكبِ غدرَ مجاشعٍ إذا أنجدُوا من نخلتينِ وأوجفُوا
وإنَّ الحواريَّ الذي غرَّ حبلكُمْ له البدرُ كابٍ والكواكبُ كسَّفُ
ولو في بني سعدٍ نزلتَ لما عصتْ عوائدُ من جوفِ الحواريِّ نزَّفُ
فهلاً نهيتمْ يا بني زبدِ استِها نسوراً رأتْ أوصالهُ فهيَ عكّفُ
فلستَ بوافٍ بالزُّبيرِ ورحلِهِ ولا أنتَ بالسّيدانِ بالحقِّ تنصفُ
بنو منقرٍ جرُّوا فتاةَ مجاشعٍ وشدَّ ابن ذيَّالٍ وخيلكَ وقَّفُ
وهمْ رجعُوها مسحرينَ كأنَّما بجعثنَ من حمَّى المدينةِ قفقفُ
وقد علم الأقوامُ أنَّ فتاتهمْ أذلَّتْ رِدافاً كلَّ حالٍ تصرَّفُ
فباتتْ تنادي غالباً وكأنَّما على الرَّضفِ من جمرِ الكوانينِ ترضفُ
وتحلفُ ما أدموا لجعثنَ مثبراً ويشهدُ حوقُ المنقريِّ المجوَّفُ
وقد سلخُوا بالدّعسِ جلدَ عجانِها فما كادَ قرفٌ باستِها يتقرَّفُ
لجعثنَ بالسّيدانِ قدْ تعلمُونَه مساحجُ فيها لا تبيدُ ومزحفُ
على حفرِ السّيدانِ باتتْ كأنَّها سفينةُ ملاَّحٍ تقادُ وتجذفُ
وما قصدتْ في عقرِ جعثنَ منقرٌ ولكنْ تعدُّو في النّكاحِ وأسرفوا
وقدْ كانَ فيما سالَ من عرقِ استِها بيانٌ ورضفُ الرُّكبتينِ المجلَّفُ
وقدْ تركُوا بنتَ القيونِ كأنَّما بقيّةُ ما أبقَوا وجارٌ مجوَّفُ

بني مالكٍ أمسَى الفرزدقُ عابداً وجعثنُ باتتْ بالنآطلِ تدلفُ

وباتتْ ردافَى منقرٍ يركضونَها فضيَّعَ فيهمْ عقرَها المتردِّفُ

لحا اللهُ ليلى عرسَ صعصعةَ التي تحبُّ بشارَ القينِ والقينُ أقلفُ

وإنّي لتبتزُّ الملوكَ فوارسي إذا غرَّكمُ ذو المرجلِ المتجخَّفُ

ألمْ ترَ تيمٌ كيفَ أرمِي مجاشِعاً شديدُ حبالُ المنجنيقينِ مقذفُ

عجبتُ لصهرٍ ساقكمُ آل درهمٍ إلى صهرِ أقوامٍ تلامٍ وتصلفُ

لئيمانِ هذا يدَّعيها ابن درهمٍ وهذا ابن قينٍ جلدُهُ يتوسَّفُ

وما منعَ الأقيانُ عقرَ فتاتِهمِ ولا جارَهمْ والحرَّ من ذاكَ يأنفُ

أتمدحُ سعداً حينَ جرَّتْ مجاشعٌ عقيرةَ سعدٍ والخباءُ المكشَّفُ

نفاكَ حجيجُ البيتِ عن كلِّ مشعرٍ كما ردَّ ذو النوميّتينِ المزيَّفُ

وما زلتَ موقوفاً على كلِّ سوأةٍ وأنتَ بدارِ المخزياتِ موقَّفُ

ألؤماً وإقراراً على كلِّ سوأةٍ فما للمخازي عنْ قفيرةَ مصرَفُ

وما يحمدُ الأضيافُ رفدَ مجاشعٍ إذا روّحتْ حنّانةُ الرِّيح حرجفُ

إذا الشولُ راحتْ والقريعُ أمامَها وهنَّ ضئيلاتُ العرائكِ شسَّفُ

وأنتمْ بنو الخوّارِ يعرفُ ضربُهُ وأمُّكمُ فخٌّ قذامٌ وخيضفُ

وقائلةٍ ما للفرزدقِ لا يرى عن السِّن يستغنى ولا يتعفَّفُ

يقولونَ كلاَّ ليسَ للقينِ غالبٌ بلى إنَّ ضربَ القينِ للقينِ يعرفُ

ولمّا رأوا عينيْ جبيرٍ لغالبٍ أبانَ جبيرُ الرِّبيةَ المتقرِّفُ

أخو اللؤمِ ما دامَ الغضا عندَ عجلزٍ وما دامَ يسقى في رمادانَ أحقفُ

إذا ذقتَ منِّي طعمَ حربٍ مريرةٍ عطفتُ عليكَ الحربَ والحربُ تعطفُ

أتعدلُ كهفاً لا ترامُ حصونُهُ بهاري المراقي جولهُ يتقصَّفُ

يحوطُ تميمٌ من يحوطُ حماهمُ ويحمي تميماً من لهُ ذاكَ يعرفُ

أنا ابنُ بني سعدٍ وعمروٍ ومالكٍ أنا ابنُ تميمٍ لا وشيظٍ تخلَّفوا

إذا خطرتْ عمروٌ ورائي وأصبحتْ قرومُ بنِي زيدٍ تسامَى وتصرفُ

ولمْ أنسَ من سعدٍ بقصوانَ مشهداً أو الأدمى ما دامتِ العينُ تطرفُ

وسعدٌ إذا صاحَ العدوُّ بسرحِهمْ أبوا أنْ يهدُّوا للصيّاحِ فأزحفُوا

ديارُ بني سعدٍ ولا سعدَ بعدهمْ عفتْ غيرَ أنقاءٍ بيبرين تعزفُ

إذا نزلتْ أسلافُ سعدٍ بلادَها وأثقالُ سعدٍ ظلَّتِ الأرضُ ترجفُ

وقال جريرٌ للفرزدق:

ألمْ ترَ أنَّ الجهلَ أقصرَ باطلُهْ وأمسَى عماءً قدْ تجلَّتْ مخايلُهْ

أجنُّ الهوى أمْ طائرُ البينِ شفِّني بجمدِ الصّفا تنعابه ومحاجلُهْ

لعلَّكَ محزونٌ لعرفانِ منزلٍ محيلٍ بوادي القريتينِ منازلُهْ

وإنَّ ولو لامَ العواذلُ مولعٌ بحبِّ الغضا من حبِّ منْ لا يزايلُهْ

وذا مرخٍ أحببتُ من حبِّ أهلِهِ وحيثُ انتهتْ في الرَّوضتينِ مسايلهْ

أتنسَى لطولِ العهدِ أمْ أنتَ ذاكرٌ خليلكَ ذا الوصلِ الكريمِ شمائلهْ

لحبَّ بنارٍ أوقدتْ بينَ محلبٍ وفردةَ لو يدنُو من الحبلِ واصلُهْ

وقدْ كانَ أحياناً بي الشَّوقُ مولعاً إذا الطَّرفُ الظّعّانُ ردّتْ حمائلُهْ

فلمّا التقى الحيّانِ ألقيتِ العصا وماتَ الهوى لمّا أصيبتْ مقاتلُهْ

لقد طالَ كتماني أمامةَ حبَّها فهذا أوانُ الحبِّ تبدو شواكلُهْ

إذا حلِّيتْ فالحليُ منها بمعقدٍ مليحٍ وإلاّ لم يشنْها معاطلُهْ

وقال اللّواتي كنَّ قبلُ يلمنني لعلَّ الهوى يومَ المغيزلِ قاتلهْ

وقلنَ تروَّحْ لا تكنْ لكَ حاجةً وقلبكَ لا تشغلْ وهنَّ شواغلُهْ

ويومٍ كإبهامِ القطاةِ مزيَّنٍ إليَّ صباهُ غالبٍ ليَ باطلهْ

لهوتُ بجنّيٍّ عليهِ سموطُهُ وإنسٌ مجاليهِ وأنسٌ شمائلُهْ

فما مغزلٌ أدماءُ تحنُو لشادنٍ كطوقِ الفتاةِ لم تشدّدْ مفاصلهْ

بأحسنَ منْها يومَ قالتْ أناظرٌ إلى الليلِ بعدَ النَّيلِ أمْ أنتَ عاجلهْ

فلو كانَ هذا الحبُّ حبّاً سلوتُه ولكنّه داءٌ تعودُ عقابلُهْ

ولمْ أنسَ يوماً بالعقيقِ تخايلتْ ضحاهُ وطابتْ بالعشِيِّ أصائلُهْ

رُزِقنا به الصَّيدَ الغزيرَ ولم نكنْ كمنْ نبلهُ محرومةٌ وحبائلهْ

ثواني أجيادٍ ويودعنَ من صحا ومن بثه عن حاجةِ اللّهوِ شاغلُهْ

فأيهاتَ أيهاتَ العقيقُ ومن بهِ وهيهاتَ وصلٌ بالعقيقِ نواصلهْ

لنا حاجةٌ فانظر وراءكَ هل ترَى بروضِ القطا الحيَّ المروّحَ جاملهْ

رعانُ أجاً مثلُ الفوالج دونهمْ ورملٌ خبتْ أنقاؤهُ وخمائلُهْ

رددنا لشعثاءَ الرّسولَ ولا أرى كشعثاءَ يومَ البينِ ردَّتْ رسائلُهْ

فلو كنتَ عندي يومَ قوٍّ عذرتني بيومٍ زهتني جنُّهُ وأخابلُهُ

يقلنَ إذا ما حلَّ دينكَ عندَنا وخيرُ الذي يقضي من الدَّينِ عاجلهْ

لكَ الخيرُ لا نقضيكَ إلاَّ نسيئةً من الدَّينِ أو عرضاً فهلْ أنتَ قابلهْ

أمنْ ذكرِ ليلى والرُّسومِ التي خلتْ بنعفِ المنقّى راجعَ القلبَ خابلُهْ

عشيَّةَ بعنا الحلمَ بالجهلِ وانتحَى بنا أريحيّاتُ الصّبا وشمائلُهْ

وذلكَ يومٌ خيرهُ دونَ شرِّهِ تغيَّبَ واشيهِ وأقصرَ عاذلُهْ

وخرقٍ من الموماةِ أزور لا تُرى من البعدِ إلا بعدَ خمسٍ مناهلُهْ

قطعتُ بشجعاءِ الفؤادِ نجيبةٍ مروحٍ إذا ما النِّسعُ غرّزَ فاضلهْ

وقدْ قلَّصتْ عن منزلٍ غادرتْ بهِ من اللّيلِ جوناً لم تفرَجْ غياطلُهْ

وأجلادَ مضعوفٍ كأنَّ عظامَهُ عروقُ الرّخامى لم تشدَّدْ مفاصلهْ

ويدمَى أظلاَّها على كلِّ حرَّةٍ إذا استعرضتْ منها حزيزاً مناقلهْ

أنخنا فسبَّحنا ونوّرتِ السُّرَى بأعرافِ وردِ اللّونِ بلقٍ شواكلهْ

وأنصبُ وجهِي للسَّمومِ ودونَهُ شماطيطُ عرضيٍّ تطيرُ رعابلُهْ

لنا إبلٌ لم تستجرْ غيرَ قومِها وغيرَ القنا صمّاً تهزُّ عواملهْ

رعتْ منبتَ الضمرانِ من سبلِ المعا إلى صلبِ أعيارٍ ترنُّ مساحلهْ

سقتْها الثُّريّا ديمةً واستقتْ بها غروبُ سماكيٍّ تهلَّلَ وابلهْ

ترى لحبيّيهِ رباباً كأنَّهُ غوادِي نعامٍ ينفضُ الزّفَّ جافلهْ
تراعي مطافيلَ المها ويروعها ذبابُ النّدى تغريدهُ وصواهلُهْ
إذا حاولَ النّاسُ الشُّؤونَ وغادروا زلازلَ أمرٍ لم ترُعها زلازلُهْ
تبيحُ لنا عمروٌ وحنظلةُ الحمى ويدفعُ ركنُ الفزرِ عنها وكاهلُهْ
بني مالكٍ وكانَ للقومِ معقلاً إذا نظرَ المكروبُ أينَ معاقلُهْ
بذي نجبٍ ذُدنا وآكلَ مالكٌ أخاً لمْ يكنْ عندَ الطّعانِ يواكلهْ
أقمنا بما بينَ الشّرّبةِ فالملا يغنّي ابنَ ذي الجدَّينِ فينا سلاسلهْ
ونحنُ صبحنا الموتَ بشراً ورهطهُ صراحاً وجادَ ابني هجيمةَ وابُلهْ
ألا تسألونَ النّاسَ من ينهلُ القَنا ومنْ يمنعُ الثَّغرَ المخوفَ تلاتلُهْ
لنا كلُّ مشبوبٍ يروَّى بكفِّهِ جناحا سنانٍ ديلمِّيٍّ وعاملُهْ
يقلّصُ بالفضلينِ فضلِ مفاضةٍ وفضلِ نجادٍ لمْ تقطَّعْ حمائلُهْ
وعمّي رئيسُ الدّهمِ يومَ قراقرٍ فكان لنا مرباعهُ ونوافلُهْ
وكانَ لنا خرجٌ مقيمٌ عليهمِ وأسلابُ جبّارِ الملوكِ وجاملُهْ
ودهمٍ كجنحُ اللّيلِ زرنا به العدَى لهُ عثيرٌ ممّا تثيرُ قنابلُهْ
إذا سوَّموا لم تمنعِ الأرضُ منهمُ حريداً ولم تحرزْ حريزاً معاقلُهْ
نحوطُ الحمَى والخيلُ عاديةٌ بنا كما ضربتْ في يوم طلٍّ أجادلُهْ
أغرَّكَ أنْ قيلَ الفرزدقُ مرّةً وذو السِّنِّ يخصى بعدما شقَّ بازلُهْ
فإنَّكَ قدْ جاريتَ لا متكلّفاً ولا شنجاً يومَ الرِّهانِ أباجلُهْ
أنا البدرُ يغشَى طرفَ عينيكَ فالتمسْ بكفِّكَ يا ابنَ القينِ من أنتَ نائلهْ
لبستُ أداتِي والفرزدقُ لعبةٌ عليهِ وشاحا كرَّجٍ وخلاخلُهْ
أعدُّوا مع الحليِ الملابَ فإنَّما جريرٌ لكمْ بعلٌ وأنتمْ حلائلُهْ
وأعطُوا كما أعطتْ عوانٍ حليلَها أقرَّتْ لبعلٍ بعدَ بعلٍ تراسلُهْ
أنا الدّهرُ يفنِي الموتَ والموتُ خالدٌ فجئني بمثلِ الدَّهرِ شيئاً يطاولُهْ
أمنْ سفهِ الأحلامِ جاؤوا بقردهمْ إليَّ وما قردٌ لقرمٍ يصاولهْ

تغمَّدهُ آذيٌّ بحري فغمَّهُ ... وألقاهُ في الحوتِ فالحوتُ آكلهْ
فإنْ كنتَ يا ابنَ القينِ رائمَ عزّنا ... فرمْ حضناً فانظر متى أنتَ ناقلهْ
بنى الخطفى حتَّى رضينا بما بنى ... فهل أنت إنْ لم يرضكَ القينُ قاتلُهْ
بنينا بناءً لن تنالوا فروعهُ ... وهدَّمَ أعلى ما بنيتمْ أسافلهْ
وما بكَ ردٌّ للأوابدِ بعدَما ... سبقنَ كسبقِ السيفِ ما قالَ عاذلُهْ

ستلقَى ذباباً طائفاً كانَ يتَّقَى ... ويقطعُ أضعافَ المنونِ أخائلُهْ
وما هجمَ الأقوامُ بيتاً ببيتهمْ ... ولا القينُ عن دارِ المذلَّة ناقلهْ
وما نحنُ أعطينا أسيدةَ حكمَها ... لعانٍ أعضَّتْ في الحديدِ سلاسلُهْ
ولسنا بذبحِ الجيشِ يومَ أوارَةٍ ... ولمْ يستبحنا عامرٌ وقبائلُهْ
عرفتمْ بني عبسٍ عشيَّةَ أقرنٍ ... فخلِّيَ للجيشِ اللّواءُ وحاملُهْ
وعمرانُ يومَ الأقرعينِ كأنَّما ... أناخَ بذي قرطينِ خرسٍ جلاجلُهْ
ولم يبقَ في سيفِ الفرزدقِ محملٌ ... وفي سيفِ ذكوانِ بن عمروٍ حمائلُهْ
هو القينُ يدني الكيرَ من صدإِ استهِ ... ويعرفُ مسَّ الكلبتينِ أناملُهْ
ويرضعُ من لاقى وإن يلقَ مقعداً ... يقودُ بأعمى فالفرزدقُ سائلهْ
إذا وضعَ السّربالَ قالتْ مجاشعٌ ... له منكبا حوضِ الحمارِ وكاهلُهْ
وأنت ابن منخوبيّةٍ منْ مجاشعٍ ... تخضخضُ من ماء القيونِ مفاصلُهْ
على حفرِ السّيدانِ لاقيتَ خزيةً ... ويومَ الرَّحا لمْ ينقِ ثوبكَ غاسلُهْ
وقدْ نوَّخْتها منقرٌ قد علمتُمُ ... بمعتلجِ الدّأيينِ شعرٌ كلاكلُهْ
يفرّجُ عمرانُ بن مرّةَ كينها ... وينزو نزاءَ العيرِ أعلقَ حابلُهْ
أصعصعَ ما بالُ ادّعائكَ غالباً ... وقدْ عرفتْ عيني جبيرٍ قبائلهْ
أصعصعَ أينَ السَّيفُ عن متشمّسٍ ... غيورٍ أربَّتْ بالقيونِ حلائلُهْ
وتزعمُ ليلى من جبيرٍ بريئةٌ ... وقدْ ضهلتْ في رحمِ ليلى ضواهلهْ
وزاولَ فيها القينُ محبوكةَ القفا ... كما زاولَ الكردوسَ في القدرِ ناشلهْ

أحارثُ خذْ من شئتَ منّا ومنهمْ ... ودعنا نقسْ مجداً تعدُّ فواضلهْ

فما في كتابِ اللهِ تهديمُ دارنا ... بتهديمِ ماخورٍ خبيثٍ مداخلُهْ

وفي مخدعٍ منهُ نوارُ وشربُها ... وفي مخدعٍ وأكيارُهُ ومراجلُهْ

يميل به شربُ الحوانيتِ رائحاً ... إذا حركّتْ أوتارَ صنجٍ أناملُهْ

ولستَ بذي درءٍ ولا ذي أرومَةٍ ... وما تعطَ من ضيمٍ فإنَّكَ قابلُهْ

جزعتمْ إلى صنّاجةٍ هرويّةٍ ... على حينِ لا يأتي مع الجدِّ باطلهْ

إذا صقلُوا سيفاً ضربنا بنصلِهِ ... وعادَ إلينا جفنهُ وحمائلُهْ

وقال جرير للبعيث وللفرزدق:

ذكرتَ وصالَ البيضِ والشَّيبُ شائعُ ... ودارُ الصبّا من عهدهنَّ بلاقعُ

أشتَّتْ عمادَ البينِ واختلفَ الهوَى ... ليقطعَ ما بينَ القرينينِ قاطعُ

لعلّكَ يوماً أن تساعفكَ الهوَى ... فيجمعَ شعبي طيّةٍ لكَ جامعُ

أخالدُ ما من حاجةٍ ينبري لنا ... بذكراكِ إلاَّ ارفضَّ منّي المدامعُ

وأقرضتُ ليلى الودَّ ثمَّتَ لم تردْ ... لتجزيَ قرضي والقروضُ ودائعُ

سمتْ لكَ منها حاجةٌ يومَ ثهمَدٍ ... ومذعا وأعناقُ المطيّ خواضعُ

يسمنَ كما سامَ المنيحانِ أقدُحاً ... نحاهنَّ من شيبانَ سمحٌ مخالعُ

فهلاَّ اتقيت الله إذا رعت محرماً ... سرى ثم ألقى رحله فهو هاجعُ

ومن دونِهِ تيهٌ كأنَّ شخاصَها ... يحلنَ بأمثالٍ فهنَّ شوافعُ

تحنُّ قلوصي بعدَ هدءٍ وشاقَها ... وميضٌ على ذاتِ السَّلاسلِ لامعُ

فقلتُ لها حنّي رويداً فإنَّني ... إلى أهلِ نجدٍ من تهامةَ نازعُ

تفيّضُ فراها بجونٍ كأنَّهُ ... كحيلٌ جرى من قنفذ اللّيتِ نابعُ

ألا حييّا الأعرافَ من منبتِ الغضا ... وحيثُ حبا حولَ الصَّريفِ الأجارعُ

سلمتَ وجادتكَ الغيوثُ الرّوابعُ ... فإنَّكَ وادٍ للأحبَّةِ جامعُ

أتنسينَ ما نسري لحبٍّ لقائكمْ ... وتهجيرنا والبيدُ غبرٌ خواضعُ

أتنسينَ ما نسري لحبٍّ لقائكمْ ... وتهجيرنَا والبيدُ غبرٌ خواضعُ

بني القين لاقيتمْ شجاعاً بهضبةٍ ربيبَ جبالٍ تتَّقيهِ الأشاجعُ
ولمّا رأيتُ النّاسَ هرّتْ كلابهُمْ تشيّعتُ إذْ لم يحمِ إلاَّ المشايعُ
وجهّزتُ في الأفاقِ كلَّ قصيدَةٍ شرودٍ ورودٍ كلَّ ركبٍ تنازعُ
يجزنَ إلى نجرانَ من كانَ دونَهُ ويظهرنَ في نجدٍ وهنَّ صوادعُ

تعرَّضُ أمثالَ القوافِي كأنَّها نجائبُ تعلُو مربداً فتطالعُ
أجئتمْ تبغُّونَ العرامَ فعندَنا عرامٌ لمن يبغِي العرامةَ واسعُ
تشمَّسُ يربُوعٌ ورائيَ بالقَنا وعادَتُنا الإقدامُ يومَ نقارعُ
لنا جبلٌ صعبٌ عليهِ مهابةٌ منيعُ الذرَى في الخندفيّينَ فارعُ
وفي الحيِّ يربوعٌ إذا ما تشمَّسوا وفي الهندُوانيّاتِ للضيمِ مانعُ
لنا في بني سعدٍ جبالٌ حصينةٌ ومنتفدٌ في باحةِ العزِّ واسعُ
وتبذخُ من سعدٍ قرومٌ بمفرعٍ لهمْ عندَ أبوابِ الملوكِ تدافعُ
لسعدٍ ذرَى عاديَّةٍ يهتدَي بها ودرءٌ على من يبتغي الدَّرءَ ضالعُ
وإنَّ حمىً لمْ يحمهِ غيرُ فرتنا وغيرُ ابن ذي الكيرين خزيانُ ضائعُ
رأتْ مالكٌ نبلَ الفرزدق قصَّرتْ عن المجدِ إذ لا يأتلِي الغلوَ نازعُ
تعرَّضَ حتَّى أثبتتْ بينَ خطمهِ وبينَ مخطِّ الحاجبينِ القوارعُ
أرى الشّيبَ في رأسِ الفرزدقِ قد علا لهازمَ قردٍ رنَّحتْهُ الصّواقعُ
وأنتَ ابنَ قينٍ يا فرزدقُ فازدهرْ بكيركَ إنَّ الكيرَ للقينِ نافعُ
فإنْ تكُ إنْ تنفخْ بكيركَ تلقَنا نعدَّ القنا والخيلَ يومَ نقارعُ
وأمّا بنو سعدٍ فلوْ قلتَ أنصتُوا لتنشدَ فيهم حزَّ أنفكَ جادعُ
رأيتكَ إنْ لمْ يغنكَ اللهُ بالغنى لجأتَ إلى قيسٍ وخدُّكَ ضارعُ
وما ذاكَ إنْ أعطى الفرزدقُ باستهِ بأوَّلِ ثغرٍ ضيَّعتهُ مجاشعُ
ألا إنَّما مجدُ الفرزدقِ كيرهُ وذخرٌ لهُ في الجنبتين قعاقعُ
يقولُ لليلى قينُ صعصعةَ اشفعي وفيما وراءَ الكير للقينِ شافعُ

لعمرِي لقدْ كانتْ قفيرةُ بيَّنتْ وشعرةُ في عينيكَ إذ أنتَ يافعُ
يبيّنُ في عينيكَ من حمرةِ استِها بروقٌ ومصفرٌّ من اللَّونِ فاقعُ
إذا سفرتْ يوماً نساءُ مجاشعٍ بدتْ سوأةٌ ممّا تجنُّ البراقعُ
مناخرُ سافتْها القيونُ كأنَّها أنوفُ خنازيرِ السَّوادِ القوابعُ
مباشيمُ عن غبِّ الخزيرِ كأنَّما يصوِّتُ في أعفاجهنَّ الضَّفادعُ
لقدْ قوستْ أمُّ البعيثِ وأتعبتْ على الزَّفرِ حتّى شنَّجتْها الأخادعُ
صبورٍ على عضِّ الهوانِ إذا شتتْ وإنْ جاءَ صيفٌ تبتغي من تباضعُ
وقدْ علمتْ غيرَ الفياشِ مجاشعٌ إلى من تصيرُ الخافقاتُ اللّوامعُ
لنا جانبا مجدٍ فبانٍ لنا العلَى وحامٍ إذا احمرَّ القنا والأشاجعُ
أتعدَلُ أحسابٌ كرامٌ حماتُها بأحسابكُم إنِّي إلى اللهِ راجعُ
لقومِي أحمَى في الحقيقةِ منكمُ وأضربُ للجبّارِ والنَّقعُ ساطِعُ
وأوثقُ عندَ المردفاتِ عشيّةً لحاقاً إذا ما جرَّدَ السَّيفَ لامعُ
وأمنعُ جيراناً وأحمدُ للقرى إذا اغبرَّ في المحلِ النجومُ الطَّوالعُ
وسامٍ بدهمٍ غيرِ منتقضِ القوى رئيسٍ سلبنا بزَّةُ وهو وادعُ
ندسْنا أبا مندوسةَ القينَ بالقنا ومارَ دمٌ من جارِ ببيةَ ناقعُ
ونحنُ نفرنا حاجباً مجدَ قومِه وما نالَ عمروٌ مجدَنا والأقارعُ
ونحنُ صدعْنا هامةَ ابنِ محرِّقٍ فما رقأتْ بعدَ العيونِ الدَّوامعُ
وما ماتَ قومٌ ضامنينَ لنا دماً فيوفينا إلاَّ دماءٌ شوافعُ
بمرهفةٍ بيضٍ إذا هي جرِّدَتْ تألَّقَ فيهنَّ المنايا الكوامعُ
لقدْ كانَ يا أولادَ جخجخ فيكمُ محوَّلُ رحلٍ للزُّبيرِ ومانعُ
وقد كانَ في يومِ الحوارِي جاركمْ أحاديثُ صمَّتْ من ثناها المسامعُ
وبتُّمْ تعشّونَ الخزيرَ كأنَّكمْ مطلَّقةٌ حيناً وحيناً تراجعُ
يقبِّحُ جبريلٌ وجوهَ مجاشعٍ وتنعَى الحواريَّ النجومُ الطّوالعُ
إذا قيلَ أيُّ النّاسِ شرٌّ قبيلةً وأعظمُ عاراً قيلَ تلكَ مجاشعُ

بني ضمضمِ السوءاتِ لمّا أقادكُمْ نبيهُ استِها سدَّتْ عليكَ المطالعُ

فأصبحَ عوفٌ كالسِّنّانِ وأصبحتْ تقيسُ جشاءاتِ الخزيرِ مجاشعُ

ولا سلمتْ منها حويٌّ ولا نجتْ فروجُ البغايا ضمضمٌ والصّعاصعُ

ندمتَ على يومِ السِّباقينِ بعدَما وهيتَ فلم يوجدْ لوهيكَ راقعُ

فما أنتمُ بالقومِ يومَ افتديتمُ به عنوةً والسَّمهريُّ شوارعُ

وقال جرير يرد على الفرزدق، ويهجو آل الزبرقان بن بدرٍ ويخصُّ عياشاً وأخوته بني الزبرقان:

أمنْ عهدِ ذي عهدٍ تفيضُ مدامعي كأنَّ قذى العينينِ من حبِّ فلفلِ

فإن يرَ سلمَى الجنُّ يستأنسوا بها وإن يرَ سلمَى راهبُ الطُّورِ ينزلِ

من البيضِ لم تظعنْ بعيداً ولم تطأ على الأرض إلاَّ نيرَ مرطٍ مرحَّلِ

إذا ما مشتْ لمَّ تنتهزْ وتأوَّدتْ كما انآدَ من خيلٍ وجٍ غيرُ منعلِ

كما مالَ فضلُ الجلِّ عن متنِ عائذٍ أطافتْ بمهرٍ في رباطٍ مطوَّلِ

لها مثلُ لونِ البدرِ في ليلةِ الدُّجَى وريحُ الخزامَى في دماثٍ مسيَّلِ

أإنْ شبَّ قينٌ وابنُ قينٍ غضبتمُ أبهدلَ يا أفناءَ سعدٍ لبهدلِ

أعيّاشُ قد ذاقَ القيونُ مرارتي وأوقدتُ ناري دونَ ناركَ فاصطلِي

سأذكرُ ما قالَ الحطيئةُ جارُكم وأحدثُ وسماً فوقَ وسمِ المخبَّلِ

أعياشُ ما تغني قفيرةُ بعدما سقيتكَ سماً في مرارةِ حنظلِ

أعيّاشُ قدْ آوتْ قفيرةُ نسلَها إلى بيتِ لؤمٍ ما له من محوّلِ

تذئرُ أبكارَ اللّقاحِ ولم تكنْ قفيرةُ تدري ما جناةُ القرنفلِ

فإنْ تدّعُوا للزبرقانِ فإنَّكمْ بنو بنتِ قينٍ ذي علاةٍ ومرجلِ

وما حافظتْ يومَ الزُّبير مجاشعٌ بنو ثيلِ خوّارٍ يداوَي بجرملِ

ولو باتَ فينا رحلُهُ قدْ علمتُمُ لآئبَ سليماً والضبَّابةُ تنجلِي

فشدُّوا الحبَى للغدرِ إنِّي مشمِّرٌ إذا ما علا متنَ المفاضةِ محملِي

فلا تطلبنْ يا ابني قفيرةَ سابقاً يدقُّ جماحاً كلَّ فأسٍ ومسحلِ

كما رامَ منّا القينُ أيّامَ صوارٍ ... فلاقي جماحاً من حمامٍ معجَّلِ

ضغا القردُ لمّا مسَّهُ الجهدُ واشتكَى ... بنو القينِ منِّي حدَّ نابٍ وكلكلِ

أتمدحُ سعداً بعدَ أسلابِ جاركمُ ... وحرٍّ فتاةٍ عقرُها لم نحلِّلِ

أجعثنُ قد لاقيتِ عمرانَ شارباً ... على الحبّةِ الخضراءِ ألبانَ أيَّلِ

فباتتْ تناكُ الشَّغزبيَّةَ بعدَما ... دعتْ بنتَ قينٍ باتَ لمْ يتوكَّلِ

توجَّعُ رصفَ الرُّكبتينِ وتشتكي ... مساحجَ من رضراضةٍ ذاتِ جندَلِ

لعلكَ ترجُو يا ابن نافخ كيرهِ ... قروماً شبا أنيابها لمْ تفلَّلِ

أتعدلُ يربوعاً وأيّامَ حيلها ... بأيّامِ مضفونينِ في الحربِ عزَّلِ

ألا تسألُونَ المردفاتِ عشيَّةً ... مع القومِ لا يخبأنَ ساقاً لمجتلِي

من المانعونَ السَّبْي لا يمنعونَهُ ... وأصحابُ أغلالِ الرَّئيسِ المكبَّلِ

وفي أيَّ يومٍ لم تسلَّلْ سيوفنا ... فنعلو بها هامَ الجبابرِ من علِ

فما لمتُ نفسِي في حديثٍ ولمتُهُ ... ولا لمتُ فيما قدَّر اللهُ أوَّلِي

وقال جريرُ يردُّ على الفرزدق:

لا خيرَ في مستعجلاتِ الملاومِ ... ولا في حبيبٍ وصلُهُ غيرُ دائمِ

ولا خيرَ في مالٍ عليهِ أليَّةٌ ... ولا في يمينٍ غيرِ ذاتِ مخارمِ

تركتُ الصّبا من رهبةٍ أن يهجنِي ... بتوضحَ رسمُ المنزلِ المتقادمِ

وقال صحابي مالهُ قلتُ حاجةٌ ... تهيجُ صدوعَ القلبِ بينَ الحيازمِ

تقولُ لنا سلمَى من القومُ أن رأتْ ... وجوهاً عتاقاً لوِّحتْ بالسَّمائمِ

لقدْ لُمتِنا يا أمَّ غيلانَ في السُّرَى ... ونمتِ وما ليلُ المطيِّ بنائمِ

وأرفعُ صدرَ العيسِ وهي شملَّةٌ ... إذا ما السُّرَى مالتْ بلوثِ العمائمِ

بأغبرَ خفّاقٍ كأنَّ قتامَهُ ... دخانُ الغضا يعلُو فروجَ المخارمِ

إذا العفرُ لاذّتْ بالكناسِ وهجَّجتْ ... عيونُ المهارِي من أجيجِ السَّمائمِ

وإنَّ سوادَ اللّيلِ لا يستفزُّني ... ولا الجاعلاتِ العاجَ فوقَ المعاصمِ

ظللنا بمستنِّ الحرورِ كأنَّنا ... لدى فرسٍ مستقبلِ الرِّيحِ صائمِ

أغرَّ من البلقِ العتاقِ يشفُّهُ أذى البقِّ إلاَّ ما احتمَى بالقوائمِ

وظلَّتْ قراقيرُ الفلاةِ مناخةً بأكوارِها معكوسةً بالخزائمِ

أنخنَ لتغويرٍ وقدْ وقدَ الحصَى وذابَ لعابُ الشَّمسِ فوقَ الجماجمِ

ومنقوشةٌ نقشَ الدَّنانيرِ عوليتْ على عجلٍ فوقَ العتاقِ العياهمِ

بنتْ لي يربوعٌ على الشَّرفِ العلَى دعائمَ زادتْ فوقَ ذرعِ الدَّعائمِ

فمنْ يستجرِنا لا يخفْ بعدَ عقدِنا ومنْ لا يصالحْنا يبتْ غير نائمِ

بنِي القينِ إنّا لن نفوتَ عدوَّنا بوترٍ ولا نعطيهمُ بالخزائمِ

وإنِّي من القومِ الذينَ تعدُّهم تميمٌ حماةَ المأزقِ المتلاحمِ

ترى الصيِّدَ حولِي من عبيدٍ وجعفرٍ بناةٌ لعادِيٍّ رفيعِ الدَّعائمِ

تشمَّسُ يربوعٌ ورائي بالقنا وتلقَى حبالَى عرضةً للمراجمِ

إذا خطرتْ حولِي رياحٌ تضمَّنتْ بفوزِ المعالي والثَّأيّ المتفاقمِ

وإنْ حلَّ بيتي في رقاشٍ وجدتني إلى تدرءٍ من حومِ عزٍّ قماقمِ

رأيتُ قرومي من قريبةَ أوطأتْ حماكَ وخيلي تدَّعي يآلَ عاصمِ

وإنَّ ليربوعٍ من العزِّ باذخاً بعيدَ السَّواقي خندفِّيّ المخارمِ

أخذنا يزيدَ وابنَ كبشةَ عنوةً وما لمْ ينالوا من لُهانا العظائمِ

ونحنُ قتلنا الحضرميَّ ابن عامرٍ ومروانُ من أنفالِنا في المقاسمِ

ونحنُ تداركنا بحيراً ورهطَهُ ونحنُ منعنا السَّبيَ يومَ الأراقمِ

ونحنُ صدعنا هامةَ ابنِ خويلدٍ على حيثُ تستقيهِ أمُّ الجواثمِ

ونحنُ تداركنا المجبَّةَ بعدَما تجاهدَ جريُ المبقياتِ الصَّلادمِ

ونحنُ ضربنا هامةَ ابن محرِّقٍ كذلكَ نعصَى بالسُّيوفِ الصَّوارمِ

ونحنُ ضربنا جارَ ببيةَ فانتهَى على خسفِ محكومٍ لهُ الضيَّمُ راغمِ

فوارسُ أبلوا في جعادةَ مصدقاً وأبكوْا عيوناً بالدُّموعِ السّواجمِ

علوتُ عليكمْ في الفروعِ وتستقي دلائيَ من حومِ البحورِ الخضارمِ

مددتُ رشاءً لا يمدُّ لريبةٍ ... ولا غدرةٍ في السَّالفِ المتقادمِ
تعالوا نحاكمكمْ وفي الحقِّ مقنعٌ ... إلى الغرِّ من آلِ البطاحِ الأركارمِ
وإنَّ قريشَ الحقِّ لو نفعَ الهوَى ... لن يقبلُوا في اللهِ لومةَ لائمِ
فإنِّي لراضٍ عبدَ شمسٍ وما قضتْ ... وراضٍ بحكمِ الصِّيدِ من آلِ هاشمِ
وراضٍ بني تيمِ بن مرَّةَ إنّهمْ ... قرومٌ تسامَى للعُلَى والمكارمِ
وأرضَى المغيريّينَ في الحكمِ إنَّهُمْ ... بحورٌ وأخوالُ البحورِ القماقمِ
وراضٍ بحكمِ الحيِّ بكر بن وائلِ ... إذا كانَ في الذُّهلينِ أوفى اللّهازمِ
فإنْ شئتَ كانَ اليشكريُّونَ بيننا ... بحكمِ كريمٍ بالفريضةِ عالمِ
نذَكِّرُهمْ باللّهِ من ينهلُ القَنا ... ويفرحُ ضيقَ المأزقِ المتلاحمِ
ومن يضربُ الجبّارَ والخيلُ ترتقي ... أعنَّتُها في ساطعِ النَّقعِ قاتمِ
ومن يدركُ المستردفاتِ عشيَّةً ... إذا ولِّهتْ عوذُ النِّساءِ الرَّوائمِ
أردنا غداةَ الغبِّ ألاَّ تلُومَنا ... تميمٌ وحاذرنا حديثَ المواسمِ
وكنتمْ لنا الأتباعَ في كلِّ معظمٍ ... وريشُ الذُّبابى تابعٌ للقوادمِ
وما زادَني بعدُ المدَى نقضَ مرَّةٍ ... وما رقَّ عظمِي للضُّروسِ العواجمِ
تراني إذا ما النَّاسُ عدُّوا قديمهمْ ... وفضلَ المساعِي مسفراً غيرَ واجمِ
وإن عدّتِ الأيّامِ أخزيت دراماً ... وتخزيك يا ابن القين أيام درام
فخرت بأيام الفوارسِ فافخرُوا ... بأيامِ قينيكمْ جبيرٍ وداسمِ
بأيّامِ قومِي ما لقومكَ مثلهُمْ ... بها سهَّلوا عنّي خبارَ الجراثمِ
أقينَ بنَ قينٍ لا يسرُّ نساءَنَا ... بذِي نجبٍ أنّا ادَّعينا لدارمِ
وفينا كما أدَّتْ ربيعةُ خالداً ... إلى قومهِ حرباً وإن لم يسالمِ
هو القينُ وابنُ القينِ لاقينَ مثلهُ ... لفطحِ المساحِي أو لجدلِ الأداهمِ

وفي مالكٌ للجارِ لمّا تحدَّبتْ ... عليهِ الذّرى من وائلٍ والغلاصمِ
ألا إنَّما كانَ الفرزدقُ ثعلباً ... ضغا وهو في أشداقِ ليثٍ ضبارمِ

لقدْ ولدتْ أمُّ الفرزدقِ فاسقاً وجاءتْ بوزوازٍ قصيرِ القوائمِ
جريتَ بعرقٍ من قفيرةَ مقرفٍ وكبوةِ عرقٍ في شظىً غيرِ سالمِ
إذا قيلَ منْ أم الفرزدقِ بيّنتْ قفيرةُ منهُ في القفا واللّهازمِ
قفيرةُ من قنٍّ لسلمَى بن جندَلٍ أبوكَ ابنُها وابنُ الإماءِ الخوادمِ
وأورثكَ القينُ العلاةَ ومرجلاً وأطلاحَ أخراتِ الفؤوسِ الكرازمِ
وأرثنا آباؤُنا مشرفيَّةً تميتُ بأيدينا فروخَ الجماجمِ
أيحلمُ بالقتلَى هبيرُ بنُ ضمضمٍ إذا نمتَ أيرٌ في استِ أمّ الضَّماضمِ

وقال جرير يرد على الفرزدق، ويهجو الزبرقان بن بدر، وبني طهيّة:

تعلّلنا أمامةُ بالعداتِ وما يشفِي القلوبَ الصَّادياتِ
فلولا حبّها وإلهِ موسى لودَّعتُ الصِّبا والغانياتِ
وما صبري عن الذلفاء إلاَّ كصبرِ الحوتِ عن ماء الفراتِ
إذا رضيتْ رضيتُ وتعترينِي إذا غضبتْ كهيضاتِ السُّباتِ
رجوتمْ يا بني وقبانَ موتِي وأرجوا أنْ تطولَ لكمْ حياتِي
إذا اجتمعُوا علّي فخلِّ عنهُمْ وعن بازٍ يصكُّ حبارياتِ
إذا طربَ الحمامُ حمامُ نجدٍ نعى جارَ الأقارعِ والحتاتِ
إذا ما اللّيلُ هاجَ صدىً حزيناً بكى جزعاً عليهِ إلى المماتِ
أتفخرُ بالمحمَّمِ قينُ ليلَى وبالكيرِ الموقَّعِ والعلاتِ
وأمُّكُمُ قفيرةُ ربَّبتكُمْ بدارِ اللُّؤمِ في دمنِ النَّباتِ
غدرتُمْ بالزُّبيرِ وخنتُموه فما ترجُوا طهيَّةُ من ثباتِ
ألمْ يكُ ذو الشَّداةِ يخافُ منِّي فما ترجُو طهيَّةُ من شذاتِي
كرامُ الحيِّ إنْ شهدُوا كفونِي وإنْ وصيتُهُمْ حفظُوا وصاتِي
وحانَ بنُو قفيرةَ إذ أتونِي بقينٍ مدمنٍ قرعَ العلاتِ
تركتُ القينَ أطوعَ من خصيٍّ ذلولٍ في خزامتهِ مؤاتِ
أبا لقينينِ والنَّخباتِ ترجُو ليربوعٍ شقاشقَ باذخاتِ

همُ حبسوا بذي نجبٍ حفاظاً وهمْ زادُوا الخميسَ بواردات
وترفعنا عليكَ إذا افتخرنا ليربوعٍ بواذخُ شامخات
وهم سلبُوا الجبابرَ تاجَ ملكٍ بطخفةَ عندَ معتركِ الكمات
فقدْ غرقَ الفرزدقُ إذ علتْهُ غواربُ يلتطمنَ من الفُرات
رأيتكَ يا فرزدقُ وسطَ سعدٍ إذا بيّتَّ بئسَ أخو البيات
وهلْ لاقيتَ ويلكَ من كريمٍ ينامُ كما تنامُ عن الترات
نسيتمْ عقرَ جعثنَ واحتبيتمْ ألا تبّاً لفخركَ بالحبات
وقدْ دميتْ مواقعُ ركبتيها من الأبراكِ ليسَ من الصَّلات
تبيتُ الليلَ تسلقُ إسكتاها كدأبِ التركِ تلعبُ باكرات
وحطَّ المنقريَّ بها فخرَّتْ على أمِّ القفا واللّيلُ عات
تنادي غالباً وبني عقالٍ لقدْ أخزيتَ قومكَ في النَّدات
وجدنا نسوةً لبني عقالٍ بدارِ الخزي أغراضَ الرُّمات
غوانٍ هنَّ أخبثُ من حميرٍ وأمجنُ من نساءٍ مشرِكات
وسوداءِ المجرَّدِ من عقالٍ تبايعُ من دنا خذ ذا وهات
وأنتمْ تنفرونَ الزّبرقانِ أحقَّ عيرٍ برميسٍ إذْ تعرَّضَ للرُّمات
تضمَّنَ ما أضعتَ بنو قريعٍ لجاركَ أن تموتَ من الخفات
تدلَّى يا ابنَ مرَّةَ قد علمتمْ تدلٍّ وهو ينهزُ بالدَّلات

وقال جرير يهجو غسانَ بن دهبلٍ السَّليطيَّ:

ألا بكرتْ سلمَى فجدَّ بكورُها وشقَّ العصا اجتماعِ أميرُها
إذا نحنُ قلنا قدْ تباينتِ النّوى ترقرقُ سلمَى عبرةً أو تميرُها
لها قصبٌ ريّانُ قد شجيتْ به خلاخلُ سلمَى المصمتاتُ وسورُها
إذا نحنُ لم نملكْ لسلمَى زيارَةً نفسنا جدى سلمَى على من يزورُها
فهلْ تبلغنّي الحاجَ مضبورةَ القرَى بطيءٌ بمورِ النَّاعجاتِ فتورُها

نجاةٌ يصلُّ المروُ تحتَ أظلَّها بلاحقةِ الآطالِ حامٍ هجيرُها

ألا ليتَ شعري عنْ سليطٍ ألمْ يجدْ سليطٌ سوى غسانَ جاراً يجيرُها

لقدْ ضمنّوا الأحسابَ صاحبَ سوأةٍ يناجي بها نفساً لئيماً ضميرها

ونبئتُ غسّانَ بن واهصةِ الخصى يلجلجُ منّي مضغةً لا يحيرُها

ستعلمُ ما يغني حكيمٌ ومنقعٌ إذا الحربُ لم يرجعْ بصلحٍ سفيرُها

ألا ساءَ ما تبلَى سليطٌ إذا ربتْ جواشنُها وازدادَ عرضاً ظهورُها

بأستاهِها ترمي سليطٌ وتتَّقي ويرمي نضالاً عن كليبٍ جريرُها

ولمّا علاكمْ صكُّ بازٍ جنحتُمُ بأستاهِ خربانٍ تصرُّ صقورُها

عضاريطُ يشوونَ الفراسنَ بالضُّحى إذا ما السَّرايا حثَّ ركضاً مغيرُها

فما في سليطٍ فارسٌ ذو حفيظةٍ ومعقلُها يومَ الهياجِ جعورُها

أضجُّوا الرَّوايا بالمزادِ فإنَّكمْ ستلقونَ كرَّ الخيلِ تدمَى نحورُها

عجبتُ من الدّاعي جحيشاً وصائداً وعيساءُ يسعَى بالعلابِ نفيرُها

أساعيةٌ عيساءُ والضّأنُ حفَّلٌ فما حاولتْ عيساءُ أمّا عذيرُها

إذا ما تعاظمتمْ جعوراً فشرِّفوا جحيشاً إذا آبتْ من الصَّيفِ عيرُها

أناساً يخالونَ العباءَةَ فيهمِ قطيفةَ مرعزَّى يقلّبُ نيرُها

كأنَّ سليطاً في جواشنها الخصَى إذا حلَّ بينَ الأملحينِ وقيرُها

إذا قيلَ ركبٌ من سليطٍ فقبِّحتْ ركاباً وركباناً لئيماً بشيرُها

نهيتكمُ أن تركبُوا ذاتَ ناطحٍ من الحربِ يلوي بالرِّداءِ نذيرُها

وما بكمُ صبرٌ على مشرفيَّةٍ تعضُّ فراخَ الهامِ أو تستطيرُها

تمنَّيْتُمُ أنْ تسلبُوا القاعَ أهلَهُ كذاكَ المُنى غرَّتْ جحيشاً غرورُها

وقد كانَ في بقعاءَ ريٌّ لشائكمْ وتلعةَ والجوفاءَ يجري غديرُها

تناهوا ولا تستوردوا مشرفيَّةً تطيرُ شؤونَ الرأسِ منها ذكورُها

كأنَّ السَّليطيّينَ أنقاضُ كمأةٍ لأوَّلِ جانٍ بالعصَى يستثيرُها

غضبتُمْ علينا أو تغنَّيتُمُ بنا أن اخضرَّ من بطنِ التَّلاعِ غميرُها

ولو كانَ حلمٌ نافعٌ في مقلَّدٍ لما وغرتْ من غير جرمٍ صدُورها
بنو الخطفى والخيلُ أيامَ سوقَةٍ جلوا عنكمْ الظَّلماءَ وانشقَّ نورُها
وفي بئرِ حصنٍ أدركتنا حفيظةٌ وقدْ ردَّ فيها مرَّتينِ جفيرُها
فجئنا وقدْ كانتْ مراغاً وبرّكتْ عليها مخاضٌ لم تجدْ من يثرُها
لئنْ ضلَّ يوماً بالمجشّرِ رأيُهُ وكانَ لعوفٍ حاسداً لا يضيرُها
فأوْلَى وأولَى أنْ أصيبَ مقلداً بفاشيةِ العدوَى سريعٍ نشُورُها
لقدْ جردتْ يومَ الحدابِ نساؤُهمْ فساءتْ مجاليها وقلّتْ مهورُها

وقال جريرٌ يهجو البعيث المجاشعيّ، وكان ضلعُ البعيث على بني سليطٍ:

لمنْ طللٌ هاجَ الفؤادَ المتيَّما وهمَّ بسلمانينَ أنْ يتكلَّما
أمنزلتَيْ هندٍ بناظرةَ اسلَما وما راجع العرفانَ إلاَّتوهُّما
كأنَّ ديارَ الحيِّ ريشُ حمامةٍ محاها البلَى واستجمعتْ أنْ تكلَّما
لقدْ آذنتْ هندٌ خليلٌ ليصرما على طولِ ما بكَّى بهندٍ وهيَّما
طوى البينُ أسبابَ الوصالِ وحاولتْ بكنهلَ أقرانُ الهوَى أنْ تجذَّما
وقدْ كانَ منْ شأنِ الغويّ ظعائنٌ رفعنَ الرَّنا والعبقريَّ المرَقَّما
كأنَّ حمولَ الحيِّ زلنَ بيانعٍ من الواردِ البطحاءِ من نخلِ ملْهَما
سقيتُ دمَ الحيّاتِ ما ذنبُ زائرٍ يلمِّ فيعطي نائلاً أن يكلّما
سقيتُ دمَ الحيّاتِ ما ذنبُ زائرٍ يلمِّ فيعطي نائلاً أنْ يكلّما
وأحدثُ عهدي والشَّبابُ كأنَّه عسيبٌ نما في ريَّةٍ فتقوَّما
بهندٍ وهندٍ همُّهُ غيرَ أنَّها ترى البخلَ والعلاَّتِ في والوعدِ مغنما
لقدْ علقتْ بالنَّفسِ منها علائقٌ أبى طولُ هذا الدَّهرِ أن يتصرَّما

دعتكَ لها أسبابُ طولِ بليَّةٍ ووجدٌ بها هاجَ الحديثَ المكتَّما
على حينَ أنْ ولّى الشّبابُ لشأنه وأصبحَ بالشَّيبِ المحيل تعمَّما
ألا ليتَ هذا الجهلَ عنّا تصرَّما وأحدثَ حلماً قلبُهُ فتحلَّما

أنيختْ ركابي بالأحزَّةِ بعدَما خبطنَ بحورانَ السَّريحَ المخدَّما
وأدني وسادي من ذراعيْ شملّةٍ وأتركُ عاجاً قد علمتُ ومعصما
وعاوٍ عوى من غير شيءٍ رميتُهُ بقارعةٍ أنفاذُها تقطرُ الدَّما
خروجٍ بأفواهِ الرُّواةِ كأنَّها قرى هندُوانيٍّ إذا هزَّ صمَّما
فإنِّي لهاجيكمُ بكلِّ غريبةٍ شرودٍ إذا السَّاري بليلٍ ترنَّما
غرائبَ ألاَّفاً إذا حانَ وردُها أخذنَ طريقاً للقصائدِ معلما
لعمرِي لقدْ جارَى دعيُّ مجاشعٍ عذوماً على طولِ المجاراةِ مرجَما
ولاقيتَ منِّي مثلَ غارة داحسٍ وموقفهِ فاستأخرنْ أو تقدَّما
فإنِّي لهاجيكمْ وإنّي لراغبٌ بأحسابنا فضلاً بنا وتكرُّما
أرى سوأةً فخرَ البعيثِ وأمُّهُ تعارضُ خاليهِ يساراً ومقسَما
تبينُ إذا ألقَى العمامةَ لؤمُهُ وتعرفُ وجهَ العبدِ لمّا تعمَّما
فأينَ بنُو القعقاعِ عنْ أصلِ فرتنا وعن أصلِ ذاكَ القينِ أن يتقسَّما
فتؤخذُ من أمِّ البعيثِ ضريبةٌ ويتركُ نساجاً بدارينَ مسلما
فهلا سألتَ النّاسَ إنْ كنتَ جاهلاً بأيّامنا يا ابنَ الضروطِ فتعلّما
سأحمدُ يربوعاً على أنَّ وردهُمْ إذا ذيدَ لم يحكم وإن ذادَ أحكما
مصاليتُ يومَ الرَّوعِ تلقَى عصيَّنَا سريجيَّةً يخلينَ هاماً ومعصما
نحوطُ حمى نجدٍ وتلقَى طريقنا إلى المجدِ عاديَّ المواردِ معلما
وما كان ذو شغبٍ يمارسُ عيصنا فينظرَ في كفَّيهِ إلاَّ تندَّما
وإنّا لقوّالونَ للخيلِ أقدمي إذا لم يجدْ وغلُ الفوارسِ مقدمَا
ومنّا الذس ناجَى فلمْ يخزِ قومَهُ بأمرٍ قويٍّ محرزاً والمثلّما
ويومَ أبي قابوسَ لم يعطهِ المُنى ولكنْ صدعنا البيضَ حتّى تهزَّما
وقد أثكلتْ يومَ البحيرينِ خيلنا بوردٍ إذا ما استعلنَ الرَّوعَ سوَّما
وقالتْ بنو شيبانَ بالصَّمدِ إذا لقوا فوارسنا ينعونَ قيلاً وأزنما
أشبيانُ لو كان القتالُ صبرتُمُ ولكنَّ لفحاً من حريقٍ تضرَّما

وعضَّ ابن ذي الجدَّينِ وسطَ بيوتنا سلاسلنا والقدَّ حولاً مجرّما
وتكذبُ أستاهُ القيونِ مجاشعٌ متى لم نذدْ عن حوضنا أن يهدَّما
إذا عدَّ فضلُ السَّعي منَّا ومنكم فضلنا بني رغوانَ بؤسَى وأنعما
وقدْ لبستْ بعدَ الزُّبيرْ مجاشعٌ ثيابَ التّي حاضتْ ولم تغسلِ الدَّما
وقدْ علمِ الجيرانُ أنَّ مجاشعاً فروخَ البغايا لا يرى الجارَ محرَما
ولو علقتْ حبلَ الزُّبيرِ حبالنا لأضحَى كناجٍ في عطالةَ أعصما
ألم تر عوفاً لا تزالُ كلابهُ تجرُّ بأكماعِ السِّباقينُ ألحمُا
ولمّا قضى عوفٌ أشطٍّ عليكم فأقسمتمُ لا تفعلونَ وأقسما
ألم تر أولادَ القيونِ مجاشعاً يمدُّونَ ثدياً عندَ عوفٍ مصرَّما
فبتُّم خزايا والخزيرُ قراكمْ وباتَ الصَّدى يدعُو عقالاً وضمضمَا
أبعدَ ابن ذيّالِ تقولُ مجاشعٌ وأصحابُ عوفٍ يحسنون التكلما
وتغضبُ من ذكرِ القيونِ مجاشعٌ وما كانَ ذكرُ القينِ سرّاً مكتَّما
لقدْ وجدتْ بالقينِ خورُ مجاشعٍ كوجدِ النَّصارَى بالمسيحِ ابن مريما
ترى الخورَ جلداً من بناتِ مجاشعٍ لدى القينِ لا يمنعنَ منهُ المخدَّما
إذا ما لوَى بالكلبتينِ كتيفةً رأينَ وراءَ الكيرِ أيراً محمَّما

وقال جرير يهجو البعيث:

ألا حيِّ بالبردينِ داراً ولا أرَى كدارٍ لهندٍ لا تحيّا رسومُها
لقدْ وكفتُ عيناهُ أنْ ظلَّ واقفاً على دمنةٍ لم يبقَ إلاَّ رميمُها
أبينا فلم نسمعْ لهندٍ ملامةً كما لم تطعْ هندٌ بنا من يلومُها

إذا ذكرتْ هندٌ له خفَّ حلمهُ وجادت دموعُ العينِ سحّاً سجومُها
وأنَّى له هندٌ وقد حالَ دونَها عيونٌ وأعداءٌ كثيرٌ رجومُها
إذا زرتُها حالَ الرَّقيبانِ دُونَها وإن غبتُ شفَّ النَّفسَ منها همومُها
أقولُ وقدْ طالتْ لذكراكِ ليلتِي أجدَّكَ ما تسري لما بي نجومُها

بنِي مالكٍ إنَّ البغالَ مجاشعاً ... مباحٌ بحمراءِ العجانِ حريمُها
له فرسٌ شقراُ لم تلقَ فارساً ... كريهاً ولم تعلقْ عناناً يقيمُها
لئنْ راهنتْ غدراً عليكَ مجاشعٌ ... لقد لقيتْ نقصاً وطاشتْ حلومُها
فأبقُوا عليكمْ واتّقوا نابَ حيَّةٍ ... أصابَ ابن حمراءِ العجانِ شكيمُها
إذا خفتُ من عرٍّ قرافاً طليتهُ ... بصادقةِ الإشعالِ باقٍ عصيمُها
أنا الّذائدُ الحامِي إذا ما تخمَّطتْ ... عرانينُ يوبرعٍ وصالتْ قرومُها
دعوا الناس إنِّي سوف تكفي مخافتي ... شياطينُ يرمى بالنُّحاسِ رجيمُها
فما ناصفتنا في الحفاظِ قبيلةٌ ... ولا قايستنا المجدَ إلاَّ نضيمُها
ولا نعتصي الأرطَى ولكنْ عصيُّنا ... رقاقُ النَّواحي لا يبلُّ سليمُها
كسونا ذبابَ السَّيفِ هامةَ عارضٍ ... غداةَ اللِّوي والخيلُ تدمَى كلومُها
ويومَ عبيدِ اللهِ خضنا برايةٍ ... وزافرةٍ نصَّتْ إلينا تميمُها
لنا ذادةٌ عندَ الحفاظِ وسادةٌ ... مقاديمُ لم يذهبُ شعاعاً عزيمُها
إذا ركبوا لم يرهبِ الرَّوعَ خيلُهمْ ... ولكنْ نلاقي النّاسَ إنّا نسيمُها
إذا فزعُوا لم تعلفِ القتَّ خيلُهمْ ... ولكن صدورَ الأزأنيّ نسُومُها
عن المنبرِ الشَّرقي ذادتْ رماحُنا ... وعن حرمةِ الأركانِ يرمَى حطيمُها
يرى الموتَ منّا من يرومُ قتالَنا ... فعلَّ ابن حمراءِ العجانِ يرُومُها
سعرْنا عليكَ الحربَ تغلِي قدورُها ... فهلاَّ غداةَ الصِّمَّتينِ تديمُها
تركناكَ لا توفِي لجارٍ أجرتَهُ ... كأنَّكَ ذاتُ الودعِ أودى بريمُها
ألم تر أنّي قد رميتُ ابن فرتنا ... بصمّاءَ لا يرجو الحياةَ صديمُها
إذا ما هوى من صكَّةٍ وقعتْ بهِ ... أظلَّتْ حوامِي صكَّةٍ يستديمُها
فلمْ تدرِ يا هلبَ استِها كيفَ تتَّقي ... شموساً أبتْ إلاَّ لقاحاً عقيمُها
رجا العبدُ صلحي بعدما وقعتْ به ... صواعقُها ثم استهلَّتْ غيومُها
لقدْ سرَّني لحبُ القوافي بأنفهِ ... وعلبٌ بجلدِ الحاجبينِ وسومُها
لقدْ لاحَ وسمٌ في غواشٍ كأنَّها ... ثريّا تجلَّتْ عن نجومٍ غيومُها

سيخزي ويرضَى باللفاءِ ابنُ فرتنا وكانتْ غداةَ الغبِّ يُوفي غريمُها

إذا هبطتْ جوَّ المراغِ تكَّرستْ عروشاً وأطرافُ التَّوادي كرومُها

فكيف ترَى ظنَّ البعيثِ بأمِّهِ إذا باتَ علجُ الأقعسينِ يكومُها

إذا استنَّ أعلاجُ المصيفِ وجدتَها سريعاً إلى جنبِ المراغِ جثومُها

ضروطاً إذا لاقتْ علوجَ ابنِ عامرٍ وأينع كرّاثُ النِّباجِ وثومُها

لهُ أمُّ سوءٍ ساءَ ما قدَّمَتْ لهُ إذا فارطُ الأحسابِ عدَّ قديمُها

لقدْ أخذتْ عيناكَ من حمرةِ استِها فعيناكَ عيناها وخيمكَ خيمُها

فلمّا تغشّى اللؤمُ ما حولَ أنفهِ تبوأَ في الدّارِ التي لا يريمُها

يعدَّ ابنُ حمراءِ العجانِ لخبثِه إذا عدَّ مولى مالكٍ وصميمُها

أتاركةٌ أكلَ الخزيرِ مجاشعٌ فقدْ خسَّ إلاَّ في الخزيرِ قسيمُها

وقال جرير يرد على البعيث ويهجو الفرزدق:

عوجي علينا واربعي ربةَ البغلِ ولا تقتليني لا يحلُّ لكم قتلي

خليليَّ هيجا عبرةً وقفا بنا على طللٍ بينَ النقيعةِ والحبلِ

وإني لباقي الدمعِ إنْ كنتُ باكياً على كلِّ دارٍ حلها مرةً أهلي

سقى الرملَ جونٌ مستهلٌّ ربابهُ وما ذاكَ إلاَّ حبُّ منْ حلَّ بالرملِ

لياليَ إذْ أهلي وأهلكِ جيرةٌ وإذْ لا نخافُ الصرمَ إلاّ علىَ رجلِ

وإذْ أنا لا مالٌ أريدُ اتباعهُ بمالي ولا أهلٌ أبيعُ بهمْ أهلي

أعاذلَ مهلاً بعضَ لومكِ في المطلِ وعقلكِ لا يذهبْ فإنَّ معي عقلي

تريدينَ أنْ أرضى وأنتِ بخيلةٌ ومنْ ذا الذي يرضى الأخلاءَ بالبخلِ

وجدتكِ لا ترضي إذا كنتِ عاتباً صديقكِ إلاَّ بالمودةِ والبذلِ

أحقاً رأيتَ الظاعنينَ تحملوا منَ الغيلِ أوْ وادي الوريعةِ ذي الأثلِ

متى تجمعي منا كثيراً ونائلاً قليلاً يقطعُ ذاكَ باقيةَ الوصلِ

ألا تبتغي حلماً فينهَى عنِ الجهلِ وتصرمُ جملاً راحةً لكَ منْ جملِ

لعمرك لولا اليأسُ ما انقطعَ الهوى ولولا الهوى ما حنَّ منْ والهٍ قبلي

فلا تعجبا منْ سورةِ الحبِّ وانظرا أينفعُ ذا الوجدِ الملامةُ أو يُسلي

ألا ربَّ يومٍ قدْ شربتُ بمشربٍ سقى الغيمَ لمْ يشربْ بهِ أحدٌ قبلي

وهزةِ أظعانٍ نظرتُ حمولها غداً واستقلتْ بالقرونِ ذرى النخلِ

طلبتُ وريعانُ الشبابِ يقودني وقدْ فتنَ عني أو تواريَنَ بالهجلِ

فلما لحقناهنَّ أبدينَ صبوةً وهنَّ يحاذرنَ العيونَ منَ الأهلِ

على ساعةٍ ليستْ بساعةِ منظرٍ رمينَ قلوبَ القومِ بالحدقِ النجلِ

وما زلنَ حتى كادَ يفطنُ كاشحٌ يزيدُ علينا في الحديثِ الذي يملي

فلمْ أرَ يوماً مثلَ يومٍ بذي الغضا أصبنا بهِ الصيدَ الغزيرَ على رجلِ

ألذَّ وأشفى للفؤادِ منَ الجوى وأغيظَ للواشينَ منا ذوي الخبلِ

وهاجدِ موماةٍ بعثتُ إلى السرى وللنومُ أحلى عندهُ من جنى النحلِ

تمنى رجالٌ منْ تميمٍ لي الردى وما ذادَ عنْ أحسابهمْ أحدٌ مثلي

كأنهمُ لا يعلمونَ مواطني وقدْ جربوا أني أنا السابقُ المبلي

وأوقدتُ ناري بالحديدِ فأصبحتْ لها رهجٌ يصلي بهِ اللهُ منْ يصلي

ولو شاءَ قومي كانَ حلمي فيهمِ وكانَ على جهالِ أعدائهم أبداً جهلي

تمنى ابنُ حمراءِ العجانِ علالتي وقدْ تمَّ نابا لا ظنونٍ ولا وغلِ

خروجٍ إذا اصطكَّ الأضاميمُ سابقٌ وما أحرزَ الغاياتِ منْ سابقٍ مثلي

ليَ الفضلُ في إحياءِ عمرٍو ومالكٍ وما زلتُ مذْ جاريتُ أجري على مهلِ

وتخطرُ يربوعٌ ورائي بالقنا وذاكَ مقامٌ لا تزلُّ بهِ نعلي

ونحنُ حماةُ الثغرِ يخشى بهِ الردى قديماً وجيرانُ المجاعةِ والأزلِ

وما أنتَ إلاَّ نخبةٌ منْ مجاشعٍ ترى لحيةً في غيرِ دينٍ ولا عقلِ

بني مالكٍ أخزى البعيثُ مجاشعاً وقالَ ذوو أحلامهمْ ساءَ ما يبلي

ألامَ ابنُ حمراءِ العجانِ وباستها جلوبُ القنا بعدَ الكلاليبِ والركلِ

يفيشُ ابنُ حمراءِ العجانِ كأنهُ خصيٌّ براذينٍ تقاعسُ في الوحلِ

إذا قالَ قدْ أغنيتُ شيئاً رويدكمْ أتوهُ فقالوا لستَ بالحكم العدلِ
فأخزى ابنُ حمراءِ العجانِ مجاشعاً وما نالتِ المجدَ الدلاءُ التي يدلي
إذا سارَ في الركبِ البعيثُ رأيتمُ ترمزَ حمراءِ العجانِ على الرحلِ
لقدْ قوستْ أمُّ البعيثِ ولمْ يزلْ تزاحمُ علجاً صادرينَ على كفلِ
وفي العبسِ الحوليّ جوناً تسوفهُ لها مسكاً من غير عاجٍ ولا ذبلِ
إذا لقيتْ علجَ ابنِ ضبعاءَ بايعتْ بشقِّ استها أهلَ النباجِ وما تغلي
ليالي تنتابُ النباجَ وتبتني مراعيها بينَ الجداولِ والنخلِ
أهلبَ استها فقعاً بشرٍّ قرارةٍ على مدرجٍ بينَ الحزونةِ والسهلِ
جزعتَ إلى درجىْ نوارٍ وغسلها فأصبحتَ عبداً ما تمرُّ وما تحلي
لعمري لئنْ كانَ القيونُ تواكلوا نوارَ لقدْ آبتْ نوارُ إلى فحلِ
وإنَّ الذي يلقى البعيثَ ورهطهُ هوَ السمُّ لا درجا نوارَ معَ الغسلِ
بني مالكٍ لا صدقَ عندَ مجاشعٍ ولكنَّ حظاً منْ فياشٍ على دخلِ
وقدْ زعموا أنَّ الفرزدقَ حيةٌ وما مارسَ الحياتِ من حيةٍ مثلي
وما مارستْ من ذي ذبابٍ شكيمتي فيفلتَ فوتَ الموتِ إلا على خبلِ

ولمّا اتقى القينُ العراقيُّ باستهِ فزعتَ إلى القينِ المقيدِ في الحجلِ
رأيتكَ لا تحمي عقالاً ولمْ تردْ قتالاً فما لاقيتَ شراً من الذلِ
ولوْ كنتَ ذا رأيٍ لما لمتَ عاصماً وما كانَ كفؤاً ما لقيتَ منَ الفضلِ
ولمّا دعوتَ العنبريَّ ببلدةٍ إلى غيرِ ماءٍ لا قريبٍ ولا أهلِ
يكونُ نزولُ القومِ فيها كلا ولا غشاشاً ولا يدنونَ رحلاً إلى رحلِ
ضللتَ ضلالَ السامريّ وقومهُ دعاهمْ فضلوا عاكفينَ على عجلِ
فلمّا رأى أنَّ الصحاريَ دونهُ ومعتلجُ الأنقاءِ منْ ثبجِ الرملِ
ويوماً أتتْ دونَ الظلالِ سمومهُ تظلُّ المها صوراً جماجمها تغلي
بلغتَ نسيءَ العنبري كأنما ترى بنسيءِ العنبريِّ جنى النحلِ

فأوردكَ الأعدادَ ذو المالِ نازحٌ دليلُ امرئٍ أعطى المقادةَ بالدحلِ
ألمْ ترَ أني لا يبلُّ رميتي فمنْ أرمِ لا تخطئْ مقاتلهُ نبلي
فباتتْ نوارُ القينِ رخواً حقابها تنازعُ ساقيْ ساقها حلقُ الحجلِ
فقبحَ ريحُ القينِ لما تناولتْ مقذَّ هجانٍ إذ تساوفهُ فحلِ
أبا خالدٍ أبليتَ حزماً وسودداً وكلُّ امرئٍ مثنىً عليهِ بما يبلَى
أبا خالدٍ لا تشمتنَّ أعادياً يودونَ لوْ زلتْ بمهلكةٍ نعلي

وقال جرير:

ألا حيِّ رهبى ثمَّ حيِّ المطاليا لقدْ كانَ مأنوساً فأصبحَ خاليا
فلاَ عهدَ إلاَّ أنْ تذكرَ أو ترى ثماماً حواليْ منصبِ الخيمِ باليا
ألا أيها الوادي الذي ضمَّ سيلهُ إلينا نوى ظمياءَ حييتَ واديا
إذا ما أرادَ الحيُّ أن يتزملوا وحنتْ جمالُ البينِ حنتْ جماليا
فيا ليتَ أنَّ الحيَّ لمْ يتفرقوا وأمسى جميعاً جيرةً متدانيا
إذا الحيُّ في دارِ الجميع كأنما يكونُ علينا نصفَ حولٍ لياليا
إلى اللهِ أشكوُ أنَّ بالغورِ حاجةً وأخرى إذا أبصرتُ نجداً بدا ليا
نظرتُ برهبى والظعائنُ باللوى فطارتْ برهبى شعبةٌ منْ فؤاديا
وما أبصرَ النارَ التي وضحتْ لهُ وراءَ جفاف الطيرِ إلا تماريا
وكائنْ ترى في الحيّ من ذي صداقةٍ وغيرانَ يدعو ويله منْ حذاريا
إذا ذكرتْ ليلى أتيحَ ليَ الهوى على ما ترى منْ هجرتي واجتنابيا
خليليَّ لولا أن تظنا بيَ الهوى لقلتُ سمعنا منْ سكينةَ داعيا
قفا فاسمعا صوتَ المنادي لعلهُ قريبٌ وما دانيتُ بالظنِّ دانيا
إذا ما جعلتُ السيَّ بيني وبينها وحرةَ ليلى والعقيقَ اليمانيا
رغبتُ إلى ذي العرشِ ربِّ محمدٍ ليجمعَ شعباً أو يقربَ نائيا
أذا العرشِ إنيّ لستُ ما عشتُ تاركاً طلابَ سليمى فاقضِ ما كنتَ قاضيا
ولو أنها شاءتْ شفتني بهينٍ وإنْ كانَ قدْ أعيى الطبيبَ المداويا

سأتركُ للزوارِ هنداً وأبتغي طبيباً فيبغيني شفاءً لما بيا

فإنكِ إن تعطي قليلاً فطالما منعتِ وحلأتِ القلوبَ الصواديا

دنوَّ عتاقِ الطير للزجرِ بعدما شمسنَ وولينَ الخدودَ العواصيا

إذا اكتحلتْ عيني بعينكِ مسني بخيرٍ وجلى غمرةً عنْ فؤاديا

ويأمرني العذالُ أن أغلبَ الهوى وأنْ أكتمَ الوجدَ الذي ليسَ خافيا

فيا حسراتِ القلبِ في إثرِ من يرى قريباً ويلقى خيرهُ منكَ قاصيا

تعيرني الإخلافَ ليلى وأفضلتْ على وصلِ ليلى قوةٌ منْ حباليا

فقولا لواديها الذي نزلتْ بهِ أواديَ ذي القيصومِ أمرعتَ واديا

لقدْ خفتُ أن لا تجمعَ الدارُ بيننا ولا الدهرُ إلاَّ أنْ تجدَّ الأمانيا

ألاَ طرقتْ شعثاءُ والليلُ مظلمٌ أحمَّ عمانيا وأشعثَ ماضيا

لدى قطرياتٍ إذا ما تغولتْ بنا البيدُ غاولنَ الحزومَ القياقيا

تخطى إلينا منْ بعيدٍ خيالها يخوضُ خداريا منَ الليلِ داجيا

فحييتَ منْ سارٍ تكلفَ موهناً مزاراً على ذي حاجةٍ متراخيا

يقولُ ليَ الأصحابُ هلْ أنتَ لاحقٌ بأهلكَ إنَّ الزاهريةَ لاهيا

لحقتُ وأصحابي على كلِّ حرةٍ وخودٍ تباري الأحبشيَّ المكاريا

ترامين بالأجوازِ في كلِّ صفصفٍ وأدنينَ منْ خلجِ البرينِ الذفاريا

إذا بلغتْ رحلي رجيعٌ أملها نزوليَ بالموماةِ ثمَّ ارتحاليا

مخففةً يسري على الهولِ ركبها عجالاً بها ما ينظرونَ التواليا

تخالُ بها ميتَ الشخاصِ كأنهُ قذى غرقٍ يضحي بهِ الماءُ طافيا

يشقُّ على ذي الحلم أنْ يتبعَ الهوى ويزجرُ منْ أدناهُ أن ليسَ لا قيا

وإني لعفُّ الفقرِ مشتركُ الغنى سريعٌ إذا لمْ أرضَ داري احتماليا

وإني لأستحييكَ والخرقُ بيننا منَ الأرضِ أنْ تلقى أخاً لي قاليا

وقائلةٍ والدمعُ يحدرُ كحلها أبعدَ جريرٍ تكرمونَ المواليا

فردي جمالَ الحيِّ ثمَّ تحملي فما لكِ فيهمْ من مقامٍ ولا ليا
فأنتَ أبي ما لمْ تكنْ ليَ حاجةٌ فإنْ عرضتْ فإنني لا أبا ليا
بأيِّ نجادٍ تحملُ السيفَ بعدما قطعتُ قوىً من محملٍ كانَ باقيا
بأيِّ سنانٍ تطعنُ القومَ بعدما نزعتَ سناناً من قناتكَ ماضيا
ألمْ أكُ ناراً يصطليها عدوكمْ وحرزاً لما ألجأتمُ من ورائيا
وباسطَ خيرٍ فيكمُ بيمينهِ وقابضَ شرٍّ عنكمُ بشماليا
ألا لاَ تخافا نبوتي في ملمةٍ وخافا المنايا أن تفوتكما بيا
إذا سركمُ أنْ تمسحوا وجهَ سابقٍ جوادٍ فمدوا وابسطوا منْ عنانيا
أنا ابنُ صريحيْ خندفٍ غيرَ دعوةٍ تكونُ مكانَ القلبِ منها مكانيا
وليسَ لسيفي في العظامِ بقيةٌ وللسيفُ أشوى وقعةٌ من لسانيا
جريءُ الجنانِ لا أهالُ منَ الردى إذا ما جعلتُ السيفَ منْ عنْ شماليا
أبالموتِ خشتني قيونُ مجاشعٍ وما زلتُ مجنياًّ عليّ وجانيا
وما مسحتْ عندَ الحفاظِ مجاشعٌ كريماً ولا منْ غايةِ المجدِ دانيا
دعوا المجدَ إلاَّ أن تسوقوا كزومكمْ وقيناً عراقياً وقيناً يمانيا
تراغيتمُ يومَ الزبيرِ كأنكمْ ضباعٌ بذي قارٍ تمنى الأمانيا

وقال جرير يجيب الفرزدق:

لمنِ الديارُ كأنها لمْ تحللِ بين الكناسِ وبينَ طلحِ الأعزلِ
ولقدْ أرى بكَ والجديدُ إلى بلى موتَ الهوى وشفاءَ عينِ المجتلي
نظرتْ إليكَ بمثلِ عينى مغزلٍ قطعتْ حبالتها بأعلى يليلِ
وإذا التمستَ نوالها بخلتْ بهِ وإذا عرضتَ بودها لمْ تبخلِ
ولقدْ ذكرتكِ والمطيُّ خواضعٌ وكأنهنَّ قطا فلاةٍ مجهلِ
يسقينَ بالأدمى فراخَ تنوفةٍ زغباً حواجبهنَّ حمرَ الحوصلِ
يا أمَّ ناجيةَ السلامُ عليكمُ قبلَ الرواحِ وقبلَ لومِ العذلِ
وإذا غدوتِ فباكرتكِ تحيةٌ سبقتْ سروحَ الشاحجاتِ الحجلِ

لو كنتُ أعلمُ أنَّ آخرَ عهدكمْ ... يومُ الرحيلِ فعلتُ ما لمْ أفعلِ

أو كنتُ أرهبُ وشكَ بينٍ عاجلٍ ... لقنعتُ أو لسألتُ ما لمْ أسالِ

أعددتُ للشعراءِ سمَّاً ناقعاً ... فسقيتُ آخرهمْ بكأسِ الأولِ

لما وضعتُ على الفرزدقِ ميسمي ... وعلى البعيثِ جدعتُ أنفَ الأخطلِ

أخزى الذي سمكَ السماءَ مجاشعاً ... وبنى بناءكَ بالحضيضِ الأسفلِ

بيتاً يحممُ قينكمْ بفنائهِ ... دنساً مقاعدهُ خبيثَ المدخلِ

ولقدْ بنيتَ أذلَّ بيتٍ يبتنى ... فهدمتُ بيتكمُ بمثلي يذبلِ

إني بنى ليَ في المكارمِ أولي ... ونفختَ كيركَ في الزمانِ الأولِ

أعيتكَ مأثرةُ القيونِ مجاشعٍ ... فانظرْ لعلكَ تدعي منْ نهشلِ

وامدحْ سراةَ بني فقيمٍ إنهمْ ... قتلوا أباكَ وثأرهُ لمْ يقتلِ

ودعِ البراجمَ إنَّ شربكَ فيهمُ ... مرٌّ عواقبهُ كطعمِ الحنظلِ

إني انصببتُ منَ السماءِ عليكمُ ... حتى اختطفتكَ يا فرزدقُ منْ علِ

من بعدِ صكي للبعيثِ كأنهُ ... خربٌ تنفجَ من حذارِ الأجدلِ

ولقدْ وسمتكَ يا بعيثُ بميسمي ... وضغا الفرزدقُ تحتَ حدِّ الكلكلِ

حسبُ الفرزدقِ أنْ تسبَّ مجاشعٌ ... ويعدَّ شعرَ مرقشٍ ومهلهلِ

طلبتْ قيونُ بني قفيرةَ سابقاً ... غمرَ البديهةِ جامحاً في المسحلِ

قتلَ الزبيرِ وأنتَ عاقدُ حبوةٍ ... تباً لحبوتكَ التي لمْ تحللِ

وافاكَ غدركَ بالزبيرِ على منى ... ومجرِّ جعثنكمْ بذاتِ الحرملِ

باتَ الفرزدقُ يستجيرُ لنفسهِ ... وعجانُ جعثنَ كالطريقِ المعملِ

أينَ الذينَ عددتَ أنْ لا يدركوا ... بمجرِّ جعثنَ يا بنَ ذاتِ الدملِ

أسلمتَ جعثنَ إذْ تجرُّ برجلها ... والمنقريُّ يدوسها بالمنشلِ

تهوي استها وتقولُ يالَ مجاشعٍ ... ومشقٌّ ثقبتها كعينِ الأقبلِ

لا تذكروا حللَ الملوكِ وأنتمُ ... بعدَ الزبيرِ كحائضٍ لمْ تغسلِ

أبنيَّ شعرةَ لنْ تسدَّ طريقنا ... بالأعميينِ ولا قفيرةَ فازحلِ

ما كانَ ينكرُ في نديٍّ مجاشعٍ ... أكلُ الخزيرِ ولا ارتضاعُ الفيشلِ

ولقدْ تبينَ في وجوهِ مجاشعٍ ... لؤمٌ يثورُ ضبابهُ لا ينجلي

ولقدْ تركتُ مجاشعاً وكأنهمْ ... فقعٌ بمدرجةِ الخميسِ الجحفلِ

إني إلى جبليْ تميمٍ معقلي ... ومحلُّ بيتيَ في اليفاعِ الأطولِ

أحلامنا تزنُ الجبالَ رزانةٌ ... ويفوقُ جاهلنا فعالَ الجهلِ

فاعجلْ إلى حكمي قريشٍ إنهمْ ... أهلُ النبوةِ والكتابِ المنزلِ

فاسألْ إذا خرجَ الخدامُ وأحمشتْ ... حربٌ تضرمُ كالحريقِ المشعلِ

والخيلُ تنحطُ بالكماةِ وقد رأوا ... لمعَ الربيئةِ بالنيافِ العيطلِ

أبني طهيةَ يعدلونَ فوارسي ... وبنو خضافِ وذاكَ ما لمْ يعدلِ

وإذا غضبتُ رمى ورائيَ بالحصى ... أبناءُ جندلتي كخيرِ الجندلِ

عمرٌو وسعدٌ يا فرزدقُ فيهمِ ... زهرُ النجومِ وباذخاتُ الأجبلِ

كانَ الفرزدقُ إذْ يعوذُ بخالهِ ... مثلَ الذليلِ يعوذُ تحتَ القرملِ

فافخرْ بضبةَ إنَّ أمكَ منهمُ ... ليسَ ابنُ ضبةَ بالمعمِّ المخولِ

وقضتْ لنا مضرٌ عليكَ بفضلنا ... وقضتْ ربيعةُ بالقضاءِ الفيصلِ

إن الذي سمكَ السماءَ بنى لنا ... عزاً علاكَ فما لهُ منْ منقلِ

أبلغْ بني وقبانَ أنَّ حلومهمْ ... خفتْ فما يزنونَ حبةَ خردلِ

أزرى بحكمكمُ الفياشُ فأنتمُ ... مثلُ الفراشِ غشينَ نارَ المصطلي

لوْ نكتَ أمكَ بعدَ أكلِ خزيرها ... لتعدَّ مثلَ فوارسي لمْ تفعلِ

في مزبدٍ غلقٍ كأنَّ مشقهُ ... خلُّ المجازةِ أو طريقُ العنصلِ

تصفُ السيوفَ وغيركمْ يعصى بها ... يا ابنَ القيونِ وذاكَ فعلُ الصيقلِ

وبرحرحانَ تخضخضتْ أصلاؤكمْ ... وفزعتمُ فزعَ البطانِ العزلِ

خصيَ الفرزدقُ والخصاءُ مذلةٌ ... يرجو مخاطرةَ القرومِ البزلِ

هابَ الخواتنُ منْ بناتِ مجاشعٍ ... مثلَ المحاجنِ أو قرونَ الأيلِ

وكأنَّ تحتَ ثيابِ خورِ مجاشعٍ بطاً يصوتُ في سراةِ الجدولِ
قعدتْ قفيرةُ بالفرزدقِ بعدما جهدَ الفرزدقُ جهدهُ لا يأتلي
ألهى أباكَ عنِ المكارمِ والعلى ليُّ الكتائفِ وارتفاعُ المرجلِ
ولدتْ قفيرةُ قدْ علمتمْ خبثةً بعدَ المشيبِ وبظرها كالمنجلِ
بزرودَ أرقصتِ القعودُ فراشها رعثاتِ عنبلها الغدفلِ الأرعلِ
أشركتِ إذْ حملتْ لأمكَ خبثةً حوضَ الحمارِ بليلةٍ منْ ثيتلِ
أبلغْ هديتيَ الفرزدقَ إنها ثقلٌ يزادُ على حسيرٍ مثقلِ

وقال جرير يجيب الفرزدق:

سمتْ ليَ نظرةٌ فرأيتُ برقاً تهامياً فراجعني ادكاري
يقولُ الناظرونَ إلى سناهُ نرى بلقاً شمسنَ على مهارِ
لقدْ كذبتْ عداتك أمَّ بشرٍ وقدْ طالتْ أناتي وانتظاري
عجلتِ إلى ملامتنا وتسري مطايانا وليلكِ غيرُ ساري
فهانَ عليكِ ما لقيتْ ركابي وسيري في الملمعةِ القفارِ
وأيامٌ أتينَ على المطايا كأنَّ سمومهنَّ أجيجُ نارِ
كأنَّ على مغابنهنَّ هجراً كحيلَ الليتِ أو نبعانَ قارِ
لقدْ أمسى البعيثُ بدارِ ذلٍّ وما أمسى الفرزدقُ بالخيارِ

جلاجلُ كرجٍ وسبالُ قردٍ وزندٌ من قفيرةَ غيرُ وارِ
عرفنا منْ قفيرةَ حاجبيها وجذاً في أناملها القصارِ
تدافعنا فقالَ بنو تميمٍ كأنَّ القردَ طوحَ منْ طمارِ
أطامعةٌ قيونُ بني عقالٍ بعقبي حينَ فاتهمُ حضاري
وقدْ علمتْ بنو وقبانَ أني ضبورُ الوعثِ معتزمُ الخبارِ
بيربوعٍ فخرتُ وآلِ سعدٍ فلاَ مجديَ بلغتَ ولا فخاري
ليربوعٍ فوارسُ كلّ يومٍ تواري شمسهُ رهجُ الغبارِ

عتيبةُ والأحيمرُ وابنُ قيسٍ وعتابٌ وفارسُ ذي الخمارِ
ويومَ بني جذيمةَ إذْ لحقنا ضحىً بينَ الشعيبةِ والعقارِ
وجوهُ مجاشعٍ طليتْ بلؤمٍ يبينُ في المقلدِ والعذارِ
وحالفَ كلَّ جلدِ مجاشعي قميصُ اللؤمِ ليسَ بمستعارِ
لهم أدرٌ يصوتُ في خصاهمْ كتصويتِ الجلاجلِ في القطارِ
أغركمُ الفرزدقُ منْ أبيكمْ وذكرُ مزادتينِ على حمارِ
وجدنا بيتَ ضبةَ في معدٍّ كبيتِ الضبِّ ليسَ لهُ سواري
إذا ما كنتَ ملتمساً نكاحاً فلاَ تعدلْ بجمعِ بني ضرارِ
فلاَ يمنعكَ منْ أربٍ لحاهمْ سوادٌ والعمامةِ والخمارِ
وإنْ لاقيتَ ضبياً فنكهُ فكلُّ رجالهمْ رخوُ الحتارِ

وقال جرير للفرزدق:

ألاَ حيِّ الديارَ بسعدَ أني أحبُّ لحبِّ فاطمةَ الديارا
أرادَ الظاعنونَ ليحزنوني فهاجوا صدعَ قلبي فاستطارا
لقدْ فاضتْ دموعكَ يومَ قوٍّ لبينٍ كانَ حاجتهُ ادكارا
أبيتُ الليلَ أرقبُ كلَّ نجمٍ تعرضَ ثمَّ أنجدَ ثمَّ غارا
يحنُّ فؤادهُ والعينُ تلقى منَ العبراتِ جولاً وانحدارا
إذا ما حلَّ أهلكِ يا سليمى بدارةِ صلصلٍ شحطوا المزارا
فتدلونا القلوبُ إلى هواها ويأبى أهلُ جهمةَ أنْ تزارا
كأنَّ مجاشعاً نخباتُ نيبٍ هبطنَ الهرمَ أسفلَ منْ سرارا
إذا حلوا زرودَ بنوا عليها بيوتَ الذلِّ والعمدَ القصارا
تسيلُ عليهمُ شعبُ المخازي وقدْ كانوا لسوأتها قرارا
وهلْ كانَ الفرزدقُ غيرَ قردٍ أصابتهُ الصواعقُ فاستدارا
وكنتَ إذا حللتَ بدارِ قومٍ ظعنتَ بخزيةٍ وتركتَ عارا
فهلاَّ غرتَ يومَ أرادَ قومٌ أصابوا عقرَ جعثنَ أنْ تغارا

أتذكرُ صوتَ جعثنَ إذْ تنادي وتنشدكَ القلائدَ والخمارا
ألمْ يخشوا إذا بلغَ المخازي على سوءاتِ جعثنَ أنْ تزارا
فإنَّ مجرَّ جعثنَ كانَ ليلاً وأعينَ كانَ مقلتهُ نهارا
فلوْ أيامَ جعثنَ كانَ قومي همُ قومَ الفرزدقِ ما استجارا
تزوجتمْ نوارَ ولمْ تريدوا ليدركَ ثائرٌ بأبي نوارا
فدينكَ يا فرزدقُ دينُ ليلى تزورُ القينَ حجاً واعتمارا
يظلُّ القينُ بعدَ نكاحِ ليلى يطيرُ على سبالكمُ الشرارا
نكحتُ على البعيثِ فلمْ أطلقْ فأجزأتُ التفردَ والضرارا
نشدتكَ يا بعيثُ لتخبرني أليلاً نكتَ أمكَ أو نهارا
مريتمْ حربنا لكمُ فدرتْ بذي علقٍ وأبطأتِ الغزارا
ألمْ أكُ قد نهيتُ على حفيرٍ بني قرطٍ وعلجهمُ شقارا
سأرهنُ يا ابن حاديةِ الروايا لكمْ مدَّ الأعنةِ والحضارا
يرى المتعبدونَ عليَّ دوني حياضَ الموتِ واللججَ الغمارا
ألسنا نحنُ قدْ علمتْ معدٌّ غداةَ الروعِ أجدرَ أنْ تغارا
فوارسنا عتيبةُ وابنُ سعدٍ وقوادُ المقانبِ حيثُ سارا
ومنا المعقلانِ وعبدُ قيسٍ وفارسنا الذي منعَ الذمارا
فما ترجو النجومَ بنو عقالٍ ولا القمرَ المنيرَ إذا استنارا
ونحن الموقدونَ بكلِّ ثغرٍ يخافُ بهِ العدوُّ عليكَ نارا
أتنسونَ الزبيرَ ورهنَ عوفٍ وعوفاً حينَ غركمُ فخارا
تركتُ القينَ أطوعَ من خصيٍّ يعضُّ بأيرهِ المسدَ المغارا

وقال جرير للفرزدق:

سرتِ الهمومُ فبتنَ غيرَ نيامِ وأخو الهمومِ يرومُ كلَّ مرامِ

ذمَّ المنازلَ بعدَ منزلةِ اللوى والعيشَ بعدَ أولئكَ الأقوامِ

ضربتْ معارفها الرواسُ بعدنا | وسجالُ كلِّ مجلجلٍ سجامِ
ولقد أراكِ وأنتِ جامعةُ الهوى | نثني بعهدك خيرَ دارِ مقامِ
فإذا وقفتُ على المنازلِ باللوى | فاضتْ دموعي غيرَ ذاتِ سجامِ
طرقتكَ صائدةُ القلوبِ وليسَ ذا | حينَ الزيارةِ فارجعي بسلامِ
تجري السواكَ على أغرَّ كأنهُ | بردٌ تحدرَ من متونِ غمامِ
لو كانَ عهدكِ كالذي حدثتنا | لوصلتِ ذاك فكانَ غيرَ رمامِ
إني أواصلُ منْ أردتُ وصالهُ | بحبالِ لا صلفٍ ولا لوامِ
ولقد أراني والجديدُ إلى بلىً | في فتيةٍ طرفِ الحديثِ كرامِ
طلبوا الحمولَ على خواضعَ كالبرى | يحملنَ كلَّ معذلٍ بسامِ
لولا مراقبةُ العيونِ أريننا | مقلَ المها وسوالفَ الأرآمِ
ونظرنَ حينَ سمعنَ رجعَ تحيتي | نظرَ الجيادِ سمعنَ صوتَ لجامِ
كذبَ العواذلُ لو رأينَ مناخنا | بحزيزِ رامةَ والمطيُّ سوامِ
والعيسُ جائلةُ الغروضُ كأنها | بقرٌ جوافلُ أو رعيلُ نعامِ
نصبي القلوصَ بكلِّ خرقٍ مهمهٍ | عمقِ الفجاجِ مخرجٍ بقتامِ
يدمى على خدمِ السريحِ أظلها | والمروُ من وهجْ الظهيرةِ حامِ
باتَ الوسادُ على ذراعٍ شملةٍ | وثنى أشاجعه بفضلِ زمامِ
إنَّ ابنَ آكلةِ النخالةِ قدْ جنى | حرباً عليهِ ثقيلةَ الأجرامِ
خلقَ الفرزدقُ سوءةً في مالكٍ | ولخلفُ ضبةَ كانَ شرَّ غلامِ
مهلاً فرزدقُ إنَّ قومكَ فيهمِ | خورُ القلوبِ وخفةُ الأحلامِ
الظاعنونَ على العمى بجميعهمْ | والنازلونَ بشرِّ دارِ مقامِ
لوْ غيركمْ علقَ الزبيرَ وحبلهُ | أدى الجوارَ إلى بني العوامِ
كانَ العنانُ على أبيكَ محرماً | والكيرُ كانَ عليهِ غيرَ حرامِ
عمداً أعرفُ بالهوانِ مجاشعاً | إنَّ اللئامَ عليَّ غيرُ كرامِ
تلقى الضفنةَ من بناتِ مجاشعٍ | تهذي استها بطوارقِ الأحلامِ

وقال جرير يجيب الفرزدق ويجمع معه البعيث والأخطل:

زارَ الفرزدقُ أهلَ الحجازِ فلمْ يحظَ فيهمْ ولمْ يحمدِ
وأخزيتَ قومكَ عندَ الحطيمِ وبينَ البقيعينِ والغرقدِ
وجدنا الفرزدقَ بالموسمين خبيثَ المداخلِ والمشهدِ
نفاكَ الأغرُّ ابنُ عبدِ العزيزِ بحقكَ تنفى عنِ المسجدِ
وشبهتَ نفسكَ أشقى ثمودَ فقالوا ضللتَ ولمْ تهتدِ
وقد أجلوا حينَ حلَّ العذابُ ثلاثَ ليالٍ إلى الموعدِ
وشبهتَ نفسكَ حوقَ الحمارِ خبيثَ الأواريِّ والمرودِ
وجدنا جبيراً أبا غالبٍ بعيدَ القرابةِ منْ معبدِ
أتجعلُ ذاك الكيرِ منْ مالكٍ وأينَ سهيلٌ منَ الفرقدِ
وعرقُ الفرزدقِ شرُّ العروقِ خبيثُ الثرى كابيُ الأزندِ
وأوصى جبيرٌ إلى غالبٍ وصيةَ ذي الرحمِ المجهدِ
فقالَ ارفقنَّ بليِّ الكتيفِ وحكِّ المشاعبِ بالمبردِ
وجعثنُ حطَّ بها المنقريُّ كرجعِ يدِ الفالجِ الأحردِ
تثاءبُ منْ طولِ ما أبركتْ تثاؤبَ ذي الرقيةِ الأدردِ
فهلاَّ ثأرتَ ببنتِ القيون وتتركُ شوقاً إلى مهددِ
وهلاَّ ثأرتَ بحلِّ النطاقِ ودقِّ الخلاخلِ والمعضدِ
فأصبحتَ تفقرُ آثارهمْ ضحىً مشيةَ الجاذفِ الأعقدِ
كليلاً وجدتمْ بني منقرٍ سلاحَ قتيلكمُ المسندِ
تقولُ نوارُ فضحتَ القيونَ فليتَ الفرزدقَ لمْ يولدِ
وفاتَ الفرزدقُ بالكلبتينِ وعدلٍ منَ الحممِ الأسودِ
فرقعْ لجدكَ أكيارهُ وأصلحْ متاعكَ لا يفسدِ
وأدنِ العلاةَ وأدنِ القدومَ ووسعْ لكيركَ في المقعدِ
قرنتُ البعيثَ إلى ذي الصليبِ معَ القينِ في المرسِ المحصدِ

وقد قرنوا حين جدَّ الرهانُ بسامٍ إلى الأمدِ الأبعدِ
يقطعُ بالجري أنفاسهمْ بثني العنانِ ولمْ يجهدِ

فإنا أناسٌ نحبُّ الوفاءَ حذارَ الأحاديثِ في المشهدِ
ولا نحتبي عند عقدِ الجوارِ بغيرِ النجادِ ولا نرتدي
شددتمْ حباكمْ على غدرةٍ بجيشانَ والسيفُ لمْ يغمدِ
فلما احتبيتَ وأنتَ الذليلُ قعدتَ على استٍ لدى قعددِ
فبعداً لقومٍ أجاروا الزبيرَ وأما الزبيرُ فلمْ يبعدِ
أعبتَ فوارسَ يومِ الغبيطِ وأيامَ بشرِ بني مرثدِ
ويوماً ببلقاءَ يا ابنَ القيونِ شهدنا الطعانَ ولمْ تشهدِ
فصبحنَ أبجرَ والحوفزانَ بوردٍ مشيحٍ على الذودِ
ويومَ البحيرينِ ألحقننا لهنَّ أخاديدُ في القرددِ
نعضُّ السيوفُ بهامِ الملوكِ ونشفي الطماحَ منَ الأصيدِ

وقال جرير للفرزدق لما تزوج حدراء بنت زيق بن بسطام بن قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبد الله بن عمرو بن الحارث بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان وكان أبوها نصرانيا، وأراد الفرزدق أن يغيظ النوار بنت عين بن صنيعة بن ناجية بن عقال وكان الفرزدق تزوجها أعني النوار فأخبرت النوار جريراً بذلك وشكت الفرزدق إليه، فقال: أنا أكفيكه وقال:

لستُ بمعطي الحكمَ منْ شفِّ منصبٍ ولا عنْ بناتِ الحنظلينَ راغبُ
أراهنَّ ماءَ المزنِ يشفى به الصدى وكانتْ ملاحاً غيرهنَّ المشاربُ
لقدْ كنتَ أهلاً أن تسوقَ دياتكمْ إلى آلِ زيقٍ أنْ يعيبكَ عائبُ
وما عدلتْ ذاتُ الصليبِ ظعينةٌ عتيبةُ والردفانِ منها وحاجبُ
ألا ربما لمْ نعطِ زيقاً بحكمهِ وأدى إلينا الحكمَ والغلُّ لازبُ
حوينا أبا زيقٍ وزيقاً وعمهُ وجدةُ زيقٍ قد حوتها المقانبُ
ألمْ تعرفوا يا آلِ زيقٍ فوارسي إذا اغبرَّ منْ كرِّ الطرادِ الحواجبُ
حوتْ هانئاً يومَ الغبيطينِ خيلنا وأدركنَ بسطاماً وهنَّ شوازبُ

صبحناهمُ جرداً كأنَّ غبارها ... شآبيبُ صيفٍ يزدهينَّ حاصبُ
بكلِّ رديني يطاردُ متنهُ ... كما اختبَّ سيدٌ بالمراضينِ لاغبُ
جزى اللهُ زيقاً وابنَ زيقٍ ملامةً ... على أنني في ودِّ شيبانَ راغبُ
أأهديتَ يا زيقَ بنَ زيقٍ غريبةً ... إلى شرِّ من تهدى إليه الغرائبُ
فأمثلُ ما في صهركمْ أنَّ صهركمْ ... مجيدٌ لكم ليَّ الكتيفِ وشاعبُ
عرفناكَ منْ حوقِ الحمارِ لخبثةٍ ... وكانَ لضماتٍ منَ القينِ غالبُ
بني مالكٍ أدوا إلى القينِ حقهُ ... وللقينِ حقٍّ في الفرزدقِ واجبُ
أثائرةٌ حدراءُ منْ جرَّ بالنقا ... وهلْ في بني حدراءَ للوترِ طالبُ
أتثأرُ بسطاماً إذا ابتلتِ استها ... وقد بولتْ في مسمعيهِ الثعالبُ
ذكرتَ بناتِ الشمسِ والشمسُ لمْ تلدْ ... وأيهاتَ من حوقِ الحمارِ الكواكبُ
ولو كنتَ حراً كانَ عشرٌ سياقةً ... إلى آلِ زيقٍ والوصيفُ المقاربُ

وقال يجيب الفرزدق:

أقمنا وربتنا الديارُ ولا أرى ... كمربعنا بين الحنيينِ مربعا
ألا حبَّ بالوادي الذي ربما نرى ... بهِ منْ جميعِ الحيِّ مرأى ومسمعا
ألا لا تلوما القلبَ أنْ يتخشعا ... فقدْ هاجتِ الأحزانُ قلباً مفزعا
وجودا لهندٍ بالكرامةِ منكما ... وما شئتما أنْ تمنعا بعدُ فامنعا
وما حفلتْ هندٌ تعرضَ حاجتي ... ولا نومَ عينيَّ الغشاشَ المروعا
بنفسي منْ جارٍ على غربةِ النوى ... أرادَ بسلمانينَ بيناً فودعا
كأنَّ غماماً في الخدورِ التي غدتْ ... دنا ثمَّ هزتهُ الصبا فترفعا
فليتَ ركابَ الحيّ يومَ تحملوا ... بحومانةِ الدراجِ أصبحنَ ظلعا
بني مالكٍ إنَّ الفرزدقَ لمْ يزلْ ... فلوَّ المخازي مذْ لدنْ أنْ تيفعا
رميتُ ابنَ ذي الكيرين حتى تركتهُ ... قعودَ القوافي ذا علوبٍ موقعا
وفقأتُ عينيْ غالبٍ عندَ كيرهِ ... وأقلعتُ عنْ أنفِ الفرزدقِ أجدعا
مددتُ لهُ الغاياتِ حتى نخستهُ ... جريحَ الذنابى قانيءَ السنِ مقطعا

ضغا قردكمْ لما اختطفتُ فؤادهُ ولابنِ وثيلٍ كان خدكَ أضرعا

وما غرَّ أولادَ القيونَ مجاشعا بذي صولةٍ يحمي العرينَ الممنعا
ويا ليت شعري ما تقولُ مجاشعٌ ولمْ تترك كفاكَ في القوسِ منزعا
وأيةُ أحلامٍ رددنَ مجاشعاً يعلونَ ذيفاناً منَ السمِّ منقعا
ألا ربما باتَ الفرزدقُ نائماً على حرِّ نارٍ تتركُ الوجهَ أسفعا
وكانَ المخازي طالما نزلتْ بهِ فيصبحُ منها قاصرَ الطرفِ أخضعا
وإنَّ ذيادَ الليلِ لا تستطيعهُ ولا الصبحَ حتى يستنيرَ فيسطعا
تركتُ لك القينين قينيْ مجاشعٍ ولا يأخذانِ النصفَ شتى ولا معا
وقدْ وجداني حينَ مدتْ حبالنا أشدَّ محاماةٌ وأبعدَ منزعا
وإني أخو الحربِ التي يصطلى بها إذا حملتهُ فوقَ حالٍ تشنعا
وأدركتُ منْ قدْ كانَ قبلي ولمْ أدعْ لمنْ كانَ بعدي في القصائدِ مصنعا
تفجعَ بسطامٌ وخبرهُ الصدى وما يمنعُ الأصداءَ ألاَّ تفجعا
وقالَ أقينٌ باشرَ الكيرَ باسته وأغرلَ ربتهُ قفيرةُ مسبعا
سيتركُ زيقٌ صهرَ آلِ مجاشعٍ ويمنعُ زيقٌ ما أرادَ ليمنعا
أتعدلُ مسعوداً وقيساً وخالداً بأقيانِ ليلى لا نرى ذاكَ مقنعا
ولما غررتمْ منْ أناسٍ كريمةً لؤمتمْ وضقتمْ بالكرائمِ أذرعا
فلولاَ تلاقوا يومَ حدراءَ قومها لوسدها كيرَ القيونِ المرقعا
رأى القينُ أختانَ الشناءةِ قدْ جنوا منَ الحربِ جرباءَ المساعرِ سلفعا
وإنكَ لو راجعتَ شيبانَ بعدها لأبتَ بمصلومِ الخياشيمِ أجدعا
إذا فوزتْ عن نهربينَ تقاذفتْ بحدراءَ دارٌ لا تريدُ لتجمعا
وأضحتْ ركابُ القينَ منْ خيبةِ السرى ونقلِ حديدِ القينِ حسرى وظلعا
وحدراءُ لوْ لمْ ينجها اللهُ برزتْ إلى شرِّ ذي حرثٍ دمالاً ومزرعا
وقدْ كانَ رجساً طهرتْ منْ جماعةٍ وآبَ إلى شرِّ المضاجعِ مضجعا

وآبَ إلى خوارةِ منْ مجاشعٍ هي الجفرُ بلْ كانتْ منَ الجفرِ أوسعا
متى تسمعِ الجيرانُ قبقبةَ استها طروقاً وضيفاها الدخيلانَ يفزعا
فإنَّ لكمْ في شأنِ حدراءَ ضيعةٌ وجارُ بني زغدِ استها كانَ أضيعا
حميدةُ كانتْ للفرزدقِ جارةً ينادمُ حوطاً عندها والمقطعا
سأذكرُ ما لمْ يذكروا عندَ منقرٍ وأثني بعارٍ منْ حميدةَ أشنعا
وجعثنُ نادتْ باستها يالَ دارمٍ فلمْ يلقَ حراً ذا شكيمٍ مشجعا
تناومتَ إذْ يسمُو أريبُ ابنُ عسعسٍ على سوأةٍ راءى بها ثمَّ سمعا
تعسفتِ السيدانَ تدعو مجاشعاً وجرتْ إلى قيسٍ خشاخشَ أجمعا
لقدْ ولدتْ أمُّ الفرزدقِ فخةٌ ترى بينَ رجليها مناحيَ أربعا
وقدْ جرجرتهُ الماءَ حتى كأنها تعالجُ في أقصى وجارينِ أضبعا
ولوْ حملتْ بالفيلِ ثمتَ طرقتْ بفيلينِ جاءا منْ مثابرها معا
ولوْ دخنتْ بعدَ العشاءِ بمجمرِ لما انصرفتْ حتى تبولَ وتضفعا
لقدْ أولعتْ بالقينِ خورُ مجاشعٍ وكانَ بها قينُ العديلةِ مولعا
تركتمْ جبيراً عندَ ليلى خليفةً أصعصعَ بئسَ القينُ قينكَ صعصعا
وما حفلتْ ليلى ملامةَ رهطها ولا حفظتْ سرَّ الحصانِ الممنعا
دعاكمْ حواريُّ الرسولِ فكنتمُ عضاريطَ يا خشبَ الخلافِ المصرعا
أبانَ لكمُ في غالبٍ قدْ علمتمُ نجارُ جبيرٍ قبلَ أنْ يتنفعا
أغركَ جارٌ ضلَّ قائمُ سيفهِ فلاَ رجعَ الكفانِ إلاَّ مكنعا
وآبَ ابنُ ذيالٍ جميعاً وأنتمُ تعدونَ غنماً رحلةُ المتمزعا
فلاَ تدعُ جاراً منْ عقالٍ ترى لهُ ضواغطَ يلثقنَ الإزارَ وأضرعا
فلاَ قينَ شرٌّ منْ أبي القينِ غالبِ ولاَ لؤمَ إلاَّ دونَ لؤمكَ صعصعا
تعدونَ عقرَ النيبِ أفضلَ سعيكمْ بني ضوطرى هلاَّ الكميَّ المقنعا
وتبكي على ما فاتَ قبلكَ دارماً فإنْ تبكِ لا تتركْ لعينيكَ مدمعا
لعمركَ ما كانتْ حماةُ مجاشعٍ كراماً ولا حكامُ ضبةَ مقنعا

أتعدلُ يربوعاً خناثى مجاشعٍ إذا هزَّ بالأيدي القنا فتزعزعا

تلاقي ليربوعٍ إيادَ أرومةٍ وعزاً أبتْ أوتادهُ أنْ تنزعا

وجدتُ ليربوعٍ إذا ما عجمتهمْ منابتَ نبعٍ لمْ يخالطنَ خروعا

همُ القومُ لو باتَ الزبيرُ لديهمِ لما باتَ مفلولاً ولاَ متطلعا

وقدْ علمَ الأقوامُ أنَّ سيوفنا عجمنَ حديدَ البيضِ حتى تصدعا

ألاَ ربَّ جبارٍ عليهِ مهابةٌ سقيناهُ كأسَ الموتِ حتى تضلعا

نقودُ جياداً لمْ تقدها مجاشعٌ تكونُ منَ الأعداءِ مرأى ومسمعا

تداركنَ بسطاماً فأنزلَ في الوغى عناقاً ومالَ السرجُ حتى تقعقعا

دعا هانئٌ بكراً وقدْ عضَّ هانئاً عرى الكبلِ فينا الصيفَ والمتربعا

ونحنُ خضبنا لابنِ كبشةَ تاجهُ ولاقى امرأً في ضمةِ الخيلِ مصقعا

وقابوسُ أعضضنا الحديدَ ومنذراً وحسانَ إذْ لا يدفعُ الذلَّ مدفعا

وقدْ جعلتْ يوماً بطخفةَ خيلنا مجراً لذي التاجِ الهمامِ ومصرعا

وقدْ جربَ الهرماسُ أنَّ سيوفنا عضضنَ برأسِ الكبشِ حتى تصدعا

ونحنُ تداركنا بحيراً وقدْ حوى نهابَ العنابينِ الخميسُ ليربعا

فعاينَ بالمروتِ أمنعَ معشرٍ صريخَ رياحٍ واللواءَ المزعزعا

فوارسَ لا يدعونَ يالَ مجاشعٍ إذا كانَ يوماً ذا كواكبَ أشنعا

ومنا الذي أبلى صديَّ بنَ مالكٍ ونفرَ طيراً عنْ جعادةَ وقعا

فدعْ عنكَ لوماً في جعادةَ إنما وصلناهُ إذْ لاقى ابنَ بيبةَ أقطعا

ضربنا عميدَ الصمتينِ فأعولتْ جداعُ على صلتِ المفارقِ أنزعا

أخيلكَ إذْ خيلي ببلقاءَ أحرزتْ دعائمَ عرشِ الحيِّ أنَ يتضعضعا

ولوْ شهدتْ يومَ الوقيظينِ خيلنا لما قاظتِ الأسرى القطاطِ ولعلعا

ربعنا وأردفنا الملوكَ فظللوا وطابَ الأحاليبِ الثمامَ المنزعا

فتلكَ مساعٍ لمْ تنلها مجاشعٌ سبقتَ فلاَ تجزعْ منَ الحقِّ مجزعا

وقال جرير يرثي خالدة بنت سعيد بن أوس بن معاوية بن خلف بن بجاد بن معاوية بن أوس بن كليب، وهي أم حزرة وكان جرير يسمي هذه القصيدة الجوساء لذهابها في البلاد وقيل الحوساء بالحاء:

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ... ولزرتُ قبركِ والحبيبُ يزارُ
ولقدْ نظرتُ وما تمتعُ نظرةٍ ... في اللحدِ حيثُ تمكنَ الحفارُ
ولهتِ نفسيَ إذْ علتني كبرةٌ ... وذوو التمائمِ منْ بنيكِ صغارُ
أرعى النجومَ وقدْ مضتْ غوريةً ... عصبُ النجومِ كأنهنَّ صوارُ
نعمَ القرينُ وكنتِ علقَ مضنةٍ ... وارى بنعفِ بليةَ الأحجارُ
عمرتْ مكرمةَ المساكِ وفارقتْ ... ما مسها صلفٌ ولا إقتارُ
فسقى صدى جدثٍ ببرقةِ ضاحكٍ ... هزمٌ أجشُّ وديمةٌ مدرارُ
هزمٌ أجشُّ إذا استحارَ ببلدةٍ ... فكأنما بجوائها الأنهارُ
متراكبٌ زجلٌ يضيءُ وميضهُ ... كالبلقِ تحتَ بطونها الأمهارُ
كانتْ مكرمةَ العشيرِ ولمْ يكنْ ... يخشى غوائلَ أمِّ حزرةَ جارُ
ولقدْ أراكِ كسيتِ أجملَ منظرٍ ... ومعَ الجمالِ سكينةٌ ووقارُ
والريحُ طيبةٌ إذا استقبلتها ... والعرضُ لا دنسٌ ولا خوارُ
وإذا سريتُ رأيتُ ناركِ نورتْ ... وجهاً أغرَّ تزينهُ الإسفارُ
صلى الملائكةُ الذينَ تخيروا ... والصالحونَ عليكِ والأبرارُ
وعليكِ منْ صلواتِ ربكِ كلما ... نصبَ الحجيجُ ملبئينَ وغاروا
يا نظرةً لكَ يومَ هاجتْ عبرةً ... في أمِّ حزرةَ بالنميرةِ دارُ
تحيي الروامسُ ربعها فتجدهُ ... بعدَ البلى وتميتهُ الأمطارُ
وكأنَّ منزلةً لها بجلاجلٍ ... وحيُ الزبورِ تخطهُ الأحبارُ
لا تكثرنَّ إذا جعلتَ تلومني ... لا يذهبنَّ بحلمكَ الإكثارُ
كانَ الخليطُ همُ الخليطُ فأصبحوا ... متبدلينَ وبالديارِ ديارُ
لا يلبثُ القرناءَ أنْ يتفرقوا ... ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ
أفأمَّ حزرةَ يا فرزدقُ عبتمُ ... غضبَ المليكُ عليكمُ الجبارُ

كانتْ إذا هجرَ الحليلُ فراشها خزنَ الحديثُ وكتمَ الأسرارُ

ليستْ كأمكَ إذْ يعضُّ بقرطها قينٌ وليسَ على القرونِ خمارُ

سنبيرُ قينكمُ ولاَ يوفى بهِ قينٌ بقارعةِ المقرِّ مثارُ

وجدَ الكتيفُ ذخيرةٌ في قبرهِ والكلبتانِ جمعنَ والميشارُ

يبكي صداهُ إذا تهزمَ مرجلٌ أوْ إنْ تثلمَ برمةٌ أعشارُ

رجفَ المقرُّ وصاحَ في شرقيهِ قينٌ عليهِ دواخنٌ وشرارُ

قتلتْ أباكَ بنو فقيمٍ عنوةُ إذْ جرَّ ليسَ على أبيكَ إزارُ

عقروا رواحلهُ فليسَ كقتلهِ قتلٌ وليسَ كعقرهنَّ عقارُ

حدراءُ أنكرتِ القيونَ وريحهمْ والحرُّ يمنعُ ضيمهُ الإنكارُ

لما رأتْ صدأ الحديدِ بجلدهِ فاللونُ أورقُ والبنانُ قصارُ

قالَ الفرزدقُ رقعي أكيارنا قالتْ وكيفَ ترقعُ الأكيارُ

رقعْ متاعكَ إنَّ جدي خالدٌ والقينُ جدكَ لمْ يلدكَ نزارُ

وسمعتها اتصلتْ بذهلٍ إنهم ظلموا بصرهمِ القيونَ وجاروا

دعتِ المصورَ دعوةً مسموعةً ومعَ الدعاءِ تضرعٌ وجؤارُ

عاذتْ بربكَ أنْ يكونَ قرينها قيناً أحمَّ لفسوهِ إعصارُ

أوصتْ بلائمةٍ بزيقٍ وابنهِ إنَّ الكريمَ تشينهُ الأصهارُ

إنَّ الفضيحةَ لوْ بليتَ بقينهمْ ومعَ الفضيحةِ غربةٌ وضرارُ

شدوا الحبى وبشاركمُ عرقَ الخصى بعدَ الزبيرِ وبعدَ جعثنَ عارُ

هلاَّ الزبيرَ منعتَ يومَ تشمستْ حربٌ تضرمُ نارها مذكارُ

ودعا الزبيرُ فما تحركتِ الحبى لوْ سمتهمْ جخفَ الخزيرِ لثاروا

غروا بعقدهمِ الزبيرَ كأنهمْ أثوارُ محرثةٍ لهنَّ خوارُ

والصمتينِ أجرتمُ فغدرتمُ وابنُ الأصمِّ بحبلِ بيتكَ جارُ

إنَّ التي بعجتْ بفيشلِ منقرٍ يا شبَّ ليسَ لشأنها إسرارُ

وفتْ لجعثنَ دينَ جعثنَ منقرٌ لا علةٌ بهمِ ولا إعسارُ

قطعوا بجعثنَ ذا الحماطِ تقحماً وإلى خشاخشَ جريها أطوارُ

لقيتْ صحارَ بني سنانٍ فيهمِ حدباً كأعضلِ ما يكونُ صحارُ

طعنتْ بأيرِ مقاعسي مخلجٍ فأصيبَ عرقُ عجانها النعارُ

أخزاكَ رهطُ ابنِ الأشدِّ فأصبحتْ أكبادُ قومكِ ما لهنَّ مرارُ

باتتْ تكلفُ ما علمتَ ولمْ تكنَ عونٌ تكلفهُ ولاَ أبكارا

باتَ الفرزدقُ عابداً وكأنها قعوٌ تعاورهُ السقاةُ معارُ

دعيَ الطبيبُ طبيبُ جعثنَ بعدما عصتِ العروقُ أدبرَ المسبارُ

شبهتُ شعرتها إذا ما أبركتْ أذنيْ أزبَّ يفرهُ السمسارُ

سبوا الحمارَ فسوفَ أهجو نسوةً للكيرِ وسطَ بيوتهنَّ أوارُ

منْ كلِّ منسفةِ العجانِ كأنهُ جفرٌ تغضفَ منْ جويةَ هارُ

لخواءُ مزبدةٌ إذا ما قبقبتْ هدرتْ فألثقَ ثوبها التهدارُ

تغلي المشاقة تبتغي دسمَ استها فمنَ المشاقةِ عندها أكرارُ

تلقى بناتِ أبي الجلوبقِ نزعاً نحو القيونِ وما بهنَّ نفارُ

وتخيرتْ ليلى القيونَ وريحهمُ ما كانَ في صدإِ القيونِ خيارُ

حنتْ وحنَّ إلى جبيرٍ نسوةٌ خزرٌ يطفنَ بهِ وهنَّ ظؤارُ

تدعى لصعصعةِ الضلالِ وأحصنتْ للقينِ يا بنَ قفيرةَ الأطهارُ

وخضافِ قدْ ولدتْ أباكَ مجاشعاً وبنيهِ قدْ ولدتهمُ النخوارُ

يا شبَّ ويلكَ ما لقيتَ منَ التي أخزتكَ ليلةَ نجدَ الأستارُ

يا شبَّ ويحكَ إنها من نسوةٍ خورٍ لهنَّ إذا انتشينَ جؤارُ

نثلتْ عليكَ منَ الخزيرِ كأنها جفرٌ تخرمَ حافتيهِ جفارُ

إنَّ الفرزدقَ لنْ يزايلَ لؤمهُ حتى يزولَ عنِ الطريقِ صرارُ

فيمَ المراءُ وقدْ سبقتُ مجاشعاً سبقاً تقطعُ دونهُ الأبصارُ

قضتِ الغطارفُ منْ قريشٍ فاعترفْ يا بنَ القيونِ عليكَ والأنصارُ

هلْ في مئينَ وفي مئينَ سبقتها مدَّ الأعنةِ غايةٌ وحضارُ
كذبَ الفرزدقُ إنَّ عودَ مجاشعٍ قصفٌ وإنَّ صليبهمْ خوارُ

ما كانَ يخلفُ يا بني زبدِ استها منكمْ مخيلةُ باطلٍ وفخارُ
وإذا بطنتَ فأنتَ يا ابنَ مجاشعٍ عبدُ الهوانِ جنادفٌ نثارُ
سعدٌ أبوْا لكَ أنْ تفي بجوارهمْ أوْ أنْ يفي لكَ بالجوارِ جوارُ
تلكَ التي شدخوا بواطنَ كينها أضحى مخالطَ بولها الإمغارُ
قدْ طالَ قرعكَ قبلَ ذاكَ صفاتنا حتى صممتَ وفللَ المنقارُ
يا ابنَ القيونِ فطالَ ما جربتني والنزعُ حيثُ أمرتِ الأوتارُ
ما في معاودتي الفرزدقَ فاعلموا لمجاشعٍ ظفرٌ ولا استبشارُ
إنَّ القصائدَ قدْ جدعنَ مجاشعاً بالشتمِ يلحمُ نسجها وينارُ
ولقوا عواصي قدْ عييتَ بنقضها ولقدْ نقضتَ فما بكَ استمرارُ
قدْ كانَ قومكَ يحسبونكَ شاعراً حتى غرقتَ وضمكَ التيارُ
نزعَ الفرزدقُ ما يسرُّ مجاشعاً منهُ مراهنةٌ ولا مشوارُ
قصرتْ يداكَ عنِ السماءِ ولمْ يكنْ في الأرضِ للشجرِ الخبيثِ قرارُ
أثنتْ نوارُ على الفرزدقِ خزيةً صدقتْ وما كذبتْ عليكَ نوارُ
إنَّ الفرزدقَ لا يزالُ مقنعاً وإليهِ بالعملِ الخبيثِ يشارُ
لا يخفينَّ عليكَ أنَّ مجاشعاً لو ينفخونَ منَ الخؤورِ لطاروا
إذْ يوسرونَ فما يفكُّ أسيرهمْ ويقتلونَ فتسلمُ الأوتارُ
ويفايشونكَ والعظامُ ضعيفةٌ والمخُّ ممتخرُ الهنانةِ رارُ
شهدَ المهملُ أنَّ جيشَ مجاشعٍ رضعوا الأيورَ على الخزيرِ فخاروا
نظروا إليكَ وقدْ تقلبَ هامهمْ نظرَ الضباعِ أصابهنَّ دوارُ
لا تغلبنَّ على ارتضاعِ أيوركمْ أوصى بذاكَ أبوكمُ المهمارُ
يسرَ الدهيمَ بنو عقالٍ بعدما نكحوا الدهيمَ فقبحَ الأيسارُ

وبكى البعيثُ على الدهيمِ وقدْ رغا لأبي البعيثِ منَ الدهيمِ حوارُ
وإذا أرادَ مجاشعيٌّ سوأةً نكحَ الدهيمَ وفي استهِ استيخارُ
قرنَ الفرزدقُ والبعيثُ وأمهُ وأبو الفرزدقِ قبحَ الإستارُ
إنَّ البعيثَ عجانُ ثورٍ قادهُ وسطَ الحجيجِ لينحرَ البقارُ
أضحى يرمزُ حاجبيهِ كأنهُ ذيخٌ لهُ بقصيمتينِ وجارُ
أمُّ البعيثِ كأنَّ حمرةَ بظرها رئةُ المغدِّ يبينها الجزارُ
وتقولُ إذْ رضيتْ وأرضتْ سبعةٌ لا يغضبنَّ عليكمُ البيزارُ
إنْ يكفِ أمكَ يا بعيثُ فربما صدرتْ ومرنَ بظرها الإصدارُ
إذْ كانَ يلعبها وأنتَ حزورٌ عبداً ضبارةَ بغثرٌ وشقارُ
قدْ طالَ رعيتها العواشي بعدما سقطَ الجليدُ وهبتِ الأصرارُ
ذهبَ القعودُ بلحمِ مقعدةِ استها وكأنَّ سائرَ لحمها الأفهارُ
ليستْ لقومي بالكتيفِ تجارةٌ لكنَّ قوميَ بالطعانِ تجارُ
يحمي فوارسيَ الذينَ لخيلهمْ بالثغرِ قدْ علمَ العدوُّ مغارُ
تدمى شكائمها وخيلُ مجاشعٍ لمْ يندَ منْ عرقٍ لهنَّ عذارُ
إنا وقينكمُ يرقعُ كيرهُ سرنا لنغتصبَ الملوكَ وساروا
عضتْ سلاسلنا على ابنيْ منذرٍ حتى أقرَّ بحكمنا الجبارُ
وابني هجيمةَ قدْ تركنا عنوةً لابنيْ هجيمةَ في الرماحِ جؤارُ
ورئيسُ مملكةٍ وطئنَ جبينهُ يغشى حواجبهُ دمٌ وغبارُ
وإذا النساءُ خرجنَ غيرَ تبرزٍ غرنا وعندَ خروجهنَّ نغارُ
نحمي مخاطرةٌ على أحسابنا كرمَ الحماةُ وعزتِ الأخطارُ
ومجاشعٌ فضحوا فوارسَ مالكٍ فربا الخزيرُ وضيعَ الأذمارُ
أعمارُ لوْ شهدَ الوقيطَ فوارسي ما قيدَ يعتلُ عثجلٌ وضرارُ
يا ابنَ القيونِ وكيفَ تطلبُ مجدنا وعليكَ منْ سمةِ القيونِ نجارُ

وقال جرير يجيب الفرزدق، ويهجو محمد بن عمير بن عطارد والأخطل:

لمنِ الديارُ ببرقةِ الروحانِ إذْ لاَ نبيعُ زماننا بزمانِ

إنْ زرتُ أهلكِ لمْ يبالوا حاجتي وإذا هجرتكِ شفني هجراني

هلْ رامَ جوُّ سويقتينِ مكانهُ أوْ حلَّ بعدَ محلنا البردانِ

راجعتُ بعدَ سلوهنَّ صبابةٌ وعرفتُ رسمَ منازلٍ أبكاني

أصبحنَ بعدَ نعيمِ عيشٍ مؤنقٍ قفراً وبعدَ نواعمٍ أخدانِ

قدْ رابني نزعٌ وشيبٌ شاملٌ بعدَ الشبابَ وعصره الفينانِ

نزلَ المشيبُ على الشبابِ فراعني وعرفتُ منزلهُ على إخواني

شعفَ القلوبَ وما تقضى حاجةٌ مثلُ المها بصرائمِ الحومانِ

حورُ العيونِ يمسنَ غيرَ جوادفٍ هزَّ الجنوبِ نواعمَ العيدانِ

وإذا وعدنكَ نائلاً أخلفنهُ وإذا غنيتَ فهنَّ عنكَ غوانِ

أصحا فؤادكَ أيَّ حينِ أوانِ أمْ لمْ يرعكَ تفرقُ الجيرانِ

بكرتْ حمامةُ أيكةٍ محزونةٍ تدعو الهديلَ فهيجتْ أحزاني

لا زلتِ في غللٍ يسركِ ناقعٍ وظلالِ أخضرَ ناعمِ الأغصانِ

ولقدْ أتيتُ ضجيعَ كلِّ مخضبٍ رخصِ الأناملِ طيبِ الأردانِ

عطرِ الثيابِ منَ العبيرِ مذيلٍ يمشي الهوينا مشيةَ السكرانِ

صدعَ الظعائنُ يومَ بنَّ فؤادهُ صدعَ الزجاجةِ ما لذاكَ تدانِ

هلْ تؤنسانِ وديرُ أروى دوننا بالأعزلينِ بواكرَ الأظعانِ

رفعتُ مائلةَ الدفوفِ أملها طولُ الوجيفِ على وجىَ الأمرانِ

حرفاً أضرَّ بها السفارُ كأنها جفنٌ طويتَ بهِ نجادَ يمانِ

وإذا لقيتَ على زرودَ مجاشعاً تركوا زرودَ خبيثةَ الأعطانِ

قتلوا الزبيرَ وقيلَ إنَّ مجاشعاً شهدوا بجمعِ ضياطرٍ عزلانِ

منْ كلِّ منتفخِ الوريدِ كأنهُ بغلٌ تقاعسَ فوقهُ خرجانِ

يا مستجيرَ مجاشعٍ يخشى الردى لا تأمننَّ مجاشعاً بأمانِ

إنَّ ابنَ شعرةَ والقرينَ وضوطرا بئسَ الفوارسُ ليلةَ الحدثانِ

تلقى ضفنَّ مجاشعٍ ذا لحيةٍ ولهُ إذا وضعَ الأزارَ حرانِ

أبنيَّ شعرةَ إنَّ سعداً لمْ يلدْ قيناً بليتيهِ عصيمُ دخانِ

أبنا عدلتَ بني خضافِ مجاشعاً وعدلتَ خالكَ بالأشدِّ سنانِ

شهدتْ عشيةَ رحرحانَ مجاشعٌ بمجارفٍ جحفَ الخزيرِ بطانِ

وطئتْ سنابكُ خيلِ قيسٍ منكمُ قتلى مصرعةٌ على الأعطانِ

أنسيتَ ويلَ أبيكَ غدرَ مجاشعٍ ومجرَّ جعثنَ ليلةَ السيدانِ

لما لقيتَ فوارساً منْ عامرٍ سلوا سيوفهمْ منَ الأجفانِ

ملأتمُ صففَ السروجِ كأنكمْ خورٌ صواحبُ قرملٍ وأفانِ

للهِ درُّ يزيدَ يومَ دعاكمُ والخيلُ مجلبةٌ على جلدانِ

لاقوا فوارسَ يطعنونَ ظهورهمْ نشطَ البزاةِ عواتقَ الخربانِ

لا يخفينَّ عليكَ أنَّ محمداً منْ نسلِ كلِّ ضفنةٍ مبطانِ

إنْ رمتَ عبدَ بني أسيدةَ عزنا فانقلْ قواعدَ يذبلٍ وذقانِ

إنا لنعرفُ ما أبوكَ لدارمٍ فالحقْ بأصلكَ منْ بني دهمانِ

لما انهزمتَ كفى الثغورَ مشيعٌ منا غداةَ جبنتَ غيرُ جبانِ

شبثٌ فخرتُ بهِ عليكَ ومعقلٌ وبمالكٍ وبفارسِ العلهانِ

هلاَّ طعنتَ الخيلَ يومَ لقيتها طعنَ الفوارسِ منْ بني عقفانِ

ألقوا السلاحَ إليَّ آلَ عطاردٍ وتعاظموا ضرطاً على الدكانِ

يا ذا العباءةِ إنَّ بشراً قدْ قضى ألاَّ تجوزَ حكومةُ النشوانِ

فدعوا الحكومةَ لستمُ منْ أهلها إنَّ الحكومةُ في بني شيبانِ

بكرٌ أحقُّ بأنْ تكونوا مقنعاً أوْ أنْ يفوا بحقيقةِ الجيرانِ

قتلوا كليبكمُ بلقحةِ جاركمْ يا خزرَ تغلبَ لستمُ بهجانِ

كذبَ الأخيطلُ إنَّ قوميَ فيهمِ تاجُ الملوكِ ورايةُ النعمانِ

منهمْ عتيبةُ والمحلُّ وقعنبٌ والحنتفانِ ومنهمُ الردفانِ

إني ليعرفُ في السرادقِ منزلي عندَ الملوكِ وعندَ كلِّ رهانِ
ما زالَ عيصُ بني كليبٍ في حمىً أشبٍ ألفِّ منابتِ العيصانِ
الضاربينَ إذا الكماةُ تنازلوا ضرباً يقدُّ عواتقَ الأبدانِ
وحمى الفوارسُ منْ غداةَ إنهمْ نعمَ الحماةُ عشيةَ الإرنانِ
إنا لنستلبُ الجبابرَ تاجهمْ قابوسُ يعلمُ ذاكَ والجونانِ
ولقْد شفوكَ منَ المكوى جنبهُ واللهُ أنزلهُ بدارِ هوانِ

جاريتَ مطلعَ الجراءِ بنابهِ روقٌ شبيبتهُ وعمركَ فانِ
ما زلتُ مذْ عظمَ الخطارُ معاوداً ضبرَ المئينَ وسبقَ كلِّ رهانِ
فاقبضْ يديكَ فإنني في مشرفٍ صعبِ الذرى متمنعِ الأركانِ
ولقدْ سبقتُ فما ورائي لاحقٌ بدءاً وخليَ في الجراءِ عناني
نزعَ الأخيطلُ حينَ جدَّ جراؤنا حطمَ الشوى متكسرَ الأسنانِ
قلْ للمعرضِ والمشورِ نفسهُ منْ شاءَ قاسَ عنانهُ بعناني
عمداً حززتُ أنوفَ تغلبَ مثلَ ما حزَّ المواسمُ آنفَ الأقيانِ
ولقدْ وسمتُ مجاشعاً ولتغلبٍ عندى محاضرةٌ وطولُ هوانِ
قيسٌ على وضحِ الطريقِ وتغلبٌ يتقاودونَ تقاودَ العميانِ
ليسَ ابنُ عابدةِ الصليبِ بمنتهٍ حتى يذوقَ بكأسِ منْ عاداني
إنَّ القصائدَ يا أخيطلُ فاعترفْ قصدتْ أباكَ مجرةَ الأرسانِ
وعلقتَ في قرنِ الثلاثةِ رابعاً مثلَ البكارِ لززنَ في الأقرانِ
ما نابَ منْ حدثٍ فليسَ بمسلمي عمري وحنظلتي ولا السعدانِ
وإذا بنوا أسدٍ عليّ تحدبوا نصبتْ بنو أسدٍ لمنْ راداني
والغرُّ منْ سلفيْ كنانةَ إنهمْ صيدُ الرؤوسِ أعزةُ السلطانِ
مالتْ عليكَ جبالُ غورِ تهامةٍ وغرقتَ حيثُ تناطحِ البحرانِ
فلقيتَ رايةَ آلَ قيسٍ دونها مثلُ الجمالِ طلينَ بالقطرانِ

هزوا السيوفَ فأشرعوها فيكم وذوابلاً يخطرنَ كالأشطانِ

فتركنكمْ جزرَ السباعِ وفلكمْ يتساقطونَ تساقطَ الحمنانِ

تركَ الهذيلُ هذيلُ قيسٍ منكمُ قتلى يقبحُ روحها الملكانِ

فأخسأ إليكَ فلا سليمٌ منكمُ والعامرانِ ولا بنو ذبيانِ

قومٌ لقيتَ قناتهمْ بسنانها فلقوا قناتكَ غيرَ ذاتِ سنانِ

يا عبدَ خندفَ لا تزالُ معبداً فاقعدْ بدارِ مذلةٍ وهوانِ

والزمْ بحلفكَ في قضاعةَ إنما قيسٌ عليكَ وخندفٌ أخوانِ

أحموا عليكَ فلاَ تجوزُ بمنهلٍ ما بينَ مصرَ إلى قصورِ عمانِ

والتغلبيُّ على الجوادِ غنيمةٌ بئسَ الحماةُ عشيةَ الإرنانِ

والتغلبيُّ مغلبُ قعدتْ به مسعاتهُ عبدٌ بكلِّ مكانِ

سوقوا النقادَ فلاَ يحلُّ لتغلبٍ سهلُ الرمالِ ومنبتُ الضمرانِ

لعنَ الإلهُ منَ الصليبِ إلههُ واللابسينَ برانسَ الرهبانِ

والذابحينَ إذا تقاربَ فصحهمْ شهبَ الجلودِ خسيسةَ الأثمانِ

منْ كلِّ ساجي الطرفِ أعصلَ نابهُ في كلِّ قائمةٍ لهُ ظلفانِ

تغشى الملائكةُ الكرامُ وفاتنا والتغلبيُّ جنازةُ الشيطانِ

يعطى كتابَ حسابهِ بشمالهِ وكتابنا بأكفنا الأيمانِ

أيصدقونَ بمارِ سرجسَ وابنهِ وتكذبونَ محمدَ الفرقانِ

ما في ديارِ مقامِ تغلبَ مسجدٌ وترى مكاسرَ حنتمٍ ودنانِ

غرَّ الصليبُ ومارِ سرجسُ تغلباً حتى تقاذفَ تغلبَ الرجوانِ

تلقى الكرامَ إذا خطبنَ غوالياً والتغلبيةُ مهرها فلسانِ

تضعُ الصليبَ على مشقِّ عجانها والتغلبيةُ غيرُ جدِّ حصانِ

قبحَ الإلهُ سبالَ تغلبَ إنها ضربتْ بكلِّ مخفخفٍ خنانِ

وقال جرير، وقال يجيب الفرزدق:

سقياً لنهيِ حمامةٍ وحفيرِ بسجالِ مرتجزِ الربابِ مطيرِ

سقياً لتلكَ منازلاً هيجنني ... وكأنَّ باقيهنَّ وحيُ سطورِ

كمْ قدْ رأيتُ وليسَ شيءٌ باقياً ... منْ زائرٍ طرفِ الهوى ومزورِ

وجدَ الفرزدقُ في مساعي دارمٍ ... قصراً إذا افتخروا وطولَ أيورِ

لا يفخرنَّ وفي أديمِ مجاشعٍ ... حلمٌ فليسَ سيورهُ بسيورِ

أبنيَّ شعرةَ لمْ نجدْ لمجاشعٍ ... حلماً يوازنُ ريشةَ العصفورِ

إنا لنعلمُ ما غدا لمجاشعٍ ... وفدٌ ولا ملكوا وثاقَ أسيرِ

ماذا رجوتَ منَ العلالةِ بعدما ... نقضتْ حبالكَ واستمرَّ مريري

إنَّ الفرزدقَ حينَ يدخلُ مسجداً ... رجسٌ فليسَ طهورهُ بطهورِ

إنَّ الفرزدقَ لا يبالي محرماً ... ودمَ الهديِّ بأذرعٍ ونحورِ

أمسى الفرزدقُ في جلاجلِ كرجٍ ... بعدَ الأخيطلِ زوجةً لجريرِ

رهطُ الفرزدقِ منْ نصارى تغلبٍ ... أوْ تدعي كذباً دعاوةَ زورِ

حجوا الصليبَ وقربوا قربانكمْ ... وخذوا نصيبكمُ منَ الخنزيرِ

إني سأخبرُ عنْ بلاءِ مجاشعٍ ... منْ كانَ بالنخباتِ غيرَ خبيرِ

أخزى بني وقبانَ عقرُ فتاتهمْ ... واغترَّ جارهمُ بحبلِ غرورِ

لوْ كانَ يعلمُ ما استجارَ مجاشعاً ... أستاهَ مملحةٍ هوارمَ خورِ

قالَ الزبيرُ وأسلمتهُ مجاشعٌ ... لا خيرَ في دنسِ الثيابِ غدورِ

يا شبَّ قدْ ذكرتْ قريشٌ غدركمْ ... بينَ المحصبِ منْ منى وثبيرِ

وغدا الفرزدقُ يومَ فارقَ منقراً ... في غيرِ عافيةٍ وغيرِ سرورِ

غمزَ ابنُ مرةَ يا فرزدقُ كينها ... غمزَ الطبيبِ نغانغَ المعذورِ

خزيَ الفرزدقُ بعدَ وقعةِ سبعةٍ ... كالحصنِ منْ ولدِ الأشدِّ ذكورِ

ترضي الغرابَ وقدْ عقرتمْ نابهُ ... بنتُ الحتاتِ بمحبسٍ وسريرِ

قالتْ فدتكَ بروحها واستنشقتْ ... منْ منخريهِ عصارةَ القفورِ

ركبتْ ربابكمُ بعيراً دارساً ... في السوقِ أفضحَ راكبٍ وبعيرِ

أمتْ هنيدةُ خزيةٌ لمجاشعٍ إذْ أولمتْ لهمُ بشرِّ جزورِ
ودعتْ أمامةُ بالوقيظِ مجاشعاً فوجدتَ يا وقبانُ غيرَ غيورِ
كذبَ الفرزدقُ لنْ يجاريَ عامراً يومَ الرهانِ بمقرفٍ مبهورِ
فانهَ الفرزدقَ أنْ يعيبَ فوارساً حملوا أباهُ على أزبَّ نفورِ
ولقدْ جهلتَ بشتمِ قيسٍ بعدما ذهبوا بريشِ جناحكَ المكسورِ
قيسٌ وجدُّ أبيكَ في أكيارهِ قوادُ كلِّ كتيبةٍ جمهورِ
لنْ تدركوا غطفانَ لوْ أجريتمُ يا بنَ القيونِ ولا بني منصورِ
فخروا عليكَ بكلِّ سامٍ معلمٍ فافخرْ بصاحبِ كلبتينِ وكيرِ
كمْ أنجبوا بخليفةٍ وخليفةٍ وأميرِ صائفتينِ وابنِ أميرِ
ولدَ الحواصنُ في قريشٍ منهمُ يا ربَّ مكرمةٍ ولدنَ وخيرِ
فضلوا بيومِ مكارمٍ مشهورةٍ يومٍ أغرَّ محجلٍ مشهورِ
قيسٌ تبيتُ على الثغورِ جيادهمْ وتبيتُ عندَ صواحبِ الماخورِ
هلْ تذكرونَ بلاءكمْ يومَ الصفا أوْ تذكرونَ فوارسَ المأمورِ
أوْ دختنوسَ غداةَ جزَّ قرونها ودعتْ بدعوةِ ذلةٍ وثبورِ
إنَّ الضباعَ تباشرتْ بخصاكمُ يومَ الصفا وأماعزَ التسريرِ
حانَ القيونُ وقدموا يومَ الصفا ورداً فغورَ أسوأ التغويرِ
وسما لقيطٌ يومَ ذاكَ لعامرٍ فاستنزلوهُ بلهذمٍ مطرورِ
وبرحرحانَ غداةَ كبلَ معبدٌ نكحوا بناتكمُ بغيرِ مهورِ
فبما يسوءُ مجاشعاً زبدَ استها حتى المماتِ تروحي وبكوري

وقال جرير يرد على الفرزدق:

لقدْ سرني ألاَّ تعدُّ مجاشعٌ منَ الفخرِ إلاَّ عقرَ نابٍ بصوأرِ
أنابكَ أمْ قومٌ تفضُّ سيوفهمْ على الهامِ ثنييْ بيضةِ المتجبرِ
لعمري لنعمَ المستجارونَ نهشلٌ وحيُّ القرى للطارقِ المتنورِ
فوارسُ لا يدعونَ يالَ مجاشعٍ إذا برزتْ ذاتُ العريشِ المخدرِ

ويدعونَ سلمى يا بني زبدِ استها ... وضمرةَ لليومِ العماسِ المذكرِ
أولئكَ خيرٌ مصدقاً منْ مجاشعٍ ... إذا الخيلُ جالتْ في القنا المتكسرِ
لعمري لقدْ أدرى هلالَ بنَ عامرٍ ... بتنهيةِ المرباعِ رهطُ المجشرِ
وما زلتُ مذْ لمْ تستجبْ لكَ نهشلٌ ... تلاقي صراحياً منَ الذلِّ فاصبرِ
وعافتْ بنو شيبانَ حوضيْ مجاشعٍ ... وشيبانَ أهلُ الصفوِ غيرِ المكدرِ
ولوْ غضبتْ في شأنِ حدراءَ نهشلٌ ... سموها بدهمٍ أوْ غزوها بأنسرِ
معازيلُ أكفالٌ كأنَّ خصاكمُ ... قناديلُ قسِّ الحيرةِ المتنصرِ

وقال جرير يرد على الفرزدق:

بانَ الخليطُ برامتينِ فودعوا ... أوَ كلما رفعوا لبينٍ تجزعُ
ردوا الجمالَ بذي طلوحٍ بعدما ... هاجَ المصيفُ وقدْ تولى المربعُ
إنَّ الشواحجَ بالضحى هيجنني ... في دارِ زينبَ والحمامُ السجعُ

نعبَ الغرابُ فقلتُ بينٌ عاجلٌ ... وجرى بهِ الصردُ الغداةَ الألمعُ
إنَّ الجميعَ تفرقتْ أهواؤهمْ ... إنَّ النوى بهوىَ الأحبةِ تفجعُ
كيفَ العزاءُ ولمْ أجدْ مذْ بنتمُ ... قلباً يقرُّ ولا شراباً ينقعُ
ولقدْ صدقتكِ في الهوى وكذبتني ... وخلبتني بمواعدٍ لا تنفعُ
قدْ خفتُ عندكمُ الوشاةَ ولمْ يكنْ ... لينالَ عندي سركِ المستودعُ
كانتْ إذا أخذتْ لعيدٍ زينةً ... هشَّ الفؤادُ وليسَ فيها مطمعُ
تركتْ حوائمَ صادياتٍ هيماً ... منعَ الشفاءُ وطابَ هذا المشرعُ
أيامَ زبيبُ لا خفيفٌ حلمها ... همشىَ الحديثِ ولا روادٌ سلفعُ
بانَ الشبابُ حميدةً أيامهُ ... ولوَ أنَّ ذلكَ يشترى أوْ يرجعُ
رجفَ العظامُ منَ البلى وتقادمتْ ... سني وفيَّ لمصلحٍ مستمتعُ
وتقولُ بوزعُ قدْ دببتَ على العصا ... هلاَّ هزئتِ بغيرنا يا بوزعُ
ولقدْ رأيتكِ في العذارى مرةً ... ورأيتُ رأسكِ وهو داجٍ أفرعُ

كيفَ الزيارةُ والمخاوفُ دونكمْ ولكمْ أميرُ شناءةٍ لا يربعُ
يا أثلَ كابةَ لا حرمتِ ثرى الندى هلْ رامَ بعدي ساجرٌ والأجرعُ
وسقى الغمامُ منازلاً بعنيزةٍ إما تصافُ جدىً وإما تربعُ
حيوا الديارَ وسائلوا أطلالها هلْ ترجعُ الخبرَ الديارُ البلقعُ
ولقدْ حبستُ بها المطيَّ فلمْ يكنْ إلاَّ السلامُ ووكفُ عينٍ تدمعُ
لما رأى صحبي الدموعَ كأنها سحُّ الرذاذِ على الرداءِ استرجعوا
قالوا تعزَّ فقلتُ لستُ بكائنٍ مني العزاءُ وصدعُ قلبي يقرعُ
فسقاكِ حيثُ حللتِ غيرَ فقيدةٍ هزجُ الرواحِ وديمةٌ لا تقلعُ
فلقدْ يطاعُ بنا الشفيعُ لديكمُ ويطيعُ فيكِ مودةً منْ يشفعُ
هل تذكرينَ زماننا بعنيزةٍ والأبرقينِ وذاكَ ما لا يرجعُ
إنَّ الأعاديَ قدْ لقوا لي هضبةً تبني معاولهمْ إذا ما تقرعُ
ما كنتُ أقذفُ منْ عشيرةِ ظالمٍ إلاَّ تركتُ صفاتهمْ تتصدعُ
أعددتُ للشعراءِ كأساً مرةً عندي مخالطها السمامُ المنقعُ
هلاَّ نهاهمْ تسعةٌ قتلتهمْ أو أربعونَ حدوتهمْ فاستجمعوا
خصيتُ بعضهمُ وبعضٌ جدعوا فشكا الهوانَ إلى الخصيّ الأجدعُ
كانوا كمشتركينَ لما بايعوا خسروا وشفَّ عليهمُ فاستوضعوا
أفينتهونَ وقدْ قضيتُ قضاءهمْ أمْ يصطلونَ حريقَ نارٍ تسفعُ
ذاقَ الفرزدقُ والأخيطلُ حرها والبارقيُّ وذاقَ منها البلتعُ
ولقدْ قسمتُ لذي الرقاعِ هديةً وتركتُ فيها وهيةً لا ترقعُ
ولقدْ صككتُ بني الفدوكسِ صكةً فلقوا كما لقيَ القريدُ الأصلعُ
وهنَ الفرزدقُ يومَ جربَ سيفهُ قينٌ بهِ حممٌ وآمٍ أربعُ
أخزيتَ قومكَ في مقامٍ قمتهُ ووجدتَ سيفَ مجاشعٍ لا يقطعُ
لا يعجبنكَ أنْ ترى لمجاشعٍ جلدَ الرجالِ وفي القلوبِ الخولعُ
ويريبُ منْ رجعَ الفراسةَ فيهمُ رهلُ الطفاطفِ والعظامُ تخرعُ

بذرتْ خضافِ لهمْ بماءٍ مجاشعٍ خبثَ الحصادُ حصادهمْ والمزرعُ
إنا لنعرفُ منْ نجارِ مجاشعٍ هدَّ الحفيفِ كما يجفُّ الخروعُ
أيفايشونَ وقدْ رأوا حفاثهمُ قدْ عضهُ فقضى عليهِ الأشجعُ
هلاَّ سألتَ مجاشعاً زبدَ استها أينَ الزبيرُ ورحلهُ المتمزعُ
أجحفتمُ جحفَ الخزيرِ ونمتمُ وبنو صفيةَ ليلهمُ لا يهجعُ
وضعَ الخزيرُ فقيلَ أينَ مجاشعٌ فشحا جحافلهُ جرافٌ هبلعُ
ومجاشعٌ قصبٌ هوتْ أجوافهُ غروا الزبيرَ فأيُّ جارٍ ضيعوا
إنَّ الرزيةَ منْ تضمنَ قبرهُ وادي السباعِ لكلِّ حنبٍ مصرعُ
لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضعتْ سورُ المدينةِ والجبالُ الخشعُ
وبكى الزبيرَ بناتهُ في مأتمٍ ماذا يردُّ بكاءُ منْ لا يسمعُ
قالَ النوائحُ منْ قريشٍ إنما غدرَ الحتاتُ ولينٌ والأقرعِ
تركَ الزبيرُ على منىً لمجاشعٍ سوءَ الثناءِ إذا تقضىَ المجمعُ

قتلَ الأجاربُ يا فرزدقُ جاركمْ فكلوا مزاودَ جاركمْ فتمتعوا
أحبارياتِ شقائقٍ موليةٍ بالصيفِّ صعصعهنَّ بازٍ أسفعُ
لوْ حلَّ جاركمُ إليَّ منعتهُ بالخيلِ تنحطُ والقنا يتزعزعُ
لحمى فوارسُ يحسرونَ درعهمْ خلفَ المرافقِ حينَ تدمى الأذرعُ
فاسألْ معاقلَ بالمدينةِ عندهمْ نورُ الحكومةِ والقضاءُ المقنعُ
منْ كانَ يذكرُ ما يقالُ ضحى غدٍ عندَ الأسنةِ والنفوسُ تطلعُ
كذبَ الفرزدقُ إنَّ قومي قبلهمْ ذادوا العدوَّ عنِ الحمى واستوسعوا
منعوا الثغورَ بعارضٍ ذي كوكبٍ لولاَ تقدمنا لضاقَ المطلعُ
إنَّ الفوارسَ يا فرزدقُ قدْ حموا حسباً أشمَّ ونبعةً لا تقطعُ
عمداً عمدتُ لما يسوءُ مجاشعاً وأقولُ ما علمتْ تميمٌ فاسمعوا
لا تتبعُ النخباتُ يومَ عظيمةٍ بلغتْ عزائمهُ ولكنْ تتبعُ

هلاَّ سألتَ بني تميمٍ أينا يحمي الذمارَ ويستجارُ فيمنعُ

منْ كانَ يستلبُ الجبابرَ تاجهمْ ويضرُّ إذْ رفعَ الحديثُ وينفعُ

الفايشونَ ولمْ تزنْ أيامهمْ أيامنا ولنا اليفاعُ الأرفعُ

منا فوارسُ قدْ علمتَ ورائسٌ تهدي قنابلهُ عقابٌ تلمعُ

ولنا عليكَ إذا الجباةُ تفارطوا جابٍ لهُ مددٌ وحوضٌ مترعُ

هلاَّ عددتَ فوارساً كفوارسي يومَ ابن كبشةَ في الحديدِ مقنعُ

خضبوا الأسنةَ والأعنةَ إنهمْ نالوا مكارمَ لمْ ينلها تبعُ

وابنَ الربابِ بذاتِ كهفٍ قارعوا إذْ فضَّ بيضتهُ حسامٌ مصدعُ

واستنزلوا حسانَ وابنيْ منذرٍ أيامَ طخفةَ والسروجُ تقعقعُ

تلكَ المكارمُ لمْ تجدْ أيامها لمجاشعٍ فقفوا ثعالةَ فارضعوا

لا تظمأونَ وفي نحيحٍ عمكمْ مروى وعندَ بني سويدٍ مشبعُ

نزفَ العروقَ إذا رضعتمْ عمكمْ أنفٌ بهِ خثمٌ ولحيٌ مقنعُ

قتلَ الخيارَ بنو المهلبِ عنوةً فخذوا القلائدَ بعدهُ وتقنعوا

وطئَ الخيارُ ولا تخافُ مجاشعٌ حتى تحطمَ في حشاهُ الأضلعُ

ودعا الخيارُ بني عقالٍ دعوةٌ جزعاً وليسَ إلى عقالٍ مجزعُ

لوْ كانَ فاعترفوا وكيعٌ منكمُ فزعتْ عمانُ فما لكمْ لمْ تفزعوا

هتفَ الخيارُ غداةَ أدركَ روحهُ بمجاشعٍ وأخو حتاتِ يسمعُ

لا يفزعنَّ بنو المهلبِ إنهُ لا يدركُ الترةَ الذليلُ الأخضعُ

هذا كما تركوا مزاداً مسلماً فكأنما ذبحَ الخروفُ الأبقعُ

زعمَ الفرزدقُ أنْ سيقتلُ مربعاً فابشرْ بطولِ سلامةٍ يا مربعُ

إنَّ الفرزدقَ قدْ تبينَ لؤمهُ حيثُ التقتْ حشاؤهُ والأخدعُ

وزعمتَ أمكمُ حصاناً حرةً كذباً قفيرةُ أمكمْ والقوبعُ

وبنو قفيرةَ قدْ أجابوا نهشلاً باسمْ العبودةِ قبلَ أنْ يتضعضعوا

هذي الصحيفةُ منْ قفيرةَ فاقرؤوا عنوانها وبشرِّ طينٍ تطبعُ

كانتْ قفيرةُ بالقعودِ مربةً ... تبكي إذا أخذَ الفصيلَ الروبعُ
تلقى نساءَ مجاشعٍ منْ ريحهمْ ... مرضى وهنَّ إلى جبيرٍ نزعُ
ليلى التي زفرتْ وقالتْ حبذا ... عرقُ القيانةِ منْ جبيرٍ ينبعُ
كلُّ الذي عيرتمُ أنْ قلتمُ ... هذا لعمرُ أبيكَ قينٌ مولعُ
بئسَ الفوارسُ يا نوارُ مجاشعٌ ... خوراً إذا أكلوا خزيراً ضفدعوا
يغدونَ قدْ نفخَ الخزيرُ بطونهمْ ... رغداً وضيفُ بني عقالٍ يخفعُ
أينَ الذينَ بسيفِ عمرو قتلوا ... أمْ أينَ أسعدُ فيكمُ المسترضعُ
جربتمُ عمراً فلما استوقدتْ ... نارُ الحروبِ بغربٍ لمْ تمنعوا
وبأبرقي لحيانَ لاقوا خزيةً ... تلكَ المذلةُ والرقابُ الخضعُ
خورٌ لهمْ زبدٌ إذا ما استأمنوا ... وإذا تتابعَ في الزمانِ الأمرعُ
هلْ تعرفونَ على ثنيةِ أقرنٍ ... أنسَ الفوارسِ يومَ شلَّ الأسلعُ
وزعمتَ ويلَ أبيكَ أنَّ مجاشعاً ... لوْ يسمعونَ دعاءَ عمروٍ ورعوا
لمْ يخفَ غدركمُ بغورِ تهامةٍ ... ومجرُّ جعثنَ والسماعُ الأشنعُ

أختُ الفرزدقِ منْ أبيهِ وأمهِ ... باتتْ وسيرتها الوجيفُ الأرفعُ
قدْ تعلمُ النخباتُ أنَّ فتاتهمْ ... وطئتْ كما وطيءَ الطريقُ المهيعُ
هلاَّ غضبتَ على قرومِ مقاعسٍ ... إذْ عجلوا لكمُ الهوانَ فأسرعوا
نبئتُ جعثنَ دافعتهمْ باستها ... إذْ لمْ تجدْ لمجاشعٍ منْ يدفعُ
أمدحتَ ويحكَ منقراً أنْ ألزقوا ... بالحارقين فأرسلوها تظلعُ
باتتْ بكلِّ مجرفٍ حامي القفا ... حابي الضلوعُ مقاعسيٍّ تدفعُ
يا ليتَ جعثنَ عندَ حجرةِ أمها ... إذْ تستديرُ بها البلادُ فتصرعُ
قالَ الفرزدقُ وابنُ مرةَ جامحٌ ... كيفَ الحياةُ وفيكِ هذا أجمعُ
جرتْ قناةُ مجاشعٍ في منقرٍ ... غيرَ المراءِ كما يجرُّ المكنعُ
يبكي الفرزدقُ والدماءُ على استها ... قبحاً لتلكَ غروبُ عينٍ تدمعُ

أوقدتَ ناركَ واستضأتَ بخزيةٍ ومنَ الشهودِ خشاخشٌ والأجرعُ

تباً لجعثنَ إذْ لقيتَ مقاعساً ولأيّ شكرٍ بعدَ ذلكَ تخشعُ

هذا الفرزدقُ ساجداً لمقاعسٍ والقينُ أجزلُ بالصفاحِ موقعُ

جدعتْ مسامعكَ التي لمْ تحمها قيسٌ فليسَ بنابتٍ لكَ مسمعُ

سعدُ بنُ زيدِ مناةَ عزٌّ فاضلٌ جمعَ السعودَ وكلَّ خيرٍ يجمعُ

يكفي بني سعدٍ إذا ما حاربوا عزٌّ قراسيةٌ وجدٌّ مدفعُ

الذائدونَ فلاَ يهدمُ حوضهمْ والواردونَ فوردهمْ لا يقدعُ

ما كانَ يضلعُ منْ أخي عميةٍ إلاَّ عليهِ دروءُ سعدٍ أضلعْ

فاعلمْ بأنَّ لآلِ سعدٍ عندنا عهداً وحبلَ وثيقةٍ لا يقطعُ

يعتادُ مخدعةَ الفرزدقِ زانياً أفلا يهدمُ يا نوارُ المخدعُ

عرفوا لنا السلفَ القديمَ وشاعراً تركَ القصائدَ ليسَ فيها مصنعُ

ورأيتَ نبلكَ يا فرزدقُ قصرتْ ورأيتَ قوسكَ ليسَ فيها منزعُ

وقال جرير يرد على الفرزدق، ويمدح خالد بن عبد الله:

لعلَّ فراقَ الحيّ بالبينِ عامدي عشيةَ قاراتِ الرحيلِ الفواردِ

لعمرُ الغواني ما جزينَ صبابتي بهنَّ ولا تحبيرَ نسجِ القصائدِ

رأيتُ الغواني مولعاتٍ بذي الهوى بحسنِ المنى والخلفِ عندَ المواعدِ

لقدْ طالَ ما صدنَ القلوبَ بأعينٍ إلى قصبٍ زينِ البرى والمعاضدِ

وكمْ منْ صديقٍ واصلٍ قدْ قطعنهُ وأفتنَّ منْ مستحكمِ الدينِ عابدِ

أتعذرُ إنْ أبديتُ بعدَ تجلدٍ شواكلَ منْ حبِّ طريفٍ وتالدِ

فإنَّ التي يومَ الحمامةِ قدْ صبا لها قلبُ توابٍ إلى اللهِ ساجدِ

ونطلبُ وداً منكِ لوْ نستفيدهُ لكانَ إلينا منْ أحبِّ الفوائدِ

فلاَ تجمعي ذكرَ الذنوبِ لتبخلي علينا وهجرانَ المدلِّ المباعدِ

إذا أنتَ زرتَ الغانياتِ على العصا تمنيتَ أنْ تسقى دماءَ الأساودِ

أعفُّ عنِ الجارِ القريبِ مزارهُ وأطلبُ أشطانَ الهمومِ الأباعدِ

لقدْ كانَ داءٌ بالعراقِ فما لقوا — طبيباً شفى أدواءهمْ مثلَ خالدِ
شفاهمْ بحلمٍ خالطَ الدينَ والتقى — ورأفةِ مهديٍّ إلى الحقِّ قاصدِ
فإنَّ أميرَ المؤمنينَ حباكمُ — بمستبصرٍ في الدينِ زينِ المساجدِ
وإنَّ ابنَ عبدِ اللهِ قدْ عرفتْ لهُ — مواطنُ لا تخزيهِ عندَ المشاهدِ
وأبلى أميرَ المؤمنينَ أمانةً — وأبلاهُ صدقاً في الأمورِ الشدائدِ
إذا ما أرادَ الناسُ منا ظلامةً — أبى الضيمَ واستعصىَ على كلِّ قائدِ
وكيفَ يرومُ الناسُ شيئاً منعتهُ — لها بينَ أنيابِ الليوثِ الحواردِ
إذا ما لقيتَ القرنَ في حارةِ الوغى — تنفسَ منْ جياشةٍ ذاتِ عاندِ
وإنْ فتنَ الشيطانُ أهلَ ضلالةٍ — لقوا منكَ حرباً حميها غيرُ باردِ
إذا كانَ أمنٌ كانَ قلبكَ مؤمناً — وإنْ كانَ خوفٌ كنتَ أحكمَ ذائدِ
حميتَ ثغورَ المسلمينَ فلمْ تضعْ — وما زلتَ رأساً قائداً وابنَ قائدِ
تعدُّ سرابيلَ الحديدِ معَ القنا — وشعثَ النواصي كالضراءِ الطواردِ

وإنكَ قدْ أعطيتَ نصراً على العدا — ولقيتَ صبراً واحتسابَ المجاهدِ
إذا جمعَ الأعداءُ أمرَ مكيدةٍ — لغدرٍ كفاكَ اللهُ كيدَ المكايدِ
وإنا لنرجو أنْ ترافقَ عصبةً — يكونونَ للفردوسِ أولَ واردِ
تمكنتَ منْ حييْ معدٍّ منَ الذرى — وفي اليمنِ الأعلى كريمَ الموالدِ
وما زلتَ تسمو للمكارمِ والعلا — وتعمرُ عزاً مستنيرَ المواردِ
إذْ عدَّ أيامُ المكارمِ فافتخرّ — بأيامكَ الشمِّ الطوالِ السواعدِ
وكمْ لكَ منْ بانٍ رفيعٍ بناؤهُ — وفي آلِ صعبٍ منْ خطيبٍ ووافدِ
يسركَ أيامَ المحصبِ ذكرهمْ — ويومَ مقامِ الهدي ذاتِ القلائدِ
بنيتَ المنارَ المستنيرَ على الهدى — فأصبحتَ نوراً ضوؤهُ غيرُ خامدِ
بنيتَ بناءً لمْ يرَ الناسُ مثلهُ — يكادُ يوازى سورهُ بالفراقدِ
وأعطيتَ ما أعيى القرونَ التي مضتْ — فنحمدُ مولانا وليَّ المحامدِ

لقدْ كانَ في أنهارِ دجلةَ نعمةٌ وحظوةُ جدٍّ للخليفةِ صاعدِ

عطاءَ الذي أعطى الخليفةَ ملكهُ ويكفيهِ تزفارَ النفوسِ الحواسدِ

فإنَّ الذي أنفقتَ حزماً وقوةً تجيءُ بأضعافٍ منَ الربحِ زائدِ

جرتْ لكَ أنهارٌ بيمنٍ وأسعدٍ إلى زينةٍ في صحصحانِ الأجالدِ

ينبتنَ أعناباً ونخلاً مباركاً وحباً حصيداً منْ كريمِ الحصائدِ

إذا ما بعثنا رائداً يطلبُ الندى أتانا بحمدِ اللهِ أحمدُ رائدِ

فهلْ لكَ في عانٍ وليسَ بشاكرٍ فتطلقهُ منْ طولِ عضِّ الحدائدِ

يعودُ وكانَ الحنثُ منهُ طبيعةً وإنْ قالَ إني معتبٌ غيرُ عائدِ

فلا تقبلوا ضربَ الفرزدقِ إنهُ هوَ الزيفُ ينفي ضربهُ كلُّ ناقدِ

ندمتَ وما تغني الندامةُ بعدما تطوحتَ منْ صكِّ البزاةِ الصوائدِ

فكيفَ نجاةٌ للفرزدقِ بعدما ضغا وهوَ في أشداقِ أغلبَ حاردِ

يلوي استهُ مما يخافُ ولمْ يزلْ بهِ الحينُ حتى صارَ في كفِّ صائدِ

بني مالكٍ إنَّ الفرزدقَ لمْ يزلْ كسوباً لعارِ المخزياتِ الخوالدِ

وإنا وجدنا إذْ وفدنا عليكمُ صدورَ القنا والخيلَ أنجحَ وافدِ

ألمْ ترَ يربوعاً إذا ما ذكرتها وأيامها شدوا متونَ القصائدِ

فمنْ لكَ إنْ عددتَ مثلَ فوارسي حووا حكماً والحضرميَّ بنَ خالدِ

وقال جرير يمدح هلال بن أحوز المازني، ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق عليهما السلام ويهجو الفرزدق وبني طهية:

أمنْ ربعِ دارٍ همَّ أنْ يتغيرا تراوحهُ الأرواحُ والقطرُ أعصرا

وكنا عهدنا الدارَ والدارُ مرةً هي الدارُ إذْ حلتْ بها أمُّ يعمرا

ذكرنا بها عهداً على الهجرِ والبلى ولا بدَّ للمشعوفِ أنْ يتذكرا

أجنُّ الهوى ما أنسَ لا أنسَ موقفاً عشيةَ جرعاءِ الصريفِ ومنظرا

تباعدَ أهلُ الوصلِ مذْ حلَّ أهلنا بقوٍّ وحلتْ بطنَ غولٍ فعرعرا

عشيةَ تسبي القلبَ منْ غيرِ ريبةٍ إذا سفرتْ عنْ واضحِ اللونِ أزهرا

أتى دونَ هذا النومِ همٌّ فأسهرا أراعي نجوماً تالياتٍ وغورا

أقولُ لها من ليلةٍ ليسَ طولها كطولِ الليالي ليتَ صبحكِ نورا

حذاراً على نفسِ ابن أحوزَ إنهُ جلا كلَّ وجهٍ منْ معدٍّ فأسفرا

أخافُ عليهِ أنهُ قدْ شفى جوىً وأبلى بلاءً ذا حجولٍ مشهرا

ألا ربَّ سامي الطرفِ منْ آلِ مازنٍ إذا شمرتْ عنْ ساقها الحربُ شمرا

أتنسونَ شداتِ بنْ أحوزَ معلماً إذا الموتُ بالموتِ ارتدى وتأزرا

فأدركَ ثأرَ المسمعينِ بسيفهِ وأغضبَ في يومِ الخيارِ فنكرا

جعلتَ بقبرٍ للخيارِ ومالكٍ وقبرِ عديٍّ في المقابرِ أقبرا

شفيتَ منَ الآثارِ خولةَ بعدما دعتْ لهفها واستعجلتْ أنْ تخمرا

وغرقتَ حيتانَ المزونِ وقدْ رأوا تميماً وعزاً مناكبَ مدسرا

فلمْ تبقِ منهمْ رايةً يرفعونها ولمْ تبقِ منْ آلِ المهلبِ عسكرا

وأطفأتَ نيرانَ النفاقِ وأهلهُ وقدْ سارعوا في فتنةٍ أنْ تسعرا

فإنَّ لأنصارِ الخليفةِ ناصراً عزيزاً إذا طاغٍ طغى وتجبرا

فذو العرشِ أعطانا على الكرهِ والرضا إمامَ الهدى والحكمةِ المتخيرا

وإنَّ الذي أعطى الخلافةَ أهلها بنى لي في قيسٍ وخندفَ مفخرا

فأمستْ رواسي الملكِ في مستقرها لمنتخبٍ منْ آلِ مروانَ أزهرا

منابرُ ملكٍ كلها خندفيةٌ يصلي عليها منْ أعرناهُ منبرا

أنا ابنُ الثرى أدعو قضاعةَ ناصراً وآلَ نزارٍ ما أعزَّ وأكثرا

عديداً معدياً لهُ ثروةُ الحصى وعزاً قضاعياً وعزاً تنزرا

نزارٌ إلى كلبٍ وكلبٌ إليهمِ أحقُّ وأدنى منْ صداءَ وحميرا

فأيُّ معديٍّ تخافُ وقدْ رأى جبالَ معدٍّ والعديدَ المجمهرا

أبونا خليلُ اللهِ واللهُ ربنا رضينا بما أعطى المليكُ وقدرا

بنى قبلةَ اللهِ التي يهتدى بها فأورثنا عزاً وملكاً معمرا

أبونا أبو إسحاقَ يجمعُ بيننا أبٌ كانَ مهدياً نبياً مطهرا
فيجمعنا والغرُّ أبناءَ سارةٍ أبٌ لا نبالي بعدهُ منْ تعذرا
ومنا سليمانُ النبيُّ الذي دعا فأعطي بنياناً وملكاً مسخرا
ويعقوبُ منا زادهُ اللهُ حكمةً وكانَ ابنُ يعقوبٍ نبياً مصورا
وعيسىَ وموسىَ والذي خرَّ ساجداً فأنبتَ زرعاً دمعُ عينيهِ أخضرا
وأبناءُ إسحاقَ الليوثُ إذا ارتدوا محاملَ موتٍ لابسينَ السنورا
ترى منهمْ مستبشرينَ إلى الهدى وذا التاجِ يضحي مرزباناً مسورا
أغرَّ شبيهاً بالفنيقِ إذا ارتدى على القبطريِّ الفارسيَّ المزررا
فيوماً سرابيلُ الحديدِ عليهمِ ويوماً ترى خزاً وعصباً منيرا
إذا افتخروا عدوا الصبهبذَ منهمُ وكانوا بإصطخرَ الملوكَ وتسترا
وقدْ جاهدَ الوضاحَ في الدينِ معلماً فأورثَ مجداً باقياً آل بربرا
لشتانَ منْ يحمي تميماً منَ العدى ومن يعمرُ الماخورَ في منْ تمخرا
فبؤْ بالمخازي يا فرزدقُ لمْ يبتْ أديمكَ إلاَّ واهياً غيرَ أوفرا
ألاّ قبحَ اللهُ الفرزدقَ كلما أهلَّ مهلٌّ بالصلاةِ وكبرا
فإنكَ لوْ تعطي الفرزدقَ درهماً على دينِ نصرانيةٍ لتنصرا
فلا تقربنَّ المروتينِ ولا الصفا ولا مسجدَ اللهِ الحرامَ المطهرا
يبينُ في وجهِ الفرزدقِ لؤمهُ وألأمُ منسوبٍ قفاً حينَ أدبرا
وتعرفُ منهُ لؤمهُ فوقَ أنفهِ فقبحَ ذاكَ الأنفُ أنفاً ومشفرا
لحا اللهُ ماءً منْ عروقٍ خبيثةٍ سقتْ سابياءً جاءَ فيها مخمرا
فما كانَ منْ فحلينِ شرٌّ عصارةٌ وألأمُ منْ حوقِ الحمارِ وكيمرا
قفيرةُ لمْ ترضعْ كريماً بثديها وما أحسنتْ منْ حيضةٍ أنْ تطهرا
وما حملتْ إلاَّ عراضاً لخبثةٍ وما سيقَ عنها منْ سياقٍ فتمهرا
أتعدلُ نجلاً منْ قفيرةَ مقرفاً بسامٍ إذا اصطكَّ الأضاميمُ أصدرا
عشيةَ لاقى القردُ قردُ مجاشعٍ هريتاً أبا شبلينِ في الغيلِ قسورا

مِنَ المحمياتِ الغينَ غينَ خفيةٍ ... ترى بينَ لحييهِ الفريسَ المعقرا

أشاعتْ قريشٌ للفرزدقِ خزيةً ... وتلكَ الوفودُ النازلونَ الموقرا

وقالتْ قريشٌ للحواريِّ جاركمْ ... أرغوانَ تدعو للوفاءِ وضوطرا

تراغيتمُ يومَ الزبيرِ كأنكمْ ... ضباعُ مغاراتٍ تعاظمنَ أجعرا

فإنَّ عقالاً والحتاتَ كلاهما ... تردى بثوبيْ غدرةٍ وتأزرا

وما كانَ جيرانُ الزبيرِ مجاشعٌ ... بألأمَ منْ جيرانِ وهبٍ وأغدرا

أتبغونَ وهباً يا بني زبدِ استها ... وقدْ كنتمُ جيرانَ وهبِ بنِ أبجرا

ألمْ تحسبوا وهباً تمنونهُ المنى ... وكانَ أخا همٍّ طريداً مسيرا

فلا يأمنُ الأعداءُ أسيافَ مازنٍ ... ولكنَّ رأي ابنيْ قفيرةَ قصرا

وإنكَ لو ضمنتَ منْ مازنٍ دماً ... لما كانَ لابنِ القينِ أنْ يتخيرا

ولوْ أنَّ وهباً كانَ جلَّ رحالهِ ... بحجرٍ للاقى ناصرينَ وعنصرا

ولوْ ضافَ أحياءً بحزمِ مليحةٍ ... للاقى جواراً صافياً غيرَ أكدرا

ولوْ حلَّ فينا عاينَ القومُ دونهُ ... عوابسَ يعلكنَ الشكائمَ ضمرا

إذنْ لسمعتَ الخيلَ والخيلُ تدعي ... رياحاً وتدعوا العاصمينِ وجعفرا

فوارسُ لا يدعونَ يالَ مجاشعٍ ... إذا كانَ ما يذري السنابكُ أغبرا

همُ ضربوا هامَ الملوكِ وعجلوا ... بوردٍ غداةَ الحوفزان فنكرا

وقدْ جربَ الهرماسُ وقعَ سيوفنا ... وقطعنَ عنَ رأسِ ابنِ كبشةَ مغفرا

وقدْ جعلتْ يوماً بطخفةَ خيلنا ... لآلِ أبي قابوسَ يوماً مذكرا

فنوردُ يومَ الروعِ خيلاً مغيرةً ... وتوردُ ناباً تحملُ الكيرَ صوءرا

سبقتَ بأيامِ الفعالِ فلمْ تجدْ ... لقومكَ إلاَّ عقرَ نابكَ مفخرا

لقيتَ القرومَ الخاطراتِ فلمْ يكنْ ... بكيركَ إلاَّ أنْ تكشَّ وتبعرا

ولاقيتَ خيراً منْ أبيكَ فوارساً ... وأكرمَ أياماً سحيماً وجحدرا

هما تركا عمراً وقيساً كلاهما ... يمجُّ نجيعاً منْ دمِ الجوفِ أحمرا

وسارَ لبكرٍ نخبةٌ منْ مجاشعٍ فلما رأى شيبانَ والخيلَ عفرا
وفي أيِّ يومٍ لمْ تكونوا غنيمةً وجاركمُ فقعٌ محالفُ قرقرا
فلا تتقونَ الشرَّ حتى يصيبكمْ ولا تعرفونَ الأمرَ إلا تدبرا
وعوفٌ يعافُ الضيمَ منْ آلِ مالكٍ وكنتمْ بني جوخى على الضيمِ أصبرا
لقدْ كنتُ يا ابنَ القينِ ذا خبرٍ بكمْ وعوفٌ أبو قيسٍ بكمْ كانَ أخبرا
تركتمْ مزاداً عندَ عوفٍ رهينةً فأطعمهُ عوفٌ سباعاً وأنسرا
وصالحتمُ عوفاً على ما يريبكمْ كما لمْ تقاضوا عقرَ جعثنَ منقرا
فما ظنكمْ بالقعسِ منْ آلِ منقرٍ وقدْ باتَ فيهمْ ليلها متسحرا
تناومتَ يا ابنَ القينِ إذْ يخلجونها كخلجِ الصراريِّ السفينَ المقيرا
وباتتْ تنادي غالباً وكأنما يشقونَ زقاً مسهُ القارُ أشعرا
وعمرانُ ألقى فوقَ جعثنَ كلكلاً وأوردَ أمَّ الغولِ فيها وأصدرا
رأى غالبٌ آثارَ فيشلِ منقرٍ فما زالَ منها غالبٌ بعدُ مهترا
بكى غالبٌ لما رأى نطفاً بها منَ الذلِّ إذْ ألقى على النارِ أيصرا
جزى اللهُ ليلى عنْ جبيرٍ ملامةً وقبحَ قيناً بالمقرينِ أعورا
إذا ذكرتْ ليلى جبيراً تعصرتْ وليسَ بشافٍ داؤها أنْ تعصرا
تزورُ جبيراً مرةً ويزورها وتتركَ أعمى ذا خميلٍ مدثرا
تسوفُ صنانَ القينِ منْ ربةٍ بهِ ليجعلَ في ثقبِ المحالةِ محورا
يزاولُ فيها القينُ محبوكةَ القفا كأنَّ بها لوناً منَ الورسِ أصفرا
فهلْ لكمُ في حنثرٍ يا بنَ حنثرٍ ولما تصبْ تلكَ الصواعقُ حنثرا
فإنَّ ربيعاً والمشيعَ فاعلموا على موطنٍ لمْ يدريا كيفَ قدرا
ألاَ ربَّ أعشى ظالمٍ متخمطٍ جعلتُ لعينيهِ جلاءً فأبصرا
وقدْ كنتُ ناراً يتقي الناسُ حرها وسماً على الأعداءِ أصبحَ ممقرا
ألمْ أكُ زادَ المرملينَ موالجاً إذا دفعَ البابُ الغريبَ المعورا
نعدُّ لأيامٍ نعدُّ لمثلها فوارسُ قيسٍ دارِعينَ وحسرا

وما كنتَ يا ابنَ القينِ تلقى جيادهمْ وقوفاً ولا مستنكراً أنْ تعقرا
أتنسونَ يوميْ رحرحانَ وقدْ بدا فوارسُ قيسٍ لابسينَ السنورا
تركتمْ بوادي رحرحانَ نساءكمْ ويومَ الصفا لاقيتمُ الشعبَ أوعرا
سمعتمْ بني مجدٍ دعوا يالَ عامرٍ فكنتمْ نعاماً بالحزيزِ منفرا
وأسلمتمُ لابنيْ أسيدةَ حاجباً ولاقى لقيطٌ حتفهُ فتقطرا
وأسلمتِ القلحاءُ للقومِ معبداً تجاوبُ مخموساً منَ القدِّ أسمرا

وقال جرير يجيب الفرزدق، ويهجو الأخطل والبعيث وسراقة النبهاني وعبد الله بن العباس الكندي:

عرفتُ الدارَ بعدَ بلى الخيامِ سقيتِ نجيَّ مرتجزٍ ركامِ
كأنَّ أخا اليهودِ يخطُّ وحياً بكافٍ في منازلها ولامِ
فأطلعتُ الغوانيَ بعدَ وصلٍ وقدْ نزعَ الغيورُ عنِ اتهامي

تنازعنا بجدتها حبالاً فنينَ بلاً وصرنَ إلى رمامِ
وقدْ خبرتهنَّ يقلنَ فانٍ ألا ينظرنَ منْ خللِ القرامِ
وقدْ حدثتهنَّ هزئنَ مني ولا يغشينَ رحلي في المنامِ
فقدْ أقصرتُ عن طلبِ الغواني وقدْ آذنَّ حبلي بانصرامِ
وعاوٍ قدْ تعرضَ لي متاحٍ ودقَّ جبينهُ حجرُ المرامي
ضغا الشعراءُ حينَ لقوا هزبراً إذا مدَّ الأعنةُ ذا اعتزامِ
فلما قتلَ الشعراءَ غماً أضرَّ بهمِ وأمسكَ بالكظامِ
قتلتُ التغلبيَّ وطاحَ قردٌ هوى بينَ الحوالقِ والحوامي
ولابنِ البارقيّ قدرتُ حتفاً وأقصدتُ البعيثَ بسهمِ رامِ
وأطلعتُ القصائدَ طوعَ سلمى وجدعَ صاحبي شعبى انتقامي
ستخزى ما حييتَ ولا يحيا إذا ما متَّ قبركَ بالسلامِ
ولوْ أني أموتُ لشدَّ قبري بمسمومٍ مضاربهُ حسامِ
لقدْ رحلَ ابنُ شعرةَ نابَ سوءٍ تعضُّ على المواركِ والزمامِ

تلفتُ أنها تحتَ ابنِ قينِ حليفِ الكيرِ والفأسِ الكهامِ

متى تردِ الرصافةَ تخزَ فيها كخزيكَ في المواسمِ كلَّ عامِ

لقدْ نزلَ الفرزدقُ دارَ سعدٍ ليالي لا يعفُّ ولا يحامي

إذا ما رمتَ ويبَ أبيكَ سعداً لقيتَ صيالَ مقرمةٍ سوامي

همُ جروا بناتِ أبيكَ غصباً وما تركوا لجاركَ منْ ذمامِ

وهمْ قتلوا الزبيرَ فلمْ تغيرْ ودقوا حوضَ جعثنَ في الزحامِ

وهمْ شدخوا بواطنَ أسكتيها بمثلِ فراسنِ الجملِ الشأمي

أضيؤوا للفرزدقِ نارَ ذلٍّ لينظرَ في أشاعرها الدوامي

وحجزةُ لوْ تبينَ ما رأيتمْ بعضرطها لماتَ منَ الفحامِ

وإنَّ صدى المقرِّ بهِ مقيمٌ ينادي الذلَّ بعدَ كرى النيامِ

لأعظمِ غدرةٍ نفشوا لحاهمْ غداةَ العرقِ أسفلَ منْ سنامِ

تلومكمُ العصاةُ وآلُ حربٍ ورهطُ محمدٍ وبنو هشامِ

ولوْ حلَّ الزبيرُ بنا لجلى وجوهَ فوارسي رهجُ القتامِ

لخافوا أنْ تلومهمُ قريشٌ فردوا الخيلَ داميةَ الكلامِ

سقى جدثَ الزبير ولا سقاكمْ نجيُّ الودقِ مرتجزُ الغمامِ

وإنكَ لوْ سألتَ بنا بحيراً وأصحابَ المحبةِ عنْ عصامِ

ونازلنا ابنَ كبشةَ قدْ علمتمْ وذا القرنينِ وابنَ أبي قطامِ

وللهرماسِ قدْ تركوا مجراً لطيرٍ يعتفينَ دمَ اللحامِ

وساقَ ابني هجيمةَ يومَ غولٍ إلى أسيافنا قدرُ الحمامِ

فقتلنا جبابرةً ملوكاً وأطلقنا الملوكَ على احتكامِ

وذا الجدينِ أرهقتِ العوالي بكلِّ مقلصٍ قلقِ الحزامِ

رجعنَ بهانئٍ وأصبنَ بشراً ويومَ الجمدِ يومَ لهىً عظامِ

ألسنا نحنُ قدْ علمتْ تميمٌ نمدُّ مقادةَ اللجبِ اللهامِ

نقيمُ على ثغورِ بني تميمٍ ونصدعُ بيضةَ الملكِ الهمامِ

وكنتمْ تأمنونَ إذا أقمنا ... وإنْ نظعنْ فما لكَ منْ مقامِ

وكنا الذائدينَ إذا جلوكمْ ... عنِ السبيِ المصبحِ والسوامِ

تفدينا نساؤكمُ إذا ما ... رقصنَ وقدْ رفعنَ عنِ الخدامِ

تسوقونَ العلابَ ولمْ تعدوا ... ليومِ الروعِ صلصلةَ اللجامِ

فيومَ الشيطينِ حبارياتٌ ... وأشردُ في الوقيظِ منَ النعامِ

وخالي ابنُ الأشدِّ سما بسعدٍ ... فحازوا يومَ ثيتلَ وهوَ سامِ

فأوردهمْ مسلحتيْ تياسٍ ... حظيظٌ بالرياسةِ والزعامِ

أصعصعَ بعضَ لؤمكَ إنَّ ليلى ... روادُ الليلِ مطلقةُ الكمامِ

أصعصعَ قالَ قينكِ أردفيني ... وثوبي دونَ واسطةٍ أمامي

تفدي عامَ بيعَ لها جبيرٌ ... وتزعمُ أنَّ ذلكَ خيرُ عامِ

بها شبهُ الزبابةِ في بنيها ... وعرقٌ منْ قفيرةَ غيرُ نامي

قفيرةُ وهيَ ألأمُ أمِّ قومٍ ... توفى في الفرزدقِ سبعَ آمِ

فإنَّ مجاشعاً فتبينوهمْ ... بنو جوخى وجخجخَ والقذامِ

وأمهمُ خضافِ تداركتهمْ ... بذحلٍ في القلوبِ وفي العظامِ

وقال جرير يرد على الفرزدق، وهي آخر النقائض:

ألاَ حيّ المنازلَ بالجنابِ ... وقدْ ذكرنَ عهدكَ بالشبابِ

أجدكَ ما تذكرُ عهدَ دارٍ ... كأنَّ رسومها ورقُ الكتابِ

لعمرُ أبي الغواني ما سليمى ... بشملالٍ تراحُ إلى الشبابِ

لياليَ ترتميكَ بنبلِ جنٍّ ... صموتُ الحجلِ قانئةُ الخضابِ

فإنكَ تستعيرُ كلى شعيبٍ ... وهتْ منْ ناضحٍ سربِ الطبابِ

وما باليتُ يومَ أكفُّ دمعي ... مخافةَ أنْ يفندني صحابي

تباعدَ منْ مزاركَ أهلُ نجدٍ ... إذا مرتْ بذي خشبٍ ركابي

غريباً عنْ ديارِ بني تميمٍ ... ولا يخزي عشيرتيَ اغترابي

لقدْ علمَ الفرزدقُ أنَّ قومي ... يعدونَ المكارمَ للسبابِ

يحشونَ الحروبَ بمقرباتٍ وداؤوديةٍ كأضا الحبابِ
إذا آباؤنا وأبوكَ عدوا بأنَّ المقرفاتِ منَ العرابِ
فأورثكَ العلاةَ وأورثونا رباطَ الخيلِ أفنيةَ القبابِ
وإنْ عدتْ مكارمها تميمٌ بحلقةِ مرجلٍ وبعقرِ نابِ
ألسنا بالمكارمِ نحنُ أولى وأكرمَ عندَ معتركِ الضرابِ
وأحمدَ حينَ يحمدُ بالمقاري وحالَ المربعاتُ منَ السحابِ
وأوفى للمجاورِ إنْ أجرنا وأعطى للنفيساتِ الرغابِ
صبرنا يومَ طخفةَ قدْ علمتمْ صدورَ الخيلِ تنحطُ في الحرابِ
وطئنَ مجاشعاً وأخذنَ غصباً بني الجبارِ في رهجِ الضبابِ
ويربوعٌ همُ أخذوا قديماً عليكَ منَ المكارمِ كلَّ بابِ
فلا تفخرْ فأنتَ مجاشعيٌّ نخيبُ القلبِ منخرقُ الحجابِ
فلا صفوٌ جوازكَ عندَ سعدٍ ولا عفٌّ الخليقةِ في الربابِ
وقدْ أخزاكَ في ندواتِ قيسٍ وفي سعدٍ عياذكَ منْ زبابِ
ألمْ ترَ منْ هجاني كيفَ يلقى إذا غبَّ الحديثُ منَ العذابِ
يسبهمُ بسبي كلٌّ قومٍ إذا ابتدرتْ مجاوبةُ الجوابِ
فكلهمُ سقيتُ نقيعَ سمٍّ بنابيْ مخدرٍ ضرمِ اللعابِ
لقدْ جاريتني فعلمتَ أني على حظِّ المراهنِ غيرُ كابِ
سبقتُ فجاءَ وجهي لمْ يغبرْ وقدْ حطَّ الشكيمةَ عضٌّ نابي
فما بلغَ الفرزدقُ في تميمٍ كمبلغِ عاصمٍ وبني شهابِ
ولا بلغَ الفرزدقُ في تميمٍ تخيريَ المضاربَ وانتخابي
أنا ابنُ الخالدينِ وآلِ صخرٍ أحلوني الفروعَ منَ الروابي
وسيفُ أبي الفرزدقِ قدْ علمتمْ قدومٌ غيرُ ثابتةِ النصابِ
أجيرانَ الزبيرِ غررتموهُ كما اغترَّ المشبهُ بالسرابِ
ولوْ سارَ الزبيرُ فحلَّ فينا لما يئسَ الزبيرُ منَ الإيابِ

لأصبحَ دونهُ رقماتُ فلجٍ وغبرُ اللامعاتِ منَ الحدابِ

وما باتَ النوائحُ منْ قريشٍ يراوحنَ التفجعَ بانتحابِ

على غيرِ السواءِ مدحتَ سعداً فزدهمْ ما اسطعتَ منَ الثوابِ

همْ قتلوا الزبيرَ فلمْ تنكرْ وعزوا عقرَ جعثنَ في الخطابِ

فداو كلومَ جعثنَ إنَّ سعداً ذوو عاديةٍ ولهىً رغابِ

سأذكرُ منْ قفيرةَ ما علمتمْ وأرفعُ شأنَ جعثنَ والربابِ

وعاراً منْ حميدةَ يومَ حوطٍ ورضخاً منْ جنادلها الصلابِ

فأصبحَ غالياً فتقسموهُ عليكمْ نحرُ راحلةِ الغرابِ

تحككْ بالعدانِ فإنَّ قيساً نفوكمْ عنْ ضريةَ والهضابِ

كجعثنَ حينَ أسهلَ ناطفاها عفرتمْ ثوبَ جعثنَ في الترابِ

فشدي منْ صلاكِ على الردافى ولا تدعي فإنكِ لنْ تجابي

لنا قيسٌ عليكَ وأيُّ يومٍ إذا ما احمرَّ أجنحةُ العقابِ

أتعدلُ في الشكيرِ أبا جبيرٍ إلى كعبٍ ورابيتي كلابِ

وجدتُ حصى هوازنَ ذا فضولٍ وبحراً يا بنَ شعرةَ ذا عبابِ

وفي غطفانَ فاجتنبوا حماهمْ ليوثُ الغابِ في أجمٍ وغابِ

ألمْ تسمعْ بخيلِ بني رياحٍ إذا ركبتْ وخيلِ بني الحبابِ

همُ جذوا بني جشمَ بنْ بكرٍ بلبيَ بعدَ يومِ قرى الزوابي

وحيُّ محاربِ الأبطالِ قدماً أولو بأسٍ وأحلامٍ رغابِ

خطاهمْ في الحروبِ إلى الأعادي يصلنَ سيوفهمْ يومَ الضرابِ

هذا جميع ما ذكر له في النقائض وهي خير شعره.

وقال جرير يهجو الفرزدق والتيم تيم الرباب، وليست هي من النقائض، وهي إحدى الثلاث التي له:

ألا زارتْ وأهلُ منىً هجودُ وليتَ خيالها بمنىً يعودُ

حصانٌ لاَ المريبُ لها خدينٌ ولا تفشي الحديثَ ولاَ تزودُ

ونحسدُ أنْ نزوركمُ ونرضى بدونِ البذلِ لوْ رضيَ الحسودُ

أساءلتَ الوحيدَ ودمنتيهِ فما لكِ لا يكلمكَ الوحيدُ

أخالدَ قدْ علقتكِ بعدَ هندٍ فبلتني الخوالدُ والهنودُ

فلا بخلٌ فيوئسُ منكِ بخلٌ ولا جودٌ فينفعُ منكِ جودُ

شكونا ما علمتِ فما أويتمْ وباعدنا فما نفعَ الصدودُ

حسبتَ منازلاً بجمادِ رهبى كعهدكِ بلْ تغيرتِ العهودُ

فكيفَ رأيتَ منْ عمانَ ناراً يشبُّ لها بواقصةَ الوقودُ

هوىً بتهامةٍ وهوىً بنجدٍ فبلتني التهائمُ والنجودُ

فأنشدْ يا فرزدقُ غيرَ عالٍ فقبلَ اليومِ جدعكَ النشيدُ

خرجتَ منَ المدينةِ غيرَ عفٍّ وقامَ عليكَ بالحرمِ الشهودُ

خصيتكَ بعدما جدعتكَ قيسٌ فأيَّ عذابِ ربكَ تستزيدُ

تحبكَ يومَ عيدهمِ النصارى ويومَ السبتِ شيعتكَ اليهودُ

فإنْ ترجمْ فقدْ وجبتْ حدودٌ وحلَّ عليكَ ما لقيتْ ثمودُ

تتبعُ منْ علمتَ لهُ متاعاً كما تعطى للعبتها القرودُ

أبالكيرينِ تعدلُ ملجماتٍ عليهنَّ الرحائلُ واللبودُ

رجعنَ بهانئٍ وأصبنَ بشراً وبسطاماً يعضُّ بهِ الحديدُ

وبالحكميِّ ثمَّ بحضرميٍّ وما بالخيلِ إذْ لحقتْ صدودُ

وأحمينا الإيادَ وقلتيهِ وقدْ عرفتْ سنابكهنَّ أودُ

وسارَ الحوفزانُ وكانَ يسمو وأبجرُ لا ألفٌّ ولا بليدُ

فصبحهمْ بأسفلِ ذي طلوحٍ قوافلَ ما تذلُّ وما ترودُ

فوارسيَ الذينَ لقوا بحيراً وذادوا الخيلَ يومَ دعا يزيدُ

تردينا المحاملَ قدْ علمتمْ بذي نجبٍ وكسوتنا الحديدُ

فقربْ للمراءِ مجاشعياً إذا ما فاشَ وانتفخَ الوريدُ

فما منعوا الثغورَ كما منعنا وما ذادوا الخميسَ كما نذودُ

أجيرانَ الزبيرِ غررتموهُ كأنكمُ الدلادلُ والقهودُ

فليسَ بصابرٍ لكمُ وقيظٌ كما صبرتْ لنسوتكمْ زرودُ

لقدْ أخزى الفرزدقُ رهطَ ليلى وتيمٌ قدْ أقادهمُ مقيدُ

قرنتُ الظالمينَ بمرمريسٍ يذلُّ لهُ العفاريةُ المديدُ

فلو كانَ الخلودُ لفضلِ قومٍ على قومٍ لكانَ لنا الخلودُ

خصيتُ مجاشعاً وجدعتُ تيماً وعندي فاعلموا لهمُ مزيدُ

وقالَ الناسُ ضلَّ ضلالُ تيمٍ ألمْ يكُ فيهمِ رجلٌ رشيدُ

تبينَ أينَ تكدحُ يا بنَ تيمٍ فقبلكَ أحرزَ الخطرَ المجيدُ

أترجو الصائداتِ بغاثُ تيمٍ وما تحمي البغاثُ ولا تصيدُ

لقيتَ لنا بوازيَ ضارياتٍ وطيركَ في مجاثمها لبودُ

أتيمٌ يجعلونَ إليَّ نداً وهلْ تيمٌ لذي حسبٍ نديدُ

أبونا مالكٌ وأبوكَ تيمٌ فهلْ تيمٌ لذي حسبٍ نديدُ

ولمْ تلدوا نوارَ ولمْ تلدكمْ مفداةُ المباركةُ الولودُ

أنا ابنُ الأكرمينَ تنخبتني قرومٌ بينَ زيدِ مناةَ صيدُ

أرامي منْ راموا ويحولُ دوني مجنٌّ منْ صفاتهمِ صلودُ

أزيدَ مناةَ تدعوَ يا بنَ تيمٍ تبينْ أينَ تاهَ بكَ الوعيدُ

أتوعدنا وتمنعُ ما أردنا ونأخذُ منْ ورائكَ ما نريدُ

ويقضى الأمرُ حينَ تغيبُ تيمٌ ولا يستأذنونَ وهمْ شهودُ

فلا حسبٌ فخرتَ بهِ كريمٌ ولا جدٌّ إذا ازدحمَ الجدودُ

لئامُ العالمينَ كرامُ تيمٍ وسيدهمْ وإنْ رغموا مسودُ

وإنكَ لوْ لقيتَ عبيدَ تيمٍ وتيماً قلتَ أيهما العبيدُ

أرى ليلاً يخالفهُ نهارٌ ولؤمُ التيمِ ما اختلفا جديدُ

بخبثِ البذرِ ينبتُ بذرُ تيمٍ فما طابَ النباتُ ولا الحصيدُ

تمنى التيمُ أنَّ أباهُ سعدٌ فلا سعدٌ أبوهُ ولا سعيدُ

وما لكمُ الفوارسُ يا بنَ تيمٍ ولا المستأذنونَ ولا الوفودُ

أهانكَ بالمدينةِ يا بنُ تيمٍ أبو حفصٍ وجدعكَ النشيدُ

وإنَّ الحاكمينَ لغيرِ تيمٍ وفينا العزُّ والحسبُ التليدُ

وإنَّ التيمَ قدْ خبثوا وقلوا فما طابوا ولا كثرَ العديدُ

ثلاثُ عجائزٍ لهمُ وكلبٌ وأشياخٌ على ثللٍ قعودُ

فقدْ سلبتْ عصاكَ بنو تميمٍ فما تدري بأيِّ عصاً تذودُ

إذا تيمٌ ثوتْ بصعيدِ أرضٍ بكا منْ خبثِ ريحهمِ الصعيدُ

شددتُ الوطءَ فوقَ رقابِ تيمٍ على مضضٍ فقدْ ضرعَ الخدودُ

أتيمٌ تجعلونَ إلى تميمٍ بعيدٌ فضلُ بينهما بعيدُ

كساكَ اللؤمُ لؤمُ أبيكَ تيمٍ سرابيلاً بنائقهنَّ سودُ

قدرنَ عليهمِ وخلقنَ منهمْ فما يبلينَ ما بقيَ الخلودُ

ترى الأعداءَ دوني منْ تميمٍ هزبراً لا تقاربهُ الأسودُ

لعمرُ أبيكَ ما سنحتْ لتيمٍ أيامنُ يزدجرنَ ولا سعودُ

وضعتُ مواسماً بأنوفِ تيمٍ وقدْ جدعتُ آنفَ منْ أريدُ

نقارعهمْ وتسألُ بنتُ تيمٍ أرخفٌ زبدُ أيسرَ أمْ لهيدُ

إذا ما قربَ الشهداءُ يوماً فما للتيمِ يومئذٍ شهيدُ

وفدنا حينَ أغلقَ دونَ تيمٍ شبا الأبوابِ وانقطعَ الوفودُ

وقدنا كلَّ أجردَ أعوجي يعارضهُ عذافرةٌ ورودُ

كما يختبُّ معتدلٌ مطاهُ إلى وشلٍ منَ الردهاتِ سيدُ

وقال جرير يهجو الفرزدق، وهي تمام الثلاث التي هي خير شعره، وأولهن كتبت في أول مختار شعره، وليست هذه في النقائض:

أهوى أراكَ برامتينِ وقودا أمْ بالجنينةِ من مدافع أودا

بانَ الشبابُ فودعاهُ حميدا هلْ ما ترى خلقاً يعودُ جديدا

يا صاحبيَّ دعا الملامةَ واقصدا طالَ الهوى وأطلتما التفنيدا

إنَّ الملامةَ فاعذلاني أوْ دعا بلغَ العزاءُ وأدركَ المجلودا

لا يستطيعُ أخو الصبابةِ أنْ يرى حجراً أصمَّ ولا يكونُ حديدا

أخلبتنا وصددتِ أمَّ محكمٍ أفتجمعينَ خلابةً وصدودا

إني وجدكِ لوْ أردتِ زيادةً في الحبِّ عندي ما وجدتِ مزيدا

يا ميَّ ويحكِ أنجزي الموعودا وأرعيْ بذاكَ أمانةً وعهودا

قالتْ نحاذرُ ذا شذاةٍ باسلاً غيرانَ يزعمُ في السلامِ حدودا

رمتِ الرماةُ فلمْ تصبكِ سهامهمْ ورأيتُ سهمكِ للرماةِ صيودا

راحوا منَ اجلكِ مقصدينَ وقدْ رأوا خللَ الحجالِ سوالفاً وخدودا

ورجا العواذلُ أنْ يطعنَ ولمْ أزلْ منْ حبكمْ كلفَ الفؤادِ عميدا

أصرمتِ إذْ طمعَ الوشاةُ بصرمنا صباً لعمركِ يا أميمَ ودودا

ونرى كلامكِ لوْ ينالُ بعزةٍ ودنوَّ داركِ فاعلمنَّ خلودا

إنْ كانَ دهركِ ما يقولُ حسودنا فلقدْ عصيتُ عواذلاً وحسودا

نامَ الخليُّ وما رقدتْ لحبكمْ ليلَ التمامِ تقلباً وسهودا

وإذا رجوتَ بأنْ يقربكَ الهوى كانَ القريبُ لما رجوتَ بعيدا

ما ضرَّ أهلكِ أنْ يقولَ أميرهمْ قولاً لزائركِ الملمِّ سديدا

حلأتِ ذا سقمٍ يرى لشفائهِ ورداً ويكرهُ أنْ تروم ورودا

أبنو قفيرةَ تبتغونَ سقاطنا حشرتْ وجوهُ بني قفيرةَ سودا

أخزى الإلهُ بني قفيرةَ إنهمْ لا يتقونَ منَ الحرامِ كؤودا

إني ابنُ حنظلةَ الحسانُ وجوههمْ والأعظمينَ مساعياً وجدودا

والأكرمينَ مركباً إنْ ركبوا والأطيبينَ منَ الترابِ صعيدا

ولهمْ مجالسُ لا مجالسَ مثلها حسباً تؤثلُ طارفاً وتليدا

إنا إذا قرعَ العدوُّ صفاتنا لاقوا لنا حجراً أصمَّ صلودا

ما مثلُ بيعتنا أعزَّ مركبا وأقلَّ قادحةً وأصلبَ عودا

إنا ليذعرنا قفيرُ عدونا بالخيلِ لاحقةَ الأياطلِ قودا
كسَّ السنابكِ شزباً أقرابها مما أطالَ غزاتها التقويدا

أجرى قلائدها وخددَ لحمها ألاَّ تذوقَ معَ الشكائمِ عودا
وطوى الطرادُ معَ القيادِ بطونها طيَّ التجارِ بحضرموتَ برودا
جرداً معاودةَ الغوارِ سوابحاً تدني إذا قذفَ الشتاءُ جليدا
تسقى الصريحَ فما تذوقُ كرامةً حدَّ الشتاءِ لذي القبابِ مديدا
نحنُ الملوكُ إذا أتوا في دارهمْ وإذا لقيتَ بنا رأيتَ أسودا
اللابسينَ لكلِّ يومِ حفيظةٍ حلقاً تداخلَ سكهُ مسودا
سائلْ ذوي يمنٍ وسائلهمْ بنا في الأزدِ إذْ ندبوا لنا مسعودا
فأتاهمُ سبعونَ ألفَ مدججٍ متلبسينَ يلامقاً وحديدا
قومٌ ترى صدأ الحديدِ عليهمِ والقبطريَّ منَ اليلامقِ سودا
أمسى الفرزدقُ يا نوارُ كأنهُ قردٌ يحثُّ على الزناءِ قرودا
ما كانَ يشهدُ في المجامعِ مشهداً فيهِ صلاةُ ذوي التقى مشهودا
ولقدْ تركتكَ يا فرزدقُ خاسئاً لما كبوتَ لدى الرهانِ لهيدا
إنا لنذكرُ ما يقالُ ضحى غدٍ عندَ الحفاظِ ونقتلُ الصنديدا
ونكرُّ محميةٌ ويمنعُ سرحنا جردٌ ترى لقيادها أخدودا
نبني على سننِ العدوِّ بيوتنا لا نستجيرُ ولا نحلُّ حريدا
منا فوارسُ منعجٍ وفوارسٌ شدوا وثاقَ الحوفزانِ بأودا
ولربَّ جبارٍ قصرنا عنوةٌ ملكٍ يجرُّ سلاسلاً وقيودا
ومنازلِ الهرماسِ تحتَ لوائهِ بحشاهُ معتدلَ القناةِ شديدا
ولقدْ جنبنا الخيلَ وهي شوازبٌ متسربلينَ مضاعفاً مسرودا
وردَ القطا زمراً تباري منعجاً أوْ منْ خوارجَ حائراً موورودا
ولقدْ عركنَ بآلِ كعبٍ عركةً بلوى جرادَ فلمْ يدعنَ عميدا

إلاَّ قتيلاً قدْ سلبناه بزهُ　　تقعُ النسورُ عليهِ أوْ مصفودا

وأبرنَ منَ بكرٍ قبائلَ جمةً　　ومنَ الأراقمِ قدْ أبرنَ جدودا

وبني أبي بكرٍ وطئنَ وجعفراً　　وبني الوحيدِ فما تركنَ وحيدا

ولقدْ جريتَ فجئتُ أولَ سابقٍ　　عندَ المواطنِ مبدئاً ومعيدا

وجهدتَ جهدكَ يا فرزدقُ كلهُ　　فنزعتَ لا ظفراً ولا محمودا

إنا وإنْ رغمتْ أنوفُ مجاشعٍ　　خيرٌ فوارسَ منهمُ ووفودا

نسري إذا سرتِ البحورُ وشبهتْ　　بقراً بقلةِ عالجٍ مطرودا

قبحَ الإلهُ مجاشعاً وقراهمْ　　والموجفاتِ إذا نزلنَ زرودا

الفرزدق

وقال الفرزدق، واسمه همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد ابن سفيان بن مجاشع بن دارم، يجيب جريراً، رواية أبي عبيدة عن أعين بن لبطة ابن الفرزدق:

لا قومَ أكرمِ منْ تميمٍ إذْ غدتْ　　عوذُ النساءِ يسقنَ كالآجالِ

الضاربونَ إذا الكتيبةُ أحجمتْ　　والنازلونَ غداةَ كلِّ نزالِ

والضامنونَ على المنيةِ جارهمْ　　والمطعمونَ غداةَ كلِّ شمالِ

أبني غدانةَ إنني حررتكمْ　　فوهبتكمْ لعطيةَ بنِ جعالِ

فوهبتكمْ لأحقكمْ بقديمكمْ　　قدماً وأفعلهِ لكلِّ نوالِ

لولا عطيةُ لاجتدعتُ أنوفكمْ　　منْ بينِ ألأمِ أعينٍ وسبالِ

إني كذاكَ إذا هجرتُ قبيلةً　　جدعتهمْ بعوارمِ الأمثالِ

أبنو كليبٍ مثلُ آلِ مجاشعٍ　　أمْ هلْ أبوكَ مدعدعاً كعقالِ

دعدعْ بأعنقكَ التوائمِ إنني　　في باذخٍ يا بنَ المراغةِ عالِ

وابنُ المراغةِ قدْ تحولَ راهباً　　متبرنساً لتمسكنٍ وسؤالِ

ومكبلٍ تركَ الحديدُ بساقهِ　　أثراً منَ الرسفانِ في الأحجالِ

وفدتْ عليهِ شيوخُ آلِ مجاشعٍ　　منهمْ بكلِّ مسامحٍ مفضالِ

ففدوهُ لا لثوابهِ ولقدْ ترى　　بيمينهِ ندباً منَ الأغلالِ

ما كانَ يلبسُ تاجَ آلِ مجاشعٍ إلاَّ همُ ومقاولُ الأقيالِ
كانتْ منادمةُ الملوكِ وتاجهمْ لمجاشعٍ وسلافةُ الجريالِ
ولئنْ سألتَ بني سليمٍ أينا أدنى لكلِّ أرومةٍ وفعالِ
لينبئنكَ رهطُ معنٍ فأتهمْ بالعلمِ والأتقونَ منْ سمالِ
إنَّ السماءَ لنا عليكَ نجومها والشمسَ مشرقةً وكلَّ هلالِ

ولنا معاقلُ كلِّ أعيطَ باذخٍ صعبٍ وكلُّ مباءةٍ محلالِ
إنَّ ابنَ أختِ بني كليبٍ خالهُ يومَ التفاضلِ ألأمُ الأخوالِ
بعلُ الغريبةِ منْ كليبٍ ممسكٌ منها بلا حسبٍ ولا بجمالِ
سودُ المحاجرِ سيئٌ لباتها منْ لؤمهنَّ ينكنَ غيرَ حلالِ
ككلابِ أعبدِ ثلةٍ تبعتهمُ حملتْ أجنتها بشرِّ فحالِ
يعوينَ مختلطَ الظلامِ كما عوتْ خلفَ البيوتِ كلابها لعضالِ
يرفعنَ أرجلهنَّ عنْ مفروكةٍ مقِّ الرفوغِ رحيبةِ الأجوالِ
تلقى الأيورَ بظهورهنَّ كأنها عصبُ الفراسنِ أوْ أيورُ بغالِ
يسلحنَ أنتنَ ما أكلنَ عليهمِ لما وجدنَ حرارةَ الإنزالِ
إني وجدتُ بني كليبٍ إنما خلقوا وأمكَ مذْ ثلاثُ ليالِ
يرويهمُ الثمدُ الذي لوْ حلهُ جرذانِ ما رواهما ببلالِ
لا ينعمونَ فيستثيبوا نعمةً لهمُ ولا يجزونَ بالإفضالِ
يتراهنونَ على جيادِ حميرهمْ منْ عانةِ الغذوانِ والصلصالِ
وكأنما مسحوا بوجهِ حمارهمْ ذي الرقمتينِ جبينَ ذي العقالِ
ومهورُ نسوتهمْ إذا ما أنكحوا غذويُّ كلِّ هبنقعٍ تنبالِ
يتبعنهمْ سلفاً على حمراتهمْ أعداءَ بطنِ شعيبةِ الأوشالِ
ويظلُّ منْ وهجِ الهجيرةِ عائذاً بالظلِّ حيثُ يزولُ كلَّ مزالِ
وحسبتَ حربي وهي تخطرُ بالقنا حلبَ الحمارةِ يا بنَ أمِّ رغالِ

كلاَّ وحيثُ مسحتُ أيمنَ بيتهِ وسعيتُ أشعثَ محرماً بحلالِ

تغلو جداءُ بني كليبٍ فيهمِ ودماؤهمْ وأبيكَ غيرُ غوالي

تبكي المراغةُ بالرغامِ على ابنها والناهقاتُ ينحنَ بالأعوالِ

سوقي النواهقَ مأتماً يبكينهُ وتعرضي لمصاعدِ القفالِ

سرباً مدامعها تنوحُ على ابنها بالرملِ قاعدةً على جلالِ

قالوا لها ائتجري جريراً إنهُ أودى الهزبرُ بهِ أبو الأشبالِ

ألقى عليهِ يديهِ ذو قوميةٍ وردٌ يدقُّ مجامعَ الأوصالَ

قدْ كنتُ لوْ نفعَ النذيرُ نهيتهُ أنْ لا يكونَ فريسةَ الرئبالِ

إني رأيتكَ إذْ أبقتَ فلمَ تنلْ خيرتَ نفسكَ منْ ثلاثِ خصالِ

بينَ الرجوعِ إليَّ وهيَ قطيعةٌ في فيكَ مدنيةٌ منَ الآجالِ

أوْ بينَ حيٍّ أبي نعامةَ هارباً أوْ باللحاقِ بطيئِ الأجبالِ

ولقدْ هممتَ بقتلِ نفسكَ خالياً أوْ بالفرارِ إلى سفينِ أوالِ

فالآنَ يا ركبَ الجداءِ هجوتكمْ بهجائكمْ ومحاسبِ الأعمالِ

فأسألْ فإنكَ منْ كليبٍ والتمسْ بالعسكرينِ بقيةَ الأظلالِ

إنا لتوزنُ بالجبالِ حلومنا ويزيدُ جاهلنا على الجهالِ

فاجمعْ مساعيكَ القصارَ فوافني بعكاظَ يا بنَ مربقِ الأجمالِ

واسألْ بقومكَ ما جريرُ ودارمٌ ما ضمَّ بطنُ منىً منَ النزالِ

تجدِ المكارمَ والعديدَ كليهما في دارمٍ ورغائبَ الآكالِ

وإذا عددتَ بني كليبٍ لمْ تجدْ حسباً لهمْ يوفي بشسعِ قبالِ

لا يمنعونَ لهمْ خدامَ حليلةٍ بمهابةٍ منهمْ ولا بقتالِ

أجريرُ إنَّ أباكَ إذْ أتعبتهُ قصرتْ يداهُ ومدَّ شرَّ حبالِ

إنَّ الحجارةَ لوْ تكلمُ خبرتْ عنكمْ بألأمِ دقةٍ وسفالِ

هلْ تعلمونَ غداةَ يطردُ سبيكمْ بالسفحِ بينَ مليحةٍ وطحالِ

والحوفزانُ مسومٌ أفراسهُ والمحصناتُ يجلنَ كلَّ مجالِ

يحدرنَ منْ أملِ الكئيبِ عشيةً رقصَ اللقاحِ وهنَّ غيرُ أوالِ
حتى تداركها فوارسُ مالكٍ ركضاً بكلِّ طوالةٍ وطوالِ
لما عرفنَ وجوهنا وتحدرتْ عبراتُ أعينهنَّ بالإسبالِ
وذكرنَ منْ خفرِ الحياءِ بقيةً بقيتْ وكنَّ قبيلُ في أشغالِ
وأرينَ أسؤقهنَّ حينَ عرفننا ثقةً وكنَّ روافعَ الأذيالِ
بفوارسٍ لحقوا أبوهمْ دارمٌ بيضُ الوجوهِ على العدوِّ ثقالِ
كنا إذا نزلتْ بأرضكَ حيةٌ صماءُ تخرجُ منْ صدوعِ جبالِ

تخشى بوادرها شدخنا رأسها بمشدخاتٍ للرؤوسِ عوالِ
إنا لننزلُ ثغرَ كلِّ مخوفةٍ بالمقرباتِ كأنهنَّ سعالِ
قوداً ضوامرَ في الركوبِ كأنها عقبانُ يومِ تغيمٍ وطلالِ
شعثاً عوابسَ قدْ طوى أقرابها كرُّ الطرادِ لواحقَ الآطالِ
بأولاكَ تمنعُ أنْ تنفقَ بعدما قصعتَ بينَ حزونةٍ ورمالِ
وبهنَّ ندفعُ كربَ كلِّ مثوبٍ وترى لها جدداً بكلِّ مجالِ
إني بنى لي دارمٌ عاديةً في المجدِ ليسَ أرومها بمزالِ
وأبي الذي وردَ الكلابَ مسوماً بالخيلِ تحتَ عجاجها المنهالِ
قلقلاً قلائدها تساقُ إلى العدى رجعَ الغذيِّ كثيرةَ الأنفالِ
فكأنهنَّ إذا فزعنَ لصارخٍ وخرجنَ بينَ سوافلٍ وعوالِ
وهززنَ منْ فزعٍ أسنةَ صلبٍ كجذوعِ خيبرَ أوْ جذوعِ أوالِ
طيرٌ يبادرُ رائحاً ذا غبيةٍ برداً وتسحقهُ خريقُ شمالِ
علقتْ أعنتهنَّ في مجرومةٍ سحقٍ مشذبةِ الجذوعِ طوالِ
تغشى مكللةً عوابسها بنا يومَ اللقاءِ أسنةَ الأبطالِ
ترعى الزعانفُ حولنا لقيادها وغدوهنَّ مروحُ التشلالِ
يومَ الشعيبةِ يومَ أقدم عامرٌ إقدامَ مشعلةِ الركوبِ رعالِ

وترى لواحيها يثوبُ لحاقها ... وردَ الحمامِ حوائرَ الأوشالِ

شعثاً قدِ انتزعَ القيادُ بطونها ... منْ آلِ أعوجَ ضمرٍ وفحالِ

شمٍّ السنابكِ مشرفٌ أقتادها ... وإذا انتضينَ غداةَ كلِّ صقالِ

في جحفلٍ لجبٍ كأنَّ زهاءهُ ... جبلُ الطراةِ مضعضعُ الأميالِ

يعذمنَ وهي مصرةٌ آذانها ... قصراتِ كلِّ نجيبةٍ شملالِ

وترى عطيةَ والأتانُ أمامه ... عجلاً يمرُّ بها على الأمثالِ

ويظلُّ يتبعهنَّ وهوَ مقرمدٌ ... منْ خلفهنَّ كأنهُ بشكالِ

تبعَ الحمارَ مكلماً فأصابهُ ... منْ خلفه بنهيقهِ بنكالِ

وترى على كتفيْ عطيةَ مائلاً ... أرباقهُ عدلتْ لهُ بسخالِ

يمشي بها حلماً يعارضُ ثلةً ... قبحاً لتلكَ عطيَّ منْ أعدالِ

نظروا إليَّ بأعينٍ ملعونةٍ ... نظرَ الرجالِ وما همُ برجالِ

إنَّ المكارمَ يا كليبُ لغيركمْ ... والخيلُ يومَ تنازلِ الأبطالِ

وقال الفرزدق لجرير:

يا بنَ المراغةِ إنما جاريتني ... بمسبقينَ لدى الفعالِ قصارِ

والحابسينَ إلى العشيّ ليشربوا ... نزحَ الركيِّ ودمنةَ الأسآرِ

يا بنَ المراغةِ كيفَ تطلبُ دارماً ... وأبوكَ بينَ حمارةٍ وحمارِ

وإذا كلابُ بني المراغةِ ربضتْ ... خطرتْ ورائي دارمي وجماري

ما أنتمُ متقلدي أرباقكمْ ... بفوارسِ الهيجا ولا الأيسارِ

مثلُ الكلابِ تبولُ فوقَ أنوفها ... يلحسنَ قاطرهنّ بالأسحارِ

لنْ تدركوا كرمي بلؤمِ أبيكمُ ... وأوابدي بتنحلِ الأشعارِ

هلاَّ غداةَ حسبتمُ أعياركمْ ... بجدودَ والخيلانِ في إعصارِ

والحوفزانُ مسومٌ أفراسهُ ... والمحصناتُ حواسرُ الأبكارِ

يدعونَ زيدَ مناةَ إذْ وليتمُ ... لا يتقونَ على قفاً بخمارِ

صبرتْ بنو سعدٍ لهمْ برماحهمْ ... وكشفتمُ لهمُ عنِ الأدبارِ

فلنحنُ أوثقُ في صدورِ نسائكمْ ... عندَ الطعانِ وقبةِ الجبارِ

منكمْ إذا لحقَ الركوبُ كأنها ... حزقُ الجرادِ يثورُ يومَ غبارِ

بالمردفاتِ إذا التقينَ عشيةً ... يبكينَ خلفَ أواخرِ الأكوارِ

فاسألْ هوازنَ إنَّ عندَ سراتهمْ ... علماً ومجتمعاً منَ الأخبارِ

فلنخبرنكَ أنَّ عزةَ دارمٍ ... سبقتكَ يا بنَ مسوقِ الأعيارِ

كيفَ التعذرُ بعدَ ما ذمرتمُ ... سقباً لمعضلةِ النتاجِ نوارِ

قبحَ الإلهُ بني كليبٍ إنهمْ ... لا يعذرونَ ولا يفونَ لجارِ

يستيقظونَ إلى نهاقِ حميرهمْ ... وتنامُ أعينهمْ عنِ الأوتارِ

يا حقَّ كلُّ بني كليبٍ فوقهُ ... لؤمٌ تسربلهُ إلى الأظفارِ

متبرقعي لؤمٍ كأنَّ وجوههمْ ... طليتْ حواجبها عنيةَ قارِ

كمْ منْ أبٍ لي يا جريرُ كأنهُ ... قمرُ المجرةِ أوْ سراجُ نهارِ

ورثَ المكارمَ كابراً عنْ كابرٍ ... ضخمِ الدسيعةِ يومَ كلِّ فخارِ

تلقى فوارسنا إذا أربقتمُ ... متلببينَ لكلِّ يومِ غوارِ

ولقدْ تركتُ بني كليبٍ كلهمْ ... صمَّ الرؤوسِ مفقئي الأبصارِ

ولقدْ ضللتَ أباكَ تطلبُ دارماً ... كضلالِ ملتمسٍ طريقَ وبارِ

لا يهتدي أبداً ولوْ بعثتْ لهُ ... بسبيلِ واردةٍ ولا آثارِ

قالوا عليكَ الشمسَ فاعمدْ نحوها ... والشمسُ نائيةٌ عنِ السفارِ

لما تسكعَ في الرمالِ هدتْ لهُ ... عرفاءُ هاديةٌ بكلِّ وجارِ

كالسامريِّ يقولُ إنْ حركتهُ ... دعني فليسَ عليَّ غيرُ إزارِ

لولا لساني حيثُ كنتُ رفعتهُ ... لرميتُ فاقرةً أبا سيارِ

بينَ الحواجبِ والعيونِ كأنها ... نارٌ تلوحُ على شفيرِ قتارِ

إنَّ البكارةَ لا ترى لصغارها ... بزحامِ أصيدَ رأسهُ هدارِ

قرمٌ إذا سمعَ القرومُ هديرهُ ... ولينهُ ورمينَ بالأبعارِ

كمْ عمةٍ لكَ يا جريرُ وخالةٍ فدعاءَ قدْ حلبتْ عليَّ عشارِ
كنا نحاذرُ أنْ تضيعَ لقاحنا ولهاً إذا سمعتْ دعاءَ يسارِ
شغارةٌ تقذُ الفصيلَ برجلها فطارةٌ لقوادمِ الأبكارِ
كانتْ تراوحُ عاتقيها علبةً خلفَ اللقاحِ سريعةَ الإدرارِ

وقال الفرزدق في قتل مسلم بن قتيبة بن مسلم بن عمرو بن الحصين بن ربيعة ابن خالد بن أسيد بن كعب بن قضاعي بن هلال بن عمرو بن سلامان بن ثعلبة بن وائل بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر، وقتله وكيع بن حسان بن قيس بن أبي سود بن كليب بن عوف بن مالك بن غدانة بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، ويمدح سليمان بن عبد الملك ويهجو جريراً:

تحنُّ بزوراءِ المدينةِ ناقتي حنينَ عجولٍ تبتغي البوَّ رائمِ
فيا ليتَ زوراءَ المدينةِ أصبحتْ بزوراءِ فلجٍ أوْ بسيفِ الكواظمِ
وكمْ نامَ عني بالمدينةِ لمْ يبلْ إليَّ اطلاعَ النفسِ فوقَ الحيازمِ
إذا جشأتْ نفسي أقولُ لها ارجعي وراءكِ واستحيي بياضَ اللهازمِ
فإنَّ التي ضرتكَ لوْ ذقتَ طعمها عليكَ منَ الأعباءِ يومَ التخاصمِ
فلستَ بمأخوذٍ بقولٍ تقولهُ إذا لمْ تعمدْ عاقداتِ العزائمِ
ولما أبوا إلاَّ الرواحَ وأعلقوا عرىً في برىً مخشوشةٍ بالخزائمِ
وراحوا بجسماني وأمسكَ قلبهُ حشاشتهُ بينَ المصلى وواقمِ
أقولُ لمغلوبٍ أماتَ عظامهُ تعاقبُ أدراجِ النجومِ العواتمِ
إذا إذا نحنُ نادينا أبى أنْ يجيبنا وإنْ نحنُ فديناهُ غيرَ الغماغمِ
سيدنيكَ منْ خيرِ البريةِ فاعتدلْ تناقلُ نصِّ اليعملاتِ الرواسمِ
إلى المؤمنِ الفكاكِ كلَّ مقيدٍ يداهُ وملقي الثقلَ عنْ كلِّ غارمِ
بكفينِ بيضاوينِ في راحتيهما حيا كلِّ شيءٍ بالغيوثِ السواجمِ
بخيرِ ندى منْ كانَ بعدَ محمدٍ وجاريهِ والمظلومِ للهِ صائمِ
فلما حبا وادي القرى منْ ورائنا وأشرفنَ أقتارَ الفجاجِ القواتمِ
لوى كلُّ مشتاقٍ منَ الركبِ رأسهُ بمغرورقاتٍ كالشنانِ الهزائمِ

وأيقنَّ أنا إنْ رددنا صدورها ولما تواجهها جبالُ الجراجمِ
أكنتمْ ظننتمْ رحلتي تنثني بكمْ ولمْ ينقضِ الإدلاجُ طيَّ العمائمِ
وماءٍ كأنَّ الدمنَ فوقَ جمامهِ عباءٌ كستهُ منْ فروجِ المخارمِ
رياحٌ على أعطانهِ حيثُ تلتقي عفا وخلا منَ عهدهِ المتقادمِ
وردتُ وأعجازُ النجومِ كأنها وقدْ غارَ تاليها هجائنُ هاجمِ
بغيدٍ وأطلاحٍ كأنَّ عيونها نطافٌ أظلتها قلاتُ الجماجمِ
كأنَّ رحالَ الميسِ ضمتْ حبالها قناطرَ طيِّ الجندلِ المتلاحمِ
إليكَ وليَّ العهدِ لاقى غروضها وأخفافها إدراجها بالمناسمِ
نواهضُ يحملنَ الهمومَ التي جفتْ بنا عنْ حشايا المحصناتِ الكرائمِ
ليبلغنَ ملءَ الأرضِ عدلاً ورحمةً وبرءاً لآثارِ الجروحِ الكواتمِ
كما بعثَ اللهُ النبيَّ محمدا على فترةٍ والناسُ مثلُ البهائمِ

ورثتمْ قناةَ الملكِ غيرَ كلالةٍ عنْ ابنيْ منافٍ عبدِ شمسٍ وهاشمِ
ترى التاجَ معقوداً عليهمْ كأنهمْ نجومٌ حواليْ بدرِ ملكٍ قماقمِ
عجبتُ منَ الجحادِ أيَّ إمارةٍ أرادَ لأنَّ يزدادها والدراهم
وكانَ على ما بينَ عمانَ واقفاً إلى الصينِ قدْ التقوا لهُ بالخزائمِ
فلما عتا الجحادُ حين طغى بهِ غنىً قالَ إني مرتقٍ بالسلالمِ
فكانَ كما قالَ ابنُ نوحٍ سأرتقي إلى جبلٍ منْ خشيةِ الماءِ عاصمِ
رمى الله في جثمانهِ مثلَ ما رمى عنِ القبلةِ البيضاءِ ذاتِ المحارمِ
جنوداً تسوقُ الفيلَ حتى أعادهمْ هباءً وكانوا مطرخميّ الطراخمِ
نصرتَ كنصرِ البيتِ إذْ ساقَ فيلهُ إليهِ حشودُ المشركينَ الأعاجمِ
وما نصرَ الحجاجُ إلاَّ بغيرهِ إذا كلُّ يومٍ مستحرِّ الملاحمِ
بقومٍ أبو العاصي أبوهمْ توارثوا خلافةَ مهديٍّ وخيرِ الخواتمِ
وما ردَّ مذْ خطَّ الصحيفةَ ناكثاً كلاماً ولا نامتْ لهُ عينُ نائمِ

ولا رجعوا حتى رأى في شماله — كتاباً لمغلولٍ إلى النارِ نادمِ

أتاني ورحلي في المدينةِ وقعةٌ — لآلِ تميمٍ أقعدتْ كلَّ قائمِ

كأنَّ رؤوسَ القومِ إذْ سمعوا بها — مدمغةٌ منْ هازماتٍ أمائمِ

فدىً لسيوفٍ منْ تميمٍ وقى بها — ردائي وجلتْ عنْ وجوهِ الأهاتمِ

شفينَ حزازاتِ النفوسِ ولمْ تدعْ — علينا مقالا في وفاءٍ للائمِ

أبأنا بهمْ قتلى وما في دمائهمْ — بواءٌ وهنَّ الشافياتُ الحوائمِ

جزى الله قومي إذْ أرادوا خفارتي — قتيبةُ سعيَ الأفضلينَ الأكارمِ

همُ سمعوا يومَ المحصبِ منْ منىً — ندائيْ إذا التفتْ رفاقُ المواسمِ

وهمْ طلبوها بالسيوفِ وبالقنا — وجردٍ شجٍ أفواهها بالشكائمِ

تقادُ وما ردتْ إذا ما توهستْ — إلى البأسِ بالمستلئمينَ الضراغمِ

كأنكَ لمْ تسمعْ تميماً إذا دعتْ — تميمٌ ولمْ تسمعْ بموتِ ابنِ خازمِ

وقبلكَ عجلنا ابنَ عجلى حمامهُ — بأسيافنا تصدعنَ هامَ الجماجمِ

وما لقيتْ قيسُ بنْ عيلانَ وقعةً — ولا حرَّ يومٍ مثلَ يومِ الأراقمِ

عشيةَ لاقى ابنُ الحبابِ حسابهُ — بسنجارَ أنضاءَ السيوفِ الصوارمِ

نبحتَ لقيسٍ نبحةً لمْ تدعْ لها — أنوفا ومرتْ طيرها بالأشائمِ

ندمتَ على العصيانِ لما رأيتنا — كأنا ذرى الأطوادِ ذاتِ المخارمِ

على طاعةٍ لوْ أنَّ أجبالَ طيئٍ — عمدنَ لها والهضبَ هضبَ التهائمِ

لينقلها لوْ يستطعنَ الذي رسا — لها عندَ عالٍ فوقَ سبعينَ دائمِ

وألقيتَ منَ كفيكَ حبلَ جماعةٍ — وطاعةَ مهديٍّ شديدِ النقائمِ

فإنْ تكُ قيسٌ في قتيبةَ أغضبتْ — فلا عطستْ إلاَّ بأجدعَ راغمِ

وهلْ كانَ إلاَّ باهلياً مجدعاً — طغى فسقيناهُ بكأسِ ابنِ خازمِ

لقدْ شهدتْ قيسٌ فما كانَ نصرها — قتيبةَ إلاَّ عضها بالأباهمِ

فإنْ تقعدوا تقعدْ لئامٌ أذلةٌ — وإنْ عدتمُ عدنا بأبيضَ صارمِ

أتغضبُ إنْ أذنا قتيبةَ حزتا — جهاراً ولمْ تغضبْ لقتلِ ابنِ خازمِ

فما منهما إلاَّ بعثنا برأسهِ — إلى الشأمِ فوقَ الشاحجاتِ الرواسمِ
تذبذبُ في المخلاةِ تحتَ بطونها — محذفةَ الأذنابِ جلحَ المقادمِ
ستعلمُ أيُّ الواديينِ لهُ الثرى — قديماً وأولى بالبحورِ الخضارمِ
فما بينَ منْ لمْ يعطِ سمعاً وطاعةً — وبينَ تميمٍ غيرُ حزِّ الحلاقمِ
وكانا لهمْ يومينِ كانا عليهمُ — كأيامِ عادٍ بالنحوسِ الأشائمِ
ويومٍ لهمْ منا بفرغانةَ التقتْ — عليهمْ ذرى حوماتِ بحرٍ قماقمِ
تخلى عنِ الدنيا قتيبةُ إذْ رأى — تميماً عليها البيضُ تحتَ العمائمِ
غداةَ اضمحلتْ قيسُ عيلانَ إذْ دعا — كما يضمحلُّ الآلُ فوقَ المخارمِ
لتمنعهُ قيسٌ ولا قيسَ عندهُ — إذا ما دعا أوْ يرتقي في السلالمِ
تحركُ قيسٌ في رؤوسٍ لئيمةٍ — أنوفاً وآذاناً لئامَ المصالمِ

ولما رأينا المشركينَ يقودهمْ — قتيبةُ زحفاً في جنودِ الزمازمِ
ضربنا بسيفٍ في يمينكَ لمْ تدعْ — بهِ دونَ بابِ الصينِ عيناً لظالمِ
بهِ ضربَ اللهُ الذينَ تحزبوا — ببدرٍ على أعناقهمْ بالمعاصمِ
وإنَّ تميماً لمْ تكنْ أمهُ ابتغتْ — لهُ صحةً في مهدهِ بالتمائمِ
تأزرَ بينَ القابلاتِ لأمهِ — رمينَ بعادٍ منْ شبولِ الضراغمِ
وضبةُ أخوالي همُ الهامةُ التي — بها مضرٌ دماغةٌ للجماجمِ
إذا هي ماستْ في الحديدِ وأعلمتْ — تميمٌ وجاشتْ بالبحورِ الخضارمِ
فما الناسُ في جميعهمُ غيرُ حشوةٍ — إذا خمدَ الأصواتُ غيرَ الغماغمِ
كذبتُ ابنَ دمنِ الأرضِ وابنَ مراغها — لآلُ تميمٍ بالسيوفِ الصوارمِ
جلوا حمماً فوقَ الوجوهِ وأنزلوا — بعيلانَ أياماً عظامَ الملاحمِ
تعيرنا أيامَ قيسٍ ولمْ ندعْ — لعيلانَ أنفاً مستقيمَ الخياشمِ
فما أنتَ منْ قيسٍ فتنبحَ دونها — ولا منْ تميمٍ في الرؤوسِ الأعاظمِ
وإنكَ إذْ تهجو تميماً وترتشي — بنا بينَ قيسٍ أوْ سحوقِ العمائمِ

كمهريقِ ماءٍ بالفلاةِ وغرهُ سرابٌ أثارتهُ رياحُ السمائمِ

لعمري لئنْ قيسٌ أمصتْ أيورها جريراً فأعطتهُ زيوفَ الدراهمِ

لكمْ طلقتْ منْ قيسِ عيلانَ منْ حرٍ وقدْ كانَ قبقاباً رماحُ الأراقمِ

فمنهنَّ عرسُ ابنُ الحبابِ الذي ارتمتْ بأوصالهِ عرجُ الضباعِ القشاعمِ

بكلِّ النصارى مبركينَ بناتهمْ على ركبٍ مقِّ الفروغِ الخلاجمِ

إذا غابَ نصرانيهُ في جنينها أهلتْ بحجٍّ فوقَ ظهرِ العجارمِ

وهلْ يا بنَ ثفرِ الكلبِ مثلُ سيوفنا سيوفٌ ولا فيضُ العديدِ القماقمِ

فلوْ كنتَ منهمْ لمْ تعبْ مدحتي لهمْ ولكنْ حمارٌ وشيهُ بالقوائمِ

منعتُ تميماً منكَ إني أنا ابنها ووافدها المعروفُ عندَ المواسمِ

أنا ابنُ تميمٍ والمحامي وراءها إذا أسلمَ الجاني ذمارَ المحارمِ

إذا ما وجوهٌ سالتْ وجوهها منْ العرقِ المعبوطِ تحتَ العمائمِ

إلى منْ إذا قيلَ منْ نأنتَ معتزٍ إذا قيلَ ممنْ قومُ هذا المراجمِ

أدرسانُ قيسٍ لا أبا لكَ تشتري بأعراضِ قومٍ همْ بناةُ المكارمِ

وما علمَ الأقوامُ مثلَ أسيرنا أسيراً ولا أجداثنا بالكواظمِ

إذا عجزَ الأقوامُ أنْ يحقنوا دماً أناخَ إلى أجداثنا كلُّ غارمِ

ترى كلَّ مظلومٍ إلينا فرارهُ ويهربُ منا جهدهُ كلُّ ظالمِ

أبتْ عامرٌ أنْ يأخذوا بأسيرهمْ مئينَ من الأسرى لهمْ عندَ دارمِ

وقالوا لنا زيدٌ عليهمْ فإنهمْ لفاءُ وإنْ كانوا ثغامَ اللهازمِ

رأوا حاجباً أغلى فداءً وقومهُ أحقُّ بأيامِ العلى والمكارمِ

فلا نقتلُ الأسرى ولكنْ نفكهمْ إذا أثقلَ الأعناقِ حملُ المغارمِ

فهلْ ضربةُ الروميِّ جاعلةٌ لكمْ أباً عنْ كليبٍ أو أباً مثلَ دارمِ

ويومَ جعلنا الظلَّ منهُ لعامرٍ مصممةً تفأى شؤونَ الجماجمِ

فمنهنَّ يومٌ للبريكينِ إذْ ترى بنو عامرٍ أنْ غانمٌ كلُّ سالمِ

ومنهنَّ إذْ أرخى طفيلُ بنُ مالكٍ على قرزلٍ رجلي ركوضِ الهزائمِ

ونحنُ ضربنا منْ شتيرِ بنِ خالدٍ ... على حيثُ تستسقيهِ أمُّ الجماجمِ
ويومَ ابنِ ذي سيدانَ إذْ فوزتْ بهِ ... إلى الموتِ أعجازُ الرماحِ الغواشمِ
ونحنُ ضربنا هامةَ ابنِ خويلدٍ ... يزيدَ على أمِّ الفراخِ الجواثمِ
ونحنُ قتلنا ابني هتيمٍ وأدركتْ ... بحيراً بنا ركضُ الذكورِ الصلادمِ
ونحنُ قسمنا منْ قدامةَ رأسهُ ... بصدعٍ على يافوخهِ متفاقمِ
وعمراً أخا عوفٍ تركنا بملتقىً ... منَ الخيلِ في سامٍ منَ النقعِ قاتمِ
ونحنُ تركنا منْ هلالَ بنِ عامرٍ ... ثمانينَ كهلاً للنسورِ القشاعمِ
بدهنا تميمٍ حيثُ سدتْ عليهمُ ... بمعتركٍ منْ رملها المتراكمِ
ونحنُ سقينا منْ مصادٍ رماحنا ... وكنَّ إذا أسقينَ غيرَ حوائمِ

ردينيةً صمَّ الكعوبِ كأنها ... مصابيحُ في تركيبها المتلاحمِ
ونحنُ جدعنا أنفَ عيلانَ بالقنا ... وبالراسباتِ البيضِ ذاتِ القوائمِ
ولوْ أنَّ قيساً قيسَ عيلانَ أصبحتْ ... بمستنِّ أبوابِ الربابِ ودارمِ
لكانوا كأقذاءٍ طفتْ في غطامطٍ ... منَ البحرِ في آذيها المتلاطمِ
ألسنا أحقَّ الناسِ يومَ تقايسوا ... إلى المجدِ والمستأثراتِ الجسائمِ
ملوكاً إذا طمتْ عليكَ بحورها ... تطحطحتَ في آذيها المتصادمِ
إذا ما وزنا بالجبالِ رأيتنا ... نميلُ بأطوادِ الجبالِ الأضاخمِ
ترانا إذا صعدتَ طرفكَ مشرفاً ... عليكَ بأطوادٍ طوالِ المخارمِ
ولو سئلتْ منْ كفؤنا الشمسُ أوْمأتْ ... إلى ابنيْ منافٍ عبدِ شمسٍ وهاشمِ
وكيفَ تلاقي دارماً حيثُ تلتقي ... ذراها إلى سقفِ النجومِ التوائمِ
لقدْ تركتْ قيساً ظباتُ سيوفنا ... وأيدٍ بأعجازِ الرماحِ الغواشمِ
وقائعَ أيامٍ أرينَ نساءهمْ ... نهاراً صغيراتِ النجومِ العوائمِ
بذي نجبٍ يومٌ لقيسٍ شديدةٌ ... كثيرَ اليتامى في ظلالِ المآتمِ
ونحنُ تركنا بالدفينةِ حاضراً ... لآلِ سليمٍ هامهمْ غيرُ نائمِ

حلفتُ بربِّ الراقصاتِ إلى منىً ... يقينَ حوامي دامياتِ المناسمِ

عليهنَّ شعثٌ ما اتقوا منْ وديقةٍ ... إذا ما التظتْ شهباؤها بالعمائمِ

لتحتلبنْ قيسُ بنُ عيلانَ لقحةً ... صرى ثرةٍ أخلافها غيرُ رائمِ

لعمري لئنْ لامتْ هوازنُ أمرها ... لقدْ أصبحتْ حلتْ بدارِ الملاومِ

ولولا ارتفاعي منْ سليمٍ سقيتها ... كئاسَ سمامٍ مرةٍ وعلاقمِ

فما أنتمُ منْ قيسِ عيلانَ في الذرى ... ولا منْ أثافيها العظامِ الجماجمِ

إذا حصلتْ قيسٌ فأنتمْ قليلها ... وأبعدها منْ صلبِ قيسٍ لعالمِ

وأنتمْ أذلُّ قيسِ بن عيلانَ حبوةً ... وأعجزها عندَ الأمورِ العوازمِ

وما كانَ هذا الناسُ حتى هداهمُ ... بنا اللهُ إلاَّ مثلَ شاءِ البهائمِ

فما منهمُ إلاَّ يقادُ بأنفهِ ... إلى ملكٍ منْ خندفٍ بالخزائمِ

عجبتُ إلى قيسٍ وما قدْ تكلفتْ ... منْ الشهوةِ الحمقاءِ ذاتِ النقائمِ

يلوذونَ مني بالمراغةِ وابنها ... وما منهما مني لقيسٍ بعاصمِ

ستخبرُ خصيا ابنِ الحبابِ ورأسهُ ... عميرٍ ما كانَ يومَ الأراقمِ

عشيةَ ألقوا في الخريطةِ رأسهُ ... وخصييهِ مشدوخاً سليبَ القوائمِ

تركنا أيورَ الباهليينَ منهمُ ... معلقةً تحتَ اللحى كالتمائمِ

وقال الفرزدق لجرير:

أنا ابنُ العاصمينَ بنو تميمٍ ... إذا ما أعظمُ الحدثانِ نابا

نماني كلُّ أصيدَ دارميٍّ ... أغرَّ ترى لقبتهِ حجابا

منَ المستأذنينَ ترى معداً ... جنوحاً خاضعينَ لهُ الرقابا

ملوكاً يبتنونَ توارثوها ... سرادقها المقاولَ والقبابا

شيوخٌ منهمُ عدسُ بنُ زيدٍ ... وسفيانُ الذي وردَ الكلابا

نقودُ الخيلَ تركبُ منْ وجاها ... نواصيها وتغتصبُ النهابا

تفرعُ في ذرى عوفِ بنْ كعبٍ ... وتأبى دارمٌ لي أنْ أعابا

وضمرةُ والمخفرُ كانَ منهمْ ... وذو القوسِ الذي ركزَ الحرابا

يردونَ الحلومَ إلى جبالٍ ... وإنْ شاغبتهمْ وجدوا شغابا

أولاكَ وعيرِ أمكَ لوْ تراهمْ ... بعينكِ ما استطعتَ لهمْ خطابا

رأيتَ مهابةً وأسودَ غابٍ ... وتاجَ الملكِ يلتهبُ التهابا

بني شمسِ النهارِ وكلِّ بدرٍ ... إذا انجابتْ دجنتهُ انجيابا

وكيفَ تكلمُ الظربى عليها ... فراءُ اللؤمِ أرباباً غضابا

لنا حسبُ السماءِ على الثريا ... ونحنُ الأكثرونَ حصىً وعابا

ولستُ بنائلٍ قمرَ الثريا ... ولا جبلي الذي فرع الهضابا

أتطلبُ يا حمارَ بني كليبٍ ... بعانتكَ اللهاميمَ الرغابا

وتعدلُ دارماً ببني كليبٍ ... وتعدلُ بالمفقئةِ السبابا

فقبحَ شرُّ حيينا قديماً ... وأصغرنا إذا اغترفا ذنابا

ولمْ يرثِ الفوارسَ منْ عبيدٍ ... ولا شبثاً ورثتَ ولا شهابا

وطاحَ ابنُ المراغةِ حينَ مدتْ ... أعنتنا إلى الحسبِ النسابا

وأسلمهمْ وكانَ كأمِّ حلسٍ ... أقرتْ بعدَ نزوتها فغابا

ولما مدَّ بينَ بني كليبٍ ... وبيني غايةٌ كرهوا النصابا

رأوا أنا أحقُّ بآلِ سعدٍ ... وأنَّ لنا الحناظلَ والربابا

وإنَّ لنا بني عمرٍو وعليهمْ ... إذا عدوا منَ الأثرينَ بابا

ذبابٌ طارَ في لهواتِ ليثٍ ... كذاكَ الليثُ يلتهمُ الذبابا

هزبرٍ يرفتُ القصراتِ رفتاً ... أبى لعداتهِ إلاَّ اغتصابا

منَ اللائي إذا أرهبنَ زجراً ... دنونَ وزادهنَّ لهُ اقترابا

أتعدلُ حومتي ببني كليبٍ ... إذا بحتري رأيتَ لهُ اضطرابا

ترومُ لتركبَ الصعداءَ منهُ ... ولوْ لقمانُ ساورها لهابا

أتتْ منْ فوقهِ الغمراتُ منهُ ... بموجٍ كانَ يجتفلُ السحابا

تقاصرتِ الجبالُ لهُ وطمتْ ... بهِ غمراتُ آخرَ قدْ أنابا

بأيةِ زنمتيكَ تنالُ قومي إذا بحري رأيتَ لهُ عبابا
ترى أمواجهُ كجبالِ لبنى وطودِ الخيفِ إذْ بلغَ الجبابا
إذا جاشتْ ذراهُ بجنحِ ليلٍ حسبتَ عليهِ حراتٍ ولابا
محيطاً بالبلادِ لهُ ظلالٌ معَ الجرباءِ إذْ بلغَ الطبابا
فإنكَ منْ هجاءِ بني نميرٍ كأهلِ النارِ إذْ خافوا العقابا
رجوا منْ حرقها أنْ يستريحوا وقدْ كانَ الصديدُ لهمْ شرابا
فإنْ تكُ عامرٌ أثرتْ وطابتْ فما أثرى أبوكَ ولا أطابا
ولمْ ترثِ الفوارسَ منْ نميرٍ ولا كعباً ورثتَ ولا كلابا
ولكنْ قدْ ورثتَ بني كليبٍ حظائرها الخبيثةَ والزرابا
ومنْ يخبرْ هوازنَ ثمَّ يخبرْ نميراً يخترِ الحسبَ اللبابا
ويمسكُ منْ ذراها بالنواصي وخيرُ فوارسٍ علموا نصابا
همُ ضربوا الصنائعَ واستباحوا بمذحجَ يومَ ذي كلعٍ ضرابا
وإنكَ قدْ تركتَ بني كليبٍ لكلِّ مناضلٍ غرضاً مصابا
كليبٌ دمنةٌ خبثتْ وقلتْ أبى الآبي لها إلاَّ تبابا
فأغلقَ منْ وراءِ بني كليبٍ عطيةَ منْ مخازي اللؤمِ بابا
بهيم اللونِ أرضعَ بالمخازي وأورثكَ الملائمَ حينَ شابا
وهلْ شيءٌ يكونُ أذلَّ بيتاً منَ اليربوعِ يحتقرُ الترابا
لقدْ تركَ الهذيلُ لكمْ قديماً مخازيَ لا تبدنَ على إرابا
سما برجالِ تغلبَ منْ بعيدٍ يقودونَ المسومةَ العرابا
نزائعَ بينَ حلابٍ وقيدْ تجاذبهمْ أعنتها جذابا
وكانَ إذا أناخَ بدارِ قومٍ أبو حسانَ أورثها خرابا
فلمْ يبرحْ بها حتى احتواهمْ وحلَّ لهُ الشرابُ بها وطابا
عوانٌ في بني جشمِ بنِ بكرٍ تقسمهنَّ إذْ بلغَ الإيابا
وقالَ لكلِّ عضروطٍ تبوأ رديفةَ رحلكَ الوقبى الرحابا

نساءٌ كنَّ يومَ إرابَ خلتْ بعولتهنَّ تبتدرُ الشعابا

مددنَ إليهمِ بثديٍّ آمٍ وأيدٍ قدْ روينَ بها احتلابا

خواقُ حياضهنَّ يسيلُ سيلاً على الأعقابِ تحسبهُ خضابا

يناطحنَ الأواخرَ مردفاتٍ وتسمعُ منْ أسافلها ضغابا

لبئسَ اللاحقونَ غداةَ تدعى نساءُ الحيِّ ترتدفُ الركابا

وأنتمْ تنظرونَ إلى المطايا تشلُّ بهنَّ أعراءً سغابا

فلوْ كانتْ رماحكمُ طوالاً لغرتمْ حينَ ألقينَ الثيابا

يئسنَ منَ اللحاقِ بهنَّ منكمْ وقدْ قطعوا بهنَّ معاً جدابا

وكمْ منْ خائفٍ لي لمْ أضرهُ وآخرَ قدْ نفحتُ لهُ ذنابا

وغرٍّ قدْ وسقتُ مشهراتٍ طوالعَ لا تطيقُ لها جوابا

بلغنَ الشمسَ حيثَ تكونُ شرقاً ومسقطُ قرنها منْ حيثُ غابا

بكلِّ ثنيةٍ وبكلِّ ثغرٍ غرائبهنَّ تنتسبُ انتسابا

وخالي بالنقا تركَ ابنَ ليلى أبا الصهباءِ محتضراً لهابا

كفاكَ التبلَ تبلَ بني تميمٍ وأجزرهُ الثعالبَ والذئابا

تمت وهو آخر المختار من الثاني من النقائض وقال الفرزدق يهجو جريراً وبني جعفر:

عرفتَ بأعلى رائسِ الفأوِ بعدما مضتْ سنةٌ أيامها وشهورها

منازلَ أعرتها جبيرةُ والتقتْ بها الريحُ شرقياتها ودبورها

كأنْ لمْ يخوضْ أهلها الثورَ يجتنى بحافتها الخطميَّ غضاً نضيرها

أناةٌ كرئمِ الرملِ نوامةُ الضحى بطيءٌ على لوثِ النطاقِ بكورها

إذا حسرتْ عنها الجلابيبَ وارتدتْ إلى الزوجِ ميالاً يكادُ يصورها

ومرتجةِ الأعطافِ منْ آلِ جعفرٍ مخضبةِ الأطرافِ بيضٍ نحورها

كأنَّ نقاً منْ عالجٍ أزرتْ بهِ بحيثُ التقتْ أوراكها وصدورها

فقدْ خفتُ منْ تذرافِ عينيَّ إثرها على بصري والعينُ يعمى بصيرها

تفجرَ ماءُ العينِ كلَّ عشيةٍ وللشوقِ ساعاتٌ يهيجُ ذكورها

وما زلتُ أزجي الطرفَ منْ حيثُ يممتْ منَ الأرضِ حتى ردَّ عيني حسيرها

فردَّ عليَّ العينَ وهيَ مريضةٌ هذاليلُ بطنِ الراحتينِ وقورها

فربَّ ربيعٍ بالبلاليقِ قدْ رعتْ بمستنٍّ أغياثٍ بعاقٍ ذكورها

تحدرَ قبلَ النجمِ مما أمامهُ من الدلوِ والأشراطُ يجري غديرها

تحيرَ ذاريها إذا اطردَ السفا وهاجتْ لأيامِ الثريا حرورها

أتصرفُ أجمالَ النوى شاجنيةً أمِ الحفرُ الأعلى بفلجٍ مصيرها

وما منهما إلاَّ بهِ منْ ديارها منازلُ أمستْ ما تبيدُ سطورها

وكائنْ بها منْ عينِ باكٍ وعبرةٍ إذا امتريتْ كانتْ سريعاً درورها

يرى قطنٌ أهلَ الأصاريمِ أنهُ غنيٌّ إذا ما كلمتهُ فقيرها

تهادى إلى بيتِ الصلاةِ كأنها على الوعثِ ذو ساقٍ مهيضٍ كسيرها

كدرةِ غواصٍ رمى في مهيبةٍ بأجرامهِ والنفسُ يخشى ضميرها

موكلةً بالدرِّ خرساءُ قدْ بدا إليهِ منَ الغواصِ منهُ نذيرها

فقالَ ألاقي الموتَ أوْ أدركُ الغنى لنفسيَ والآجالُ جاءٍ دهورها

ولما رأى ما دونها خاطرتْ بهِ على الموتِ نفسٌ لا ينامُ فقيرها

فأهوى وناباها حواليْ يتيمةٍ هيَ الموتُ أوْ دنيا ينادي بشيرها

فألوتْ بكفيهِ المنيةُ إذْ دنا بعضةِ أنيابٍ سريعٍ سؤورها

فحركَ أعلا حبلهِ بحشاشةٍ ومنْ فوقهِ خضراءُ طامٍ بحورها

فما جاءَ حتى مجَّ والماءُ فوقهُ منَ النفسِ ألواناً عبيطاً نحيرها

إذا ما أرادوا أنْ تحيرَ مدوفةً أبى منْ تقضي نفسهِ لا يحيرها

فلما أروها أمهُ هانَ وجدها رجاةَ الغنى لما أضاءَ منيرها

وظلتْ تغالاها التجارُ فلا ترى لها سيمةً إلاَّ قليلاً كثيرها

ألمْ تعلمي إذا القدرُ حجلتْ وألقيَ عنْ وجهِ الفتاةِ ستورها

وراحتْ تشلُ الشولُ والفحلُ خلفها زفيفاً إلى نيرانها زمهريرها

شآميةٌ تغشى الخفائرَ نارها ونبحُ كلابِ الحيِّ فيها هريرها

إذا الأفقُ الغربيُّ أمسى كأنهُ ... سدى أرجوانٍ واستقلتْ عبورها
ترى النيبَ منْ ضيفي إذا ما رأينهُ ... ضموزاً على جراتها ما تحيرها
يحاذرنَ منْ سيفي إذا ما رأينهُ ... معي قائماً حتى يكوسَ عقيرها
وقدْ علمتْ أنَّ القرى لابنِ غالبٍ ... ذراها إذا لمْ يقرِ ضيفاً درورها
شققنا عنِ الأفلاذِ بالسيفِ بطنها ... ولما تجلدْ وهيَ يحبو بقيرها
ونبئتُ ذا الأهدامِ يعوي ودونهُ ... منَ الشأمِ زراعاتها وقصورها
إليَّ ولمْ أتركْ على الأرضِ نابحاً ... ولا حيةً إلا استسرَّ عقيرها
كلاباً نبحنَ الليثَ منْ كلِّ جانبٍ ... فعادَ عواءً بعدَ نبحٍ هريرها
عوى بشقاً لابنيْ بحيرٍ ودوننا ... نضادٌ فأعلامُ الستارِ فنيرها
ونبئتَ كلبَ ابني حميضةَ قدْ عوى ... إليَّ ونارُ الحربِ تغلي قدورها
فودتْ بأذنيْ رأسهِ أمُّ نافعٍ ... بجاريةٍ عفلاءَ كانَ زحيرها
وودتْ مكانَ الأنفِ لوْ كانَ نافعٌ ... لها حيضةً أوْ أجهضتهُ شهورها
مكانَ ابنها إذْ هاجني بعوائهِ ... عليها منَ الجربِ البطيءِ طرورها
دوامغَ قدْ يعدي الصحاحَ قرافها ... إذا هنئتْ يزدادُ عراً نشورها

وكانَ نفيعٌ إذْ هجاني لأمهِ ... كباحثةٍ عنْ مديةٍ تستثيرها
لئنْ نافعٌ لمْ يرعَ أرحامَ أمهِ ... وكانتْ كدلوٍ لا يزالُ يعيرها
لبئسَ دمُ المولودِ مسَّ ثيابها ... عشيةَ نادى بالغلامِ بشيرها
وإني على إشفاقها من مخافتي ... وإنْ عقها بي نافعٌ لمجيرها
ولوْ أنَّ أمَّ الناسِ حواءَ حاربتْ ... تميمَ بنَ مرٍّ لمْ تجدْ منْ يجيرها
عجوزٌ تصلي الخمسَ عاذتْ بغالبٍ ... فلا والذي عاذتْ بهِ لا أضيرها
ولمْ تأتِ عيرٌ أهلها بالذي أتتْ ... بهِ جعفراً يومَ الهضيباتِ عيرها
أتتهمْ بعيرٍ لمْ تكنْ هجريةً ... ولا حنطةَ الشأمِ المزيت خميرها
أتتهمْ بعمرو والدهيمِ وستةٍ ... وعشرينَ أعدالاً يميلُ أيورها

إذا ذكرتْ زوجاً لها جعفريةٌ ومصرعَ قتلى لمْ تقتلْ ثؤورها
وقدْ أنكرتْ أزواجها إذْ رأتهمُ عراءً نساءٌ قدْ أحرتْ صدورها
رأتْ كمراً مثلَ الجلاميدِ فتحتْ أحاليلها لما اتمارتْ جذورها
فقلنَ عهدناكمْ رجالاً وهذهِ أيورُ بغالٍ خالطتها حميرها
فليستْ لزوجٍ منهمُ جعفريةٍ معاداً بكفيها إليه ظهورها
إذا ذكرتْ أيامهمْ يومَ لمْ تقمْ لسلةِ أسيافِ الضبابِ نفيرها
عشيةَ يحدوهمْ هريمٌ كأنهمْ رئالُ نعامٍ مستخفٌّ نفورها
عشيةَ لاقتهمْ بأسيافِ جعفرٍ صوارمُ في أيدي الضبابِ ذكورها
كأنهمُ للخيلِ يومَ لقيتهمْ بطخفةَ خربانٌ علتها صقورها
ولمْ تكُ تخشى جعفرٌ أنْ يصيبها بأعظمَ مني منْ شقاها فجورها
ولا يومَ بالريانِ تكسعُ بالقنا ولا النارَ إذ يلقى عليهم سعيرها
أتصبرُ للعادي ضغابيسُ جعفرٍ وسورةِ ذي الأشبالِ حينَ يسورها
ستبلغُ من لاقتْ منَ الشرِّ جعفرٌ تهامةَ من ركبانها ن يغورها
إذا جعفرٌ مرتْ على هضبةِ السرى تقنعُ إذْ صارتْ إليها قبورها
لنا مسجدا اللهِ الحرامانِ والهدى وأصبحتِ الأسماءُ منا كبيرها
سوى اللهِ إنَّ اللهَ لا شيءَ مثلهُ لهُ الأممُ الأولى يقومُ نشورها
إمامُ الهدى كمْ منْ أبٍ أوْ أخٍ لهُ وقدْ كانَ للأرضِ العريضةِ نورها
إذا اجتمعَ الأفاقُ من كلِّ جانبٍ إلى منسكٍ كانتْ إلينا أمورها
بنى لنا باني السماءِ فنالها وفي الأرضِ من يجري بفيضٍ بحورها
ونبئتُ أشقى جعفرٍ هاجَ شتوةً عليها كما أشقى ثمودُ مبيرها
يصيحونَ يستسقونهمْ حينَ أنضجتْ عليهم منَ الشعرى الترابَ حرورها
تصدُّ عنِ الأزواجِ إذْ عدلتهمُ عيونٌ حزيناتٌ سريعُ درورها
يبينُ أنْ لمْ يبقَ منْ آلِ جعفرٍ محامٍ ولا دونَ النساءِ غيورها
ولكنَّ خرباناً تنوسُ لحاهمُ على قصبٍ جوفٍ تناوحُ خورها

منعنَ ويستحيينَ بعدَ فرارِهمْ إلى حيثُ للأولادِ يطوى صغيرها
لعمري لقدْ لاقتْ من الشرِّ جعفرٌ بطخفةَ أياماً طويلاً قصيرها
بطخفةَ والريانِ حيثُ تصوبتْ على جعفرٍ عقبانها ونسورها
وقدْ علمتْ أفناءُ جعفرَ إنهُ يقي جعفراً وقعَ العوالي ظهورها
تضاغا وقدْ ضمتْ ضغابيسُ جعفرٍ شباً بينَ أشداقٍ رحابٍ شجورها
إذا هدرَ الهدار خلفَ است أمهِ تلقاهُ بالماءِ الحميمِ حضيرها
شقاً شقيتهُ جعفرٌ بي وقدْ أتتْ عليَّ لهمْ سبعونَ تمتْ شهورها
كما نضحتْ غرفيةٌ أعصمتْ لها بأخرى إلى بادٍ يخبُّ بعيرها
بني جعفرٍ هلْ تذكرونَ وأنتمُ تساقونَ إذْ يعلو القليلَ كثيرها
وإذْ لا طعامٌ غيرَ ما أطعمتكمْ بطونُ جواري جعفرٍ وظهورها
وقدْ علمتْ ميسونُ أنَّ رماحكمْ تهابُ أبا بكرٍ جهاراً صدورها
عشيةَ أعطيتمْ سوادةَ جحوشاً ولما يدقّ بالعوالي نصيرها
أقامتْ على الأجبابِ حاضرةً بها ضبينةُ لمْ تهتكْ لطعنٍ ستورها
تريحُ المخاذي جعفرٌ كلَّ ليلةٍ عليها ويغدو حينَ يغدو بكورها

وما ماتَ زوجُ الجعفريةِ ما غدا عليها ابنها عندَ احتلامٍ يزورها
وقدْ علمتْ أجسادنا أنَّ جعفراً مجوسيةٌ أجسادها وأيورها
وما منعتْ فرجاً لها جعفريةٌ وما أخصبتْ عنها البنينَ حجورها
فإنْ تكُ قيسٌ قدمتكَ لنصرها فقدْ خزيتْ قيسٌ وذلَّ نصيرها

وقال الفرزدق لجرير:

عزفتَ بأعشاشٍ وما كدتَ تعزفُ وأنكرتَ منْ حدراءَ ما كنتَ تعرفُ
ولجَّ بكَ الهجرانُ حتى كأنما ترى الموتَ في البيتِ الذي كنتَ تألفُ
لجاجةُ صرمٍ ليسَ بالوصلِ إنما أخو الوصلِ منْ يدنو ومنْ يتلطفُ
إذا نبهتْ حدراءُ منْ نومةِ الضحى دعتْ وعليها درعُ خزٍّ ومطرفُ

بأخضرَ منْ نعمانَ ثمَّ جلتْ بهِ عذابَ الثنايا طيباً حينَ يرشفُ

ومستنفراتٍ للقلوبِ كأنها مهاً حولَ منتوجاته يتصرفُ

يشبهنَ من حلوِ الحياءِ كأنها مراضُ سلالٍ أوْ هوالكُ نزفُ

إذا هنَّ ساقطنَ الحديثَ كأنهُ جنى النحلِ أوْ أبكارُ كرمٍ تقطفُ

موانعُ للأسرارِ إلاَّ لأهلها ويخلفنَ ما ظنَّ الغيورُ المشفشفُ

يحدثنَ بعدَ اليأسِ منْ غيرِ ريبةٍ أحاديثَ تشفي المدنفينَ وتشعفُ

إذا القنبضاتُ السودُ طوفنَ بالضحى رقدنَ عليهنَّ الحجالُ المسجفُ

وإنْ نبهتهنَّ الولائدُ بعدما تصعدَ يومُ الصيفِ أو كادَ ينصفُ

دعونَ بقضبانِ الأراكِ التي جنى لها الركبُ منْ نعمانَ أيامَ عرفوا

فمحنَ بهِ عذباً رضاباً غروبهُ رقاقٌ وأعلى حيثُ ركينَ أعجفُ

لبسنَ الفرندَ الخسروانيَّ دونهُ مشاعرُ منْ خزِّ العراقِ المفوفُ

فكيفَ بمحبوسٍ دعاني ودونهُ دروبٌ وأبوابٌ وقصرٌ مشرفُ

وصهبٌ لحاهمْ راكزونَ رماحهمْ لهمْ درقٌ تحتَ العوالي مصففُ

وضاريةٌ ما مرَّ إلاَّ اقتسمنهُ عليهنَّ خواضٌ إلى الطنئِ مخشفُ

يبلغنا عنها بغيرِ كلامها إلينا منَ القصرِ البنانُ المطرفُ

دعوتُ الذي سوى السمواتِ أيدهُ ولله أدنى منْ وريدي وألطفُ

ليشغلَ عني بعلها بزمانةٍ تدلهُ عني وعنها فتسعفُ

بما في فؤادينا منَ الشوقِ والهوى ويجبرُ منهاضُ الفؤادِ المسقفُ

فأرسلَ في عينيهِ ماءً علاهما وقدْ علموا أني أطبُّ وأعرفُ

فداويتهُ عامينِ وهيَ قريبةٌ أراها وتدنو لي مراراً فأرشفُ

سلافةَ جفنٍ خالطتها تريكةٌ على شفتيها والذكيُّ المسوفُ

فيا ليتنا كنا بعيرينِ لا نرى على منهلٍ إلاَّ نشلُّ ونقذفُ

كلانا بهِ عرٌّ يخافُ قرافهُ على الناس مطليُّ المساعرِ أخشفُ

بأرضٍ خلاءٍ وحدنا وثيابنا منَ الريطِ والديباجِ درعٌ وملحفُ

ولا زادَ إلاَّ فضلتانِ سلافةً وأبيضُ منْ ماءِ الغمامةِ قرقفُ

وأشلاءُ لحمٍ منْ حبارى يصيدها إذا نحنُ شئنا صاحبٌ متألفُ

لنا ما تمنينا منَ العيشِ ما دعا هديلا حماماتٌ بنعمانَ هتفُ

إليكَ أميرَ المؤمنينَ رمتْ بنا همومُ المنى والهوجلُ المتعسفُ

وعضُّ زمانٍ يا بنَ مروانَ لمْ يدعْ منَ المالِ إلا مسحتاً أو مجلفُ

ومائرةُ الأعضادِ صهبٌ كأنما عليها منَ الأينِ الجسادُ المذوفُ

بدأنا بها منْ سيفِ رملِ كهيلةٍ وفيها نشاطٌ منْ مراحٍ وعجرفُ

فما بلغتْ حتى تقاربَ خطوها وبادتْ ذراها والمناسمُ ترعفُ

وحتى قتلنا الجهلَ عنها وغودرتْ إذا ما أنيختْ والمدامعُ ذرفُ

وحتى مشى الحادي البطيءُ يسوقها لها بخصٌ دامٍ ودأيٌ مجلفُ

وحتى بعثناها وما في يدٍ لها إذا حلَّ عنها رمةٌ وهيَ رسفُ

إذا ما نزلنا قاتلتْ عنْ ظهورها حراجيجُ أمثالُ الأهلةِ شسفُ

إذا ما أريناها الأزمةَ أقبلتْ إلينا بحراتِ الحدودِ تصدفُ

ذرعنَ بنا ما بينَ يبرينَ عرضهُ إلى الشأمِ تلقاها رعانٌ وصفصفُ

فأفنى مراحَ الداعريةِ خوضها بنا الليلَ إذْ نامَ الدثورُ الملففُ

إذا اغبرَّ آفاقُ السماءِ وكشفتْ كسورَ بيوتِ الحيِّ حمراءُ حرجفُ

وهتكتِ الأطنابَ كلُّ غليظةٍ لها تامكٌ منْ صادقِ النيِّ أعرفُ

وجاء قريعُ الشولِ قبلَ إفالها يزفُّ وجاءتْ خلفهُ وهيَ زففُ

وباشرَ راعيها الصلى بلبانهِ وكفيهِ حرَّ النارِ ما يتحرفُ

وأوقدتِ الشعرى معَ الليلِ نارها وأمستْ محولاً جلدها يتوسفُ

فأصبحَ مبيضٌّ الصقيعِ كأنهُ على سرواتِ النيبِ قطنٌ مندفُ

وقاتلَ كلبُ الحيِّ عنْ نارِ أهلهِ ليربضَ فيها والصلا متكنفُ

وجدتُ الثرى فينا إذا يبسَ الثرى ومنْ هوَ يرجو فضلهُ المتضيفُ

ترى جارنا فينا يجيرُ وإنْ جنى فلا هوَ مما ينطفُ الجارَ ينطفُ
ويمنعُ مولانا وإنْ كانَ نائياً بنا جارهُ مما يخافُ ويأنفُ
وقدْ علمَ الجيرانُ أنَّ قدورنا ضوامنُ للأرزاقِ والريحُ زفرفُ
نعجلُ للضيفانِ في المحلِ بالقرى قدوراً بمعبوطٍ تمدُّ وتغرفُ
تفرغُ في شيزى كأنَّ جفانها حياضُ جبى منها ملاءٌ ونصفُ
ترى حولهنَّ المعتفينَ كأنهمْ على صنمٍ في الجاهليةِ عكفُ
قعوداً وخلفَ القاعدينَ شطورهمْ جنوحٌ وأيديهمْ حمودٌ ونطفُ
وما حلَّ منْ جهلٍ حبى حلمائنا ولا قائلُ المعروفِ فينا يعنفُ
وما قامَ منا قائمٌ في ندينا فينطقَ إلاَّ بالتي هيَ أعرفُ
وإني لمنْ قومٍ بهمْ يتقى العدى ورأبُ الثأى والجانبُ المتخوفُ
وأضيافِ ليلٍ قدْ نقلنا قراهمُ إلينا فأتلفنا المنايا وأتلفوا
قريناهمُ المأثورةَ البيضَ قبلها تثجُّ العروقَ الأيزنيُّ المثقفُ
ومسروحةٍ مثلِ الجرادِ يسوقها ممرٌّ قواهُ والسراءُ المعطفُ
فأصبحَ في حيثُ التقينا شريدهمْ طليقٌ ومكتوفُ اليدينِ ومزعفُ
ولا نستجمُّ الخيلَ حتى نعيدها غوانمَ منْ أعدائنا وهيَ زحفُ
كذلكَ كانتْ خيلنا مرةً ترى سماناً وأحياناً تقادُ فتعجفُ
عليهنَّ منا الناقضونَ ذحولهمْ فهنَّ بأعباءِ المنيةِ كتفُ
مداليقُ حتى يأتيَ الصارخُ الذي دعا وهوَ بالثغرِ الذي هوَ أخوفُ
وكنا إذا نامتْ كليبٌ عنِ القرى إلى الضيفِ نمشي بالعبيطِ ونلحفُ
وقدرٍ فثأنا غليها بعدما غلتْ وأخرى حششنا بالعوالي تؤثفُ
فكلُّ قرى الأضيافِ نقري منَ القنا ومعتبطٍ فيهِ السنامُ المسدفُ
ولوْ تشربُ الكلبى المراضُ دماءنا شفتها وذو الداءِ الذي هوَ أدنفُ
من الفائقِ المحبوسِ عنهُ لسانهُ يفوقُ وفيهِ الميتُ المتكنفُ
وجدنا أعزَّ الناسِ أكثرهمْ حصىً وأكرمهمْ منْ بالمكارمِ يعرفُ

وكلتاهما فيهِ إلى حيثُ تلتقي عصائبُ لاقى بينهنَّ المعرفُ
منازيلُ عنْ ظهر القليلِ كثيرنا إذا ما دعا في المجلسِ المتردفُ
فلقنا الحصى عنهُ الذي فوقَ ظهرهِ بأحلامِ جهالٍ إذا ما تغضفوا
على سورةٍ حتى كأنَّ عزيزها يرى ما بهِ منْ بينِ نيقينِ نفنفُ
وجهلٍ بحلمٍ قدْ دفعنا جنونهُ وما كانَ لولا حلمنا يتزحلفُ
رجحنا بهمْ حتى استثابوا حلومهمْ بنا بعدما كانَ القنا يتقصفُ
ومدتْ بأيدينا النساءُ ولمْ يكنْ لذي حسبٍ عنْ قومهِ متخلفُ
كفيناهمُ ما نابهمْ بحلومنا وأموالنا والقومُ بالنبلِ دلفُ
وقدْ أرشدوا الأوتارَ أفواقَ نبلهمْ وأنيابُ نوكاهمْ منَ الحردِ تصرفُ
فلا أحدٌ في الناسِ يعدلُ دارنا بعزٍّ ولا قومٌ لهُ حينَ يجنفُ
تثاقلُ أركانٌ عليهِ ثقيلةٌ كأركانِ سلمى أوْ أعزُّ وأكثفُ
لنا العزةُ الغلباءُ والعددُ الذي عليهِ إذا عدَّ الحصى يتحلفُ
ولا عزَّ إلاَّ عزنا قاهرٌ لهُ ويسألنا النصفَ الذليلَ فينصفُ
ومنا الذي لا ينطقُ الناسُ عندهُ ولكنْ هوَ المستأذنُ المتنصفُ
تراهمْ قعوداً حولهُ وعيونهمْ مكسرةٌ أبصارها ما تصرفُ

وبيتانِ بيتُ اللهِ نحنُ ولاتهُ وبيتٌ بأعلى إيلياءَ مشرفُ
لنا حيثُ آفاقُ البريةِ يلتقي عميدُ الحصى والقسوريُّ المخندفُ
إذا هبطَ الناسُ المعرفَ من منى عشيةَ يومِ النحرِ منْ حيثُ عرفوا
ترى الناسَ ما سرنا يسيرونَ خلفنا وإنْ نحنُ أوبأنا إلى الناسِ وقفوا
ألوفُ ألوفٍ منْ دروعٍ ومن قناً وخيلٌ كريعانِ الجرادِ وحرشفُ
وإنْ نكثوا يوماً ضربنا رقابهمْ على الدينِ حتى يقبلَ المتألفُ
فإنكَ إذْ تسعى لتدركَ دارماً لأنتَ المعنى يا جريرُ المكلفُ
أتطلبُ منْ عندَ النجومِ وفوقها بربقٍ وعيرٍ ظهرهُ متقرفُ

وشيخينِ قدْ ناكا ثمانينَ حجةً
أتانيهما هذا ملحٌّ ويجرفُ

أرى لجريرٍ رهطَ سوءٍ أذلةً
وعرضٌ لئيمٌ للمخازي موقفُ

وأما أقرتْ منْ عطيةَ رحمها
بأخبثِ ما كانتْ لهُ الرحمُ تنشفُ

إذا سلختْ عنها أمامةُ درعها
وأعجبها رابٍ إلى البطنِ مهدفُ

قصيرٌ كأنَّ التركَ منهُ جباهها
خنوقٌ لأعناقِ الجرادينِ أكشفُ

تقولُ وصكتْ خدَّ حرى مغيظةٍ
على البعلِ غيرى ما تزالُ تلهفُ

أما منْ كليبيٍّ إذا لمْ تكنْ لهُ
أتانانِ يستغني ولا يتعففُ

إذا ذهبتْ مني بزوجي حمارةٌ
فليسَ على ريح الكليبيِّ مأسفُ

على مثلِ عبدٍ ما أتى مثلَ ما أتى
مصلٍّ ولا منْ أهلِ ميسانَ أقلفُ

إذا ما احتبتْ لي دارمٌ عندَ غايةٍ
جريتُ إليها جريَ منْ يتغطرفُ

كلانا لهُ قومٌ همُ يحلبونهُ
بأحسابهمْ حتى يرى منْ يخلفُ

إلى أمدٍ حتى يزايلَ بينهمْ
ويوجعَ بالنخسِ الذي هوَ أقرفُ

عطفتُ عليكَ الحربَ إني إذا ونى
أخو الحربِ كرارٌ على القرنِ معطفُ

تبكي على سعدٍ وسعدٌ مقيمةٌ
بيبرينَ منهمْ منْ يزيدُ ويضعفُ

على من وراءَ المرجِ لوْ دكَّ عنهمُ
لماجوا كما ماجَ الجرادُ وطوفوا

فهمْ يعدلونَ الأرضَ لولاهمُ استوتْ
على الناسِ أوْ كادتْ تسيرُ فتنسفُ

ولوْ أنَّ سعداً أقبلتْ منْ بلادها
لجاءتْ بيبرينَ الليالي تزحفُ

وقال الفرزدق لجرير:

سمونا لنجرانَ اليماني وأهلهِ
ونجرانُ أرضٌ لم تديثْ مقاولهْ

بمختلفِ الأصواتِ تسمعُ وسطهُ
كرزِّ القطا لا يفقهُ الصوتَ قائلهْ

لنا أمرهُ لا تعرفُ البلقُ وسطهُ
كثيرُ الوغا منْ كلِّ حيٍّ قبائلهْ

كأنَّ بناتِ الحارثيينَ وسطهمْ
ظباءُ صريمٍ لمْ تفرجْ غياطلهْ

إذا حانَ منهُ منزلُ الليلِ أوقدتْ
لأخراهُ في أعلى اليفاعِ أوائلهْ

يظلُّ بهِ الأرضُ الفضاءُ معضلاً
وتجهرُ أسدامَ المياهِ قنابلهْ

ترى عافياتِ الطيرِ قدْ وثقتْ لها | قديماً منَ النخلِ العتاقِ منازلهْ
وأهلُ حنونا منْ مرادٍ قد أدركتْ | وجرماً بوادٍ خالطَ البحرَ ساحلهْ
صبحناهمُ الجردَ الجيادَ كأنها | قطاً أفزعتهُ يومَ دجنٍ أجادلهْ
ألا إنَّ ميراثَ الكليبيِّ لابنهِ | إذا ماتَ ربقاً ثلةٍ وحبائلهْ
فأقبلْ على ربقيْ أبيكَ فإنما | لكلِّ امرئٍ ما أورثتهُ أوائلهْ
تسربلَ ثوبَ اللؤمِ في بطنِ أمهِ | ذراعاهُ منْ أشهادهِ وأناملهْ
كما شهدتْ أيدي المجوسِ عليهمُ | بأعمالهمْ والحقُّ تبدو محاصلهْ
عجبتُ لقومٍ يدعونَ إلى أبي ويهجونني والدهرُ جمٌّ مجاهلهْ
أتاني على القعساءِ عادلَ وطبهِ | برجليْ هجينٍ واستِ عبدٍ يعادلهْ
فقلتُ لهُ ردِّ الحمارَ فإنهُ | أبوكَ لئيمٌ رأسهُ وجحافلهْ
يسيلُ على شدقيْ جريرٍ لعابهُ | بشلشالِ وطبٍ ما تجفُّ شلاشلهْ
ليغمزَ عزاً قدْ عسا عظمُ رأسهِ | قراسيةً كالفحلِ يصرفُ بازلهْ
بناهُ لنا الأعلى وطالتْ فروعهُ | فأعياكَ واشتدتْ عليكَ أسافلهْ
فلا أنتَ مسطيعٌ أبوكَ ارتقاءهُ | ولا أنتَ عما قدْ بنى اللهُ عادلهْ
فإنْ كنتَ ترجو أنْ توازنَ دارماً | فرمْ حضناً فانظرْ متى أنتَ ناقلهْ

وأرسلَ يرجو ابنُ المراغةِ صلحنا | فردَّ ولمْ ترجعْ بنجحٍ رسائلهْ
ولاقى شديدَ الدرءِ مستحصدَ القوى | تفرقُ بالعصيانِ عنهُ عواذلهْ
إلى كلَّ قومٍ قدْ خطبنا بناتهمْ | بأرعنَ مثلِ الطودِ جمٍّ صواهلهْ
إذا ما التقينا أنكحتنا رماحنا | منَ الحيِّ ابكاراً كراماً عقائلهْ
وبنتِ كريمٍ قدْ خطبنا ولمْ يكنْ | لها خاطبٌ إلاَّ السنانُ وعاملهْ
وأنتمْ عضاريطُ الخميسِ عتادكمْ | إذا ما غدا أرباقهُ وحمائلهْ
وإنا لمشاؤونَ تحتَ لوائنا | حمانا إذا ما عاذَ بالسيفِ حاملهْ
وقالتْ كليبٌ قمشوا لأخيكمُ | ففروا بهِ إنَّ الفرزدقَ آكلهْ

فهلْ أحدٌ يا بنَ المراغةِ هاربٌ ... منَ الموتِ إنَّ الموتَ لا بدَ نائلهْ

وإني أنا الموتُ الذي هوَ ذاهبٌ ... بنفسكَ فانظرْ كيفَ أنتَ محاولهْ

أتحسبُ قلبي خارجاً منْ حجابهِ ... إذا دفُّ عبادٍ أرنتْ جلاجلهْ

فقلتُ ولمْ أقتلكَ أما ابنُ مالكٍ ... لأيِّ فتى ماءُ السماءِ جعائلهْ

أفي قمليٍّ منْ كليبٍ هجوتهُ ... أبو جهضمٍ تغلي عليَّ مراجلهْ

أحارثُ داري مرتينْ هدمتها ... وكنتَ ابنَ أختٍ لا تخافُ غوائلهْ

وأنتَ امرؤٌ بطحاءُ مكةَ لمْ يزل ... بها منكمُ معطي الجزيلِ وفاعلهْ

فقلنا لهُ لا تشمتنَّ عدونا ... ولا تنسَ منْ أصحابنا ما نواصلهْ

فقبلكَ ما أعييتُ كاسرَ عينهِ ... زياداً فلمْ تقدرْ عليَّ حبائلهْ

فأقسمتُ لا آتيهِ تسعينَ حجةً ... ولوْ كسرتْ عسُّ القباعِ وكاهلهْ

فما كانَ شيءٌ كانَ مما يحبهُ ... منَ الغشِّ إلاَّ قدْ أبانتْ شواكلهْ

فإنْ تهدموا داري فإنَّ أرومتي ... لها باذخٌ لا ابنُ المراغةِ نائلهْ

أبي حسبٌ عودٌ رفيعٌ وصخرةٌ ... إذا قرعتْ لمْ تستطعها معاولهْ

وقدْ منيتْ مني كليبٌ بضيغمٍ ... ثقيلٍ على الحبلى جريرٍ كلاكلهْ

تصاغرتَ يا بنَ الكلبِ لما رأيتني ... معَ الشمسِ في صعبٍ عزيزٍ معاقلهْ

هزبرٍ هريتِ الشدقِ رئبالِ غابةٍ ... إذا سارَ عزتهُ يداهُ وكاهلهْ

عزيزٍ عنِ اللاتي تنازلُ قرنهُ ... وقدْ ثكلتهُ أمهُ منْ ينازلهْ

وإنَّ كليباً إذْ أتتني بعبدها ... كمنْ غرهُ حتى رأى الموتَ باطلهْ

رجوا أنْ يردوا عنْ جريرٍ بدرعهِ ... نوافذَ ما أرمي وما أنا قائلهْ

عجبتُ لراعي الضأنِ في حطميةٍ ... وفي الدرعِ عبدٌ قدْ أصيبتْ مقاتلهْ

وهلْ يلبسُ الحبلى السلاحَ وبطنها ... إذا انتطقتْ عبءٌ عليها تعادلهْ

أفاخَ وألقى الدرعَ عنهُ ولمْ أكنْ ... لألقيَ درعي منْ كميٍّ أقاتلهْ

ألمْ ترَ ما يلقى جريرٌ منِ استهِ ... إذا احتضرتْ حقويْ جريرٍ قوابلهْ

يقلنَ لهُ داركْ زحيركَ واسترحْ ... فإن لا تجئْ سرحاً فإنكَ قاتلهْ

ملأتُ استهُ ماءً فإنْ لا يفضْ بهِ يكنْ ولداً ما إنْ يضعهُ مهابلهْ
ألستَ ترى يا بنَ المراغةِ ضامناً لما أنتَ في أضعافِ بطنكَ حاملهْ
وقدْ علمَ الأقوامُ حولي وحولكمْ بني الكلبِ أني رأسُ عزٍّ وكاهلهْ
ألمْ تعلموا أني ابنُ صاحبِ صوأرٍ وعندي حساما سيفهِ وحمائلهْ
تركنا جريراً وهوَ في السوقِ حابسٌ عطيةَ هلْ يلقى بهِ منْ يبادلهْ
فقالوا لهُ ردِّ الحمارَ فإنهُ أبوكَ لئيمٌ رأسهُ وجحافلهْ
وأنتَ حريصٌ أنْ يكونَ مجاشعٌ أباكَ ولكنَّ ابنهُ عنكَ شاغلهْ
وما ألبسوهُ الدرعَ حتى تزيلتْ منَ الخزي دونَ الجلدِ منهُ مفاصلهْ
وهلْ كانَ إلا ثعلباً راضَ نفسهُ بموجٍ تسامى كالجبالِ مجاولهْ
ضغا ضغوةً في البحرِ لما تغطمطتْ عليهِ أعالي موجهِ وأسافلهْ
وأصبحَ مطروحاً وراءَ غثائهِ بحيثُ التقى منْ ماحج البحرِ ساحلهْ
وهلْ أنتَ إذْ فاتتكَ مسعاةُ دارمٍ وما قدْ بنى آتٍ كليباً فقاتلهْ
فخرتَ بشيخٍ لمْ يلدكَ ودونهُ أبٌ لكَ يخفي شخصهُ ويضائلهْ
فللهِ عرضي إنْ جعلتُ كريمهُ إلى صاحبِ المعزى الموقعِ كاهلهْ

جباناً ولمْ يعقدْ بسيفٍ حمالةً ولكنْ عصامُ القربتينِ حمائلهْ
يظلَّ إليهِ الجحشُ ينهقُ إنْ علتْ لهُ الريحُ منْ عرفانِ ما لا يزايلهْ
لهُ عانةٌ أعفاؤها آلفاتهُ حمولتهُ منها ومنها حلائلهْ
موقعةٌ أكتافها منْ ركوبهِ وتعرفُ بالكاذاتِ منها منازلهْ
ألا تدعي إنْ كانَ قومكَ لمْ تجدْ كريماً لهمْ إلاَّ لئيماً أوائلهْ
لهمْ يومُ بأسٍ أو أباً يحمدونهُ كريماً وهلْ يجري معَ الحقِّ باطلهْ
فيحمدُ ما فيهمْ وإنْ كنتَ كاذباً فيسمعهُ يا بنَ المراغةِ جاهلهْ
ولكنْ تدعى من سواهمْ إذا رمى إلى الغرضِ الأقصى البعيدِ مناضلهْ
فيعلمُ أنْ لوْ قلتَ خيراً عليهمِ كذبتْ وأخزاكَ الذي أنتَ قائلهْ

تعاطَ مكانَ النجمِ إنْ كنتَ طالباً بني دارمٍ فانظرْ متى أنتَ نائلهْ

ألمْ تكُ مما يوعدُ الناسُ أنْ ترى كليباً يغني بابنِ ليلى يناضلهْ

بني مالكٍ ما منْ أبٍ تعلمونهُ لكمْ دونَ أعراقِ الترابِ نعادلهْ

عجبتُ إلى خلقِ الكليبيِّ علقتْ يداهُ ولمْ يشتدَّ قبضاً أناملهْ

وقال جرير يجيب الفرزدق:

منا الذي اختيرَ الرجالَ سماحةً وخيراً إذا هبَّ الرياحُ الزعازعُ

ومنا الذي أعطى الرسولُ عطيةً أسارى تميمٍ والعيونُ دوامعُ

ومنا الذي يعطي المئينَ ويشتري ال غوالي ويعلو فضلهُ منْ يدافعُ

ومنا خطيبٌ لا يعابُ وحاملٌ أغرُّ إذا التفتْ عليهِ المجامعُ

ومنا الذي أحيى الوئيدَ وغالبٌ وعمروٌ ومنا حاجبٌ والأقارعُ

ومنا غداةَ الروعِ فتيانُ غارةٍ إذا متعتْ تحتَ الزجاجِ الأشاجعُ

ومنا الذي قادَ الجيادَ على الوجى لنجرانَ حتى صبحتها النزائعُ

أولئكَ أبائي فجئني بمثلهمْ إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

نموني فأشرفتُ العلايةَ فوقكمْ بحورٌ ومنا حاملونَ ودافعُ

بهمْ أعتلي ما حملتني مجاشعٌ وأصرعُ أقراني الذينَ أصارعُ

فيا عجب حتى كليبٌ تسبني كأنَّ أباها نهشلٌ أوْ مجاشعُ

أتفخرُ أنْ دقتْ كليبٌ بنهشلٍ وما منْ كليبٍ نهشلٌ والربائعُ

ولكنْ هما عماي منْ آلِ مالكٍ فأقعِ فقدْ سدتْ عليكَ المطالعُ

فإنكَ إلا ما اعتصمتَ بنهشلٍ لمستضعفٌ يا بنَ المراغةِ ضائعُ

إذا أنتَ يا بنَ الكلبِ ألقتكَ نهشلٌ ولمْ تكُ في حلفٍ فما أنتَ صانعُ

ألا تسألونَ الناسَ عنا وعنكمُ إذا عظمتْ عندَ الأمورِ الصنائعُ

تعالوا نعدْ ويعلمُ الناسُ أننا لصاحبهِ في أولِ الدهرِ تابعُ

وأيُّ القبيلينِ الذي في بيوتهمْ عظامُ المساعي واللهى والدسائعُ

وأينَ تقضي المالكانِ أمورها بحقٍّ وأينَ الخافقاتُ اللوامعُ

وأينَ الوجوهُ الواضحاتُ عشيةً ... على البابِ والأيدي الطوالُ النوافعُ
تنحَّ عنِ البطحاءِ إنَّ قديمها ... لنا والجبالُ الراسياتُ الفوارعُ
أخذنا بآفاقِ السماءِ عليكمُ ... لنا قمراها والنجومُ الطوالعُ
لنا مقرمٌ يعلو القرومَ هديره ... ترى كلَّ فحلٍ دونهُ متواضعُ
هوى الخطفى لما اختطفتُ دماغهُ ... كما اختطفَ البازي الخشاشَ المقارعُ
أتعدلُ أحساباً لئاماً أدقةً ... بأحسابنا إني إلى اللهِ راجعُ
وكنا إذا الجبارُ صعرَ خدهُ ... ضربناهُ حتى تستقيمَ الأخادعُ
ونحنُ جعلنا لابنِ طيبةَ حكمهُ ... منَ الرمحِ إذ نقعُ السنابكِ ساطعُ
وكلُّ فطيمٍ ينتهي لفطامه ... وكلُّ كليبيٍّ وإنْ شابَ راضعُ
تزيدَ يربوعٌ بهمْ في عديدهمْ ... كما زيدَ في عرضِ الأديمِ الأكارعُ
إذا قيلَ أيُّ الناسِ شرٌّ قبيلةٌ ... أشارتْ كليباً بالأكفِ الأصابعُ
ولمْ تمنعوا يومَ الهذيلِ بناتكمْ ... بني الكلبِ والحامي الحقيقةِ مانعُ
غداةَ أتتْ خيلُ الهذيلِ وراءكمْ ... وسدتْ عليكمْ منْ إرابَ المطالعُ
همُ قارعوكمْ عنْ فروجِ بناتكمْ ... ضحىً بالعوالي والعوالي شوارعُ

فبتنَ بطوناً للعضاريطِ بعدما ... طعنَّ بأيديهنَّ والنقعُ ساطعُ
إليكمْ فلمْ تستنزلوا مردفاتكمْ ... ولمْ تلحقوا إذْ جردَ السيفَ لامعُ
يحصنُ عنهنَّ الهذيلُ فراشهُ ... وهنَّ لخدامِ الهذيلِ براذعُ
إذا حركوا أعجازها صوتتْ لهمْ ... مفركةٌ أعجازهنَّ المواقعُ
بكينَ إليكمْ والرماحُ كأنها ... معَ القوم أشطانُ الجرورِ النوازعُ
فأيَّ لحاقٍ تنظرونَ وقدْ أتى ... على أمل الدهنا النساءُ الرواضعُ
وهنَّ ردافى يلتفتنَ إليكمُ ... لأسوقها خلفَ الرجالِ قعاقعُ
بعيطٍ إذا مالتْ بهنَّ حميلةٌ ... مرى عبراتِ الشوقِ منها المدامعُ
تخقُّ الكليبياتُ تحتَ رجالهمْ ... كما خقَّ في جوفِ الصراةِ الضفادعُ

فجئنَ بأولادِ النصارى إليكمُ حبالى وفي أعناقهنَّ المدارعُ

ترى للكليبياتِ وسطَ بيوتهمْ وجوهَ إماءٍ لمْ تصنها البراقعُ

كأنَّ كليباً حينَ تشهدُ محفلاً حلاقةُ إستٍ جمعتها الأصابع

وقال الفرزدق يرد على جرير:

أتنسى بنو سعدٍ جدودَ التي بها خذلتمْ بني سعدٍ على شرٍّ مخذلِ

عشيةَ وليتمْ كأنَّ سيوفكمْ ذآنينُ في أعناقكمْ لمْ تسللِ

وشيبانُ حولَ الحوفزانِ بوائلٍ منيخاً بجيشٍ ذي زوائدَ جحفلِ

دعوا يالَ سعدٍ أو دعوا يالَ وائلٍ وقدْ سلَّ منْ أغمادهِ كلُّ منصلِ

قبيلينِ عندَ المحصناتِ تصاولا تصاولَ أعناقِ المصاعبِ منْ علِ

عصوا بالسيوفِ المشرفيةِ فيهمِ غيارى وألقوا كلَّ جفنٍ ومحملِ

عليهنَّ أسيافٌ حدادٌ ظباتها ومنْ آلِ سعدٍ دعوةٌ لمْ تهللِ

دعونَ ولمْ يدرينَ منْ همْ لأنهمْ بكينَ وما يخفينَ ساقاً لمجتلي

لعلك منْ في قاصعائكَ واجدٌ أباً مثلَ عبدِ اللهِ أوْ مثلَ نهشلِ

وآلَ أبي سودٍ وعوفَ بنَ مالكٍ إذا جاءَ يومٌ بأسهُ غيرُ منجلي

ومتخذٌ منا أباً مثلَ غالبٍ وكانَ أبي يأتي المساكينَ منْ علِ

وأصيدَ ذي تاجٍ صدعنا جبينهُ بأسيافنا والنقعُ لمْ يتزيلِ

ترى خرزاتِ الملكِ فوقَ جبينهِ صؤولٌ شبا أنيابهِ لمْ تفللِ

وما كانَ منْ آريِّ خيلٍ أمامكمْ ولا محتبٍ عندَ الملوكِ مبجلِ

ولا اتبعتكمْ يومَ ظعنٍ فلاؤها ولا زجرتْ فيكمْ فحالتها هلِ

ولكنَّ أعفاءً على إثرِ عانةٍ عليهنَّ أنحاءُ السلاءِ المعدلِ

بناتِ ابنِ مرقومِ الذارعينِ لمْ يكنْ ليذعرَ منْ صوتِ اللجامِ المصلصلِ

أرى الليلَ يجلوهُ النهارُ ولا أرى عظامَ المخازي عنْ عطيةَ تنجلي

أمنْ جزعٍ إنْ لمَّ يكنْ مثلَ غالبٍ أبوكَ الذي يمشي بربقٍ موصلِ

ظللتَ تصادي عنْ عطيةَ قائماً لتضربَ أعلى رأسهِ غيرَ مؤتلِ

لكَ الويلُ لا تقتلْ عطيةَ إنهُ ... أبوكَ ولكنْ غيرهُ فتبدلِ
وبادلْ بهِ منْ قومِ بضعةَ مثلهُ ... أباً شرَّ ذي نعلينِ أوْ غير منعلِ
فإنْ همْ أبوا أنْ يقبلوهُ ولمْ تجدْ ... فراقاً لهُ إلاَّ الذي رمتَ فافعلِ
فإنْ تهجُ آلَ الزبرقانِ فإنما ... هجوتَ الطوالَ الشمَّ منْ هضبِ يذبلِ
وقدْ ينبحُ الكلبُ النجومَ ودونها ... فراسخُ تنضي العينَ للمتأملِ
فما ثمَّ في سعدٍ ولا آلِ مالكٍ ... غلامٌ إذا ما قيلَ لمْ يتبهدلِ
لهمْ وهبَ النعمانُ برديْ محرقٍ ... بمجدِ معدٍّ والعديدِ المحصلِ
وهمْ لرسولِ اللهِ أوفى مجيرهم ... وعموا بفضلٍ يومَ يسرٍ محللِ

وقال الفرزدق يهجو جريراً ويعرض بالبعيث:

ودَّ جريرُ اللؤمِ لو كانَ عانياً ... ولمْ يدنُ منْ زأرِ الأسودِ الضراغمِ
وليسَ ابنُ حمراءِ العجانِ بمفلتي ... ولمْ يزدجرْ طيرَ النحوسِ الأشائمِ
فإنْ كنتما قدْ هجتماني عليكما ... فلا تجزعا واستسمعا بالمراجمِ
بمردى حروبٍ مذْ لدنْ شدَّ أزرهُ ... محامٍ عنِ الأحسابِ صعبُ المظالمِ
سبوقٌ إلى الغاياتِ يلفى عزيمهُ ... إذا سئمتْ أقرانهُ غيرُ سائمِ

تسور بهِ عندَ المكارمِ دارمٌ ... إلى غايةِ المستصعباتِ الشداقمِ
رأتنا معدٌّ يومَ شالتْ قرومها ... قياماً على أقتارِ إحدى العظائمِ
رأونا أحقَّ ابني نزارٍ وغيرهمْ ... بإصلاحِ صدعٍ منهمُ متفاقمِ
حقنا دماءَ المسلمينَ فأصبحتْ ... لنا نعمةٌ يثنى بها في المواسمِ
عشيةَ أعطتنا عمانُ أمورها ... وقدنا معداً عنوةً بالخزائمِ
ومنا الذي أعطى يديهِ رهينةً ... لغاريْ معدٍّ يومَ ضربِ الجماجمِ
كفى كلَّ أنثى ما تخافُ على ابنها ... وهنَّ قيامٌ رافعاتُ المعاصمِ
عشيةَ سالَ المربدانِ كلاهما ... عجاجةَ موتٍ بالسيوفِ الصوارمِ
هنالكَ لو تبغي كليباً وجدتها ... أذلَّ منَ القردانِ تحتَ المناسمِ

وما يجعلُ الظربى القصارُ أنوفها إلى الطمِّ منْ موجِ البحارِ الخضارمِ

لهاميمُ لا يسطيعُ أحمالَ مثلهمْ أنوحٌ ولا جاذٍ ضعيفُ القوائمِ

يقولُ كرامُ الناسِ إذْ جدَّ جدنا وبينَ عنْ أحسابنا كلُّ عالمِ

علامَ تعنى يا جريرُ ولمْ تجدْ كليباً لها عاديةٌ في المكارمِ

ولستَ ولوْ فقأتَ عينيكَ واجداً أباً لكَ إذْ عدَّ المساعي كدارمِ

هوَ الشيخُ وابنُ الشيخِ لا شيخَ مثلهُ أبو كلِّ ذي بيتٍ رفيعِ الدعائمِ

تعنى منَ المروتِ يرجو أرومتي جريرٌ على أمِّ الجحاشِ التوائمِ

ونحياكَ بالمعروفِ أهونُ ضيعةَ وجحشاكَ منْ ذي المأزقِ المتلاحمِ

فلوْ كنتَ ذا عقلٍ تبينتْ أنما تصولُ بأيدي الأعجزينَ الألائمِ

نماني بنو سعدِ بنِ ضبةَ فانتسبْ إلى مثلهمْ أخوالِ هاجٍ مراجمِ

وهلْ مثلنا يا بنَ المراغةِ إذْ دعا إلى الناسِ داعٍ أو عظامِ الملاحمِ

وما لكَ منْ دلوٍ تواضخني بها ولا معلمٍ حامٍ عنِ الحيِّ صارمِ

وعندَ رسولِ اللهِ قامَ ابنُ حابسٍ بخطةِ سوارٍ إلى المجدِ حازمِ

لهُ أطلقَ ألأسرى التي في حبالهِ مغللةً أعناقها في الأداهمِ

كفى أمهاتِ الخائفينَ عليكمُ غلاءَ المفادي أوْ سهامَ المساهمِ

فإنكَ والقومَ الذينَ ذكرتهمْ ربيعةَ أهلَ المقرباتِ الصلادمِ

بناتُ ابنِ حلابٍ يرحنَ عليهمِ إلى أجمِ الغابِ الطوالِ الغواشمِ

فلا وأبيكَ الكلبِ ما منْ مخافةٍ إلى الشأمِ أدوا خالداً لمْ يسالمِ

ولكنْ ثوى فيهمْ عزيزاً مكانهُ على أنفِ راضٍ منْ معدٍّ وراغمِ

وما سيرتْ خيلاً لها منْ مخافةٍ إذا حلَّ منْ بكرٍ رؤوسُ الغلاصمِ

بأيِّ رشاءٍ يا جريرُ وماتحٍ تدليتَ في حوماتِ تلكَ القماقمِ

وما لكَ ظلُّ الزبرقانِ وبيتهُ وما لكَ بيتٌ عندَ قيسِ بنِ عاصمِ

ولكنْ بدا للبزلِ أرسلَ قاعداً بقرقرةٍ بينَ الجداءِ التوائمِ

تعوذُ بأحقي نهشلِ بنِ مجاشعٍ عياذَ ذليلٍ عارفٍ للمظالمِ

فلا نقتلُ الأسرى ولكنْ نفكهمْ إذا أثقلَ الأعناقَ حملُ المغارمِ
فهلْ ضربةُ الروميِّ جاعلةٌ لكمْ أباً عنْ كليبٍ أوْ أباً مثلَ دارمِ

وقال الفرزدق لجرير:

حلفتُ بربِّ مكةَ والمصلى وأعناقِ الهديِّ مقلداتِ
لقدْ قلدتُ خلفَ بني كليبٍ قلائدَ في السوالفِ باقياتِ
قلائدَ لسنَ منْ ذهبٍ ولكنْ مكاويَ منْ جهنمَ منضجاتِ
فكيفَ ترى عطيةَ حينَ يلقى عظاماً هامهنَّ قراسياتِ
قروماً منْ بني سفيانَ صيداً طوالاتِ الشقاشقِ مصعباتِ
نرى أعناقهنَّ وهنَّ صيدٌ على أعناقِ قومكَ سامياتِ
فرمْ بيديكَ هلْ تستطيعُ نقلاً جبالاً منْ تهامةَ راسياتِ
وأبصرْ كيفَ تنبو بالأعادي مناكبها إذا قرعتْ صفاتي
وإنكَ واجدٌ دوني صعوداً جراثيمَ الأقارعِ والحتاتِ
ولستَ بنائلٍ ببني كليبٍ أرومتنا إلى يومِ المماتِ
وجدتُ لدارمٍ قومي بيوتاً على بنيانِ قومكَ قاهراتِ
دعمنَ بحاجبٍ وبني عقالٍ وبالقعقاعِ تيارِ الفراتِ

وصعصعةَ المجيرِ على المنايا بذمتهِ وفكاكِ العناتِ
وصاحبِ صوأرٍ وأبي شريحٍ وسلمى منْ دعائمَ ثابتاتِ
بناها الأقرعُ الباني المعالي ومرةُ في بواذخَ شامخاتِ
لقيطٌ منْ دعائمها ومنهمْ زرارةُ ذو الندى والمكرماتِ
وبالعمرينِ والضمرينِ نبني دعائمَ مجدهنَّ مشيداتِ
دعائمها أولاكَ وهمْ بنوها فمنْ مثلُ الدعائمِ والبناتِ
أولاكَ لدارمٍ وبني عويفٍ لخيرِ أبٍ وأكرمِ أمهاتِ
جزعتَ إلى هجاءِ بني نميرٍ وخليتَ استَ أمكَ للرماتِ

فأبصرني وأمكَ حينَ أرمي ... مشقَّ عجانها بالباقراتِ

وتمسي نسوةٌ لبني كليبٍ ... بأفواهِ الأزقةِ مقعياتِ

زوايا سكةٍ نبتتْ حديثاً ... بأخبثِ منبتٍ شرِّ النباتِ

يبعنَ فروجهنَّ بكلِّ فلسٍ ... كبيعِ السوقِ خذْ مني وهاتِ

بأحراحٍ خبيثاتِ الملاقي ... شمطنَ وهنَّ غيرُ مختتناتِ

تخالُ بظورهنَّ إذا أنيختْ ... على ركباتهنَّ مخوياتِ

أيورَ الخيلِ قدْ سقطتْ خصاها ... بأطرافِ المفاوزِ لاغباتِ

كبرنَ وهنَّ أزنى منْ قرودٍ ... وأنجسُ منْ نساءٍ مشركاتِ

ألا قبحَ الإلهُ بني كليبٍ ... أكيلبَ ثلةٍ متعاظلاتِ

ترى أرباقهمْ متقلديها ... إذا صدئَ الحديدُ على الكماتِ

فما لكَ لا تعدُّ بني كليبٍ ... وتندبُ غيرهمْ بالمأثراتِ

وفخركَ يا جريرُ وأنتَ عبدٌ ... لغيرِ أبيكَ إحدى المنكراتِ

تعنى يا جريرُ لغيرِ شيءٍ ... وقدْ ذهبَ القصائدُ بالرواتِ

فكيف تردُ ما بعمانَ منها ... وما بجبالِ مصرَ مشهراتِ

غلبتكَ بالمفقئِ والمعني ... وبيتِ المحتبي والخافقاتِ

يريد بالمفقئ قوله:

ولستَ وإنْ فقأتَ عينيكَ واجداً ... أباً عنْ كليبٍ أوْ أباً مثلَ دارمِ

والمعني قوله:

فإنكَ إذ تسعى لتدركَ دارماً ... لأنتَ المعنى يا جريرُ المكلفُ

ويريد بالمحتبي قوله:

بيتٌ زرارةُ محتبٍ بفنائهِ ... ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نهشلُ

ويريد بالخافقات قوله:

وأينَ تقضي المالكانِ أمورها ... بحقٍ وأينَ الخافقاتُ اللوامعُ

وقال الفرزدق يجيب جريراً:

إنْ تكُ كلباً منْ كليبٍ فإنني ... منَ الدارميينَ الطوالِ الشقاشقِ

نظلُّ ندامى للملوكِ وأنتمُ ... تمشونَ بالأرباقِ ميلَ العواتقِ

وإنا لتروى بالأكفِّ رماحنا ... إذا أرعشتْ أيديهمِ بالمعالقِ

وإنَّ ثيابَ الملكِ في آلِ دارمٍ ... وهمْ ورثوها لا كليبُ النواهقِ

ثيابُ أبي قابوسَ أورثها ابنهُ ... وأورثناها عنْ ملوكِ المشارقِ

وإنا لتجري الخمرُ بينَ سراتنا ... وبينَ أبي قابوسَ فوقَ النمارقِ

لدنْ غدوةً حتى نروحَ وتاجهُ ... علينا وذاكي المسكِ فوقَ المفارقِ

كليبٌ وراءَ الناسِ ترمى رؤوسها ... عنِ المجدِ ما تدنو لبابِ السرادقِ

وإنَّ ثيابي منْ ثيابِ محرقٍ ... ولمْ أستعرها منْ معاعٍ وناعقِ

يظلُّ لنا يومانِ يومٌ نقيمهُ ... ندامى ويومٌ في ظلالِ الخوافقِ

ولوْ كنتَ تحتَ الأرضِ شقَّ جديدها ... قوافيَّ عنْ كلبٍ معَ اللحدِ لاصقِ

خرجنَ كنيرانِ الشتاءِ عواصياً ... إلى أهلِ دمخٍ منْ وراءِ المخارقِ

على شأوِ أولاهنَّ حتى تنازعتْ ... بهنَّ رواةٌ منْ تنوخٍ وغافقِ

ونحنُ إذا عدتْ معدٌّ قديمها ... مكانَ النواصي منْ وجوهِ السوابقِ

منعتكَ ميراثَ الملوكِ وتاجهمْ ... وأنتَ لذرعي بيذقٌ في البياذقِ

وقال الفرزدق لجرير، وهي من أول هجائه. وكان سبب ذاك أن نساء بني مجاشع لما عمهم جرير بالهجاء بسبب البعيث، تجمعن، وجئن إلى الفرزدق وكان قد حج، وعاهد الله تعالى ألا يهجو أحداً، وأن يقيد نفسه حتى يحفظ القرآن. ففعل ذلك، وقيد نفسه، فلما شكون إليه ما نزل بهن من هجاء جرير، فض قيده، ثم قال:

ألا استهزأتْ مني هنيدةُ أنْ رأتْ ... أسيراً يداني قيدهُ حلقُ الحجلِ

ولوْ علمتْ أنَّ الوثاقَ أشدهُ ... إلى النارِ قالتْ لي مقالةَ ذي العقلِ

لعمري لئنْ قيدتُ نفسي لطالما ... سعيتُ وأوضعتُ المطيةَ في الجهلِ

ثلاثينَ عاماً ما أرى منَ عمايةٍ ... إذا برقتْ إلاَّ أشدُّ لها رحلي

أتتني أحاديثُ البعيثِ ودونهُ ... زرودُ وشاماتُ الشقيقِ منَ الرملِ

فقلتُ أظنَّ ابنُ الخبيثةِ أنني غفلتُ عنِ الرامي الكنانةَ بالنبلِ
فإنْ يكُ قيدي كانَ نذراً نذرتهُ فما بيَ عنْ أحسابِ قومي منْ شغلِ
أنا الضامنُ الراعي عليهمْ وإنما يدافعُ عنْ أحسابهمْ أنا أوْ مثلي
ولوْ ضاعَ ما قالوا ارعَ منا وجدتهمْ شحاحاً على الغالي منَ الحسبَ الجزلِ
إذا ما رضوا عني إذا كنتُ ضامناً بأحسابِ قومٍ بالجبالِ وبالسهلِ
فمهما أعشْ لا يضمنوني ولا أضعْ لهمْ حسباً ما حركتْ قدمي نعلي
ولستُ إذا ثارَ الغبارُ على امرئٍ غداةَ الرهانِ بالبطيءِ ولا الوغلِ
ولكن ترى لي غايةَ المجدِ سابقاً إذا الخيلُ قادتها الجيادُ على الحبلِ
وحولكَ أقوامٌ رددتُ عقولهمْ عليهم فكانوا كالفراشِ منَ الجهلِ
رفعتُ لهمْ صوتَ المنادي فأقصروا على خدباتٍ في كواهلهمْ جزلِ
ولولا الحياءُ زدتُ رأسكَ هزمةً إذا سبرتْ ظلتْ جوانبها تغلي
بعيدةَ أطرافِ الصدوعِ كأنها ركيةُ لقمانَ الشبيهةِ بالدحلِ
إذا نظرَ الآسونَ فيها تقلبتْ حماليقها منْ هولِ أنيابها الثعلِ
إذا ما رأتها الشمسُ ظلّ طبيبها كمنْ باتَ حتى الليلِ مختلسَ العقلِ
يودُّ لكَ الأدنونَ لوْ متَّ قبلها يرونَ بها شراً عليكَ منَ القتلِ
ترى في نواحيها الفراخَ كأنما جثمنَ حوالي أمِّ أربعةٍ طحلِ
شرنبثةً شمطاءَ منْ يرَ ما بها تشبهُ ولوْ بينَ الخماسيِّ والطبلِ
إذا ما سقوها السمنَ أقبلَ وجهها بعيني عجوزٍ منْ عرينةَ أوْ عكلِ
جنادفةٌ سجراءُ تأخذُ عينها إذا اكتحلتْ نصفَ القفيزِ منَ الكحلِ
وإني لمنْ قومٍ يكونُ غسولهمْ قرى فأرةِ الهنديّ يضربُ بالغسلِ
وما وجدَ الشافونَ مثلَ دمائنا شفاءً ولا الساقونَ منْ عسلِ النحلِ

وقال الفرزدق يهجو بني الخطفى، وهي أول قصيدة هجاهم بها:

ألَمْ ترَ أني يومَ جوٍّ سويقة بكيتُ فنادتني هنيدةُ ما ليا
فقلتُ لها إنَّ البكاءَ لراحةٌ به يشتفي منْ ظنَّ أنْ لا تلاقيا

قفي ودعينا يا هنيدُ فإنني أرى الحيَّ قدْ شاموا العقيقَ اليمانيا
قعيد كما اللهَ الذي أنتما لهُ ألمْ تسمعا بالبيضتينِ المناديا
حبيباً دعا والرملُ بيني وبينهُ فأسمعني سقياً لذلكَ داعيا
فكانَ جوابي أنْ بكيتُ صبابةً وفديتُ منْ لوْ يستطيعُ فدانيا
إذا اغرورقتْ عينايَ أسبلَ منهما إلى أنْ تغيبَ الشعريانِ بكائيا
لذكرى حبيبٍ لمْ أزلْ مذْ ذكرتهُ أعدُّ لهُ بعدَ الليالي اللياليا
أراني إذا فارقتُ هنداً كأنني دوا سنةٍ مما أجنَّ فؤاديا
دعاني ابنُ حمراءِ العجانِ فلمْ يجدْ لهُ إذْ دعا مستأخراً عنْ دعائيا
فنفستُ عنْ سميه حتى تنفسا وقلتُ لهُ لا تخشَ شيئاً ورائيا
أرحتُ ابنَ حمراءِ العجانِ فعردتْ فقارتهُ الوسطى وقدْ كانَ وانيا
فإنْ يدعني باسمي البعيثُ فلمْ يجدْ لئيماً كفى في الحربِ ما كانَ جانيا
فألقِ استكَ الهلباءَ فوقَ قعودها وشائعْ بها واضممْ إليكَ التواليا
قعودَ التي كانتْ رمتْ بكَ فوقهُ لها مدلكٌ عاسٍ أملَّ العراقيا
وما أنتَ منا غيرَ أنكَ تدعي إلى آلِ قرطٍ بعدَ ما شبتَ عانيا
تكونُ معَ الأدنى إذا كنتَ آمناً وأدعى إذا غمَّ الغثاءُ التراقيا
عجبتُ لحينِ ابنِ المراغةِ أنْ رأى لهُ غنماً أهدى إليَّ القوافيا
وهلْ كانَ فيما قدْ مضى من شبيبتي لكمْ رخصةٌ عندي فترجو ذكائيا
ألمْ أكُ قدْ راهنتُ حتى عرفتمُ رهاني وخلتْ لي معدٌّ عنانيا

وما حملتْ أمُّ امرئٍ في ضلوعها أعقَّ منَ الجاني عليها هجائيا
وأنتَ بوادي الكلبِ لا أنتَ ظاعنٌ ولا واجدٌ يا بنَ المراغةِ بانيا
إذا العنزُ بالتْ فيهِ كادتْ تسيلهُ عليكَ وتنفى أنْ تحلَّ الروابيا
عليكمْ بتربيقِ البهامِ فإنكمْ بأحسابكمْ لنْ تستطيعوا رهانيا
وكيفَ تنالونَ النجومَ وكنتمُ خلقتمْ فقاحاً لمْ تكونوا نواصيا

بأيِّ أبٍ يا بنَ المراغةِ تبتغي رهاني إلى غاياتِ عمي وخاليا
هلمَّ أباً كابنيْ عقالٍ تعدهُ وواديهما يا بنَ المراغةِ واديا
تجدْ فرعهُ عندَ السماءِ ودارمٌ من المجدِ قدماً أترعتْ لي حياضيا
بنى لي بهِ الشيخانِ منْ آلِ دارمٍ بناءً يرى عندَ المجرة عاليا

وقال الفرزدق:

إنَّ الذي سمكَ السماءَ بنى لنا بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ
بيتاً بناهُ لنا المليكُ وما بنى حكمُ السماءِ فإنهُ لا ينقلُ
بيتاً زرارهُ محتبٍ بفنائهِ ومجاشعٌ وأبو الفوارسِ نهشلُ
يلجونَ بيتَ مجاشعٍ وإذا احتبوا برزوا كأنهمُ الجبالُ المثلُ
لا يحتبي بفناءِ بيتكَ مثلهمْ أبداً إذا عدَّ الفعالُ الأفضلُ
منْ عزهمِ جحرتْ كليبٌ بيتها زرباً كأنهمُ لديهِ القملُ
ضربتْ عليكَ العنكبوتُ بنسجها وقضى عليكَ بهِ الكتابُ المنزلُ
أينَ الذينَ بهمْ تسامي دارماً أمْ منْ إلى سلفيْ طهيةَ تجعلُ
يمشونَ في حلقِ الحديدِ كما مشتْ جربُ الجمالِ بها الكحيلُ المشعلُ
والمانعونَ إذا النساءُ ترادفتْ حذرَ السباءِ جمالها لا ترحلُ
يحمي إذا اختلطَ السيوفُ نساءنا ضربٌ تحزُّ لهُ السواعدُ أرعلُ
ومعصبٍ بالتاجِ يخفقُ فوقهُ خرقُ الملوكِ لهُ خميسٌ جحفلُ
ملكٌ تسوقُ لهُ الرماحَ أكفنا منهُ تعلُّ صدورهنَّ وتنهلُ
قد ماتَ في أسلابنا أوْ عضهُ عضبٌ برونقهِ الملوكُ تقتلُ
ولنا قراسيةٌ تظلُّ خواضعاً منهُ مخافتهُ القرومُ البزلُ
متخمطٌ قطمٌ لهُ عاديةٌ فيها الفراقدُ والسماكُ الأعزلُ
ضخمُ المناكبِ تحتَ شجرِ شؤونهِ نابٌ إذا ضغمَ الفحولةَ مقصلُ
وإذا دعوتُ بني فقيمٍ جاءني مجرٌ لهُ العددُ الذي لا يعدلُ
وإذا الربائعُ جاءني دفاعها موجاً كأنهمُ الجرادُ المرسلُ

هذا وفي عدويتي جرثومةٌ صعبٌ مناكبها نيافٌ عيطلُ
وإذا البراجمُ بالقرومِ تخاطروا حولي بأغلبَ عزهُ لا ينزلُ
وإذا بذختْ ورايتي يمشي بها سفيانُ أوْ عدسُ الفعالِ وجندلُ
الأكثرونَ إذا يعدُّ حصاهمُ والأكرمونَ إذا يعدُّ الأولُ
وزحلتَ عنْ عتبِ الطريقِ ولمْ تجدْ قدماكَ حيثُ يقومُ سدَّ المنقلُ
إنَّ الزحامَ لغيركمْ فتجنبوا وردَ العشيِّ إليهِ يخلو المنهلُ
حللُ الملوكِ لنا نسامي أهلها والسابغاتِ إلى الوغى نتسربلُ
أحلامنا تزنُ الجبالَ رزانةً وتخالنا جناً إذا ما نجهلُ
فادفعْ بكفكَ إنْ أردتَ بناءنا ثهلانَ ذا الهضباتِ هلْ يتحلحلُ
وأنا ابنُ حنظلةَ الأغرِّ وإنني في آلِ ضبةَ للمعمِّ المخولُ
فرعانَ قدْ بلغَ السماءَ ذراهما وإليهما من كلِّ خوفٍ يعقلُ
فلئنْ فخرتُ بهمْ لمثلِ قديمهمْ أعلو الحزونَ بهِ ولا أتسهلُ
زيدُ الفوارسِ وابنُ زيدٍ منهمُ وأبو قبيصةَ والرئيسُ الأولُ
أوصى عشيةَ قبلَ فارقَ أهلهُ عندَ الشهادةِ في الصحيفةِ دغفلُ
إنَّ ابنَ ضبةَ كانَ خيراً والداً وأتمّ في حسبِ الكرامِ وأفضلُ
ممن يكونُ بنو كليبٍ رهطهُ أوْ منْ يكونُ إليهمُ يتخولُ
وهمُ على ابنِ مزيقياءَ تنازلوا والخيلُ بينَ عجاجتيها القسطلُ
وهمَ الذين على الأميلِ تداركوا نعماً تشلُّ على الرؤوسِ وتعكلُ
ومحرقاً صفدوا إليهِ يمينهُ بصفادِ مقتسرٍ أخوهُ مكبلُ

ملكانِ يومَ بزاخةٍ أخذوهما وكلاهما تاجٌ عليهِ مكللُ
وهمُ الذينَ علوا عمارةَ ضربةً فوهاءَ فوقَ شؤونهِ لا توصلُ
وهمُ إذا اقتسمَ الأكابرُ ردهمْ وافٍ لضبةَ والركابُ تشللُ
جارٌ إذا غدرَ اللئامُ وفى بهِ حسبٌ ودعوةُ ماجدٍ لا تخذلُ

وعشيةَ الجملِ المجللِ ضاربوا ضرباً شؤونُ فراشهِ تتزيلُ

يا بنَ المراغةِ أينَ خالكِ إنني خالي حبيشٌ ذو الفعالِ الأفضلُ

خالي الذي غصبَ الملوكَ نفوسهمْ وإليهِ كانَ حباءُ جفنةَ ينقلُ

ولئنْ جدعتَ ببظرِ أمكَ أنفها لتنالَ مثلَ قديمهمْ لا تفعلُ

إنا لنضربُ رأسَ كلِّ قبيلةٍ وأبوكَ خلفَ أتانه يتقملُ

يهزُ الهرانعَ عقدهُ عندَ الخصى بأذلَّ حيثُ يكونُ منْ يتذللُ

وشغلتَ عنْ حسبِ الكرامِ وما بنوا إنَّ اللئيمَ عنِ المكارمِ يشغلُ

إنَّ التي فقئتْ بها أبصاركمْ وهيَ التي دمغتْ أباكَ الفيصلُ

وهبَ القصائدَ لي النوابغُ كلهمْ وأبو يزيدَ وذو القروحِ وجرولُ

والفحلُ علقمةُ الذي كانت لهُ حللُ الملوكِ كلامهُ لا ينحلُ

وأخو بني قيسٍ وهنَّ قتلنهُ ومهلهلُ الشعراءِ ذاكَ الأولُ

والأعشيانِ كلاهما ومرقشٌ وأخو قضاعةَ قولهُ يتمثلُ

وأخو بني أسدٍ عبيدٌ إذ مضى وأبو دؤادٍ إنهُ يتنحلُ

وابنا أبي سلمى زهيرٌ وابنهُ وابنُ الفريعةِ حينَ جدَّ المقولُ

والجعفريُّ وكانَ بشرٌ قبلهُ لي منْ قصائدهِ الكتابُ المجملُ

ولقدْ ورثتُ لآلِ أوسٍ منطقاً كالسمِّ خالطَ جانبيه الحنظلُ

والحارثيُّ أخو الحماسِ ورثتهُ صدعاً كما صدعَ الصفاةَ المعولُ

يصدعنَ ضاحيةَ الصفا عنْ متنهِ ولهنَّ منْ جبلي عمايةَ أثقلُ

دفعوا إليَّ كتابهنَّ وصيةً فورثتهنَّ كأنهنَّ الجندلُ

فيهنَّ شاركني المساورُ بعدهمْ وأخو هوازنَ والشآمي الأخطلُ

وبنو غدانةَ يحلبونَ ولمْ يكنْ حربي يقومُ لها اللئيمُ الأعزلُ

فليبركنْ يا حقُّ إنْ لمْ ينتهوا منْ مالكيَّ على غدانةَ كلكلُ

إنَّ استراقكَ يا جريرُ قصائدي مثلَ ادعاكَ سوى أبيكَ تنقلُ

وابنُ المراغةِ يدعي من دارمٍ والعبدُ غيرُ أبيهِ قدْ يتنحلُ

ليسَ الكرامُ بناحليكَ أباهمُ حتى تردَّ إلى عطيةَ تعتلُ

وزعمتَ أنكَ قدْ رضيتَ بما بنى فاصبرْ فما لكَ عنْ أبيكَ محولُ

ولئنْ رغبتَ سوى أبيكَ لترجعنْ عبداً إليهِ كأنَّ أنفكَ دملُ

أزرى بجريكَ أنَّ أمكَ لمْ تكنْ إلا اللئيمَ منَ الفحولةِ تفحلُ

قبح الإلهُ مقرةَ في بطنها منها خرجتَ وكنتَ فيها تحملُ

نشفتْ مني أبيكَ فهيَ خبيثةٌ وبها إلى قعرِ المذلةِ يضهلُ

يبكي على دمنِ الديارِ وأمهُ تعلو على كمرِ الرجالِ وتسفلُ

وإذا بكيتَ على أمامةَ فاستمعْ شتماً يعمُّ ومرةً يتخللُ

أسألتني عنْ حبوتي ما بالها فاسمعْ إلى خبري وعن ما تسألُ

اللومُ يمنعُ منكمُ أنْ تحتبوا والعزُّ يمنعُ حبوتي لا تحللُ

اللهُ أثبتها وعزٌّ لمْ يزلْ مقعنسساً وأبيكَ ما يتحولُ

جبلي أعزُّ إذا الحروبُ تكشفتْ مما بنى لكَ والداكَ وأطولُ

إني ارتفعتُ عليكَ كلَّ ثنيةٍ وعلوتُ فوقَ بني كليبٍ منْ علُ

هلا سألتَ بني غدانةَ ما رأوا حيثُ الأتانُ إلى عمودكَ ترحلُ

كسرتْ ثنيتكَ الأتانُ فشاهدٌ منها بفيكَ مبينٌ مستقبلُ

رمحتكَ حينَ عجلتَ قبلَ وداقها لكنْ أبوكَ وداقها لا يعجلُ

وتركتُ أمكَ يا جريرُ كأنها للناسِ بائكةٌ طريقٌ معملُ

وكأنما كمرُ الرجالِ على استها أورادُ ما سقتِ النباجُ فثيتلُ

يا حقَّ ما منيتِ من رجلٍ لهُ خصيانِ إلاَّ ابنَ المراغةِ يحبلُ

ولئنْ حبلتَ لقدْ شربتَ رثيئةً ما باتَ يفرغُ في الوليدةِ نبتلُ

باتتْ ترقصها العبيدُ وعسها قربانُ مما يجعلونَ وتجعلُ

حتى إذا خثر الإناءُ كأنما فيهِ القريسُ منَ المنيِّ الأشكلُ

وكأنَّ خاثرهُ إذا ارتثؤوا بهِ عسلٌ لهُ حلبتْ عليهِ الأيلُ

قالتْ وخاثرهُ يكرُّ عليهمُ ... والليلُ مختلطُ الغياطلِ أليلُ
لا تشتهي مما همُ أزموا بهِ ... يومينِ من ثقلِ الشرابِ المأكلُ
هذا الذي زحرتْ بهِ أستاهكمْ ... ويرى لهُ لزجٌ إذا يتمثلُ
سجراءُ منكرةٌ إذا خضخضتها ... منها يكادُ إناؤها يتزيلُ
قالتْ لشاعرها كليبٌ كلها ... أتنيكُ أمكَ أمْ تقادُ فتقتلُ
والموتُ أهونُ يا جريرُ منَ التي ... عرضتْ عليكَ فأيَّ تينكَ تفعلُ
والمرتينِ يخيرونكَ فيهما ... فالموتُ منْ خلقيْ عجوزكَ أجملُ
فاختارَ نيكَ كبيرةٍ قدْ أصهرتْ ... شمطاءَ ليفُ عجانها يتفتلُ
قالتْ وقدْ عرفتْ جريراً أمهُ ... مهلاً بنيَّ إليَّ حيثُ تغفلُ
إنَّ الحياةَ إلى الرجالِ حبيبةٌ ... بعدَ الذي فعلَ اللئيمُ الأثولُ

وقال الفرزدق:

أقولُ لصاحبيَّ منَ التعزي ... وقدْ نكبنَ أكثبةَ العقارِ
أعيناني على زفراتِ قلبٍ ... يحنُّ برامتينِ إلى النوارِ
إذا ذكرتْ نوارُ لهُ استهلتْ ... مدامعُ مسبلِ العبراتِ جارِ
فلمْ أرَ مثلَ ما قطعتْ إلينا ... منَ الظلمِ الحنادسَ والصحاري
تخوضُ فروجهُ حتى أتتنا ... على بعدِ المناخِ منَ المزارِ
وكيفَ وصالُ منقطعٍ طريدٍ ... يغورُ معَ النجومِ إلى المغارِ
كسعتُ ابنَ المراغةِ حينَ ولى ... إلى شرِّ القبائلِ والديارِ
إلى أهلِ المضايقِ منْ كليبٍ ... كلابٌ تحتَ أخبيةٍ صغارِ
ألا قبحَ الإلهُ بني كليبٍ ... ذوي الحمراتِ والعمدِ القصارِ
نساءٌ بالمضايقِ ما يواري ... مخازيهنَّ منتقبُ الخمارِ
وما أبكارهنَّ بثيباتٍ ... ولدنَ منَ البعولِ ولا عذاري
ولوْ ترمى بلؤمِ بني كليبٍ ... نجومُ الليلِ ما وضحتْ لساري
ولو لبسَ النهارَ بنو كليبٍ ... لدنسَ لؤمهمْ وضحَ النهارِ

وما يغدو عزيزُ بني كليبٍ ليطلبَ حاجةً إلاَّ بجارِ

بنو السيدِ الأشائمُ للأعادي نموني للعلى وبنو ضرارِ

وأصحابُ الشقيقةِ يومَ لاقوا بني شيبانَ بالأسلِ الحرارِ

وسامٍ عاقدٍ خرزاتِ ملكٍ يقودُ الخيلَ تقذفُ بالمهارِ

أناخَ بهمْ مغاضبةً فلاقى شعوبَ الموتِ أوْ حلقَ الإسارِ

وفضلَ آلَ ضبةَ كلَّ يومٍ وقائعُ بالمجردةِ العواري

وتقتيلُ الملوكِ وإنَّ منهمْ فوارسَ يومَ طخفةَ والنسارِ

وإنهمُ همُ الحامونَ لما تواكلَ منْ يذودُ عنِ الذمارِ

ومنهمْ كانتِ الرؤساءُ قدماً وهمْ قتلوا العدوَّ بكلِّ دارِ

فما أمسى لضبةَ منْ عدوٍّ ينامُ ولا ينيمُ منَ الحذارِ

وقال الفرزدق لجرير:

جرَّ المخزياتِ على كليبٍ جريرٌ ثمَّ ما منعَ الذمارا

وكانَ لهمْ كبكرِ ثمودَ لما رغا ظهراً فدمرهمْ دمارا

عوى فأثار أغلبَ ضيغمياً فويلَ ابنِ المراغةِ ما استثارا

منَ اللائي يظلُّ الألفُ منهُ مشيحاً منْ مخافتهِ نهارا

تظلُّ المخدراتُ لهُ سجوداً حمى الطرقَ المقانبَ والتجارا

كأنَّ بساعديهِ سوادَ ورسٍ إذا هوَ فوقَ أيدي القومِ سارا

وإنَّ بني المراغةِ لمْ يصيبوا إذا اختاروا مشاتمتي اختيارا

هجوني خائنينَ فكانَ شتمي على أكبادهمْ سلعاً وقارا

ستعلمُ منْ تناولهُ المخازي إذا يجري ويدرعُ الغبارا

ونامَ ابنُ المراغةِ عنْ كليبٍ فجللها المخازيَ والشنارا

وإنَّ بني كليبٍ إذْ هجوني لكالجعلانِ إذْ يغشونَ نارا

إذا احترقتْ مآشرها أشارتْ أكارعَ في جواشنها قمارا

تلومُ على هجاءِ بني كليبٍ فيا لكَ للملامةِ منْ نوارا

فقلتُ لها ألما تعرفيني إذا شدتْ محافلتي الإزارا

ولوْ غيرُ الوبارِ بني كليبٍ هجوني ما أردتُ لهمْ حوارا
ولكنَّ اللئامَ إذا هجوني غضبتُ وكانَ نصرتي الجهارا
وقالتْ عندَ آخرِ ما نهتني أتهجو بالخضارمةِ الوبارا
أتهجو بالأقارعِ وابنِ ليلى وصعصعةَ الذي غمرَ البحارا
وناجيةَ الذي كانتْ تميمٌ تعيشُ بحزمهِ أنى أشارا
بهِ ركزَ الرماحَ بنو تميمٍ عشيةَ حلتِ الظعنُ النسارا
وأنتَ تسوقَ بهمَ بني كليبٍ تطرطبُ قائماً تشلي الحوارا
فكيفَ تردُّ نفسكَ يا بنَ ليلى إلى ظربى تحفرتِ المغارا
أجعلانَ الرغامِ بني كليبٍ شرارَ الناسِ أحساباً ودارا
فرافعهمْ فإنَّ أباكَ ينمي إلى العليا إذا احتفروا النقارا
وإنَّ أباكَ أكرمُ منْ كليبٍ إذا العيدانُ تعتصرُ اعتصارا
إذا جعلُ الرغامِ أبو جريرٍ ترددَ حولَ حفرتهِ فحارا
منَ السودِ السراعفِ ما يبالي أليلاً ما تلطخَ أمْ نهارا
لهُ دهديةٌ إنْ خافَ شيئاً منَ الجعلانِ أحرزها احتفارا
وإنْ نفدتْ يداهُ فزلَّ عنها أطافَ بها عطيةُ فاستدارا
رأيتُ ابنَ المراغةِ حينَ ذكى تحولَ غيرَ لحيتهِ حمارا
لهُ أمٌّ بأسفلِ سوقِ حجرٍ تبيعُ لهُ بعنبلها الإزارا
هلمَّ نوافِ مكةَ ثمَّ سائلْ بنا وبكمْ قضاعةَ أوْ نزارا
ورهطَ بني الحسينِ فلا تدعهمْ ذوي يمنٍ وعاظمني خطارا
هنالكَ لوْ نسيتَ بني كليبٍ وجدتهمُ الأدقاءَ الصغارا
وما غرَّ الوبارَ بني كليبٍ بضيمي حينَ أنجدَ واستطارا
وباراً بالفضاءِ سمعنَ رعداً فحاذرنَ الصواعقَ حينَ ثارا

هربنَ إلى مداخلهنَّ منهُ وجاءَ يقلعُ الصخرَ انحدارا
فأدركهنَّ منبعقٌ ثعابٌ بحتفِ الحينْ إذْ غلبَ الحذارا

وقال الفرزدق:

عفى المنازلَ آخرَ الأيامِ قطرٌ ومورٌ واختلافُ نعامِ
قالَ ابنُ صانعةِ الزروبِ لقومهِ لا أستطيعُ رواسيَ الأعلامِ
ثقلتْ عليَّ عمايتانِ ولمْ أجدْ جسماً يحركُ لي جبالَ شمامِ
قالتْ تجاوبهُ المراغةُ أمهُ قدْ رمتَ ويلَ أبيكَ غيرَ مرامِ
فاسكتْ فإنكَ قدْ علمتَ ولمْ تجدْ للقاصعاءِ مآثرَ الأيامِ
ووجدتَ قومكَ فقأوا منْ لؤمهمْ عينيكَ عندَ مكارمِ الأقوامِ
صغرتْ دلاؤهمْ فما ملأوا بها حوضاً ولا شهدوا عراكَ زحامِ
أرداكَ حينكَ أنْ تعارضَ دارماً بأدقةٍ متأشبينَ لئامِ
وحسبتَ بحرَ بني كليبٍ مصدراً فغرقتَ حينَ وقعتَ في القمقامِ
في حومةٍ غمرتْ أباكَ بحورها في الجاهليةِ كانَ والإسلامِ
إنَّ الأقارعَ والحتاتَ وغالباً وأبا هنيدةَ دافعوا لمقامي
بمناكبٍ سبقتْ أباكَ صدورها ومآثرٍ لمتوجينَ كرامِ
إني وجدتُ أبي بنى لي بيتهُ في دوحةِ الرؤساءِ والحكامِ
منْ كلِّ أصيدَ منْ ذؤابةَ دارمٍ ملكٍ إلى نضدِ الملوكِ همامِ
فأسالْ بنا وبكمْ إذا لاقيتمُ جشمَ الأراقمِ أوْ بني همامِ
منا الذي جمعَ الملوكَ وبينهمْ حربٌ يشبُّ سعيرها بضرامِ
وأبي ابنُ صعصعةَ بنِ ليلى غالبٌ غلبَ الملوكَ ورهطهُ أعمامي
خالي الذي تركَ النجيعَ برمحهِ يومَ النقا شرقاً على بسطامِ
والخيلُ تنحطُ بالكماةِ ترى لها رهجاً بكلِّ مجربٍ مقدامِ
والحوفرانُ تداركتهُ غارةٌ منا بأسفلِ أودَ ذي الآرامِ
متجردينَ على الجيادِ عشيةً عصباً مجلحةً بدارِ ظلامِ

وترى عطيةَ ضارباً بفنائهِ ربقينِ بينَ حظائرِ الأغنامِ
متقلداً لأبيهِ كانتْ عندهُ أرباقَ صاحبِ ثلةٍ وبهامِ
ما مسَّ مذْ ولدتْ عطيةَ أمهُ كفا عطيةَ منْ عنانِ لجامِ

وقال الفرزدق:

عرفتَ النازلَ منْ مهددِ كوحيِ الزبورِ بذي الغرقدِ
أناختْ بهِ كلُّ رجاسةٍ وساكبةِ الماءِ لمْ ترعدِ

فأبلتْ أواريَّ حيثُ استطافَ فلوُّ الجيادِ على المزودِ
برى نؤيها دارجاتُ الرياحِ كما يبتري الجفنُ بالمبردِ
ترى بينَ أحجارها للرمادِ كنفضِ السحيقِ منَ الإثمدِ
وبيضٍ نواعمَ مثلِ الدمى كرامٍ خرائدَ منْ خردِ
تقطعُ للهوِ أعناقها إذا ما تسمعنَ للمنشدِ
ألمْ ترَ أنا بني دارمٍ زرارةُ منا أبو معبدِ
ومنا الذي منعَ الوائداتِ وأحيا الوئيدَ فلمْ يوأدِ
وناجيةُ الخيرِ والأقرعانِ وقبرٌ بكاظمةَ الموردِ
إذا ما أتى قبرهُ غارمٌ أناخَ إلى القبرِ بالأسعدِ
فذاكَ أبي وأبوهُ الذي لمقعدهِ حرمُ المسجدِ
ألسنا بأصحابِ يومِ النسارِ وأصحابِ ألويةِ المربدِ
ألسنا الذين تميمٌ بهمْ تسامى وتفخرُ في المشهدِ
وقدْ مدَّ حولي منَ المالكينِ أواذيُّ ذي حدبٍ مزبدِ
إلى هادراتٍ صعابِ الرؤوسِ قساورَ للقسورِ الأصيدِ
أيطلبُ مجدَ بني دارمٍ عطيةُ كالجعلِ الأسودِ
ومجدُ بني دارمٍ فوقهُ مكانَ السماكينِ والفرقدِ
سأرمي ولوْ جعلتْ في اللئامِ وردتْ إلى دقةٍ المحتدِ

كليباً وما أوقدتْ نارها ... لقدحٍ مفاضٍ ولا مرفدِ

ولا دافعوا ليلةَ الصارخينَ ... لهمْ صوتُ ذي غرةٍ موقدِ

ولكنهمْ يلهدونَ الحميرَ ... ردافى على العجبِ والقرددِ

على كلِّ قعساءَ محزومةٍ ... بقطعةِ ربقٍ ولمْ تلبدِ

موقعةٍ ببياضِ الركوبِ ... كهودِ اليدينِ معَ المكهدِ

قرنبى تسوفُ قفا مقرفٍ ... لئيمٍ مآثرهُ قعددِ

ينيكونهنَّ ويحملنهمْ ... وهنَّ طلائعُ بالمرصدِ

ترى كلَّ مصطرةِ الحافرينَ ... يقالُ لها للنزالِ اركدي

بهنَّ يحابونَ أختانهمْ ... ويشفونَ كلَّ دمٍ مقصدِ

فما حاجبٌ في بني دارمٍ ... ولا أسرةُ الأقرعِ الأمجدِ

ولا آلُ قيسٍ بنو خالدٍ ... ولا الصيدُ صيدُ بني مرثدِ

بأخيلَ منهمْ إذا زينوا ... بمغرتهمْ حاجبيْ مؤجدِ

حمارٌ لهمْ منْ بناتِ الكدادِ ... يدهمجُ بالوطبِ والمزودِ

يبيعونَ نزوتهُ بالوصيفِ ... وكوميهِ بالناشئِ الأمردِ

فهذا سبابي لكمْ فاصبروا ... على الناقراتِ وقدْ أعتدي

إذا ما اجتدعتُ أنوفَ اللئامِ ... عفرتُ الخدودَ إلى الجدجدِ

يغورُ بأعناقها الغائرونَ ... ويخبطنَ نجداً معَ المنجدِ

وكانَ جريرٌ على قومهِ ... كبكرِ ثمودٍ لها الأنكدِ

رغا رغوةً بمناياهمُ ... فصاروا رماداً معَ الرمددِ

كلابٌ تعاظلُ سودُ الفقا ... حِ لمْ تحمِ شيئاً ولمْ تصطدِ

وتربقُ باللؤمِ أعناقها ... بأرباقِ لؤمهمِ الأتلدِ

إلى مقعدٍ كمبيتِ الكلابِ ... قصيرٍ جوانبهُ مبلدِ

يواري كليباً إذا استجمعتْ ... ويعجزُ عنْ مجلسِ المقعدِ

وقال الفرزدق يجيب جريراً:

تقولُ كليبٌ حينَ مثتْ سبالها وأخصبَ منْ مروتها كلُّ جانبِ

لسؤبانِ أغنامٍ رعتهنَّ أمهُ إلى أنْ علاها الشيبُ فوقَ الذوائبِ

ألستَ إذا القعساءُ أنسلَ ظهرها إلى آلِ بسطامِ بن زيقٍ بخاطبِ

لقوا ابنيْ جعالٍ والجحاشُ كأنها لهمْ ثكنٌ والقومُ ميلَ العصائبِ

فقالا لهمْ ما بالكمْ في برادكمْ أمنْ فزعٍ أمْ حولَ ريانَ لاغبِ

فقالوا سمعنا أنَّ حدراءَ زوجتْ على مائةٍ شمِّ الذرى والغواربِ

وفينا من المعزى تلادٌ كأنها ظفاريةُ الجزعِ الذي في الترائبِ

بهنَّ نكحنا غالياتِ نسائنا وكلُّ دمٍ منا لديهنَّ واجبِ

فقالَ ارجعوا إنا نخافُ عليكمُ يديْ كلِّ سامٍ منْ ربيعةَ شاغبِ

وإلاَّ تعودوا لا تجيؤوا ومنكمُ لهُ مسمعٌ غيرُ القروحِ الجوالبِ

فلوْ كنتَ منْ أكفاءِ حدراءَ لمْ يكنْ على دارميٍّ بينَ ليلى وغالبِ

فنلْ مثلها منْ مثلهمْ ثمَّ لمهمُ بمالكَ منْ مالٍ مراحٍ وعازبِ

وإني لأخشى إنْ خطبتَ إليهمِ عليكَ الذي لاقى يسارُ الكواعبِ

ولوْ قبلوا مني عطيةَ سقتهُ إلى آلِ زيقٍ منْ وصيفٍ مقاربِ

همُ زوجوا قبلي ضراراً وأنكحوا لقيطاً وهمْ أكفاؤنا في المناسبِ

ولوْ تنكحُ الشمسُ النجومَ بناتها إذنْ لنكحناهنَّ قبلَ الكواكبِ

وما استعهدَ الأقوامُ منْ زوجِ حرةٍ منَ الناسِ إلاَّ منكَ أوْ منْ محاربِ

لعلكَ في حدراءَ لمتَ على الذي تخيرتِ المعزى على كلِّ حالبِ

عطيةَ أوْ ذي بردتينِ كأنهُ عطيةُ زوجٍ للأتانِ وراكبِ

رد عطية على الذي، وتقديره: على كل حالب أو على ذي بردتين أي على رجل ذي بردتين كأن عطية زوج الأتان. وراكب: خفضه على نعت رجل يقول كان لومك في تزويجي حدراء لمت على أبيك أو نفسك، ثم إن حدراء الشيبانية التي ذكرها الفرزدق كان أبوها نصرانياً، وهي من ولد قيس بن بسطام ماتت قبل أن يصل إليها الفرزدق، وقد ساق إليها المهر وهي مملكة فترك المهر لأهلها وانصرف، وقال الفرزدق في ذلك:

عجبتُ لحادينا المقحمِ سيرهُ ... بنا مزحفاتٍ منْ كلالٍ وظلعا
ليدنيننا ممنْ إلينا لقاؤهُ ... حبيبٌ ومنْ دارٍ أردنا لتجمعا
ولوْ يعلمُ الغيبَ الذي منَ أمامنا ... لكرَّ بنا الحادي الركابَ فأسرعا
لقلتُ ارجعنها إنَّ لي منْ ورائها ... خذوليْ صوارٍ بينَ قفٍّ وأجرعا
منَ العوجِ أعناقاً عقالٌ أبوهما ... تكونانِ للعينينِ والقلبِ مقنعا
نوارُ لها يومانِ يومٌ غريرةٌ ... ويومٌ كغرثى جروها قدْ تيفعا
يقولونَ زُرْ حدراءَ والتربُ دونها ... وكيفَ بشيءٍ وصلهُ قدْ تقطعا
فلستُ وإنْ عزتْ عليَّ بزائرٍ ... تراباً على مرسومةٍ قدْ تضعضعا
وأهونُ مفقودٍ إذا الموتُ نالهُ ... على المرءِ منْ أصحابهِ منْ تقنعا
يقولُ ابنُ خنزيرٍ بكيتَ ولمْ تكنْ ... على امرأةٍ عيني إخالُ لتدمعا
وأهونُ رزءٍ لامرئٍ غيرِ عاجزٍ ... رزيةُ مرتجِّ الروادفِ أفرعا
وما ماتَ عندَ ابنِ المراغةِ مثلها ... ولا تبعتهُ ظاعناً حيثُ دعدعا
لعمري لقدْ قالتْ أمامةُ إذْ رأتْ ... جريراً بذاتِ الرقمتينِ تشنعا
أمكتفلٌ بالرقمْ إذْ أنتَ واقفٌ ... أتانكَ أمْ ماذا تريدُ لتصنعا
رأيتكَ تغشى كاذتيها ولمْ تكنْ ... لتركبَ إلاَّ ذا السحوجِ الموقعا
دعتْ يا عبيدُ بنُ الحرامِ ألا ترى ... مكانَ الذي أخزى أباكَ وجدعا
أأعيا عليكَ الناسُ حتى جعلتَ لي ... خليلاً يغاديني وآتنهُ معا

وقال الفرزدق لجرير:

أعرفتَ بينَ رويتينِ وحنبلٍ ... دمناً تلوحُ كأنها الأسطارُ
لعبَ العجاجُ بكلِّ معرفةٍ لها ... وملثةٌ غبياتها مدرارُ
فعفتْ معالمها وغيرَ رسمها ... ريحٌ تروحُ بالحصى مبكارُ
فترى الأثافيَ والرمادَ كأنهُ ... بوٌّ عليهِ روائمٌ أظآرُ
ولقدْ يحلُّ بها الجميعُ وفيهمُ ... حورُ العيونِ كأنهنَّ صوارُ
يأنسنَ عندَ بعولهنَّ إذا التقوا ... وإذا همُ برزوا فهنَّ خفارُ

شمسٌ إذا بلغَ الحديثُ حياءهُ ... وأوانسٌ بكريمةٍ أغرارُ
وكلامهنَّ كأنما مرفوعهُ ... بحديثهنَّ إذا التقينَ سرارُ
رجحٌ ولسنَ منَ اللواتي بالضحى ... لذيولهنَّ على الطريقِ غبارُ
وإذا خرجنَ يعدنَ أهلَ مصابةٍ ... كانَ الخطا لسراعها الأشبارُ
هنَّ الحرائرُ لمْ يرثنَ لمعرضٍ ... مالاً وليسَ أبٌ لهنَّ يجارُ
فاطرحْ بعينكَ هلْ ترى أظعانهمْ ... كالدومِ حينَ تحملَ الأخدارُ
يغشى الإكامَ بهنَّ كلُّ مخيسٍ ... قدْ شاكَ مختلفاتهُ موارُ
فإذا العيونُ تكارهتْ أبصارها ... وجرى بهنَّ معَ السرابِ قفارُ
نظرَ الدلهمسُ نظرةً ما ردها ... حولٌ بمقلتهِ ولا عوارُ
فرأى الحمولَ كأنما أحداجها ... في الآلِ حينَ سما بها الإظهارُ
نخلٌ يكادُ ذراهُ منْ قنوانه ... بذريعتينِ يميلهُ الإيقارُ
إنَّ الملامةَ مثلُ ما بكرتْ بهِ ... منْ تحتِ ليلتها عليكَ نوارُ
وتقولُ كيفَ يميلُ مثلكَ للصبا ... وعليكَ منْ سمةِ الحليمِ عذارُ

والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأنهُ ... ليلٌ يصيحُ بجانبيهِ نهارُ
إنَّ الشبابَ لرابحٌ منْ باعهُ ... والشيبُ ليسَ لبائعيهِ تجارُ
يا بنَ المراغةِ أنتَ ألأمُ منْ مشى ... وأذلُّ منْ لبنانهِ أظفارُ
وإذا ذكرتَ أباكَ أوْ أيامهُ ... أخزاكَ حيثُ تقبلُ الأحجارُ
إنَّ المراغةَ مرغتْ يربوعها ... في اللؤمِ حيثُ تجاهدَ المضمارُ
أنتمْ قرارةُ كلِّ مدفعِ سوأةٍ ... ولكلِّ دافعةٍ يسيلُ قرارُ
إني غممتكَ بالهجاء وبالحصى ... ومكارمٍ لفعالهنَ منارُ
ولقدْ عطفتُ عليكَ حرباً مرةً ... إنَّ الحروبَ عواطفٌ أمرارُ
حرباً وأمكَ ليسَ منجي هاربٍ ... منها ولوْ ركبَ النعامَ فرارُ
فلأفخرنَّ عليكَ فخراً لي بهِ ... قحمٌ عليكَ منَ الفخارِ كبارُ

إني ليرفعني عليكَ لدارمٍ قرمٌ لهمْ ونجيبةٌ مذكارُ

وإذا نظرتَ رأيتَ قومكَ دارماً في الجوِّ حيثُ تقطعُ الأبصارُ

إني لأشتمكمْ وما في قومكمْ حسبٌ يعادلنا ولا أخطارُ

هلْ تعدلنَّ بقاصعائكَ معشراً لهمُ السماءُ عليكَ والأنهارُ

الأكرمونَ إذا يعدُّ قديمهمْ والأكثرونَ إذا يعدُّ كثارُ

ولهمْ عليكَ إذا القرومُ تخاطرتْ خمطُ الفحولةِ مصعبٌ خطارُ

ولهمْ عليكَ إذا البحورُ تدافعتْ لججٌ يغمكَ موجهنَّ غمارُ

قومٌ يردُّ بهمْ إذا ما استلاموا غضبُ الملوكِ وتمنعُ الأدبارُ

فاسألْ غداةَ جدودَ أيَّ فوارسي منعوا النساءَ لعوذهنَّ خؤارُ

والخيلُ عابسةٌ على أكتافها دفعٌ تبلُّ صدورها وغبارُ

إنا وأمكَ ليسَ ما تظلُّ جيادنا إلاَّ شوازبَ لاحهنَّ غوارُ

قباً بنا وبهنَّ يمنعُ والقنا وغمُ العدوِّ وتنقضُ الأوتارُ

كمْ كانَ منْ ملكٍ وطئنَ وسوقةٍ أطلقنهُ وبساعديهِ إسارُ

كانَ الفداءُ لهُ صدورَ رماحنا والخيلَ إذْ رهجُ الغبارِ مثارُ

ولئنْ سألتَ لتنبأنَّ بأننا نسمو بأكرمِ ما تعدُّ نزارُ

قالَ الملائكةُ الذين تخيروا والمصطفونَ لدينهِ الأبرارُ

أبكى الإلهُ على بليةَ منْ بكى جدثاً ينوحُ على صداهُ حمارُ

كانتْ منافقةَ الحياةِ وموتها خزيٌ علانيةٌ عليكَ وعارُ

فلئنْ بكيتَ على الأتانِ لقدْ بكى جزعاً غداةَ فراقها الأعيارُ

ينهسنَ أذرعهنَّ حيثُ عهدنها ومكانُ جثوتها لهنَّ دوارُ

تبكي على امرأةٍ وعندكَ مثلها قعساءُ ليسَ لها عليكَ خمارُ

وليكفينكَ فقدَ زوجتكَ التي هلكتْ موقعةُ الظهورِ قصارُ

أخواتُ أمكَ كلهنَّ حريصةٌ ألاَّ يفوتكَ عندها الإصهارُ

بكراً عستْ بكَ أنْ تكونَ حظيةً إنَّ المناكحَ خيرها الأبكارُ

إنَّ الزيارةَ في الحياةِ ولا أرى ... ميتاً إذا دخلَ القبورَ يزارُ

ولقدْ هممتَ بسوأةٍ ففعلتها ... في اللحدِ حيثُ تمكنَ المحفارُ

لما رأتْ ضبعيْ بليةَ أجهشتْ ... والأرضُ غير ثلاثهنَّ قفارُ

لما جننتَ اليومَ منها أعظماً ... يبرقنَ بينَ فصوصهنَّ فقارُ

أفبعدَ ما أكلَ الضباعُ رحيبها ... تذري الدموعَ أهانكَ القهارُ

ورثيتها وفضحتها في قبرها ... ما مثلَ ذلكَ تفعلُ الأخيارُ

وأكلتَ ما ذخرتْ لنفسكَ دونها ... والجدبُ فيهِ تفاضلُ الأبرارُ

آثرتَ نفسكَ باللويةِ والتي ... كانتْ لها ولمثلها الأذخارُ

وترى اللئيمَ كذاكَ دونَ عيالهِ ... وعلى قعيدتهِ لهُ استئثارُ

ينسى حليلتهُ إذا ما أجدبتْ ... ويهيجهُ لبكائها القسبارُ

أنسيتَ صحبتها ومنْ يكُ مقرفاً ... تخرجْ مغبةَ سرهِ الأخبارُ

لما شبعتَ ذكرتَ ريحَ كسائها ... وتركتها وشتاؤها هرارُ

هلاَّ وقدْ غمرتْ فؤادكَ كثبةٌ ... والضأنُ مخصبةُ الجنابِ غزارُ

هجهجتَ حيثُ دعتكَ إذْ لمْ تأتها ... حيثُ السباعُ شوارعٌ كشارُ

نهضتْ لتحرزَ شلوها فتجورتْ ... والمخُّ منْ قصبِ القوائمِ رارُ

قالتْ وقدْ جمحتْ على مملولها ... والنارُ تخبو مرةً وتثارُ

عجفاءُ عاريةُ العظامِ أصابها ... جدبُ الزمانِ وجدها العثارُ

أبني الحرامِ فتاتكمْ لا تهزلنْ ... إنَّ الهزالَ على الحرائرِ عارُ

لا تتركنَّ ولا تزالا عندها ... منكمْ لحدِّ شتائها ميارُ

وبحقها وأبيكَ تهزلُ ما لها ... مالٌ فيعصمها ولا أيسارُ

وترى شيوخَ بني كليبٍ بعدما ... شمطَ اللحى وتسعسعَ الأعمارُ

يتكلمونَ معَ الرجالِ تراهمُ ... زبَّ اللحى وقلوبهمْ أصفارُ

أعجلتَ أمْ قدْ راثَ ريحُ شوائنا ... أمْ ليسَ للكمرِ الكبارِ قتارُ

متقصباتٌ عندَ شرٍّ بعولةٍ شمطتْ رؤوسهمُ وهمْ أغمارُ

ونسيةٌ لبني كليبٍ عندهمْ مثلُ الخنافسِ بينهنَّ وبارُ

منْ كلِّ حنكلةٍ يواجهُ بعلها بظرٌ كأنَّ لسانهُ منقارُ

أمةُ اليدينِ لئيمةٌ آباؤها سوداءُ حيثُ يعلقُ التقصارُ

كانتْ تطيبُ بالفساءِ ولمْ يلجْ بيتاً لها بذكيةٍ عطارُ

مما يباكرهُ النشيلُ وعندهُ صفراءُ منْ زبدِ الكرومِ عقارُ

وتبيتُ تسهرهُ العروقُ وما بهِ حمى فتدخلهُ ولا أصفارُ

متعالمُ النفرِ الذينَ همُ همُ بالتبلِ لا غمرٌ ولا أفتارُ

فاربطْ لأمكَ عنْ أبيكَ أتانهُ واخسأ فما بكَ للكريمِ فخارُ

كمْ كانَ قبلكَ منْ لئيمٍ خائنٍ تركتْ مسامعهُ وهنَّ صغارُ

وقال الفرزدق يمدح بني تغلب، ويهجو جريراً:

يا بنَ المراغةِ والهجاءُ إذا التقتْ أعناقهُ وتماحكَ الخصمانِ

ما ضرَّ تغلبَ وائلٍ أهجوتها أمْ بلتَ حيثُ تناطحَ البحرانِ

يا بنَ المراغةِ تغلبُ ابنةُ وائلٍ رفعوا عناني فوقَ كلِّ عنانِ

كانَ الهذيلُ يقودُ كلَّ طمرةٍ دهماءَ مقربةٍ وكلَّ حصانَ

يصهلنَ بالنظرِ البعيدِ كأنما إرنانها ببوائنِ الأشطانِ

يقطعنَ كلَّ مدى بعيدٍ غولهُ خببَ السباعِ يقدنَ بالأرسانِ

وكأنَّ راياتِ الهذيلِ إذا بدتْ فوقَ الخميسِ كواسرُ العقبانِ

وردوا إرابَ بجحفلٍ منْ وائلٍ لجبِ العشيِّ ضباركِ الأركانِ

ويبيتُ فيهِ منَ المخافةِ عائذاً ألفٌ عليهِ قوانسُ الأبدانِ

تركوا لتغلبَ إذْ رأوا أرماحهمْ بإرابَ كلَّ لئيمةٍ مدرانِ

تدمي وتغلبُ يمنعونَ بناتهمْ أقدامهنَّ حجارةُ الصوانِ

لولا أناتهمْ وفضلُ حلومهمْ باعوا أباكَ بأوكسِ الأثمانِ

يمشينَ في آثرِ الهذيلِ وتارةً يردفنَ خلفَ أواخرِ الركبانِ

والحوفزانُ أميرهمْ متضائلٌ في جمعِ تغلبَ ضاربٌ بجرانِ
أحببنَ تغلبَ إذْ هبطنَ بلادهمْ لما سمنَّ وكنَّ غيرَ سمانِ
يمشينَ بالفضلاتِ وسطَ شروبهمْ يتبعنَ كلَّ عقيرةٍ ودخانِ
يتبايعونَ إذا انتشوا ببناتكمْ عندَ الإيابِ بأوكسِ الأثمانِ
واسألْ بتغلبَ كيفَ كانَ قديمها وقديمُ قومكَ أولَ الأزمانِ
قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عنوةً عمراً وهمْ قسطوا على النعمانِ
قتلوا الصنائعَ والملوكَ وأوقدوا نارينِ قدْ علتا على النيرانِ
لولا فوارسُ تغلبَ ابنةِ وائلٍ نزلَ العدوُّ عليكَ كلَّ مكانِ
حبسوا ابن قيصرَ فابتنوا برماحهمْ يومَ الكلابِ كأكرمِ البنيانِ
ولقدْ علمتُ ليذرفنْ ذا بطنةٍ بربوعكمْ لموقصِ الأقرانِ
إنَّ الأراقمِ لنْ ينالَ قديمها كلبٌ عوى متهتمَ الأسنانِ
قومٌ إذا وزنوا بقومٍ أفضلوا مثلي موازنهمْ على الميزانِ

وقال الفرزدق فيما كان بينه وبين قيس حين قتل قتيبة فهجاه جندل بن الراعي وذو الأهدام الجعفري فهجاهما الفرزدق، وهجا جريراً معهما فقال:

محتِ الديارَ فأذهبتْ عرصاتها محوَ الصحيفةِ بالبلى والمورِ
ريحانِ يختلفانِ في طردِ الحصى طرداً لهُ بعشيةٍ وبكورِ
وروائمٍ ولداً ولمْ ينتجنهُ قدْ بتنَ تحتَ وئيةٍ لقدورِ

وكأنَّ حيثُ أصابَ منهنَّ الصلى كلفاً بهنَّ وراشحاً منْ قيرِ
وكأنَّ فرخَ حمامةٍ رئمتْ بهِ باقي الرمادِ بهنَّ بعدَ عصورِ
مثلَ الحداةِ وقعنَ حولَ حمامةٍ ما إنْ يبينُ رمادها لبصيرِ
يا ليتَ شعري إنْ عظامي أصبحتْ في الأرضِ رهنَ حفيرةٍ وصخورِ
هلْ تجعلنَّ بنو تميمٍ منهمُ رجلاً يكونُ لهُ بمثلِ ثغوري
إني ضمنتُ لمنْ أتى لي ما جنى وأبي فكانَ وكنتُ غيرَ غدورِ

يقري المئينَ رميمُ أعظمِ غالبٍ فيفي بها ويفكُّ كلَّ أسيرِ
والمستجارُ بهِ فما كحبالهِ للمستغيثِ بهِ حبالُ مجيرِ
يا بنَ الخليةِ لنْ تنالَ بعامرٍ لججاً إذا زخرتْ إليَّ بحوري
عمري وحنظلتي اللذانِ تنازعا سبباً أمرَّ فكانَ غيرَ غرورِ
وبآلِ سعدٍ يا بنَ ألأمِ منْ مشى سعدِ السعودِ علوتُ كلَّ فخورِ
لو كنتَ تعلمُ ما برملِ مقيدٍ وقرى عمانَ إلى ذواتِ حجورِ
لعلمتَ أنَّ قبائلاً وقبائلاً منْ آلِ سعدٍ لمْ تدنْ لأميرِ
أدتْ بهمْ نجبٌ حواصنُ حملها لأبٍ وأمكَ كانَ غيرَ نزورِ
لوْ كانَ بالَ بعامرٍ ما أصبحتْ بشمامَ يفضلهمْ عظامُ جزورِ
وإذا الربابُ تربتْ أحلافها عظمتْ مخاطرتي وعزَّ نصيري
إنا وأخوتنا إذا ما ضمنا بالأخشبينِ منازلُ التجميرِ
عرفَ القبائلُ أننا أربابها وأحقها بمناسكِ التكبيرِ
ما مثلهنَّ يعدهُ في قومهِ أحدٌ سوايَ بمنجدٍ ومغورِ
هنَّ المكارمُ كلهنَّ معَ الحصى غيرَ القليلِ لنا ولا المكثورِ
وأبي الذي ردَّ المنيةَ قبرهُ والسيفُ فوقَ أخادعِ المصبورِ
عرضتْ لهُ مائةٌ فأطلقَ حبلهُ أعناقها بكثيرةٍ جرجورِ
وإذا أخندفُ بالمنازلِ من منىً طارَ القبائلُ ثمَّ كلَّ مطيرِ
فرقاً وإنَّ رقابهمْ مملوكةٌ لمسلطٍ ملكِ اليدينِ كبيرِ
منا النبيُّ محمدٌ يجلى بهِ عنا العمى بمصدقٍ مأمورِ
خيرُ الذينَ أمامهُ ووراءهُ بالمحكماتِ مبشرٍ ونذيرِ
وإذا بنو أسدٍ رمتْ أيديهمِ دوني ورجعَ قرمهمْ بهديرِ
خشعَ الفحالةَ تحتهُ ورأتْ لهُ فضلاً على متفضلينَ كثيرِ
نبحتْ كلابُ الجنِّ لما أجحرتْ فرقاً لدى متبهنسٍ مضبورِ
لما رأينَ صلابةً في رأسهِ أقعينَ ثمَّ ضغونَ بعدَ هديرِ

والجعفريةُ غيرُ فارحةٍ لها أمٌّ لها بغلامها المسرورِ
ويفرُّ حينَ يشبُّ عنها إنْ دعتْ ويريدُ حينَ يموصُ للتطهيرِ
سترى منِ المتقدمونَ إذا التقتْ ركبانُ منخرقِ العجاجِ قعيرِ
أملوكُ خندفَ أمْ تيوسُ حبلقٍ يمذينَ بينَ أكارعٍ ونحورِ
يا قيسُ إنكمُ وجدتمْ حوضكمْ غالَ القرى بمهدمٍ مفجورِ
ذهبتْ غوائلهُ بما أفرغتمُ برشاءِ ضيقةِ الفروغِ قصيرِ
إنَّ الحجازَ إذا هبطتمْ دونهُ كنتمْ غنيمتهُ لكلِّ مغيرِ
ولقدْ عجبتُ إلى هوازنَ أصبحتْ مني تلوذُ ببظرِ أمِّ جريرِ
بئسَ المدافعُ عنهمُ علودها وابنُ المراغةِ كانَ شرَّ أجيرِ
يا بنَ الخليةِ إنَّ حربيَ مرةٌ فيها مذاقةُ حنظلٍ وصبورِ
لوْ أنَّ أمكَ حينَ أخرجتِ استها والحيضُ بالكعبينِ كالتمغيرِ
أوْ عادَ أيركَ حيثُ كانتْ أخرجتْ لحييكَ منْ غرمولها بزحيرِ
ولكانَ عندَ هجاءِ قومكَ نيكها مثلينِ عندَ فواضحِ التعييرِ
قدْ كانَ في هجرٍ ونخلِ محلمٍ ثمرٌ لملتمسِ الطعامِ فقيرِ
وإذا همُ جمعوا لهُ منْ بزهمِ غلثوا لهُ في ثوبهِ بشعيرِ
منْ كلِّ أجدعَ خارجٍ غرضوفهُ بينَ الحواجبِ والسبالِ قصيرِ
وأبوكَ حينَ دعا بآخرِ صوتهِ يدعو إلى الغمراتِ غيرَ وقورِ
وبنو الهجيمِ كأنما شدخوا بهِ هدمَ المغارةِ منْ ضباعِ حفيرِ
فرجعتَ حينَ رجعتَ ألأمَ ثائرٍ خزيانَ لا بدمٍ ولا بأسيرِ

لوْ كنتَ مثلَ أخي القصافِ وسيفهِ يومَ الشباكِ لكنتَ غيرَ فرورِ
ضربَ ابنَ عبلةَ ضربةً مذكورةً أبكى بها وشفى غليلَ صدورِ
وبنى بها حسباً وراحَ عشيةً بثيابِ لا دنسٍ ولا موتورِ
ما بتَّ ليلكَ يا بنَ واهصةِ الخصى رهناً لمحمضةِ الوطابِ خبورِ

يا ابنيْ حميضةَ إنما أثراكما		في الغيِّ ثروةُ شقوةٍ وفجورِ
العاويينِ إليَّ حيثُ تضرمتْ		ناري وقدْ ملأ البلادَ زئيري
حينَ اعنزمتُ ولمْ يكنْ في موطني		سقطٌ ولفعَ مفرقي بقتيرِ
وجريتُ حينَ جريتُ جريَ محافظٍ		مرحِ العنانِ منَ المئينَ ضبورِ
ولقدْ حلفتُ على يمينٍ برةٍ		بالراقصاتِ إلى منىً وثبيرِ
فلتقرعنَّ عصاكما فاستسمعا		لمجربِ الوقعاتِ غيرَ عثورِ
قبحَ الإلهُ خصاكما إذْ أنتما		رفانِ فوقَ أصلكَّ كاليعفورِ
لولا ارتدافكما الخصيَّ عشيةً		يا ابنيْ حميضةَ جئتما في العيرِ
لتعرفتْ عرساكما جسديكما		عدلينِ فوقَ رحالةٍ وبعيرِ
راخاكما ولقدْ دنتْ نفساكما		منهمْ نقالَ مقربٍ محضيرِ
نجاكما حلبٌ لهُ وقفيةٌ		دونَ العيالِ لهُ بكلِّ سحورِ
وبنو الخطيمِ مجردوا أسيافهمْ		ضرباً بلاحقةِ البطونِ ذكورِ
قتلوا شيوخكمُ الجحاجحَ بعدما		نكحوا نساءكمُ بغيرِ مهورِ
وإذا اختللنَ فأحمضوا أحراحها		كمراً بناتِ حميضةَ بنِ بحيرِ
الوالداتُ وما لهنَّ بعولةٌ		والقاتلاتُ لهنَّ كلَّ صغيرِ
والمدلجاتُ إذا النجومُ تغورتْ		والتابعاتُ دعاءَ كلِّ صفيرِ
وإذا المنى جمحتْ بهنَّ إلى الهوى		منهنَّ حينَ نشرنَ كلَّ ضميرِ
مالتْ بهنَّ ضواربٌ أحراحها		يخلجنَ بينَ فياشلٍ وأيورِ
والجعفريةُ حينَ تحتلبُ ابنها		لأبيهِ في الخلواتِ شرٌّ عشيرِ
حتى تفارقَ زوجها منْ جعفرٍ		فيهمْ كريمةُ عوده المعصورِ
إنَّ المخازيَ لمْ تدعْ منْ جعفرٍ		حياً وقدْ وردتْ على المقيورِ
هلْ تعرفونَ إذا ذكرتمْ قرزلاً		أيامَ ندَّ بفارسٍ مذعورِ
إذْ لا يودُّ بهِ طفيلٌ إنهُ		بالجو فوقَ مدربٍ ممطورِ
إذْ هامةُ ابنِ خويلدٍ مقصومةٌ		وجعارِ قدْ ذهبتْ بأيرِ بحيرِ

جاءتْ بهِ أصلاً إلى أولادها | يمشي بهِ معها لهمْ بعشيرِ
أمْ يومَ بادَ بنو هلالٍ إذْ همُ | بالخيلِ مكتنفونَ حولَ وعورِ
باتوا بمرتكمِ الكتيبِ كأنهمْ | للقومِ يقتسمونَ لحمَ جزورِ
والعامريُّ على القرى حينَ القرى | والطعنُ بالأسلاتِ غيرُ صبورِ
أبني بروعَ يا بنَ ألأمِ منْ مشى | ما أنتَ حينَ نبحتني بعقورِ
وإذا اليمامةُ أثمرتْ حيطانها | وقعدتَ يا بنَ خضافِ فوقَ سريرِ
لويتَ بي شدقيكَ تحسبُ أنني | أعيا بلومكَ يا بنَ عبدِ كثيرِ

وقال الفرزدق، وذكر أبو عبيدة معمر، عن أعين بن لبطة بن الفرزدق، قال: كان جناب بن شريك بن همام بن صعصعة بن ناجية بن عقال، قد نكح بنت بسطام بن قيس بن أبي ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل، فترل جناب بن شريك مع بني قطن بلصاف، فوقع بين حكيم وربعي ابني المحشر بن أبي ضمرة بن جابر كلام في مفاخرة.

فأمهل حتى إذا وردت إبله، وكانت ثمانين، وقعدت المجالس وتجمع الناس، وشربت الإبل، أمر عبداً له خراسانياً كان راعيها، فجعل يجلسها عليه.

فلما اجتمعت الإبل. حمل عليها بالسيف فعقرها، فأرادت بنو نهشل أن تعقر كما عقر، فقال لهم الناس: أتعاقرون آل صعصعة؟ والله لئن عقرتم مائة ليعقرن جناب مائة، وليعقرن الفرزدق بالبصرة مائة، وبالكوفة مائة ومائة بمكة ومائة بالمدينة ومائة بالموسم ومائة بالشام، فلتكفن بعدما تغلبون وتحزنون فكفوا.

قال أعين فبينا جناب يشد على إبله بالسيف إذ وقعت رجل ناقة منها في أطناب بيت فتاة من بني نهشل فهتكته، فقالت: لعلك تظن أن عقرك يذهب لؤمك، فقال: لا أشتم بنت العم ولكن دونك فكلي من هذا اللحم. وبلغ الخبر الفرزدق وهو بالبصرة فقال:

بني نهشلٍ أبقوا عليكمْ ولمْ تروا | سوابقَ حامٍ للذمارِ مشهرِ

كريمٌ تشكى قومهُ مسرعاتهِ | وأعداؤهُ مصغونَ للمتسورِ
ألانَ إذْ هزتْ معدٌّ علالتي | ونابي دموعٍ للمذلينَ مصحرِ
بني نهشلٍ لا تحملوني عليكمُ | على دبرٍ أندابهُ لمْ تقشرِ
وإنا وإياكمْ جرينا فأينا | تقلدَ حبلَ المبطئِ المتأخرِ

عشيةَ خلى عنْ رقاشِ وجلحتْ به سوحقٌ كالطائرِ المتمطرِ
ولوْ كانَ حريٌّ بنُ ضمرةَ فيكمُ لقالَ لكمْ لستمْ على المتخيرِ
يفدي علالاتِ الغوايةِ إذْ دنا لهُ فارسُ المدعاسِ غيرِ المغمرِ
وأيقنَ أنَّ الخيلَ لمْ تلتبسْ بهِ يقظْ عانياً أوْ جيفةً بينَ أنسرِ
وما تركتْ منكمْ رماحُ مجاشعٍ وفرسانها إلاَّ أكولةَ منسرِ
عشيةَ روحنا عليكمْ خناذذاً منَ الخيلِ إذْ أنتمْ قعودٌ بقرقرِ
أبا معقلٍ لولا حواجزُ بيننا وقربى ذكرناها لآلِ المجبرِ
إذاً لركبنا العامَ حدَّ ظهوركمْ على وقرٍ أندابهُ لمْ تغفرِ
فما بكَ منْ هذا وقدْ كنتَ تجتني جنى شجرٍ مرِّ العواقبِ ممقرِ
ولستُ بهاجٍ جندلاً إنَّ جندلاً بنونا وهمْ أولادُ سلمى المجبرِ
وهمْ بينَ بيتِ الأكثرينَ مجاشعٍ وسلمى وربعيّ بن سلمى ومنذرِ
ولا جابراً والحينُ يوردُ أهلهُ مواردَ أحياناً إلى غيرِ مصدرِ
ولا التوأمينِ المانعينِ حماهما إذا كانَ يومٌ ذو عجاجٍ مثورِ
أنا ابنُ عقالٍ وابنُ ليلى وغالبٍ وفكاكِ أغلالِ الأسيرِ المكفرِ
وكانَ لنا شيخانِ ذو القبرِ منهما وشيخٌ أجارَ الناسَ منْ كلِّ مقبرِ
على حينِ لا تحيا البناتُ وإذْ همُ عكوفٌ على الأنصابِ حولَ المدورِ
أنا ابنُ الذي ردَّ المنيةَ فضلهُ وما حسبٌ دافعتُ عنهُ بمعورِ
أبي أحدُ الغيثينِ صعصعةُ الذي متى تخلفِ الجوزاءُ والنجمُ يمطرِ
أجارَ بناتِ الوائدينَ ومنْ يجرِ على الفقرِ يعلمْ أنهُ غيرُ مخفرِ
وفارقِ ليلٍ منْ نساءٍ أتتْ أبي تعالجُ ريحاً ليلها غيرُ مقمرِ
فقالتْ أجرْ لي ما ولدتُ فإنني أتيتكَ من هزلى الحمولةِ مقترِ
هجفٍّ منَ العثوِ الرؤوسِ إذا ضغتْ لهُ ابنةُ عامٍ يحطمُ العظمَ منكرِ
رأى الأرضَ منها راحةً فرمى بها إلى خددٍ منها وفي شرِّ محفرِ
فقالَ لها نامي فإني بذمتي لبنتكِ جارٌ منْ أبيها القنورِ

فما كانَ ذنبي أنْ جنابٌ سما بهِ ... حفاظٌ وشيطانٌ بطيءُ التعذرِ
ومسجونةٍ قالتْ وقدْ سدَّ زوجها ... عليها خصاصَ البيتِ منْ كلِّ منظرِ
لعمري لقدْ أروى جنابٌ لقاحهُ ... وأنهلَ في لزنٍ منْ الماءِ منكرِ
فإنكَ قدْ أشبعتَ أبرامَ نهشلٍ ... وأبررتَ منهمْ كلَّ عذراءَ معصرِ
ولوْ كنتَ حراً ما طعمتَ لحومها ... ولا قمتَ عندَ الفرثِ يا بنَ المجشرِ
ألمْ تعلمنْ يا بنَ المجشرِ أنها ... إلى السيفِ تستبكي إذا لمْ تعقرِ
مناعيشُ للمولى مرائيبُ للثأى ... معاقيرُ في يومِ الشتاءِ المذكرِ
وما جبرتْ إلاَّ على عتبٍ بها ... عراقيبها مذْ عقرتْ يومَ صوأرِ
وإنَّ لها بينَ المقرينِ ذائداً ... وسيفَ عقالٍ في يدي غيرِ جيدرِ
إذا روحتْ يوماً عليهِ رأيتها ... بروكاً متاليها على كلِّ مجزرِ
وكائنْ لها منْ محبسٍ أنهبتْ بهِ ... بجمعٍ وبالبطحاءِ عندَ المشعرِ
وما إبلٌ أدنى إلى فرعِ قومها ... وخيرٌ قرىً للطارقِ المتنورِ
وأعرفُ بالمعروفِ منها إذا التقتْ ... عصائبُ شتى بالمقامِ المطهرِ
وما أفقُ إلاَّ بهِ منْ حديثها ... لها أثرٌ ينمي إلى كلِّ مفخرِ

وقال الفرزدق لجرير:

بينْ إذا نزلتْ عليكَ مجاشعٌ ... أوْ نهشلٌ تلعاتكمْ ما تصنعُ
في جحفلٍ لجبٍ كأنَّ زهاءهُ ... شرقيُّ ركنِ عمايتينِ الأرفعُ
وإذا طهيةُ منْ ورائيَ أصبحتْ ... أجمُ الرماحِ عليهمِ يتزعزعُ
حوضي بنو عدسٍ على مسقاتهِ ... وبنو شرافِ منَ المكارمِ مترعُ

إنْ كانَ قدْ أعياكَ نقضُ قصائدي ... فانظرْ جريرُ إذا تلاقى المجمعُ
وتهادروا بشقاشقٍ أعناقها ... غلبُ الرقابِ قرومها لا توزعُ
هلْ تأتينَّ بمثلِ قومكَ دارماً ... قوماً زرارةُ منهمُ والأقرعُ
وعطاردٌ وأبوهُ منهمْ حاجبٌ ... والشيخُ ناجيةُ الخضمُّ المصقعُ

ورئيسُ يومِ نطاعِ صعصعةُ الذي حيناً يضرُّ وكانَ حيناً ينفعُ

واسألْ بنا وبكمْ إذا وردتْ منىً أطرافُ كلِّ قبيلةٍ منْ يسمعُ

صوتي وصوتكَ يخبروكَ منِ الذي عنْ كلِّ مكرمةٍ لخندفَ يرفعُ

وإذا أخذتُ بقاصعائكَ لمْ تجدْ أحداً يعينكَ غيرَ منْ يتقصعُ

وقال الفرزدق لخالد بن عبد الله، ويهجو جريراً:

ألا منْ لمعتادٍ منَ الهمِّ عائدِ وهمٍّ أتى دونَ الشراسيفِ عاندِ

وكمْ منْ أخٍ لي ساهرِ الليلِ لمْ ينمْ ومستثقلٍ عنيْ منَ النومِ راقدِ

وما الشمسُ ضوءُ المشرقينِ إذا انجلتْ ولكنَّ ضوءَ المشرقينِ بخالدِ

ستعلمُ ما أثني عليكَ إذا انتهتْ إلى حضرموتٍ جامحاتُ القصائدِ

ألمْ ترَ كفيْ خالدٍ قدْ أفاءتا على الناسِ زرقاً منْ كثيرِ الروافدِ

أسالَ لهُ النهرَ المباركَ فارتمى بمثلِ الروابي المزبداتِ الحواشدِ

فزدْ خالداً مثلَ الذي في يمينهِ تجدهُ عنِ الإسلامِ منْ خيرِ ذائدِ

فإني ولا ظلماً أخافُ لخالدٍ منَ الخوفِ أسقى منْ سمامِ الأساودِ

وإني لأرجو خالداً أنْ يكفني ويطلقَ عني مقفلاتِ الحدائدِ

تكشفتِ الظلماءُ منْ نورِ خالدٍ لضوءِ شهابٍ ضوءهُ غيرُ خامدِ

ألا تذكرونَ الرحمَ أوْ تقرضونني لكمْ خلقاً منْ واسعِ الخلقِ ماجدِ

لهُ مثلُ كفيْ خالدٍ حينَ يشتري بكلِّ طريفٍ كلَّ حمدٍ وتالدِ

فإنْ يكُ قيدي ردَّ همي فربما تناولتُ أطرافَ الهمومِ الأباعدِ

منَ الحاملاتِ الحمدَ لما تكمشتْ ذلاذلها واستورأتْ للمناشدِ

فهلْ لابنِ عبدِ اللهِ في شاكرٍ لهُ بمعروفٍ أنْ أطلقتَ قيديهِ حامدِ

وما منْ بلاءٍ غيرِ كلِّ عشيةٍ وكلّ صباحٍ زائرٌ غيرُ عائدِ

يقولُ ليَ الحدادُ هلْ أنتَ قائمٌ وما أنا إلاَّ مثلُ آخرَ قاعدِ

كأني حروريٌّ لهُ فوقَ كعبهِ ثلاثونَ قيداً منْ صريمٍ وكابدِ

وأما بدينٍ ظاهرٍ فوقَ ساقهِ فقدْ علموا أنَّ ليسَ ديني بناقدِ

وراوٍ عليَّ الشعرَ ما أنا قلتهُ كمعترضٍ للرمحِ بينَ الطرائدِ

فناكَ الذي يروي عليَّ التي مشتْ بهِ بينَ حقوي بطنهِ والقلائدِ

بأيرِ ابنها إنْ لمْ تجدْ حينَ تلتقي على زورِ ما قالوا عليَّ بشاهدِ

وقال الفرزدق يمدح هشام بن عبد الملك، ويهجو جريراً:

ألستمْ عائجينَ بنا لعنا نرى العرصاتِ أوْ أثرَ الخيامِ

فقالوا إنْ عرضتَ فأغنِ عنا دموعاً غيرَ راقيةَ السجامِ

وكيفَ إذا رأيتَ ديارَ قومٍ وجيرانٍ لنا كانوا كرامِ

أكفكفُ عبرةَ العينينِ مني وما بعدَ المدامعِ منْ لمامِ

وبيضٍ كالدمى قدْ بتُّ أسري بهنَّ إلى الخلاءِ عنِ النيامِ

ثلاثٌ واثنتانِ فهنَّ خمسٌ وواحدةٌ تميلُ إلى الشمامِ

ظباءٌ بدلتهنَّ الليالي مكانَ قرونهنَّ ذرى جمامِ

ترى قضبَ الأراكِ وهنَّ خضرٌ يمحنَ بها وعيدانَ البشامِ

ذرى بردٍ بكرنَ عليهِ عذبٍ وليسَ بكورهنَّ على الطعامِ

ولوْ أنَّ امرأ القيسِ بنَ حجرٍ بدارةِ جلجلٍ لرأى غرامي

لهُ منهنَّ إذْ يبكينَ أنْ لا يبتنَ بليلةٍ هيَ نصفُ عامِ

سيبلغهنَّ وحيَ القولِ مني ويدخلُ رأسهُ تحتَ القرامِ

أسيدُ ذو خريطةٍ بهيمٌ منَ المتلقطي قردَ القمامِ

فقلنَ لهُ نواعدكَ الثريا وذاكَ إليهِ مرتفعُ الزحامِ

فجئنَ إليهِ حينَ لبسنَ ليلاً وهنَّ خوائفٌ قدرَ الحمامِ

مشينَ إليَّ لمْ يطمثنَ قبلي وهنَّ أصحُّ منْ بيضِ النعامِ

وبتنَ جنابتيَّ مصرعاتٍ وبتُّ أفضُّ أغلاقَ الختامِ

فأعجلنَ العمودَ ونحنُ نشفي غليلاً منْ مدورةٍ جهامِ

كأنَّ مفارقَ الرمانِ فيهِ وجمرَ غضاً قعدنَ عليهِ حامِ

فما تدري إذا قعدتْ عليهِ ... أسعدُ اللهِ ألأمُ أمْ جذامِ

كأنَّ تريكةً منْ ماءِ مزنٍ ... وداريَّ الذكيّ معَ المدامِ

أتى نفسي بها نفسٌ ضعيفٌ ... لهنَّ قبيلَ منقلبِ الكلامِ

سقينَ فمي بها ونقعنَ مني ... منَ الأحشاءِ صاديةَ الأوامِ

فكنَّ كأنهنَّ شفاءُ داءٍ ... فقالَ هوَ السلالُ معَ الهيامِ

فهنَّ إليَّ مثلُ محلأتٍ ... منعنَ الماءَ في لهبانِ حامي

رآني الغانياتُ فقلنَ هذا ... أبونا جاءَ منْ تحتِ الرجامِ

فإنْ يسخرنَ أوْ يهزأنَ مني ... فإني كنتُ مرقاصَ الخدامِ

ولوْ جداتهنَّ سألنَ عني ... قرأنَ عليَّ أضعافَ السلامِ

رأينَ شروخهنَّ موزراتٍ ... وشرخُ لديَّ أسنانُ الهرامِ

رمتني بالثمانينَ الليالي ... وسهمُ الدهرِ أصوبُ سهمِ رامِ

وغيرَ لونَ راحلتي ولوني ... تردي الهواجرَ واعتمامي

وإقبالي المطيةَ كلَّ يومٍ ... منَ الجوزاءِ ملتهبِ الضرامِ

وإدلاجي إذا الظلماءُ جازتْ ... إلى طردِ النهارِ دجى الظلامِ

يقولُ بنيَّ هلْ لكَ منْ رحيلٍ ... لقومٍ منكَ غيرَ ذوي سوامِ

فتنهضَ نهضةً لبنيكَ فيها ... غنىً لهمُ منَ الملكِ الشأمي

فقلتُ لهمْ وكيفَ ولستُ أمشي ... على قدميَّ ويحكمُ مرامي

وهلْ لي حيلةٌ لكمُ بشيءٍ ... إذا رجلايَ أسلمتا قيامي

أقولُ لناقتي لما ترامتْ ... بنا بيدٌ مسربلةُ القتامِ

أغيثي منْ وراءكِ منْ ربيعٍ ... أمامكِ مرسلٍ بيديْ هشامِ

ندى خيرِ الذينَ بقوا وماتوا ... إمامٍ وابنِ أملاكٍ عظامِ

بهِ تحيى البلادُ ومنْ عليها ... منَ النعمِ البهائمِ والأنامِ

منَ الوسميِّ مبتركٌ بعاقٌ ... بسحٍّ سجالِ مرتجزٍ ركامِ

فإنْ تبلغكِ أربعكِ اللواتي ... بهنَّ إليهِ يرجعُ كلَّ عامِ

تكوني مثلَ ميتةٍ فحيتْ وقدْ بلتْ بتنضاحِ السجامِ

قدِ استبطأتُ ناجيةً ذمولاً وإنَّ الهمَّ بي وبها لسامي

أقولُ لها إذا ضجرتْ وعضتْ بموركةِ الوراكِ معَ الزمامِ

إلامَ تلفتينَ وأنتِ تحتي وخيرُ الناسِ كلهمُ أمامي

متى تردي الرصافةَ تستريحي منَ التهجيرِ والدبرِ الدوامي

ويلقى الرحلُ عنكِ وتستغيثي بغيثِ اللهِ والملكِ الهمامِ

كأنَّ أراقماً علقتْ براها معلقةً إلى عمدِ الرخامِ

تزفُّ إذا العرى قلقتْ عليها زفيفَ الهادجاتِ منَ النعامِ

إذا رضراضةٌ وطئتْ عليها خبطنَ صدورَ منعلةٍ رثامِ

وإنْ شركُ الطريقِ تجشمتهُ عكسنَ بحيةٍ حذرَ الإكامِ

كأنَّ العنكبوتَ تبيتُ تبني على الأشداقِ منَ زبدِ اللغامِ

تثيرُ قعاقعَ الألحى إذا ما تلاقتْ واردَ العرقِ النيامِ

وصاديةِ الصدورِ نضحتُ ليلاً لهنَّ سجالَ مترعةٍ طوامي

كأنَّ نصالَ يثربَ ساقطتها على الأرجاءِ منْ ريشِ الحمامِ

إلى ملكِ الملوكِ جمعتُ همي على المتردفاتِ منَ السمامِ

إليكَ طويتُ عرضَ الأرضَ طراً بخاضعةٍ مقطعةِ الخدامِ

رجوفِ الليلِ قدْ نقبتْ وكلتْ منَ الإدآبِ فاترة البغامِ

لندنو منْ بلادكَ أوْ لنلقى سجالاً منْ فواضلكَ الجسامِ

عمدتُ إليكَ خيرَ الناسِ حياً لتنعشَ أو يكونَ بكَ اعتصامي

على سفنِ الفلاةِ مردفاتٍ جناةَ الحربِ بالذكرِ الحسامِ

قطعنَ بها مخاوفَ كلِّ أرضٍ إليكَ على الوهونِ منَ العظامِ

فما بلغننا إلاَّ جريضاً بنقيٍ في العظامِ وفي السنامِ

كأنَّ النجمَ والجوزاءَ تسري على آثارِ صاديةٍ أوامِ

كأنَّ العيسَ حينَ أنخنَ هجراً مفقأةٌ نواظرها سوامي

أخشةَ كلّ جرشعةٍ وغوجٍ من النعمِ الذي بحمى تؤامِ

وحبلُ اللهِ حبلكَ منْ ينلهُ فما لعرى يديهِ منَ انفصامِ
يداكَ يدٌ ربيعُ الناسِ فيها وفي الأخرى الشهورُ منَ الحرامِ
وإنَّ الناسَ لولا أنتَ كانوا حصى خرزٍ تحدرَ منْ نظامِ
وليسَ الناسُ مجتمعينَ إلاَّ لخندفَ في المشورةِ والخصامِ
وبشرتِ السماءُ الأرضَ لما تحدثنا بإقبالِ الإمامِ
إلى أهلِ العراقِ وإنما همْ بقايا مثلُ أشلاءِ الرمامِ
أتانا زائرٌ كانتْ علينا زيارتهُ منَ النعمِ الجسامِ
أميرَ المؤمنينَ بكمْ نعشنا وجذَّ حبالُ آصارِ الأثامِ
فجاءَ بسنة العمرين فيها شفاءٌ للصدورِ منَ السقامِ
رأكَ اللهُ أولى الناسِ طراً بأعوادِ الخلافة والسلامِ
إذا ما سارَ في أرضٍ تراها مظللةً عليهِ منَ الغمامِ
رأيتكَ قدْ ملأتَ الأرضَ عدلاً وضوءاً وهيَ ملبسةُ الظلامِ
رأيتُ الظلمَ لما قمتَ جذتْ عراهُ بشفرتي ذكرٍ حسامِ
تعنَّ فلستَ مدركَ ما تعنى إليهِ بساعديْ جعلِ الرغامِ
ستخزى إن لقيتَ بأرضِ نجدٍ عطيةَ بينَ زمزمَ والمقامِ
عطيةُ فارسُ القعساءِ يوماً ويوماً وهيَ راكدةُ الصيامِ
إذا الخطفى لقيتَ بهِ معيداً فأيهما يضمرُ للضمامِ

وقال الفرزدق يهجو أصم باهلة، واسمه عبد الله بن الحجاج:

إخالُ الباهليَّ يظنُ أني سأقعدُ لا يجاوزهُ سبابي
فأمي أمهُ إنْ لمْ يجاوزْ إلى كعبٍ ورابيتي كلابِ
أألجعلُ دارماً كابني دخانٍ وكانا في الغنيمة كالركابِ
وما أحدٌ منَ الأقوامِ عدوا فروعَ الأكرمينَ إلى الترابِ

أباهلَ أينَ ملجاؤكمُ إذا ما ... لحقنا بالملوكِ وبالقبابِ

تهامةَ والأباطحَ قدْ سددنا ... عليكمُ منْ تهامةَ كلَّ بابِ

إذا سعدُ بنُ زيدِ مناةَ سالتْ ... بأكثرَ في العديدِ منَ الترابِ

رأيتَ الأرضَ مفضيةً بسعدٍ ... إذا فرَّ الذليلُ إلى الشعابِ

وما قومٌ إذا العلماءُ عدوا ... عروقَ الأطيبينَ منَ الترابِ

فإنَّ الأرضَ تعجزُ عنْ تميمٍ ... وهمْ مثلَ المعبدةِ الجرابِ

وجدتَ لهمْ على الأقوامِ فضلاً ... بتوطاءِ المناخرِ والرقابِ

لقدْ هتكَ المحارمَ باهليٌّ ... يجسُّ لأختهِ ركبَ الحقابِ

تبيتُ فقاحكمْ يركبنَ منها ... فروجاً غيرَ طيبةِ الخضابِ

ولوْ ميزتمُ فيمنْ أصابتْ ... على القسماتِ أظفاري ونابي

إذنْ لرأيتمُ عظةً وزجراً ... أشدَّ منَ المصممةِ العضابِ

بمحتفظينَ إنْ فضلتمونا ... عليهمْ في القديمِ ولا غضابِ

ولوْ رفعَ السماءُ إليهِ قوماً ... لحقنا بالسماءِ على السحابِ

وقال الفرزدق في زين العابدين علي بن الحسين صلوات الله عليه، وكان الفرزدق في مجلس هشام بن عبد الملك وقد حج هشام، ونصب له سرير في الحرم فأتى علي بن الحسين عليهما السلام يطوف، وكان كلما دنا من الحجر ليستلمه انفرج الناس له. وكان هشام جالساً وحوله جماعة من أصحابه من أهل الشام ووجوههم، فقال بعض الشاميين: من هذا؟ فقال هشام ما أعرفه وهو أعرف الناس به إلا أنه خاف أن تميل قلوب الشاميين إليه، فانتصب الفرزدق وكان في المجلس فأنشد هذه القصيدة بدئها، وكان في جواب ذلك أن حبسه هشام بين المدينة ومكة، فقال الفرزدق في ذلك:

أيحبسني بينَ المدينةِ والتي ... إليها قلوبُ الناسِ يهوي منيبها

يقلبُ رأساً لمْ يكن رأسَ سيدٍ ... وعيناً لهُ حولاءَ بادٍ عيوبها

وذكر أن زين العابدين عليه السلام نفذ إلى الفرزدق مالاً كثيراً، فقال الفرزدق وهو في الحبس، وقد جاء إليه المال: والله ما فعلت ذلك، وقلت ما قلت إلا غيرة لما سمعت، ورد المال، فأعاده زين العابدين عليه السلام، وقال: إنا أهل بيت إذا خرج منا مال لم يرجع إلينا فقبله حينئذ، وهذه القصيدة رواها لي أبو المعمر الأنصاري رحمه الله متصلة الإسناد إلى الفرزدق، وشذ عني إسنادها:

هذا الذي تعرفُ البطحاءُ وطأتهُ والبيتُ يعرفهُ والحجرُ والحرمُ

هذا عليٌّ رسولُ الله والدهُ أمستْ بنورِ هداهُ تهتدي الأممُ
هذا الذي عمهُ الطيارُ جعفرُ والمقتولُ حمزةُ ليثٌ حبهُ قسمُ
هذا ابنُ فاطمةَ الغراءَ ويحكمُ وابنُ الوصيّ الذي في سيفهِ النقمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلهُ هذا ابنُ خيرِ عبادِ اللهِ كلهمُ
هذا ابنُ فاطمةٍ إن كنتَ جاهلهُ بجدهِ أنبياءُ اللهِ قدْ ختموا
هذا ابنُ خيرُ عبادِ الله كلهمِ هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلمُ
وليسَ قولكَ منْ هذا بضائرهِ العربُ تعرفُ منْ أنكرتَ والعجمُ
من ذا يقاسُ بهذا في مفاخرةٍ إذا بنو هاشمٍ في ذاكمُ اختصموا
إذا رأتهُ قريشٌ قالَ قائلها إلى مكارمِ هذا ينتهي الكرمُ
ينمى إلى ذروةِ العزِّ التي قصرتْ عن نيلها عربُ الإسلامِ والعجمُ
يكادُ يمسكهُ عرفانَ راجتهِ ركنُ الحطيمِ إذا ما جاءَ يستلمُ
يغضي حياءً ويغضى من مهابتهِ فما يكلمُ إلاَّ حينَ يبتسمُ
مشتقةٌ من رسولِ اللهِ نبعتهُ طابتْ عناصرهُ والخيمُ والشيمُ
سهلُ الخليقةِ لا تخشى بوادرهُ يزينهُ خلتانِ الخلقُ والكرمُ
من معشرٍ حبهمْ دينٌ وبغضهمُ كفرٌ وقربهمُ منجىً ومعتصمُ
مقدمٌ بعدَ ذكرِ الله ذكرهمُ في كلِّ بدءِ ومختومٍ بهِ الكلمُ
يستدفعُ السوءُ والبلوى بحبهمِ ويستربُّ بهِ الإحسانُ والنعمُ
إنْ عدَّ أهلُ التقى كانوا أئمتهمْ أو قيلَ منْ خيرُ خلقِ اللهِ قيلَ همُ
لا يستطيعُ جوادٌ بعدَ غايتهمْ ولا يدانيهم قومٌ وإنْ كرموا
همُ الغيوثُ إذا ما أزمةٌ أزمتْ والأسدُ أسدُ الشرى والبأسُ محتدمُ
لا يقبضُ العسرُ بسطاً منْ أكفهمِ سيانِ ذلكَ إنْ أثروا وإنْ عدموا
من يعرفِ الله يعرفْ أوليتهُ الدينُ منْ جدِّ هذا نالهُ الأممُ

إن تنكروهُ فإنَّ اللهَ يعرفهُ والعرشُ يعرفهُ واللوحُ والقلمُ

الراعي النميري

المختار من شعر الراعي، واسمه عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل بن قطن ابن ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن مصنور بن عارمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر، ويكنى أبا جندل، ولقب الراعي لكثرة وصفه الإبل، قال يمدح عبد الملك بن مروان ويشكو من السعاة وكان يقول من لم يروِ لي هذه القصيدة وقصيدتي بان الأحبة بالعهد الذي عهدوا من ولدي، فقد عقني: الكامل

ما بالُ دفك بالفراشِ مذيلا أقذى بعينك أمْ أردتِ رحيلا

لما رأتْ أرَقِي وطولَ تقلبي ذاتَ العشاءِ وليليَ الموصُولا

قالتْ خليدةُ ما عراكَ ولمْ تكنْ قبلَ الرقادِ عن الشؤونِ سؤولا

أخليدُ إنَّ أباكِ ضافَ وسادهُ همانِ باتا جنبةً ودخيلا

طرقا فتلكَ هماهمي أقريهما قلصاً لواقحَ كالقسيِّ ذحولا

شمَّ الكواهلِ جنحاً أعضادُها صهباً تناسبُ شدقماً وجديلا

كانتْ نجائبَ منذرٍ ومحرقٍ أماتهنَّ وطرقهنَّ فحيلا

وكأنَّ ريضها إذا باشرتها كانتْ معاودةَ الرحيلِ ذلولا

حوزيةٌ طويتْ على زفراتها طيَّ القناطرِ قدْ نزلْنَ نزولا

وكأنما انتطحتْ على أثباجها فدرٌ بشابةَ قد تممنَ وعولا

قذفَ الغدوِّ إذا غدونَ لحاجةٍ دلفَ الرواحِ إذا أردنَ قفولا

لا يتخذْنَ إذا علونَ مفازةً إلا بياضَ الفرقدينِ دليلا

قودٌ تذارعُ غولَ كلِّ تنوفةٍ ذرعَ النواسجِ مبرماً وسحيلا

وإذا ترقصتِ المفازةُ غادرتْ ربذاً يبغلُ خلفها تبغيلا

زجلَ الحداءِ كأنَّ في حيزومهِ قصباً ومقنعةَ الحنينِ عجولا

وإذا ترجلتِ الضُّحَى قذفَتْ بهِ فشأونَ عقبتَهُ فظلَّ ذميلا

حتى إذا حسرَ الظلامُ وأسفرتْ فرأتْ أوابدَ يرتعينَ هجولا

حدتِ السرابَ وألحقَتْ أعجازَها روحٌ يكونُ وقوعها تحليلا

وجرَى على حدَبِ الصوَى فطردْنَهُ طردَ الوَسِيقَةِ في السَّماوةِ طولا

ذي نففٍ قلقتْ بهِ هاماتُها قلقَ الفؤوسِ إذا أردنَ نصولا

حتى وردنَ لتمِّ خمسٍ بائصٍ جداً تعاورَهُ الرياحُ وبيلا

سدماً إذا التمسَ الدلاءُ نطافَهُ لاقينَ مشرفَةَ المثابِ دحولا

جمعوا قوًى مما تضمُّ رحالهمْ شتًى النجارِ ترى بهنَّ وصولا

فسقَوا صواديَ يسمعونَ عشيةً للماءِ في أجوافِهِنَّ صليلا

حتى إذا بردَ السجالُ لهاثَها وجعلنَ خلفَ غروضهِنَّ ثميلا

وأفضْنَ بعدَ كظمِهِنَّ بجرةٍ من ذي الأبارقِ إذْ رَعينَ حقيلا

قعدوا على أكوارِها فتردفَتْ صخبَ الصدَى جذَعَ الرعانِ رجيلا

ملسُ الحصى باتتْ توجَّسُ فوقَهُ لغطَ القطا بالجلهتينِ نزولا

يتبعنَ مائرةَ اليدينِ شملةً ألقتْ بمخترقِ الرياحِ سليلا

جاءتْ بذِي رمقٍ لستةِ أشهرٍ قدْ ماتَ أو جرضَ الحياةَ قليلا

نفضَتْ بأصْهبَ للمراحِ شليلها نفضَ النعامةِ زفها المبلولا

أبلغْ أميرَ المؤمنينَ رسالة شكوى إليكَ مطليةً وعويلا

من نازحٍ كثرتْ إليكَ همومه لوْ يستطيعُ إلى اللقاءِ سبيلا

طالَ التقلبُ والزمانُ ورابهُ كسلٌ ويكرهُ أن يكونَ كسولا

وعلا المشيبُ لداتهِ ومضتْ لهُ حقبٌ نقضنَ مريرهُ المجدولا

فكأنَّ أعظمهُ محاجنُ نبعةٍ عوجٌ قدمنَ فقدْ أردْنَ نحولا

كبقيةِ الهنديِّ أمسَى جفنهُ خلقاً ولمْ يكُ في العظامِ نكولا

تغلى حديدتهُ وتنكرُ لونَهُ عينٌ رأتهُ في الشبابِ صقيلا

ألفَ الهمومُ وسادهُ وتجنبتْ ريانَ يصبحُ في المنامِ ثقيلا

وطوى الفؤادَ على قضاءِ صريمةٍ حذاءَ واتخذَ الزماعَ خليلا

أوليَّ أمرِ اللهِ إنَّ عشيرتِي أمسَى سوامهمُ عزينَ فلولا
قطعوا اليمامةَ يطردونَ كأنهمْ قومٌ أصابُوا ظالمينَ قتيلا
يحدونَ حدباً مائلاً أشرافُها في كلِّ منزلةٍ يدعنَ رعيلا
شهريْ ربيعٍ ما تذوقَ لبونهمْ إلا حموضاً وخمةً ودويلا
حتى إذا جمعتْ تخيرَ طرقُها وثنى الرعاءُ شكيرَها المنخولا
وأتوْا نساءَهمُ بنيبٍ لمْ تدعْ سوءُ المحابسِ تحتهنَّ فصيلا
أوليَّ أمرِ اللهِ إنا معشرٌ حنفاءُ نسجدُ بكرةً وأصيلا
عربٌ نرى للهِ في أموالِنا حقَّ الزكاةِ منزلاً تنزيلا
قومٌ على الإسلامِ لما يمنعُوا ما عونهمْ ويضيعوا التهليلا
فادفَعْ مظالِمَ عيلَتْ أبناءَنَا عنا وأنقذْ شلونا المأكولا
فنرى عطيةَ ذاكَ إنْ أعطيتهُ من ربنا فضلاً ومنكَ جزيلا
أنتَ الخليفةُ حلمهُ وفعالهُ وإذا أردتَ لظالمٍ تنكيلا
وأبوكَ ضاربَ بالمدينةِ وحدهُ قوماً همُ جعلوا الجميعَ شكولا
قتلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ محرماً ودعا فلمْ أرَ مثلهُ مخذولا
فتصدعَتْ من بعدِ ذاكَ عصاهُمُ شققاً وأصبحَ سيفهم مسلولا
حتى إذا استعرتْ عجاجةُ فتنةٍ عمياءَ كانَ كتابُها مفعولا
وزنتْ أميةُ أمرها فدَعَتْ لهُ من لمْ يكنْ غمراً ولا مجهولا
مروانُ أحزمها إذا نزلتْ بهِ حدبُ الأمورِ وخيرُها مسؤولا
أزمانَ رَفعَ بالمدينةِ ذيلهُ ولقدْ رأى زرعاً بها ونخيلا
وديارُ ملكٍ خربتها فتنةٌ ومشيداً فيه الحمامُ ظليلا
إني حلفتُ على يمينٍ برةٍ لا أكذبُ اليومَ الخليفةَ قيلا
ما زُرتُ آلَ أبي خبيبٍ وافداً يوماً أريدُ لبيعتي تبديلا
ولا أتيتُ نجيدةَ بنَ عويمرٍ أبغي الهدى فيزيدني تضليلا
من نعمةِ الرحمنِ لا من حيلتي إني أعدُّ لهُ عليَّ فضولا

أزمانَ قومي والجماعَةُ كالذي | لزمَ الرحالةَ أنْ تميلَ مميلا
وتركتُ كلَّ منافقٍ متقلبٍ | وجدَ التلاتلَ دينهُ مدخولا
ذخرِ الحقيبةِ ما تزالُ قلوصهُ | بينَ الخوارجِ هزةً وذميلا
من كلهم أمسَى ألمَّ ببيعةٍ | مسحَ الأكفِّ تعاورُ المنديلا

وإذا قريشٌ أوقدَتْ نيرانها | وثنتْ ضغائنَ بينها وذحولا
فأبوكَ سيدُها وأنتَ أميرُها | وأشدُّها عندَ العزائمِ جولا
إنَّ السعاةَ عصوكَ حينَ بعثتهمْ | وأتوا دواعي لو علمتَ وغولا
إنَّ الذينَ أمرتهمْ أن يعدلُوا | لمْ يفعلوا مما أمرتَ فتيلا
أخذوا العريفَ فقطعوا حيزومهُ | بالأصبحيةِ قائماً مغلولا
حتى إذا لمْ يتركوا لعظامهِ | لحماً ولا لفؤادِهِ معقولا
نسيَ الأمانةَ من مخافةِ لقحٍ | شمسٍ تركنَ بضبعهِ مجزولا
كتبَ الدهيمُ وما تجمعَ حولها | ظلماً فجاءَ بعدلها معدولا
وغدوا بصكهمِ وأحدَبَ أسأرَتْ | منهُ السياطُ يراعَةً إجفيلا
من عاملٍ منهمْ إذا غيبتهُ | غالى يريدُ خيانةً وغلولا
خربِ الأمانةِ لوْ أحطتَ بفعلِهِ | لتركتَ منهُ طابقاً مفصولا
كتباً تركنَ غنينا ذا خلةٍ | بعدَ الغنَى وفقيرنا مهزولا
أخذُوا حمولتهُ فأصبحَ قاعداً | ما يستطيعُ عن الديارِ حويلا
يدعُو أميرَ المؤمنينَ ودونَهُ | خرقٌ تجرُّ به الرياحُ ذيولا
كهداهدٍ كسرَ الرماةُ جناحهُ | يدعو بقارعةِ الطريقِ هديلا
وقعَ الربيعُ وقد تقاربَ خطوهُ | ورأى بعقويهِ أزلَّ نسولا
متوضحَ الأقرابِ فيه شبهةٌ | نهشَ اليدينِ تخالُهُ مشكولا
كدخانِ مرتجلٍ بأعلى تلعةٍ | غرثانَ ضرمَ عرفجاً مبلولا
ولئنْ سلمتُ لأدعونَّ لظعنةٍ | تدعُ الفرائضَ بالشريفِ قليلا

وأرى الذي يدعُ المطامعَ للتقى منَّا أتَى خلقاً بذاكَ جميلا

وقال الراعي يمدحُ سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد: الوافر

ألمْ تسألْ بعارمةَ الديارا عنِ الحيِّ المفارِقِ أيْنَ سارا
بجانبِ رامةٍ فوقفتُ يوماً أسائلُ ربعهنَّ فما أحارا
منازلُ حولَها بلدٌ رقاقٌ تجرُّ الرامِساتُ بها الغبارا
أقمنَ بها رهينةَ كلِّ نحسٍ فما يعدمنَ ريحاً أو قطارا
ورجافاً تحنَّ المزنُ فيهِ ترجزَ من تهامةَ فاستطارا
فمرَّ على منازلها فألقى بها الأثقالَ وانتحرَ انتحارا
إذا ما قلتُ جاوزها لأرضٍ تذاءَبتِ الرياحُ لهُ فحارا
وأبقَى السيلُ والأرواحُ منها ثلاثاً في منازلها ظؤارا
أنخنَ وهنَّ أغفالٌ عليها فقدْ تركَ الصلاءُ بهنَّ نارا
وذاتِ أثارةٍ تركتْ عليهِ نباتاً في أكمتهِ قفارا
جماديّاً تحنُّ المزنُ فيهِ كما فجرتَ في الحرثِ الدبارا
رَعَتهُ أشهراً وخلا عليها فسارَ النيُّ فيها واستغارا
طلبتُ على محالِ الصلْبِ منها غريبَ الهمِّ قدْ منعَ القرارا
فأبتُ بنفسِها والآلِ منها وقدْ أطعمتُ ذروتَها السفارا
وأخضرَ آجنٍ في ظلِّ ليلٍ سقيتُ بجمهِ رسلاً حرارا
بدلوٍ غيرِ مكربةٍ أصابتْ حماماً في مساكنهِ فطارا
سقيناها غشاشاً واستقينا نبادرُ من مخافتها النهارا
فأقبلها الحداةُ بياضَ نقبٍ وفجاً قد رأيْنَ لهُ إطارا
بحاجاتٍ تحضرها عدُوٌّ فما يسطيعُها إلاَّ خطارا
نرجي منْ سعيدِ بني لؤيٍّ أخي الأعياصِ أمطاراً غزارا
تلقَّى نوءهنَّ سرارُ شهرٍ وخيرُ النوءِ ما لقِيَ السرارا
خليلٌ تعزبُ العلاتُ عنهُ إذا ما حانَ يوماً أن يزارا

متى ما يجدِ نائلُه علينا ... فلا بخلاً نخافُ ولا اعتذارا
هوَ الرجل الذي نسبتْ قريشٌ ... فصارَ المجدُ منها حيثُ صارا
وأنضاءٍ أنخنَ إلى سعيدٍ ... طروقاً ثمَّ عجلْنَ ابتكارا
على أكوارِهنَّ بنُو سبيلٍ ... قليلٌ نومهمْ إلاَّ غرارا
حمدنَ مزارهُ ولقينَ منهُ ... عطاءً لمْ يكنْ عدةً ضمارا
فصبحنَ المقرَّ وهنَّ خوصٌ ... على روحٍ يقلبْنَ المحارا
وغادرنَ الدجاجَ يثيرُ طوراً ... مباركها ويستوفي الجدارا
كأنَّ العِرمسَ الوجناءَ منْها ... عجولٌ خرقتْ عنها صدارا

تراها عن صبيحةِ كلِّ خمسٍ ... مقدمةً كأنَّ بها نفارا
منَ العيسِ العتاقِ ترى عليها ... يبيسَ الماءِ قدْ خضبَ النجارا
إذا سدرَتْ مدامعُهُنَّ يوماً ... رأتْ إجلاً تعرضَ أوْ صوارا
بغائرةٍ نضا الخرطومُ عنها ... وسدتْ من خشاشِ الرأسِ غارا
يضعنَ سخالَهُنَّ بكلِّ فجٍّ ... خلاءٍ وهيَ لازمةٌ حوارا
كأحقبَ قارحٍ بذاواتِ خيمٍ ... رأى ذعراً برابيةٍ فغارا
يقلبُ سمحجاً قوداءَ كانتْ ... حليلتهُ فشدَّ بها غيارا
نفى بأذاتهِ الحوليَّ عنها ... فغادَرَها وإنْ كرهَ الغدارا
وقرَّبَ جانبَ الشرقيّ يأدُو ... مدبَّ السيْلِ واجتنَبَ الشعارا
أطارَ نسيلَهُ الشتويَّ عنهُ ... تتبعهُ المذانبَ والقرارا
فلما نشتِ الغدرانُ عنهُ ... وهاجَ البقلُ واقطَرَّ اقطِرارا
غدا قلقاً تخلى الجزءُ منهُ ... فيممها سريعةَ أو سرارا
يغنيها أبحُّ الصوتِ جأبٌ ... خميصُ البطنِ قد أجم الحسارا
إذا احتجَبَتْ بناتُ الأرضِ منهُ ... تبسرَ يبتغي فيها البسارا
كأنَّ الصلبَ والمتنينِ منهُ ... وإياها إذا اجتهدا حضارا

رشاءُ محالةٍ في يومِ وردٍ يمدُّ حطاطُها المسدَ المغارا

تعرضَ حينَ قلصَتِ الثريّا وقد عرفَ المعاطنَ والمنارا

وهابَ جنانَ مسجورٍ تردى منَ الحلفاءِ واتزَرَ اتزارا

فصادفَ موردَ العاناتِ منهُ بأبطحَ يحتفرنَ بهِ الغمارا

فسوَّى في الشريعةِ حافريهِ ودارتْ ألفُهُ من حيثُ دارا

وقدْ صفا خدودَهُما وبلاً ببردِ الماءِ أجوافاً حرارا

وفي بيتِ الصفيحِ أبُو عيالٍ كثيرُ الماءِ يغتبقُ السمارا

يقلبُ بالأناملِ مرهفاتٍ كساهنَّ المناكبَ والظهارا

تبيتُ الحيةُ النضناضُ فيهِ مكانَ الحبِّ تستمعُ السرارا

فيممَ حيثُ قالَ القلْبُ منها بحجريٍّ ترى فيه اضطمارا

يصادفُ سهمهُ أحجارَ قفٍّ كسرنَ العيرَ منهُ والغرارا

فريعا روعةً لوْ لَمْ يكونا ذوي أيْدٍ تمسُّ الأرضَ طارا

وقال أيضاً يمدح يزيدَ بن معاوية بن أبي سفيان: الطويل

تهانفتَ واستبكاكَ رسمُ المنازِلِ بقارةِ أهوى أو بسوقةِ حائلِ

خلتْ من جميعٍ ساكنينَ وبدلتْ ظباءَ السليلِ بعدَ خيلٍ وجاملِ

ذكرتُ بها من لنْ أباليَ بعدَهُ تفرقَ حيٍّ في النوى متزايلِ

وإنَّ امرءاً بالشامِ أكثَر قومِهِ وبطنانَ ليسَ الشوقُ عنهُ بغافلِ

فدونَ الأولَى كلبٌ وأفناءُ عامرٍ ودونَ الأولَى أفناءُ بكرِ بنِ وائلِ

وحنتْ إلى أرضِ العراقِ حمولَتِي وما قيظُ أجوافِ العراقِ بطائلِ

فقلتُ لها لا تجزعي وتربصي من اللهِ سيباً إنهُ ذو نوافلِ

كلي الحمضَ بعدَ المقحمينَ ورازمي إلى قابلٍ ثمَّ اعذري بعدَ قابلِ

مهاريسُ لاقَتْ بالوحيدِ سحابةً إلى أملِ العزافِ ذاتِ السلاسلِ

تواكلَها الأزمانُ حتى أجأنَها إلى جلَدٍ منها قليلِ الأسافلِ

فلما انجلتْ عنها السنونَ هوى لها مقانبُ هطلَى من غريمٍ وسائلِ

فلمْ يبقِ منها الحقُّ إلا أرومةً غلاظَ الرقابِ جلةً كالجنادلِ
وضيفٍ كفتْ جيرانَها وتوكلتْ بهِ جلدةٌ من سرها أمُّ حائلِ
نعوسٌ إذا درَّتْ جروزٌ إذا غدتْ بويزلُ عامٍ أو سديسٌ كبازلِ
إذا ما دعتْ شيباً بجنبيْ عنيزةٍ مشافرها في ماءِ مزنٍ وباقلِ
دعتْ بصريحٍ ذي غثاءٍ هراقهُ سواري العروقِ في الضروعِ السحابلِ
ذا ورعتْ أنْ تركبَ الحوضَ كسرتْ بأركانِ هضبٍ كلَّ رطبٍ وذابلِ
وإنْ سمعتْ رزَّ الفنيقِ تكشفَتْ بأذْنابِ صهْبٍ قرَّحٍ كالمجادلِ
وإنْ صابَ غيثٌ من وراءِ تنوفةٍ هدى هديَ سبارٍ بعيدِ المناقلِ
وإنِّي وذكرايَ ابنَ حرْبٍ لعائدٌ لخلةِ مرعيِّ الأمانةِ واصلِ
أبوكَ الذي أجدَى عليَّ بنصرهِ وأسكَتَ عني بعدَهُ كلَّ قائلِ

وأنتَ امرؤٌ لا بدَّ أنْ قدْ أصبتني بموعدةِ دينٍ عليك وعاجلِ
وقدْ علمتْ قيسٌ وأفناءُ خندفٍ ومذحجُ إذْ وافيتهمْ في المنازلِ
ثنائي عليكمْ آلَ حربٍ ومنْ يملْ سواكمْ فإني مهتدٍ غيرُ مائلِ
رأتكَ ذوو الأحلامِ خيراً خلافَةً من الزائغينَ في التلاعِ الدواخلِ
وأجزأتَ أمْرَ العالمينَ ولمْ يكنْ ليجزئَ إلاَّ كاملٌ وابْنُ كاملِ
إليكَ ابتذلْنا كلَّ أدْماءَ حرةٍ وأعيسَ مشاءٍ أمامَ الرواحلِ
رباعٍ كوقفِ العاجِ تثني حبالَهُ شراسيفُ حدَّتْ غرضُها غيرُ جائلِ
مشرفُ أطرافِ المحالِ مزلهِ معادَ الملاطِ معرقٍ في العقائلِ
فيالكَ من خدٍّ وذفرَى أسيلةٍ ومنْ عنقٍ صعلٍ وموضعِ كاهلِ
ورأسٍ كإبريقِ اليهوديِّ أشرفَتْ لهُ حبكٌ أجيادُها كالمراجلِ
ومنْ عجزٍ فيها جناحانِ ألحقا توالي لا شختٍ ولا متخاذلِ
وسمرٍ خفافٍ في حذاءِ نعامةٍ ثمانيةٍ روحٍ ظماءِ المفاصلِ
إذا قلتُ عاجٍ لجَّ حتى تردَّهُ قوَى أدمٍ أطرافُها في السلاسلِ

بعيدٍ من الحادِي إذا ما ترقصتْ نيافُ الصوَى في السبسبِ المتماحلِ
ترى الأعظمَ اللائي يلينَ فؤادَهُ جنوحَ الأعالي مائراتِ الأسافلِ
كذي رملٍ من وحشِ حوملَ بلهُ أهاضيبُ في قسٍّ من الريحِ شاملِ
تخرُّ على متنِ الكثيبِ ومتنهُ رذاذٌ هوى من ديمةٍ غيرِ وابلِ
تبيتُ بناتُ الأرضِ تحتَ لبانهِ بأحقفَ من أنقاءِ توضحَ مائلِ
كأنَّ القطارَ حركتْ في مبيتهِ حذيةَ مسكٍ في معرسِ قافلِ
فلما تجلَّى ليلهُ عن نهارِهِ غدا سالكاً بينَ اللوَى فالخمائلِ
فهاجَ بهِ لمَّا ترجلتِ الضحى شطائبُ شتى من كلابٍ ونابلِ
فأبصرَها حتى إذا ما تقاربتْ وفي النفسِ منهُ كرةٌ للأوائلِ
حمى الأنفَ من بعضِ الفرارِ فذادها بأسحمَ لامٍ ذي شباتٍ وعاملِ
ففرقَ بينَ السابقينَ بطعنةٍ على عجلٍ من سلهَبٍ غيرِ ناصلِ
فكان كذي تبلٍ تذكرَ ما مضَى وقدْ كرَّ كراتِ الكريمِ المقاتلِ
يهزُّ بأطرافِ الحبالِ وينتحي على الأجنَبِ القصوى هزيزَ المغاولِ
كما انقضَّ دريٌّ تخلَّلَ متنهُ فروجَ جهامٍ آخرَ الليلِ جافلِ

وقال الراعي يمدح عبدَ الملك بن مروانَ، ويشكو السعاة: البسيط

بانَ الأحبةُ بالعهدِ الذي عهدُوا فلا تمالكَ عنْ أرضٍ لها قصدوا
ورادَ طرفُكَ في صحراءَ ضاحيَةٍ فيها لعينيكَ والأظعانُ مطردُ
واستقبلتْ سربَهُمْ هيفٌ يمانيةٌ هاجتْ نزاعاً وحادٍ خلفهمْ غردُ
حتى إذا حالتِ الأرحاءُ دونهمُ أرحاءُ أرملَ حارَ الطرفُ أو بعدُوا
حثوا الجمالَ وقالوا إنَّ مشربكمْ وادِي المياهِ وأحساءٌ بهِ بردُ
وفي الخيامِ إذا ألقتْ مراسيها حورُ العيونِ لإخوانِ الصبا صُيُدُ
كأنَّ بيضَ نعامٍ في ملاحفِها إذا اجتلاهُنَّ ليلٌ قيظهُ ومدُّ
لها خصورٌ وأعجازٌ ينوءُ بها رملُ الغناءِ وأعلَى متنها رؤُدُ
منْ كلِّ واضِحَةِ الذِّفْرَى منعمةٍ غراءَ لمْ يغذُها بؤسٌ ولا وبدُ

يثني مساوفُها غرضوفَ أرنبةٍ شماءَ من رخصةٍ في جيدها أودُ

لها لثاتٌ وأنيابٌ مفلجةٌ كالأقحوانِ على أطرافِه البردُ

يجري بها المسكُ والكافُورُ آونةً والزعفرانُ على لباتِها جسدُ

كأنَّ ريطَةَ جبارٍ إذا طويتْ بهوُ الشراسِيفِ منها حينَ تنخضدُ

نعمَ الضجيعُ بعيدَ النومِ يلجئُها إلى حشاكَ سقيطُ الليْلِ والثأدُ

كأنَّ نشوتها والليلُ معتكرٌ بعدَ العشاءِ وقدْ مالتْ بنا الوسدُ

صهباءُ صافيةٌ أغلى التجارُ بها منْ خمرِ عانةَ يطفو فوقها الزبدُ

لولا المخاوفُ والأوصابُ قد قطعتْ عرضَ الفلاةِ بنا المهريةُ الوخدُ

في كلِّ غبراءَ مخشيٍّ متالفُها جداءُ ليسَ بها عدٌّ ولا ثَمَدُ

تمسِي الرياحُ بها حسرَى ويتبعها سرادقٌ ليسَ في أطرافِه عمدُ

بصباصةُ الخمسِ في زوراءَ مهلكةٍ يهدِي الأدلاءَ فيها كوكبٌ وحدُ

كلفتُ مجهولَها نوقاً يمانيةً إذا الحداةُ على أكسائها حفدُوا

حسبَ الجماجمِ أشباهاً مذكرةً كأنها دُمُكٌ شيزيةٌ جددُ

قامَ السقاةُ فناطُوها إلى خشبٍ على كبابٍ وحومٌ خامسٌ يردُ

ذوو جآجئَ مبتلٌّ مآزرهمْ بينَ المرافقِ في أيديهمِ حردُ

أو رعلةٌ من قطا فيحانَ حلأها عن ماءِ يثبرَةَ الشُّبّاكُ والرصَدُ

تنجو بهنَّ من الكُدْرِيّ جانيةٌ بالروضِ روضِ عماياتٍ لها ولدُ

لما تخلسَ أنفاساً قرائنُها منْ غمرِ سلمَى دعاها توءَمٌ قردُ

تهوي لهُ بشعيبٍ غيرِ معصمةٍ منغلةٍ دونَها الأحشاءُ والكبدُ

دونَ السماءِ وفوقَ الأرضِ مسلكُها تيهٌ نفانفُ لا بحرٌ ولا بَلَدُ

تطاولَ الليلُ منْ همٍّ تضيفنِي دونَ الأصارمِ لمْ يشعرْ بهِ أحدُ

إلاَّ نجيةَ آرابٍ تقلبنِي كما تقلبَ في قرموصهِ الصردُ

في صدرِي ذي بدواتٍ ما تزالُ لهُ بزلاءُ يعيا بها الجثامةُ اللبَدُ

وعينِ مضطمرِ الكشحينِ أرقهُ ... همٌّ غريبٌ وناوِي حاجةٍ أفدُ

وناقةٍ من عتاقِ النوقِ ناجيةٍ ... حرفٍ تباعدَ منها الزورُ والعضدُ

ثبجاءُ دفواءُ مبنيٌّ مرافقُها ... على حصيرينِ في دفيهما جددُ

مقاءُ مفتوقةُ الإبطينِ ماهرةٌ ... بالسومِ ناطَ يديها حارِكٌ سندُ

ينجو بها عنقٌ صعلٌ وتلحقُها ... رجْلا أصكَّ خدَبٍّ فوقَهُ لَبِدُ

تضحِي إذا العيسُ أدْركنا نكايتَها ... خرقاءَ يعتادُها الطوفانُ والزُّؤدُ

كأنها حرةُ الخدينِ طاويةٌ ... بعالجٍ دونَها الخلاتُ والعُقَدُ

ترمِي الفجاجَ بِكَحْلاوَيْنِ لمْ تجدا ... ريحَ الدخانِ ولمْ يأخذْهُما رمدُ

باتتْ بشرقيٍّ يمؤُودٍ مباشِرَةً ... دعصاً أرذَّ عليهِ فرقٌ عندُ

في ظلِّ مرتجزٍ تجلو بوارقُهُ ... من ناظريْنِ رواقاً تحتهُ نضدُ

طورينِ طوراً يشقُّ الأرضَ وابلُهُ ... بعدَ العزازِ وطوراً ديمةٌ رغدُ

حتى غدتْ في بياضِ الصبحِ طيبةً ... ريحُ المباءةِ تخدِي والثرى عمدُ

لما رأتْ ما ألاقِي من مجمجمةٍ ... هي النجيُّ إذا ما صحبتي هجدوا

قامتْ خليدةُ تنهانِي فقلتُ لها ... إن المنايا لميقاتٍ لهُ عددُ

وقلتُ ما لامرئٍ مثلي بأرضِكُمُ ... دونَ الإمامِ وخيرِ الناسِ متأدُ

إنِّي وإياكِ والشكْوَى التي قصرَتْ ... خطوِي ونأيكِ الوجدُ الذي أجدُ

كالماءِ والظالِعُ الصديْانُ يطلبُهُ ... هوَ الشفاءُ لَهُ والريُّ لوْ يردَ

إنَّ الخلافةَ من ربِّي حباكَ بها ... لمْ يصفِها لكَ إلاَّ الواحدُ الصمدُ

القابضُ الباسِطُ الهادِي لطاعتِهِ ... في فتنةِ الناسِ إذْ أهواءُهُمْ قددُ

أمراً رضيتَ لهُ ثمَّ اعتمدتَ لهُ ... واعلَمْ بأنَّ أمينَ اللهِ معتمدُ

واللهُ أخرجَ من عمياءَ مظلمةٍ ... بحزمِ أمركَ والآفاقُ تجتلدُ

فأصبحَ اليومَ في دارٍ مباركةٍ ... عندَ المليكِ شهاباً ضوءهُ يقدُ

ونحنُ كالنجمِ يهوي من مطالعهِ ... وغوطةُ الشامِ من أعناقنا صددُ

نرجو سجالاً من المعروفِ تنفحُها ... لسائليكَ فلا منٌّ ولا حسدُ

ضافِي العطيةِ راجيهِ وسائلهُ سيانَ أفلح من يُعطِي ومنْ يعدُ

أنتَ الحيا وغياثٌ نستغيثُ بهِ لو نستطيعُ فذاكَ المالُ والولَدُ

أزرَى بأموالِنا قومٌ أمرتهُمُ بالعدلِ فينا فما أبقوا وما قصدوا

نعطي الزكاةَ فما يرضَى خطيبهُمُ حتى يضاعِفَ أضعافُ لها غددُ

أما الفقيرُ الذي كانتْ حلوبتُهُ وفقَ العِيالِ فلمْ يتركْ لهُ سبدُ

واختلَّ ذو المالِ والمثرونَ قد بقيتْ على التلاتل من أموالِهِمْ عقدُ

فإنْ رفعتَ بهم رأساً نعشتهمُ وإنْ لقوا مثلها في قابلٍ فسدوا

وقال الراعي يمدح بشرَ بن مروان: الطويل

أفي أثرِ الأظعانِ عينكَ تلمحُ نعمْ لاتَ هنا إنَّ قلبكَ متيحُ

ظعائنُ مئنافٍ إذا ملَّ بلدَةً أقامَ الرِّكابَ باكِرٌ متروِّحُ

من المتبعينَ الطرفَ في كلِّ شتوةٍ سنا البرقِ يدعوهُ الربيعُ المطرحُ

يسامِي الغمامَ الغرَّ ثمَّ مقيلهُ من الشرفِ الأعلى حساءٌ وأبطَحُ

رعينَ قرارَ المزنِ حيثُ تجاوبتْ مذاكٍ وأبكارٌ من المزنِ دلحُ

بأرضٍ يثيرُ النقعُ فيها قناعهُ كما انتصَّ شيخٌ من رفاعةَ أجلحُ

أقامتْ بهِ حدَّ الربيعِ وجارُها أخو سلوةٍ مسى به الليلُ أملَحُ

فلما انتهى نوءُ الربيعِ وأزمعتْ خفوفاً وأولادُ المصاييفِ رشحُ

رماها السفا واعتزَّها الصيفُ بعدما طباهنَّ روضٌ من زبالةَ أفيحُ

وحارَبتِ الهيفُ الشمالَ وآذَنتْ مذانبُ منها اللدنُ والمتصوحُ

تحملْنَ من ذاتِ التنانيرِ بعدَما مضى بينَ أيديها سوامٌ مسرحُ

وعالينَ رقماً فوقَ رقمٍ كسونهُ قنا عرعرٍ فيهِ أوانسُ وضَّحُ

على كلِّ عجعاجٍ إذا عجَّ أقبلَتْ لهاةٌ تلاقيها مخالبُ كلَّحُ

فأبصرتُهُمْ حتى تعرضَ دونهُمْ ستورٌ وحادٍ ذو غذاميرَ صيدَحُ

وقلنَ لهُ حثَّ الجمالَ وغنها بصوتكَ والحادِي أحثُّ وأنجحُ

بإحدى قياقِ الحزنِ في يومِ قتمةٍ وضاحِي السرابِ بيننا يتضحضحُ

تواضعُ أطرافُ المخارمِ دونَهُ ... وتبدو إذا ما غمرةُ الآلِ تنزحُ

فلما دعا داعي الصباحِ تفاضلتْ ... بركبانِها صهبُ العثانين قرَّحُ

لحقنا بحي أوبُوا السيرَ بعدما ... دفعنا شعاعَ الشمسِ والطرفُ مجنحُ

تدافعهُ عنا الأكفُّ وتحتهُ ... من الحيِّ أشباحٌ تجولُ وتمصحُ

فلما لحقنا وازدهتنا بشاشةٌ ... لإتيانِ منْ كنا نودُّ ونمدحُ

أتتنا خزامى ذاتُ نشرٍ وحنوةٌ ... وراحٌ وعطارٌ من المسكِ ينفحُ

فنلنا غراراً من حديثٍ نقودهُ ... كما اغبرَّ بالنصِّ القضيبُ المسمحُ

نقاربُ أفنانَ الصبا ويردُّنا ... حياءٌ إذا كدنا نلمُّ فنجمحُ

حرائرُ لا يدرينَ ما سوءُ شيمةٍ ... ويتركنَ ما يُلْحَى عليهِ فيفصحُ

فأعجلنا قربُ المحلِّ وأعيُنٌ ... إلينا فخفناها شواخصُ طُمحُ

فكائنْ ترى في القومِ من متقنعٍ ... على عبرةٍ كادتْ بها العينُ تسفحُ

لهُ نظْرَتانِ نحوَهنَّ ونظرةٌ ... إلينا فللهِ المشوقُ المترحُ

كحرانَ منتوفِ الذراعينِ صدَّهُ ... عنِ الماءِ فراطٌ ووردٌ مصبحُ

فقامَ قليلاً ثمَّ باحَ بحاجةٍ ... مصردُ أشرابٍ مرمى منشحُ

إلى المصطفى بشرِ بنِ مروانَ ساورَتْ ... بنا الليلَ حولٌ كالقسيِّ ولقحُ

نقانقُ أشباهٌ برَى قمعاتِها ... بكورٌ وإسادٌ وميسٌ مشيحُ

فلم يبقَ إلاَّ آلُ كلِّ نجيبةٍ ... لها كاهلٌ جأبٌ وصلْبٌ مكدَّحُ

ضبارمةٌ شدقٌ كأنَّ عيونها ... بناتُ جفارٍ منْ هراميتَ نزحُ

فلوْ كنَّ طيراً قدْ تقطعنَ دونكمْ ... بغبرِ الصوَى فيهنَّ للعيْنِ مطرحُ

ولكنها العيسُ العتاقُ يقودُها ... همومٌ بنا منتابُها متزحزحُ

بناتُ نحيضِ الزورِ يبرقُ خدهُ ... عظامُ ملاطيهِ موائرُ جنحُ

لهُ عنقٌ عارِي المحالِ وحارِكٌ ... كلوحِ المحانِي ذو سناسنَ أفطحُ

ورجلٌ كرجلِ الأخدرِيِّ يشلُّها ... وظيفٌ على خفِّ النعامةِ أروحُ

يقلبُ عينيْ فرقدٍ بخميلةٍ ... كساها نصيُّ الخلفةِ المتروحُ

تروحنَ من حزمِ الجفولِ فأصبحتْ هضابُ شرورَى دونها والمضيحُ

وما كانتِ الدهنا لها غيرَ ساعةٍ وجوَّ قساً جاوزنَ واليومُ يضبحُ

سمامٌ بموماةٍ كأنَّ ظلالَها جنائبُ تدنُو تارةً وتزحزَحُ

ولمّا رأتْ بعدَ المياهِ وضمها جناحان من ليلٍ وبيداءُ صردحُ

وأغستْ عليها طرمساءُ وعلقتْ بهجرٍ أداوَى ركبِها وهي نزحُ

حذاها بنا روحٌ زواجلُ وانتحتْ بأجوازها أيدٍ تمدُّ وتنزحُ

فأضحتْ بمجهولِ الفلاةِ كأنها قراقيرُ في آذيِّ دجلةَ تسبحُ

لهاميمُ في الخرقِ البعيدِ نياطُهُ وراءَ الذي قال الأدلاءُ تصبحُ

فما أنا إنْ كانتْ أعاصيرُ فتنةٍ قلوبُ رجالٍ بينهُنَّ تطوحُ

كمنْ باعَ بالإثمِ التقى وتفرقتْ به طرقُ الدنيا ونيلٌ مترحُ

رجوتَ بحوراً من أميةَ دونَها عدوٌ وأركانٌ من الحربِ ترمحُ

وما الفقرُ من أرضِ العشيرةِ ساقنا إليكَ ولكنى بقربكَ أنجحُ

وقدْ علم الأقوامُ أنكَ تشتري جميلَ الثنا والحمدُ أبقَى وأربحُ

وأنتَ امرؤٌ ترويِ السجالَ وينتحي لأبعدَ منا سيبكَ المتمنحُ

وإنكَ وهابٌ أغرُّ وتارةً هزبرٌ عليهِ نقبةُ الموتِ أصبحُ

أبوكَ الذي نجّى بيثربَ قومهُ وأنتَ المفدَّى من بنيهِ الممدَّحُ

إذا ما قريشُ الملكِ يوماً تفاضلوا بدا سابقٌ من آلِ مروانَ أقرَحُ

وقال الراعي أيضاً: البسيط

يا أهلِ ما بالُ هذا الليلِ في صفرِ يزدادُ طولاً وما يزدادُ من قصرِ

في إثْرِ من قطعَتْ مني قرينتُهُ يومَ الحدالَى بأسبابٍ من القدرِ

كأنما شقَّ قلبِي يومَ فارقَهُمْ قسمينِ بَيْنَ أخِي نجدٍ ومنحدرِ

همُ الأحبةُ أبْكِي اليومَ إثرَهُمُ قدْ كنتُ أطربُ إثرَ الجيرةِ الشُّطُرِ

فقلتُ والحرةُ الرجلاءُ دونهمُ وبطنُ لجانَ لما اعتادني ذكري

صلى على عزةَ الرحمانُ وابنتِها … ليلى وصلى على جاراتِها الأُخرِ

هنَّ الحرائرُ لا ربّاتِ أحمرةٍ … سودُ المحاجرِ لا يقرأْنَ بالسورِ

وارَيْنَ وحفاً رواءً في أكمَّته … منْ كرمِ دومَةَ بينَ السيحِ والجدارِ

تلقَى نواطيرَهُ في كلِّ مرقبةٍ … يرمونَ عنْ واردِ الأفنانِ مهتصرِ

يسبينَ قلبِي بأطرافٍ مخضبةٍ … وبالعيونِ وما واريْنَ بالخمرِ

على ترائبِ غزلانٍ مفاجأةٍ … ريعتْ فأقبلْنَ بالأعناقِ والعذَرِ

لا تعمَ أعينُ أصحابٍ أقولُ لهمْ … بالأنبطِ الفرد لمّا بذهمْ بصري

هلْ تؤنسُونَ بأعلَى عاسمٍ ظعُناً … وركْنَ فحليْنِ واستقبلْنَ ذا بقرِ

بينهنَّ ببينٍ ما يبينُهُ … صحبي وما بعُيُونِ القومِ من عوَرِ

يبدونَ حيناً وأحياناً يغيبهُمْ … مني مكامنُ بينَ الجرِّ والحفرِ

تحدُو بهمْ نبطٌ صهبٌ سبالُهُمُ … من كلِّ أحمرَ من حورانَ مؤتجرِ

عومَ السفينِ على بختٍ مخيسةٍ … والبختُ كاسيةُ الأعجازِ والقصرِ

كأنَّ رزَّ حداةٍ في طوائفهمْ … نوحُ الحمامِ يغني غايةَ العشرِ

أتبعتُ آثارَهُمْ عيناً معودَةً … سبقَ العيونِ إذا استكرهْنَ بالنظرِ

وبازلاً كعلاةِ القينِ دوسرةً … لم يجذِ مرفقها في الدفِّ من زورِ

كأنها ناشطٌ حرٌّ مدامعهُ … منْ وحشِ حبرانَ بينَ القنعِ والضفرِ

باتَ إلى هدفٍ من ليلِ ساريةٍ … يغشَى العضاهَ بروقٍ غيرِ منكَسرِ

يخاوشُ البركَ عنْ عرقٍ أضرَّ به … تجافياً كتجافي القرْمِ ذي السرَرِ

إذا أتى جانباً منها يصرفُهُ … تصفقُ الريحِ تحتَ الديمةِ الدررِ

حتى إذا انجلتْ عنهُ عمايتُهُ … وقلصَ الليلُ عن طيانَ مضطمرِ

غدا كطالبِ تبلٍ لا يورعُهُ … دعاءُ داعٍ ولا يلوِي على خبرِ

وصبحتهُ كلابُ الغوثِ يؤسدُها … مستوضحونَ يرونَ العينَ كالأثرِ

أوجسَ بالأذنِ رزاً منْ سوابقِها … فجالَ أزْهَرُ مذعُورٌ من الخمرِ

واجتازَ للعدوَةِ القُصوَى وقدْ لحقَتْ … غضفٌ تكشفُ عنها بلجةُ السحَرِ

فكرَّ ذو حوزةٍ يحمي حقيقتهُ كصاحبِ البزِّ من حورانَ منتصرِ
فظلَّ سابقُها في الروقِ معترضاً كالشنِّ لاقَى قناةَ اللاعبِ الأشِرِ
فردها ظلعاً تدمى فرائصُها لمْ تدمَ فيه بأنيابٍ ولا ظفرِ
وظلَّ يعلو لوَى دهقانَ معترضاً يردِي وأظلافُهُ صفرٌ من الزهَرِ
أذاكَ أمْ مسحَلٌ جونٌ بهِ جلَبٌ مِنَ الكدامِ فلا عنْ قرحٍ نزُرِ
قبِّ البُطونِ نفى سربالَ شقوتها سربالُ صيفٍ رقيقٍ لين الشعرِ

لم يبرِ جبلتها حملٌ تتابعهُ بعدَ اللطامِ ولمْ يغلظنَ من عقرِ
كأنَّها مقطٌ ظلتْ على قيمٍ من ثُكْدَ واعتركتْ في مائهِ الكدرِ
شقرٌ سماويةٌ ظلتْ محلأةً برجلةِ التيسِ فالروحاءِ فالأمرِ
كانتْ بجزءٍ فملتها مشاربُهُ وأخلفتها رياحُ الصيفِ بالغدرِ
فَراحَ قبلَ غروبِ الشمسِ يصفقُها صفقَ العنيفِ قلاصَ الخائفِ الحذرِ
يخرجنَ بالليلِ من نقعٍ لهُ عرفٌ بقاعِ أمعطَ بينَ السهلِ والصيَرِ
حتى إذا ما أضاءَ الصبحُ وانكشفتْ عنهُ نعامةُ ذي سقطينِ منشمرِ
وصبحتْ بركَ الريانِ فاتبعتْ فيهِ الجحافلُ حتى خضنَ بالسررِ
حتى إذا قتلتْ أدنَى الغليلِ ولمْ تملأْ مذاخرَها للرِّيِّ فالصدَرِ
وصاحبا قترةٍ صفرٌ قسيهما عندَ المرافقِ كالسيدينِ في الحجرِ
تنافسا الرميةَ الأولى ففازَ بها معاودُ الرَّمي قتالٌ على فقرِ
حتى إذا ملأ الكفينِ أدركَهُ جدٌّ حسودٌ وخانتْ قوةُ الوترِ
فانصعنَ أسرَعَ من طيرٍ مغاولةٍ تهوي إلى لابةٍ من كاسرٍ خدرِ
إذا لقينَ عروضاً دونَ مصنعةٍ وركنَ من جنبها الأقصَى لمحتضرِ
فأطلَعَتْ فرزةَ الآجامِ جافلةً لمْ تدرِ أنَّى أتاها أولُ الذعرِ
فأصبحَتْ بينَ أعلامٍ بمرتقبٍ مقورةً كقداحِ الغارمِ اليَسَرِ
يزرُّ أكفالَها غيرانُ مبترِكٌ كاللوحِ جردَ دفاهُ من الزبُّرِ

وقال الراعي يمدح بشر بن مروان: الطويل

ألمْ يسألِ الركْبُ الديارَ العوافيا بوجهِ نوًى منْ حلها أو متَى هيا
ظللنا سراةَ اليومِ منْ حبِّ أهلها نسائلُ آناءً لها وأثافيا
بذي الرضمِ سارَ الحيُّ منها فما ترى بها العينُ ألاَّ مسجداً وأواريا
وجوناً أظلتها ركابٌ مناخةٌ ركابُ قدورٍ لا يرمْنَ المثاويا
وآناءَ حيٍّ تحتَ عينٍ مطيرةٍ عظامِ البيوتِ ينزلونَ الروابيا
أربتْ شهريْ ربيعٍ عليهمِ جنائبُ ينتجنَ الغمامَ المتاليا
بأسحمَ من هيجِ الذراعينِ أتأقتْ مسايلهُ حتى بلغنَ المناجيا
عهدنا الجيادَ الجردَ كلَّ عشيةٍ يشارُ بها والمجلسَ المتباهيا
وضربَ نساءٍ لوْ رآهنَّ راهبٌ لهُ ظلةٌ في قنةٍ ظلَّ رانِيا
جوامعَ أنْسٍ في حياءٍ وعفةٍ يصدنَ الفتى والأشمطَ المتناهيا
بأعلامِ مركوزٍ فعيرٍ فغربٍ مغانيَ أمِّ الوبرِ إذْ هي ما هيا
لها بحقيلٍ والنميرةِ منزلٌ ترى الوحشَ عوذاتٍ بهِ ومتاليا
ومعتركٍ من أهلها قدْ عرفنهُ بوادِي أريكٍ حيثُ كانَ محانيا
وإنَّ نساءَ الحيِّ لما رمينني أصبنَ الشوى مني وصدنَ فؤاديا
ثقالٌ إذا رادَ النساءُ خريدةٌ صناعٌ فقدْ سادتْ إليَّ الغوانيا
ولستُ بلاقٍ في قبائلِ قومِها لوبرةَ جاراً آخرَ الدهرِ قاليا
كغراءَ سوداءِ المدامعِ ترتعي بحوملَ عطفيْ رملةٍ وتناهيا
لها ابنُ ليالٍ ودأتهُ بقفرةٍ وتبغي بغيطانٍ سواهُ المراعيا
أغنُّ غضيضُ الطرفِ باتتْ تعلهُ صرَى ضرةٍ شكرَى فأصبحَ طاويا
وقدْ عودتهُ بعدَ أولِ بلجةٍ منَ الصبحِ حتى الليلَ ألاَّ تلاقيا
تظلُّ بذي الأرطَى تسمعُ صوتهُ مفزعةً تخشى سباعاً وراميا
إذا نظرتْ نحوَ ابْنِ إنْسٍ فإنَّهُ يرى عجباً ما واجهتهُ كما هيا
دعانِي الهوى منْ أهلِ وبرٍ ودونها ثلاثةُ أخماسٍ فلبيكَ داعيا

فعجنا لذكراها وتشبيه صوتِها قلاصاً بمجهولِ الفلاةِ صوادِيا

نجائبَ لا يُلقحنَ إلا يعارةً عراضاً ولا يشرينَ إلا غواليا

كأنّا على صهبٍ من الوحشِ صعلةٍ سماويةٍ ترعى المروجَ خواليا

من المفرعاتِ المجفراتِ كأنَّها غمامٌ حدتهُ الريحُ فانقضَّ ساريا

إذا شربَ الظمءُ الأداوَى ونضبتْ ثمائلَها حتى بلغنَ العزاليا

بغبراءَ مجرازٍ يبيتُ دليلُها مشيحاً عليها للفراقدِ راعيا

طوى البعدَ أنْ أمستْ نعاماً وأصبحتْ قطاً طالقاً مسحنفراً متدانيا

تداعينَ من شتى ثلاثاً وأربعاً وواحدَةً حتى برزنَ ثمانيا

دعا لُبها غمرٌ كأنْ قدْ وردنَهُ برجلةِ أبليٍّ ولوْ كان نائيا

فصبحنَ مسجوراً سقتهُ غمامةٌ رعالُ القطا ينفضنَ فيهِ الخوافيا

فلما نشحناهنَّ منهُ بشربةٍ ركبنا فيممنا بهنَّ الفيافيا

فتلكَ مطايانا وفوقَ رحالِها نجومٌ تخطى ظلمةً وصحاريا

أرجي المنى منْ عندِ بشرٍ ولمْ أزَلْ لأمثالها من آلِ مروانَ راجيا

لعمركَ إنَّ العاذلاتِ بيذبلٍ وناعمتيْ دمخٍ لينهينَ ماضيا

بعيدَ الهوى رامَ الأمورَ فلمْ يرى لحاجتهِ دونَ ابنِ مروانَ قاضيا

لواردِ ماءٍ منْ فلاةٍ بعيدةٍ تذكرَ أيْنَ الشربُ إنْ كانَ صافيا

فأصبحنَ قدْ أقصرْنَ عنْ متبسلٍ قرى طارقَ الهمِّ القلاصَ المناقيا

وهنَّ يحاذرنَ الردى أن يصيبني ومنْ قبلِ خلقي خطَّ ما كنتُ لاقيا

وأعلمُ أنَّ الموتَ يا أمَّ سالمٍ قرينٌ محيطٌ حبلُهُ من ورائيا

فكائنْ ترى منْ مسعفٍ بمنيةٍ يجنبها أو معصمٍ ليسَ ناجيا

ومنيتٌ من بشرٍ صحابي منيةً فكلهمُ أمسَى لما قلتُ راضيا

فأنتَ ابنُ خيرَيْ عصبْتَيْنِ تلاقتا على كلِّ حيٍّ عزةً ومعاليا

وأنتَ ابنُ أملاكٍ وليثُ خفيةٍ تفادَى الأسودُ الغلبُ منهُ تفاديا

ونائلكَ المرجوُّ سيبُ غمامةٍ سقتْ أهلها عذباً من الماءِ صافيا

نزلتَ من البيضاءِ في آلِ عامرٍ وفي عبدِ شمسِ المنزلَ المتعاليا

فلمْ نَرَ خالاً مثلَ خالكَ سوقةً إذا ابتدرَ القومُ الكرامُ المساعيا

وكانَ العراقُ يومَ صبحتَ أهلهُ كذي الداءِ لاقَى منْ أميةَ شافيا

كشفتَ غطاءَ الكفرِ عنّا وأقلعتْ زلازلُهُ لمّا وضعتَ المراسيا

وعفيتَ منهمْ بعدَ آثارِ فتنةٍ وأحييتَ باباً للندَى كانَ خاويا

فإنّا وبشراً كالنجومِ رأيتها بمانيةً يتبعنَ بدراً شآميا

أبوكَ الذي آسَى الخليفةَ بعدما رأى الموتَ منهُ بالمدينةِ وانيا

فلوْ كنتُ من أصحابِ مروانَ إذْ دَعا بعذراءَ يممتُ الهدَى إذْ بدا ليا

على بردَى إذْ قالَ إنْ كانَ عهدهُمْ أضيعَ فكونوا لا عليَّ ولا ليا

ولكنني غيبتُ عنهمْ فلم يطعْ رشيدٌ ولم تعصِ العشيرةُ غاويا

وكمْ من قتيلٍ يومَ عذراءَ لمْ يكنْ لصاحبهِ في أوّلِ الدهرِ قاليا

فإنْ يكُ سوقٌ من أميةَ قلصتْ لقيسٍ بحربٍ لا تجنُّ المعاريا

فقدْ طالَ أيامُ الصفاءِ عليهمُ وأيُّ صفاءٍ لا يحور تغاويا

ألسنا أشدَّ الناسِ يا أمَّ سالمٍ لدى الموتِ عندَ الحربِ قدماً تآسيا

فلمْ يبقِ منا القتلُ إلا بقيةً ولمْ يبقِ من حييْ ربيعةَ باقيا

برزنا لضبعاني معدٍّ فلمْ ندعْ لبكرٍ ولا أفناءِ تغلبَ ناديا

برهطِ ابنِ كلثومٍ بدأنا فأصبحُوا لتغلبَ أذناباً وكانوا نواصيا

أعدنا بأيامِ الفراتِ عليهم وقائعنا والمشتعلاتِ الغواشيا

سلاهبَ منْ أولادِ أعوجَ فوقَها فوارسُ قيسٍ مشرعِينَ العواليا

وغارتُنا أودتْ ببهراءَ إنَّها تصيبُ الصميمَ مرةً والمواليا

ونحنُ تركنا بالعقيرِ نساءَكُمْ معَ الثكلِ هزْلَى يشتوينَ الأفاعيا

وكانَتْ لنا نارانِ نارٌ بجاسمٍ ونارٌ بدمخٍ يحرقانِ الأعاديا

وقال الراعي أيضاً: البسيط

ألا اسلَمِي اليومَ ذاتَ الطوقِ والعاجِ ... والدَّلِّ والنظرِ المستأنِسِ الساجِي
والواضحِ الغرِّ مصقولٍ عوارضه ... والفاحِمِ الرَّجِلِ المستوردِ الداجِي
وحفٍ أثيبٍ على المتينِ منسدلٍ ... مستفرغٍ بدهانِ الوردِ مجاجِ
ومرسلٍ ورسولٍ غيرِ متهمٍ ... وحاجةٍ غيرِ مبداةٍ من الحاجِ
طاوعتهُ بعدَ ما طالَ النجيُّ بهِ ... وظنَّ أنِّي عليهِ غيرُ منعاجِ

ما زالَ يفتحُ أبواباً ويغلقُها ... بعدِي ويفتحُ باباً بعدَ إرتاجِ
حتى أضاءَ سراجٌ دونهُ قمرٌ ... حمرُ الأناملِ حورٌ طرفُها ساجِي
يضحكنَ للهوِ واللذاتِ عن بردٍ ... تكشفَ البرقِ عنْ ذي لجةٍ داجِ
كأنما نظرتْ نحوي بأعينِها ... عينُ الصريمةِ أو غزلانُ فرتاجِ
بيضُ الوجوهِ كبيضاتٍ بمحنيةٍ ... في دفءِ وحفٍ من الظلمانِ هداجِ
يا نعمها ليلةً حتى تخونها ... صوتٌ منادٍ بأعلى الصبحِ شحاجِ
لما دعا الدعوةَ الأولى فأسمعنِي ... أخذتُ بردَيَّ واستمررتُ أدراجي
وزلنَ كالتينِ وارَى القطنُ أسفلهُ ... واعتمَّ برديا بينَ أفلاجِ
يمشين مَشَى الهجانِ الأدمِ أقبلَها ... خلُّ الكؤودِ هدانٌ غيرُ مهتاجِ
كأنَّ في برتيها بعدما بدتا ... برديتَي زبدٍ بالماءِ عجاجِ
إنْ تنءَ سلمى فما سلمى بفاحشةٍ ... ولا إذا استودعتْ سراً بمزلاجِ
كأنَّ منطقها ليثتْ معاقدُهُ ... بواضحٍ منْ ذرَى الأنقاءِ بجباجِ
وشربةٍ من شرابٍ غيرِ ذي فنعٍ ... في كوكبٍ من نجومِ القيظِ وهاجِ
سقيتها صاحباً تهوِي مسامعهُ ... قد ظنَّ أن ليْسَ منْ أصحابهِ ناجِي
وفتيةٍ غيرِ أنكاسٍ دلَفْتُ لهمْ ... بذي رقاعٍ منَ الخرطومِ نشاجِ
أولجتُ حانوتَهُ حمراً مقطعةً ... من مالِ سمحٍ على التجارِ ولاجِ
فاخترتُ ما عندهُ صهباءَ صافيةً ... من خمرِ ذي نطفاتٍ عاقدِ التاجِ
يظلُّ شارِبُها رخواً مفاصلُهُ ... يخالُ بصرَى جمالاً ذاتَ أحداجِ

وقدْ أقولُ إذا ما القومُ أدركهمْ سكرُ النعاسِ لحرفٍ حرةٍ عاجِ
فسائلِ القومَ إذْ كلتْ ركابهمُ والعيسُ تنسلُّ عن سيري وإدلاجي
ونصيَ العيسَ تهديهمْ وقدْ سدرتْ كلُّ جماليةٍ كالفحلِ هملاجِ
عُرضَ المفازةِ والظلماءُ داجيةٌ كأنها جبةٌ خضراءُ من ساجِ
ومنهلٍ آجنٍ غبرٍ مواردُهُ خاوي العروشِ ببابٍ غيرِ إنهاجِ
عافي الجبا غيرَ أصداءٍ يطفنَ بهِ وذو قلائدَ بالأعطانِ عراجِ
باكرتهُ بالمطايا وهيَ خامسةٌ قبلَ رعالٍ من الكدرِيّ أفواجِ
حتى أردَّ المطايا وهيَ ساهمةٌ كأنَّ أنضاءها ألواحُ أحراجِ

وقال يمدح خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيدٍ: الطويل

على الدارِ بالرمانتينِ تعوجُ صدورُ مهارَى سيرهُنَّ وسيجُ
فعجنا على رسمٍ بربعٍ يجرهُ من الصيفِ جشاءُ الحنينِ نؤوجُ
شآميةٌ هوجاءُ أو قطريةٌ بها منْ هباءِ الشعريينِ نسيجُ
تثيرُ وتبدِي عنْ ديارٍ بنجوةٍ أضرَّ بِها من ذي البطاحِ خليجُ
علامتُها أعضادُ نؤيٍ ومسجدٌ يبابٌ ومضروبُ القذالِ شجيجُ
ومربطُ أفلاءِ الجيادِ وموقدٌ منَ النارِ مسودُّ الترابِ فضيجُ
ألحَّ بأعلاهُ وبقى شريدهُ ذرى مجنحاتٍ بينهنَّ فروجُ
ثلاثٌ صلينَ النارَ شهراً وأرزمتْ عليهنَّ رجزاءُ القيامِ هدوجُ
كأنَّ بربعِ الدارِ كلَّ عشيةٍ سلائبَ ورقاً بينهنَّ خديجُ
تبدلتِ العفرُ الهجانُ وحولها مساحلُ عاناتٍ لهنَّ نشيجُ
نفينَ حواليَّ الجحاشِ وعشرتْ مصاييفُ في أكفالهنَّ سحوجُ
تأوبُ جنبيْ منعجٍ ومقيلُها بجنبِ قرورَى خلفةٌ ووشيجُ
عهدنا بها سلْمَى وفي العيشِ غرةٌ وسعدَى بألبابِ الرجالِ خلوجُ
ليالِيَ سعدى لو تراءتْ لراهبٍ بدومةَ تجرٌّ عندهُ وحجيجُ
قَلَى دينَهُ واهتاجَ للشوقِ إنَّها على الشوقِ إخوانُ العزاءِ هيوجُ

ويومَ لقيناها بتيمنَ هيجتْ بقايا الصبا إنَّ الفؤادَ لجوجُ
غداةَ تراءَتْ لابنِ ستينَ حجةً سقيةُ غيلٍ في الحجالِ دموجُ
إذا مضغتْ مسواكها عبقتْ بهِ سلافٌ تغالاها التجارُ مزيجُ
فداءٌ لسعدَى كلُّ ذاتِ حشيةٍ وأخرى سبنتاةُ القيامِ خروجُ
كأدماءَ هضماءِ الشراسيفِ غالَها عن الوحشِ رخودٌّ العظامِ نتيجُ
رعتهُ صدورَ التلعِ فناءُ كمشةٌ بحزمِ رضامٍ بينهنَّ شروجُ

ألمْ تعلمِي يا أمَّ أسعدَ أنَّني أهاجُ لخيراتِ الندَى وأهيجُ
وهمٌّ عرانِي منْ بعيدٍ فأدلجتْ بيَ الليلَ منجاةُ العظامِ زلوجُ
وشعثٍ نشاوَى منْ نعاسٍ وفترةٍ أثرتُ وأنضاءٍ لهنَّ ضجيجُ
ظلنا بحوارينَ في مشمخرةٍ يمرُّ سحابٌ تحتنا وتلوجُ
ترى حارثَ الجولانِ يبرقُ دونهُ دساكرُ من أسفالهنَّ بروجُ
شربنا ببحرٍ من أميةَ دونهُ دمشقُ وأنهارٌ لهنَّ عجيجُ
فلما قضينَ الحاجَ أزمعنَ نيةً لجلجِ النوَى إنَّ النوَى لخلوجُ
عليها دليلٌ بالفلاةِ ووافدٌ كريمٌ لأبوابِ الملوكِ ولوجُ
ويقطعنَ منْ خبتٍ وأرضٍ بسيطةٍ بسابسَ قفزاً وحشهنَّ عروجُ
فلما دنا منْها الإيابُ وأدْركَتْ عجارِفُ حدبٌ مخنَّ مزيجُ
إذا وضعتْ عنها بظهرِ مفازةٍ حقائبُ عنْ أصلابَها وسروجُ
رأيتُ ردافاً حولَها من قبيلَةٍ منَ الطيرِ يدعوها أحمُّ شحوجُ

وقال الراعي: البسيط

عادَ الهمومُ وما يدري الخليُّ بها واستوردتني كما يستوردُ الشرعُ
فبتُّ أنجو بها نفساً تكلفُني مالا يهمُّ بهِ الجثامةُ الورَعُ
ولومِ عاذلَةٍ باتتْ تؤرقُني حرَّى الملامةِ ما تبقي وما تدَعُ
لمّا رأتنِيَ أقررتُ اللسانَ لها قالتْ أطعنِيَ والمتبوعُ متبعُ

أخشى عليكَ حبالَ الموتِ راصدَةً بكلِّ موردةٍ يرجى بها الطمعُ

فقلتُ لنْ يعجلَ المقدارُ عدتهُ ولنْ يباعدَهُ الإشفاقُ والهلعُ

فهلْ علمتِ من الأقوامِ من أحدٍ على الحديثِ الذي بالغيبِ يطلعُ

وللمنيةِ أسبابٌ يقربُها كما يقربُ للوحشيةَ الذرُعُ

وقد أرى صفحةَ الوحشِي يخطئها نبلُ الرماةِ فينجو الآبدُ الصدعُ

وقد تذكرَ قلبِي بعدَ هجعتهِ أيَّ البلادِ وأيَّ الناسِ أنتجعُ

فقلتُ بالشامِ إخوانٌ ذوو ثقةٍ ما إنْ لنا دونهمْ ريٌّ ولا شبعُ

قومٌ همُ الذروةُ العليا وكاهِلُها ومنْ سواهمْ همُ الأظلافُ والزَّمَعُ

فإن يجودُوا فقدْ حاولتُ جودهمُ وإنْ يضنُّوا فلا لومٌ ولا قذَعْ

وكمْ قطعتُ إليكمْ من مؤديةٍ كأنَّ أعلامَها في آلِها القزَعُ

غبراءَ يهماءَ يخشَى المدلجونَ بها زيغَ الهداةِ بأرضٍ أهلُها شيعُ

كانَّ أيْنُقَنا جونِيٌّ موردَةٍ ملْسُ المناكِبِ في أعناقِها هنعُ

قواربُ الماءِ قدْ قدَّ الرواحُ بها فهنَّ تفرقُ أحياناً وتجتمعُ

صفرُ الحناجرِ لغواها مبينةٌ في لجةِ الليلِ لَمّا راعَها الفزَعُ

يسقينَ أولادَ أبساطٍ مجددةٍ أردَى بها القيظُ حتى كُلُّها ضرِعُ

صيفيةٌ حمكٌ حمرٌ حواصلُها في أكنات حصًى أرجاؤُها صلعُ

يسقينهنَّ مجاجاتٍ يلينُ بها منْ آجنِ الماءِ محفوفاً به الشرَعُ

باكرْنَهُ وفضولُ الريحِ تنسجهُ معانقاً ساقَ ريّا عودُها خرِعُ

كطرةِ البردِ يروَى الصادياتُ بهِ منَ الأجارِعِ لا ملحٌ ولا نزعُ

لمَّا نزلنَ بجنبيهِ دلفْنَ لَهُ جوادفَ المشي منها البُطءُ والسرَعُ

حتى إذا ما ارْتَوَتْ منْ مائهِ قطفٌ تسقِي الحواقنَ أحياناً وتجترعُ

ولَّتْ حثاثاً تواليها وأتْبَعَها منْ لابَةٍ أسفَعُ الخديْنِ مختضعُ

يسبقنَ بالقصدِ والإيغالِ كرتَهُ إذا تفرقْنَ عنهُ وهوَ مندفعُ

ململمٌ كمدقِّ الهضبِ منصلتٌ ما إنْ يكادُ إذا ما لجَّ يرتجعُ

حتى انتهَى الصقرُ عن حمٍّ قوادمُها		تدنو من الأرضِ أحياناً وما تقعُ
وظلَّ بالأكمِ ما يصري أرانبَها		منْ حدِّ أظفارِه الحجرانُ والقلَعُ
بلْ ما تذكرُ منْ هندٍ إذا احتجبتْ		بابنِي عوارٍ وأمسَى دونها بلَعُ
وجاورَتْ عبشمياتٍ بمحنيةٍ		ينأى بهنَّ أخُو داويةٍ مرعُ
قاصِي المحلِّ طباهُ عن عشيرتهِ		جزءٌ وبينونةُ الجرداءِ أوْ كرَعُ

بحيثُ تلحسُ عن زهرٍ ملمعةٍ		عينٌ مراتِعُها الصحراءُ والجرعُ

وقال الراعي في بني عقدةَ وقد منعوه الرعي بأرضهم: الطويل

هممتَ الغداةَ همةً أنْ تُراجعا		صباكَ وقدْ أمْسَى بكَ الشيبُ شائعا
وشاقتكَ بالعبسينِ دارٌ تغيرتْ		معارفُها إلاَّ البلادَ البلاقِعا
بميثاءَ سالتْ من عَسِيبٍ وخالطَتْ		ببطنِ الركاءِ برقَةً وأجارعا
كما لاحَ وشمٌ في يدَيْ حارثيَّةٍ		بنجرانَ أدْمَتْ للنؤُورِ الأشاجعا
تبصرْ خليلِي هل ترى من ظعائنٍ		تجاوزنَ ملحوباً فقلنَ متالعا
جواعِلُ أرْماماً يميناً وصارَةً		شمالاً وقطعنَ الوهاطَ الدوافعا
دعاهُنَّ داعٍ للخريفِ ولمْ تكنْ		لهنَّ بلادٌ فانتجعنَ روافِعا
تمهدنَ ديباجا وعالَينَ عقمةً		وأنزلنَ رقماً قد أجنَّ الأكارِعا
خدالَ الشوَى غيدَ السوالِفِ بالضُّحى		عراضَ القطا لا يتخذنَ الرفائِعا
تضيقُ الخدورُ والجمالُ مناخةٌ		بأعجازِها حتى يلحْنَ خواضِعا
فلمّا استقلَّتْ في الهوادِجِ أقبلَتْ		بأعيُنِ آرامٍ كُسِينَ البراقِعا
كأنَّ دَوِيَّ الحلْيِ تحتَ ثيابِها		حصادُ السنا لاقَى الرياحَ الزعازِعا
جماناً وياقوتاً كأنَّ فصوصهُ		وقودُ الغضا سدَّ الجيوبَ الروادِعا
لهنَّ حديثٌ فاترٌ يتركُ الفَتَى		خفيفَ الحَشا مستهلِكَ القلبِ طامعا
وليسَ بأدْنَى منْ غمامٍ يضيئُهُ		سنا البرقِ يجلو المشرفاتِ اللوامِعا
بناتُ نقاً ينظُرْنَ من كلِّ كورةٍ		من الأرضِ محبواً كريماً وتابِعا

وليسَ من اللائِي يبيعُ مخارِقٌ بحجرٍ ولا اللائِي خضرنَ المدارِعا

وما زلْنَ إلاَّ أنْ يقلنَ مقيلَةً يسامِينَ أعداءً ويهدينَ تابِعا

فشردْنَ يربُوعاً وبكرَ بنَ وائلٍ وألحَقْنَ عبساً بالملا ومجاشعا

ولوْ أنها أرضُ ابنُ كوزٍ تصيفتْ بفيحانَ ما أحمَى عليها المراتِعا

ولكنَّها لاقتْ رجالاً كأنَّهُمْ على قربِهِمْ لا يعلمونَ الجوامِعا

ولاقينَ من أولادِ عقدَةَ عصبةً على الماءِ ينثونَ الذُّحُولَ الموانِعا

فقلنا لهمْ إنْ تمنعُونا بلادَكُمْ نجدُ مذهباً في سائرِ الأرضِ واسعا

ويمنعكمْ مستَنُّ كلِّ سحابةٍ مصابَ الربيعِ يتركُ الماءَ ناقِعا

وبردَ الندَى والجزءَ حتى يغيرَكُمْ خريفٌ إذا ما النسرُ أصبحَ واقِعا

وأما مصابُ الغادياتِ فإنَّنا على الهولِ نرعاهُ ولوْ أنْ نقارِعا

نجيٌّ نميريٌّ عليْه مهابةٌ جميعٌ إذا كانَ اللئامُ جنادِعا

هممتُ بهمْ لولاَ الجلالةُ والتُّقَى ولمْ ترَ مثلَ الحلمِ للجهلِ وازِعا

وكُنا أناساً تعترينا حفيظةٌ فنحمِي إذا ما أصبَحَ الثغرُ ضائِعا

وقال الراعي أيضاً: الطويل

أمِنْ آلِ وسْنَى آخرَ الليْلِ زائرُ ووادِي الغويرِ دونَنا والسواجِرُ

تخطَّى إلينا رُكنَ هيفٍ وحافراً طروقاً وأنَّى منكَ هيفٌ وحافرُ

وأبوابُ حوارينَ يصرفْنَ دوننا صريفَ المحالِ أقلقتْهُ المحاوِرُ

فقلنَ لها فيئي فإنَّ صحابَتِي سلاحِي وفتلاءُ الذراعيْنِ ضامِرُ

وهمٌّ وعاهُ الصدرُ ثمَّ سَما بهِ أخُو سفرٍ والناعجاتُ الضوامِرُ

ولنْ يدركَ الحاجاتِ حتى ينالها إلى ابْنِ أبي سفيانَ إلاَّ مخاطِرُ

فإنَّ لنا جاراً علقْنا حبالَهُ كغيثِ الحيا لا يجتويهِ المجاوِرُ

وأمّاً كفتنا الأمهاتِ حفيةً لها في ثناءِ الصدقِ جدٌّ وطائرُ

فما أمُّ عبدِ اللهِ إلاَّ عطيةٌ منَ اللهِ أعطاها امرءاً فهوَ شاكرُ

هي الشمسُ وافاها الهلالُ بنوهُما نجومٌ بآفاقِ السماءِ نظائرُ

تذكرُهُ المعروفَ وهيَ حيبةٌ ... وذو اللبِّ أحياناً معَ الحلمِ ذاكِرُ
كما استقبلتْ غيثاً جنوبٌ ضعيفةٌ ... فأسبلَ ريانُ الغمامةِ ماطرُ
تصدَّى لوضاحِ الجبينِ كأنهُ ... سراجُ الدُّجَى تجبى إليه السوائرُ

فقل ثناءً من أخٍ ذي مودةٍ ... غدا منجح الحاجات والوجهُ وافرُ
تخوضُ بهِ الظلماءَ ذاتَ مُخيلَةٍ ... جماليةٌ قدْ زالَ عنها المناظرُ
ورُودٌ سبنتاةٌ تسامي جديلَها ... بأسجحَ لمْ تخنسْ إليهِ المشافرُ
وعينٍ كماءِ الوقبِ أشرفَ فوقَها ... حجاجٌ كأرجاءِ الركيَّةِ غائرُ
من الغِيدِ دفْواءُ العظامِ كأنَّها ... عقابٌ بصحراءِ السمينةِ كاسرُ
يحنُّ من المعزاءِ تحتَ أظلِّها ... حصًى أوقدتهُ بالحزومِ الهواجرُ
كما نفخَتْ في ظلْمَةِ الليلِ قيْنَةٌ ... على فحمٍ شذانُهُ متطايرُ
فلمّا علتْ ذاتَ السلاسلِ وانْتَحَتْ ... لها مصغياتٌ للنجاءِ عواسرُ
قوالصُ أطْرافِ المسوحِ كأنَّها ... برجلةِ أحجاءٍ نعامٌ نوافرُ
سراعُ السُّرَى أمْسَتْ بسهبٍ وأصبحتْ ... بذي القورِ يغشيها المفازةَ عامرُ
أشمُّ طويلُ الساعديْنِ كأنَّهُ ... يحاذِرُ خوفاً عندهُ ويحاذِرُ
قليلُ الكرى يرمي الفلاةَ بأرْكُبٍ ... إذا سالَمَ النومَ الضعافُ العواورُ
تبصرْ خليلِي هلْ ترى من ظعائنٍ ... بذي النيقِ إذْ زالتْ بهنَّ الأباعرُ
دَعاها من الحبليْنِ حبْلَيْ ضئيدَةٍ ... خيامٌ بعكاشٍ لها ومحاضرُ
تحملنَ حتى قلتُ لسنَ بوارحاً ... بذاتِ العلنْدَى حيثُ نامَ المفاجرُ
وعاليْنَ رقماً فارسياً كأنَّهُ ... دمٌ سائلٌ من مهجةِ الجوفِ ناحرُ
فلما تركنَ الدارَ قلتُ منيفَةٌ ... بقُرّانَ منها الباسقاتُ المواقرُ
أوِ الأثلُ أثلُ المنحنَى فوقَ واسِطٍ ... منَ العرضِ أو دانٍ من الدومِ ناضرُ
فحثَّ بها الحادِي الجمالَ ومدَّها ... إلى الليلِ سرْبٌ مقبلُ الريحِ باكرُ
فلاَ غروَ إلاَّ قولهنَّ عشيةً ... مضى أهلنا فارفَعْ فإنا قواصرُ

فأفرَعْنَ في وادِي الأميرِ بعدما ... ضبا البيدَ سافِي القيظةِ المتناصِرُ

نواعِمُ أبكارٌ تواري خدورَها ... نعاجُ الملا نامتْ لهنَّ الجآذرُ

ونكبْنَ زوراً عن محياةَ بعدما ... بدا الأَثْلُ أثْلُ الغينَةِ المتجاوِرُ

وقالَ زيادٌ إذْ توارتْ حملُهُمْ ... أرى الحيَّ قدْ ساروا فهل أنتَ سائرُ

إذا خبَّ رقراقٌ منَ الآلِ بيننا ... رفعنا قروناً خطوُها متواترُ

مطيةَ مشعوفينِ أفنَى عريكَها ... رواحُ الهبلِّ حينَ تحمَى الظهائرُ

وقال الراعي يمدح سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن العيص بن أمية: البسيط

إني حلفتُ يمنياً غيرَ كاذبةٍ ... وقدْ حبا خلفَها ثهلانُ فالنيرُ

لولا سعيدٌ أرجِّي أنْ أُلاقيَهُ ... ما ضمَّها في سوادِ البصرةِ الدورُ

شجعاءُ معملةٌ تدمَى مناسِمُها ... كأنَّها حرجٌ بالقدِّ مأسُورُ

إلى الأكارِمِ أحْساباً ومأثُرَةً ... تبري الإكامَ ويبري ظهرها الكورُ

الواهِبُ البختَ خضعاً في أزمتها ... والبيضَ فوقَ تراقيها الدنانيرُ

فكمْ تخطتْ إليكم منْ ذوِي ترةٍ ... كأنَّ أعينهمْ نحوي المساميرُ

ما يدرِي اللهُ عني منْ عداوتهمْ ... فإنَّ شرهُمُ في الصدْرِ محذورُ

إن يعرفوني فمعروفٌ لذي بصرٍ ... أو ينسبوني فعالي الذكْرِ مشهورُ

مرَّتْ على أمِّ أمْهارٍ مشمرَةً ... يهوِي بها طرُقٌ أوْساطُها زورُ

في لاحبٍ برقاقِ الأرضِ محتفلٍ ... هادٍ إذا عزهُ الأكمُ الحدابيرُ

يهدي الضلولَ وينقادُ الدليلُ بهِ ... كأنَّهُ مسحلٌ في النيرِ منشورُ

مصدرُهُ في فلاةٍ ثُمَّ موردُهُ ... جدٌّ تفارَطَهُ الأورادُ مجهورُ

يجاوبُ البومَ تهوادُ العزيفِ بهِ ... كما تحنُّ بغيبٍ جلةٌ خورُ

ما عرسَتْ ليلةً إلاَّ على وجلٍ ... حتى يلوحَ منَ الصبحِ التباشيرُ

أرْمِي بها كلَّ موماةٍ مودِيَةٍ ... جداءَ غشيانها بالقومِ تغريرُ

حتى أنيختْ على ما كانَ من وَجلٍ ... في دارِ حيثُ تلاقَى المجدُ والخيرُ

يا خيرَ مأتَى أخِي همٍّ وناقتِهِ ... إذا التقَى حقبٌ منها وتصديرُ

زورٌ مغبٌّ ومسؤولٌ أخو ثقةٍ ... وسائرٌ منْ ثناءِ الصدرِ منشورُ

وقال الراعي يفتخر: الوافر

أبَتْ آياتُ حبى أن تبينا ... لنا خبراً وأبكينَ الحزينا

وكيفَ سؤالنا عرصاتِ ربعٍ ... تركنَ بقفرةٍ حتى بلينا

وأحجاراً من الصوانِ سفعاً ... بهنَّ بقيةٌ مما صلينا

عرفناها منازِلَ آلِ حبَّى ... فلمْ نملكْ من الطرَبِ العُيُونا

تراوَحَها رواعدُ كلِّ هيجٍ ... وأرواحٌ أطلْنَ بها حنينا

بدارةِ مكمنٍ ساقتْ إليها ... رياحُ الصيفِ أرْآماً وعينا

حفرنَ عروقَها حتى أجنتْ ... مقاتلها وأبديْنَ القرونا

كناسُ تنوفةٍ ظلَّتْ إليهِ ... هجانُ الوحْشِ حارنَةً حرونا

يقلنَ بعاسمينَ فذاتِ رُمحٍ ... إذا حانَ المقيلُ ويرتعينا

كأنَّ بكلِّ رابيةٍ وهجلٍ ... منَ الكتانِ أبلاقاً بنينا

ونارِ وديقةٍ في يومِ هيجٍ ... من الشعرَى نصبتُ لهُ الجبينا

إذا معزاءُ رابيةٍ أرنتْ ... جنادبُها وكانَ الأدْمُ جونا

وعاريةِ المحابِسِ أم وحشٍ ... ترى عصبَ السمامِ بها عزينا

نصبتُ بها روائِي فوقَ شعثٍ ... بموماةٍ يظنونَ الظنونا

إلى أقْتادِ راحِلَتِي فظلَّتْ ... تنازِعُهُ الأعاصيرُ الوضينا

ونحنُ لدى دفوفِ مغوراتٍ ... نقيسُ على الحصى نطفاً بقينا

قليلاً ثمَّ طرْنا فوقَ خوصٍ ... يلاعبنَ الأزمةَ والبرينا

مضبرةٌ مرافقهنَّ فتلٌ ... نواعِبَ بالرؤوسِ إذا حدينا

إذا الحاجاتُ كنَّ وراءَ خمسٍ ... منَ الموماةِ كنَّ بها سفينا

وماءٍ تصبحُ الفضلاتُ منهُ ... كخمرِ براقَ قدْ فرط الأجونا

وردتُ مديهُ فطردتُ عنهُ ... سواكِنَ قدْ تمكنَّ الحضونا

بصفنةٍ راكبٍ وموصلاتٍ جمعتُ الرثَّ منها والمتينا

ومصنعةٍ هنيدَ أعنتُ فيها على لذاتها الثملَ المنينا

ونازَعَني بها ندمانُ صدقٍ شواءَ الطيرِ والعنبَ الحقينا

وطنبورٍ أجشَّ وريحِ ضغثٍ منَ الريحانِ يتبعُ الشؤونا

وعيشٍ صالحٍ قدْ عشتُ فيه لوانَّ عمادَ ظلته يقينا

وأظعانٍ طلبتُ بذاتِ لوثٍ يزيدُ رسيمها سرعاً ولينا

منَ العيديّ تحملني ورحلِي وتحملها ملاطِسُ ما يقينا

إذا خفقتْ مشافرُها وظلتْ بسيرتَها مصانعةً ذَقُونا

عقيلةُ أيْنُقٍ أغدُو عليها إذا حاجاتُ قومٍ يعترينا

ألا يا ليتَ راحلتِي بخبتٍ ميممةً أميرَ المؤمنينا

وإنْ دميتْ مناسمُها وألقتْ بموماةٍ على عجلٍ جنينا

تشقُّ الطيرُ ثوبَ الماءِ عنهُ بعيدَ حياتهِ إلاَّ الوتينا

وهزةِ نسوةٍ منْ حيٍّ صدقٍ يزججنَ الحواجبَ والعيونا

طلبتُ وقدْ تواهقتِ المطايا بيعملةٍ تبذُّ السابقينا

وحثَّ الحادِيانِ بأمٍّ لهوٍ ظعائنَ في الخليطِ الرافعينا

أنخنَ جمالهنَّ بذاتِ غسلٍ سراةَ اليومِ يمهدْنَ الكدونا

بروضٍ عازبٍ سرحنَ فيهِ سواماً وانتظرنَ بهِ الظعونا

وما مالَ النهارُ وهنَّ فيها يخدَّرْنَ الدمقسَ ويحتوينا

فرحنَ عشيةً كبناتِ مخرٍ على الغبطاتِ يملأنَ العيونا

دعونَ قلوبنا بأثفياتٍ فألحقنا قلائصَ يغتلينا

بغيطلةٍ إذا التفتْ عليها نشدناها المواعدَ والديونا

عطفنَ لها السوالفَ من بعيدٍ فقلتُ عيونَ آرامٍ كسينا

أولئك نسوةٌ في إرثِ مجدٍ كرائمَ يصطفينَ ويصطفينا

مدلاتٌ يسرنَ بكلِّ ثغرٍ إذا أرقنَ من فزعٍ حمينا

لهنَّ فوارِسٌ ليسوا بميلٍ | ولا كشفٍ إذا قلنَ امنعونا
ظعائنُ منْ كرامِ بني نميرٍ | خلطنَ بميسمٍ حسباً ودينا
تفرعْنَ النصورَ وحيَّ معنٍ | وسادَةَ عامرٍ حتى رضينا
وسبقٍ تعظمُ الأخطارُ فيهِ | ويحسرُ جريُهُ البَطَلَ البطينا
شهدناهُ بفتيانٍ كرامٍ | فلمْ نبرحْ بهِ حتى عُلينا
تبادرنا إساءَتَهُ فجئنا | من الأفلاجِ نلتهمُ المئينا
ومعتركٍ تشقُّ البيضَ فيهِ | كشقِّ الجارزِ القمعَ السمينا

لنا جببٌ وأرماحٌ طوالٌ | بهنَّ نخاطِرُ الحربَ الشطونا
وأفراسٌ إذا نلقَى عدواً | بملحمةٍ عرفنَ إذا ربينا
وردنَ المجدَ قبلَ بني نزارٍ | فما شربوا بهِ حتى رَوينا
وجدنا عامراً أشرافَ قيسٍ | فكنا الصلْبَ منها والوتِينا
ذؤابتُنا ذؤابتها وكانتْ | فتاةَ لوائِها المتبوعِ فينا
ومنْ يفخرْ بمكرمةٍ فإنّا | سبقناها لأيدِي العالمِينا
عصا كرمٍ ورثْناها أبانا | ونورثُها إذا متنا بنينا
إذا وزِنَ الحصى فوزنتُ قومِي | وجدتُ حصى ضرائبهمْ رزينا
ومن يحفرْ أراكتنا يجدْها | أراكةَ هضبةٍ ثقبتْ شؤونا
ونحنُ الحابسونَ إذا عزمنا | ونحنُ المقدمونَ إذا لقينا
ونحنُ المانعونَ إذا أردْنا | ونحنُ النازلُونَ بحيثُ شئنا
إذا ندبتْ روايا الثقلِ يوماً | كفينا المضلعاتِ لمَن يلينا
إذا ما قيلَ من لحماةِ يومٍ | فنحنُ بدعوةِ الداعِي عنينا
وتلقى جارَنا يثنِي علينا | إذا ما حانَ يوماً أن يبينا
همُ فخروا بخيلهمِ فقلنا | بغيرِ الخيلِ تغلبُ أوعدينا
لنا آثارهُنَّ على معدٍّ | وخيرُ فوارسٍ لخيرِ فينا

وعلمْنا سياستهنَّ إنا ... ورثنا آلَ أعوجَ عن أبينا
مقربةً إذا خوتِ الثريا ... جعلنا رزقهنَّ مع البنينا
وكنَّ إذا أبرنَ ديارَ قومٍ ... عطفناها لقومٍ آخرينا
كأنَّ شوادِخَ الغراتِ منهمْ ... بوازي يصطففنَ ويلتقينا
أصابتْ حربنا جشمَ بنَ بكرٍ ... فأصبحَ بيتُ عزهمُ عزينا
ألَمْ نتركْ نساءَهُمُ جميعاً ... بأقبالِ الهضابِ مسندينا
بدأنا ثمَّ عدنا فاصطلمنا ... شراذمَ منْ أنوفِكُمُ بقينا
قتلناكمْ ببلدَةِ كلِّ أرضٍ ... وكنا في الحروبِ مجربينا
بأسيافٍ لنا متوارثاتٍ ... كشهبانٍ بأيْدِي مصلتينا
إذا خالطْنَ هامةَ تغلبيٍّ ... فقلنَ الرأسَ منهُ والجبينا
ألَمْ نتركْ نساء بنِي زهيرٍ ... على القتلى يحلقنَ القرونا
تمنيتَ المنى فكذبتَ فيها ... ورويتَ الرماحَ وما روينا
وما تركتْ رماحُ بني سليمٍ ... لفحلٍ في حواصِنِهمْ جنينا
وإنَّ بناتَ حلابٍ وجدْنا ... فوارِسهنَّ في الهيجا قيُونا
وهم تركوا على أكنافِ لبنى ... نساءَهُمُ لنا لما لقونا
إذا ما حاربَتْكَ بطونُ قيسٍ ... حسبتَ الناسَ حرباً أجمعينا
عليكَ البحرَ حيثُ نفيتَ إنّا ... منعناك السهولَةَ والحزُونا

وقال الراعي: الطويل

ألَمْ تدرِ ما قالَ الظباءُ السوانحُ ... مرنَ أمامَ الركبِ والركْبِ رائحُ
فسبحَ من لمْ يزجرِ الطيرَ منهمُ ... وأيقنَ قلبي أنهنَّ نواجحُ
فأولُ منْ مرتْ بهِ الطيرُ نعمةٌ ... لنا ومبيتٌ عندَ لهوةَ صالحُ
سبتكَ بعينيْ جؤذَرٍ حفلتهما ... رعاثٌ وبراقٌ من اللونِ واضحُ
وأسودَ ميالٍ على جيدِ مغزلٍ ... دعاها طلى أحوَى برمانَ راشحُ
عذابَ الكرى يشفي الصدَى بعدَ رقدَةٍ ... لهُ من عروقِ المستظلةِ مائحُ

غذاهُ وحولِيُّ الثرى فوقَ متنهِ مدبُّ الأتيِّ والأراكُ الدوائحُ
فلما انجلى عنهُ السيولُ بدا لها سقيُّ خريفٍ شقَّ عنهُ الأباطحُ
إذا ذقتَ فاها قلتَ طعمُ مدامةٍ دنا الزقُّ حتى مجها وهو جانحُ
وفي العاجِ والحناءِ كفٌّ بنانُها كشحمِ النقا لمْ يعطها الزندَ قادِحُ
فكيفَ الصبا بعدَ المشيبِ وبعدما تمدحتَ واستعلى بمدحكَ مادحِ
وقد رابني أنَّ الغيورَ يودُّني وأنَّ ندامايَ الكهولُ الجحاجحُ
وصدَّ ذواتُ الضغنِ عني وقدْ أرَى كلامِي يهواهُ النساءُ الجوامحُ
وهزةَ أظعانٍ عليهنَّ بهجةٌ طلبتُ وريعانُ الصبا فيَّ جامحُ
بأسفلِ ذي بيضٍ كأنَّ حمولَها نخيلُ القرى والأثأبُ المتناوحُ
فعجن علينا من علاجيمَ جلةٍ لحاجتنا منها رتوكٌ وفاسحُ
يحدثننا بالمضمراتِ وفوقها ظلالُ الخدورِ والمطِيُّ جوانحُ

يعالِيننا بالطرفِ دونَ حديثنا ويقضينَ حاجاتٍ وهنَّ موازحُ
وخالطنا منهنَّ ريحُ لطيمةٍ من المسكِ أدّاها إلى الحي رابحُ
صلينَ بها ذاتَ العشاءِ ورشَّها عليهنَّ في الكتانِ ريطٌ نصائحُ
فبتنا على الأنماطِ والبيضُ كالدمَى يضيءُ لنا لباتهنَّ المصابحُ
إذا فاطنتنا في الحديثِ تهزهزتْ إلينا قلوبٌ دونهنَّ الجوانحُ
وظلَّ الغيورُ آنفاً ببنانِهِ كما عضَّ برذونٌ على الفأسِ جامحُ
كئيباً يردُّ اللهْفَتَيْنِ لأمِّهِ وقدْ مسهُ منّا ومنهُ نواطِحُ
فلما تفرقنا شجينَ بعبرةٍ وزودننا نصباً وهنَّ صحائحُ
فرفعَ أصحابي المطيَّ وأبنُوا هنيدةَ فاشتاقَ العيونُ اللوامحُ
فويلُ أمها من خلةٍ لوْ تنكرَتْ لأعدائنا أو صالحتْ من نصالحُ
وصبهاءَ من حانوتِ رمانَ قدْ غدا عليَّ ولمْ ينظرْ بها الشرقَ صابحُ
فساقيتُها سمحاً كأنَّ نديمهُ أخا الدهرِ إذْ بعضُ المساقينَ فاضحُ

فقصرَ عني اليومَ كأسٌ رويةٌ ورخصُ الشواءِ والقيانُ الصوادِحُ

إذا نحنُ أنزفنا الخوابيَ علنا مع الليلِ ملثومٌ بهِ القارُ ناتحُ

لدنْ غدوةً حتى نروحَ عشيةً نحيا وأيدينا بأيدٍ نصافحُ

إذا ما برزنا للفضاءِ تقحمتْ بأقدامنا منا المتانُ الصرادِحُ

وداويةٍ غبراءَ أكثرُ أهلها عريفٌ وهامٌ آخرَ الصبحِ ضابحُ

أقرَّ بها جأشي بأوَّلِ آيةٍ وماضٍ حسامٌ غمدُهُ متطايحُ

يمانٍ كلونِ الملحِ يرعدُ متنهُ إذا هزَّ مطبوعٌ على السَّمِّ جارحُ

يزيلُ بناتِ الهامِ عنْ سكناتها وما يلقَهُ من ساعدٍ فهو طائحُ

كأنَّ بقايا الأُثْرِ فوقَ عمودهِ مدَبُّ الدبا فوقَ النقا وهو سارحُ

وطخياءَ منْ ليلِ التمامِ مريضةٍ أجنَّ العماءُ نجمها فهو ماصحُ

تسفتها لما تلاومَ صحبتي بمشتبهِ الموماةِ والماءُ نازحُ

وعدٍّ خلا فاخضرَّ واصفرَّ ماؤُهُ لكدرِ القطا وردٌ بهِ متطاوِحُ

نشحتُ بها عنساً تجافى أظلُّها عنِ الأُكْمِ إلاَّ ما وقتْهُ السرائحُ

فسافَتْ جباً فيه ذنوبٌ هراقهُ على قلصٍ من ضربِ أرْحَبَ ناشِحُ

تريكٍ ينشُّ الماءُ في حجراتهِ كما نشَّ جزرٌ خضخضتهُ المجادحُ

وقال الراعيُّ يمدح عبد الله بن يزيد بن معاوية: البسيط

طافَ الخيالُ بأصحابي وقدْ هجدوا من أمِّ علوانَ لا نحوٌ ولا صَدَدُ

فأرقتْ فتيةً باتوا على عجلٍ وأعيناً مسها الإدلاجُ والسهدُ

هل تبلغني عبد اللهِ دوسرةٌ وجناءُ فيها عتيقُ النيِّ ملتبدُ

عنسٌ مذكرةٌ قد شقَّ بازلُها لأياً تلاقى على حيزومها العقدُ

كأنَّها يومَ خمسِ القومِ عنْ جلبٍ ونحنُ والآلُ بالموماةِ نطردُ

قرمٌ تعاداهُ عادٍ عنْ طروقتهِ منَ الهجانِ على خرطومهِ الزبدُ

أو ناشطٌ أسفَعُ الخديْنِ الجأهُ نفحُ الشمالِ فأمسَى دونهُ العقدُ

باتَ إلى دفءِ أرْطاةٍ أضرَّ بها حرُّ النقا وزهاها منبتٌ جردُ

ما زالَ يركَبُ روقيْهِ وجبهتهُ   حتى استباثَ سفاةً دونها الثأدُ

حتى إذا نطق العصفورُ وانكشفتْ   عمايةُ الليلِ عنهُ وهو معتمدُ

غدا ومنْ عالجٍ خدٌّ يعارضهُ   عن الشمالِ وعنْ شرقيهِ كبدُ

يعلو عهاداً من الوسمي زينهُ   ألوانُ ذي صبحٍ مكاءهُ غردُ

بكلِّ ميثاءَ ممراحٍ بمنبتِها   من الذراعيْنِ رجافٌ لهُ نضدُ

ظلتْ تصفقُهُ ريحٌ تدرُّ لها   ذاتُ العثانينِ لا راحٌ ولا بردُ

أصبحَ يجتابُ أعرافَ الضبابِ بهِ   مجتازَ أرضٍ لأخرَى فاردٌ وحدُ

يهوي كضوءِ شهابٍ خبَّ قابسُهُ   ليلاً يبادِرُ منهُ جذوةً تقدُ

حتى إذا هبطَ الأحزانَ وانقطعتْ   عنهُ سلاسلُ رملٍ بينها عقدُ

صادفَ أطلَسَ مشاءً بأكلبِهِ   إثرَ الأوابدِ ما ينمِي لهُ سبدُ

أشلى سلُوقيةً ظلتْ وباتَ بها   بوحشِ إصمتَ في أصلابِها أودُ

يدبُّ مستخفياً يغشَى الضراءَ بِها   حتى استقامتْ وأعراها لهُ الجرَدُ

فجالَ إذْ رعنهُ ينأى بجانبهِ   وفي سوالِفها من مثلِهِ قددُ

ثمَّ ارفأنَّ حفاظاً بعدَ نفرتهِ   فكرَّ مستكبرٌ ذو حربةٍ حردُ

فذادَها وهيَ محمرٌّ نواجذُها   كما يذودُ أخو العميةِ النجدُ

حتى إذا عردَتْ عنهُ سوابقُها   وعانقَ الموتَ منها سبعةٌ عددُ

منها صريعٌ وضاغٍ فوقَ حربتهِ   كما ضغا تحتَ حدِّ العاملِ الصردُ

ولَّى يشقُّ جمادَ الفردِ مطلعاً   بذي النعاجِ وأعلى روقهِ جسدُ

حتى أجنَّ سوادُ الليلِ نقبَتَهُ   حيثُ التقى السهلُ من فيحانَ والجلدُ

راحتْ كما راحَ أو تغدُو كغدوتهِ   عنسٌ تجودُ عليها راكبٌ أفدُ

تنتابُ آلَ أبي سفيانَ واثقةً   بفضلِ أبلَجَ منجازٍ لما يعدُ

مسألٌ يبتغي الأقوامُ نائلَهُ   منْ كلِّ قومٍ قطينٌ حولَهُ وفدُ

جاءَتْ لعادةِ فضلٍ كانَ عوَّدَها   منْ في يديهِ بإذْنِ اللهِ منتقدُ

وقال يمدح سعيد بن عبد الرحمن بن عتاب: الكامل

طالَ العشاءُ ونحنُ بالهضبِ وأرقتُ ليلةَ عادَني خطبي

حملتهُ وقتودَ ميسٍ فاترٍ سرحِ اليدينِ وشيكةِ الوثبِ

لمْ يبقِ نصِّي منْ عريكتها شرفاً يجنُّ سناسنَ الصلبِ

ومعاشرٍ ودُّوا لوَ أنَّ دمي يسقونهُ من غيرِ ما سغبِ

ألصقتُ صحبي من هواكِ بهمْ وقوبلنا تنزو من الرهبِ

متختمينَ على معارفنا نثني لهنَّ حواشيَ العصبِ

وعلى الشمائلِ أنْ يهاجَ بنا جربانُ كلِّ مهندٍ عضبِ

وترى المخافةَ من مساكنِهمْ بجنوبنا كجوانبِ النكبِ

ولقدْ مطوتُ إليكَ من بلَدٍ نائي المحلِّ بأيْنُقٍ حدْبِ

متواتراتٍ بالأكامِ إذا جلفَ العزازَ جوالبُ النكبِ

وكأنَّهُنَّ قطاً يصفقُهُ خرقُ الرياحِ بنفنفٍ رحبِ

قطريةٌ وخلالَها مهريةٌ منْ عندِ ذاتِ سوالفٍ غُلْبِ

خوصٌ نواهزُ بالسُّدوسِ إذا ضمَّ الحداةَ جوانبُ الركبِ

حتى أنخنَ إلى ابنِ أكرمهمْ حسباً وهنَّ كمنجزِ النحبِ

فوضعنَ أزِفَلَةً وردنَ بها بحراً خسيفاً طيبَ الشربِ

وإذا تغولَت البلادُ بنا منيتهُ وفعالهَ صحبي

أسعيدُ إنكَ في قريشٍ كلها شرفُ السنامِ وموضعُ القلبِ

وقال الراعي أيضاً: الطويل

تبصرْ خليلِي هلْ ترى من ظعائنٍ تحملنَ من وادي العناقِ وثهمدِ

تحملنَ حتى قلتُ لسنَ بوارحاً ولا تاركاتِ الدارَ حتى ضُحى الغدِ

يطفنَ ضحياً والجمالُ مناخةٌ بكلِّ منيفٍ كالحصانِ المقيدِ

تخيرنَ من أثلِ الوريعةِ وانتحَى لها القينُ يعقوبٌ بفأسٍ ومبردِ

لهُ زئبرٌ جوفٌ كأنَّ خدودها خدودُ جيادٍ أشرفَتْ فوقَ مربدِ

كأنَّ مناطَ الودعِ حيثُ عقدنَهُ ... لبانُ دخيليٍّ أسيلِ المقلدِ

أطفنَ بهِ حتى استوى وكأنَّها ... هجائنُ أدمٌ حولَ أعيسَ ملبدِ

فلما تركنَ الدارَ رُحنَ بيانعٍ ... من النخلِ لا جحنٍ ولا متبددِ

فقلتُ لأصحابي همُ الحيُّ فالحقوا ... بحوراءَ في أترابِها بنتُ معبدِ

فما ألحقتنا العيسُ حتى وجدتني ... أسفتُ على حاديهِمُ المتجردِ

وقد أرختِ الضبعينِ حرفٌ شملَّةٌ ... بسيرٍ كفانا منْ بريدٍ مخودِ

فلما تداركنا نبذنا تحيةً ... ودافعَ أدنانا العوارضَ باليدِ

صددنا صدوداً غيرَ هجرانِ بغضةٍ ... وأذنينَ أبراداً على كلِّ مجسدِ

ينازعننا رخصَ البنانِ كأنَّما ... ينازعننا هدابَ ريطٍ معضدِ

وأقصَدَ منا كلَّ منْ كان صاحياً ... صحيحَ الفؤادِ واشتفى كلُّ مقصدِ

فلمّا قضينا ملْ أحاديثِ سلوةً ... وخفنا عيونَ الكاشحِ المتفقدِ

رفعنا الجمالَ ثمَّ قلنا لقينةٍ ... صدوحِ الغناءِ من قطينٍ مولدِ

لكِ الويلُ غنينا بهندٍ قصيدةً ... وقولي لمنْ لا يبتغي اللهوَ يبعدِ

وقال الراعي في ابن عم له اسمه معية، ويصف فيها الإبلَ: الكامل

صدقتْ معيةَ نفسهُ فترحلا ... ورأى اليقينَ ولمْ يجدْ متعللا

وقضى لبانتهُ معيةُ منكمُ ... ورأى عزيمةَ أمرهِ أن يفعلا

ورأى أبا حسانَ دونَ عطائِهِ ... فتبينتهُ العينُ أسمرَ مقفلا

فشرى حريبتهُ بكلِّ طوالةٍ ... دهماءَ سابغةٍ توفي المكيلا

وغدا من الأرضِ التي لم يرضها ... واختارَ ورثاناً عليها منزلا

فطوى الجبالَ على رحالةِ بازلٍ ... لا يشتكي أبداً بخفٍّ جندلا

تغتالُ كلَّ تنوفةٍ عرضتْ لها ... بتقاذفٍ يدعُ الجديلَ موصلا

بجنوبِ لينةَ ما تزالُ براكبٍ ... تذري مناسمُها بهنَّ الحنظلا

تدعُ الفراخَ الزُّغبَ في آثارِها ... منْ بينِ مكسورِ الجناحِ وأقزلا

نحّ الحناجرِ ما يكادُ يقيمُها تدعُ القعودَ من التصرفِ أجزلا
آلى إذا بلغتْ مدافعَ تلعَةٍ وعلا ليبلغها المكانَ الأطولا
وكأنهُنَّ أشاءُ يثربَ حولها جرفٌ أضرَّ بهنَّ نهيٌ بهلا
وكأنَّ جزيةَ تاجرٍ وهبتْ لهُ يوماً إذا استقبلنَ غيثاً مبقلا
وترى أوابيها بكلِّ قرارةٍ يكرفنَ شقشقَةً وناباً أعصلا
وإذا سمعنَ هديرَ أكلفَ محنقٍ عدلتْ سوالفُها إذا ما جلجلا
فالعبدُ قدْ أعنتنَ أسفلَ ساقهِ وعدلْنَ ركبتهُ سواها معدلا
فتركنهُ حلقَ الأديمِ مكسراً كالمسحِ ألقيَ ما يحركُ مفصلا
دسمَ الثيابِ كأنَّ فروةَ رأسهِ زرعتْ فأنبتَ جانباها الفلفلا
لا يسمعُ الحبشيُّ وسطَ عراكِها صوتاً إذا ما العبد أورد منهلا
إلا تجاوبهنَّ حولَ سوادِهِ بحناجرٍ نحٍّ وشدقٍ أهدلا
ولقدْ تَرى الحبشيَّ وهو يصكُّها أشراً إذا ما نالَ يوماً مأكلا
يرمدُّ منْ حذرِ الخلاطِ كما ازدهتْ ريحٌ يمانيةٌ ظليماً مجفلا
لا خيرَ في طولِ الإقامةِ للفتى إلاَّ إذا ما لمْ يجدْ متحولا

وقال يهجو الأخطل: الطويل

ألاَ يا اسلمي حييتِ أختَ بني بكرِ تحيةَ من صلَّى فؤادَكِ بالجمرِ
بآيةِ ما لاقيتِ منْ كلِّ حسرةٍ وما قدْ أذقناكِ الهوانَ على صغرِ
فكائنْ رأيتِ منْ حميمٍ تجرهُ صدورُ العوالي والجيادُ بنا تجري
وما ذكرهُ بكريةً جشميةً بدارِ ذوي الأوتارِ والأعينِ الخزرِ
فلنْ تشربي إلاَّ برنقٍ ولنْ تري سواماً وحياً بالقصيبةِ فالبشرِ
أبا مالكٍ لا تنطقِ الشعرَ بعدها وأعطِ القيادَ القائدينَ على كسرِ
فلنْ ينشرَ الموتَى ولنْ يذهبَ الجزا هويُّ القوافي بينَ أنيابكَ الخضرِ
ولو كنتَ في الحامينَ أحسابَ وائلٍ غداةَ الطعانِ لاجتررتَ إلى القيرِ
ولولا الفرارُ كلَّ يومِ وقيعةٍ لنالتكَ زرقٌ من مطاردنا الحمرِ

وما حاربتنا من معدٍّ قبيلةٌ فنتركها حتى تقرُّوا على وترِ

وكنتَ ككلبٍ قتلَ الجيشُ رهطهُ فأصبحَ يعوي في ديارهِمِ الغبرِ

بملحمةٍ لا يستقرُّ غرابها دفيفاً ويمسِي الذئبُ فيها معَ النسرِ

ونحنُ تركنا تغلبَ ابنةَ وائلٍ كمنكسرِ الأنيابِ منقطِعِ الظهرِ

وكانوا كذي كفينِ أصبحَ راضياً بواحدةٍ شلاءَ من قصَبٍ عشرِ

ألمْ يأتِ عمراً والمفاوزُ دونهُ مصارعُ ساداتِ الأراقطِ والنمرِ

تدورُ رحانا كلَّ يومٍ عليهمِ بواقدِ حربٍ لا عوانٍ ولا بكرِ

الأخطل

وقال الأخطل، واسمه غياث بن غوث بن الصلتِ بن طارق بن عمرو بن سيحان بن الفدوكس بن عمرو بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب بن وائلٍ يمدح خالد بن عبد الله الأموي، وكان الأخطل نصرانياً: الطويل

عفا واسطٌ من آلِ رضوى فنبتلُ فمجتمعُ الحرينِ فالصبرُ أجملُ

فرابيةُ السكرانِ قفرٌ فما بها لهمْ شبحٌ إلاَّ سلامٌ وحرملُ

صحا القلبُ إلا منْ ظعائنَ فاتني بهنَّ ابنُ خلاسٍ طفيلٌ وعزهلُ

كأني غداةَ انصعْنَ للبينِ مسلمٌ بضربةِ عنقٍ أو غويٌّ معذلُ

صريعُ مدامٍ يرفَعُ الشربُ رأسهُ ليحيا وقدْ ماتتْ عظامٌ ومفصلُ

تهاداهُ أحياناً وحيناً تجرهُ فما كادَ إلاَّ بالحشاشةِ يعقلُ

إذا رفعوا عظماً تحاملَ صدْرُهُ وآخرُ مما نالَ منهُ مخبلُ

شربتُ ولا قانِي لحلِّ أليتِي قطارٌ تروَّى من فلسطينَ مثقلُ

عليهِ من المعزَى مسوكٌ رويَّةٌ مملاءةٌ يُعلَى بها ويعدلُ

فقلتُ اصبحونِي لا أباً لأبيكمُ وما وضعوا الأثقالَ إلاَّ ليفعلوا

أناخوا فجروا شاصياتٍ كأنَّها رجالٌ من السُّودانِ لمْ يتسربلوا

وجاؤوا ببيسانيةٍ هيَ بعدما يعلُّ بها الساقيْ ألذُّ وأسهلُ

تمرُّ بها الأيْدِي سنياً وبارِحاً	وتوضعُ باللهمَّ حيٍّ وتحملُ
وتوقفُ أحياناً فيفصلُ بيننا	غناءُ مغنٍّ أو شواءٌ مرعبلُ
فلذتْ لمرتاحٍ وطابتْ لشاربٍ	وراجعنِي منها مراحٌ وأخيلُ
فلما لبثتنا نشوةٌ لحقتْ بنا	توابعُها مما تعلُّ وتنهلُ
تدبُّ دبيباً في العظامِ كأنهُ	دبيبُ نمالٍ في نقاً يتهيلُ
فقلتُ اقتلوها عنكمُ بمزاجها	فأطيبْ بها مقتولةً حينَ تقتلُ
ربتْ ورَبا في حجرِها ابنُ مدينةٍ	يظلُّ على مسحاتِه يتركلُ
إذا خافَ من نجمٍ عليها ظماءةً	أدبَّ إليها جدولاً يتسلسلُ
أعاذلَ إنْ لمْ تقصرِي عن ملامتِي	أدعكِ وأعمدْ للتِي هي أجملُ
ويهجركِ الهجرَ الجميل وينتحِي	لنا من ليالينا العوارمِ أولُ
فلما انجلتْ عني صبابةُ عاشقٍ	بدا لِيَ منْ حاجاتِيَ المتأملُ
إلى هاجسٍ منْ آلِ ظمياءَ والتي	أتَى دونها بابٌ بصرينَ مقفلُ
وبيداءَ ممحالٍ كأنَّ نعامَها	بأرجائِها القصوَى أباعرُ هملُ
ترى لامعاتِ الآلِ فيها كأنَّها	رجالٌ تعرَّى تارةً وتسربلُ
وجوزِ فلاةٍ ما يغمضُ ركبُها	ولا عينُ هاديها من الخوفِ تغفلُ
بكلِّ بعيدِ الغولِ لا يهتدَى لهُ	بعرفانِ أعلامٍ وما فيهِ منهلُ
ملاعبُ جنانٍ كأنَّ ترابها	إذا اطردَتْ فيهِ الرياحُ مغربلُ
أجزتُ إذا الحرباءُ أوفَى كأنهُ	مصلٍّ يمانٍ أو أسيرٌ مكبلُ
إلى ابنِ أسيدٍ خالدٍ أرقلتْ بنا	مسانيفُ تعروري فلاةً تغولُ
ترى الثعلبَ الحوليَّ فيها كأنهُ	إذا ما علا نشزاً حصانٌ مجللُ
ترى العرمِسَ الوجناءَ يضربُ حاذَها	ضئيلٌ كفروجِ الدَّجاجةِ معجلُ
يشقُّ سماحيقَ السلا عنْ جنينها	أخو قفرةٍ بادِي السغابةِ أطحلُ
فما زالَ عنها السيرُ حتى تواضعتْ	عرائكها مما تحلُّ وترحلُ
وتكليفناها كلَّ نازحةِ الصوى	شطونٍ ترى حرباءها يتململُ

وقد ضمرتْ حتى كأنَّ عيونها بقايا قلاتٍ أوْ ركِيٌّ ممكلُ
وماتَ بقاياها إلى كلِّ حرةٍ لها بعدَ إسآدٍ مراحٌ وأفكلُ
وقعنَ وقوعَ الطيرِ فيها وما بها سوى جرةٍ يرجعنَها متعللُ
وإلا مبالٌ آجنٌ في مناخِها ومضطمراتٌ كالفلافِلِ ذبَّلُ
حواملَ حاجاتٍ ثقالٍ تجرها إلى حسن النعمَى سواهمُ نسلُ
إلى خالِدٍ حتى أنخنَ بخالدٍ فنعمَ الفتى يرجَى ونعمَ المؤملُ
أخالدُ مأواكمْ لمنْ حلَّ واسعٌ وكفاكَ غيثٌ للصعاليك مرسلُ
هو القائدُ الميمونُ والمبتغَى بهِ ثباتُ رحاً كانتْ قديماً تزلزلُ
أبَى عودُكَ المعجومُ إلاَّ صلابةً وكفاكَ إلاَّ نائلاً حينَ تسألُ
ألا أيُّها الساعي ليدرِكَ خالداً تناهَ وأقصرْ بعضَ ما كنتَ تفعلُ
وهلْ أنتَ إنْ مدَّ المدَى لكَ خالدٌ موازٍ لهُ أو حاملٌ ما تحمَّلُ
أبى لكَ أن تسطيعهُ أو تنالهُ حديثٌ شآكَ القومُ فيه وأوَّلُ
أميَّةُ والعاصِي وإنْ يدعُ خالدٌ يجبهُ هشامٌ للفعالِ ونوفلُ
أولئكَ عينُ الماءِ فيهمْ وعندهمْ من الخيفةِ المنجاةُ والمتحولُ
سقى اللهُ أرضاً خالدٌ خيرُ أهلها بمستفرغٍ باتتْ عزاليهِ تسحلُ

إذا طعنتْ ريحُ الصبا في فروجهِ تحلبَ ريانُ الأسافلِ أنجلُ
إذا زعزعتهُ الريحُ جرَّ ذيولَهُ كما رجفتْ عوذٌ ثقالٌ مطفلُ
ملحٌّ كأنَّ البرقَ في حجراتهِ مصابيحُ أو أقرابُ بلقٍ تحفلُ
فلمّا انتحى نحوَ اليمامَةِ قاصِداً دعتهُ الجنوبُ فانثنى يتخزَّلُ
سقى لعلعاً والقرنتينِ فلمْ يكدْ بأثقالهِ عن لعلَعٍ يتحملُ
وغادَرَ أكْمَ الحزنِ تطفو كأنها بما أجملَتْ منهُ دواجنُ قفلُ
وبالمعرَسانِيّاتِ حلَّ وأرزمَتْ بروضِ القطا منهُ مطافيل حفلُ
لقد أوقعَ الجحافُ بالبشرِ وقعةً إلى اللهِ منها المشتكَى والمعولُ

فسائلْ بنِي مروانَ ما بالُ ذمةٍ وحبلٍ ضعيفٍ لا يزالُ يوصَّلُ
بنزوةِ لصٍ بعدَما مرَّ مصعبٌ بأشعثَ لا يفلَى ولا هوَ يغسلُ
أتاكَ بهِ الجحافُ ثمَّ أمرتَهُ بجيرانكم عندَ البيوتِ تقتلُ
لقدْ كانَ للجيرانِ ما لوْ دعوتُمُ بها عاقلَ الأروَى أتتكمْ تنزَّلُ
فإلاَّ تغيرْها قريشٌ بملكها يكنْ عن قريشٍ مستمازٌ ومزحلُ
ونعررْ أناساً عرةً يكرهونها ونحيا كراماً أو نموتَ فنقتلُ
وإنْ يحملوا عنهمْ فما منْ حمالةٍ وإنْ ثقلتْ إلاَّ دمُ القومِ أثقلُ
وإنْ يعرضوا فيها لكَ الحقَّ لا يكنْ عنِ الحقِّ عما ناءَ بالحقِّ نسألُ
وقد ننزلُ الثغرَ المخوفَ ويتقَى بنا البأسُ واليومُ الأغرُّ المحجلُ

وقال الأخطل يهجو جريراً: الكامل

كذبتكَ عينكَ أمْ رأيتَ بواسطٍ غسلَ الظلامِ من الربابِ خيالا
وتعرضتْ لكَ بالأبالخ بعدما قطعتْ بأبرقَ خلةً ووصالا
وتغولَتْ لتردَّعنّا خفيةً والغانياتُ يرينكَ الأهوالا
يمدُدْنَ من هفواتِهنَّ إلى الصبا سبباً يصدنَ به الرجالَ طوالا
ما إنْ رأيتُ كمكرهنَّ إذا جرى فينا ولا كحبالهنَّ حبالا
المهدياتِ لمنْ هوينَ مسبةً والمحسناتِ لمنْ قلينَ مقالا
يرعينَ عهدكَ ما رأينكَ شاهداً وإذا مذلْتَ يصرنَ عنكَ مذالا
وإذا وعدْنَكَ نائلاً أخلفنهُ ووجدتَ عندَ عداتهنَّ مطالا
وإذا وزنتَ حلومهنَّ مع الصبا رجح الصبا بحلومِهنَّ فمالا
وإذا دعونكَ عمهنَّ فإنهُ نسبٌ يزيدُكَ عندهنَّ خبالا
أهيَ الصريمةُ منكِ أمَّ محلمٍ أمْ ذا الدلالُ فطالَ ذاكَ دلالا
ولقدْ علمتِ إذا العشارُ تروحتْ هدجَ الرئالِ تكبهنَّ شمالا
ترمِي العضاهَ بحاصبٍ من ثلجها حتى يبيتَ على العضاهِ جفالا
أنا نعجلُ بالعبيطِ لضيفنا قبلَ العيالِ ونقتلُ الأبطالا

أبنِيْ كلَيبٍ إنَّ عميَّ اللذا خلعا الملوكَ وفككا الأغلالا

وأخوهما السفاحُ ظمأ خيلَهُ حتى وردنَ جبا الكلابِ نهالا

يخرجنَ من ثغرِ الكلابِ عليهمِ خببَ السباعِ تبادرُ الأوشالا

من كلِّ مجتنبٍ شديدٍ أسرُهُ سلسِ القيادِ تخالهُ مختالا

وممرةٍ أثرُ السلاحِ بنحرها وكأنَّ فوقَ لبانها جريالا

قبَّ البطونِ قد انطوينَ من السرى وطرادهنَّ إذا لقينَ قتالا

ملحَ المتونِ كأنما ألبستها بالماءِ إذْ يبسَ النضيحُ جلالا

ولقلَّ ما يصبحنَ إلا شزباً يركبنَ من عرضِ الحوادثِ آلا

فطحنَّ حائرةَ الملوكِ بكلكلٍ حتى احتذينَ من الدماءِ نعالا

وأبرنَ قومكَ يا جريرُ وغيرهمْ وأبرنَ من حلقِ الربابِ حلالا

ولقدْ دخلنَ على شقيقٍ بيتهُ ولقد رأينَ بساقِ نضرةَ خالا

وبنو غدانةَ شاخصٌ أبصارهمْ يسعونَ تحتَ بطونهنَّ رجالا

ينقلنهمْ نقلَ الكلابِ جراءها حتى وردنَ عراعراً وأثالا

خزرَ العيونِ إلى رياحٍ بعدما جعلتْ لضبةَ بالرماحِ ظلالا

ولما تركنَ من الغواضرِ معصراً إلاَّ فصمنَ بساقِها خلخالا

ولقدْ سما لكُم الهذيلُ فنالَكُمْ بإرابَ حيثُ تقسمَ الأنفالا

في فيلقٍ يدعو الأراقمَ لمْ يكنْ فتيانهُ عزلاً ولا أكفالا

بالخيلِ سامةَ الوجوهِ كأنما خالطنَ من عملِ الوجيفِ سلالا

ولقد عطفنَ على فزارةَ عطفةً كرَّ المنيحِ وجلنَ ثمَّ مجالا

فسقينَ من عاديْنَ كاساً مرةً وأوانَ جدُّ ابن الحُبابِ فزالا

يغشينَ جيفةَ كاهلٍ عرنينها وابنُ المهزَّمِ قدْ تركنَ مذالا

فقتلنَ من حملَ السلاحَ وغيرهمْ وتركنَ فلهمُ عليكَ عيالا

ولقدْ بكى الجحافُ مما أوقعتْ بالشرعبيةِ إذْ رأى الأطفالا

وإذا سما للمجدِ فرعا وائلٍ واستجمعَ الوادي عليكَ فسالا
كنتَ القذَى في موج أكدرَ مزبدٍ قذفَ الأتيُّ بهِ فضلَّ ضلالا
ولقدْ وطئنَ على المشاعرِ منْ منًى حتى قذفنَ على الجبالِ جبالا
ولقدْ جشمتَ جريرُ أمراً عاجزاً وأريتَ عورةَ أمكَ الجهالا
فانعقْ بضأنِكَ يا جريرُ فإنما منتكَ نفسكَ في الخلاءِ ضلالا
منتكَ نفسكَ أن تكونَ كدارمٍ أوْ أنْ توازنَ حاجباً وعقالا
وإذا وضعتَ أباكَ في ميزانِهمْ قفزَتْ حديدتُهُ إليكَ فشالا
إنَّ العرارةَ والنبوحَ لدارمٍ والمستخفُّ أخوهمُ الأثقالا
المانعينَ الماءَ حتى يشربوا عفواتهِ ويقسموهُ سجالا
وابنُ المراغةِ حابسٌ أعيارَهُ مرمى البعيدةِ لا يذوقُ بلالا

وقال الأخطل يمدح عكرمة بن ربعي التيمي من بني تيم الله بن ثعلبة، وكان على شرطة بشر بن مروان بالكوفة، ويهجو جريراً: الكامل

لمنِ الديارُ بحائلٍ فوعالِ درستْ وغيرها سنونَ خوالِ
درجَ البوارحُ فوقها فتنكرتْ بعدَ الأنيسِ معارفُ الأطلالِ
فكأنما هيَ من تقادمِ عهدها ورقٌ نشرنَ من الكتابِ بوالِ
باتتْ يمانيةُ الرياحُ تقودهُ حتى استقادَ لها بغيرِ حبالِ
دمنٌ تذعذعُها الرياحُ وتارةً تسقَى بمرتجزِ السحابِ ثقالِ
في مظلمٍ غدقِ الربابِ كأنما يسقي الأشقَّ وعالجاً بدوالي
وعلى زبالةَ باتَ منهُ كلكلٌ وعلى الكثيبِ وقلةِ الأدحالِ
وعلى البسيطةِ فالشقيقِ فريقٍ فالضوجِ بينَ رويةٍ فطحالِ
دارٌ تبدلتِ النعامُ بأهلِها وصوارَ كلِّ ملمعٍ ذيالِ
أدمٌ مخدمةُ السوادِ كأنها خيلٌ هواملُ بتنَ في الأجلالِ
ترعى بحازِجُها خلالَ رياضِها وتميسُ بينَ سباسبٍ ورمالِ
ولقد تكونُ بها الربابُ لذيذةً بفمِ الضجيعِ ثقيلةَ الأوصالِ

يجري ذكيُّ المسكِ في أردانها وتصيدُ بعدَ تقتلٍ ودلالِ
قلبَ الغويّ إذا تنبهَ بعدما تعتلُّ كلَّ مذالةٍ متفالِ
عشنا بذلكَ حقبةً من عيشنا وثرًى من الشهواتِ والأموالِ
ولقد أكونُ لهنَّ صاحبَ لذةٍ حتى تغيرَ حالهنَّ وحالي
فتنكرَتْ لما علتني كبرَةٌ عندَ المشيبِ وآذنتْ بزيالِ
لما رأتْ بدلَ الشبابِ بكتْ لهُ والشيبُ ارذلُ هذه الأبدالِ
والناسُ همهمُ الحياةُ وما أرَى طولَ الحياةِ يزيدُ غيرَ خبالِ
وإذا افتقرتَ إلى الذخائرِ لمْ تجدْ ذخراً يكونُ كصالحِ الأعمالِ
ولئن نجوتُ من الحوادثِ سالماً والنفسُ مشرفةٌ على الآجالِ
لأغلغلنَّ إلى كريمٍ مدحةً ولأثنينَّ بنائلٍ وفعالِ
إنَّ ابنَ ربعيٍّ كفانيْ سيبُهُ ضغنَ العدوِّ ونبوةَ المختالِ
أغليتَ حينَ تواكلتني وائلٌ إنَّ المكارمَ عندَ ذاك غوالِ
ولقدْ شفيتَ غليلَتِيْ من معشرٍ نزلوا بعقوةِ حيةٍ قتالِ
بعدتْ قعورُ دلائهم فرأيتهمْ عندَ الحمالةِ مغلقي الأقفالِ
ولقدْ مننتَ على ربيعةَ كُلِّها وكفيتَ كلَّ مواكلٍ خذالِ
كزمِ اليدينِ عن العطيةِ ممسكٍ ليستْ تبضُّ صفاتُهُ ببلالِ
مثلِ ابنِ بزعةَ أو كآخر مثله أولى لكَ ابنَ مسيمةِ الأجمالِ
إنَّ اللئيمَ إذا سألتَ بهرتهُ وترى الكريمَ يراحُ كالمختالِ

وإذا عدلتَ بهِ رجالاً لمْ تجدْ فيضَ الفراتِ كراشِحِ الأوشالِ
وإذا تبوعَ للحمالَةِ لمْ يكنْ عنها بمنبهرٍ ولا سعالِ
وإذا أتى بابَ الأميرِ لحاجةٍ سمتِ العيونُ إلى أغرَّ طوالِ
ضخمٌ سرادقُهُ يعارضُ سيبهُ نفحاتِ كلِّ صباً وكلِّ شمالِ
وإذا الملوكُ تؤوكلتْ أعناقها فالحملُ هناكَ على فتًى حمالِ

ليستْ عطيتهُ إذا ما جئتهُ ... نزراً وليسَ سجالهُ كسجالِ
فهو الجوادُ لمنْ تعرضَ سيبهُ ... وابنُ الجوادِ وحاملُ الأثقالِ
ومسومٍ خرقُ الحتوفِ يقودهُ ... للطعنِ يومَ كريهةٍ وقتالِ
أقصدتَ رائدها بعاملِ صعدةٍ ... ونزلتَ عندَ تواكلِ الأبطالِ
والخيلُ عابسةٌ كأنَّ فروجها ... نحورها ينضحنَ بالجريالِ
والقومُ تختلفُ الأسنةُ بينهمْ ... يكبونَ بينَ سوافلٍ وعوالِي
ولقد تزيلُ الخيلَ عن أهوائها ... وتفلُّ حدَّ رجالها برجالِ
وموقعٍ أثَرَ السفارِ بخطمهِ ... من سودِ عقةَ أو بَنِي الجوالِ
تمرِي الجلاجلُ منكباهُ كأنهُ ... قرقورُ أعجمَ من تجارِ أوالِ
بكرتْ عليَّ بهِ التجارُ وفوقَهُ ... أرواحُ طيبةِ الرياحِ حلالِ
فوضعتُ غيرَ غبيطهِ أثقالَهُ ... بسباءِ لا حصرٍ ولا وغالِ
ولقد شربتُ الخمرَ في حانوتها ... وشربتُها بأريضةٍ محلالِ
ولقدْ رهنتُ يدِي المنية معلماً ... وحملتُ عندَ تواكلِ الحمالِ
ولأجعلنَّ بني كليبٍ شهرةً ... بعوارمٍ ذهبتْ معَ القفالِ
كلُّ المكارمِ قدْ بلغتْ وأنتمُ ... زمعُ الكلابِ معانقو الأطفالِ
وكأنما نسيتْ كليبٌ عيرها ... بينَ الصريحِ وبينَ ذي العقالِ
يمشونَ حولَ مخدمٍ قدْ سحجتْ ... متنيهِ عدلُ حناتمٍ وسخالِ
وإذا أتيتَ بني كليبٍ لمْ تجدْ ... عدداً يهابُ ولا كثيرَ نوالِ
العادلينَ بدارمٍ يربوعهمْ ... جدعاً جريرُ لألأمِ الأعدالِ
وإذا أردْتَ جريُ فاحبسْ صاغراً ... إنَّ البُكورَ لحاجبٍ وعقالِ

وقال الأخطل يمدح مصقلة بن هبيرة الشيباني: البسيط

هل تعرفُ اليومَ من ماويةَ الطللا ... تحملتْ إنسهُ منهُ وما احتملا
ببطنِ خنيفَ منْ أمِّ الوليدِ وقدْ ... تامتْ فؤادكَ أو كانتْ له خبلا
جرتْ عليهِ رياحُ الصيفِ حاصبها ... حتى تغير بعدَ الأنسِ أو خملا

فما به غيرُ موشيٍّ أكارعهُ إذا أحسَّ بشخصٍ نابئٍ مثلا

يرعى بخينفَ أحياناً وتضمرهُ أرضٌ خلاءٌ وماءٌ سائلٌ غللا

شهريْ جمادى فلما كانَ في رجبٍ أتمتِ الأرضُ مما حملتْ حبلا

كأنَّ عطارَةً باتتْ تطيفُ بهِ حتى تسربلَ مثلَ الورسِ وانتعلا

من خضبِ نورِ خزامَى قدْ أطاعَ لهُ أصابَ بالفقرِ من وسميهِ خضلا

فهو يقرُّ بها عيناً لمرتعهِ والقلبُ مستشعرٌ من خيفةٍ وجلا

حتى إذا الليلُ كفَّ الطرفَ ألبسهُ غيثٌ إذا ما مرتهُ ريحهُ سحلا

داني الربابِ إذا ارتجتْ حوامِلُهُ بالماءِ سدَّ فروجَ الأرضِ واحتفلا

فباتَ مكتئباً للبرقِ يرقبهُ كليلةِ الوصبِ ما أغفى وما غفلا

فباتَ في حقفِ أرطاةٍ يلوذُ بها إذا أحسَّ بسيلٍ تحتهُ انتقلا

كأنه ساجدٌ من نضحِ ديمتهِ مسبحٌ قامَ بعضَ الليلِ فابتهلا

ينفي الترابَ بروقيهِ وكلكلهِ كما استمازَ رئيسُ المقنبِ النفلا

كأنما القطرُ مرجانٌ يساقطهُ إذا علا الروقَ والمتنين والكفلا

حتى إذا الشمسُ وافتهُ بمطلعها صبحهُ ضامرٌ غرثانُ قدْ نحلا

طاوٍ أزلُّ كسرحانِ الفلاةِ إذا لم يؤنس الوحشُ منهُ نبأةً ختلا

يشلِي سلوقيةً غضفاً إذا اندفعتْ خافتْ جديلةَ في الأثارِ أو ثعلا

مكلبينَ إذا اصطادوا كأنهم يسقونهمْ بدماءِ الأبدِ العسلا

فانصاعَ كالكوكبِ الدريِّ جردَهُ غيثٌ تقشَّعَ عنهُ طالَ ما هطلا

حتى إذا قلتُ نالتهُ سوابقُها كرَّ عليها وقدْ أمهلنهُ مهلا

فظلَّ يطعنها شزراً بمنعولهِ إذا أصابَ بروقٍ ضارياً قتلا

كأنهنَّ وقدْ سربلنَ منْ علقٍ يغشينَ موقدَ نارٍ تقذفُ الشعلا

إذا أتاهنَّ مكلومٌ عكفنَ بهِ عكفَ الفوارسِ هابوا الدارعَ البطلا

حتى تناهينَ عنهُ سامياً حرجاً وما هدى هدي مهزومٍ وما نكلا

وقد تبيتُ همومُ النفسِ تبعثني ... منها نوافذُ حتى أعملَ الجملا

إذْ لا تجهمني أرضُ العدوِّ ولا ... عسفُ البلادِ إذا حرباؤها جذلا

يظلُّ مرتبئاً للشمسِ تصهرُهُ ... إذا رأى الشمسَ مالتْ جانباً عدلا

كأنهُ حينَ يمتدُّ النهارُ لهُ ... إذا استقلَّ يمانٍ يقرأُ الطولا

وقد لبستُ لهذا الدهرِ أعصرَهُ ... حتى تجلل رأسي الشيبُ واشتعلا

من كلِّ مضلعةٍ لولا أخو ثقةٍ ... ما أصبحتْ أمماً عندِي ولا جللا

وقدْ أكونُ عميدَ الشربِ تسمعنا ... بحاءُ تسمعُ في ترجيعها صحلا

منَ القيانِ هتوفٌ طالَ ما ركدتْ ... لفتيةٍ يشتهونَ اللهوَ والغزَلا

فبانَ منيْ شبابيْ بعدَ لذته ... كأنما كانَ ضيفاً نازلاً رحلا

إذْ لا أطاوِعُ أمرَ العاذلاتِ ولا ... أبقِي على المالِ إنْ ذوْ حاجةٍ سألا

وكاشحٍ معرضٍ عني عدلتُ لهُ ... وقد أبينُ منهُ الضغنَ والملا

ولوْ أواجههُ مني بقارعةٍ ... ما كان كالذئبِ مغبوطاً بما أكلا

وموجعٍ كانَ ذا قربى فجعتُ بهِ ... يوماً وأصبحتُ أرجو بعدهُ الأملا

وبينما المرءُ مغبوطاً بعيشتهِ ... إذ خانهُ الدهرُ عما كانَ فانتقلا

ولا أرى الموتَ يأتي من يحمُّ لهُ ... إلا كفاهُ ولاقى عندهُ شغلا

دعِ المغمرَ لا تسألْ بمصرعهِ ... واسألْ بمصقلَةَ البكرِيِّ ما فعلا

بمتلفٍ ومفيدٍ لا يمنُّ ولا ... تهلكُهُ النفسُ فيما فاتهُ عذلا

جزلُ العطاءِ وأقوامٌ إذا سئلوا ... يعطونَ نزراً كما تستوكفُ الوشلا

وفارسٍ غيرِ وقافٍ برايتهِ ... يومَ الكريهةِ حتى يعملَ الأسلا

ضخمٍ تعلقُ أشناقُ الدياتِ بهِ ... إذا المئونَ أمرَّتْ فوقهُ حملا

ولو تكلفَها رخوٌ مفاصلُهُ ... أو شيقُ الباعِ عنْ أمثالها سعلا

ولوْ فككتَ عنِ الأسرَى وثاقَهُمُ ... وليسَ يرجونَ تلجاءً ولا دخلا

وقد تنقذتهمْ من قعرِ مظلمةٍ ... إذا الجبانُ رأى أمثالها زحلا

فهم فداؤكَ إذ يبكونَ كلهمُ ... ولا يرونَ لهمْ جاهاً ولا نفلا

ما في معدٍّ فتى تغنِي رباعتهُ إذا يهمُّ بأمرٍ صالحٍ فعلا

الواهبُ المائةَ الجرجورُ سائقُها تنزو يرابيعُ متنيهِ إذا انتقلا

إنَّ ريبعةَ لنْ تنفكَّ صالحةً ما أخرَ اللهُ عنْ حوبائكَ الأجلا

أغرّ لا تحسِبُ الدنيا مخلدةً ولا يقولُ لشيءٍ فاتَ ما فعلا

وقال الأخطل يمدح قريش، ويخص بها آل أبي سفيان بن حربٍ: البسيط

تغيرَ الرسمُ منْ سلمَى بأحفارِ وأقفرتْ منْ سليمَى دمنةُ الدارِ

وقدْ تكونُ بها سلْمَى تحدثني تساقطَ الحلْي حاجاتِي وأسرارِي

ثمَّ استمرَ بسلمَى نيةٌ قذفٌ وسيرُ منقضبِ الأقرانِ مغيارِ

كأنَّ قلبي غداةَ البينِ مقتسمٌ طارَتْ بهِ شعبٌ شتى لأمصارِ

وقدْ تلفُّ النوى منْ قدْ تشوفهُ إذا قضيتُ لباناتِي وأوطارِي

ظلتْ ظباءُ بني البكاءِ ترصدهُ حتى اقتنصنَ على بعدٍ وإضرارِ

ومهمهٍ طامسٍ تخشى غوائلُهُ قطعتهُ بكلوءِ العينِ مسهارِ

بحرةٍ كأتانِ الضحلِ أضمرها بعدَ الربالةِ ترحالِي وتسيارِي

أختُ الفلاةِ إذا شدتْ معاقدها زلتْ قوى النسعِ عنْ كبداءَ مسفارِ

كأنها برجُ روميٍّ يشيدُهُ أزرٌ يخصُّ بآجرٍّ وأحجارِ

أو مقفرٌ خاضبُ الأظلافِ قادَ لهُ غيثٌ تظاهَرَ في ميثاءَ مذكارِ

فباتَ في جنبِ أرطاةٍ تكفئُهُ ريحٌ شآميةٌ هبتْ بأمطارِ

يجولُ ليلتهُ والعينُ تضربهُ منها بغيثٍ أجشِّ الرعدِ نثارِ

إذا أرادَ بها التغميضَ أرقهُ سيلٌ يدبُّ بهدمِ التربِ موارِ

كأنهُ إذا أضاءَ البرقُ بهجتهُ في أصبهانيةٍ أو مصطلي نارِ

أما السراةُ فمنْ ديباجةٍ لهقٌ وبالقوائمِ مثلُ الوشي بالقارِ

حتى إذا انجابَ عنهُ الليلُ وانكشفتْ سماوةٌ عن أديمٍ مصحرٍ عارِ

آنسَ صوتَ قنيصٍ أو أحسَّ بهمْ كالجنِّ يهفونَ من جرمٍ وأنمارِ

فانصاعَ كالكوكبِ الدريّ ميعتهُ غضبانَ يخلطُ من معجٍ وإحضارِ
فأرسلوهنَّ يذرينَ الترابَ كما تذرِي سبائخَ قطنٍ ندفُ أوتارِ
حتى إذا قلتُ نالتهُ سوابقُها وأرهقتهُ بأنيابٍ وأظفارِ
أنحى إليهنَّ عيناً غيرَ غافلةٍ وطعنَ مختبرِ الأقرانِ كرارِ
فعفرَ الضارياتِ اللاحقاتِ به عفرَ الغريبِ قداحاً بينَ أيسارِ
يعذنَ منهُ بحزانِ المتانِ وقدْ فرقنَ منهُ بذِي وقعٍ وآثارِ
حتى شتا وهوَ مغبوطٌ بغائطهِ يرعى ذكوراً أطاعتْ بعدَ أحرارِ
فرداً يغنيهِ ذبانُ الرياضِ كما غنى الغواةُ بصنجٍ عندَ أسوارِ
كأنهُ من ندى القراصِ مغتسلٌ بالورسِ أو خارجٌ من بيتِ عطارِ
وشاربٍ مربحٍ بالكأسِ نادمني لا بالحصورِ ولا فيها بسواري
نازعتهُ طيبَ الراحِ الشمولِ وقدْ صاحَ الدجاجُ وحانتْ وقعةُ السارِي
من خمرِ عانةَ ينصاعُ الفراتُ لها في جدولٍ صخبِ الآذيِّ مرارِ
كمتْ ثلاثةَ أحوالٍ بطينتها حتى إذا صرحتْ من بعدِ تهدارِ
آلتْ إلى النصفِ من كلفاءَ أنزعها علجٌ ولثمها بالجفنِ والغارِ
ليستْ بسوداءَ من ميثاءَ مظلمةٍ ولمْ تعذبْ بأدناءٍ من النارِ
لها رداءانِ نسجُ العنكبوتِ وقدْ لفتْ بآخرَ من ليفٍ ومن قارِ
صهباءَ قدْ كلفتْ من طول ما حبستْ في مخدعٍ بينَ جناتٍ وأنهارِ
عذراءَ لمْ تجتلِ الخطابُ بهجتها حتى اجتلاها عباديٌّ بدينارِ
في بيتِ منخرقِ السربالِ معتملٍ ما إنْ عليهِ ثيابٌ غيرُ أطمارِ
إذا أقولُ تراضينا على ثمنٍ ضنتْ بها نفسُ خبِّ البيعِ مكارِ
كأنما العلجُ إذْ أوجبتُ صفقتها خليعُ خصلٍ نكيبٌ بينَ أيسارِ
لما أتوها بمصباحٍ ومبزلهمْ سارتْ إليهم سؤورَ الأجدلِ الضاري
تدمَى إذا طعنوا فيها بجائفةٍ فوقَ الزجاجِ عتيقٌ غيرُ مصطارِ
كأنما المسكُ نهبى بينَ أرجلنا مما تضوعَ من ناجودِها الجارِي

إني حلفتُ بربِّ الراقصاتِ وما أضحى بمكةَ من حجبٍ وأستارِ

وبالهديّ إذا احمرتْ مذارعُها في يومِ نسكٍ وتشريقٍ وتنحارِ

وما بزمزمَ من شمطٍ محلقةٍ وما بيثربَ من عونٍ وأبكارِ

لألجأتني قريشٌ خائفاً وجلاً ومولتني قريشٌ بعدَ إقتارِ

المنعمونَ بني حربٍ وقدْ حدقتْ بيَ المنيةُ واستبطأتُ أنصاري

بهمْ تكشفُ عن أحيائها ظلَمٌ حتى ترفعَ عن سمعٍ وأبصارِ

قومٌ إذا حاربوا شدُّوا مآزرهمْ دونَ النساءِ ولو باتتْ بأطهارِ

وقال الأخطل يمدح بشر بن مروان ويهجو جريراً: الطويل

عفا الجوفُ من سلمى فبادتْ رسومها فذاتُ الصفا صحراؤها فقصيمها

فأصبحَ ما بينَ الكلابِ وحابسٍ قفاراً يغنيها مع الليلِ بومها

خلتْ غيرَ وحدانٍ تلوحُ كأنها نجومٌ بدتْ وانجابَ عنها غيومها

بمستأسدٍ تجري الندى في رياضهِ سقتهُ أهاضيبُ الصبا ومديمها

إذا قلتُ قدْ خفتْ تواليهِ أقبلتْ بهِ الريحُ من عينٍ سريعٍ جمومها

فما زالَ يسقي بطنَ خبتٍ وعرعرٍ وأرضهما حتى اطمأنَّ جسيمها

وعممهما بالماءِ حتى تواضعتْ رؤوس المتانِ سهلُها وحزومها

بمرتجزٍ داني الربابِ كأنهُ على ذاتِ ملحٍ مقسمٌ لا يريمُها

إذا طلَعَتْ فيهِ الجنوبُ تحاملتْ بأعجازِ جرارٍ تداعَى خصومُها

سقَى اللهُ منهُ دارَ سلمَى بريةٍ على أنَّ سلمى ليسَ يشفَى سقيمها

ولو حملتنِي السرَّ سلمى حملتهُ وهل يحملُ الأسرارَ إلا كتومها

منَ العربياتِ البوادي ولمْ تكنْ تلوحُها حمَّى دمشقَ ومومُها

إليكَ أبا مروانَ يممَ أركُبٌ أتوكَ بأنضاءٍ خفافٍ لحُومُها

تحسرنَ واستقبلْنَ للقيظِ وقدَةً يغيرُ ألوانَ الرجالِ سمومُها

إليكَ من الأغرازِ حتى تزاحمتْ عراها على جونٍ قليلٍ شحومها

رجاءَ ثراكُمْ إنَّ من ينتويكمُ يوافقُ حسنَى ما يغبُّ نعيمها

فأنتَ الذي يرجو الصعاليكُ سيبهُ إذا السنةُ الشهباءُ خوتْ نجومُها

ونفسي تنسيني العراقَ وأهلَهُ وبشرٌ هواها منهمُ وحميمُها

إذا بلغتْ بشرَ بنَ مروانَ ناقتي سرتْ خوفها نفسي ونامتْ همومها

إمامٌ يقودُ الخيلَ حتى كأنما صدورُ القنا معوجُّها وقويمُها

إلى الحربِ حتى تخضعَ الحربُ بعدَما تخمطَ مرحاها وتحمَى قرومُها

أبوكَ أبو العاصِي عليكَ تعطفتْ قريشٌ لكمْ عرنينها وصميمُها

أبَى أن يكونَ التاجُ إلاَّ عليكمُ لصيْدِ أبي العاصِي الشديدِ شيكمُها

بكمْ أدركَ اللهُ البريةَ بعدما سعَى لصُّها فيها وهبَّ غشومُها

وإنكَ للمأمولُ والمتقَى بهِ إذا خيفَ من تلكَ الأمورِ عظيمُها

وإنكَ في الأُخرى إذا هيَ شبهتْ لقطاعُ أقرانِ الأمورِ صرومها

فلا تطعمِي لحمِي الأعادِي فإنهُ سريعٌ إليكم مكرُها ونميمُها

لقدْ عجموا مني قناةً صليبةً إذا ضجَّ خوارُ القناةِ سؤومُها

لعمرِي لئنْ كانتْ كليبٌ تتابعتْ على أمرِ غاويها وضلتْ حلومُها

فما أنا إنْ مدَّ المدَى بمقصرٍ ولا عضةٌ مني بناجٍ سليمُها

وإني لقوّامٌ مقاومَ لمْ يكنْ جريرٌ ولا مولى جريرٍ يقومها

أيشتمني ابنُ الكلبِ أنْ فاضَ دارمٌ عليهِ فرامَى صخرةً ما يرومُها

بنو دارمٍ نبعٌ صلابٌ وأنتمُ بنِي الكلْبِ أثلٌ ما توارَى وصومُها

فلولاَ التخشِّي من رياحٍ رميتُها بكاملةِ الأعراضِ باقٍ وسومُها

تغنَّى ابنُ يربوعٍ بشتمِيَ أمهُ وما انفلتتْ مني صحيجاً أديمُها

وما وجدُوا أماً لهُ عربيةً وما أنبهتها من ختانٍ كلومُها

وقد آلَ من نسلِ المراغةِ أنَّها على النخسِ والإتْعابِ باقٍ رسيمها

وعرتْ حمارَيْها وقدْ كانتِ استُها شديداً لسيساءِ الحمارِ أوزمُها

وجدْتُ كليباً ألأمَ الناسِ كلهمْ وأنتَ إذا عدَّتْ كليْبٌ لئيمُها

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان، ويفتخر على قيسٍ ويهجوها: الطويل

ألا يا اسلَمِي يا هندُ هند بني بدرِ وإنْ كانَ حيانا عدًى آخرَ الدهرِ
وإنْ كنتِ قدْ أقصدتنِي إذْ رميتنِي بسهميكِ والرَّامِي يصيدُ ولا يدرِي
أسيلةُ مجرَى الدمعِ أمّا وشاحُها فيجرِي وأمّا الحجلُ منها فلا يجري
وكنتمْ إذا تدنونَ منا تعرضتْ خيالاتكمْ أوْ بتٌّ منكمْ على ذكرِ
لقدْ حملتْ قيسُ بنُ عيلانَ حربُنا على يابسِ السيساءِ محدودبِ الظهرِ
ركوبٍ على السوآتِ قدْ سئمَ استهُ مزاحمةُ الأعداءِ والنخسُ في الدبرِ
فطاروا شقاقاً لاثنتين فعامرٌ تبيعُ بنيها بالخصافِ وبالتمرِ
وأما سليمٌ فاستعاذتْ حذارنا بحرتِها السوداءِ والجبلِ الوعْرِ
تنقُّ بلا شيءٍ شيوخُ محارِبٍ وما خلتُها كانتْ تريشُ ولا تبري
ضفادِعُ في ظلماءِ ليلٍ تجاوبتْ فدلَّ عليها صوتُها حيةَ البحرِ
ونحنُ رفعنا عنْ سلولٍ رماحَنا وعمداً رغبنا عن دماءِ بني نصرِ
ولوْ ببني ذبيان بلتْ رماحُنا لقرَّتْ بهمْ عيني وباءَ بهمْ وترِي
شفَى النفسَ قتلَى منْ سليْمٍ وعامرٍ ولمْ يشفها قتلَى غنيٍّ ولا جسرِ
وما تركتْ أسيافُنا حينَ جردَتْ لأعدائنا قيْسِ بنِ عيلانَ منْ عذرِ
ولا جشمٌ شرُّ القبائلِ إنها كبيضِ القطا ليسُوا بسودٍ ولا حمرِ
وقد عركتْ بابنَيْ دُخانٍ فأَصبحا إذا ما أجرَّ الأمرُ باقيةَ البظرِ

وأدركَ علمي في سواءة أنَّها تقيمُ على الأوتارِ والمشربِ الكدرِ
وقدْ سرنِي من قيْسِ عيلانَ أنني رأيتُ بَنِي العجلانِ سادُوا بَنِي بدرِ
وقدْ غبرَ العجلانُ حيناً إذا بكى على الزادِ لفتهُ الوليدةُ في الكسرِ
فيصبحُ كالخفاشِ يدلُكُ عينهُ فقبحَ من وجهٍ لئيمٍ ومن حجرِ
وكنتمْ بنِي العجلانِ ألأمَ عندَنا وأحقرَ من أن يشهدُوا عاليَ الأمرِ
بَنِي كلِّ دسماءِ الثيابِ كأنَّما طلاها بنو العجلانِ من حممِ القدرِ

ترى كعبها قد زالَ من طولِ رعيها وقاحَ الذنابَى بالسويةِ والزفرِ

وإن ينزلِ الأقوامُ منزلَ عِفةٍ نزلتمْ بني العجلانِ منزلةَ الخسرِ

وشاركتِ العجلانُ كعباً ولمْ تكنْ تشاركُ كعباُ في وفاءٍ ولا غدرِ

ونجَّى ابْنَ بدرٍ ركضهُ من رماحنا ونضاخةُ الأعطافِ ملهبةُ الحضرِ

إذا قلتُ نالتهُ العوالي تقاذَفتْ به سوحَقُ الرجلينِ صائبةُ الصدرِ

كأنهما والآلُ ينجابُ عنهما إذا انغمسا فيه يعومانِ في غمرِ

يُسرُّ إليها والرماحُ تنوشُهُ فداؤكِ أمِّي إنْ دأبتِ إلى العصرِ

فظلَّ يفديها وظلتْ كأنَّها عقابٌ دعاها جنحُ ليلٍ إلى وكْرِ

كأنَّ بطبييها ومجرى حزامها أداوَى تسحُّ الماءَ من حورٍ وفرِ

فظلَّ يجيشُ الماءُ من متفصِّدٍ على كلِّ حالٍ من مذاهبهِ يجري

فأقسمُ لوْ أدركتهُ لقذفتهُ إلى ضيقةِ الأرجاءِ مظلمةِ القعرِ

توسدَ فيها كفهُ أو لحجتْ ضباعُ الصحارَى حولَهُ غيرَ ذي فترِ

لعمرِي لقدْ لاقتْ سليمٌ وعامرٌ على جانبِ الثرثارِ راغيةَ البكرِ

أعني أميرَ المؤمنينَ بنائلٍ وحسنِ عطاءٍ ليسَ بالريثِ النزرِ

وأنتَ أميرُ المؤمنينَ وما بِنا إلى صلحِ قيسٍ يا بنَ مروانَ من فقرِ

على غيرِ إسلامٍ ولا عزِّ نصرةٍ ولكنهمْ سيقوا إليكَ على صغرِ

ولمّا تبينّا ضلالةَ مصعبٍ فتحنا لأهلِ الشامِ باباً من النصرِ

فقد أصبحتْ منا هوازنُ كلُّها كواهِي السلامَى زيدَ وقراً عرى وقرِ

سمونا بعرنينٍ أشمَّ وعارِضٍ لنمنعَ ما بينَ العراقِ إلى البشرِ

فأصبحَ ما بينَ العراقِ ومنبجٍ لتغلبَ تردي بالردَيْنِيَّةِ السُّمرِ

إليكَ أميرَ المؤمنينَ نسيرُها نخبُّ المطايا بالعرانينِ منْ بكرِ

برأسِ الذي دلَّى سليماً وعامراً وأوردَ قيساً لُجَّ ذي حدَبٍ غمرِ

فأسرَيْنَ خمساً ثمَّ أصبحنَ غدوةً تخبرُ أخباراً ألذَّ من الخمرِ

تخبرنا أنَّ الأراقمَ فلقَتْ جماجمَ قيسٍ بينَ راذانَ فالحَضْرِ

جماجِمَ قوْمٍ لمْ يعافُوا ظلامةً ولمْ يعلَمُوا أيْنَ الوفاءُ منَ الغدرِ

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان بن الحكم، ويهجو جريراً: البسيط

خفَّ القطينُ فراحوا منكَ أو بكرُوا وأزعجتهُمْ نوًى في صرفِها غيرُ

كأننِي شاربٌ يومَ استبدَّ بهمْ من قرقفٍ ضمنتها حمصُ أو جدرُ

جادَتْ بها منْ ذواتِ القارِ مترعَةٌ كلفاءُ ينحتُّ عنْ خرطومِها المدَرُ

لذٍّ أصابَتْ حميّاها مقاتلهُ فلمْ يكدْ ينجلِي عنْ قلبِهِ الخمرُ

كأنني ذاك أو ذُو لوعةٍ خبلتْ أوْصالهُ وأصابتْ قلبهُ النشرُ

شوقاً إليهمْ ووجداً يومَ أتبعهم طرفي ومنهم بجنبي كوكبٍ زمرُ

حثوا المطيَّ فولتنا مناكبها وفي الخدورِ إذا ناغمتها الصورُ

يبرقنَ للقومِ حتى يحتبلنهمُ ورأيهُنَّ ضعيفٌ حينَ يختبرُ

يا قاتلَ اللهُ وصلَ الغانياتِ إذا أيقنَّ أنكَ ممن قدْ زها الكبرُ

أعرضنَ لما حنا قوسِي موترُها وابيضَّ بعدَ سوادِ اللمةِ الشعرُ

ما يرعوينَ إلى داعٍ لحاجتهِ ولا لهنَّ إلى ذي شيبةٍ وطرُ

شرقنَ إذْ عصرَ العيدانَ بارِحُها وأيبستْ غيرَ مجرى السنةِ الخضرُ

فالعينُ عانيةٌ بالماءِ تسفحهُ من نيةٍ في تلاقي أهلها ضررُ

منقضبين انقضابَ الحبلَ يتبعهمْ بينَ الشقيقِ وبين المقسمِ البصرُ

حتى هبطنَ من الوادي لغضبتهِ أرضٌ يحلُّ بها شيبانُ أو غبرُ

حتى إذا هنَّ وركنَ القصيمَ وقدْ أشرفنَ أو قلنَ هذا الخندقُ الحفرُ

وقعنَ أصلاً وعجنا من نجائبنا وقد تحينَ منْ ذي حاجةٍ سفرُ

إلى امرئٍ لا تعرينا نوافلهُ أظفرهُ اللهُ فليهنئْ لهُ الظفرُ

الخائضُ الغمرَ والميمونُ طائرهُ خليفةُ اللهِ يستسقَى بهِ المطرُ

والهمُّ بعدَ نجيِّ النفسِ يبعثهُ بالحزمِ والأصمعانِ القلبُ والحذرُ

والمستمرُّ بهِ أمرُ الجميعِ فما يغترهُ بعدَ توكيدٍ لهُ غررُ

وما الفراتُ إذا جاشتْ جوانبهُ | في حافتيهِ وفي أوساطِهِ العشرُ
وذعذعتهُ رياحُ الصيفِ فاضطربتْ | فوقَ الجأجئِ منْ آذيهِ غدرُ
مسحنفرٌ من جبالِ الرومِ يسترهُ | منها أكافيفُ فيها دونهُ زورُ
يوماً بأجودَ منهُ حينَ تسألهُ | ولا بأجهرَ منهُ حينَ يجتهرُ
ولمْ يزلْ بكَ واشيهمْ ومكرهمُ | حتى أشاطوا بغيبِ لحمَ منْ يسرُوا
فمنْ يكنْ طاوياً عني نصيحتهُ | وفي يديهِ بدُنْيا دوننا حصرُ
فهوَ فداءُ أميرِ المؤمنينَ إذا | أبدا النواجذَ قرمٌ باسلٌ ذكرُ
مفترشٌ كافتراشِ الليثِ كلكلَهُ | لوقعةٍ كائنٌ فيها لهُ جزرُ
مقدمٌ مائتيْ ألفٍ لمنزلةٍ | ما إنْ رأى مثلهمْ جنٌّ ولا بشرُ
يغشى القناطرَ يبنيها ويهدمها | مسومٌ فوقها الراياتُ والقترُ
حتى تكونَ لهمْ بالطفِّ ملحمةٌ | وبالثويةِ لم ينبضْ بها وترُ
ويستبينَ لأقوامٍ ضلالتهمْ | ويستقيمَ الذي في خدهِ صعرُ
ثمَّ استقلَّ بأثقالِ العراقِ وقدْ | كانتْ لهُ نعمةٌ فيهمْ ومدخرُ
في نبعةٍ من قريشٍ يغضبونَ بها | ما إنْ يوازيَ أعلى نبتها الشجرُ
تعلو الهضابَ وحلوا في أرومتها | أهلُ الوفاءِ وأهلُ الفخرِ إنْ فخروا
حشدٌ على الحقِّ عيافُو الخنا أنفٌ | إذا ألمتْ بهمْ مكروهةٌ صبرُوا
وإنْ تدجتْ على الآفاقِ مظلمةٌ | كانَ لهمْ مخرجٌ منها ومعتصرُ
أعطاهمُ الله جداً ينصرونَ بهِ | لا جدَّ إلاَّ صغيرٌ بعدُ محتقرُ
لمْ يأشرُوا فيه إذْ كانوا مواليهُ | ولوْ يكونُ لقومٍ غيرهمْ أشروا
شمسُ العداوةِ حتى يستقادَ لهمْ | وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدرُوا
لا يستقلُّ ذوو الأضغانِ حربهمُ | ولا يبينُ في عيدانهمْ خورُ
همُ الذين يبارونَ الرياحَ إذا | قلَّ الطعامُ على العافينَ أو قترُوا
بنِي أميةَ نعماكمْ مجللَةٌ | تمتْ فلا منةٌ منها ولا كدَرُ
بنِي أميةَ قدْ ناضلتُ دونكمُ | أبناءَ قومٍ همُ آوَوْا وهمْ نصرُوا

أفحمتُ عنكمْ بني النجارِ قدْ علمتْ ... عليا معدٍّ وكانُوا طالَ ما هدَرُوا

حتى استكانوا وهمْ منِي على مضضٍ ... والقولُ ينفذُ ما لا تنفذُ الإبرُ

بنِي أميةَ إنِّي ناصحٌ لكمُ ... فلا يبيتنَّ فيكمْ آمناً زفرُ

واتخذُوهُ عدواً إنَّ شاهدَهُ ... وما تغيبَ منْ أخلاقهِ دعرُ

إنَّ الضغينةَ تلقاها وإنْ قدمتْ ... كالعرِّ يكمنُ حيناً ثمَّ ينتشرُ

وقدْ نصرتَ أميرَ المؤمنينَ بنا ... لمّا أتاكَ ببطنِ الغوطةِ الخبرُ

يعرفونكَ رأسَ ابنِ الحبابِ وقدْ ... أمسَى وللسيفِ في خيشومهِ آثرُ

لا يسمعُ الصوتَ مستكاً مسامعهُ ... وليسَ ينطقُ حتى ينطقَ الحجرُ

أمستْ إلى جانبِ الحشاكِ جيفتهُ ... ورأسهُ دونهُ اليحمومُ والصورُ

يسألهُ الصبرُ من غسانَ إذ حضروا ... والحزنُ كيفَ قراكَ الغلمةُ الجشرُ

والحارثُ بنُ أبي عوفٍ لعبنَ بهِ ... حتى تعاورَهُ العقبانُ والنسرُ

وقيسُ عيلانَ حتى أقبلوا رقصاً ... فبايعوكَ جهاراً بعدما كفروا

فلا هدى اللهُ قيساً من ضلالتهمْ ... ولا لعاً لبنِي ذكوانَ إنْ عثرُوا

ضجوا من الحربِ إذْ عضتْ غواربهمْ ... وقيسُ عيلانَ من أخلاقِها الضجرُ

كانوا ذوِي إمةٍ حتى إذا علقتْ ... بهم حبائلُ للشيطانِ وانتهروا

صكوا على صلفٍ صعبٍ مراكبُها ... حصاءَ ليْسَ بها هلْبٌ ولا وبرُ

ولمْ يزلْ بسليمٍ أمرُ جاهلها ... حتى تعايا بها الإيرادُ والصدرُ

إذْ ينظرونَ وهمْ يجنونَ حنظلهُمْ ... إلى الزوابِي فقلنا بعدَ ما نظروا

كروا إلى حرتيكمْ تعمرُونهما ... كما تكرُّ إلى أوطانِها البقرُ

فأصبحتْ منهمُ سنجارُ خاليةً ... فالمحلبياتُ فالخابورُ فالسررُ

وما يلاقونَ فراصاً إلى نسَبِ ... حتى يلاقِي جديّ الفرقَدِ القمرُ

ولا الضبابَ إذا اخضرَّتْ عيونهمُ ... ولا عصيةَ إلاَّ أنهمْ بشرُ

وما سعى منهمُ ساعٍ ليدركِنا ... إلا تقاصرَ عنا وهو منبهرُ

وقد أصابتَ كلاباً من عداوتنا ... إحدَى الدواهِي التي تخشَى وتنتظرُ
وقدْ تفاقَمَ أمرٌ غيرُ ملتئمٍ ... ما بيننا وصم فيه ولا عذرُ
أما كليب بن يربوع فليس لهم ... عندَ المكارِمِ لا وردٌ ولا صدَرُ
مخلفونَ ويقضِي الناسُ أمرَهُمُ ... وهم بغيبٍ وفي عمياءَ ما شعرُوا
ملطمونَ بأعقارِ الحياضِ فما ... ينفكُّ من دارمِيٍّ فيهم أثَرُ
بئسَ الصحاةُ وبئسَ الشرْبُ شربُهُمْ ... إذا جرى فيهمِ المزاءُ والسكَرُ
قومٌ تناهتْ إليهمِ كلُّ فاحشةٍ ... وكلُّ مخزيةٍ سبتْ بها مضرُ
على العِيارات هداجُونَ قدْ بلغتْ ... عمانُ أو بلغتْ سوءاتهمْ هجرُ
الآكلونَ خبيثَ الزادِ وحدهمُ ... والسائلونَ بظهرِ الغيبِ ما الخبرُ
واذكُرْ غدانةَ عِبداناً مزنمةً ... بينَ الحبلقِ يبنَى حولَها الصبرُ
تمذِي إذا سحبتْ من فتلِ أذرعها ... وتزرئمُّ إذا ما بلَّها المطرُ
وما غدانةُ في شيءٍ مكانهمُ ... الحابسُو الشاءَ حتى يفضلَ السؤرُ
يتصلونَ بيربوعٍ ورفدهمُ ... عندَ الترافدِ مغمورٌ ومحتقرُ
صفرُ اللحَى من وقودِ الأدْخناتِ إذا ... ردَّ الرفادُ ولفَّ الحالبَ القررُ
ثمَّ الإيابُ إلى سودٍ مدنسةٍ ... ما تستحمُّ إذا ما احتكتِ النقرُ
وأقسَمَ المجدَ حقاً لا يحالفهمْ حتى ... يحالفَ بطنَ الراحةِ الشعرُ

وقال الأخطل يمدح يزيد بن معاوية: الطويل

صحا القلبُ إلاَّ من ظعائنَ فاتنِي ... بهنَّ أميرٌ مستبدٌّ فأصعَدا
وقرنَ للبينِ الجمالَ وزينتْ ... بأحمرَ منْ لكِّ العراقِ وأسودا
فطرنَ بوحشٍ ما تواتيكَ بعدما ... دنتْ نفضةُ البازِي لمنَ يتصيدا
عوامِدَ للآجامِ آجامِ حامزٍ ... يثرنَ قطاً لولا سراهنَّ هجدا
يردنَ الفلاةَ حينَ لا يستطيعُها ... ذوو الشاءِ منْ عوفِ بنِ بكرٍ وأهودا
إذا قلتُ قدْ حازينَ أو حانَ نائلٌ ... تعادَيْن للرائي الذي كانَ أبعدا
إذا شئتَ أن تلهُو ببعضِ حديثِها ... رفعنَ وأنزلْنَ القطينَ المولدا

وقلنَ لحادِيهنَّ ويحكَ غنِّنا بحدراءَ أو بنتِ الكنانيِّ فدفدا
يقلنَ إذا ما استقبلَ الصيفُ وقدهُ وحرَّ على الجدِّ الظنونُ فأنفدا
وما علقتْ نفسِي بأمِّ محلّمٍ ودهماءَ إلاَّ أنْ أهيمَ وأنكَدا
إذا كانَ قلبِي يستبلُّ انْبَرى لهُ بهنَّ تكاليفُ الصبا فترددا
وما إنْ رأى الفزراء إلاَّ تطلعاً وخيفة يحميها بنو أم عجردا
وإنِّي غداةَ استعبرتْ أمُّ مالكٍ لراضٍ من السلطانِ أنْ يتهددا
ولولا يزيدُ ابنُ الملوكِ وسيبهُ تجللتُ حدباراً من الشرِّ أنكدا
وكمْ أنقذتنِي من جرورِ حبالكمْ وخرساءَ لوْ يرمَى بها الفيلُ بلدا
ودافعَ عني يومَ جلقَ غمرَةً وهماً ينسينِي السلافَ المبردا
وباتَ نجياً في دمشقَ لحيةٍ إذا عضَّ لمْ ينمِ السليمُ وأقصَدا
يخفتُهُ طوراً وطوراً إذا رأى منَ الأمرِ إقْبالاً ألحَّ وأجْهَدا
أبا خالدٍ دافعتَ عني عظيمةً وأدركتَ لحمِي قبلَ أنْ يتبددا
وأطفأتَ عني نارَ نعمانَ بعدما أعدَّ لأمرٍ فاجرٍ وتوعدا

ولمّا رأى النعمانُ دوني ابنَ حرةٍ طوى الكشحَ إذْ لمْ يستطعني وعردا
ولاقى امرءاً لا ينقضُ القومُ عهدهُ أمرَّ القوى دونَ الوشاةِ وأحصدا
كأنَّ ذوِي الحاجاتِ يغشَونَ مصعْبَاً أزبَّ الجرانِ ذا سنامَيْنِ أحرَدا
تخمطَ فحلَ الحربِ حتى تواضعتْ لهُ واعتلاها ذا مشيبٍ وأمردا
ولو وجدتْ فيها قريشٌ لأمرِها أعفَّ وأوفَى من أبيكَ وأمجدا
وأصبَبَ عوداً حينَ ضاقتْ أمورهمْ وهمتْ معدٌّ أنْ تخيمَ وتخمدا
وأورَى بزنديْهِ ولوْ كانَ غيرهُ غداةَ اختلافِ الأمرِ أكْبى وأصلَدا
فأصبحتَ مولاها من الناسِ بعدَهُ وأحرَى قريشٍ أنْ يهابَ ويحمدا
وفي كلِّ أفقٍ قدْ رميتَ لكوكبٍ من الحربِ مخشيٍّ إذا ما توقدا
وتشرقُ أجبالُ العويرِ بفاعلٍ إذا خبتِ النيرانُ بالليلِ أوقدا

ومنتقمٍ لا يأمنُ الناسُ فجعَهُ ... ولا سورةَ العادِي إذا هوَ أرعدا

وما مزبدٌ يعلو جزائرَ حامزٍ ... ويشقُّ إليها خيزراناً وغرقدا

تحرزَ منهُ أهلُ عانةَ بعدما ... كسا سورها الأعلى غثاءً منضدا

يقمصُ بالملاحِ حتى يشفهُ ال ... حذارُ ولوْ كانَ المشيحَ المعوَّدا

بمطردِ الآذيِّ جونٍ كأنما ... زفى بالقراقيرِ النعامَ المطردا

كانَّ بناتِ الماءِ في حجراتِهِ ... أباريقُ أهداها دبافٌ لصرْخدا

بأجودَ سيباً منْ يزيدَ إذا غدتْ ... بهِ نجبهُ يحملنَ ملكاً وسؤدَدا

يقلصُ بالسيفِ الطويلِ نجادهُ ... خميصٌ إذا السربالُ عنهُ تقدَّدا

فأقسمْتُ لا أنْسَى يدَ الدهْرِ سيبهُ ... غداةَ السيالَى ما أساغَ وبرَّدا

وقال الأخطل يمدح عبد الملك بن مروان: الطويل

لعمري لقدْ أسريتُ لا ليلَ عاجزٍ ... بساهمةِ الخدينِ طاويَةِ القربِ

جماليةٍ لا يدرِكُ العيسُ رفعَها ... إذا كُنَّ بالرُّكْبانِ كالقيمِ النكبِ

معارضةٍ خوصاً حراجيجَ شمرَتْ ... لنجعةِ ملكٍ لا ضئيلٍ ولا جأبِ

كأنَّ رحالَ القومِ حينَ تزعزعتْ ... على قطواتٍ من قطا عالجٍ حقبِ

أجدتْ لوردٍ من أباغَ وشفَّها ... هواجرُ أيامٍ وقدنَ على شهبِ

إذا حملتْ ماءَ الصرائمِ قلصتْ ... روايا لأطفالٍ بمهمهةٍ زغبِ

توائمُ أشباهٌ بأرضٍ مريضةٍ ... ولدنَ بخدرافِ المتانِ وبالغربِ

إذا صخبَ الحادِي عليهنَّ برزتْ ... بعيدةٌ ما بينَ المشافرِ والعجبِ

وكمْ جاوزتْ بحراً وليلاً يخضنهُ ... إليكَ أميرَ المؤمنينَ ومن سهبِ

عوادِلَ عوجاً عنْ أناسٍ كأنَّما ... ترى بهمِ جمعَ الصقالبةِ الصهبِ

يعارضنَ بطنَ الصحصَحانِ وقدْ بدتْ ... بيوتُ بوادٍ منْ نميرٍ ومنْ كلبِ

ويامنَّ عنْ نجدِ العقابِ وياسرَتْ ... بنا العيسُ عن عذراءَ دارِ بَنِي شجبِ

يحدْنَ بنا عنْ كلِّ شيءٍ كأننا ... أخاريسُ عيُّوا بالسلامِ وبالنسْبِ

إذا طلعَ العيُّوقُ والنجمُ أولَجَتْ ... سوالِفَها بينَ السماكَينِ والقلبِ

إليكَ أميرَ المؤمنينَ رحلتُها ... على الطائرِ الميمونِ والمنزلِ الرحبِ

إلى مؤمنٍ تجلو صفيحةُ وجهِهِ ... بلابلَ تغشَى منْ همومٍ ومن كربِ

مناخ ذوي الحاجاتِ يستمطرونهُ ... غطاءَ كريمٍ منْ أسارى ومنْ نهبِ

ترى الحلقَ الماذيَّ تجري فضولهُ ... على مستخفٍّ للنوائبِ والحربِ

أخوها إذا شالتْ عضوضٌ سما لَها ... على كلِّ حالٍ من ذلولٍ ومن صعبِ

إمامٌ سما للخيلِ حتى تقلقلتْ ... قلائدُ في أعناقِ معلمةٍ حدْبِ

شواخصُ بالأبصارِ من كلِّ مقربٍ ... أعدَّ لهيجا أو مواقفة الركبِ

سواهمَ قدْ عاوَدْنَ كلَّ عظيمةٍ ... مجلَّلَةَ الشطيِّ طيبةَ الكسبِ

يعاندنَ عنْ صلبِ الطريقِ من الوَجَى ... وهنَّ على العلاتِ يردينَ كالنكبِ

إذا كلَّفُوهنَّ التنائيَ لمْ يزلْ ... غرابٌ على عوجاءَ منهنَّ أو سقبِ

وفي كلِّ عامٍ منكَ للرومِ غزوَةٌ ... بعيدَةُ آثارِ السنابِكِ والسربِ

يطرحنَ بالثغرِ السخالَ كأنما ... يشققْنَ بالأسلاءِ أرديَةَ العصبِ

بناتُ غرابٍ لمْ يكملْ شهورها ... تقلقلُ من طولِ المفاوزِ والجذْبِ

وإنَّ لها يومينِ يوم إقامةٍ ... ويوم تشكَّى القضَّ من حذَرِ الدربِ

عمرنَ الدجَى ينشقُّ عن متضرِّمٍ ... طلوبِ الأعاديَ لا سؤومٍ ولا وجبِ

على ابن أبي العاصي قريشٌ تعطَّفَتْ ... لهُ صلبُها ليسَ الوشائظُ كالصُّلْبِ

وقدْ جعلَ اللهُ الخلافَةَ فيكمُ ... لأبيضَ لا عاري الخوانِ ولا جدْبِ

عتبتم علينا قيسَ عيلانَ كلكم ... وأيُّ عدوٍّ لمْ يبتهُ على عتبِ

لقدْ علمتْ تلكَ القبائلُ أننا ... مطاليبُ جذامونَ أرحيةَ الشغبِ

فإنْ تكُ حربُ ابْنَيْ نزارٍ تواضعتْ ... فقدْ عذرتنا من كلابٍ ومنْ كعبِ

وفي الحقبِ منْ أفناءِ قيسٍ كأنَّهُمْ ... بمنعرجِ الثرثارِ خشبٌ على خشبِ

وهنَّ أذقنَ الموتَ حارثَ ظالمٍ ... بماضيةٍ بينَ الشراسيفِ والقطبِ

وظلتْ بنُو الصماءِ تأوِي فلولُهُمْ ... إلى كلِّ دسماءِ الذراعينِ والعقبِ

وقدْ كانَ يوما راهطٍ من ضلالكمْ فناءً لأقوامٍ وخطباً على خطبِ

يسامونَ أهلَ الحقِّ بابْنَيْ محاربٍ وركبِ بنِي العجلانِ حسبكَ من ركبِ

قرومُ أبِي العاصِي غداةَ تخمطتْ دمشقُ بأشباهِ المهنأةِ الجربِ

يقودُونَ موجاً من أميةَ لمْ يرثْ ديارَ سليمٍ بالحجازِ ولا الهضبِ

ملوكٌ وحكامٌ وأصحابُ نجدةٍ إذا شوغبوا كانوا عليها من الشغبِ

أهلُّوا من الشهرِ الحرامِ فأصبْحُوا مواليَ ملكٍ لا طريفٍ ولا غصبِ

تذودُ القنا والخيلُ تُثنَى عليهمِ وهنَّ بأيْدِي المستميتينَ كالشهْبِ

ولمْ ترَ عينِي مثلَ ملكٍ رأيتهُ أتاكَ بلا طعنِ الرماحِ ولا ضربِ

ولكن رأكَ اللهُ موضعَ حقه على رغمِ أعداءٍ وصدّادَةِ كذْبِ

لحَى اللهُ صرْماً منْ كليْبٍ كأنَّهُمْ جداءُ حجازٍ لاجئاتٌ إلى زربِ

أكارِعُ لَيُسوا بالعريضِ محلُّهُم ولا بالحماةِ الذائدِينَ عن السَّرْبِ

بَنِي الكلبِ لولا أنَّ أولادَ دارمٍ تذببُ عنكمْ في الهزاهزِ والحرْبِ

إذنْ لاتقيتُم مالكاً بضريبةٍ كذلكَ يعطيها الذليلُ على العصبِ

وإنَّ التي أدتْ جريراً بزفرةٍ لخائنةُ العينينِ صابئةُ القلبِ

وبالسودِ أستاهاً فوارسُ مسلمٍ غداةَ يردُّ الموتَ والنفسَ بالكربِ

وما فرحِ الأضيافُ أنْ ينزلوا بها إذا كانَ أعلَى الطلحِ كالرمَكِ الشهبِ

يقولونَ ذببْ يا جريرُ وراءَنا وليسَ جريرٌ بالمحامِي ولا الصلبِ

وقال الأخطل يمدح عكرمة بن ربعيّ التيميَّ، من ربيعة: الطويل

ألا يا اسْلَمِي يا أمَّ بشرٍ على الهجرِ وعن عهدِكِ الماضِي لهُ قدمُ الدهرِ

ليالِيَ نلهُو بالشبابِ الذي خلا بمرتجةِ الأردافِ طيبةِ النشرِ

أسيلةِ مجرَى الدمعِ خفاقةِ الحشا من الهيفِ مبراقِ الترائبِ والنحرِ

وتبسمُ عنْ ألمَى شتيتٍ نباتهُ لذيذٍ إذا جادَتْ بهِ واضِح الثغرِ

منَ الجازئاتِ الحورِ مطلبُ سرِّها كبيضِ الأنوقِ المستكنةِ في الوكرِ

وإنِّي وأيّاها إذا ما لقيتُها لكالماءِ منْ صوبِ السحابةِ والخمرِ

تذكرتُها لا حينَ ذكرَى وصحبتي
على كلِّ مقلاقِ الجنابينِ والضفرِ

إذا ما جرى آلُ الضُّحَى وتغولَتْ
كأنَّ ملاءً بينَ أعلامِها الغبرِ

ولمْ يبقَ إلاَّ كلُّ أدْماءَ عرمسٍ
تشبهُ بالقرمِ المخايل للخطرِ

تفلُّ جلاذيَّ الإكامِ إذا طفتْ
صواها ولمْ تغرقْ بمجمرةٍ سمرِ

وتلمحُ بعدَ الجهدِ من ليلةِ السرَى
بغائرةٍ تأوِي إلى حاجبٍ ضمرِ

يدافعُ أجوازَ الفلاةِ وينبري لها
مثلُ أنضاءِ القداحِ من السدرِ

يقومُ من أعناقِها وصدورِها
قوَى الأدمِ المكيِّ في حلقِ الصفرِ

وكمْ قطعتْ والركبُ غيدٌ منَ الكرى
إليكَ ابنْ ربعيٍّ من البلدِ القفرِ

وهلْ من فتًى من وائلٍ قدْ علمتُمُ
كعكرمة الفياضِ عندَ عرَى الأمرِ

إذا نحنُ هايجنا بهِ يومَ محفلٍ
رمَى الناسُ بالأبْصارِ أبيضَ كالبَدْرِ

أصيلٍ إذا اصطَكَّ الجباهُ كأنَّما
يهزُّ الثقالَ الراسياتِ من الصخرِ

كفينا بمحباسٍ على كلِّ موقفٍ
مخوفٍ إذا ما لمْ يجزْ فارِسُ الثغرِ

بصلْبِ قناةِ الأمرِ ما إنْ يضورُها ال
ثقافُ إذا بعضُ القنا ضيرَ بالأطْرِ

ولَيسوا إلى أسواقِهِمْ إذْ تألفُوا
ولا يومَ عرضٍ عوداً سدَّةَ القصرِ

بأسرَعَ ورداً منهمُ نحوَ دارِه
ولا ناهلٌ وافَى الجوابِيَ عنْ عشرِ

ترى مترَعَ الشيزَى الثقالِ كأنما
تحضر منها أهلُها فرضَ البحرِ

تكللُ بالترعيبِ من قمعِ الذُّرَى
إذا لمْ تنلْ عبطُ العوالي من الجزرِ

منَ الشُّهبِ أكتافاً تناخُ إذا شتَا
وحبَّ القتارُ بالمهندةِ البترِ

وما مزبدُ الأطوادِ من دونِ عانةٍ
يشقُّ جبالَ الغورِ ذو حدبٍ غمرِ

تظلُّ بناتُ الماءِ تبدو متونها
وطوراً توارى في غواربها الكدرِ

متى يطردْ يسقِ السوادَ فضولهُ
وفي كلِّ مستنٍّ جداولهُ تجري

بأجودَ منهُ لليتامَى وملجأ ال
مضافِ ووهابِ القيانِ أبي عمرو

أعكرمَ يا ابنَ الأصلِ والفرْعِ والذُّرَى
أتاكَ ابنُ عمٍّ زائراً لكَ عنْ عُفْرِ

منَ المصطلينَ الحربَ أيامَ قلصتْ بنا وبقيسٍ عن حيالٍ وعن نزرِ
وإني صبورٌ منْ سليمٍ وعامرٍ ونصرٍ على البغضاءِ والنظرِ الشزرِ
إذا ما التقينا عندَ بشرٍ رأيتهمْ يغضونَ دوني الطرفَ بالحدقِ الخُضْرِ
وأوجهِ موتورينَ فيها كآبةٌ فرغماً على رغمٍ ووقراً على وقرِ
فنحنُ تلفعنا على عسكريهمِ جهاراً وما طبِّي ببغْيٍ ولا فخرِ
ولكن حداً بالمشرفيةِ ساقهمْ إلى أنْ حشرنا فلهمْ أسوأ الحشرِ
وأمّا عميرُ بنُ الحبابِ فلم يكنْ لهُ النصفُ في يومِ الهياجِ ولا العشرِ
وإنْ تذكروها في معدٍّ فإنما أصابكَ بالثرثارِ راغيةُ البكرِ
فكانَ يرَى أنَّ الجزيرةَ أصبحتْ مواريثَ لابنَيْ جابرٍ وأبي صخرِ

وقال الأخطل يمدح عبادَ بن زيد بن أبيه: الطويل

خليليَّ قوما للرحيلِ فإنني وجدتُ بني الصمعاءِ غيرَ قريبِ
وأسفهْتُ إذْ منتيُ نفسِي ابنَ واسعٍ منًى ذهبتْ لمْ تسقِني بذنوبِ
فإن تنزلا بابنِ المحلَّقِ منزلاً بذي غدرةٍ يبداكما بلغوبِ
لَحَى اللهُ أرماكاً بدجلةَ لاتقَى أذاةَ امرئٍ عضْبِ اللسانِ شغوبِ
إذا نحنُ ودعنا بلاداً همُ بها فبعداً لحراتٍ بها وسهوبِ
نسيرُ إلى من لا يغبُّ نوالهُ ولا مسلمٌ أعراضَهُ لسبُوبِ
بخوصٍ كأعطالِ القسيِّ تقلقلتْ أجنتها من شقةٍ ودؤوبِ
إذا معجلٌ غادرنَهُ عندَ منزلٍ أتيحَ لجوابِ الفلاةِ كسوبِ
وهنَّ بنا عوجٌ كأنَّ عيونها بقايا قلاتٍ قلصتْ لنضوبِ
مسانيفُ يطويها مع القيظِ والسُّرَى تكاليفُ طلاعِ النجادِ ركوبِ
قديمٍ ترى الأصواءَ فيها كأنَّها رجالٌ قيامٌ عصبُوا بسبوبِ
يعمنَ بنا عومَ السفينِ إذا انجلتْ سحابةُ وضاحِ السرابِ خبوبِ
إليكَ أبا حربٍ تدافعنَ بعدما وصلنَ بشمسٍ مطلعاً لغروبِ
إلى مستقلٍّ بالنوائبِ واصلِ ال قرابةِ فياضِ اليديْنِ وهوبِ

ربيعٍ لهلاكِ الحجازِ إذا ارتمتْ ... رياحُ الثريا من صباً وجنوبِ
وطارَتْ بأكنافِ البيوتِ وحارَدَتْ ... عنِ الضيفِ والجيرانِ كلّ حلوبِ
وما أرضُ عبادٍ إذا ما هبطتَها ... بحزنٍ ولا أعطانُها بجدُوبِ
إليكَ أشارَ الناظرونَ كأنهُ ... هلالٌ بدا من قتمةٍ وغيوبِ
ولولا أبُو حربٍ وفضلُ نوالهِ ... علينا أتانا دهرُنا بخطوبِ
حبانِي بطرفٍ أعوجيٍّ وقينةٍ ... منَ البربرياتِ الحسانِ لعوبِ
ومالِ أثقالٍ وفراجِ غمرةٍ ... وغيثٍ لمجلومِ السوامِ حريبِ

كثيرٌ بكفيهِ الندَى حينَ يغتدَى ... عشيةَ لا جافٍ ولا بغضوبِ
كريمُ مناخِ الضيفِ لا عاتِمِ القرى ... ولا عندَ أطرافِ القنا بهيوبِ
عروفٌ لحقِ السائلينَ كأنهُ ... بعقرِ المتالِي طالبٌ بذنوبِ
ترى مترعَ الشيزَى يزينُ فروعها ... عبائطُ متلافِ اليدينِ خصيبِ
كأنَّ سباعَ الغيلِ والطيرِ تعتفي ... ملاحمَ نقاضِ التراتِ طلوبِ

وقال الأخطل يمدح الوليد بن عبد الملك، ويهجو جريراً: الطويل

عفا واسطٌ منْ أهلهِ فمذانبهْ ... فروضُ القطا صحراؤُهُ فنصائبُهْ
وقدْ كانَ محضُوراً أرَى أنَّ أهلَهُ ... بهِ أبداً ما أعجَمَ الخطَّ كاتِبُهْ
ولكنَّ هذا الدهرَ أصبحَ فانياً ... تسعسعَ واشتدَّتْ عليهِ تجاربُهْ
عفا ذو الصفا منهمْ فأمسَى أنيسهُ ... قليلاً تعاوَى بالضباحِ ثعالبُهْ
وحلَّ بصحراءِ الإهالةِ حذلَمٌ ... وما كانَ حلالاً بها إذْ تُحاربُهْ
خلا لبنِي البرشاءِ بكرِ بنِ وائلٍ ... مجارِي الحصى منْ بطنِ فلجٍ فجانبُهْ
نفَى عنهمُ الأعداءَ فرسانُ غارةٍ ... ودهمٌ يغمُّ البلقَ خضرٌ كتائبُهْ
فنحنُ أخٌ لمْ تلقَ في الناسِ مثلنا ... أخاً حينَ شابَ الدهرُ وابيضَّ حاجبُهْ
وإنّا لصبرٌ في مواطنِ قومنا ... إذا ما القَنا الخطيُّ علتْ مخاضبُهْ
وإنا لحمالو العدوِّ إذا غدا ... على مركبٍ لا يستلذُّ مراكبُهْ

وغيرانَ يغلِي للعداوةِ صدرُهُ ... يذبذبُ عني لمْ تنلني مخالبُهْ
فإنْ أكُ قدْ فتَّ الكلَيْبِيَّ بالعلى ... فقدْ أهلكتْهُ في الجراءِ مثالبُهْ
فظلَّ لهُ بينَ العقابِ وراهطٍ ... ضبابةُ يومٍ لا توارَى كواكبُهْ
رأيتُكَ والتكليفَ نفسكَ دارماً ... كشيءٍ مضى لا يدركُ الدهرَ طالبهْ
فإنْ يكُ قدْ بانَ الشبابُ فربَّما ... أعللُ بالعذْبِ اللذيذِ مشاربُهْ
وليلةِ نجوَى يعترِي أهلَها الصبا ... سلبتُ بها ريماً جميلاً مسالبُهْ
فأصبح محجوباً عليَّ وأصبحتْ ... بظاهره آثارُهُ وملاعبُهْ
وبتنا كأنّا ضيفُ جنٍّ بليلَةٍ ... يعودُ بها القلبَ السقيمَ طبائبُهْ
فيالكِ منِّي هفوةً لمْ أعدْ لها ... ويا لكَ قلْباً أهلَكَتْهُ مذاهبُهْ
دعانِي إلى خيرِ الملوكِ فضولهُ ... وإني امرؤٌ يثنِي عليهِ ونادبُهْ
وعالقُ أسبابِ امرئٍ إنْ أقَعْ به ... أقعْ بكريمٍ لا تغبُّ مواهبُهْ
إلى فاعلٍ لَو خايَلَ النيلَ أرجَفَتْ ... منَ النيلِ فوراتُهُ ومشاعبُهْ
وإنْ أتعرَّضْ للوليدِ فإنَّهُ ... نمتهُ إلى خيرِ الفروعِ مضاربُهْ
نساءُ بني عبسٍ وكعبٍ ولدنَهُ ... فنعمَ لعمرِي الجالباتُ جوالبُهْ
رفيعُ المنَى لا يستقلُّ بحملهِ ... سؤومٌ ولا مستنكشُ البحرِ ناضبهْ
تجيشُ بأوصالِ الجزورِ قدورهُ ... إذا المحلُ لمْ يرجعْ بعودَيْنِ حاطبُهْ
مطاعيمُ تغدُو بالعبيطِ جفانُهُمْ ... إذا القرُّ ألوَى بالعضاهِ عصائبُهْ
وما بلغتْ خيلُ امرئٍ كانَ قبلهُ ... بحيثُ انتهتْ آثارُهُ ومحاربُهْ
وتضحِي جبالُ الرومِ غبراً فجاجُها ... بما اشتعلتْ غاراتهُ ومقانبُهْ
من الغزوِ حتى انضمَّ كلُّ ثميلةٍ ... وحتى انطوتْ من طولِ قودٍ جنائبهْ
يمدُّ المدَى للقومِ حتى تقطعتْ ... حبالُ القوَى وانشقَّ منهُ سبائبُهْ
فتًى الناسِ لمْ تصهرْ إليهِ محاربٌ ... ولا غنويٌّ دونَ قيسٍ يناسبُهْ

وقال يمدح بشر بن مروانَ: الطويل

صحا القلبُ عنْ أروَى فأقصرَ باطلُهْ ... وعادَ لهُ منْ حبِّ أرْوَى أخابلُهْ

أجدَّكَ ما تلقاكَ إلاَّ مريضةً ... يداوينَ قلباً ما تنامُ بلابلُهْ
عفا واسطٌ منها فآجامُ حامزٍ ... فروضُ القطا صحراؤُهُ فخمائلُهْ
وقدْ كانَ فيها منزلٌ نستلذُّهُ ... أعامِقُ برقاواتهِ فأجاوِلُهْ
وأدتْ إلينا عهدها أمُّ معمرٍ ... فقدْ جعلتنا كالخليطِ تزايلُهْ
دعتها نوًى عنها شطونٌ وليتها ... ثوتْ ما ثوى عندَ الكلابِ جنادِلُهْ

رأتْ أنَّ ريعانَ الشبابِ قدِ انجلَى ... وأنَّ مشيبي حاضرتني عواجلُهْ
وأصبحتْ كوفياً وأصبَحَ أهلُها ... مخارِمُ مردٍ دونهمْ فأبازِلُهْ
وسوفَ تؤدِّينا من اللهِ ذمةٌ ... وإلحاقُ تهجيرٍ بليلٍ أواصلُهْ
ومحتقرٌ جوزَ الفلاةِ إذا انتحى ... وشدَّ بمقتودٍ من الميْسِ كاهلُهْ
كأنِّي أغولُ الأرضَ عنِّي بقارحٍ ... أخِي قفرةٍ قدْ طارَ عنهُ نسائلهْ
طوَى بطنهُ طولُ السيافِ وألحقتْ ... معاهُ بصلبٍ قدْ تفلقَ فائلُهْ
رعَى العودُ ماءَ الأرضِ حتى تحسرَتْ ... عقيقتهُ وانضمَّ منهُ ثمائلُهْ
فلما تولَّى في جحافلِهِ السَّفا ... وراجعهُ مرْكوزهُ وذوابلهْ
تذكَّرَ قرْعاءَ القتودِ ولمْ يجدْ ... بها منهلاً إذْ أعوزتْهُ أكاحلُهْ
وظلَّ كمثلِ النصبِ يقذفُ طرفَهُ ... إلى كلِّ شخصٍ نابئٍ هوَ عادلُهْ
وذكرَها إذْ أدبرَ الصيفُ بالقرَى ... وحرتْ عليهِ الشمسُ عذباً مناهلهْ
فراحَ وراحتْ يتقيها بنحرهِ ... ويحملُها فوقَ الأحزةِ وابلُهْ
وطالَ عليهِ الشدُّ حتى كأنَّما ... ترى لسوادِ المروِ قرناً يصاولهْ
بمجتمعِ التلعينِ خوصاً كأنَّها ... هواجرُ وقادٍ ركودٍ أصائلُهْ
إذا اغترَّها من بطنِ غيثٍ تكشفتْ ... بروعاتهِ جحشانُهُ وحلائلُهْ
غيورٌ طوى طيَّ الملاءِ بطونَها ... ولوحَها تشحاجُهُ وصلاصِلُهْ
بصيرٌ بأخراها يسوفُ فروجَها ... عليهنَّ ذَيّالٌ خيفيفٌ ذلاذلهْ
تبصبصُ منهُ كلُّ قوداءَ مرتجٍ ... إذا لانَ عنْ طولِ الجراءِ أباجلُهْ

كأنَّ اللواتِي هنَّ مكتنفاتهُ ... قوى أندرِيٍّ أحكمَ الصنعَ فاتلُهْ

ثلاثَ ليالٍ ثمَّ صبحنَ ريَّةً ... وخضراً من الوادي رِواءً أسافلُهْ

فظلَّ يسوفُ النهيَ حتى تمدرَتْ ... بطينِ الربًّا أرساغُهُ وجحافلهْ

يغنيه بالفيضِ البعوضُ كأنَّها ... أغانيُّ عرسٍ صنجهُ وجلاجلُهْ

فظلَّ بحيزومٍ يفلُّ نسورهُ ... ويوجعُهُ صوانُهُ ومعابلُهْ

إذا مسَّ أطرافَ السنابكِ ردَّها ... إلى صلبِها جادِي حصاهُ وجائلُهْ

على أنَّهُ يكفيهِ صمٌّ نسورُه ... ورسغٌ أمينٌ لمْ تخنهُ أباجلُهْ

ومستقبلٍ لفحَ الحرورِ فأصبحتْ ... إليكمْ أبا مروانَ شدَّتْ رواحلُهْ

إليكم من الأغوالِ حتى يزرنكمْ ... بمدحَةِ محمودٍ ثناهُ وقابلُهْ

جزاءً وشكراً لامرئٍ ما يغبني ... إذا جئتُهُ نعماؤُهُ وفواضِلُهْ

أخُو الحربِ لا ينفَكُّ يُدْعَى لعُصْبَةٍ ... حروريةٍ أو أعجمِيٍّ يقاتلُهْ

معانٌ بكفيْهِ الأعنةُ أشعلَتْ ... لكلِّ عدًى نيرانُهُ وقنابلُهْ

أبحتَ حصونَ الأعجَمينَ فأمسكَتْ ... بأبوابِها من منزلٍ أنتَ نازلُهْ

ضروبٌ عراقيبَ المطِيِّ كأنَّما ... يبارِي جمادَى إذْ شتَا ويخايلُهْ

إذا غابَ عنَّا غابَ عنَّا رَبِيعُنا ... وإنْ شهْدَ أجدَى فيضُهُ وجداولُهْ

فإنَّكَ حصْنٌ من قريشٍ وإننِي ... بأسبابِ حبلٍ منكمُ ما أزايلُهْ

جزَى الله بشراً عن قذُوفٍ بنفسهِ ... على الهولِ ما ينفكُّ ترمَى مقاتلُهْ

جزاءَ امرئٍ أفضَى إلى اللهِ قلبُهُ ... بتوبتهِ فانفلَّ عنهُ أثاقلُهْ

فَما كانَ قرمٌ مثلهُ لكريهةٍ ... ولا مستقلٌّ بالذي هوَ حاملُهْ

إذا وزَنَ الأقوامُ لمْ يلفَ فيهمِ ... كبشرٍ ولا ميزانُ بشرٍ يعادلُهْ

أغرُّ علَيْهِ التاجُ لا متعبِّسٌ ... ولا ورَقُ الدنيا عنِ الدينِ شاغلُهْ

إذا انفرَجَ الأبوابُ عنهُ رأيتهُ ... كصدرِ اليماني أخلصتْهُ صياقلُهْ

فإن يكُ هذا الدهرُ أوْدَى نعيمُهُ ... ولمْ يبقَ إلا عضُّهُ وزلازلُهْ

فما أنا من حبِّ الحياةِ بهاربٍ ... منَ الموتِ إنْ جاشتْ عليَّ مسايلُهْ

فلا تجعلَنِّي يا بنَ مروانَ كامرئٍ غلَتْ في هوى آل الزبَيْرِ مراجِلُهْ

يبايعُ بالكفِّ الذي قدْ عرفْتَها وفي قلبهِ ناموسُه وغوائلُهْ

وقال يمدح همامَ بنَ مطرفٍ التغلبيَّ: الطويل

ألا طرقتْ أروَى الرحالَ وصحبتِي بأرضٍ يناصي الحزنَ منها سهولُها

وقدْ غابتِ الشعرَى العبورُ وقاربَتْ لتنزلَ والشعْرَى بطيءٌ نُزولُها

ألمَّتْ بشعْثٍ راكبينَ رؤوسَهُمْ وأكوارَ عيسٍ قدْ براها رحيلُها

تبيَّنْ خليلي ناصحَ الطرْفِ هلْ ترى بعينكَ ظعناً قدْ أقلَّ حمولُها

تحملنَ من صحراءِ فلجٍ ولمْ يكدْ بصيرٌ بها منْ ساعةٍ يستحيلُها

نواعمُ لمْ يلقينَ في العيشِ ترحَةً ولا عثرةً منْ جدٍّ سوءٍ يزيلها

ولو باتَ يسرِي الذرُّ فوقَ جلودِها لأثرَ في أبشارِهِنَّ محيلُها

تمايَلْنَ للأهواءِ حتى كأنما يجوزُ بها في السيرِ عمداً دليلها

فلمّا استوَى نصفُ النهارِ وأظهرَتْ وقدْ حانَ منْ عفْرِ الظباءِ مقيلُها

حثثْنَ المطايا فاصمعَدَّتْ لشأنِها ومدَّ أزماتِ الجمالِ ذميلُها

فلما تلاحقْنا نبذْنا تحيةً إليهنَّ والتذَّ الحديثَ أصيلُها

فكان لَدَيْنا السِّرَّ بيْني وبينَها ولمعَ غضيضاتِ العُيونِ رَسُولها

فما خلتُها لاَّ دوالِحَ أوقرَتْ وكمتْ بحملٍ نخلُها وفسيلُها

تسلسَلَ فيها جدولٌ منْ محلمٍ إذا زعزعتْها الريحُ كادَتْ تميلُها

يكادُ يحارُ المجتني وسطَ أيْكِها إذا ما تنادَى بالعَشِيِّ هديلُها

رأيتُ قرومَ ابْنَيْ نزارٍ كليْهما إذا خطرَتْ عندَ الإمامِ فحولُها

يرونَ لهمامٍ عليْهِمْ فضيلَةً إذا ما قرومُ الناسِ عدَّتْ فضولُها

وأكملَها عقلاً لدَى كلِّ موطنٍ إذا وزنَتْ فيما يشكُّ عقولُها

فتَى الناسِ همامٌ وموضعُ بيتهِ برابيةٍ يعلُو الروابي طلُولُها

فلَوْ كانَ همامٌ منَ الجنِّ أصبحَتْ سجوداً لهُ جنُّ البلادِ وغولُها

نمتْهُ الذُّرَى من مالكٍ وتعطَّفَتْ عليْهِ الروابي فرْعُها وأصُولُها

أجادَتْ بهِ ساداتُها فتبرعَتْ لأخلاقِهِ أمجادُها وخصيلُها

تذرَّى جبالاً منهمُ مكفَهرَّةً يكادُ يسدُّ الأفقَ منها حلولُها

تريعُ إلى صوتِ المنادي خيولُهُمْ إذا ضيعَتْ عوذُ النساء وحولُها

تعدُّ لأيامِ الحفاظِ كأنَّها قناً لمْ يقوِّمْ دَرْأها مستحيلُها

فما تبَلَتْ تبلاً فيدركَ عندَها ولا سبقَتْها في سواها تبولُها

سبُوقٌ لغاياتِ الحِفاظِ إذا جَرى ووَهّابُ أعناقِ المئين حمولُها

ودفاعُ ضيمٍ لا يُسامُ دنيَّةً وقطاعُ أقرانِ الأمورِ وصولُها

وأخاذُ أقصَى الحقِّ لا متهضمٌ أخوهُ ولا هشُّ القناةِ رذيلُها

أغرُّ أريبٌ ليْسَ ينقَضُ عهدُهُ ولا شاهداً مغبونَةً يستقيلُها

جوادٌ إذا ما أمحلَ الناسُ ممرعٌ كريمٌ لجوعاتِ الشتاءِ قتولُها

إذا نائباتُ الدهرِ شقتْ عليهمِ كفاهمْ أذاها فاستخفَّ ثقيلُها

عروفٌ لأصحابِ المرازئِ مالهُ إذا عجَّ منحوتَ الصفاةِ بخيلُها

وكرارُ خلفَ المرهقينَ جوادِهِ حفاظاً إذا لم يحمِ أُنثَى حليلُها

ثنَى مهرهُ والخيلُ رهوٌ كأنها قداحٌ على كفِّيْ مفيضٍ يجيلُها

يهينُ وراءَ الحيّ نفساً كريمةً لكبةِ موتٍ ليْسَ يودَى قتيلُها

ويعلمُ أنَّ المرءَ ليسَ بخالدٍ وأنَّ منايا الناسِ يسعَى دليلُها

فإنْ عاشَ همامٌ لنا فهوَ رحمةٌ منَ اللهِ لمْ ينفَسْ علينا فضُولُها

وإنْ ماتَ لمْ تستبدلِ الأرضُ مثلهُ لأخذِ نصيبٍ أوْ لأمرٍ يغولُها

وما بتُّ إلاَّ واثقاً إنْ مدحتُهُ بدولةِ خيرٍ منْ نداهُ يديلُها

وقال أيضاً: الطويل

دَنا البينُ من أرْوَى فزالَتْ حمولُها لتشغلَ أروَى عن هواها شغُولُها

وما خفتُ منها البينَ حتى تزعزَعتْ هماليجُها وازورَّ عنِّي دليلُها

وأقسمُ ما تنآكَ إلاَّ تخيلَتْ على عاشقٍ جنانُ أرضٍ وغولُها

ترَى النفسُ أرْوَى جنةً حيلَ دونَها فيالكِ نفساً لا يُصابُ غليلُها

وكمْ بخلتْ أروَى بما لا يضيرُها ... وكم قتلتْ لوْ كانَ يودَى قتيلُها

وباعدَ أروَى بعدَ يومِ تعلَّةٍ ... حثيثُ مطايا مالكٍ وذميلُها

تواصَوا وقالُوا زعزعُوهنَّ بعدما ... جرى الماءُ منها وارفأنَّ جفولُها

إذا هبطَتْ مجهولَةً عسفَتْ بها ... معرقَةَ الألحي ظماءً خصيلُها

فإنْ تكُ قدْ شطتْ نواها فربَّما ... سقتنا دُجاها ديمةٌ وقبولُها

لها مربعٌ بالثني ثني مخاشنٍ ... ومنزلَةٌ لمْ يبقَ إلاَّ طلُولُها

طفتْ في الضُّحَى أحداجُ أرْوَى ... كأنَّها قرًى منْ جواثى محزئلٍّ فسيلُها

لدن غدوةً حتى إذا ما تقيظتْ ... هواجرُ من شعبانَ حامٍ أصيلُها

فما بلغتها الجردُ حتى تحسرَتْ ... ولا العيسُ حتَّى انضمَّ منها ثميلُها

لعمرِي لئنْ أبصرْتُ قصدي لرُبَّما ... دَعاني إلى البيضِ المراضِ دليلُها

ووحشٍ أرانيها الصبا فاقتنصتُها ... وكأسٍ سلافٍ باكرتني شمولُها

فما لبثتنِي أنْ حنتني كما ... ترى قصيراتُ آيامِ االفَتَى وطويلُها

وما يزدَهينِي في الأمورِ أخفُها ... وما أضلَعَتْنِي يومَ نابَ ثقيلُها

ولكنْ جليلُ الرأيِ في كلِّ مواطنٍ ... وأكرمُ أخلاقِ الرجال جليلُها

إذا الشعراءُ أبصرتني تقاعسَتْ ... مقاحيمُها وازوَرَّ عني فحولُها

ومعترضٍ لو كنتُ أزمعتُ شتمهُ ... إذنْ لكفتهُ كلمةٌ لو أقولُها

قريبةُ تهجونِي وعوفُ بنُ مالكٍ ... وزيُد بنُ عمرٍو وغرُّها وكهولُها

ألا إنَّ زيدَ اللاتِ لا يتسجيرُها ... كريمٌ ولا يوفِي قتيلاً قبيلُها

معازِلُ حلالُونَ بالغيبِ لا تَرَى ... غريبتهمْ إلاّ لئيماً حليلُها

أمعشرَ كلبٍ لا تكونُوا كأنكمْ ... بعمياءَ مسدودٍ عليكمْ سبيلُها

فما الحقُّ ألاّ تنصفُوا من قتلتمُ ... ويودَى لعوفٍ والعُقابِ قتيلُها

ولا تنشدُونا من أخيكمْ ذمامةً ... ويسلمَ أصداءَ العويرِ كفيلُها

أحاديثُ سدّاها ابنُ حدْراءَ فرقَدٌ ... ورمازةٌ مالتْ لمنْ يستميلُها

إذا نمتَ عن أعراضِ تغلبَ لم تنمْ ... أبا مالكٍ أضغانُها وذحولُها
فلا تُسقِطنْكُم بعدَها آلَ مالكٍ ... شرارُ أحاديثِ الرجالِ وقيلُها
جزَى اللهُ خيراً من صديقٍ وإخوةٍ ... بما عملتْ تيمٌ وأوتِي سولُها

حسان بن ثابت

وقال حسانُ بنُ ثابتِ بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وهو تيمْ الله من الخزرج بن ثعلبة العنقاء بن عمرو ومزيقياء بن عامرٍ ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد. وأم حسان الفريعة بنت خنيس بن لوذان من الخزرج أيضاً، يقولها يوم فتح مكة: الوافر

عفتْ ذاتُ الأصابعِ فالجواءُ ... إلى عذراءَ منزلُها خلاءُ
ديارٌ من بني الحسحاسِ قفْرٌ ... تعفتها الروامِسُ والسماءُ
وكانتْ لا يزالُ بها أنيسٌ ... خلالَ مروجها نعمٌ وشاءُ
فدعْ هذا ولكنْ منْ لطيفٍ ... يؤرقني إذا ذهبَ العشاءُ
لشعثاءَ التي قدْ تيمتهُ ... فليْسَ لقلبهِ منْها شفاءُ
كأنَّ خبيةً منْ بيتِ رأسٍ ... يكونُ مزاجَها عسَلٌ وماءُ
على أنيابها أوْ طعمُ غضٍّ ... منَ التفاحِ هصرهُ اجتناءُ
إذا ما الأشرِباتُ ذكرنَ يوماً ... فهنَّ لطيبِ الراحِ الفداءُ
نوليها الملامَةَ إنْ ألمْنا ... إذا ما كانَ مغثٌ أو لحاءُ
ونشربُها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ
عدمنا خيلَنا إنْ لَمْ تروْها ... تثيرُ النقْعَ موعدُها كداءُ
يبارِينَ الأسنةَ مصغياتٍ ... على أكتافِها الأسلُ الظماءُ
تظلُّ جيادُنا متمطراتٍ ... يلطمُهُنَّ بالخمرِ النساءُ
فإمّا تعرضُوا عنا اعتمرنا ... وكانَ الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ
وإلاَّ فاصبرُوا لجلادَ يومٍ ... يعينُ الله فيهِ من يشاءُ
وقالَ اللهُ قدْ يسرتُ جنداً ... همُ الأنصارُ عرضتُها اللقاءُ

لنا في كلِّ يومٍ منْ معدٍّ ... قتالٌ أو سبابٌ أو هجاءُ

فنحكم بالقوافِي من هجانا ... ونضربُ حينَ تختلطُ الدماءُ
وقال اللهُ قدْ أرْسلْتُ عبداً ... يقولُ الحقَّ إنْ نفَعَ البلاءُ
شهدتُ بهِ وقومِي صدَّ قوهُ ... فقلتم ما نجيبُ وما نشاءُ
وجبريلٌ أمينُ اللهِ فينا ... وروحُ القدسِ ليس لهُ كفاءُ
ألا أبلغْ أبا سفيانَ عنِّي ... فأنتَ مجَّوفٌ نخبٌ هواءُ
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنهُ ... وعندَ اللهِ في ذاكَ الجزاءُ
أتهجُوهُ ولستَ لهُ بكفوءٍ ... فشرُّكُما لخيركُما الفداءُ
فمَن يهجُو رسولَ اللهِ منكمْ ... وينصرُهُ ويمدحُهُ سواءُ
فإنَّ أبي ووالداهُ وعرضِي ... لعرضِ محمدٍ منكمْ وقاءُ
فإما تثقفَنَّ بنِي لؤيٍّ ... جذيمةُ إنَّ قتلَهُمُ شفاءُ
أولئكَ معشرٌ نصرُوا علينا ... ففي أظفارِنا منهمْ دماءُ
وحلفُ الحارثِ بن أبي ضرارٍ ... وحلفُ قريظةٍ منا براءُ
لسانِي صارِمٌ لا عيْبَ فيهِ ... وبحرِي ما يُكدرُهُ الدلاءُ

وقال حسان أيضاً: الطويل

ألَمْ تسألِ الربعَ الجديدَ التكلُّما ... بمدفَعِ أشداخٍ فبرقةِ أظلَما
أبى رسمُ دارِ الحيِّ أنْ يتكلَّما ... وهلْ ينطقُ المعروفَ مَنْ كانَ أبْكما
بقاعِ نقيعِ الجزعِ منْ بَطْنِ يلْيلٍ ... تحملَ منهُ أهلُهُ فتتهَّما
ديارٌ لشعثاءِ الفؤادِ وتربها ... ليالِيَ تحتلُّ المراضَ فتغلما
وإذْ هيَ حوراءُ المدامعَ ترتعِي ... بمندفِعِ الوادِي أراكاً منظما
أقامتْ بهِ بالصيفِ حتى بدا لها ... نشاصٌ إذا هبتْ لهُ الريحُ أرزَما
فلما دنتْ أعضادُهُ ودَنا لهُ ... منَ الأرْضِ دانٍ جوزُهُ فتحمحما
تحنُّ مطافيلُ الرباعِ خلالهُ ... إذا استَنَّ في حافاتِهِ البرقُ أثجما

وكادَ بأكنافِ العقيقِ وئيدُهُ يحطُّ منَ الجماءِ رُكناً ململما

فلما علا تربانَ وانهلَّ ودقُهُ تداعَى وألقَى بركَهُ فتديَّما

وأصبح منهُ كلُّ مدفعِ تلعَةٍ يكبُّ العضاهَ سيلُهُ ما تصرَّما

تنادَوا بليلٍ فاستقلَّتْ حمولُهمْ وعالينَ أنماطَ الدِّرَقْلِ المرقَّما

عسجنَ بأعناقِ الظباءِ وأبرزتْ حواشي برودِ القطْرِ وشياً منمنما

فأنَّى تلاقِيها إذا حلَّ أهلُها بوادٍ يمانٍ من غفارٍ وأسْلَما

تلاقٍ بعيدٌ واختلافٌ منْ النوَى تلاقيكها حتى توافِيَ موسِما

سأهْدِي لها في كلِّ عامٍ قصيدَةً وأقعدُ مكفيّاً بيثربَ مكرما

ألستُ بنعمَ الجار يؤلفُ بيتهُ لدى العرفِ ذا مالٍ كثيرٍ ومعدما

وندْمانِ صدْقٍ تمطرُ الخيرَ كفُّهُ إذا راحَ فياضَ العشياتِ خضرْما

وصلتُ بهِ ركنِي ووافَقَ شيمَتِي ولمْ أكُ عضاً في الندامَى ملوَّما

وأبقَى لنا مرُّ الحروبِ ورزؤُها سيوفاً وأدراعاً وجمعاً عرمرْما

إذا اغبرَّ آفاقُ السماءِ وأمحلَتْ كأنَّ عليها ثوبَ عصبٍ مسهَّما

حسبتَ قدورَ الصادِ حولَ بيوتنا قنابلَ دهماً في المحلةِ صيَّما

يظلَ لديْها الواغلُونَ كأنَّما يوافُونَ بحراً منْ سميحةَ مفعما

لنا حاضرٌ فعمٌ وبادٍ كأنَّهُ شماريخُ رضوَى عزةً وتكرُّما

متى ما تزنا من معدٍّ بعصبَةٍ وغسانَ نمنعْ حوضَنا أن يُهَدَّما

بكلِّ فتًى عارِي الأشاجعِ لاحَهُ قراعُ الكماةِ يرشَحُ المسكَ والدَّما

إذا استدبرتْنا الشمسُ دِرتْ متوننا كأنَّ عروقَ الجوفِ ينضحنَ عندما

ولدْنا بني العنقاءِ وابنيْ محرقٍ فأكرِمْ بنا خالاً وأكرِمْ بنا ابْنَما

نسوِّدُ ذا المالِ القليلِ إذا بدتْ مروءَتُهُ فينا وإنْ كانَ مُعدما

وإنّا لنقرِي الضيفَ إنْ جاءَ طارقاً من الشحمِ ما أمْسَى صحيحاً مسلما

ألسنا نردُّ الكبْشَ عنْ طيةِ الهوى ونقلبُ نيرانَ الوشيج محطَّما

وكائنْ ترَى منْ سيدٍ ذي مهابةٍ أبوهُ أبُونا وابنُ أختٍ ومحرما

لنا الجفناتُ الغرُّ يلمعنَ بالضُّحَى وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دَما

أبّى فعلُنا المعروفَ أنْ تنطقَ الخنا وقائلنا بالعرْفِ إلا تكلَّما

فكلُّ معدٍّ قدْ جزيْنا بصنعهِ فبؤسَى ببؤساها وبالنعمِ أنعما

وقال حسان: الطويل

لكِ الخيرُ غضّي اللومَ عنّي فإنني أحبُّ من الأخلاقِ ما كانَ أجملا

ذريني وعلمِي بالأمورِ وشيمتي فما طائري فيها عليكِ بأخيلا

فإنْ كنتِ لا منّي ولا منْ خليقتي فمنكِ الذي أمْسَى عنِ الخيرِ أعزَلا

ألمْ تعلمِي أنّي أرَى البخلَ سبَّةً وأبغضُ ذا اللونيْنِ والمتنقلا

إذا انصرَفَتْ نفسِي عنِ الشيءِ مرَّةً فلستُ إليهِ آخرَ الدَّهرِ مقبلا

وإنّي إذا ما الهمُّ ضافَ قريتُهُ زماعاً ومرقالَ العشياتِ عيهلا

ململمةً خطارَةً لو حملْتُها على السيفِ لمْ تعدِلُ عن السيفِ معدلا

إذا انبعثتْ من مبركٍ غادرَتْ بهِ قوائمَ أمثالِ الزبائبِ ذبَّلا

فإن بركتْ خوَّتْ على ثفناتها كأنَّ على حيزومها حرفَ أعبَلا

مروعَةٌ لو خلفَها صرَّ جندَبٌ رأيتَ لها من روعةِ القلبِ إفكلا

وإنّا لقومٌ ما نسودُ غادراً ولا ناكِلاً عندَ الحمالةِ زُملا

ولا مانعاً للمالِ فيما ينوبُهُ ولا ناكلاً في الحربِ جبساً مغفلا

نسوِّدُ منا كلَّ أشيَبَ بارعٍ أغرَّ تراهُ بالجلالِ مكلَّلا

إذا ما انتدَى أجْنَى الندَى وابْتَنَى العُلَى وأُلفِيَ ذا طولٍ على منْ تطولا

فلستَ بلاقٍ ناشئاً من شبابِنا وإن كانَ أندَى منْ سوانا وأجزَلا

نطيعُ فعالَ الشيخِ منا إذا سما لأمرٍ ولا نعيا إذا الأمرُ أعضَلا

لهُ إربَةٌ في حزمِه وفعالِهِ وإنْ كانَ منّا حازِمَ الرّأيِ حوَّلا

وما ذاكَ إلاَّ أنَّنا جعلَتْ لنا أكابرُنا في أوّلِ الخيرِ أولا

فنحنُ الذُّرَى منْ نسلِ آدَمَ والعُرَى تربَّعَ فينا المجدُ ثمَّ تأثَّلا

بنى العزُّ بيتاً فاستقرَّتْ عمادُهُ علينا فأعيَى الناسَ أنْ يتحوَّلا
وإنكَ لنْ تلقَى منَ الناسِ معشراً أعزَّ منَ الأنصارِ عزّاً وأفضَلا
وأكثرَ أنْ تلْقَى إذا ما أتيتهُمْ لهمْ سيِّداً ضخمَ الدسيعةِ جحفلا
وأشيَبَ ميمونَ النقيبةِ ينتفَى بهِ الخطرُ الأغلَى وطفلاً مؤملا
وأمردَ مرتاحاً إذا ما ندبْتَهُ تحملَ ما حملْتَهُ فتربلا
وعدّاً خطيباً لا يُطاقُ جوابُهُ وذا إربَةٍ في شعرِهِ متنخلا
وأصْيَدَ نهاضاً إلى السيفِ ضارباً إذا ما دَعا داعٍ إلى الموتِ أرْقَلا
وأغيدَ مختالاً يجرُّ إزارهُ كثيرَ الندَى طلقَ اليديْنِ معذَّلا
لنا حرَّةٌ مأطورَةٌ بجبالِها بنَى المجدُ فيها بيتهُ فتأهَّلا
بها النخلُ والآطامُ يجري خلالَها جداولُ قدْ تعلُوا رقاقاً وجرولا
إذا جدولٌ منها تصرَّمَ ماؤهُ وصلْنا إليْهِ بالنواضِحِ جدولا
على كلِ مفهاقٍ خسيفٍ غروبُها تفرَّغُ في حوضٍ من الصخرِ أنْجَلا
لهُ غللٌ في ظلِّ كلِّ حديقةٍ يعارضُ يعبُوباً من الماءِ سلسَلا
إذا جئتَها ألفَيْتَ في حجراتِها عناجيجَ قبّاً والسوامَ المؤبَّلا
جعلنا لها أسيافنا ورماحنا منَ الجيشِ والأعْرابِ كهفاً ومعقِلا
إذا جمعوا جمعاً سمونا إليهمِ بهنديَّةٍ تُسقَى الذُّعافَ المثمَّلا
نصرْنا بها خير البريَّة كلِّها إماماً ووقَّرْنا الكتابَ المنزَّلا
نصرنا وآويْنا وقوَّمَ ضربُنا لهُ بالسيُوفِ ميْلَ منْ كانَ أمْيَلا
وإنْكَ لنْ تلْقَى لنا من معنِّفٍ ولا عائبٍ إلاَّ لئيماً مضلَّلا
وإلاَّ امْرَءاً قدْ نالَهُ من سُيُوفنا ذُبابٌ فأمْسَى مائلَ الشَّقِ أعْزَلا
فمنَ يأتِنا أو يلقَنا عنْ جنابَةٍ تجدْ عندَنا مثوًى كريماً وموئلا
نجيرُ فلا يخشَى البوادرَ جارُنا ولاقَى الغنَى في دُورنا فتموَّلا

وقال حسانٌ: الكامل

إنَّ النضيرةَ ربَّةَ الخدرِ أسرَتْ إليكَ ولمْ تكنْ تسري

فوقفْتُ بالبيداءِ أسألُها ... أنَّى اهْتديْتِ لمنزلِ السفرِ
والعيسُ قد رَفضتْ أزمتَها ... ممّا ترونَ بها من الفترِ
وعلتْ مساوِيها محاسِنها ... ممّا أضرَّ بها منَ الضمَّرْ
كُنّا إذا ركدَ النهارُ لنا ... نغتالُهُ بنجائبٍ صعرِ
عوجٌ نواعجُ يغتلينَ بنا ... يغنينَ دونَ النصِّ بالزجرِ
مستقبلاتٍ كلَّ هاجرةٍ ... ينفخنَ في حلقٍ من الصفرِ
ومناخُها في كلِّ منزلةٍ ... كمبيتِ جونيّ القطا الكُدْرِ
وسما على عُودٍ فعارَضَنا ... حرباؤُها أوْ هَبَّ بالخطْرِ
وتكلُّفي اليومَ الطويلَ وقدْ ... صرتْ جنادِبُهُ منَ الظهْرِ
والليْلَةَ الظلْماءَ أدْلجُها ... بالقومِ في الديْمومةِ القفرِ
ينعى الصَّدَى فيها أخاهُ كما ... ينعى المفجَّعُ صاحبَ القبرِ
وتحولُ دونَ الكفِّ ظلمتُها ... حتى تشقَّ على الذي يسْرِي
ولقدْ أرَيْتُ الرَّكْبَ أهْلَهُمُ ... وهديْتُهُمْ بمهامةٍ غبْرِ
وبذلتُ ذا رحلي وكنتُ به ... سمحاً لهمْ في العسرِ واليُسْرِ
فإذا الحوادثُ ما تضعضعُني ... ولا يضيقُ بحاجَتي صدري
يُعْيِي سقاطِي من يوازنُني ... إنِّي لعمرُكَ لستُ بالهَذْرِ
إنِّي أكارِمُ من يكارِمُني ... وعلى المكاشح ينتحِي ظُفْرِي
لا أسرِقُ الشُّعَراءَ ما نَطَقُوا ... بلْ لا يوافقُ شعرُهُمْ شعْرِي
إنِّي أبَى لِيَ ذاكَ لِي حَسَبِي ... ومقالَةٌ كمقالِع الصَّخْرِ
وأخِي منَ الجنِّ البصيرُ إذا ... حاكَ الكلامَ بأحْسنِ الحَبْرِ
أيصيرُ ما بيني وبينكمْ صرمٌ ... وما أحدثْتُ من هجرِ
جودي فإنَّ الجودَ مكرُمَةٌ ... واجزِي الحُسامَ ببعضِ ما يفرِي
وحلَفْتُ لا أنْساكمُ أبداً ... ما رَدَّ طرْفَ العينِ ذو شُفُرِ
وحلفْتُ لا أنْسَى حديثَكِ ما ... ذكر الغويُّ لذاذةَ الخمرِ

ولأنتِ أحْسَنُ إذْ برزْتِ لنا يومَ الخروجِ بساحةِ القصرِ

من دُرَّةٍ أغلى الملُوكُ بها مما تربَبَ حائرُ البحرِ

ممكورةِ الساقيْنِ شبهُهُما برديَّتا متحيِّرٍ غمرِ

تنمِي كما تنمي أرومَتُها بمحلِّ أهْلِ المجدِ والفخْرِ

يعتادُني شوقٌ فأذكرُها من غَيْرِ ما نَسَبٍ ولا صِهْرِ

كتذَكُّرِ الصَّادي ولَيْسَ لهُ ماءٌ بقنَّةِ شاهِقٍ وعرِ

ولقدْ تخالسُنِي فيمنَعُنِي ضيقُ الذِّراعِ وعلَّةُ الخفْرِ

قومِي بنُو النجارِ هديُهُمُ حسَنٌ وهمْ لي حاضِرُو النصرِ

الموتُ دُونِي لستُ مهتضماً وذوو المكارِمِ منْ بنِي عمرو

جرثومةٌ عزٌّ مناكبُها كانتْ لنا في سالِفِ الدهْرِ

وقال حسان:

أولئكَ قومِي فإنْ تسألِي كرامٌ إذا الضَّيْفُ يوماً ألَمْ

عظامُ القدورِ لأيْسارِهِمْ يكبُّونَ فيها المسنَّ السنِمْ

يواسُونَ مولاهمُ في الغِنَى ويحمونَ جارَهمُ إنْ ظلِمْ

وكانُوا ملوكاً بأرْضِيهِمِ يبادونَ غضباً بأمرٍ غشِمْ

ملوكاً على الناسِ لمْ يملكُوا منَ الدهرِ يوماً كحلِّ القسَمْ

فأنبوْا بعادٍ وأشياعهِمْ ثمودَ وبعضِ بقايا إرَمْ

بيثرِبَ قدْ شيَّدُوا في النخيلِ حصوناً ودجَّنَ فيها النعَمْ

نواضِحُ قدْ علمتْها ال يهودُ علْ إليْكَ وقوْلاً هلُمّ

وفيما اشتهوا من عَصيرِ القطافِ وعيشٍ رَخيٍّ على غيْرِ همّ

فسارُوا إليْهِمْ بأثقالِهِمْ على كلِّ فحلٍ هجانٍ قطِمْ

جيادُ الخيولِ بأجنابِهِمْ وقدْ جلَّلُوها ثخانَ الأدَمْ

فلما أناخُوا بجنبَيْ ضِرارٍ وشدُّوا السرُوجَ بليّ الحزُمْ

فما راعَهُمْ غَيْرُ معجِ الخيُو لِ والزَّحْفُ منْ خلفِهِمْ قدْ دهَمْ

فطارُوا شلالاً وقدْ أفزِعُوا ... وطِرنا إليهمْ كأسدِ الأجمْ

على كلِّ سلْهَبَةٍ في الصيّا ... نِ لا يشتكينَ لطولِ السّأمْ
وكلِّ كميْتٍ مطارِ الفؤادِ ... أمينِ الفصوصِ كمثلِ الزُّلَمْ
عليْها فوارسُ قدْ عاوَدُوا ... قراعَ الكُماة وضَرْبَ البُهَمْ
ليوثٌ إذا غضبُوا في الحرو ... بِ لا ينكلُونَ ولكنْ قدُمْ
فأبْنا بسادَتِهِمْ والنسا ... ءِ قسراً وأموالُهُمْ تقتسمْ
ورثْنا مساكنَهُمْ بعدَهُمْ ... فكنّا ملوكاً بها لمْ نرمْ
فلمّا أتانا رسُولُ المليكِ ... بالنورِ والحقِّ بعدَ الظلمْ
ركنّا إليهِ ولمْ نعصِه ... غداةَ أتانا منَ أرْضِ الحرَمْ
وقلنا صدقْتَ رَسولَ المليكِ ... هلُمَّ إلينا وفينا أقمْ
فأشهدُ أنكَ عندَ المليكِ ... أرسلْتَ نوراً بدينٍ قيمْ
فنادِ بما كنتَ أخفيْتَهُ ... نداءً جهاراً ولا تكتتمْ
فإنّا وأولادَنا جنَّةٌ ... نقيكَ وفي مالِنا فاحْتَكِمْ
فنحنُ ولاتُكَ إذْ كذبُو ... كَ فنادِ نداءُ ولا تحتشمْ
فطارَ الغواةُ بأشياعِهِمْ ... إليهِ يظنونَ أن يُخترَمْ
فقمنا بأسيافنا دونَهُ ... نجالدُ عنهُ بغاةَ الأمَمْ
بكلِّ صقيلٍ لهُ ميعةٌ ... رقيقُ الذُّبابِ غمُوسٌ خذِمْ
إذا ما يُصادِفُ صمَّ العظا ... مِ لمْ ينبُ عنها ولمْ ينثلِمْ
فذَلكَ ما أورَثَتْنا القرُو ... نُ مجداً تليداً وعزاً أمَمْ
إذا مرَّ قرنٌ كفَى نسلَهُ ... وخلَّفَ قرْناً إذا ما انقْصَمْ
فما إنْ منَ الناسِ إلاَّ لَنا ... عليهِ وإنْ خاسَ فضلُ النعمْ

وقال حسانٌ: الطويل

لمنْ منزلٌ عافٍ كأنَّ رسومَهُ ... خياعلُ ريطٍ سابريٍّ مرسَّمِ

خلاءُ المبادِي ما بهِ غيرُ ركدٍ ثلاثٍ كأمثالِ الحمائمِ جثمِ

وغيرُ شجيجٍ ماثلٍ حالفَ البلَى وغيْر بقايا كالسَّحِيقِ المنمنَمِ

يعلُّ رياح الصيْفِ بالِي هشيمهِ على ماثلٍ كالحوضِ عافٍ مثلَّمِ

كستْهُ سرابيلَ البلَى بعدُ عهدِه وجونٌ سرَى بالوابلِ المتهزمِ

وقدْ كانَ ذا أهْلٍ كثيرٍ وغبطَةٍ إذا الحَبْلُ حبلُ الوصْلِ لمْ يتصرَّمِ

وإذْ نحنُ جيرانٌ كثيرٌ بغبطَةٍ وإذْ ما مضَى منْ عيشنا لمْ يصرَّمِ

وكلُّ حثيثِ الودْقِ منبثقِ العُرَى متى تزجهِ الريحُ اللواحقُ يسجمِ

ضعيفُ العرَى دانٍ منَ الأرضِ بركهُ مسفٌّ كمثلِ الطودِ أكظَمَ أسحَمِ

فإن تكُ ليلَى قدْ نأتكَ ديارُها وضنتْ بحاجاتِ الفؤادِ المتيمِ

وهمتْ بصرْمِ الحبلِ بَعدَ وصالهِ وأصغَتْ لقول الكاشِحِ المتزعمِ

فما حبلُها بالرَّثِّ عندِي ولا الذي يغيرُهُ نأيٌ ولوْ لمْ تكلَّمِ

وما حُبُّها لوْ وكَلَتْني بوَصلْهِ ولوْ صرمَ الخلانُ بالمتصرَمِّ

لعمرُ أبيكِ الخيرِ ما ضاعَ سرُّكُمْ لدَيّ فتجزينِي بعاداً وتصرمِي

ولا ضقْتُ ذرعاً بالهوى إذْ ضمنتهُ ولا كظَّ صدْرِي بالحديثِ المكتمِ

ولا كانَ ممّا كانَ ممّا تقولُوا عليَّ ونثُّوا غيرَ ظنٍّ مرجَّمِ

فإنْ كُنْتِ مما تجبُرِينا فسائِلِي ذَوِي العلْمِ عنا كيْ تُنَبَّى فتعْلَمِي

متى تسألِي عنّا تنبَّى بأنَّنا كرامٌ وأنّا أهْلُ عزٍّ مقدَّمِ

وأنّا عرانِينٌ صقورٌ مصالتٌ نهزُّ قناةً متنُها لمْ يُوَصَّمِ

لعمرُكَ ما المعترُّ يأتِي بلادَنا لنمْنَعَهُ بالضائعِ المتهضَّمِ

ولا ضيفنا عندَ القرَى بمدفَّعٍ وما جارُنا في النائباتِ بمسْلَمِ

وما السيدُ الجبارُ حينَ يريدُنا بكيدٍ على أرْماحنا بمحرَّمِ

نبيحُ حمَى ذِي العزِّ حينَ نكيدُهُ ونحمِي حمانا بالوشيجِ المقومِ

ونحنُ إذا لمْ يبرمِ الناسُ أمرهُم نكونُ على أمرٍ منْ الحقِّ مُبْرَمِ

ولوْ وزنَتْ رَضْوَى بحلْمِ سراتِنا لمالَ برَضْوَى حِلْمُنا ويرَمْرِمِ

ونحنُ إذا ما الحربُ حلَّ صرارُها وجادَتْ على الحُلاَّبِ بالموتِ والدَّمِ

ولمْ يُرْجَ إلاَّ كلُّ أرْوَعَ ماجدٍ شديدِ القوَى ذي عزةٍ وتكرُّمِ
نكونُ زمامَ القائِدينَ إلى الوَغَى إذا الفشِلُ الرعديدُ لمْ يتقدَّمِ
فنحنُ كذاكَ الدهرَ ما هبَّتِ الصَّبا نعودُ على جهالِهِمْ بالتحلُّمِ
فلوْ فهمُوا ووفقُوا رُشْدَ أمرِهمْ أخذْنا عليهمْ بعدَ بؤسى بأنعُمِ
فإنّا إذا ما الأفْقُ أمْسَى كأنَّما على حافَتَيْهِ ممْسِياً لوْنُ عندَمِ
لنطعمُ في المشتى ونطعنُ بالقنا إذا الحربُ عادتْ كالحريقِ المضرَّمِ
وتلقَى على أبياتِنا حينَ نجتَدَى مجالسَ فيها كلُّ كهلٍ معمَّمِ
رفيع عمادِ البيتِ يسترُ عرضَهُ منَ الذمِّ ميمونُ النقيبة خضرمِ
جوادٍ على العلاتِ رحبٍ فناؤُهُ متى يسألِ المعروفَ لا يتجهمِ
ضرُوبٍ بأعجازِ القداحِ إذا شتا سريعٍ إلى داعِي الهياجِ مصممِّ
أشَمَّ طويلِ الساعدَيْنِ سميْدَعٍ معيدِ قراعِ الدارعِينَ مكلَّمِ

وقال حسان في يوم أحد يرد على عبد الله بن الزبعرى قوله: الرمل

ليتَ أشياخِي ببدرٍ شهدوا جزعَ الخزرجِ من وقعِ الأسلْ
ذهبتْ بابنِ الزبعرى وقعةٌ كانَ منا الفضلُ لوْ كانَ عدلْ
ولقدْ نلتمْ ونلنا منكمُ وكذاكَ الحربُ أحياناً دُولْ
إذ شددْنا شدَّةً صادقَةً فأجأناكمْ إلى سفحِ الجبلْ
إذْ تولُّونَ على أعقابكمْ هرباً في الشعبِ أشباهَ الرسلْ
نضعُ الخطيَّ في أكتافكمْ حيثُ نهوى عللاً بعدَ نهلْ
فشدخنا في مقامٍ واحدٍ منكمُ سبعينَ غيرَ المنتحلْ
وأسرنا منكمُ أعدادهُمْ فأنصرفتمْ مثلَ إفلاتِ الحجلْ
نخرجُ الأكدرَ منْ أستاهكمْ مثلَ ذرقِ النيبِ يأكلنَ العصلْ
لمْ يقوتونا بشيءٍ ساعةً غيرَ أنْ ولوا بجهدٍ وفشلْ

ضاقَ عنا الشِّعبُ إذْ نجزعهُ		وتلانا الفرطُ منهمْ والرجَلْ

برجالٍ لستمُ أمثالها		أيدوا جبريلَ نصراً فنزلْ

وعلونا يومَ بدرٍ بالتقَى		طاعةَ اللهِ وتصديق الرسلُ

وتركنا في قريشٍ عورةً		يومَ بدرٍ وأحاديث مثلْ

وتركنا من قريشٍ جمعهمْ		مثلَ ما جمعَ في الخصبِ الهملْ

فقتلْنا كلَّ رأس منهمُ		وقتلنا كلَّ جحجاحٍ رفلْ

كمْ قتلنا من كريمٍ سيدٍ		ماجدِ الجدينِ مقدامٍ بطلْ

وشريفٍ لشريفٍ ماجدٍ		لا نباليهِ لدى وقعِ الأسلْ

نحنُ لا أنتمْ بني أستاهها		نحنُ في البأسِ إذا البأسُ نزلْ

وقال حسان: الطويل

نشدتُ بني النجارِ أفعالَ والدي		إذا لمْ يجدْ عانٍ لهُ من يوازعهْ

وراثَ عليهِ الوافِدُونَ فما ترى		على النأيِ منهمْ ذا حفاظٍ يعاطلهْ

وسدَّ عليهِ كُلُّ أمرٍ يريدهُ		وزيدَ وثاقاً فاقفعلتْ أصابعهْ

إذا ذكرَ الحيُّ المقيمَ حلولهمْ		وأبصرَ ما يلقَى استهلتْ مدامعهْ

ألسنا ننصُّ العيسَ فيهِ على الوجَى		إذا نامَ مولاهُ ولذَّتْ مضاجعهْ

ولا ننتهِي حتى نفكَ كبولَهُ		بأموالِنا والخيرُ يحمدُ صانعُهْ

وأنشدكمْ والبغيُ يهلكُ أهلهُ		إذا ما شتاءُ المحلِ هبتْ زعازعهْ

إذا ما وليدُ الحيِّ لمْ يسقَ شربةً		وقدْ ضنَّ عنهُ بالصبوحِ مراضعُهْ

وراحتْ جلادُ الشولِ حدباً ظهورها		إلى مسرحٍ بالجوِّ جدبٍ مراتعهْ

ألسْنا نكبُّ الكومَ وسطَ رحالِنا		ونستصلحُ المولَى إذا قلَّ رافِعُهْ

فإنْ نابَهُ أمرٌ وقتهُ نفوسُنا		وما نالنا منْ صالحٍ فهوَ واسعُهْ

وأنشدُكمْ والبَغْيُ يهلكُ أهلَهُ		إذا الكبشُ لمْ يوجدْ لهُ من يقارِعُهْ

ألسنا نوازِيهِ بجمعٍ كأنَّهُ		أتِيٌّ أعدتْهُ بلَيْلٍ دوافعهْ

فنكثرُكمْ فيه ونصلَى بحرهِ		ونمشِي إلى أبطالهِ فنماصِعُهْ

وأنشدكمْ والبغيُ يهلكُ أهلهُ		إذا الخصمُ لمْ يوجدْ لهُ من يدافعُهْ
ألسْنا نُصاديهِ ونعدِلُ ميلَهُ		ولا ننتَهِي أوْ يُخلصُ الحقَّ ناصعُهْ

فلا تكفرُونا ما فعلنا إليكمُ		وأثنُوا بهِ والكُفْرُ بُورٌ صنائعُهْ
كما لوْ فعلتمْ مثلَ ذاكَ إليهمُ		لأثْنَوا بهِ ما يأثرُ القولَ سامعهْ

وقال حسانٌ: الكامل

أسألتَ رسمَ الدارِ أمْ لَمْ تسألِ		بينَ الجوابي فالبضيعِ فحومَلِ
فالمرجُ مرجُ الصفرينِ فجاسمٌ		فديارُ سلمى درساً لمْ تحلَلِ
دارٌ لقومٍ قدْ أراهمْ مرةً		فوقَ الأعزةِ عزهمْ لمْ ينقلِ
للهِ درُّ عصابَةٍ نادمتهمْ		يوماً بجلقَ في الزمانِ الأولِ
أولادُ جفنةَ حولَ قبرِ أبيهمِ		قَبْرِ ابْنِ ماريَةَ الكريمِ المفْضِلِ
يغشونَ حتى ما تهرُّ كلابُهمْ		لا يسألونَ عنِ السوادِ المقبلِ
يسقونَ من وردَ البريصَ عليهمِ		بردى يصفقُ بالرحيقِ السلسلِ
يُسقونَ درياقَ المدامِ ولمْ تكنْ		تدعَى ولائدُهمْ لنقفِ الحنظلِ
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابهمْ		شمُّ الأنوفِ منَ الطرازِ الأوَّلِ
فلبثُ أزماناً طوالاً فيهمِ		ثمَّ ادكرتُ كأنني لمْ أفعَلِ
إما ترَيْ رأسِي تغيرَ لَوْنُهُ		شمطاً فأصبح كالثغامِ المحولِ
فلقدْ يراني موعديّ كأنني		في قصرِ دومةَ أوْ سواءِ الهيكلِ
ولقدْ شربتُ الخمرَ في حانُوتها		صهباءَ صافيَةً كطعمِ الفلفلِ
يسعَى علَيَّ بكأسِها متنطفٌ		فيعلنِي منْها ولَوْ لمْ أنهلِ
إنَّ التي ناولتنِي فرددتُها		قتلتْ قُتلت فهاتِها لمْ تقتلِ
كلتاهُما حلَبُ العصيرِ فعاطِني		بزجاجةٍ أرخاهُما للمفصلَ
بزجاجةٍ رقصتْ بما في قعرِها		رقصَ القلُوصِ براكبٍ مستعجلِ
نسبِي أصيلٌ في الكرامِ ومذوَدِي		تكوِي مواسِمُهُ جنوبَ المصطلَي

ولقدْ تقلدُنا العشيرةُ أمرَها ... ونسودُ يومَ النائباتِ ونعتلِي
ويسودُ سيدنا جحاجحَ سادةً ... ويصيبُ قائلُنا سواءَ المفصلِ
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركابُنا ... ومتى نحكمْ في البريةِ نعْدلِ
وفتَى يحبُّ الحمدَ يجعلُ مالهُ ... من دونِ والدِهِ وإنْ لمْ يسألِ
باكرتُ لذتهُ وما ماطلتُها ... بزجاجةٍ من خيرِ كرمٍ أهدلِ

وقال حسانٌ: الطويل

أهاجكَ بالبيداءِ رسمُ المنازلِ ... نعم قد عفاها كلُّ أسحمَ هاطلِ
وجرتْ عليها الرامِساتُ ذيولَها ... فلمْ يبقَ منها غيرُ أشعثَ مائلِ
ديارُ التي راقَ الفؤادَ دلالُها ... وعزَّ علينا أن تجودَ بنائلِ
لها عينُ كحلاءِ المدامعِ مطفلٍ ... تراعِي بغاماً يرتعِي بالخمائلِ
ديارُ التي كانتْ ونحنُ على منًى ... تحلُّ بنا لولا نجاءُ الرواحلِ
ألاَ أيُّها السَّاعِي ليدرِكَ مجدنا ... نأتكَ العُلَى فاربعْ عليكَ فسائلِ
فهلْ يستوِي ماءانِ أخضرُ زاهرٌ ... وحسيٌ ظنونٌ ماؤهُ غيرُ فاضِلِ
فمَنْ يعدِلِ الأذنابِ ويحكَ بالذُّرَى ... قد اختلفا برٌّ يحقُّ بباطلِ
تناولْ سهيلاً في السماءِ فهاتِهِ ... سيدرِكنا إنْ نلتَهُ بالأناملِ
ألَسنا بحلالينَ أرْضَ عدوِّنا ... تأنَّ قليلاً سلْ بنا في القبائلِ
تجدْنا سبقْنا بالفعالِ وبالنَّدَى ... وأمْرِ العَوالِي في الخُطوبِ الأوائلِ
ونحنُ سبقْنا الناسَ مجداً وسؤدداً ... تليداً وذكراً نامياً غيرَ خاملِ
ونحنُ سبقْنا الناسَ مجداً وسؤدداً ... تليداً وذكراً نامياً غيرَ خاملِ
لنا جبلٌ يعلو الجبالَ مشرفٌ ... فنحنُ بأعلى فرعهِ المتطاولِ
مساميحُ بالمعرُوفِ وسطَ رحالنا ... وشبانُنا بالفحشِ أبخلُ باخلِ
ومنْ خيرِ حيٍّ تعلمونَ لسائلٍ ... عفافاً وعانٍ موثَقٍ في السلاسِلِ
ومنْ خيْرِ حيٍّ يعلَمُونَ لجارهمْ ... إذا اختارهمْ في الأمنِ أو في الزلازلِ
وفينا إذا ما شُبتِ الحربُ سادةٌ ... كهولٌ وفتيانٌ طوالُ الحمائلِ

نصرنا وآوينا النبيَّ وصدقَتْ أوائِلُنا بالحقِّ أولَ قائلِ
وكنا متى تغزُو النبيَّ قبيلةٌ نصلْ حافتيهُ بالقنا والقنابلِ

ويومَ قريشٍ إذا أتونا بجمعهمْ وطئنا العدوَّ وطأةَ المتثاقلِ
وفي أحدٍ يومٌ لهمْ كانَ هجرنا نطاعنهُمْ بالسمهريِّ الذوابلِ
ويومَ ثقيفٍ إذا أتينا ديارَهُمْ كتائبَ نمشِي حولها بالمناصلِ
ففروا وشدَّ اللهُ ركنَ نبيهِ بكلِّ فتًى حامِي الحقيقةِ باسلِ
ففرَّوا إلى حصنِ القصورِ وغلقُوا وكائنْ ترى من مشفقٍ غيرِ وائلِ
وأعطُوا بأيْدِيهِمْ صغاراً وبايعوا فأولَى لكمْ أولَى حداةَ الزواملِ
وإنِّي لسهلٌ للصديقِ وإنني لأعدلُ رأسَ الأصْعَرِ المتمايلِ
وأجعلُ مالِي دونَ عرضِي وقايةً وأحجبهُ كيْ لا يطيبَ لآكلِ
وأيُّ جديدٍ ليسَ يدركهُ البلَى وأيُّ نعيمٍ ليسَ يوماً بزائلِ

وقال حسان يرثي أهل مؤتة عليهم السلام: الطويل

تأوبني ليلُ بيثربَ أعسرُ وهمٌّ إذا ما نومَ الناسُ مسهرُ
لذكرَى حبيبٍ هيجتْ ثمَّ عبرَةْ سفوحاً وأسبابُ البكاءِ التذكرُ
بلاءٌ وفقدانُ الحبيبِ بليةٌ وكمْ من كريمٍ يبتلَى ثم يصبرُ
رأيتُ خيارَ المؤمنينَ تواردُوا شعوبَ وقدْ خلفتُ فيمنَ يؤخرُ
فلا يبعدنَّ اللهُ قتلَى تتابعُوا بمؤتةَ منهمْ ذو الجناحينِ جعفرُ
وزيدٌ وعبدُ الله حينَ تتابعوا جميعاً وأسبابُ المنيةِ تخطرُ
غداةَ غدوا بالمؤمنينَ يقودهمْ إلى الموتِ ميمونُ النقيبةِ أزهرُ
أغرُّ كلونِ البدرِ من آلِ هاشمٍ شجاعٌ إذا سيمَ الظلامَةَ مجسرُ
فطاعَنَ حتَّى مالَ غيرَ موسدٍ بمعتركٍ فيهِ القنا يتكسرُ
فصارَ مع المستشهدينَ ثوابُهُ جنانٌ وملتفُّ الحدائقِ أخضرُ
وكنا نرى في جعفرٍ من محمدٍ وفاءً وأمراً حازماً حينَ يأمرُ

فما زالَ في الإسلامِ من آلِ هاشمٍ دعائمُ عزٍّ لا يزولُ ومفخرُ
همُ جبلُ الإسلامِ والناسُ حولَهُ رضامٌ إلى طودٍ يروقُ ويقهرُ
بهمْ تكشفُ اللأواءُ في كلِّ مأزقٍ عماسٍ إذا ما ضاقَ بالقومِ مصدرُ
همُ أولياءُ الله أنزلَ حكمَهُ عليهم وفيهمْ والكتابُ المطهرُ
بهاليلُ منهمْ جعفرٌ وابنُ عمه عليٌّ وفيهمْ أحمدُ المتخيرُ
وحمزةُ والعباسُ منهمْ ومنهمُ عقيلٌ ومنا العودُ من حيثُ يعصرُ

وقال حسان لما جاء بنو تميمٍ إلى النبي صلى الله عليه وسلم بشاعرهم وخطيبهم: البسيط

إنَّ الذوائبَ من فهرٍ وإخوتهمْ قدْ بينُوا سنةً للناسِ تتبعُ
يرضَى بها كلُّ من كانتْ سريرتُهُ تقوى الإلهِ وبالأمرِ الذي شرعْوا
قومٌ إذا حاربوا ضروا عدوهمُ أوْ حاولوا النفعَ في أشياعهم نفعوا
سجيةٌ تلكَ منهمْ غيرُ محدثةٍ إنَّ الخلائقَ حقاً شرُّها البدَعُ
لا يرقَعُ الناسُ ما أوهَتْ أكفهمُ عندَ الدفاعِ ولا يوهونَ ما رقعُوا
إنْ كانَ في الناسِ سباقونَ بعدهمُ فكلُّ سبقٍ لأدنَى سبقهمْ تبعُ
ولا يضنونَ عنْ مولًى بفضلِهمُ ولا يُصيبُهمُ في مطمعٍ طمعُ
لا يجهلُونَ وإنْ حاولتَ جهلهمُ في فضلِ أحلامهمْ عن ذاك متسعُ
أعفةٌ ذكرتْ في الحيّ عفتهمْ لا يطبعونَ ولا يرديهمِ الطبَعُ
كمْ من صديقٍ لهمْ نالوا كرامتهُ ومن عدوٍّ عليهمْ جاهدٍ خدعُوا
أعطوا نبيَّ الهدَى والبرَّ طاعتهُمْ فما ونَى قصرهمْ عنهُ وما نزعوا
إن قالَ سيرُوا أجدَّ السيرَ جهدهُمُ أو قالَ عوجوا علينا ساعةً ربعوا
ما زالَ سيرهمُ حتى استقادَ لهمْ أهلُ الصليبِ ومنَ كانتْ لهُ البيعُ
خذْ منهمُ ما أتوا عفواً إذا غضبوا ولا يكُن همكَ الأمرَ الذي منعُوا
فإنَّ في حربهمْ فاترُكْ عداوتهُمْ شراً يخاضُ عليهِ الصابُ والسلَعُ
نسمو إذا الحربُ نالتنا مخالبُها إذا الزعانفُ من أظفارِها خشعوا
لا فرحٌ إنْ أصابُوا من عدوهمِ وإنْ أصيبوا فلا خورٌ ولا جزعُ

كأنهمْ في الوغَى والموتُ مكتنعٌ أسدٌ ببيشةَ في أرْساغِها فدَعُ

أكرمْ بقومٍ رسولُ اللهِ شيعتهمْ إذا تفرقتِ الأهواءُ والشيعُ
أهدَى لهمْ مدحِي قلبٌ يؤازرُهُ مما يحبُّ لسانٌ حائكٌ صنعُ
فإنهمْ أفضلُ الأحياءِ كلهمِ إنْ جدَّ بالناسِ جدُّ القولِ أوْ سمعوا

وقال حسانٌ: السريع

ما هاجَ حسانَ رسومُ المقامْ ومظعنُ الحيّ ومبنى الخيامْ
والنؤْيُ قدْ هدمَ أعضادَهُ تقادمُ الدهرِ بوادٍ تهامْ
قدْ أدركَ الواشونَ ما حاولُوا فالعهدُ من شعثاءَ رثُّ الرمامْ
جنيَّةٌ أرقني طيفُها تذهبُ صبحاً وترى في المنامْ
هلْ هيَ إلا ظبيةُ مطفلٌ مألفُها السدْرُ بنعفَيْ برامْ
تزجِي غزلاً فاتراً طرفُهُ مقاربَ الخطوِ ضعيفَ البغامْ
كأنَّ فاها ثغبٌ باردٌ في رصفٍ تحتَ ظلالِ الغمامْ
شجتْ بصهباءَ لها سورَةٌ من بيتِ رأسٍ عتقتْ في الختامْ
عتقها الحانوتُ دهراً فقدْ مرَّ عليها فرطُ عامٍ فعامْ
نشربُها صرفاً وممزوجةٌ ثم نغني في بيوتِ الرخامْ
تدبُّ في الجسمِ دبيباً كما دبَّ دباً وسطَ رقاقٍ هيامْ
منْ خمرِ بيسانَ تخيرْتُها درياقَةً توشكُ فترَ العظامْ
يسعَى بها أحمرُ ذو برنُسٍ مختلقُ الذفْرَى شديدُ الحزامْ
أروَعُ للدَّعوةِ مستعجلٌ لم يثنِهِ الشانُ خفيفُ القيامْ
دَعْ ذكرَها وانْمِ إلى جسرةٍ جلذيَّةٍ ذاتِ مراحٍ عقامْ
دفقَّةِ المشيةِ زيافةٍ تهوي خنوفاً في فضولِ الزمامْ
تحسبُها مجنونةً تغتلي إذْ لفعَ الآلُ رؤوسَ الإكامْ
قومِي بنُو النجارِ إذْ أقبلَتْ شهباءُ ترمِي أهلَها بالقتامْ

لا نخذلُ الجارَ ولا نسلمُ الموْ — لَى ولا نُخْصَمُ يومَ الخصامْ
منّا الذي يحمدُ معروفهُ — ويفرجُ اللزبةَ يومَ الزحامْ

وقال حسانٌ يومَ وفادة بني تميم: الطويل

هلْ المجدُ إلاَّ السؤددُ العودُ والندَى — وجاهُ الملوكِ واحتمالُ العظائمِ
نصرنا وآوينا النبيَّ محمداً — على أنفِ راضٍ منْ عدوٍ وراغمِ
بحَيٍّ حريرٍ أصلُهُ وذمارُهُ — بجابيةِ الجولانِ وسطَ الأعاجمِ
نصرناهُ لمّا حلَّ وسطَ رحالنا — بأسيافنا من كلِّ باغٍ وظالِمِ
جعلنا بنينا دونَهُ وبناتنا — وطبنا لهُ نفساً بفيءِ المغانمِ
ونحنُ ضرَبْنا الناسَ حتى تتابَعُوا — على دينهِ بالمرهفاتِ الصوارمِ
ونحنُ ولدنا من قريشٍ عظيمَها — ولدنا نبيَّ الخيرِ منْ آلِ هاشمِ
لنا الملكُ في الإشراكِ والسبْقُ في الهدَى — ونصرُ النبيِّ وابْتناءِ المكارمِ
بنِي دارمٍ لا تفخروا إنَّ فخركمْ — يعودُ وبالاً عندَ ذكرِ المكارمِ
هبلتُمْ علينا تفخرونَ وأنتمُ — لنا خولٌ منْ بَينِ ظئرٍ وخادمِ
فإنْ كنتمُ جئتمْ لحقنِ دمائكُمْ — وأموالكُمْ أنْ يقسمُوا في المقاسمِ
فلاَ تجعلُوا للهِ نداً وأسلِمُوا — ولا تلْبُسُوا زياً كزيِّ الأعاجمِ
وإلاَّ أبحناكُمْ وسقنا نساءَكمْ — بصمِّ القنا والمقرباتِ الصلادمِ
وأفضلُ ما نلتمْ منَ المجدِ والعُلَى — ردافتُنا عندَ احتضارِ المواسمِ

وقال يرثي النبيَّ صلى الله عليه وسلم: الكامل

ما بالُ عينِي لا تنامُ كأنما — كحلتْ مآقيها بكُحلِ الأرْمدِ
جزعاً على المهديِّ أصبحَ ثاوياً — يا خيرَ منْ وطئَ الحصا لا تبعدِ
جنبِي يقيكَ التربَ لهفَى ليتنِي — غيبتُ قبلكَ في بقيعِ الغرقَدِ
أأقيمُ بعدَكَ بالمدينة بينهُمْ — يا لهفَ نفسي ليتني لم أولدِ
بأبي وأميّ منَ شهدتُ وفاتهُ — في يومِ الاثنينِ النبيّ المهتدِي
فظللْتُ بعدَ وفاتهِ متلدِّداً — يا ليتني أسقيتُ سمَّ الأسودِ

أوْ حلَّ أمرُ اللهِ فينا عاجلاً		من يومنا في روحةٍ أو في غدِ
فنقومُ ساعتنا فتلقَى طيباً		محضاً ضرائبُهُ كريمَ المحتدِ
يا بكرَ آمنةَ المباركُ ذكرهُ		ولدَتْكَ محصنةٌ بسعدِ الأسعُدِ

نورٌ أضاءَ على البريةِ كلها		من يهدَ للنورِ المباركِ يهتدِي
يا ربِّ فاجمعنا معاً ونبينا		في جنةٍ تثنِي عيونَ الحسدِ
في جنةِ الفردوسِ واكتبْها لنا		يا ذا الجلالِ وذا العلى والسؤددِ
واللهِ أسمعُ ما حييتُ بهالكٍ		إلاَّ بكيتُ على النبيِّ محمدِ
ضاقتْ بالأنْصارِ البلادُ فأصبَحُوا		سوداً وجوههمُ كلونِ الإثمدِ
ولقدْ ولدناهُ وفينا قبرُهُ		وفضولُ نعمتهِ بنا لمْ تجحدِ
صلَّى الإلهُ ومن يحفُّ بعرشهِ		والطيبونَ على المباركِ أحمدِ
فرحتْ نصارى يثربٍ ويهودُها		لمّا توارَى في الضريحِ المُلْحدِ

وقال حسان يرثي حمزة بن عبد المطلب: السريع

هلْ تعرفُ الدارَ عفا رسمَها		بعدكَ صوبُ المسبلِ الهاطلِ
بينَ السراديحِ فأدْمانةٍ		فمدفَعِ الروحاءِ في حائلِ
سألتُها عنْ ذاكَ فاستعجمتْ		لمْ تدرِ ما مرْجوعَةُ السائلِ
دعْ عنكَ داراً قدْ عفا رسْمُها		وابْكِ على حمزةَ ذي النائلِ
المالئ الشيزَى إذا أعصفتْ		غبراءُ في ذي السنةِ الماحلِ
التاركِ القرنَ لدى قرنهِ		يعثرُ في ذي الخرصِ الذابلِ
واللابسِ الخيلَ إذا أحجَمَتْ		كالليثِ في غاباتهِ الباسلِ
أبيضَ في الذروةِ من هاشمٍ		لمْ يمرِ دونَ الحقِّ بالباطلِ
ما لشهيدٍ بينَ أرْحامكُمْ		شلتْ يدا وحشِيٍّ مِنْ قاتلِ
إنَّ امرءاً غودرَ في ألَّةٍ		مطرورةٍ مارنَةِ العاملِ
أظلمتِ الأرضُ لفقدانهِ		واسودَّ نورُ القمرِ الناصلِ

صلى عليكَ اللهُ في جنةٍ عاليةٍ مكرمةِ الداخلِ
كنا نرى حمزةَ حرزاً لنا منْ كلِّ أمرٍ نائبٍ نازلِ
وكانَ في الإسلامِ ذا تدرإٍ لمْ يكُ بالوانِي ولا الخاذلِ
لا تفرحِي يا هندُ واستحلبِي دمعاً وأذرِي عبرةَ الثاكلِ
وابكِي على عتبةَ إذْ قطهُ بالسيفِ تحتَ الرهجِ الجائلِ
إذْ خرَّ في مشيخةٍ منكمُ منْ كلِّ عاتٍ قلبُهُ جاهلِ
أرداهُمُ حمزةُ في أسرةٍ يمشونَ تحتَ الحلقِ الذابلِ
غداةَ جبريلُ وزيرٌ لهُ نعمَ وزيرُ الفارسِ الحاملِ

قيسُ بن الخطيم

وقال قيسُ بن الخطيم بن عبد بن عمرو بن سوادة بن ظفر الأنصاري: الطويل

تذكرْ ليلى حُسْنَها وصفاءها وبانتْ فأمْسَى ما ينالُ لقاءَها
ومثلكِ قدْ أصبيتُ ليْسَتْ بكنةٍ ولا جارةٍ أفضتْ إليَّ خباءها
إذا ما اصطبحتُ أربعاً خطَّ مئزري وأتبعتُ دلوي في السماحِ رشاءها
ثأرْتُ عدياً والخطيمَ فلمْ أضعْ وصيةَ أشياخٍ جعلْتُ إزاءها
ضربتُ بذي الزربنِ ربقَةَ مالكٍ فأبتُ بنفسٍ قدْ أصبتُ شفاءها
وسامحني فيها ابنُ عمرو بن عامرٍ خداشٌ فأدى نعمةً وأفاءها
طعنتُ ابنَ عبدِ القيسِ طعنةَ ثائرٍ لها نفذٌ لولا الشعاعُ أضاءها
ملكتُ بها كفي فأنهرتُ فتقها يرى قائماً من دونها ما وراءها
يهونُ عليَّ أنْ تردَّ جراحهُ عيونَ الأواسِي إذْ حمدتُ بلاءها
وكنتُ امرءاً لا أسمعُ الدهْرَ سبَّةً أسبُّ بها إلا كشفتُ غطاءها
وإنيّ في الحرابِ الضروسِ موكلٌ بإقدامِ نفسٍ لا أريدُ بقاءها
إذا سقمتْ نفسِي إلى ذي عداوةٍ فإني بنصلِ السيفِ باغٍ دواءها
متى يأتِ هذا الموتُ لمْ تلقَ حاجةً لنفسيَ إلاَّ قدْ قضيتُ قضاءها

وكانتَ شجاً في الحلقِ ما لمْ أبؤْ بها فأبْتُ بنفسٍ قدْ أصبْتُ دواءها
وقدْ جربتْ منّا لدى كلِّ مأقِطٍ دُحَيٌّ إذا ما الحرْبُ ألْقَتْ رداءها
وإنّا إذا ما مترُو الحرْبِ بلحُوا نقيمُ بآسادِ العرينِ لواءها
ونلحقها مبسورةً ضيزنيةً بأسيافنا حتى نذلَّ إباءها
وإنا منعنا في بعاث نساءنا وما منعتْ ملْ مخزياتِ نساءها

وقال قيسٌ:

أجدَّ بعمرةَ غنيانُها فتهجرُ أمْ شأنُنا شأنُها

وعمرةُ منْ سرواتِ النسا ءِ ننفحُ بالمسكِ أردانُها
فإنْ تُمْسِ شطَّتْ بها دارُها وباحَ لكَ اليومَ هجرانُها
فما رَوْضَةٌ من رياضِ القطا كأنَّ المصابيحَ حوذانُها
بأحسنَ منْها ولا مُزْنَةٌ دلوحٌ تكشفَ أدجانُها
ونحنُ الفوارسُ يومَ الربي ع قدْ علمُوا كيفَ فرسانُها
جنبنا الحربَ وراءَ الصري خِ حيثُ تقصفَ مرانُها
تراهنَّ يخلجنَ خلجَ الدلا ءِ تختلجُ النزْعَ أشطانُها
ولاقَى الشقاءَ لدَى حربنا دُحَيٌّ وعوفٌ وأعوانُها
رددنا الكتيبةَ مفلولَةً بها أفنُها وبها ذانُها
وقدْ علموني متى أنبعثْ على مثلِها تذكُ نيرانُها
ولولا كراهةُ سفكِ الدماءِ لعادَ ليثربَ أديانُها
ويثربُ نعلمُ أنَّ النبي تَ راسَ بيثربَ ميزانُها
حسانُ الوجوهِ حدادُ السيو فِ يبتدرُ المجدَ شبانُها
وبالشوطِ من يثربٍ أعبدٌ سيهلكُ في الخمرِ أثمانُها
يهونَ على الأوْسِ أتلافُهمْ إذا راحَ يخطرُ نشوانُها
أتتهمْ عرانينُ من مالكٍ سراعٌ إلى الروعِ فتيانُها

فلما استقلَّ كليْثِ الغري ... فِ زانَ الكتيبةَ أعوانُها

وقدْ علموا أنّما فلهُمْ ... حديدُ النبيتِ وأعيانُها

وقال قيسٌ أيضاً: الطويل

أتعرفُ رسماً كاطرادِ المذاهبِ ... لعمرةَ وحشاً غيرَ موقفِ راكبِ

ديارَ التي كانتْ ونحنُ على منًى ... تحلُّ بنا لولا نجاءُ الركائبِ

تبدَّتْ لنا كالشمسِ تحتَ غمامةٍ ... بدا حاجبٌ منها وضنتْ بجانبِ

ولمْ أرها إلا ثلاثاً على منًى ... وعهدِي بها عذراءُ ذاتُ ذوائبِ

ومثلكِ قدْ أصبيتُ ليستْ بكنةٍ ... ولا جارةٍ ولا حليلةِ صاحبِ

دعوتُ بني عوفٍ لحقنِ دمائِهمْ ... فلما أبوا سامحتُ في حربِ حاطبِ

وكنتُ امرءاً لا أبعثُ الحربَ ظالماً ... فلما حموا أشعلتُها كلَّ جانبِ

أربتُ بدفعِ الحربِ حتى رأيتُها ... عنِ الدفعِ لا تزدادُ غيرَ تقاربِ

أتتْ عصبٌ ملْ أوسِ تخطرُ بالقنا ... كمشي الليوثِ في رشاشِ الأهاضيبِ

فإذْ لم يكنْ عنْ غايةِ الحربِ مدفعٌ فأهلاً بها إذْ لمْ تزلْ في المراحبِ

فلما رأيتُ الحربَ حرباً تجدَّدَتْ ... لبستُ مع البردينِ ثوبَ المحاربِ

مضاعفةٌ يغشَى الأناملَ فضلُها ... كأنَّ قتيرَها عيونُ الجنادبِ

رجالٌ متى يدعوْ إلى الموتِ يرقلُوا ... إليهِ كأرقالِ الجمالِ المصاعبِ

إذا فزعوا مدوا إلى الليلِ صارخاً ... كموجِ الأتيِّ المزبدِ المتراكبِ

ترى قصدَ المرانِ تهوي كأنها ... تذرعُ خرصانٍ بأيدِي الشواطبِ

وأضربهمْ يومَ الحديقةِ حاسراً ... كأنَّ يدي بالسيفِ مخراقُ لاعبِ

صبحناهمُ الآطامَ حولَ مزاحمٍ ... قوانسَ أولَى بيضها كالكواكبِ

لو أنكَ تلقِي حنظلاً فوقَ بيضها ... تدحرجَ عنْ ذي سامهِ المتقاربِ

إذا ما فررنا كانَ أسوا فرارنا ... صدودَ الخدودِ وازورارَ المناكبِ

صدُودُ الخدودِ والقنا متشاجرٌ ... ولا تبرحُ الأقدامُ عندَ التضاربِ

إذا قصرتْ أسيافُنا كانَ وصلُها ... خطانا إلى أعدائنا للتضاربِ

ويومَ بعاثٍ أسلَمَتْنا سيوفنا إلى نسبٍ في جذْمِ غسانَ ثاقبِ

يعرينَ بيضاً حينَ نأتي عدونا ويغمدنَ حمراً ناحلاتِ المضاربِ

أطاعَتْ بنو عوفٍ أميراً نهاهمُ عنِ السلمِ حتى كانَ أولَ واجبِ

عجبتُ لعوفٍ إذْ تقولُ سراتُهُمْ ويرمينَ دفعاً ليتنا لمْ نحاربِ

صبحناهُمُ شهباءَ يبرُقُ بيضُها تبينُ خلاخيلَ النساءِ الهواربِ

أصابتْ سراةً ملْ أغرَّ سيوفنا وغودِرَ أولادُ الإماءِ الحواطِبِ

ومنا الذي آلى ثلاثينَ ليلةً عنِ الخمرِ حتى زاركمْ في الكتائبِ

رضيتُ لهمْ إذْ لا يريمونَ قعرَها إلى عازِبِ الأموالِ إلاَّ بصاحبِ

فلولا ذرَى الآطامِ قدْ تعلمُونَهُ وتركُ الفضا شردتُهُمْ في الكواعبِ

ولمْ يمنعوا منا مكاناً نريدُه لهمْ محرزٌ إلاَّ ظهورُ المشارِبِ

فهلاَّ لدى الحربِ العوانِ صبرتُمُ لوقعتنا والبأسُ صعبُ المراكبِ

ظأرناكمُ بالبيضِ حتى لأنتمُ أذلُّ من السقبانِ بينَ الحلائبِ

ولما هبطنا الحربَ قالَ أميرُنا حرامٌ علينا الخمرُ إنْ لمْ نضاربِ

فسامحهُ منا رجالٌ أعزةٌ فما برحوا حتى أحلتْ لشاربِ

فليتَ سويداً راءَ منْ خرَّ منهمُ ومنْ فرّ إذْ يحدُوهُمُ كالجلائبِ

فأبنا إلى أبياتنا ونسائِنا وما منْ تركنا في بعاثَ بآئبِ

ولوْ غبتُ عن قومِي كفتنِي عشيرتِي ويومُ بعاثٍ كانَ يومَ الثعالِبِ

وقال قيس أيضاً: السريع

ردَّ الخليطُ الجمالَ فانصرفُوا ماذا عليهمْ لو أنهمْ وقفوا

لوْ وقفوا ساعةً نسائلهمْ ريثَ يضحِّي جمالهُ السلَفُ

فيهمْ لعوبُ العشاءِ آنسَةُ ال دَّلِّ عروبٌ يسوءها الخلفُ

بينَ شكولِ النساءِ خلقتُها قصدٌ فلا جبلةٌ ولا قصفُ

تغترقُ الطرفَ وهيَ لاهيةٌ كأنما شفَّ وجهها نزفُ

قضى لها اللهُ حينَ يخلقُها ال خالقُ ألاَّ يكنِّها سدَفُ

تنامُ عنْ كبرِ شأنِها فإذا قامتْ رويداً تكادُ تنغرفُ

حوراءُ جيداءُ يستضاءُ بها كأنها خوطُ بانةٍ قضفُ

تمشي كمشْي الزهراءِ في دمثِ ال رملِ إلى السهلِ دونهُ الجرُفُ

ولا تغثُّ الحديثَ ما نطقَتْ وهوَ بفيها ذو لذةٍ طرفُ

تخزنهُ وهوَ مشتهًى حسَنٌ وهيَ إذا ما تكلمَتْ أنفُ

كأنَّ لباتِها تبدِّدُها هزلَى جرادٌ أجوازُهُ جلفُ

كأنَّها درةٌ أحاطَ بها ال غواصُ يجلو عنْ وجهها الصدفُ

واللهِ ذي المسجدِ الحرامِ وما جللَ من يمنةٍ لها خنفُ

إني لأهواكِ غيرَ ذي جنفٍ قد شفَّ منِّي الأحشاءُ والشعفُ

بلْ ليتَ أهلِي وأهلَ أثلَةَ في دارٍ قريبٍ من حيثُ تختلفُ

أيهاتَ منْ أهلهُ بيثربَ قدْ أمسَى ومن دونِ أهلِهِ سرفُ

يا ربِّ لا تبعدنْ ديارُ بني عذرةَ حيثُ انصرَفْتُ وانصرفُوا

أبلغْ بني جحجبَى وقومهُمُ خطفَةَ أنّا وراءَهُمْ أنفُ

وأننا دونَ ما نسومُهُمُ الأع داءُ منْ ضيمِ خطةٍ نكفُ

نفلِي بحدِّ الصفيحِ هامهُمُ وفليُنا هامهمْ بها عنفُ

إذا بدَتْ غدوةً جباهُهمُ حنتْ إلينا الأرحامُ والصحفُ

كقيلنا للمقدمينَ قفوا عن شأوكُمْ والحرابُ تختلفُ

نتبعُ آثارَها إذا اختلجتْ سخنَ عبيطٍ عروقُهُ تكفُ

قالَ لنا الناسُ معشَرٌ ظفرُوا قلنا فأنَّى بقومِنا خلفُ

لنا معَ أجامنا وحوزتنا بينَ ذراها مخارفٌ دلفُ

يذبُّ عنهنَّ سامرٌ مصعٌ سودُ الغواشِي كأنَّها عرفُ

وقال قيس: الطويل

تروحْ من الحسناءِ أمْ أنتَ مغتدي وكيفَ انطلاقُ عاشِقٍ لمْ يزودِ

تراءَتْ لنا يومَ الرحيلِ بمقلتيْ غريرٍ بملتفٍّ من السدرِ مفردِ

وجيدٍ كجيدِ الرئمْ صافٍ يزينهُ توقدُ ياقوتٍ وفضلُ زبرْجَدِ

كأنَّ الثريا فوقَ ثغرةِ نحرِها توقدُ في الظلماءِ أيَّ توقدِ

ألاَّ إنَّ بَينَ الشرعَبيِّ وراتجٍ ضراباً كتخذيمِ السيالِ المعضدِ

لنا حائطانِ الموتُ أسفلُ منهما وجمعٌ متى يصرخْ بيثربَ يصعدِ

ترى اللابَةَ الحمراءَ يسودُّ لونها ويسهُلُ منها كلُّ ريعهٍ وفدفَدِ

لعمرِي لقدْ حالفتُ ذبيانَ كلها وعبساً على ما في الأديمِ الممدَّدِ

وأقبلتُ من أهلِ الحجازِ بحلبَةٍ تغصُّ الفضاءَ كالقنا المتبددِ

تحملتُ ما كانتْ مزينةُ تشتكي منَ الظلمِ في الأحلافِ حملَ التغمدِ

أرَى كثرةَ المعروفِ يورثُ أهلَهُ وسوَّدَ عصرُ السوءِ غيرَ المسوَّدِ

إذا المرءُ لمْ يشبهْ أباهُ وجدَّهُ وأفحمَ إفحاماً فلمَ يتشدَّدِ

إذا المرءُ لم يفضلْ ولمْ يلقَ نجدةً معَ القومِ فليقعدْ بصغرٍ ويبعدِ

وإني لأغنَى الناسِ عن متكلفٍ يرى الناسَ ضلالاً وليْسَ بمهتَدِي

كثيرُ المنَى بالزادِ لا خيرَ عندَهُ إذا جاعَ يوماً يشتكيهِ ضُحى الغدِ

نشا غمراً بوراً شقيّاً ملعناً ألدَّ كأنَّ رأسَهُ رأسُ أصيدِ

وذِي شيمةٍ غراءَ يسخطُ شيمتي أقولُ لهُ دعني ونفسكَ فارشدِ

فما المالُ والأحلامُ إلاَّ معارَةٌ فما اسطَعْتَ من معروفِها فتزودِ

متى ما تقدْ بالباطلِ الحقَّ يأْبَهُ وإن قدْتَ بالحقِّ الَّرواسِي تنقدِ

إذا ما أتيتَ الأمرَ من غيرِ بابهِ ضللتَ وإنْ تدخلْ من البابِ تهتدِي

فمن مبلغٌ عني شريكَ بنَ جابرٍ رسولاً إذا ما جاءهُ وابنَ مرثدِ

فأقسمتُ لا أعطِي يزيدَ رَهينةً سوى السيفَ حتى لا تنوءَ لهُ يدِي

فلا يبعدنَّ اللهُ عبدَ بنَ نافذٍ ومن يعلُهُ رُكنٌ من التُّرْبِ يبعدِ

آخر المختار من شعر قيس بن الخطيم وهو مُقِل

الحادرةُ

وقال الحادرةُ، واسمه قطبة بن محصن بن جرول بن حبيب بن عبد العزى ابن خزيمة بن رزام من ذبيان، وهو مقل جداً: الكامل

بكرتْ سميَّةُ غدوَةً فتمتع ... وغدتْ غدوَّ مفارقٍ لمْ يربعِ

وتزودَتْ عيني غداةَ لقيتها ... بلوَى البنينةِ نظرةً لمْ تقلعِ

وتصدَّفَتْ حتى استْبَتكَ بواضحٍ ... صلتٍ كمنتصبِ الغزالِ الأتلعِ

وبمقلَتَيْ حوراءَ تحسبُ طرفها ... وسنانَ حرةِ مستهلِّ الأدمُعِ

وإذا تنازعُكَ الحديثَ رأيتَها ... حسناً تبسُّمها لذيذَ المكرعِ

بغريضِ ساريةٍ أدرتْهُ الصبا ... منْ ماءِ أسجرَ طيبِ المستنقعِ

ظلمَ البطاحَ لهُ انهلالُ حريصَةٍ ... فصفا النطافُ لهُ بعيدَ المقلعِ

لعبَ السيولُ بهِ فأصبحَ ماؤُهُ ... غلالاً تقطعَ في أصولِ الخروَعِ

أسميُّ ويحكِ هلْ سمعتِ بغدرةٍ ... رفعَ اللواءُ لنا بها في مجمعِ

إنا نعفٌّ فلا نريبُ حليفنا ... وكفُّ شحَّ نفوسنا في المطمعِ

ونقي بآمنِ مالنا أحْسابَنا ... ونجرُّ في الهيجا الرماحَ وندَّعِي

ونخوضُ غمرةَ كلِّ يومِ كريهةٍ ... تردِي النفوسَ وغنمُها للأشجعِ

ونقيمُ في دارِ الحفاظِ بيوتنا ... زمناً ويظعنُ غيرُنا للأمرَعِ

بسبيلِ ثغرٍ لا يسرِّحُ أهلُهُ ... سقمٍ يشارُ لقاؤُهُ بالإصبَعِ

أسميُّ ما يدريكِ أنْ ربَّ فتيةٍ ... باكرتُ لذتهُمْ بأدكنَ مترَعِ

محمرةً عقبَ الصبوحِ عيونهمْ ... بمرًى هناك من الحياةِ ومسمعِ

بكروا عليَّ بسحرةٍ فصبحتُهُمْ ... منْ عاتقٍ كدَمِ الذبيحِ مشعشعِ

ومعرضٍ تغلِي المراجلُ تحتهُ ... عجلتُ طبختهُ لرهطٍ جوعِ

ولدَيَّ أشعثُ باسطٌ ليمينهِ ... قسماً لقدْ أنضجتَ لمْ يتورَّعِ

ومسهدِينَ منَ الكلالِ بعثتُهُمْ ... بعدَ الرقادِ إلى سواهمَ ظلَّعِ

أودَى السفارُ برمِّها فتخالُها ... هيماً مقطعةً حبالَ الأذرُعِ

تخدُ الفيافِي بالرِّحالِ وكلُّها تخدِي بمنخرقِ القميصِ سميْدَعِ

ومطيةٍ حملْتُ ظهرَ مطيةٍ حرجٍ تتمُّ من العثارِ بدعدعِ

ومناخِ غيرِ تئيةٍ عرستُهُ قمنٍ من الحدثانِ نابي المضجَعِ

عرستُهُ ووسادُ رأسي ساعدٌ خاظي البضيعِ عروقهُ لمْ تدسعِ

فرفعتُ عنهُ وهوَ أحمرُ قانئٌ قدْ بانَ مني غيرَ أنْ لمْ يقطعِ

فترى بحيثُ توكأتْ ثفناتُها أثراً كمفتحصِ القطا للمهجَعِ

متممُ بن نويرة

وقال متممُ بن نويرةَ اليربوعي: الكامل

صرمتْ زنيبةُ حبلَ من لا يقطعُ حبلَ الخليلِ ولا الأمانةُ تفجعُ

ولقدْ حرصتُ على قليلِ متاعها يومَ الرحيلِ فدمعُها المستنقعُ

جذِّي حبالكِ يا زنيبُ فإنني قدْ أستبدُّ بصرمِ منْ هو أقطَعُ

ولقدْ قطعتُ الوصلَ يومَ خلاجهِ وأخُو الصريمةِ في الأمورِ المزمعُ

بمجدةٍ عنسٍ كأنَّ سراتَها فدَنٌ تطيفُ بهِ النبيطُ مرفَّعُ

قاظتْ أثالَ إلى الملا وتربَّعتْ بالحزنِ عازبةً تسنُّ وتودَعُ

حتى إذا لقحتْ وعوليَ فوقها قردٌ يهمُّ بهِ الغرابُ الموقعُ

قربتُها للرحلِ لمّا اعتادَني سفرٌ أهمُّ بهِ وأمرٌ مجمعُ

فكأنها بعدَ الكلالةِ والسُّرَى علجٌ تغاليهِ قذورٌ ملمعُ

يحتازُها عنْ جحشِها وتكفُّهُ عن نفسِها إنَّ اليتيمَ مدفعُ

ويظلُّ مرتئباً عليها حاذراً في رأسِ مرقبةٍ فلأياً يرتعُ

حتى يهيجها عشيةَ خمسِها للوردِ جأبٌ خلفَها متترِّعُ

يعدُو تبادِرُهُ المخارمُ سمحجٌ كالدلوِ خانَ رشاؤُها المتقطعُ

حتَّى إذا وردَا عيوناً فوقَها غابٌ طوالٌ ثابتٌ ومصرَّعُ

لاقَى على حنبِ الشريعةِ لاطئاً صفوانَ في ناموسِهِ يتطلَّعُ

فرمى فأخطأها وصادفَ سهمهُ حجرٌ ففللَ والنضيُّ مجزعُ

أهوَى ليحميَ فرجَها إذْ أدبرَتْ زجلاً كما يحمِي النجيدُ المشرعُ

فيصكُّ صكاً بالسنابِكِ نحرَهُ وبجندلٍ صمٍّ فلا يتوزعُ

لا شيءَ يأتُو أتوَهُ لمّا علا فوقَ القطاةِ ورأسُهُ مستتلعُ

ولقدْ غدوتُ على القنيصِ وصاحِبي نهدٌ مراكلُهُ مسحٌّ جرشعُ

ضافِي السبيبِ كأنَّ غصنَ أباءةٍ ريانَ ينفضُها إذا ما يقدَعُ

تئقٌ إذا أرْسَلْتَهُ متقاذفٌ طماحُ أشرافٍ إذا ما يُنزَعُ

وكأنَّهُ فوتَ الجوالِبِ جانباً رئمٌ تضايفهُ كلابٌ جوعُ

داويْتُهُ كلَّ الدواءِ وزدتُهُ بذلاً كما يعطِي الحبيبُ الموسعُ

فلَهُ ضريبُ الشولِ إلاَّ سؤرَهُ والجلُّ فهوَ مرببٌ لا يخلَعُ

فإذا نراهنُ كانَ أولَ سابقٍ يختالُ فارسُهُ إذا ما يُدْفَعُ

بلْ رُبَّ يومٍ قدْ سبقنا سبقَهُ نعطِي ونعمرُ في الصدقِ وننفعُ

ولقدْ سبقتُ العاذلاتِ بشربةٍ ريا وراووقيْ عظيمٌ مترعُ

جفنٌ من الغربيبِ خالصُ لونهِ كدمِ الذبيحِ إذا يشنَّ الشعشَعُ

ألهو بها يوماً وأُلهِي فتيةً عنْ بثهمْ إنْ ألبسُوا وتقنعُوا

يا لهفَ منْ عرفاءَ ذاتِ فليلةٍ جاءَتْ إليَّ على ثلاثٍ تخمعُ

ظلتْ تراصدُنِي وتنظرُ حولها يريبُها رمقٌ وإنِّي مطمعُ

وتظلُّ تنشطُنِي وتلحمُ أجرياً وسطَ العرينِ وليس حيٌّ يدفعُ

لوْ كانَ سيفِي باليمِينِ ضربْتُها عني ولمْ أو كلْ وجنبي الأضيعُ

ولقدْ ضربتُ بهِ فتسقطُ ضربتي أيدي الكماةِ كأنهنَّ الخروعُ

ذاكِ الضياعُ فإنْ حززْتُ بمديَةٍ كفِّي فقولِي محسنٌ ما يَصْنَعُ

ولقدْ غبطتُ بما ألاقِي حقبةً ولقدْ يمرُّ عليَّ يومٌ أشنعُ

أفبعدَ منْ ولدتْ نشيبةُ أشتكِي رزءَ المنيةِ أوْ أرَى أتوجعُ

ولقدْ علمتُ ولا محالةَ أنني ... للحادثاتِ فهلْ ترينِي أجزعُ

أفنيْن عاداً ثُمَّ آلَ محرِّقٍ ... فتركنهمْ بلداً وما قدْ جمعوا

ولهنَّ كانَ الحارثانِ كلاهُما ... ولهنَّ كانَ أخُو المصانعِ تبعُ

فعدَدتُ آبائِي إلى عرقِ الثرَى ... فدعوتهمْ فعلمْتُ أنْ لمْ يسمعوا

ذهبوا فلمْ أدْركهمُ ودعتْهُمُ ... غولٌ أتوْها والطريقُ المهيَعُ

لا بُدَّ من تلَفٍ مصيبٍ فانتظِرْ ... أبأرضِ قومِكَ أمْ بأخرَى تصرَعُ

وليأتينَّ عليكَ يوماً مرةً ... يُبكَى عليكَ مقنعاً لا تسمعُ

وقال متممٌ أيضاً يرثي أخاهُ مالكاً، وهي مفضلية قرأتها على شيخي ابن الخشاب: الطويل

لعمرِي وما عمرِي بتأبينِ هالكٍ ... ولا جزعاً مما أصابَ فأوْجعا

لقدْ كفنَ المنهالُ تحتَ ثيابِهِ ... فتًى غيرَ مبطانِ العشياتِ أروَعا

ولا برماً تهدي النساءُ لعرسهِ ... إذا القشعُ من بردِ الشتاءُ تقعقعا

لبيباً أعانَ اللُّبَّ منهُ سماحةً ... خصيباً إذا ما راكبُ الجدبِ أوضعا

تراهُ كنصلِ السيفِ يهتزُّ للندى ... إذا لمْ يجدْ عندَ امرئ السوءِ مطمعا

إذا اجتزأ القومُ القداحَ وأوقدتْ ... لهمْ نارٌ أيسارٍ كفى من تضجَّعا

بمثنى الأيادِي ثمَّ لمْ يلفَ مالكٌ ... لدَى الفرثِ يحمِي اللحمَ أنْ يتوزَّعا

وقدْ كانَ مجذاماً إلى الحربِ ركضهُ ... سريعاً إلى الداعِي إذا هو أفزعا

ويوماً إذا ما كظكَ الخصمُ إن يكنْ ... نصيركَ منهمْ لا تكنْ أنتَ أضيعا

وإنْ تلقهُ في الشربِ لا تلقَ فاحشاً ... على الكأسِ ذا قاذورةٍ متزبعا

وإنْ ضرَّسَ الغزوُ الرجالَ رأيتهُ ... أخا الحربِ صدقاً في الرجالِ سميدَعا

وما كانَ وقافاً إذا الخيلُ أحجمتْ ... ولا طائشاً عندَ اللقاءِ مدفعا

ولا بكهامٍ بزُّهُ عنْ عدوِّهِ ... إذا هوَ لاقى حاسراً أو مقنعا

فعينيَّ هلْ لا تبكيانِ لمالكٍ ... إذا أذرتِ الريحُ الكنيفَ المرفعا

وللشربِ فابْكِي مالكاً ولبهمةٍ ... شديدٍ نواحيهِ على منْ تشجعا

وللضيفِ إنْ أرْغَى طروقاً بعيرَهُ ... وعانٍ ثوى في القدِّ حتى تكنعا

وأرملَةٍ تسعى بأشعثَ محثَلٍ ... كفرخِ الحبارَى رأسُهُ قدْ تصوَّعا

أبَى الصبْرَ آياتٌ أراها وإنني ... أرى كلَّ حبلٍ بعدَ حبلكَ أقطعا

وإني متَى ما أدْعُ باسمكَ لا تجبْ ... وكنتَ جديراً أنْ تجيبَ وتسمعا

وكنّا كندْمانَيْ جذيمةَ حقبةً ... منَ الدهرِ حتى قيلَ لنْ يتصدَّعا

وعشنا بخيرٍ في الحياةِ وقبلنا ... أصابَ المنايا رَهطَ كِسْرَى وتبعا

فلما تفرَّقْنا كأنِّي ومالكاً ... لطولِ اجتماعٍ لمْ نبتْ ليلةً معا

فإنْ تكنِ الأيامُ فرقْنَ بيننَا ... فقدْ بانَ محموداً أخِي حينَ ودَّعا

أقولُ وقدْ طارَ السَّنا في ربابهِ ... وجونٌ يسحُّ الماءَ حتى تريعا

سقى اللهُ أرضاً حلها قبرُ مالكٍ ... ذهابَ الغوادِي المدجناتِ فأمرَعا

فأثرَ سيلَ الواديَيْنِ بديمةٍ ... ترشَّحُ وسْمياً من النبتِ خروعا

فمجتمعُ الأشراجِ منْ حولِ شارعٍ ... فروى جنابَ القريتينِ فضلفعا

تحيتهُ منِّي وإنْ كانَ نائياً ... وأمسَى تراباً فوقَهُ الأرضُ بلقعا

تقولُ ابنةُ العمريِّ مالكَ بعدما ... أراكَ قديماً ناعمَ البالِ أفرَعا

فقلتُ لها طولُ الأسَى إذْ سألتِنِي ... بلوعَةِ حزنٍ تتركُ الوجهَ أسفعا

وفقدُ بنِي أمٍّ توالوا فلمْ أكُنْ ... خلافهمُ أنْ أستكينَ وأخشَعا

وإنِّي وإنْ هازلْتِني قدْ أصابَنِي ... منَ الرزءِ ما يُبْكِي الحزينَ المفجعا

ولستُ إذا ما أحدَثَ الدَّهْرُ نكبةً ... ورزءاً بزوارِ القرائبِ أخضعا

ولا فرحاً إنْ كنتُ يوماً بغبطةٍ ... ولا جزعاً إنْ نابَ دهرٌ فأضلَعا

ولكننِي أمضي على ذاكَ مقدماً ... إذا بعضُ من يلْقَى الخطوبَ تكعكعا

وغيرنِي ما غالَ قيساً ومالكاً ... وعمراً وجزءاً بالمشقرِ ألمعا

وما غالَ ندمانيْ يزيدَ وليتني ... تمليتهمْ بالأهلِ والمالِ أجمعا

فعيدَكِ أنْ لا تُسْمِعِيني ملامَةً ... ولا تنكئِي قرحَ الفؤادِ فييجعا

وقصركِ إنِّي قدْ جهدتُ فلمْ أجدْ ... بكفيَ عنهمْ للمنيةِ مدفَعا

فلوْ أنَّ ما ألقَى يصبُ متالعاً أو الركنَ من سلمَى إذَنْ لتضعضعا

وما وجدُ أظآرٍ ثلاثٍ روائمٍ رأينَ مجرّاً من حوارٍ ومصرَعا

يذكرنَ ذا البثِّ الحزينِ حنينهُ إذا حنتِ الأولَى سجعنَ لها معا

إذا شارفٌ منهنَّ قامتْ فرجعتْ حنيناً فأبكى شجوها البركَ أجمعا

بأوجدَ مني يومَ فارقتُ مالكاً وقامَ بهِ الناعي الرفيعُ فأسمعا

ألمْ يأتِ أنباءُ المحلِّ سراتكمْ فيغضبَ منكمُ كلٌّ من كانَ موجعا

بمشمتهِ إنْ صادفَ الحرْبُ مالكاً ومشهدهِ ما قد رأى من تمنعا

أآثرتَ هدماً بالياً وسويَّةً وجئتَ بهِ تسعى بشيراً مقزَّعا

فلا تفرحنْ يوماً بنفسكَ إنني أرى الموتَ طلاعاً على من توقعا

لعلكَ يوماً أنْ تلمَّ ملمةٌ عليكَ من اللائي يدعنكَ أجدَعا

نعيتَ امرءاً لوْ كانَ لحمُكَ عندهُ لواراهُ مجموعاً لهُ أو ممزَّعا

آخر المختار من شعر متممٍ

كعب الغنوي

وقال كعب بن سعد الغنوي، يرثي أخاه شبيباً: الطويل

تقولُ سليمى ما لجسمكَ شاحباً كأنكَ يحميكَ الشرابَ طبيبُ

تتابعُ أحداثٍ تخرَّمْنَ إخوتي وشيبنَ رأسِي والخطوبُ تشيبُ

لعمرِي لئنْ كانتْ أصابتْ مصيبةٌ أخي والمنايا للرجالِ شعوبُ

لقدْ كانَ أمّا حلْمُهُ فمروَّحٌ علينا وأمّا جهلُهُ فعزيبُ

حليمٌ إذا ما سورةُ الجهلِ أطلَقَتْ حبا الشيبِ للنفسِ اللجوجِ غلوبُ

أخِي ما أخِي لا فاحشٌ عندَ بيتهِ ولا ورَعٌ عندَ اللقاءِ هيوبُ

هوَ العسلُ الماذيُّ حلماً ونائلاً وليثٌ إذا يلْقَى العدُوَّ غضوبُ

أخو شتواتٍ يعلمُ القومُ أنهُ سيكثرُ ما في قدرِهِ ويطيبُ

حبيبٌ إلى الزُّوّارِ غشيانُ بيتهِ جميلُ المحيا شبَّ وهوَ أديبُ

هوتْ أمهُ ما يبعثُ الصبحُ غادياً وماذا يؤدِّي الليلُ حينَ يؤوبُ

هوتْ عرسُهُ ماذا تضمنَ قبرُهُ ... منَ المجدِ والمعروفِ حينَ يثيبُ

إذا ما تراءتْهُ الرِّجالُ تحفظُوا ... فلمْ تنطَقِ العوراءُ وهوَ قريبُ

فتًى لا يبالِي أن يكونَ بجسمهِ ... إذا نالَ خلاتِ الكرامِ شحوبُ

حليفُ الندَى يدعُو الندَى فيجيبهُ ... قريباً ويدعوهُ الندَى فيجيبُ

فتًى أريحِيٌّ كانَ يهتزُّ للندَى ... كما اهتزَّ مِن ماءِ الحدِيدِ قضيبُ

كعالِيَةِ الرمْحِ الرُّدَيْنِيِّ لمْ يكنْ ... إذا ابتدَرَ الخيرَ الرجالُ يخيبُ

مفيدٌ ملقِّي الفائداتِ معاوِدٌ ... لِفعْلِ النَّدَى للمكرُماتِ كسُوبُ

كسُوبُ خلالِ الخيرِ من كلِّ جانبٍ ... إذا جاءَ جياءٌ بهنَّ ذَهوبُ

ترى عرصاتِ الحيِّ تُمْسِي كأنَّها ... إذا غابَ لَمْ يحلُلْ بهنَّ عريبُ

وحدثْتُماني إنما الموتُ في القرَى ... فكيفَ وهانا هضبةٌ وكثيبُ

وماءُ سَماءٍ كانَ غيرَ محمةٍ ... ببريةٍ تجرِي عليهِ جنوبُ

فلو كان ميتٌ يفتدَى لافتديْتُهُ ... بما لمْ تكنْ عنهُ النفوسُ تطيبُ

بعينيَّ أو يُمْنَى يَدَيَّ وقيلَ لِي ... هوَ الغانمُ الجذلانُ حينَ يؤوبُ

وداعٍ دَعا هلْ منْ يجيبُ إلى الندَى ... فلمْ يستجبهُ عندَ ذاكَ مجيبُ

فقلتُ ادعُ أخرَى وارفعِ الصوتَ دعوةً ... لعلَّ أبا المغوارِ منكَ قريبُ

يجبكَ كما قدْ كانَ يفعلُ إنَّهُ ... بأمثالِها رحبُ الذراعِ أريبُ

أتاكَ سريعاً واستجابَ إلى الندَى ... كذلكَ قبلَ اليومِ كانَ يجيبُ

يبيتُ الندَى يا أمَّ عمرو ضجيعهُ ... إذا لمْ يكنْ في المنقياتِ حلوبُ

فعشنا بخيرٍ حقبةً ثُمَّ جلحَتْ ... علينا التي كلَّ الرجالِ تصيبُ

فأبقتْ قليلاً فانياً وتجهزتْ ... لآخرَ والراجِي الحياةَ كذوبُ

وأعلَمُ أنَّ الباقِيَ الحيَّ منهُما ... إلى أجلٍ أقْصَى مداهُ قريبُ

ليبكِكَ شيخٌ لمْ يجدْ من يعينهُ ... وطاوِي الحشا نائِي المزارِ غريبُ

تروحَ تزهاهُ صباً مستطيفةٌ ... بكلِّ ذُرى والمسترادُ جديبُ

كأنَّ أبا المغوارِ لمْ يوفِ مرقباً ... إذا ربأَ القومَ الغزاةَ رقيبُ

ولمْ يدعُ فتياناً كراماً لميسرٍ ... إذا اشتدَّ من ريحِ الشتاءِ هبوبُ
فإنْ غابَ منهمْ غائبٌ أو تخاذَلُوا ... كفى ذاكَ وضاحُ الجبينِ خصيبُ
لقدْ أفسدَ الموتُ الحياةَ وقدْ أتى ... على يومهِ علقٌ إليَّ حبيبُ
فإنْ تكنِ الأيامُ أحْسَنَّ مرةً ... إليَّ فقدْ عادتْ لهنَّ ذنوبُ
أتى دونَ حلوِ العيشِ حتى أمرَهُ ... نكوبٌ على آثارِهنَّ نكوبُ
ليبكِكَ أرماحٌ شهدنَ الوغَى ... ضحًى فأبنَ ولمْ تخضبْ لهنَّ كعوبُ
وإنِّي لباكيهِ وإنِّي لصادقٌ ... عليهِ وبعضُ القائلينَ كذوبُ
لعمرُكُما إنَّ البعيدَ الذي مضَى ... وإنَّ الذي يأتِي غداً لقريبُ
ألا هلْ أتَى أهلَ المقانبِ إنَّهُ ... أقامَ وعرَّى الناجياتِ شبيبُ
فتَى الحربِ إنْ حارَبْتَ كانَ سمامَها ... وفي السفرِ مفضالُ اليدينِ وهوبُ
إذا ذرَّ قرنُ الشمسِ عللْتُ بالأسَى ... ويأوِي إليَّ الحزنُ حينَ تغيبُ

الشنفرى

وقال الشنفرى الأزدي: الطويل

أقيموا بني عمِّي صدورَ مطيكمْ ... فإني إلى أهلٍ سواكمْ لأميلُ
فقدْ حمتِ الحاجاتُ والليلُ مقمرٌ ... وزمتْ لطياتٍ مطايا وأرحلُ
وفي الأرضِ منأًى للكريمِ عن الأذَى ... وفيها لمنْ خافَ القِلَى متعزَّلُ
لعمركَ ما في الأرضِ ضيقٌ على امرئٍ ... سرَى راغباً أو راهباً وهوَ يعقلُ
ولِي دونكُم أهلونَ سيدٌ عملَّسٌ ... وأرقَطُ زهلولٌ وعرفاءُ جيألُ
همُ الأهلُ لا مستودعُ السرِّ ذائعٌ ... لديهمْ ولا الجانِي بما جرَّ يخذَلُ
وكلٌّ كمِيٌّ باسلٌ غيرَ أنني ... إذا عرضتْ أولى الطرائدِ أبْسَلُ
وإنْ مدتِ الأيدِي إلى الزادِ لمْ أكُنْ ... بأعجلِهمْ إذْ أجشعُ القومِ أعجلُ
وما ذاكَ إلاَّ بسطةٌ عنْ تفضُّلٍ ... عليهمْ وإنَّ الأفضلَ المتفضلُ
وإني كفانِي فقدَ منْ ليسَ جازياً ... بنعمَى ولا في قربهِ متنفلُ

ثلاثةُ أصحابٍ فؤادٌ مشيعٌ وأبيضُ إصليتٌ وصفراءُ عيطلُ

هتوفٌ من الملْسِ الجيادِ يزيُنها رصائعُ قدْ نيطَتْ إليها ومحمَلْ

إذا زالَّ عنْها السهمُ حنتْ كأنَّها مرزأةٌ ثكلَى ترنُّ وتعولُ

ولستُ بمهيافٍ يعشِّي سوامَهُ مجدعةً سقبانُها وهيَ بهَّلُ

ولا خالِفٍ داريَّةٍ متغزلٍ يروحُ ويغدُو داهناً يتكحلُ

ولستُ بعلٍّ شرهُ دونَ خيره ألفَّ إذا ما رعتهُ اهتاجَ أعزَلُ

ولستُ بمحيارِ الظلامِ إذا نحتْ هدَى الهوجَلِ العسيفِ يهماءُ هوجلُ

إذا الأمعزُ الصوان لاقَى مناسِمِي تطايرَ منهُ قادِحٌ ومفلَّلُ

أديمُ مطالَ الجوعِ حتى أميتهُ و أضربُ عنهُ الذكرَ صفحاً فأذهلُ

وأستفُّ تربُ الأرضِ كيلا يُرَى لهُ عليَّ من الطولِ امرؤٌ متطولُ

ولولا اجتنابُ الذامِ لمْ يلْفَ مشربٌ يعاشُ بهِ إلاَّ لديَّ ومأكَلُ

ولكنَّ نفساً حرةً لا تقيمُ بي على الضيمِ إلاَّ ريثما أتحولُ

وأطوي على الخمصِ الحوايا كما انطوتْ خيوطهُ ماريٍّ تغارُ وتفتلُ

وأغدُو على القوتِ الزهيدِ كما غدا أزلُّ تهاداهُ التنائفُ أطحلُ

غدا طاوياً يعارضُ الريحَ هافياً يخوتُ بأذنابِ الشعابِ ويعسلُ

فلما لواهُ القوتُ منْ حيثُ أمَّهُ دَعا فأجابتْهُ نظائرُ نحلُ

مهرتةٌ فوهٌ كأنَّ شدوقها شقوقَ العصِيِّ كالحاتٌ وبسلُ

فضجَّ وضجتْ بالبراحِ كأنها وإيّاهُ نوحٌ فوقَ علياءَ ثكَّلُ

وأغضَى وأغضتْ وائتَسَى وائْتَسَتْ لهُ مراميلُ عزاها وعزتْهُ مرمِلُ

شكا وشكتْ ثمَّ ارْعَوى بعدُ وارعوَتْ وللصبرُ إنْ لمْ ينفعِ الصبرُ أجملُ

وفاءَ وفاءَتْ عن قريبٍ وكلُّها على نكظٍ مما يكاتِمُ مجملُ

وتشربُ أسآرِي القطا الكدرُ بعدما سرَتْ قرباً أحناؤها تتصلصلُ

هممتُ وهمتْ بالبراحِ وأسدَلَتْ وشمرَ منِّي فارِطٌ متمهلُ

فوليتُ عنها وهيَ تكبُو لعقرهِ ينازعُهُ منها ذقونٌ وحوصَلُ

كأنَّ وغاها حجرتيهِ وحولَهُ	أضاميمُ من سفرِ القبائلُ نزلُ

فعبتْ غشاشاً ثمَّ مرَّتْ كأنَّها	مع الصبحِ ركبٌ من أحاظَةَ مجفلُ

وآلفُ وجهَ الأرضِ عندَ افتراشِها	بأهدَى تثنيهِ سناسنُ قحلُ

وأعدلَ منحوضٍ كأنَّ فصوصَهُ	كعابٌ دحاها لاعبٌ فهيَ مثلُ

فإنْ تبتئسْ بالشنفَرَى أمُّ قسطلٍ	لما اغتبطتْ بالشنفرى قبلُ أطولَ

تنامُ إذا ما نامَ يقظَى عيونُها	سراعاً إلى مكروهِهِ تتغلغلُ

وإلفُ همومٍ لا يزالُ تعودُهُ	عياداً كحمَّى الربعِ بلْ هي أثقلُ

إذا وردتْ أصدرتُها ثمَّ إنَّها	تثوبُ فتأتي منْ تحيتُ ومنْ علُ

فإما تريني كابْنَةِ الرمْلِ ضاحياً	على رقةٍ أحْفَى ولا أتنعلُ

فإنِّي لمولَى الصبرِ أجتابُ بزهُ	على مثلِ قلبِ السمعِ والحزمَ أفعلُ

وأعدِمُ أحياناً وأغنَى وإنما	ينالُ الغِنَى ذو البغيةِ المتبذلُ

ولا جشعٌ من خلةٍ متكشفٌ	ولا مرحٌ تحتَ الغنَى يتخيلُ

ولا تزدهِي الأطماعُ حلْمِي ولا أُرَى	سؤولاً بأعْقابِ الأحاديثِ أُنْملُ

وليلةِ ضرٍّ يصطلِي القوْسَ ربُّها	وأقطُعَهُ اللاتي بها يتنبَّلُ

دعستُ على غطشٍ وبغشٍ وصحبتي	سعارٌ وأرزِيزٌ ووجرٌ وأفكلُ

فأيمتُ نسواناً وأيتمتُ إلدةً	وعدتُ كما أبدأتُ والليْلُ أليَلُ

وأصبحَ عني بالغميصاءِ جالساً	فريقانِ مسؤولٌ وآخرَ يسألُ

فقالوا لقد هرتْ بليلٍ كلابُنا	فقلنا أذئبٌ عسَّ أمْ عسَّ فرعُلُ

ولمْ تك إلاَّ نبأةٌ ثمَّ هومتْ	فقلنا قطاً قدْ ريعَ أمْ ريعَ أجدَلُ

فإنْ يكُ منْ جنٍّ لأبرحَ طارِقاً	وإنْ يكُ إنْساً ماكها الإنسُ تفعلُ

ويومٍ منَ الشعْرَى يذوبُ لعابُهُ	أفاعِيهِ في رمضائِهِ يتململُ

نصبتُ لهُ وجهِي ولكنَّ دونهُ	ولا سترَ إلاَّ الأتحميُّ المرعبلُ

وضافٍ إذا هبتْ لهُ الريحُ طيَّرتْ	لبائدَ عنْ أعطافهِ ما ترَجَّلُ

بعيدٍ بِمَسِّ الدهْنِ والفَلْيِ عهدهُ | لهُ عبسٌ جافٍ عن الغسلِ محولُ
وخرقٍ كظهرِ الترسِ رحبٍ قطعتهُ | بعاملتينِ ظهرهُ ليسَ يعملُ
فألحقْتُ أولاهُ بأخراهُ موفياً | على قنةٍ أقعِي مراراً وأمثلُ
تَرودُ الأراوِي الصحمُ حولِي كأنها | عذارى عليهنَّ الملاءُ المذيلُ
ويركدْنَ بالآصالِ حولِي كأنني | منَ العصمِ أدْفَى ينتحِي الكيحَ أعقلُ

وقال الشنفري أيضاً، وهي مفضليةٌ: الطويل

أرَى أمَّ عمرو أزمعتْ فاستقلَّتِ | وما ودعتْ جيرانَها إذْ تولتِ
وقدْ سبقتنا أمُّ عمرٍو بأمرِها | وكانتْ بأعناقِ المطِيِّ أظلَّتِ
بعينَيَّ ما أمْسَتْ فباتَتْ فأصبحَتْ | فقضتْ أموراً فاستقلتْ فولتِ
فواكبدِي على أميمةَ بعدما | تولتْ فهبها نعمةَ العيشِ زلتِ
لقدْ أعجبتنِي لا سقوطاً قناعُها | إذا ما مشتْ ولا بذاتِ تلفتِ
تبيتُ بعيدَ النومِ تهدِي غبوقَها | لجارتِها إذا الهديَّةُ قلتِ
تحلُّ بمنجاةٍ من اللومِ بيتُها | إذا ما بيوتٌ بالمذمَّةِ حلتِ
كأنَّ لها في الأرضِ نسياً تقصُّهُ | على أمها وإنْ تحدثكَ تبلتِ
أميمةُ لا يُخْزِي نثاها حليلُها | إذا ذكرَ النسوانُ عفتْ وجلتِ
إذا هوَ أمسَى آبَ قرةَ عينِهِ | مآبَ السعيدِ لمْ يقلْ أينَ ظلتِ
فدقتْ وجلَّتْ واسبكرَّتْ وأكملتْ | فلوْ جنَّ إنسانٌ من الحُسْنِ جنتِ
فبتنا كأنَّ البيتَ حجرَ حولَنا | بريحانةٍ ريحتْ عشاءً وطلتِ
بريحانةٍ من بطنِ حليةَ نورَتْ | لها أرَجٌ ما حولَها غيرُ مسنتِ
وباضعةٍ حمرِ القسيِّ بعثتُها | ومن يغزُ يغنمْ مرةً ويشمتِ
خرجنْا من الوادِي الذي بينَ مشعلٍ | وبينَ الجبا هيهاتَ أنشأتُ سربتِي
أمشِّي على الأرضِ التي لمْ تضرُّنِي | لأنكيَ قوماً أو أصادفَ حمتِي
أمشي على أيْنِ الغزاةِ وبعدها | يقربني منها رواحِي وغدوتِي
وأمُّ عيالٍ قدْ شهدتُ تقوتهمْ | إذا أطعمتهمْ أو تحتْ وأقلَّتِ

تخافُ علينا العيلَ إنْ هيَ أكثرتْ ... ونحنُ جياعٌ أيَّ آلٍ تألَّتِ

مصعلكَةٍ لا يقصرُ السترُ دونها ... ولا ترتجَى للبيتِ إنْ لمْ تبيتِ

لها وفضةٌ فيها ثلاثونَ سيحفاً ... إذا آنستْ أولَى العديِّ اقشعرَّتِ

وتأتي العديَّ بارزاً نصفُ ساقِها ... تجولُ كعيرِ العانةِ المتفلتِ

إذا فزعُوا طارتْ بأبيضَ صارمٍ ... ورامتْ بها في جفرها ثمَّ سلتِ

تراها كأذنابِ الحسيلِ صوادِراً ... وقدْ نهلتْ من الدماءِ وعلتِ

شفينا بعبدِ اللهِ بعضَ غليلِنا ... وعوفٍ لدى المعدَى أوانَ أدلَّتِ

جزينا سلامانَ بنَ مفرجَ قرضَها ... بما قدَّمَتْ أيديهمُ وأزلَّتِ

ألا لا تزرنِي إنْ تشكيتُ خلتِي ... شفانِي بأعلَى ذي الحميرةِ عدوتِي

وهنئَ بي قومِي وما إنْ هنأْتُهُمْ ... وأصبحتُ في قومٍ وليسُوا بمنبتِي

وإنِي لحلوٌ إنْ أريدَتْ حلاوتي ... ومرٌّ إذا نفسُ العزوفِ أمرَّتِ

أبيٌّ لما آبَى سريعٌ مباءَتِي ... إلى كلِّ نفسٍ تنتحِي في مسرتِي

إذا ما أتتنِي ميتتِي لمْ أبالِها ... ولمْ تذرِ خالاتِي الدموعَ وعمتِي

وقال الشنفري، وهي من اختيار أبي تمام الطائي، يرثي خالهُ تأبط شراً: المديد

إنَّ بالعشبِ الذي دونَ سلعٍ ... لقتيلاً دمهُ ما يُطَلُّ

خلفَ العبءَ عليَّ وولَّى ... أنا بالعبءِ لهُ مستقلُّ

ووراءَ الثارِ منِّي ابنُ أختٍ ... مصعٌ عقدتْهُ ما تحلُّ

مطرقٌ يرشحُ سماً كما أطْـ ... ـرَقَ أفعَى ينفثُ السمَّ صلُّ

خبرٌ ما نابنا مصمئلٌّ ... جلَّ حتى دقَّ فيهِ الأجلُّ

بزنِي الدهرُ وكانَ غشوماً ... بأبيٍّ جارُهُ ما يذَلُّ

شامسٌ في القُرِّ حتى إذا ما ... ذكتِ الشعرَى فبردٌ وظلُّ

يابسُ الجنبينِ من غيرِ يؤسٍ ... ونديُّ الكفينِ شهمٌ مدلُّ

مسهلٌ في الحيِّ أحوَى رفلٌّ ... وإذا يغزُو فسمعٌ أزَلُّ

ولهُ طعمانِ أرْيٌ وشريٌ وكلا الطعمينِ قدْ ذاقَ كلٌّ
يركَب الهولَ وحيداً ولا يص حبُهُ إلاَّ اليمانِي الأفلُّ
وفتوٍّ هجروا ثمَّ أسرَوا ليلهُمْ حتى إذا انْجابَ حلُّوا
كلَّ ماضٍ قدْ تردَّى بماضٍ كسنا البرقِ إذا ما يسلُّ
فاحتسَوا أنفاسَ نومٍ فلمّا ثمُلوا رعتهُمُ فاشمعلُّوا
فلئنْ فلَّتْ هذيلٌ شباهُ لبما كانَ قديماً يفلُّ
وبما يبرِكُهُمْ في مناخٍ جعجعٍ ينقبُ فيهِ الأظلُّ
صليتْ منِّي هذيلٌ بخرقٍ لا يملُّ الشرَّ حتى يملُّوا
يوردُ الصعدةَ حتى إذا ما أنهلتْ كانَ لها منهُ علُّ
تضحكُ الضبعُ لتقلَى هذيلٍ وترى الذئبَ لها يستهِلُّ
وعتاقُ الطيرِ تهفو بطاناً تتخطاهمْ فما تستقِلُّ
حلتِ الخمرُ وكانتْ حراماً وبلأْيٍ ما ألَمَّتْ تحلُّ
فاسقنيها يا سوادَ بنَ عمرٍو إنَّ جسمِي بعدَ خالِي لخلُّ

تأبط شراً

وقال تأبط شراً، واسمه ثابت بن جابر بن سفيان بن عدي بن كعب بن حرب ابن تيم بن سعد بن فهم بن عمرو بن قيس عيلان بن مضر بن نزار، وهي مفضلية: البسيط

يا عيدُ مالكَ من شوقٍ وإيراقِ وكرِّ طيفٍ على الأهوالِ طراقِ
يسرِي على الأيْنِ والحياتِ محتفياً نفسي فداؤكَ منْ سارٍ على ساقِ
إني إذا خلةٌ ضنتْ بنائِلها وأمسكتْ بضعيفِ الحبلِ أحذاقِ
نجوتُ منها نجائِي منْ بجيلةَ إذْ ألقيتُ ليلةَ خبتِ الرهطِ أرواقي
ليلةَ صاحُوا وأغروا بي سراعهُمُ بالعيكتينِ لدَى معدَى ابنِ براقِ
كأنَّما حتحثُوا حصاً قوادمُهُ أوْ أمَّ خشفٍ بذِي شثٍّ وطباقِ
لا شيءَ أسرَعُ مني ليْسَ ذا عذَرٍ أوْ ذا جناحٍ بجنبِ الرَّيْدِ خفاقِ
حتَّى نجوتُ ولمّا ينزعُوا سلَبِي بوالِهٍ منْ قبيضِ الشدِّ غيداقِ

ولا أقولُ إذا ما خلَةٌ صرمَتْ ... يا ويحَ نفسِيَ من شوقٍ وإشفاقِ

لكنما عولِي إنْ كنتُ ذا عولٍ ... على بصيرٍ بكسبِ الحمدِ سباقِ

سباقِ غاياتِ مجدٍ في عشيرتهِ ... مرجعِ القولِ هداً بينَ أرفاقِ

عارِي الظنابيبِ ممتدٍّ نواشرُهُ ... مدلاجِ أدْهَمَ واهِي الماءِ غساقِ

حمّالِ ألْوِيَةٍ شهادِ أنديَةٍ ... قوالِ محكمَةٍ جوابِ آفاقِ

فذاكَ همِّي وغزْوِ أستغيثُ به ... إذا استغثتُ بضافِي الرأْسِ نغاقِ

كالحقفِ دملَكَهُ النامونَ قلتَ لهُ ... ذو ثلتينِ وذو بهمٍ وأرباقِ

وقلةٍ كسنانِ الرمحِ بارزةٍ ... ضحيانةٍ في شهورِ الصيفِ محراقِ

بادرتُ قنتها صحبي وما كسلُوا ... حتى نميتُ إليها بعد إشراقِ

لا شيءَ في ريْدِها إلاَّ نعامتُها ... منْها هزيمٌ ومنها قائمٌ باقِ

بشرثَةٍ خلقٍ يوقَى البنانُ بها ... شدَدْتُ فيها سريحاً بعدَ إطراقِ

يا مَنْ لعذالَةٍ خذالَةٍ أشِبٍ ... حرقَ باللومِ جلدِي أيَّ تحراقِ

يقولُ أهلكتَ مالاً لوْ قنعتَ بهِ ... من ثوبِ صدقٍ ومنْ بزٍّ وأعلاقِ

أعاذلِي إنَّ بعضَ اللوْمِ معنفَةٌ ... وهلْ متاعٌ وإنْ أبقيتُهُ باقِي

إنِّي زعيمٌ لئن لمْ تتركِي عذلِي ... أنْ يسألَ الحيُّ عنِّي أهلَ آفاقِ

أنْ يسألَ الحيُّ عنِّي أهلَ معزبَةٍ ... فلا يخبرُهُمْ عنْ ثابتٍ لاقِي

سدِّدْ خلالكَ من مالٍ تجمعُهُ ... حتى تلاقِيَ ما كلُّ امرئٍ لاقِي

لتقرَعنَّ عليَّ السنِّ منْ ندمٍ ... إذا تذكرْتِ يوماً بعضَ أخلاقِي

الأحوص

وقال الأحوص بن محمد بن ثابت بن أبي الأقلح الأنصاري، يمدح يزيد عبد الملك:

ألا لا تلمْهُ اليومَ أن يتبلَّدا ... فقدْ مُنعَ المحزونُ أنْ يتَجلَّدا

نظرْتُ رجاءً بالمُوقَّرِ أنْ أرى ... أكاريسَ يحتلونَ خاخاً ومُنْشَدا

وأوفَيتُ من نَشْزٍ من الأرضِ يافعٍ وقدْ يَشعَفُ الإيفاءُ من كانَ مُقصدا

فحالَتْ لطَرفِ العينِ من دونِ أرضِها وما أتْلي بالطَّرفِ حتى تردَّدا

سُهوبٌ وأعلامٌ كأنَّ سرابَها إذا استنَّ يُغْشيها المُلاءُ المُعَضّدا

وقلتُ ألا يا ليتَ أسماءَ أصقبَتْ وهلْ قولُ ليتٍ جامعٌ ما تبدّدا

وإنّي لأهواها وأهوى لُقيَّها كما يشتهي الصادي الشرابَ المبرَّدا

علاقةُ حُبٍّ لَجَّ في سَنَنِ الصِّبا فبَلَّى وما يزدادُ إلاّ تجدُّدا

وكيفَ وقدْ لاحَ المشيبُ وقطّعَتْ مُدى الدهرِ حبلاً كانَ للوصلِ مُحْصِدا

لكلِّ مُحبٍّ عندَها من شفائِهِ مَشارِعُ تحميها الظَّمانَ المصرَّدا

أتحسبُ أسماءُ الفؤادَ كعهدِهِ وأيامِهِ أمْ تحسبُ الرأسَ أسودا

لياليَ لا نلقى وللعيشِ لذّةٌ منَ الدهرِ إلاّ صائداً أو مُصيَّدا

وعهدي بها صفراءَ رُوداً كأنّما نضا عرَقٌ منها على اللونِ مُجْسَدا

مُهَفْهَفَةُ الأعلى وأسفلُ خَلْقِها جرى لحمُهُ ما دونَ أن يَتخدَّدا

منَ المُدْمِجاتِ الحُورِ خَودٌ كأنّها عِنانُ صَناعٍ أنعمَتْ أنْ تُجوَّدا

كأنَّ ذكيَّ المسكِ تحتَ ثيابِها وريحَ الخُزامى طَلَّةً تنضحُ الندى

كأنَّ خذولاً في الكِناسِ أعارَها غداةَ تبدَّتْ عُنْقَها والمُقلَّدا

بكيْتُ الصِّبا جَهدي فمنْ شاءَ لامَني ومنْ شاءَ آسى في البكاءِ وأسعدا

فإنّي وإنْ أجريْتُ في طلبِ الصِّبا لأعلمُ أنّي في الصِّبا لستُ أوْحَدا

إذا كنتَ عِزهاةً عنِ اللهوِ والصِّبا فكُنْ حجراً من يابسِ الصخرِ جلْمدا

هلِ العيشُ إلاّ ما تلَذُّ وتشتهي وإن لامَ فيهِ ذو الشَّنانِ وفَنَّدا

لعَمري لقدْ لاقَيْتُ يومَ مُوقَّرٍ أبا خالدٍ في الحيِّ نجمَكَ أسعُدا

وأعطيْتَني يومَ التقَيْنا عطيَّةً منَ المالِ أمستْ يسَّرتْ ما تشدَّدا

وأوقدْتَ ناري باليَفاعِ فلمْ تدَعْ لنيرانِ أعدائي بنُعماكَ مُوقَدا

وأصبحَتِ النُّعمى التي نِلتَني بها وقدْ رجعَتْ أهلَ الشماتةِ حُسَّدا

ولمْ أكُ للإحسانِ لما اصْطَفَيْتَني كَفُوراً ولا لاعاً منَ المصرِ قُعْدُدا

فلمّا فرَجْتَ الهمَّ عني وكُربَتي حَبَوْتُكَ منّي طائعاً مُتعمِّدا

ثناءَ امرئٍ أثْنى بما قدْ أنلْتَهُ وشُكرَ امرئٍ أمسى يرى الشُّكرَ أرْشدا

فأُقسمُ لا أنفكُّ ما عشتُ شاكراً لنُعماكَ ما طافَ الحمامُ وغرَّدا

وقد قلتُ لمّا سِيلَ عمّا أنلْتَني ليزدادَ رَغماً من يحبُّ ليَ الرَّدا

عطاءَ يزيدٍ كلَّ شيءٍ أحوزُهُ منَ ابْيضَ منْ مالٍ يُعَدُّ وأسودا

وما كان مالي طارِفاً عن تجارةٍ وما كان ميراثاً منَ المالِ مُتْلَدا

ولكنْ عطاءً من إمامٍ مباركٍ ملا الأرضَ معروفاً وعدلاً وسؤددا

شكَوتُ إليهِ ثِقْلَ غُرْمٍ لوَ انَّهُ وما أشتكي منهُ على الفيلِ بَلَّدا

فلمّا حمدْناهُ بما كانَ أهلَهُ وكانَ حقيقاً أنْ يُسَنَّى ويُحمَدا

فإنْ أشكُرِ النُّعمى التي سلفَتْ لهُ فأعظِمْ بها عندي إذا ذُكرتْ يدا

تَبلَّجَ لي واهتزَّ حتى كأنّما هززْتُ بهِ للمجدِ سيفاً مُهنَّدا

أخو فجَرٍ لم يدرِ ما البخلُ ساعةً ولا أنَّ ذا جودٍ على البذلِ أنْفَدا

أهانَ تِلادَ المالِ للحمدِ إنّهُ إمامُ هُدىً يجري على ما تعوَّدا

يُشرِّفُ مجداً من أبيهِ وجدِّهِ وقدْ أورثَا بُنيانَ مجدٍ مُشيَّدا

شريفُ قُريشٍ حينَ يُنسبُ والذي أقرَّتْ لهُ بالمُلكِ كهلاً وأمْردا

وليسَ عطاءٌ كانَ في اليومِ مانِعي إذا عدتُ من إعطاءِ أضعافِهِ غدا

أقيمُ بحمدٍ ما أقمتُ وإنْ أبِنْ إلى غيركمْ لم أحمدِ المُتَورَّدا

وكم لكَ عندي من عطاءٍ ونعمةٍ تسوءُ عدوّاً غائبينَ وشُهَّدا

تَسُورُ بهِ عندَ العطيّةِ شِيمةٌ هيَ الجُودُ منهُ غيرَ أنْ يَتجوَّدا

فلو كانَ بذلُ المالِ والعُرفُ مُخْلِداً منَ الناسِ إنساناً لكنتَ المُخلَّدا

وقال الأحوص:

ألا نوِّلي قبلَ الفراقِ قَذُورُ فقدْ حانَ من صَحبي الغَداةَ بُكورُ

نَوالَ محبٍّ غيرَ قالٍ مُودّعٍ وداعَ الفراقِ والزمانُ خَتُورُ

إذا أدلجتْ منكمْ بنا العيسُ أو غدَتْ فلا وصْلَ إلاّ ما يُجِنُّ ضميرُ
مودّة ذي وُدٍّ تعرَّضَ دونَهُ تَشائي نوىً لا تُستطاعُ طَحُورُ
فإنْ تَحُلِ الأشغالُ دونَ نَوالكُمْ ويَنأى المَزارُ فالفؤادُ أسيرُ
ويركدُ ليلٌ لا يزالُ تَطاوُلاً فقدْ كانَ يجلو الليلُ وهو قصيرُ
ويُسعدُنا صَرفُ الزمانِ بوَصلِكمْ لياليَ مَبْداكُمْ قَذُورُ حصيرُ
ونَغنى ولا نتخشى الفراقَ ونلتقي وليسَ علينا في اللقاءِ أميرُ
كذلكَ صرفُ الدهرِ فيهِ تَغلُّظٌ مِراراً وفيهِ للمُحبِّ سرورُ
إذا سُرَّ يوماً بالوِصالِ فإنّهُ بأسخاطِهِ بعدَ السرورِ جديرُ
لعَمرُ أبيها ما جزَتْنا بوُدِّها ولا شكرتْهُ والكريمُ شَكورُ
وتنأى يكادُ القلبُ يُبدي تَشوُّقاً لوَ انَّ اشتياقاً للمحبِّ يَضيرُ
وتدنو فتَتْويلي إذا الدارُ أصقَبَتْ قليلٌ وعذْلٌ بعدَ ذاكَ كثيرُ
فإنْ زرتَ ليلى بعدَ طُولِ تَجنُّبٍ تأبَّضَ منقوصُ اليدَيْنِ غَيُورُ
يرى حسرةً أن تَصقَبَ الدارُ مرّةً ولو حالَ بابٌ دونَها وسُتورُ
هجرْتُ فقالَ الناسُ ما بالُ هجْرِها وزرتُ فقالوا ما يزالُ يزورُ
أزورُ على أنْ ليسَ ينفكُّ كلّما أتيتُ عدوٌّ بالبنانِ يُشيرُ
وما كنتُ زَوّاراً ولكنَّ ذا الهوى إذا لم يزُرْ لا بدَّ أنْ سَيَزورُ
وقد أنكروا بعدَ اعترافٍ زيارَتي وقدْ وغِرَتْ فيها عليَّ صدورُ
وشطَّتْ ديارٌ بعدَ قُربٍ بأهلِها وعادَتْ لهمْ بعدَ الأمورِ أمورُ
ولستُ بآتٍ أهلَها غيرَ زائرٍ ولا زائرٌ إلاّ عليَّ نصيرُ
وقد جهِدَ الواشونَ كَيما أُطيعُهمْ بهِجْرَتِها إنّي إذنْ لصبورُ
وقد علموا واستيْقَنوا أنَّ سُخطَهمْ عليَّ جميعاً في رِضاكِ يسيرُ
وقد علمَتْ أنْ لنْ أطيعَ بصُرمِها مَقالةَ واشٍ ما أقامَ ثَبيرُ
وأنْ ليسَ للوُدِّ الذي كانَ بيننا ولو سخطَتْ أخرى المَنونِ ظهورُ
لعَمرُ أبيها إنَّ كِتمانَ سرِّها لها في الذي عندي لها لَيَسيرُ

وما زلتُ في الكُتمانِ أكْني بغيرِها فيُنْجِدُ ظنُّ الناسِ بي ويَغُورُ
أُحدِّثُ أنّي قد سلوْتُ وكلّما تذكّرتُها كانَ الفؤادُ يطيرُ
يقولونَ أظهِرْ صُرْمَها واجتنابَها ألا وصْلُها للواصلينَ طَهورُ
أبى اللهُ أن تلقى لوَصلِكَ غِرَّةٌ كما بعضُ وَصلِ الغانياتِ غرورُ
تُصيبُ الهدى في حُكمِها غيرَ أنّها إذا حكمَتْ حُكماً عليَّ تجورُ
وما زالَ منْ قلبي لسَوْدَةَ ناصرٌ يكونُ على نفسي لها ووزيرُ
فما مُزنةٌ بحرِيّةٌ لاحَ برقُها تَهلّلَ في غُمٍّ لهُنَّ صَبِيرُ

ولا الشمسُ في يومِ الدُّجُنَّةِ أشرقَتْ ولا البدرُ بالميساقِ حينَ يُنيرُ
ولا شادنٌ ترنو بهِ أمُّ شادنٍ بجوٍّ أنيقِ النَّبتِ وهو خَضيرُ
بأحسنَ من سُعْدى غداةَ بدَتْ لنا بوجهٍ عليهِ نضرةٌ وسرورُ
لَعمرُكَ إنّي حينَ أكْني بغيرِها وأترِكُ إعلاناً بها لَصَبورُ
أغارُ عليها أن تُقبِّلَ بعلَها لَعمرُ أبيها إنّني لغَيُورُ
أقولُ لِعَمرٍ وهو يَلْحى على الصِّبا ونحنُ بأعلى السَّيِّرَيْنِ نسيرُ
عشيّةَ لا حِلمٌ يَرُدُّ عن الصِّبا ولا صاحبي فيما لقيتُ عَذُورُ
لقد منعَتْ معروفَها أمُّ جعفرٍ وإنّي إلى معروفِها لفقيرُ
وقد جعلَتْ مما لقيتُ من الذي وجدْتُ بيَ الأرضُ الفضاءُ تمورُ
أطاعَتْ بنا من قدْ قطعتُ منَ اجْلِها ثلاثاً تباعاً إنّها لكفورُ
فلا تَلحَيَنْ بعدي مُحبّاً ولا تُعِنْ على لَومِهِ إنَّ المحبَّ ضَريرُ
أزورُ بيوتاً لاصِقاتٍ ببيتِها ونفسيَ في البيتِ الذي لا أزورُ
أدورُ ولولا أن أرى أمَّ جعفرٍ بأبياتِكمْ ما درتُ حيثُ أدورُ

وقال الأحوص يمدح عمر بن عبد العزيز:

يا بيتَ عاتكةَ الذي أتعَزَّلُ حذَرَ العِدى وبهِ الفؤادُ مُوَكَّلُ
هل عيشُنا بكِ في زمانِكِ راجعٌ فلقدْ تفحَّشَ بعدَكِ المُتعَلِّلُ

أصبحْتُ أمنحُكِ الصدودَ وإنّني قسَماً إليكِ معَ الصدودِ لأمْيَلُ

فصددْتُ عنكِ وما صددْتُ لبِغضةٍ أخشى مَقالةَ كاشِحٍ لا يغفلُ

يأتي إذا قلتُ استقامَ يَحُطُّهُ خلفلاٍ كما نظرَ الخِلافَ الأقبلُ

ولوَ انَّ ما عالجْتُ لينَ فؤادهِ فقسا استُلينَ بهِ للنَ الجَندلُ

ولئنْ صددْتِ لأنتِ لولا رِقْبَتي أشهى من اللائي أزورُ وأدخلُ

وتَجنُّبي بيتَ الحبيبِ أحبُّهُ أُرضي البغيضَ بهِ حديثٌ مُعْضِلُ

إنَّ الشبابَ وعيشَنا اللذَّ الذي كنّا به زمَناً نُسَرُّ ونُجْذَلُ

ولَّتْ بَشاشَتُهُ وأصبحَ ذِكرُهُ شَجَناً يُعَلُّ بهِ الفؤادُ ويُنهَلُ

إلاّ تذكُّرُ ما مضى وصَبابةٌ مُنِيَتْ لقلبِ مُتيَّمٍ لا يذهَلُ

أوْدى الشبابُ وأخلقَتْ لذّاتُهُ وأنا الحريصُ على الشبابِ المُعولُ

تبكي لِما قلَبَ الزمانُ جديدَهُ خلَقاً وليسَ على الزمانِ مُعوَّلُ

والرأسُ شامِلُهُ البياضُ كأنّهُ بعدَ السوادِ بهِ الثَّغامُ المُحْولُ

وشفيقةٍ هبَّتْ عليَّ بسُحرةٍ جهلاً تلومُ على الثَّواءِ وتَعذُلُ

فأجبتُها إنْ قلتُ لستِ مُطاعةً فذَري تَنصُّحَكِ الذي لا يُقبلُ

إنّي كفاني أنْ أعالجَ رحلةً عُمَرٌ ونبوةُ من يَضُنُّ ويبخلُ

بنَوالِ ذي فجَرٍ يكونُ سِجالُهُ عِصمَاً إذا نزلَ الزمانُ المُمْحِلُ

ماضٍ على حدَثِ الأمورِ كأنّهُ ذو رَونقٍ عضْبٌ جلاهُ الصَّيقلُ

يُغضي الرجالُ إذا بدا إعظامُهُ فِعلَ الخَشخاشِ بدا لهنَّ الأجدلُ

ويرونَ أنّ لهُ عليهِمْ سَورةً وفضيلةً سبقَتْ له لا تُجهلُ

مُتحمِّلٌ ثِقْلَ الأمورِ حَوى لهُ شرفَ المكارمِ سابقٌ مُتمهِّلُ

ولهُ إذا نُسبَتْ قريشٌ فيهمِ مجدُ الأرومةِ والفَعالُ الأفضلُ

ولهُ بمكّةَ إذْ أميّةُ أهلُها إرثٌ إذا ذكرَ القديمُ مُؤثَّلُ

أغنَتْ قرابَتُهُ وكانَ لُزومُهُ أمراً أبانَ رَشادَهُ من يعقلُ

ولقدْ بدأتُ أريدُ وُدَّ مَعاشرٍ وعَدوا مواعدَ أخلفَتْ إذْ حُصِّلوا

حتى إذا رجعَ اليقينُ مَطامعي ... يأساً وأخلَفَني الذين أؤمِّلُ

زايلْتُ ما صنعوا إليكَ بنَقلِه ... عجلٌ وعندَكَ عنهُمُ مُتحوَّلُ

ووعدْتَني في حاجَتي وصدقْتَني ... ووفَيْتَ إذْ كذبوا الحديثَ وبدَّلوا

وشكَوتُ غُرْماً فادحاً فحملْتَهُ ... عنّي وأنتَ لمثلِه مُتحمِّلُ

فأعِدْ فِدىً لكَ ما أحوزُ بنعمةٍ ... أخرى ترُبُّ بها نَداكَ الأولُ

فلأشكُرَنَّكَ حُسنَ ما أولَيْتَني ... شُكراً تُحَلُّ بهِ المَطيُّ وتُرحَلُ

مِدَحاً يكونُ لكمْ غرائبُ شِعرِها ... مبذولةً ولغيرِكمْ لا تُبذَلُ

وإذا تَنخَّلتُ القَريضَ فإنّهُ ... لكمُ يكونُ خِيارُ ما أتنخَّلُ

أُثني عليكمْ ما بقيتُ فإنْ أمُتْ ... تَخلُدْ غرائبُها لكمْ تُتَمَثَّلُ

فلَعمرُ منْ حجَّ الحجيجُ لوجهِهِ ... تَهوي بهمْ خُوصٌ طلائحُ ذُبَّلُ

إنَّ امرءاً قد نالَ منكَ قَرابةً ... يرجو منافعَ غيرِها لمُضلَّلُ

تعفو إذا جهِلوا بحِلمِكَ جهلَهمْ ... وتُنيلُ إنْ طلبوا النَّوالَ فتُجزِلُ

وتكونُ مَعقِلَهُمْ إذا لم يُنجِهمْ ... من شرِّ ما يخشَوْنَ إلاّ مَعقِلُ

حتى كأنّكَ يُتَّقى بكَ دونَهمْ ... منْ أُسْدِ بيشَةَ خادرٌ مُتَبسِّلُ

وأراكَ تفعلُ ما تقولُ وبعضُهُمْ ... مَذِقُ الحديثِ يقولُ ما لا يفعلُ

وأرى المدينةَ حينَ كنتَ أميرَها ... أَمِنَ البريءُ بها ونامَ الأعزلُ

وقال الأحوص:

ما ضرَّ جيرانَنا إذا انتجَعوا ... لو أنّهمْ قبلَ بينِهمْ ربَعُوا

إنَّ لُبَيْنى قدْ ضرَّ أقْرَبُها ... ولو أرادوا أنْ ينفعوا نفعوا

هم باعَدوا بالذي كَلِفْتُ بهِ ... أليسَ باللهِ بئسَ ما صنعوا

أحْمَوا على عاشقٍ زيارَتَهُ ... فهْوَ بهِجرانِ بيتِهمْ فَظِعُ

بانوا فقدْ فجَّعوا ببَينِهمِ ... ولم يبالوا أحزانَ من فجَعوا

وهْوَ كأنَّ الهُيامَ خالطَهُ ... وشابَهُ غيرُ حبِّها وجَعُ

تصُدُّ عنها من غيرِ هيبتِهمْ مخافةً أنَّ يمسَّها طمعُ

لمَنعِهمْ أُكْلِفَ الفؤادُ بها وليسَ يهوى إلاّ التي منعوا

كأنَّ من لامَني لأصرِمَها كانوا لِلُبْنى ببَينِهمْ شفعوا

أعطي لُبَيْنى منّي وإنْ نزحَتْ صفْواً من الوُدِّ خالقٌ صنَعُ

فالله بيني وبينَ قيّمِها يفرُّ منّي بها وأتْبعُ

كأنَّ لُبْنى صَبيرُ غاديةٍ أو دميةٌ زُيِّنَتْ بها البِيَعُ

أو ظبيةٌ مُطْفِلٌ أطاعَ لها بقْلٌ بجوٍّ ومَشْرَعٌ كرَعُ

لم ترْعَ يوماً جدباً بمَسرحِها ولم يرُعْها في مَرتَعٍ فزَعُ

أرْخُ لَعوبٌ كأنَّ مَضحكَها برقٌ تلألأَ في المزنِ يلتَمِعُ

تَعقِصُ وحْفاً كأنَّ مُرسلَهُ أساوِدٌ شَبَّ لونَها جرَعُ

على نقيٍّ اللِّيتَيْنِ مُعتدلٍ لا وَقَصٌ هابَهُ ولا هَنَعُ

من نسوةٍ خُرَّدٍ مُشابِهُها منَ الظباءِ العيونُ والتَّلَعُ

أوانِسٌ أمْرُهُنَّ ما أشِرَتْ هُنَّ لِلُبْنى في أمرِها تَبَعُ

يضعْنَ لهوَ الصِّبا مواضعَهُ فلا جفاءٌ يُرى ولا خَرَعُ

إذا مشتْ قاربَتْ على مهَلٍ مشياً مكيثاً واللونُ مُنتقِعُ

تَدافُعُ السيلِ مالَ في جرَعٍ ينعرجُ الطَّورَ ثمّ يندفِعُ

بل ليتَ شِعري عمّنْ كلِفْتَ بهِ منْ خَثْعَمٍ إذْ نأوكَ ما صنعوا

إذْ شطّتِ الدارُ عن ديارِهمِ أأمسكوا بالوِصالِ أمْ قطعوا

بل همْ على خيرِ ما عهدتْ وما ذاكَ إلاّ التأميلُ والطمعُ

قدْ يحفظُ الوُدَّ والصفاءَ إذا كانَ كريماً والشِّعْبُ مُنصدِعُ

كأنّهمْ إذْ غدَتْ بأجمَعِهمْ في الفجرِ بُزْلُ الجمالِ تَهتَزِعُ

دلُّوا على بَكْرَةٍ أضرَّ بها نُزّاعُها أو أفاضَها نزَعُ

قد شَفَّ قلبي وهاجَ فُرقَتُهمْ شوقاً فنفسي لها جس تقعُ

هلْ لي منَ الشوقِ إذْ كَلِفْتُ بها شافٍ فإنّي بحُبِّها طَمِعُ

قدْ ضمّنَتْ حُبَّها أخا كُرَبٍ ... قد شفَّهُ الشوقُ فهْوَ مُوتَزَعُ

لا بدَّ من نظرةٍ أُسَرُّ بها ... منكِ لُبَيْنى والحبلُ مُنقطِعُ

قد هيَّجَ الشوقَ منزِلٌ لهمُ ... بالجوِّ أمسى وأهلُهُ بِدعُ

وزوَّدوني في النفسِ شَوقَهمُ ... فالعينُ منّي بالدمعِ تَندرِعُ

إنّي وأيدي الخِفافِ يُعملُها ... شُعثٌ إلى البيتِ قَلَّ ما هجعوا

ما إنْ أردْنا وِصالَ غيرِهِمِ ... ولا قطعْناهمُ كما قطعوا

وقال الأحوص يمدح الوليد:

أمَنْزِلَتَيْ مَيٍّ على القِدَمِ اسْلَما ... فقدْ هِجْتُما للشوقِ قَلباً مُتيَّما

وذكَّرْتُما عصرَ الشبابِ الذي مضى ... وجِدَّةَ حبلٍ وصلُهُ قد تَجذَّما

فإنّي إذا حلَّتْ ببيشٍ مُقيمةً ... وحلَّ بوَجٍّ سالماً أو تتهَّما

عراقيّةٌ شطَّتْ وأصبحَ نفعُها ... رجاءً وظنّاً بالمَغيبِ مُرَجَّما

أُحبُّ دُنوَّ الدارِ منها وقدْ أبى ... بها صَدْعُ شَعْبِ الدارِ أنْ يتلاءَما

بكاها وما يدري سوى الظنِّ ما بكى ... أحَيَّاً يُرَجِّي أمْ تراباً وأعظُما

نأتْ وأتى خوفُ الطَّواعينِ دونَها ... وقدْ أنعمَتْ أخيارُها أنْ تَصرَّما

وُعدتُ بها شهرَيْنِ ثُمَّتَ لم يزلْ ... بكَ الشوقُ حتى غبتَ حَولاً مُحرَّما

أفالآنَ لما جلَّ ذو الأثْلِ دونَها ... ندمْتَ ولم تندمْ هنالكَ مَندَما

سلمْتَ بذِكراها وما حُكمُ ذِكرِها ... بفارعةِ الظُّهرانِ إلاّ لتَسْقَما

فدعْها وأحدِثْ للخليفةِ مدحةً ... تُزِلْ عنكَ بؤسى أو تُفِدْ لكَ مَغنَما

فإنَّ بكفَّيهِ مفاتيحَ رحمةٍ ... وغيثَ حَياً يحيى بهِ الناسُ مُرْهِما

إمامٌ أتاهُ المُلكُ عَفواً ولم يُصِبْ ... على مُلكِهِ مالاً حراماً ولا دما

تَخيَّرَهُ ربُّ العبادِ لخَلْقِهِ ... وَلِيّاً وكانَ اللهُ بالناسِ أعلما

فلما ارتضاهُ اللهُ لمْ يدَعْ مُسلماً ... لبَيعتِهِ إلاّ أجابَ وسلَّما

ينالُ الغِنى والعزَّ من نالَ وُدَّهُ ... ويرهَبُ موتاً عاجلاً إنْ تَنقَّما

أَلَمْ تَرَهُ أعطى الحَجيجَ كأنّما	أنالَ بما أعطى منَ المالِ دِرهما
تفقَّدَ أهلَ الأخشبَيْنِ فكلَّهمْ	أنالَ وأعطى سَيْبَهُ المُتَقَسَّما
فراحوا بما أسدى إلى كلِّ بلدةٍ	بحمدٍ يهُزُّونَ المَطِيَّ المُخَزَّما
كشمسِ نهارٍ أبَتْ للناسِ إنْ بدَتْ	أضاءَتْ وإنْ غابَتْ محَتْهُ فأظلما
ترى الراغبينَ المُرْتَجينَ نَوالَهُ	يُحيُّونَ بَسّامَ العشيّاتِ خِضْرِما
كأنّهمُ يستمطِرونَ بنَفعِهِ	ربيعاً مرَتْهُ المُعصِراتُ فأثْجَما
تَلِيدُ الندى أرْسى بمكّةَ مجدُهُ	على عهدِ ذي القَرنَيْنِ أو كانَ أقدما
همُ بيَّنوا منها مَناسكَ أهلِها	وهمْ حجَروا الحِجرَ الحرامَ وزَمزما
وهمْ منعوا بالمرجِ منْ بطنِ راهِطٍ	ببِيضِ الصَّفيحِ حَوضَهمْ أنْ يُهَدَّما
عليهمْ منَ الماذيِّ جدْلٌ تَخالُها	تَريكَ سيولٍ في نِهاءٍ مُصَرَّما
فمن يكتُمُ الحقَّ المبينَ فإنّني	أبَيتُ بما أُعطَيتُ ألاّ تَكلُّما
وإنّي لأرجو منْ نَداكَ رَغيبةً	أفيدُ غِنىً منها وأفرُجُ مَغرما
مُشابهُ صدقٍ من أبيكَ وشيمةٌ	أبَتْ لكَ بالمعروفِ إلاّ تقدُّما
فإنّكَ من أعزَزْتَ عَزَّ ومن تُرِدْ	هَضيمَتَهُ لم يُحْمَ أنْ يتهضَّما
قضَيتَ قضاءً في الخلافةِ لم تدَعْ	لذي نخوةٍ يرجو الخلافةَ مَرغَما
رضِيتُ لهمْ ما قد رضُوا لنفوسِهمْ	وأفْلَجْتَ من قد كان بالحقِّ أعصما
وقدْ رامَ أقوامٌ رَداكَ فعالجوا	على رَغمِهمْ أمراً من اللهِ مُحكَما
قضى فعصَوه رغبةً عن قضائِهِ	فلم يجدوا عمّا أرادوكَ مَرغَما
أبى لهمُ أنْ يخلُصوا من هَوانِهِ	وأنْ ينزِعوا إكرامَ من كانَ أكرما
ولم يتركوا ذا لُبْسةٍ رأيُهُ عَمَاً	ولم يتركوا ذا الدَّرْءِ حتى تَقوَّما
بأسيافِها بعدَ العَما نصروا الهدى	يقينَ البيانِ لا الحديثِ المُرجَّما

وقال الأحوص وهو بالشام، وأقام بعمّان، وهي مدينة البلقاء فارق ليلةً، وقال ويمدح فيها:

أقولُ بعمّانٍ وهلْ طَربي بِهِ	إلى أهلِ سَلْعٍ إنْ تشوَّقْتُ نافعُ
أصاحِ ألمْ تحزُنْكَ ريحٌ مريضةٌ	وبرقٌ تَلالا بالعَقيقتَيْنِ رافعُ

فإنَّ غريبَ الدارِ مما يشوقُهُ ... نسيمُ الرياحِ والبروقُ اللوامعُ

نظرْتُ على فَوتٍ وأوفى عشيّةً ... بنا منظرٌ من حِصنِ عمّانَ يافعُ
لأُبصرَ أحياءً بِخاخٍ تضمَّنتْ ... منازلَهمْ منها التلاعُ الدَّوافعُ
ومن دونِ ما أسمو بطرْفي لأرضِهمْ ... مَعانٌ ومُغبَرٌّ من البيدِ واسعُ
فأبدَتْ كثيراً نظرَتي من صَبابَتي ... وأكثرُ منهُ ما تُجنُّ الأضالعُ
وللعينِ أسرابٌ تفيضُ كأنّما ... تُعَلُّ بكُحلِ الصابِ منها المدامعُ
لَعمرُ ابنةِ الزيْديِّ إنَّ ادِّكارَها ... على كلِّ حالٍ للفؤادِ لرائعُ
وإنّي إليها حيثُ طارَتْ بها النَّوى ... منَ الغَورِ أو جَلْسِ البلادِ لنازعُ
وقدْ ثبتَتْ في القلبِ منكِ مودّةٌ ... كما ثبتَتْ في الراحتَيْنِ الأصابعُ
أهُمُّ لأنسى ذِكرَها فيشُوقُني ... رفاقٌ إلى أهلِ الحجازِ نَوازِعُ
فيا ليتَ أنّا قد تعسَّفتِ المَلا ... بنا قُلُصٌ يَلْحَبْنَ والفجرُ ساطعُ
مَوارِقُ منْ أعتاقِ ليلٍ كأنّها ... قَطاً قاربٌ ماءَ النُّمَيرةِ ساطعُ
رَوايا تأنِّيها على كلِّ مَنهلٍ ... قليلٌ إذا ما أمكنَتْها المشارعُ
طَوَيْنَ أدواى أحْكَمَ اللهُ صُنْعَها ... إذا لم تعالِجْ خَرْزَهُنَّ الصَّوانعُ
بفتوى نحورٍ ما يكَلِّفْنَ مُمسكاً ... حناجرَها لمّا استقَيْنَ المَقامعُ
بُغِثْنَ بها زغباً برأسِ مفازةٍ ... تَضمنَّها منها رُباً وأجارِعُ
مُلَبَّدةٌ غُبْراً جُثوماً كأنّها ... أفانيُّ لولا رُوسُها والأكارِعُ
تَبوَّأْنَ بَيضاً في أفاحيصِ قَفرةٍ ... فهُنَّ بفَيْفاءِ الفلاةِ ودائعُ
وإنّا عَدانا عن بلادٍ نُحبُّها ... إمامٌ طَبانا خَيرُهُ المُتتابعُ
أغَرُّ لمروانٍ وليلى كأنّهُ ... حسامٌ جلَتْ عنهُ الصَّياقلُ قاطعُ
هوَ الفرعُ من عَبدَيْ منافٍ كأنّهُ ... إليهِ انتهَتْ أحسابُهمْ والدَّسائعُ
إذا ما بدا للناظرينَ كأنّهُ ... هلالٌ بدا في ظلمةِ الليلِ طالعُ
فكلُّ غنيٍّ قانعٌ بنَوالِهِ ... وكلُّ عزيزٍ عندَهُ مُتواضعُ

هوَ الموتُ أحياناً يكونُ وإنّهُ ... لغيثُ حَياً يحيا بهِ الناسُ واسعُ

فما أحدٌ يبدو له من حجابهِ ... فينظرُ إلاّ وهْوَ بالذلِّ خاشعُ

فنحنُ نُرجِّي نفعَهُ ونخافُهُ ... وكِلتاهُما منهُ برِفقٍ نُصانِعُ

لهُ دِسَعٌ فيها حياةٌ وسَورَةٌ ... تُميتُ وحِلمٌ يَفضُلُ الحِلمَ بارِعُ

رمى أهلَ نَهرَي بابلٍ إذْ أضلَّهُمْ ... أزَلُّ عُمانيٌّ بهِ الوشمُ راضعُ

بتسعينَ ألفاً كلُّهمْ حينَ يُبتلى ... جميعُ السلاحِ باسلُ النفسِ دارِعُ

منَ الشامِ حتى صبحتهمْ جُموعُهُ ... بأرضِهمْ والمقْرباتُ النزائعُ

فلمّا رأوا أهلَ اليقينِ تخاذلوا ... ورامُوا النجاةَ والمنايا شوارِعُ

على ساعةٍ لا عُذرَ فيها لظالمٍ ... ولا لهمُ من سطوةِ اللهِ مانعُ

فظلَّ لهمْ يومٌ بهمْ حلَّ شرُّهُ ... تزولُ لهم فيهِ النجومُ الطوالعُ

يَحُوسُهمُ أهلُ اليقينِ فكلُّهمْ ... يلوذُ حِذارَ الموتِ والموتُ كانعُ

وكم غادرَتْ أسيافُهمْ من مُنافقٍ ... يَمجُّ دماً أوداجُهُ والأخادعُ

قتيلٌ نرى ما لا ينالُ وفاتُهُ ... ولاقى ذميماً موتَهُ وهْوَ خالِعُ

عَوى فاستجابَتْ إذْ عوى لعُوائِهِ ... عبيدٌ لهمْ في كلِّ أمرٍ بدائعُ

وما زالَ ينوي الغَيَّ من نَوْكِ رأيِهِ ... بعمياءَ حتى احْتَزَّ منه المَسامعُ

وحتى استُبيحَ الجَمعُ منهمْ فأصبحوا ... كبعضِ الأُلى كانتْ تصيبُ القوارعُ

فأضحوا بنَهرَيْ بابلٍ ورؤوسُهمْ ... تُجيزُ بها البيدَ المطايا الخواضعُ

فريقانِ مقتولٌ صريعٌ بذَنْبِهِ ... شقيٌّ ومأسورٌ عليهِ الجوامعُ

لَعمري لقدْ ضلَّتْ ودارَتْ عليهِم ... بما كرهوا تلكَ الأمورُ الفظائعُ

عصائبُ ولّتْكَ ابنَ دَحْمَةَ أمرَها ... وذلكَ أمرٌ يا بنَ دَحمةَ ضائعُ

أفالآنَ لمّا بايَعوا لضلالةٍ ... دعوْتَ فهَلاً قبلَ إذْ لم يُبايِعوا

ومنْ دونِ ما حاولتَ من نكْثِ عهدِهمْ ... وأمِّكَ موتٌ يا بنَ دَحمةَ ناقعُ

فذُقْ غِبَّ ما قد جئتَ إنّكَ ضَلّةٌ ... إلى جُرمِ ما لاقَيْتَ عطشانَ جائعُ

كفرْتَ الذي أسدوا إليكَ وسدَّدوا   من الحُسنِ والنُّعمى فخدُّكَ ضارِعُ

هلَ انتَ أميرَ المؤمنينَ فإنّني   بودِّكَ من وُدِّ البريّةِ قانعُ

مُتمِّمُ أجرٍ قد مضى وصنيعةٍ   لكمْ عندَنا إذْ لا تُعَدُّ الصنائعُ

وكم من عدوٍّ كاشحٍ ذي كَشاحةٍ   ومُستمِعٍ بالغيبِ ما أنتَ صانعُ

وقال الأحوص:

أفي كلِّ يومٍ حَبَّةُ القلبِ تُقرَعُ   وعيني لبَينٍ من ذوي الوُدِّ تَدمَعُ

أَلَلْجِدُّ إنّي مُبتلىً كلَّ ساعةٍ   بهمٍّ لهُ لوعاتُ حزنٍ تَطلَّعُ

إذا ذهبَتْ عني غَواشٍ لعَبْرَةٍ   أظلُّ لأُخرى بعدَها أتوقَّعُ

فلا النفسُ من تَهْمامِها مُستريحةٌ   ولا بالذي يأتي من الدهرِ يَقنعُ

ولا أنا باللائي تَسنَّيْتُ مُرْزَأ   ولا بذوي خَلْصِ الصَّفا مُتمتِّعُ

وأولعَ بي صرفُ الزمانِ وعَطفُهُ   لتَقطيعِ وصْلِ خُلّةٌ حينَ تقطعُ

وهاجَ ليَ الشوقَ القديمَ حمامةٌ   على الأيْكِ بينَ القريتَيْنِ تَفجَّعُ

مُطوَّقةٌ تدعو هديلاً وتحتَها   لهُ فنَنٌ ذو نضرةٍ يتزعْزَعُ

وما شَجوُها كالشجوِ منّي ولا الذي   إذا جزعَتْ مثلُ الذي منهُ أجزَعُ

فقلتُ لها لو كنتِ صادقةَ الهوى   صنعْتِ كما أصبحْتُ للشوقِ أصنعُ

ولكنْ كتمْتُ الوجدَ إلاّ تَرنُّماً   أطاعَ له منّي فؤادٌ مُروَّعُ

وما يستوي باكٍ لشَجوٍ وطائرٌ   سوى أنّهُ يدعو بصوتٍ ويسجَعُ

فلا أنا فيما قد بدا منكِ فاعلَمي   أصَبُّ بعيداً منكِ قلباً وأَوجَعُ

ولوْ أنَّ ما أُعنى بهِ كانَ في الذي   أوَمِّلُ منْ معروفِهِ اليومَ مَطمَعُ

ولكنّني وُكِّلْتُ منْ كلِّ باخلٍ   عليَّ بما أُعنى بهِ وأُمَنَّعُ

وفي البخلِ عارٌ فاضحٌ ونقيصةٌ   على أهلهِ والجودُ أبقى وأوسعُ

أجِدَّكَ لا تنسى سُعادَ وذكرها   فيرقأُ دمعُ العينِ منكَ فتهجَعُ

طربْتَ فما تنفكُّ يحزُنُكَ الهوى   مُودِّعُ بَينٍ راحلٍ ومُودَّعُ

أبى قلبُها إلاّ بِعاداً وقسوةً   ومالَ إليها وُدُّ قلبِكَ أجمعُ

فلا هي بالمعروفِ منكَ سخيّةٌ　　فتُبرِمُ حبلَ الوصْلِ أو تَتبرَّعُ

ولا هو إمّا عاتبٌ كانَ قابلاً　　من الهائمِ الصَّبِّ الذي يتضرَّعُ

أفِقْ أيُّها المرءُ الذي بهمومِهِ　　إلى الظاعنِ النائي المحلَّةِ ينزِعُ

فما كلُّ ما أمَّلْتَهُ أنتَ مُدركٌ　　ولا كلُّ ما حاذَرْتَهُ عنكَ يُدفَعُ

ولا كلُّ ذي حرصٍ يُزادُ بحرصِهِ　　ولا كلُّ راجٍ نفعَهُ المرءُ ينفعُ

وكم سائلٍ أمْنيَّةً لوْ ينالُها　　لظَلَّ بسوءِ القولِ في القومِ يقنعُ

وذي صَمَمٍ عندَ العِتابِ وسَمَعُهُ　　لِما شاءَ منْ أمرِ السفاهةِ يسمعُ

ومن ناطقٍ يُبدي التكلُّمُ عِيَّهُ　　وقدْ كانَ في الإنصافِ عنْ ذاكَ مَرْبَعُ

ومن ساكتٍ حِلماً على غيرِ ريبةٍ　　ولا سَوْأةٍ من خِزيَةٍ يَتقنَّعُ

وقال الأحوص يمدح عبد العزيز:

أقْوَتْ رُواوَةُ منْ أسماءَ فالسَّنَدُ　　فالسَّهْبُ فالقاعُ من عَيْرَيْنِ فالجُمُدُ

فعرشُ خاخٍ قَفارٍ غيرَ أنَّ بهِ　　ربْعاً أقامَ به نُؤْيٌ ومُنتضَدُ

وسُجَّدٌ كالحماماتِ الجُثومِ بهِ　　ومُلْبدٌ من رمادِ القدرِ مُلْتَبِدُ

وقدْ أراها حديثاً وهْيَ آهلةٌ　　منها بواطنُ ذاكَ الجزعِ فالعَقَدُ

إذ الهوى لم يُغيِّرْ شَعْبَ لِيَّتِهِ　　شَكْسُ الخليقةِ ذو قاذورةٍ وحَدُ

يظلُّ وجْداً وإنْ لم أنوِ رؤيتَهُ　　كأنّهُ إذْ يراني زائراً كَمِدُ

فيا لها خُلّةٌ لو أنّها بهوىً　　منها تُثيبُكَ بالوجْدِ الذي تجدُ

قامَتْ تُريكَ شَتيتَ النبْتِ ذا أشُرٍ　　كأنّهُ من سَواري صيِّفٍ برَدُ

أهدى أهلَّتَهُ نَوءُ السَّماكِ لها　　حتى تناهَتْ بهِ الكثبانُ والجرَدُ

ومُقلتَيَّ مُطْفِلٍ فردٍ أطاعَ لها　　بَقْلٌ ومَرْدٌ صفاً مُكّاؤهُ غَرِدُ

يَزينُ لَبَّتَها درٌّ تكنَّفَهُ　　نُظّامُهُ فأجادوا السَّرْدَ إذْ سرَدوا

درٌّ وشَذْرٌ وياقوتٌ يُفصِّلُهُ　　كأنّهُ إذْ بدا جمرُ الغضا يقدُ

وقدْ عجبْتُ لِما قالتْ بذي سلَمٍ　　ودمعُها بسحيقِ الكُحلِ يطَّرِدُ

قالتْ أقِمْ لا تبْنِ منها فقلتُ لها إنّي وإنْ كنتُ ملْعوجاً بيَ الكمَدُ
لتاركٌ أرضَكمْ منْ غيرِ مقْليَةٍ وزائرٌ أهلَ حُلْوانٍ وإنْ بَعُدوا
إنّي وجَدِّك يدعوني لأرضِهِمِ قُربُ الأواصرِ والرفْدِ الذي رفدوا
كذاكَ لا يزْدَهيني عنْ بني كرمٍ ولو ضنِنيتُ بهنَّ البُدَّنُ الخُرُدُ
بلْ ليتَ شِعري وليتٌ غيرُ مَدْركَةً وكلُّ ما دونَهُ ليتٌ لهُ أمَدُ
هلْ تُبْلِغَنّي بني مروانَ إنْ شحطَتْ عنّي ديارُهمُ عَيرانَةٌ أجُدُ
عِيديّةٌ علِقتْ حتى إذا عقدَتْ نَيّاً وتَمَّ عليها تامِكٌ قَرِدُ
قرَّبْتُها لقُتودي وهْيَ عافيَةٌ كالبرجِ لمْ يعْرَها منْ رحلةٍ عمَدُ
يسعى الغلامُ بها تمشي مُشفّعةً مشيَ البغيِّ رأتْ خُطّابَها شهدوا
تُرْعَدُ وهْيَ تُصاديهِ خَصائلُها كأنّها مَسَّها من قَرَّةٍ صرَدُ
حتى شددْتُ عليها الرَّحلَ فانْجردَتْ مَرَّ الظَّليمِ شأتْهُ الأُبَّدُ الشُّرُدُ
وشواشةٌ سَوطُها النَّقرُ الخفيُّ بها ورَفعُها الأرضُ تَحْليلٌ إذا تَخِدُ
كأنَّ بَوّاً أمامَ الرَّكبِ تتْبعُهُ لها نقولُ هواها أينما عَمِدوا
تَنسلُّ بالأمْعزِ المَرهوبِ لاهيةً عنهُ إذا زجرَ الرُّكبانُ أو جلَدوا
كأنَّ أوْبَ يدَيْها بالفَلاةِ إذا لاحَتْ أماعِزُها والآلُ يطَّرِدُ
أوْبَ يدَيْ سابحٍ في الآلِ مجتهدٍ يهوى يُقَحِّمُهُ ذو لُجّةٍ زَبِدُ
قومٌ ولادَتُهمْ مجدٌ ينالُ بهِ من معشرٍ ذُكروا في مجدِ مَن ولَدُوا
الأكرمونَ طَوالَ الدهرِ إنْ نُسبوا والمُجتَدُونَ إذا لا يُجتدى أحدُ
والمانعونَ فلا يُسْطاعُ ما منعوا والمُنجزونَ لما قالوا إذا وعدوا
والقائلونَ بفصْلِ القولِ إنْ نطقوا عندَ العزائمِ والمُوفونَ إنْ عهدوا
مَن تُمس أفعالُهُ عاراً فإنّهمُ قومٌ إذا ذُكرَتْ أفعالُهمْ حُمدوا
قومٌ إذا انتسبوا ألفَيْتَ مجدَهمُ منْ أوّلِ الدهرِ حتى ينفدَ الأبدُ
إذا قُريشٌ تسامَتْ كانَ بيتُهمُ منها إليهِ يصيرُ المجدُ والعددُ
لا يبلغُ الناسَ ما فيهمْ إذا ذُكروا مِلْ مجدِ إنْ جحفوا في المجدِ أو قَصَدوا

هُمْ خيرُ سكّانِ أهلِ الأرضِ تعلمُهُ ... لو كان يُخبرُ عن سُكّانِه البلدُ

يبقى التُّقى والغِنى في الناسِ ما عَمِروا ... ويُفقَدانِ جميعاً إنْ همُ فُقِدوا

وما مدحْتُ سوى عبدَ العزيزِ وما ... عندي لحَيٍّ سوى عبدِ العزيزِ يَدُ

إذا اجتهدْتُ ليُحصي مجدَهمْ مدَحي ... لم أعْشُرِ المجدَ منهمْ حينَ أجتهدُ

إنّي رأيتُ ابنَ ليلى وهو مُصطنَعٌ ... مُوفَّقاً أمرُهُ حيثُ انتوى رشَدُ

أقامَ بالناسِ لمّا إنْ نبا بهمِ ... دونَ الإقامةِ غَورُ الأرضِ والنجَدُ

والمُجتَدي مُوقِنٌ أنْ ليسَ مُخْلفَهُ ... سَيْبُ ابنِ ليلى الذي ينوي ويعتمِدُ

لو كانَ ينقُصُ ماءَ النيلِ نائلُهُ ... أمسى وقدْ حانَ منْ جَمّاتِه نفَدُ

يَبني على مجدِ آباءٍ لهُ سلَفوا ... يَنْمي لمنْ ولَدوا المهدَ الذي مَهَدوا

يحمي ذمارَهمُ في كلِّ مُفْظِعَةٍ ... كما تعرَّضَ دونَ الخِيسةِ الأسدُ

صقرٌ إذا معشرٌ يوماً بدا لهمُ ... منَ الأنامِ وإنْ عَزُّوا وإنْ مَجدوا

رأيتَهمْ خُشَّعَ الأبصارِ هَيبَتَهُ ... كما استكانَ لضوءِ الشارقِ الرَّمَدُ

أوله وقال الأحوص:

أَلْمِمْ على طَلَلٍ تَقادَمَ مُحْوِلِ ... نَحَلَ الزمانُ وعهدُهُ لمْ يَنْحَلِ

وافق الفراغ منه تاسع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وستين وثمان مائة من الهجرة النبوية على يد فقير رحمة ربه الكريم علي بن محمد المنظراوي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين وصلواته على سيدنا محمد وآله وصحبه الطيبين الطاهرين وسلامه.

أنيف بن حكيم

وقال أُنَيْف بن حكيم الطائي ثم النبهاني:

تذكّرتَ حُبَّى واعتراكَ خبالُها ... وهَيهاتَ حُبَّى ليسَ يُرْجى وِصالُها

وهيهاتَ منْ رَمّانَ مَن حلَّ باللِّوى ... أُصولُ الغَضى من دونها وسَيالُها

كأنْ لم تكنْ حُبَّى صديقاً ولمْ تكنْ ... أوالفَ أخلاطاً جِمالي جِمالُها

غداةَ الشَّرى إذْ هيَّجَ الشوقُ والبُكا ... لعينَيكِ من حُبَّى القلوبِ احتمالُها

فاتبعتُهمْ طَرفي وقدْ حالَ دونَهمْ ... غواربُ قاراتِ المَلا فتلالُها

أُشبِّهُهُنَّ النخلَ حيناً وتارةً
أقولُ سَفِيناتٌ تعومُ ثِقالُها

فلا وَصْلَ إلاّ أنْ يُقرِّبَ بينَنا
زَوِرَّةُ أسفارٍ أمينٍ مَحالُها

ألا هلْ أتى أهلَ المدينةِ عَرضنُا
حِلالاً منَ المعروفِ يُعرفُ حالُها

على عاملينا والسيوفُ مصونةٌ
بأغمادِها ما زايلَتْها نصالُها

عرَضْنا كتابَ اللهِ والحقُّ سُنّةٌ
هيَ النصفُ ما يخفى علينا اعتدالُها

وجئنا إلى فِرْتاجَ سمعاً وطاعةً
نؤدي زكاةً حينَ حانَ عِقالُها

وفي فَيْدَ صدّقْنا وجاءَتْ وفودُنا
إلى فَيْدَ حتى ما تُعَدُّ رجالُها

وسارتْ إلى جَرْمٍ من القومِ عُصبةٌ
فأدّتْ بنو جرْمٍ وجاءَتْ رِجالُها

فلمْ تدرِ حتى راعَنا بكتيبةٍ
تروعُ ذوي الألبابِ والدِّينِ خالُها

دعا كلُّ ذي تَبْلٍ وصاحبِ دِمْنةٍ
قبائلَ من شتّى غِضاباً سِبالُها

فقالوا أغِرْ بالناسِ تُعطِكَ طَيِّئٌ
إذا وطِئتْها الخيلُ واجتيحَ مالُها

ومنْ دونِ ما مَنّى أميّةُ غَمرةً
من الموتِ ما يخفى لحينٍ خِلالُها

جمعْنا لهمْ من عمروِ غَوثٍ ومالكٍ
كتائبَ تَرْدي المُقْرِفينَ نَكالُها

فلمّا رأيناهمْ يريدونَ سُنّةً
سوى النصفِ ما يخفى علينا انفتالُها

لها عَجزٌ بالرملِ فالحزْنِ فاللِّوى
وقدْ جاوزَتْ حَيَّيْ جَديسٍ رِعالُها

على شاخصاتِ الطَّرفِ تُمْرى كأنّها
أجادلُ دجْنٍ لثَّقتها طِلالُها

فلمّا تلاقيْنا إلى دَيرِ عاقدٍ
إلى حيثُ أفضى طَلَحُها وسَيالُها

دعَوا لنزارٍ وانتمَيْنا لطيِّئٍ
كأُسدِ الشَّرى إقْدامُها ونزالُها

وتحتَ نحورِ الخيلِ حَرْشَفُ رِجْلَةٍ
تُتاحُ لغَرّاتِ القلوبِ نِبالُها

فلمّا ارتميْنا بيَّنَ الرمْيُ بيننا
لسائلةٍ عنّا حَفيٍّ سؤالُها

فلمّا فزِعْنا للرماحِ تَضلَّعتْ
طِوالُ القَنا منها وعُلَّتْ نِهالُها

فلمّا عصيْنا بالسيوفِ تقطَّعتْ
وسائلُ كانتْ قبلُ سِلْماً حبالُها

بمأثورةٍ من عندِ داوودَ يُختلى
بها الهامُ والأيدي حديثٍ صقالُها

تُغشّى بهنَّ الهامُ حتى كأنّها
خذاريفُ أو بيضٌ يُجرُّ قِلالُها

صبرْنا لها حتى اتَّقتْ بظهورِها نزارٌ وزلَّتْ من نزارٍ نِعالُها

فولَّوا وأطرافُ الرماحِ عليهمِ قوادرُ مربْوعاتُها وطوالُها

لهَوا عن أميريهمْ وعنْ مُستكِنّةٍ عزيزةِ دنيا أسلمَتْها رجالُها

لها زفَراتٌ من بوادرِ عِثْيَرٍ يَشُقُّ انهمالَ المعْدنيِّ انسِحالُها

ينادي أمَيَّ الكَرَّ والخيلُ عُبَّسٌ تُجاذبُ أيدي القومِ ميلِ جِلالُها

ألَمْ تكُ قدْ أخبرتَ أنكَ مانِعي وإنَّ جهاداً طيِّئٌ وقتالُها

فقالوا عليكَ الفَجَّ آثارَ منْ مضى منَ الفَلِّ لمْ تُسلبْ عليكَ حِلالُها

بناها ذوو الأحسابِ والدينِ والتُّقى وأحسنُ أخلاقِ الرجالِ جَمالُها

العديل بن فرْخ

وقال العديل بن فرْخ بن معن بن أسود بن عمرو بن عوف بن ربيعة بن شُنَى بن الحارث، وهو السيّاب بن ربيعة بن عجل بن لُجيم بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دُعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار، وأمّ العديل درْنا من بني مُحلَم، شيبانية:

ما بالُ عينكَ أسبلَتْ إسْبالا منْ أنْ عرفَتْ لمنزلٍ أطلالا

قبلي وقبلَكَ فاقْبلَنَّ نصيحتي ضرَبَ الحليمُ لذي الصِّبا أمثالا

إنّي لأكرَمُ شاعرٍ في وائلٍ عمّاً أغَرَّ إذا نُسبتُ وخالا

وأباً بهِ أعلو وتُعرفُ غُرَّتي ضخمُ الدَّسيعةِ سيّداً مِفْضالا

فإذا افتخرْتُ فخَرْتُ غيرَ مُغرِّبٍ بالأكرمينَ الأكثرينَ رجالا

بربيعةَ الأثرَينَ في أيامها والأطولينَ فوارعاً وجبالا

تلقاهمُ في الحربِ حينَ تَكمَّشتْ بيضَ الوجوهِ على العدوِّ ثقالا

والخيلُ تعلمُ أنّنا فرسانُها عندَ الصباحِ إذا رأيْنَ قتالا

الضاربينَ إذا أردتَ طِرادَهمْ والنازلينَ إذا أردتَ نزالا

والضاربينَ إذا الكتائبُ أحجمَتْ غرباً يُذبّحُ ملْ عِدا الأبطالا

فصبَحْنَ من أسدٍ حُلولاً باللِّوى موتاً أزلْنَ بهِ العدوَّ فزالا

وقتلتُ يربوعاً بهنَّ ودارماً وأخذْنَ منهمْ حاجباً وعِقالا
ووطئْنَ يومَ الشيّطين بكَلْكَلٍ عُمَراً ومن سعدٍ أبَرْنَ حِلالا
ومنَ الرِّبابِ لقَيْنَهُ فقتلْنَهُ زيدَ الفوارسِ بالنِّصالِ فمالا
عن ظهْرِ أجردَ سابحٍ ذي مَيْعةٍ نقْلٍ إذا ما خالطَ الأجْرالا
وأخذْنَ من أفناءِ قيسٍ كلّها ساداتها والسبيَ والأموالا
فَتبدّلتْ منّا سَبايا منهمُ بعدَ النعيمِ مَدارِعاً وشِمالا
وإذا عددْتُ فَعالَ قومي بيّنوا فوقَ الخلائقِ بسْطةً وفَعالا
وإذا نطقتُ معَ المقاولِ لمْ أدَعْ للقائلينَ إذا نطقتُ مَقالا

وقال العُديل:

ألا مَن لهَمٍّ أبى لمْ يرِمْ ضميركَ باتَ رفيقاً لهَمْ
أبيتُ أكابدُهُ مَوْهناً ونامَ الخَليُّ ولمّا أنَمْ
رأيتُ الهمومَ تَشينُ الفتى ولو كانَ ذا أمْرةٍ أو عزَمْ
أرى الدهرَ يُومِن رُذّالَهُ فيَوماً بَئيساً ويوماً نعَمْ
رهينَ المنايا فإنْ عِفْنَهُ وأخطأْنَهُ لمْ يدعْهُ الهرَمْ
كأنْ لم يعِشْ قبلَها ساعةً إذا كانتِ النفسُ عندَ الكظمْ
وأيقنَ أصحابُهُ بالفراقِ وأضحى ثَويَّ ضريحِ الرَّجَمْ
فإنْ أكُ ودّعتُ جهلَ الصبّا ورَثَّ قُوى حبلِه فانْجَذَمْ
تَناسيْتُهُ بعدَ أجدادِهِ ليخْلِقَ حتى وهى فانصرَمْ
فقدْ استَبي البيضَ مثلَ الدمى عليهنَّ خَزٌّ فريدِ العجَمْ
يجُدْنَ لنا بلذيذِ الحديثِ وهُنَّ لنا غيرُ ذاكمْ حُرُمْ
أوانسُ من يلتمسْ سترَها يجدْ ذاكَ حَلَّ مَحلَّ العُصُمْ
بكلِّ قَطُوفٍ أناةِ القيامِ رَقُودِ الضُّحى عَبلةٍ كالصنَمْ
رداحِ التوالي إذا أدبرَتْ هَضيمِ الحشا شَختَةِ المُلتزَمْ
مُنعّمةٌ لم تُلْحها السَّمُومُ يُضيءُ سنا وجهها في الظُّلَمْ

تَغوَّلُ حتى تروقَ الحليمُ وذا الجهلِ تُورثُ خَبْلَ السقَمْ
تكونُ أمانيّةٌ إنْ نأتْ وإنْ تدْنُ منهُ يكُنْ كالسدَمْ
وتَبسِمُ عن واضحٍ لونهُ شَتيتٍ كلونِ أقاحي الرِّهَمْ
كأنَّ الجُمانَ على مُغْزِلٍ خَذولٍ لها رَشأٌ قدْ قرَمْ
تظلُّ تُصفِّقُ من حولِه وتحنو إليهِ إذا ما بَغَمْ
وقد أُعملِ العِيسَ حتى تَؤوبَ حَسيراً تجُرُّ نِعالَ الخدَمْ
بدأتُ بها وهي ململومةٌ كِنازُ البَضيعِ وآةٌ زِيَمْ
فما أُبْتُ حتى ارعوى جهلُها وآضتْ لهَيْداً كعُودِ السلَمْ
ركبتُ بها كلَّ مجهولةٍ قِفارٍ وهاجرةٍ كالضَّرَمْ
يَحارُ الدليلُ نهاراً بها إذا ما التوى آلُها بالعلَمْ

إذا ما تَوقَّلَ حِرباؤُها على الجِذْلِ ثمَّ نما واطَّخَمْ
فأبقى على ذاكَ منّي الزمانُ كريمَ الإخاءِ ركوبَ البُهَمْ
سَبوقاً لغاياتِ يومِ المدى إذا ما الجيادُ علَكْنَ اللُّجَمْ
فما المُتَجرِّدُ في عصرِهِ إذا ما ارتدى زبَداً واستحَمْ
بأجوَدَ منّي لدى غايةٍ ومَدِّ اليدَيْنِ ونَعتِ الكرَمْ
أجيءُ إليها أمامَ الجيادِ إذا ما البطيءُ كَبا أو قحَمْ
هنّي العِنانِ ولم أجتهِدْ إذا رفعوا فوقَهُنَّ الجذَمْ
منازلَ أنزلَنيها أبي ومنْ يَبتَني مثلَها لا يُلَمْ
عليَّ تعطّفَ من وائلٍ إذا قمتُ كلُّ جَوادٍ خِضَمْ
بهمْ يُكسرُ العظمُ من غيرِهمْ ويُرأبُ منهمْ إذا ما انفصَمْ
نَحُلُّ على الثّغرِ عندَ الحروبِ فننْكي العدوَّ ونحوي الغُنُمْ
لنا سُرّةُ الأرضِ قد تعلمونَ ونارُ الملوكِ وأرضُ النِّعَمْ
نفَيْنا القبائلَ عن حرِّها بأرعَنَ ذي غابةٍ كالأجَمْ

كثير الدواعي بَعيدِ المسيرِ كمثلِ الظلامِ إذا ما ادلهَمْ
متى تَتتابعُ أخاديدَهُ تجدْهُ يُسَعِّرُ أعلى الأكُمْ
ومَلْكٍ أقمْنا له رأسَهُ وإنْ كانَ من قبلَنا لم يَقُمْ
عدلْنا صَراهُ بنَشّاجةٍ تَمُجُّ النَّجيعَ كشِدْقِ الأصَمْ
وجيشٍ غزانا كثيرِ الصَّهيلِ فلاقى الذي كانَ منّا اجترَمْ
قَريْنا النسورَ صانديدَهُ ووكْنَ البُغاثِ وجُونَ الرَّخَمْ
ونحنُ إذا سَنَةٌ أمحلَتْ وآضَتْ مُحولاً كلَونِ الأدَمْ
وزَفَّ القَريعُ أمامَ الإفالِ وينسى التخيُّلَ عندَ القطَمْ
ورُوِّحَتِ الشَّوْلُ في إثْرِه وصَفَّ الإماءُ عليها الحُزُمْ
وأمسَتْ تَروَّحُ خُطّابُها بنَكباءَ عاريةٍ في شبَمْ
نُقيمُ فنُطعمُ لحمَ السَّنامِ إذا ما الشتاءُ علينا أزَمْ

وقال العُديل أيضاً يمدح محمد بن الحَجّاج:

هل للظعائنِ قبلَ البَينِ تَكليمُ أمْ حبلُهنَّ غَداةَ البَينِ مَصرومُ
ولَّيْنَ منّا برَهنٍ لا فَكاكَ لهُ وعَبرةٍ جشأَتْ منها الحَيازيمُ
من لوعةِ البَينِ إذ راحَ القَطينُ بهمْ ومُضمَرٌ من دَخيلِ الحُبِّ مكتومُ
أعرضْنَ لمّا رأينَ الشيبَ شاملَهُ والشَّيبَ عندَ كِعابِ الخدرِ مَصرومُ
زُرناكَ والعيسُ خُوصٌ في أزِمَّتِها هُوجُ الرياحِ لحاديها هَماهيمُ
منْ كلِّ صَهباءَ نَسْتَجْري الزِّمامَ بها تَبْري لها سَهوةُ الضَّبْعَيْنِ عُلْكومُ
تنفي الحصى عن أظَلَّيْها بمُشتبَهٍ منَ المفاوزِ يستَعوي بهِ البُومُ
كأنَّ حاديها مما تُكلِّفُهُ أعضادُها منْ سوادِ الليلِ مأمومُ
كلَّفتُهُ السيرَ حتى في مفاصِله ربْوٌ وحتى صَميمُ العظْمِ مَوصومُ
والعيسُ جائلةُ الأنْساعِ يَسعَفُها حامي الأجيجِ من الأيامِ مَسمومُ
بمُستوىً من ردى الدويِّ ليسَ بهِ للقومِ إلاّ سُرى البيضِ المَتاهيمُ
تَعريجَ منزلةٍ إلاّ على عُرُضٍ ثمَّ انجذابٌ بسَيرٍ فيهِ تَقحيمُ

ينفُضْنَ تحتَ الحصى في كلِّ منزلةٍ ... أزرارُ مُغْلَقةٍ فيها الخَياشيمُ

بسابغاتٍ من الألحَيْ كأنَّ بها ... سُبوتَ حَضْرَمَ تثنيها الأباهيمُ

ينوِينَ فرْجَ ثَقيفٍ في أرُومَتِها ... إذا ثقيفٌ سمَتْ منها الخراشيمُ

ينوِينَ أبيضَ مثلَ السيفِ أورثَهُ ... أبو عَقيلٍ ثناءً ليسَ مَهدومُ

بحرٌ أجادَتْ بهِ غرّاءُ مُنجِبةٌ ... من فرعِ سعدٍ لها مجدٌ وتكريمُ

كمْ من أبٍ لكَ يُسْتسقى الغَمامُ بهِ ... جزْلٍ مواهبُهُ بالخيرِ مَوسومُ

ونائلٍ منكَ جزْلٍ لا تُتَبِّعُهُ ... مَنّاً ولا فيهِ إنْ أعطيْتَ تأثيمُ

الواهبُ المائةَ الأشباهَ حاديةً ... والجُردُ تتْبعُها البيضُ الرغاميمُ

والمشتري الحمدَ إنَّ الحمدَ ذو مهَلٍ ... والتاركُ البخلَ إنَّ البخلَ مذمومُ

يغدو إذا ما غدا تنْدى أناملُهُ ... في باذخٍ قصُرَتْ عنهُ السَّلاليمُ

نِعمَ المُناخُ أنخْنا بعدَ شُقَّتِنا ... والوفدُ مُعطىً فمَحْبُوٌّ ومحرومُ

لقدْ بسطْتَ لساني بعدَ غُصتِهِ ... وقدْ جبرْتَ جناحي وهْوَ مهضومُ

وقدْ أتيتَ الذي كانتْ تُحدِثُني ... نفسي فأكتمُهُ والسرُّ مكتومُ

بحقٍّ منْ عَدَّ آباءً تَعدُّهمُ ... إنَّ اللّهاميمَ منهنَّ اللهاميمُ

أعطاكَ ذو العرشِ ما أعطى كرامَتَهُ ... رَبُّ الرسولُ لهُ سيمى وتَسْويمُ

ما مُزْبِدٌ من خليجِ البحرِ مُنجَرِدٌ ... جَوْنُ الأواذيِّ تعلوهُ العَلاجيمُ

يوماً بأجودَ منهُ حينَ تسألُهُ ... إذا الصَّبا حارَدَتْ واعتلَّتِ الكُومُ

ما زلتَ تركبُ مكروهَ الأمورِ لها ... حتى زجَتْ لكَ بالملْكِ الخواتيمُ

أنتَ الربيعُ الذي جادتْ مَواطِرُهُ ... وكلُّ منْ لمْ يصبْهُ الغيثُ محرومُ

قِيسوا المئينَ فإنّي قد بقيتُ لكمْ ... غمْرَ الجرّاءِ إذا التفَّ الأضاميمُ

مُستَعفي السَّوطِ خرّاجاً على مهَلٍ ... في مَبْرَكٍ ثَبتَتْ فيهِ الجراثيمُ

وقال العُديل يفتخر:

صرمَ الغواني فاستراحَ عواذلي ... وصحَوتُ بعدَ صَبابةٍ وتَمايُلِ

وذكرتُ يومَ لِوى عُنَيْقٍ نسوةً ... يأرِرجْنَ بينَ أكِلّةٍ ومراحلِ

لعبَ النعيمُ بهنَّ في أطلالِه ... حتى لبسْنَ زمانَ عيشٍ غافلِ

يأخذْنَ زينتَهُنَّ أحسنَ ما ترى ... وإذا عطَلْنَ فهنَّ غيرُ عواطلِ

وإذا خَبأنَ خدودَهُنَّ أرَيْنَنا ... حدَقَ المها وأخذنَ نبْلَ النابلِ

يَلبسْنَ أرديَةَ الشبابِ لأهلِها ... ويمُدُّ بالحبلَيْنِ حبلَ الباطلِ

بَيضُ الأنُوقِ كَسِرِّهِنَّ ومنْ يُرِدْ ... بَيضَ الأنوقِ فوكرُها بمعاقلِ

زعمَ الغواني أنَّ جهلَكَ قد صحا ... وسَوادَ رأسِكَ قصدَ شَيبٍ شاملِ

ورأكَ أهلُكَ منهمُ ورأيتَهمْ ... ولقدْ يكونُ معَ الشبابِ الخاذلِ

فإذا تطاولَت الجبالُ رأيتَنا ... بفروعِ أرعنَ فوقَها مُتطاوِلِ

وإذا سألْتَ ابْنَيْ نزارٍ بيَّنا ... مجدي ومنزلَتي من ابْنَيْ وائلِ

حدبَتْ بنو بكرٍ عليَّ وفيهمِ ... كلُّ المكارمِ والعديدِ الكاملِ

خطَروا ورائيَ بالقَنا وتجمَّعتْ ... منهمْ قبائلُ أُردِفَتْ بقبائلِ

إنَّ الفوارسَ من لُجَيْمٍ لم يزَلْ ... فيهمْ مَهابةُ كلِّ أبيضَ فاعلِ

مُتعَمِّمٌ بالتاجِ يسجدُ حولَهُ ... منْ أهلِ هَوْذَةَ للمكارمِ حاملِ

أو رهْطُ حنظلةَ الذينَ رماحُهمْ ... سَمُّ الفوارسِ حتْفَ موتٍ عاجلِ

قومٌ إذا شهروا السيوفَ رأوا لها ... حقاً ولمْ يكُ سَلُّها بالباطلِ

ولئن فخرْتَ بهمْ لمثلِ قديمِهمْ ... بسطَ المفاخرَ من لسانِ القائلِ

أولادَ ثعلبةَ الذين بمثلِهمْ ... حلمَ الحليمُ ورُدَّ جهلُ الجاهلِ

أهلُ العرارةِ والنُّبوحِ ترى لهمْ ... حلقَ المجالسِ بالصعيدِ القابلِ

ولمَجْدِ يَشْكُرَ سَورةٌ عاديّةٌ ... وأبٌ إذا ذُكرَ وليسَ بخاملِ

وبنو القُدارِ إذا عددْتَ صَنيعَهمْ ... وضَحَ القُدارُ لهمْ بكلِّ مَحافلِ

وإذا فخرْتَ بتَغلِبَ ابنةِ وائلٍ ... فاذكُرْ مكارمَ من ندىً وأوائلِ

ولتَغلِبَ الغَلْباءَ عزٌّ بَيِّنٌ ... عاديّةٌ ويَزيدُ فوقَ الكاهلِ

قسَطوا على النعمانِ وابنِ مُحرِّقِ ... وابنَيْ قَطامِ بعزّةٍ وتَناوُلِ

بالمُقْرباتِ يبِتْنَ دونَ رحالِهمْ ... كالقدِّ بينَ أجِلّةٍ وصَواهلِ

أولادِ أعوجَ والصَّريح كأنّها ... عِقْبانُ يومَ دُجُنّةٍ ومَخائلُ

يلفِظْنَ بعدَ أُزومِهِنَّ على الشبا ... علَق الشكيم بألسُنٍ وجَحافلِ

قومٌ همُ قتلوا ابنَ هندٍ عَنوةً ... وقَنا الرماحِ يذُدْنَ وِردَ الناهلِ

منهمْ أبو حنَشٍ وكانَ بكفِّهِ ... رِيُّ السِّنانِ ورِيُّ صدرِ العاملِ

ومُهلهَلُ الشعراءِ إنْ فخروا بهِ ... وندى كُلَيْبٍ عندَ فضلِ النائلِ

حجبَ المنيّةَ دونَ واحدِ أمِّهِ ... منْ أنْ تبيتَ وصدرها ببلابلِ

وكفى مُجالسةَ السِّبابِ ولم يكنْ ... يَستَبُّ مجلسُهُ وحقّ النازلِ

حتى يُجيرَ على الملوكِ فلمْ يرمْ ... حدَباً ولا صَعراً لرأسٍ مائلِ

في كلِّ حيٍّ للهُذَيلِ ورَهْطِهِ ... نَعَمٌ وأخْذُ كريمةٍ وتناوُلِ

بيضٌ كرامٌ رَدَّهنَّ لعنوةٍ ... أسَلُ القَنا وأُخذْنَ غيرَ أراملِ

أبناؤُهن من الهُذيلِ ورهطِهِ ... مثلُ الملوكِ وعِشْنَ غيرَ عواملِ

وقال العُديل أيضاً:

صحا من طِلابِ البيضِ قبلَ مَشيبِهِ ... وواضعِ طرْفِ العينِ فهوَ خَفيضُ

كأنْ لمْ أكنْ أرعى الصِّبا ويقودُني ... منَ الحيِّ أحوى المُقلتَيْنِ غَضيضُ

دعاني لهُ يوماً هوىً فأجابَهُ ... فؤادٌ إذا يلقى المِراضَ مريضُ

لمُستأنِساتٍ بالحديثِ كأنّها ... تَهلُّلُ غُرٍّ بَرقُهنَّ وَميضُ

وإنَّ لساني عنكمُ قدْ علمتمُ ... لعَفٌّ وإنّي دونَكمْ لعَضوضُ

وإنّي لِما حمَّلْتُمُ من مُلمّةٍ ... تضيقُ بها أعطانُكمْ لنَهوضُ

يُخَشّونَني الحَجّاجَ حتى كأنّما ... يُحرِّكُ عظمٌ في الفؤادِ مَضيضُ

إذا ذُكِرَ الحجاجُ أضمرتُ خيفةً ... إلى القلبِ حتى في الفؤادِ مَضيضُ

ودونَ يدِ الحجاجِ منْ أنْ تنالَني ... بساطٌ أيدي الناعِجاتِ عريضُ

مَهامِهُ أشباهٌ كأنَّ سرابَها ... مُلاءٌ بأيدي الغاسلاتِ رَحيضُ

إذا كُلِّفَتْها العِيسُ زَيَّلَ بينَها حَزابِيّ يجري آلُها وغُموضُ

إذا استوقدَتْ منها الأماعزُ غادرَتْ بها جُندَبَ المَعْزاءِ وهْوَ رَكوضُ

قليلٌ بها السارونَ إلاّ تَعِلّةٌ مَطِيٌّ جرتْ أحقابُهُ وغُروضُ

إذا قَلَّصَتْ خُوصَ العيونِ كأنّها قِداحٌ نَحاها باليدَيْنِ مُفِيضُ

ترى الحُرّةَ الوَجناءَ يضربُ حاذَها ضئيلٌ كفرّوجِ الدجاجِ جَهيضُ

وقال العُديل أيضاً:

لَعمرُكَ إنّي يومَ بَينِ ظعائنٍ غدَوْنَ ولمْ يَنظُرْنَني لحزينُ

ظعائنُ يَنوينَ الكثيبَ وأهلَهُ غدَونَ وقلبي عندهنَّ رهينُ

كما حاجةٌ منْ أمِّ زيدٍ تعودُني وقد غالَني لو تعلمينَ شُؤونُ

تقولُ بذلْتُ الوُدَّ منكَ لغيرِنا وقطّعتَ حبلَ الوصْلِ وهو متينُ

أراكَ تَخطّانا إذا جئتَ زائراً وقدْ شهَرَتْنا في هواكَ عيونُ

لجِجْتَ بهِجرانِ البيوتِ كأنّما عليكَ بهِجرانِ البيوتِ أمينُ

تراجعْنَ بالأيدي السلامُ وكلُّنا بصاحبِهِ يومَ الفِراقِ ضَنينُ

كأنَّ الخُدورَ ألجأتْ في ظلالِها نِعاجَ الملا ليستْ لهنَّ قرونُ

قطعْتُ حبالَ الوصْلِ منهنَّ بعدَما تَطاوحْنَ حتى ما لهنَّ قرينُ

منَ الأنسِ إلاّ مستفيدٌ لقولنا ولا الجنّ إلاّ قد ألمَّ يَدِينُ

وقدْ قيلَ حتى ما أبالي حديثَهُ أقاويلَ مينَتْ باطلٌ وظنونُ

أقاويلُ أقوامٍ وقالَةُ نسوةٍ يقُلْنَ ولمّا يأتِهنَّ يقينُ

فإنَّ الذي حُدّثْتِ رَقّى حديثَهُ عدوٌّ لحبلِ المسلمينِ لَعينُ

معَ الشانئِ الغَيرانِ شيءٌ كأنّهُ منَ الوجْدِ مَبهوتُ الفؤادِ طَعينُ

يُرائيكَ إلاّ إن سألْتُكَ مالَهُ ويُمسي منَ الشَّنآنِ وهْوَ بَطينُ

وليسَ بمُعطيكَ المُواخاةَ كلَّها أخٌ لكَ ما لمْ يرْعَ حينَ تَبينُ

بعينَيْكَ أحداجٌ لدَوْمَةَ إذْ غدَتْ لها نِيبَّةٌ تُنئي الحبيبَ شَطُونُ

غدَتْ من رَجا الوادي كأنَّ حُمولَها لعينِ البصيرِ المُستَبينِ سَفينُ

على كلِّ نَعّابٍ يُباري زِمامَهُ ... بهِ من أغاني الحُداةِ جنونُ
إذا خضَلَتْ أعطافُهُ غضبتْ لهُ ... قوائمُ عُوجٌ تنتَحي وتَلينُ
ورأسٌ كبِرْطيلِ الحديدِ يَزِينُهُ ... مَشافرُ مَضبوحِ الجِرانِ ذَقُونُ
وما كانَ ضَرَّ العامِريّاتِ لو بدا ... لنا يومَ فلْجٍ أسْوُقٌ وعيونُ

وقال العُديل أيضاً:

أجِدَّكَ لا تَنهى وإنْ كنتَ أشْيبا ... فؤادَكَ ذا الأهواءِ أنْ يَتطرَّبا

وقدْ كانَ أحياناً إذا اقتادَهُ الهوى ... عصا في هواهُ العاذلينَ فأصحبا
فأصبحتُ ذا صغْوٍ إلى اللهوِ بعدَما ... وهى منكَ باقي حبلِهِ فَتقضَّبا
تمنّى المَنى القلبُ اللَّجوجُ وقدْ ترى ... بعينِكَ إنْ لمْ يطلُبِ اللهوَ مَطْلَبا
وكيفَ طِلابُ البيضِ أو تَبَعُ الصِّبا ... وقد صِرتُ من شيبٍ تَغشّاكَ أشيبا
وكان طلاب الغانيات كأنما ... تباعده منهن أن يتقربا
على أنَّ من سلمى خيالاً إذا نأتْ ... بها الدارُ لم يُخلِفْكَ أنْ يتأوَّبا
يُلِمُّ فيأتي بالسلامِ ودونها ... بلادٌ ترى أعلامَها الغُبْر نضبّا
إذا كُلِّفَتْها العيسُ قطَّعَ بَينَها ... فيافيَ يترُكْنَ الأيانقَ لُغَّبا
تراهُنَّ بعدَ البُدْنِ من شدّةِ السُّرى ... دقاقاً كأقواسِ المعَطَّفِ شُزَّبا
عرفتُ لها داراً بمدفَعِ داحِسٍ ... قِفاراً عفَتْ إلاّ نَعاماً ورَبْرَبا
رعَيءنَ الندى حتى إذا يبِسَ الثَّرى ... وخفَّتْ رياحُ الصيفِ شرقاً ومغربا
ولاحَتْ منَ الصبحِ الثريّا ولم يجِدْ ... صدى إبلٍ إلاّ المهايعَ مَشرَبا
دعَتْ بالجِمالِ البُزْلِ للظعنِ بعدَما ... تَجذَّبَ راعي الإبلِ ما قدْ تَحلَّبا
بكلِّ سَنيدِ المَنكِبَيْنِ تَخالُهُ ... منَ البُدنِ لمّا زالَ بالحملِ أغلبا
عَلَنْدىً كأنَّ الحُصَّ لونَهُ ... إذا الخطْوُ عن أعلى صلاهُ تَقوَّبا
مُنعَّمةٌ كالريمِ لمْ تخشَ فاقةً ... عليها ولم تتْبَعْ شقيّاً مُعذَّبا
رمَتْهُ بسهمِ الجهلِ فاصطادَ قلبَهُ ... سُلَيمى وقدْ مالوا بعزَّى وجرَّبا

فلمْ أرَ ممّنْ يسكُنْ المصرَ مثلَها جمالاً ولا اللائي رمَيْنَ المحَصَّبا

تُكرِّمُهُ بالوُدِّ وهْوَ يَشُفُّهُ إليها هوىً مما بدا أو تغيَّبا

إذا حدَّثَ الركبَ العِجالَ بذِكرِها طَرُوقاً وقد ملُّوا الجبالَ وأطْنبا

تَهدَّى شبابٌ بالغواني وإنّني لمثْنٍ وما أخشى بهِ أنْ أكذَّبا

على الصيدِ من بكرٍ ذوي التاجِ إنّهمْ كِرامُ القِرى حشدٌ إذا السرْحُ أجدبا

إذا قطْرُ آفاقِ السماءِ رأيتَهُ منَ المحْلِ مُحمرَّ الجوانبِ أصهبا

وجدْتَ الجفانَ الرُّوحَ حولَ بيوتِهمْ لمنْ باتَ في ناديهمِ أنْ يُحَجَّبا

مُبرَّزةً فيها البوائكُ كلّما خلَتْ جَفْنةٌ عُلَّتْ سَديفاً مُشَطَّبا

أولئكَ قومي من يَقِسْهُمْ بقومِهِ يُلاقِ وعُوراً دونَهمْ إذْ تذَبْذَبا

لنا عددٌ أربى على عددِ الحصى ومجدٌ تلادٌ لمْ يكنْ مُتأشّبا

لنا باذخٌ نالَ السماءَ فروعُهُ جَسيمٌ أبَتْ أركانُهُ أنْ تَصوَّبا

فنحنُ حُدَيّا الجنِّ والإنسِ كلِّها فِصالاً لمنْ عدَّ القديمَ ومَحْسَبَا

وإنّا أحقُّ الناسِ بالباعِ والندى وأكثرَهُ قوماً إذا عُدَّ مُصعبَا

وأكثرَهُ بيتاً طويلاً عِمادُهُ وأكثرهمْ بَدءاً إذا هُزَّ محْرَبا

كريماً ترى الأبطالَ تعلم أنّهُ أخو نجدةٍ ماضٍ إذا ما تَلَبَّبا

منيعاً تفادى الخيلُ منهُ كأنّما يُحاذِرْنَ وطّاءَ الفَريسِ مُهَيَّبا

غَذيّاً أبا شِبْلَيْنِ يشغَلُ قِرنَهُ إذا عضَّ لمْ يَنْكُلْ حشاها ونَيَّبا

بنا يُتَّقى الثغرُ المخوفُ لقاؤُهُ إذا ما دعا داعي الصباحِ وثوَّبا

وكمْ من رئيسٍ قد غزانا فلمْ يؤُبْ إلى قومهِ إلاّ طليقاً مُسَيَّبا

أتاهُمْ بلا نهبٍ وأسلَم جيشَهُ أسيراً مُهاناً أو قتيلاً مُلَحّبا

ونحنُ عبأْنا يومَ حِنْوِ قُراقِرٍ لحَلْبَةِ كِسرى والذي كانَ أشْبَا

فوارسَ صدقٍ لا يبالونَ من ثَوى إذا كسَفوا يوماً أغرَّ مُحبَّبا

على كلِّ شَوهاءِ العَنانِ كأنّها عُقابٍ إذا ما العطفُ منها تَحلَّبا

وأجردَ عُريانٍ كأنَّ لجامَهُ إذا ما تراقى علْقَ جِذْعاً مُشَذّبا

إذا اغْترَبَتْ منّا هِجانٌ كريمةٌ | وجدْتَ ابنَها إذا عُدَّ خالاً ومُنجِبا

تَمجَّدَ ما يعلو الرجالَ وينتمي | إذا قامَ في يومِ الحفيظةِ مُغْضَبا
وإنْ كانَ من حيٍّ كرامٍ أعزّةٍ | وكانَ خِيارُ الحيِّ منهمْ مُرَكّبا
وكانتْ سَراةُ الحيِّ تعلمُ أنّهُ | أعزَّهُمُ عزّاً وأكرمَهمْ أبا

مُزاحم العقيلي

وقال مُزاحم بن الحارث بن مُصرِّف بن الأعلم بن خُويلد بن عوف بن عامر بن عُقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة وسُئل جَرير عن أشعر الناس، فقال غلامٌ بناصفة يأكل لحوم الوحش يعني مُزاحماً:

خليليَّ عُوجا بي على الرَّبْعِ نسألِ | متى عهدُهُ بالظاعنِ المُتحمِّلِ
فإنْ تُعْجِلاني بانصرافٍ أهجِكُما | على عَبْرَةٍ أو تَرْقئا عينَ مُعْوِلِ
فإنّكما إنْ تدعُواني لمثلِها | وطاوَعْتُماني في الذي قلتُ أفعَلِ
فعُجْتُ وعاجا فوقَ بيداءَ أصفقَتْ | بها الريحُ جَولانَ الترابِ المُنخَّلِ
وما هاجَهُ من دِمنةٍ بانَ أهلُها | وأمسَتْ قوىً بينَ الحصيرِ ومُحْبَلِ
كأنَّ حصاها من تقادُمِ عهدِها | صِعابُ الأعالي أُبَّدٌ لمْ تَحَلَّلِ
وهابٍ كجُثمانِ الحمامةِ أجفلَتْ | بِهِ ريحُ تَرْجٍ والصَّبا كلَّ مُجْفَلِ
تكادُ مغانيَها تقولُ منَ البِلى | لسائلِها عن أهلِها لا تَعمَّلِ
وقفْتُ بها فانْهلَّتِ العينُ بعدَما | قرَتْ حِقَباً أسبالُها لم تَهلَّلِ
ذهاباً جرَتْ نفحَيْنِ جَوداً وديمةً | كما انهلَّ غرباً زارِعٍ فوقَ جدولِ
عَزاءً على ما فاتَ من وصْلِ خُلّةٍ | ورَيْقِ شبابٍ شَلَّهُ الشيبُ مُنْجَلي
ألا لا تُذَكِّرْني أميمةَ إنّها | متى ما يُراجِعْ ذكرُها القلبُ يجهلِ
سجنْتُ الهوى في الصدرِ حتى تطلَّعتْ | بناتُ الهوى يُعْوِلْنَ من كلِّ معولِ
ومثلُ لياليِنا بخَطْمَةَ واللِّوى | بُكِينَ وأيامٍ قِصارٍ بمأْسَلِ
إذِ العيشُ لم ينكَدْ ولم يظهرِ الأذى | على أحدٍ والأرضُ لم تَتزلزَلِ
وإذْ أنا في رُودِ الشبابِ الذي مضى | أغرُّ كنصلِ السيفِ أحوى المُرَجَّلِ

حبيبٌ إلى البِيضِ الأوانسِ نازلٌ لِيَ الجاهُ من ألبابِها كلَّ منزِلِ

تَخطّى إليَّ الكاشحينَ عيونُها إذا حضرَتْ دونَ الحديثِ المُفصَّلِ

تُطالعُني من خلِّ كلِّ خَصاصةٍ وكُفَّةِ ديباجٍ وسِترٍ مُهوَّلِ

طِلاعَ المها الرَّقْديّ رِيعَ وفوقَهُ أراكٌ وأرْطىً من قساءٍ وحَومَلِ

بنُجْلٍ كأعناقِ المها العِينِ أتلعَتْ لِطافِ العيونِ لذّةِ المُتأمِّلِ

ترى في سنا الماذيِّ في العصرِ والضحى على غفَلاتِ الزَّينِ والمُتجمّلِ

وجوهاً لوَ انَّ المُدلجينَ اعْتَشَوا بها صدَعْنَ الدُّجى حتى ترى الليلَ ينجلي

نواعمَ يركُلْنَ الذيولَ برَخْصةٍ سِباطٍ وخَدْلاتٍ رِواءِ المُخلْخَلِ

ولُفٌّ كأفخاذِ البَخاتيّ ردَّها إلى مَعْلَفٍ تَنْهاتهُ بابِ مُكْبَلِ

أباحَتْ لهنَّ المَشرفيّةُ والقَنا أباطحَ نجْدٍ من فلاةٍ ومَنهَلِ

فهُنَّ يُصرِّفْنَ النَّوى بينَ عالجٍ ونَجرانَ تصريفَ الأديبِ المُذلَّلِ

لهُنَّ على الريّانِ في كلِّ صَيفةٍ فما ضمَّ ميْثُ الأزوَرَيْنِ فجُلْجُلِ

خيامٌ إذا خَبَّ السَّفا عرضَتْ لها جوائزُ تُعْلى بالثُّمامِ المُظلِّلِ

مكانسُ بَيَضٍ كلُّ بيضاءَ تلتقي عليها رِواقا فارسيٍّ مُكلَّلِ

وبِيضٍ رغَبْتُ الوصلَ منها ومثلَها تركْتُ سُدىً في مُحسنِ القولِ مجملِ

حِذاراً على نفسي هَوايَ وللفتى مَتالفُ زَلّاتٌ إذا لم تأمَّلِ

ويومَ تلافَيْتُ الصِّبا أنْ يَفوتَني بصهباءَ تطوي تَفْنَفَ البيدِ عَنْسَلِ

تُلاعبُ حاذَيْها وتَطَّرِحُ الشذى بأصهبَ ضافٍ سابغِ المُتذَيِّلِ

تُنيفُ بهِ طَوراً وطَوراً تَخالُهُ مَخاريقَ بالأقرابِ أو نفْحَ مِشْمَلِ

لها وَرِكٌ كالجَوبِ لُزَّ فَقارُهُ نمَتْ صُعُداً في ناشزِ الخَلْقِ مُكمَلِ

وتُلحِقُها عَجْلى رَقوصٌ رمَتْ بها على مارنٍ كالمرضَخِ المتَبذِّلِ

كسبّاحةٍ في لُجّةِ البحرِ سَوَّمَتْ بها الرومُ تزهاها أفنينُ شَمْأَلِ

مَفاصلُها السفلى ظِماءٌ ولحمُها كِنازُ الأعالي من خَصيلٍ ودُخَّلِ

إذا ضمَرتْ لم يقلقِ النِّسْعُ واحْتبى — بهِ جَوزُ حدباءِ الحَصيريَنِ عَيْهَلِ

تظلُّ إذا ما أُسمعتْ عاجِ أو بدا — لها السوطُ غضْبى في الحديدِ المُسلسلِ

يُباري سَديساها إذا ما تَلَمَّجتْ — شباً مثلَ إبزيمِ السلاحِ المُؤسَّلِ

تمدُّ ذراعَيْها دِلاثٌ شِملّةٌ — بمجرى صَفيحاتٍ من المَيسِ فُصَّلِ

وأتْلَعَ قادَ المَنكِبَيْنِ كأنّهُ — يَمانٍ نضا من ذي نِجادَيْنِ مُنْعَلِ

إذا بركَتْ خَوَّتْ على ثَفناتِها — كجَلسةِ مَقرورٍ لدى النارِ مُصطَلي

ونَضّاخةُ الذِّفْرى رَجوفٌ كأنّها — عَلاةٌ أُنيخَتْ بينَ كيرٍ ومِعوَلِ

يصيحُ سَديساها إذا ما تلمَّجَتْ — بِرُوقِ حِدادٍ في مِراحٍ وأفْكلِ

لها حُرَّتا وحشيّةٍ راعَ سمعَها — أنيسٌ مُهيبٌ بينَ سمْعٍ مُؤَلَّلِ

وكمْ دونَ جدوى من فلاةٍ كأنّها — إذا ضربَتْها الريحُ سَحْقٌ مُهَلْهَلُ

تموتُ الرياحُ الهُوجُ في حجراتِها — وأيْهاتَ من أقطارِها كلُّ مَنهَلِ

قطعْتُ بشَوشاةٍ كأنَّ قُتودَها — على خاضبٍ يعلو الأغرَّيْنِ مُجْفِلِ

كأنَّ عموديْ قامةٍ رجَفا بهِ — برَوقَيْهِما أفْنانُ بانٍ مُشعَّلِ

يخافُ على بَيضاتِهِ الليلَ قدْ دنا — وتَهْتانَ وكّافِ الجنابَيْنِ مُخْضِبِ

أطافَ بهِ طَوفَيْنِ ثمَّ ثنى لهُ — نصيحةَ وُدٍّ من جِرانٍ وكَلكَلِ

فلمّا تجلّى ما تجلّى من الدُّجى — وشمَّرَ صعْلٌ كالخيالِ المُخيَّلِ

غدَوْنَ كبُهْمِ الخابِطينَ خِلافَها — وخَلفَ مُزَجٍّ يحسرُ الكفَّ مُحْوِلِ

أذلكَ أم كُدْريَةٌ ظلَّ فرخُها — لقىً بشَرْوَرى كاليتيمِ المُعيَّلِ

كُدارِيّةٌ ليستْ بزَعْزاءَ حَمْشَةِ — ولا قُذَّتَيْ لغْبٍ على فُوقٍ مُغزِلِ

غدَتْ من عليها بعدَما تَمَّ ظِمئُها — تَصِرُّ وعنْ قَيضٍ بزيزاءَ مَجهَلِ

غُدُوّاً طوى يومَينِ غيرَ انطلاقِها — كمِيلَيْنِ عن سَيرِ القَطا غيرَ مُؤتَلي

إذا عرضَتْ داوِيّةٌ صَيْخَديّةٌ — بها غمراتٌ من سرابٍ وإزْملِ

سمَتْ غيرَ إصعادٍ فيغتالُ شأوَها — سُمُوٌّ ولمْ تجنحْ بجيدٍ وكَلكَلِ

تُقلِّبُ منها مَنكبَيْنِ كأنّما — خوافيهِما حُجْرِيَّةٌ لمْ تَفَلَّلِ

فجاءَتْ تَهادى من بعيدٍ كأنّها دَلاةٌ هوَتْ من قَطْعِ رِمْثٍ مُوصَّلِ

إلى ناعمِ البَرْديِّ وسْطَ عيونه علاجيمُ جُونٌ بينَ صُدٍّ ومَحفِلِ

فلمّا دنَتْ للماءِ وانضمَّ ريشُها إلى جَوزِها وحشيّةٌ لم تُهوَّلِ

إلى منهَلٍ خالي الجبا لمْ تجِدْ بهِ أنيساً ولا إرصادَ شبْكٍ مُحبَّلِ

شفَتْ ما بها من لوحةٍ مُستكنَّةٍ وخلَّتْ لأفواجٍ توارَدْنَ نُهَّلِ

تَواقَعْنَ بالبطحاءِ يَحسُونَ ماءَها كحَسوِ النصارى صِرفَ دَنٍّ مُفَلْفَلِ

فراحَتْ تُنادي باسمِها شمَّريَّةٌ سقَتْ في لطيفِ الطَّيِّ للماءِ محملِ

مُعرَّىً وثيقَ العقدِ كَفْتاً كأنّهُ إلى المُنحنى من جيدِها جِرْوُ حَنظَلِ

فقدْ علمتْ إلاّ الأمانيَّ أنها بجِدّاءَ إلاّ تسبقِ الليلَ تثكَلِ

فزادَتْ على البَدءِ الذي استوردَتْ لهُ أفانينَ من باقي الذخيرةِ مُفْضِلِ

فجاءَتْ ومن أخرى النهارِ بقيّةٌ أضَرَّ بها سُلاّفُ أدعَجَ مُقبِلِ

فلمّا دنَتْ من عهدِهِ وتبيَّنتْ معارفَ منهُ بينَ قُفٍّ وإرْمِلِ

دعَتْهُ فناداها وما اعوجَّ صدرُها بمثلِ الذي قالتْ لهُ لمْ تبدَّلِ

فبَشَّتْ بهِ إذْ كانَ حقّاً وسبْقَها دُجىً قد أظلَّتْها ولمّا تَجلَّلِ

فباتَتْ تُسَقِّيهِ بأرضٍ تَنُوفةٍ كلَدِّ الشَّجى حتى ارتوى غيرَ مُعجَلِ

كما سجرَتْ ذااللَّهْدِ أمٌّ حَفِيّةٌ بيُمنى يدَيْها من يدَيْها من نَديٍّ مُعَسَّلِ

وباتَتْ تُلَقّيها لَهاةً كأنّما بواطِنُها من جيّدِ الوَرْسِ تَطَلّي

وباتَتْ تُسقِّيهِ مَجاجاً كأنّهُ إذا جاءَ من حيزومِها ماءُ مفصلَِ

فأصبحَ جَحْناً مُزْلغِبّاً وأصبحَتْ تُراطِنُهُ في مُسْتَرادٍ ومَهْبَلِ

قَطاً لِقَطاً ما يُبتلى مُستقرُّهُ مُتونُ الفلا عن ذي مَقيلٍ بمَعزلِ

ولم يلتمسْ فحلاً أبوها وإنّما بناتُ أبيها كلُّ أرقطَ مُحْثَلِ

وقال مُزاحم أيضاً:

لصفراءَ هاجَتْكَ الغداةَ رسومُ كأنَّ بقاياها الجُرودَ وشُومُ

تراها على طولِ القَواءِ جديدةً وعهدُ المغاني بالحُلولِ قديمُ

منازلُ أمّا أهلُها فتحمَّلوا فبانوا وأمّا خيمُها فمقيمُ

بكتْ دارُهم من بعدِهمْ وتَهلَّلتْ دموعي فأيَّ الجازعينَ ألومُ

أَمُسْتَعْبِرٌ بالدارِ يبكي من الهوى أم آخرُ يبكي شَجوَهُ ويَهيمُ

خليلَيَّ هلْ بادٍ بهِ الشيبُ إنْ بكى وقدْ كانَ يُشكى بالعزاءِ مَلومُ

علَتْهُ غواشي عَبرةٍ ما يردُّها لها من شجونِ المأقيَيْنِ سُجومُ

وقدْ يفرِطُ الجهلُ الفتى ثمَّ تَرعوي خِلافَ الصِّبا للجاهلينَ حُلومُ

وما ذاكَ إلاّ منْ جميعٍ تَفرَّقَتْ بهمْ نِيّةٌ بعدَ الجوارِ قَسُومُ

تَؤمُّ بهِ الآفاقَ حتى تُبينَهُ مُعاودةٌ قَطْعَ الفِراقِ جَذُومُ

كما انشقَّ بُرْدُ العصْبِ منّي فأصبحوا فمُحتملٌ ولَّى وباتَ مُقيمُ

فذلكَ دأبٌ للنَّوى ليسَ مُخلِفي إذا كانَ لي جارٌ عليَّ كريمُ

فما للنَّوى لا باركَ اللهُ في النَّوى وأمرٌ لها بعدَ الخِلاجِ عَريمُ

كأنَّ لها ذَحْلاً عليَّ فتَبْتغي أذاتي وغَيظي إنّها لظلومُ

وفيمنْ تولّى حاجةٌ لكَ إنْ تمُتْ فعلَّ وإنْ تُبْلِلْ يُبِلَّ سقيمُ

فسلِّ الهوى إنْ لم تُساعِفْكَ نيّةٌ بجدوى لأعناقِ المَطيِّ حَمومُ

بمائرةِ الضَّبْعَيْنِ أخلصَ مَتْنَها صَلاً كرِتاجِ الهاجريِّ عقيمُ

سِنادٍ أُمرَّتْ في اعتدالٍ وخَلْقُها مُضبَّرُ أوساطِ العِظامِ جَريمُ

كأحقَبَ من وحشِ الغَميمِ بمَتْنِهِ وليتَيْهِ من عضِّ الحميرِ كُدومُ

أطاعَ لهُ بالمِذْنبَيْنِ وكَتْنَةٍ نَصِيٌّ وأحوى ذُخَّلٍ وجَميمُ

فقدْ صارَ مَجدولاً أقَبَّ كأنّهُ عِنانٌ خلَتْ فيهِ يدٌ وشَكيمُ

يَسُوفُ بأنفَيْهِ اليَفاعَ كأنّهُ عنِ النفْلِ من فرْطِ النشاطِ كَعيمُ

شديدُ مُسَدّى البطنِ مُنكَفِتُ الحشا لهُ بالقَواري رَنّةٌ ونَهيمُ

أُشِبَّ بمِشْحاجِ العَشيّاتِ ضَمْعَجٍ فأفردَ عنها الجحشَ فهْوَ يتيمُ

لها ولَهُ دَورٌ بكلِّ قَرارةٍ ونقْعٍ بمُستلقى الفضاءِ قَويمُ

ندى الصيفِ حتى جاوبَ العِشْرِقُ السَّفا وهبَّتْ رياحٌ واستقلَّ نُجومُ
ولاحَهُما بعدَ النَّسيءِ ظَماءةٌ ولمْ يكُ عن وِردِ المياهِ عُكومُ
فراحا كأعطالِ المنيحَيْنِ فيهما ذبولٌ ولمّا يَصمُلا وسُهومُ
نِجاداً يَرِدْنَ الماءَ حتى بدا لهُ وقدْ حانَ من ذاتِ العِشاءِ غيومُ
أشاءٌ وبَرديٌّ تَنازَعَ سُوقَهُ بربَواءَ مأدُ الماءِ فهْوَ عَميمُ
فلمّا دنا خافَ الجِنانَ كما اتقى على نفسِهِ خاشي العقابِ جَريمُ
وبالأُفقِ الغربيِّ والشمسُ حيّةٌ سَبائبُ من أخرى النهارِ قُتومُ
وجاءَتْ تَقَدَّى في الدُّجى أخدريّةٌ على هَولِ نفْرِ الواديَيْنِ تدومُ
وفي قُتَرِ الناموسِ تحتَ صَفيحةٍ أخو قنَصٍ للهادياتِ كَلومُ
فلما دنَتْ دفْعُ اليدَيْنِ وأعرضَتْ لهُ صفحةٌ من جَوزِها وصَميمُ
تنكَّبَ من زَوراءَ يلحقُ نبلَها إلى الصيدِ عجزٌ في الشِّمالِ طَحومُ
بأخضرَ مَطرورِ الوَقيعةِ سَنَّهُ وحشَّرَهُ بالأمسِ فهْوَ زَليمُ

فأخطأَها وانفلَّ عن ظهرِ خالدٍ منَ الجَندِ مَردودُ الشَّباةِ رَثيمُ
فجالَتْ على وحشِيِّها بعدَ دَنْوَةٍ منَ الموتِ واستولى أحَذُّ رَجومُ
وأصبحَ يَحويها كأنَّ صِفاقَهُ منَ الترسِ في أولى الجِيادِ لَطيمُ
بمَرْقَبةٍ عَلياءَ يرفعُ طرْفَهُ بها علَمٌ دونَ السماءِ جَسيمُ
تكشَّفُ عن طاوي الغِرارِ كأنّهُ فلافلُ جُونٌ عهدُهُنَّ قديمُ
كقَوسٍ منَ الشِّريانِ ليسَ بفَجوِها فُطورٌ ولا بالطائفينَ وصومُ
أذلكَ أمْ كُدْرِيَّةٌ هاجَ وِردَها منَ القَيظِ يومٌ صاخدٌ وسَمومُ
غدَتْ كنواةِ المُقْلِ لا مُضمحلّةٌ وناةٌ ولا عَجلى الفُتورِ سَؤومُ
لتسقيَ زُغْباً بالتّنوفةِ لم تكنْ خِلافَ مُولاّها لهُنَّ حَميمُ
تَرابِكَ في الأرضِ الفلاةِ ومنْ يضَعْ بمَوضِعِها الأولادَ فهْوَ مُليمُ
جُنوحاً بزيزاةٍ كأنَّ متونَها أفاني حَياً بعدَ النباتِ حَطيمُ

إذا استقبلَتْها الريحُ طَمَّتْ رفيعةً وإنْ كسعَتْها الريحُ فهْيَ سَؤومُ

تُواشكُ رَجعَ المَنكبَيْنِ وترتمي إلى كَلْكَلٍ للهادياتِ قَدُومُ

فما انخفضَتْ حتى رأتْ ما يَسرُّها وفيءُ الضحى قد آلَ فهْوَ ذَميمُ

أباطِحَ لم تنصَبْ على حيثُ تستقي بها شَرَكٌ للوارِداتِ مُقيمُ

سقَتْها سُيولُ المُوشِماتِ فأصبحَتْ علاجِمَ تجري مرّةً وتدومُ

فلما استقَتْ من باردِ الماءِ وانجلى عنِ النفسِ منها لوعةً وهمومُ

دعَتْ باسمِها حتى استقَتْ واستقلَّها قوادمُ حُجْنٌ ريشُهنَّ سليمُ

بجَوزٍ كحُقِّ الهاجريّةِ لَزَّهُ بأطرافِ عودِ الفارسيِّ لَطيمُ

فغنَّتْ غُنوناً وهْيَ صَغواءُ ما بها ولا بالخوافي الخافقاتِ حشومُ

على خطمِ جَونٍ قد بدا من ظلالهِ غطاءٌ يكُفُّ الناظرينَ بَهيمُ

رمى بالنهارِ الغَورَ فالطيرُ جُنَّحٌ رفاقٌ بعيدانِ العِضاهِ لزومُ

دعَتْهُنَّ عَجلى فاستجَبْنَ لصوتِها بمَهوىً وهنَّ كالكراتِ جُثومُ

يَنُؤْنَ إلى النَّقْناقِ حيثُ سمِعْنَهُ قِصارِ الخُطى ليستْ لهنَّ جُرومُ

تُراطِنُ وقْصاءَ القفا حَمْشَةَ الشَّوى بدعوى القطا لحنٌ لهنَّ قديمُ

تَنُوفيّةُ الأوطانِ كالدُّرْجِ زانَهُ بأطرافِ عُودِ الفارسيِّ رُقومُ

فبِتْنَ قريراتِ العيونِ وقدْ جرى عليهنَّ شربٌ فاستقَيْنَ مُنيمُ

صَبيبَ سِقاءٍ نيطَ قدْ نزلتْ بهِ مُعاوِدَةٌ سقْيَ الفراخِ رَؤومُ

فلمّا انجلَتْ عنها الدجى وتبيَّنتْ منَ الأرضِ والأجلاءِ حيثُ تَحومُ

أصادِعَةٌ شَعبانُ منها أديمُها ونحنُ صِحاحٌ والأديمُ سليمُ

وأنتمْ بنو لُبنى ونحنُ فكلُّنا لهُ جانبٌ يختارُهُ وحَريمُ

وقال مُزاحم أيضاً:

أشاقَتْكَ بالغَرَّيْنِ دارٌ تأبَّدتْ منَ الحيِّ واستَنَّتْ عليها العواصفُ

صَباً وشَمالاً نَيْرَجاً تعْتَفيها عَثانينُ نَوباتِ الجَنوبِ الزَّفازِفُ

ورائحةٌ غُرٌّ وجُونٌ يقودُها بأنجيَةِ الماءِ الرّواءِ الدوالِفُ

وقفتُ بها لا قاضياً لي لُبانةً ... ولا مُستمرٌ في سَريحٍ فصارِفُ

طليحةَ أسفارٍ تنقَّيْتُ طَرقَها ... كما يتنقَّى جِدّةَ الغلِّ طائفُ

سَراةَ الضحى حتى ألاذَ بخُفِّها ... بقيةُ منقوصٍ من الظلِّ صائفُ

وقفتُ بها حتى تعالَتْ ليَ الضحى ... وملَّ الوقوفَ المُبرياتُ العوارفُ

وقال زميلي بعدَ طولِ مُناخِنا ... إلى أيِّ حينٍ أنتَ في الدارِ واقفُ

فقلتُ حَلٍ طالَ الوقوفُ وسامحَتْ ... قرينةُ من عاتبْتُ والقلبُ آلِفُ

وما جَونةُ المِدْرى خَذولٌ دَنا لها ... بقُرىً مُلاحيٌّ من المَرْدِ ناطِفُ

أصيبَ طَلاها وهْيَ قَبّاءُ لاحَها ... تَلَمُّسُ حولِ العهدِ ما لا تصادفُ

طَليحٌ كجَفنِ السيفِ لم يشْفِ لُبَّها ... إهابٌ مُشَكّىً في كُراعَيْنِ شاسِفُ

جرَتْ حزَناً حتى إذا ارتدَّ لُبُّها ... إليها وأعيَتْها البُغى والمَطارِفُ

تَضمَّنَها أعطانُ وادٍ وغَيْضَةٌ ... وظِلٌّ كِناسٍ لاذَ بالساقِ جائفُ

بأحسنَ من جدوى ولا ضوءُ مُزنةٍ ... تَكشَّفُ في داني الغَمامةِ صايفُ

ووجْدي بها وجْدُ المُضلِّ بعيرَهُ ... بمكّةَ لم تعطِفْ عليهِ العواطفُ

رأى من رفيقَيْهِ جَفاءً وفاتَهُ ... بفُرقَتِها المُستعجِلاتُ الخوانفُ

وقالوا تعرَّفْها المنازلَ من منىً ... وما كلُّ من وافى منىً أنا عارفُ

ولم أنسَ منها ليلةَ الجزعِ إذْ مشتْ ... إليَّ وأصحابي مُنيخٌ وواقفُ

فمدَّتْ بَناناً للصِّفاحِ كأنّهُ ... بناتُ النَّقا مالَتْ بهنَّ الأحاقفُ

تُذكِّرُني جدوى على النأيِ والعِدى ... طِوالُ الليالي والحَمامُ الهواتفُ

وإلفانِ ريعا بالفِراقِ فمنهُما ... مُجِدٌّ ومقصورٌ لهُ القَيدُ راسِفُ

فقدْ باكرَ الغادي معَ القومِ سائقٌ ... عنيفٌ وللتالي معَ القيدِ واقفُ

ومنْ يرَ جدوى كالذي قد رأيتُها ... يشُقْهُ ويجهَدْهُ إليها التكاليفُ

كصَعدَةِ مُرّانٍ جرى تحتَ ظِلِّها ... خليجٌ أمَرَّتْهُ البحورُ الزَّعارِفُ

ولو بذلَتْ أنْساً لأعصَمَ عاقلٍ ... برأسِ الشَّرى قدْ حوَّذَتْهُ المخاوِفُ

لظلَّ رهيناً خاشعَ الطرْفِ حطَهُ تَحلُّبُ جدوى والكلامُ الطرائفُ

وما عنبٌ جَونٌ بأعلى تَبالةٍ خَضيدٌ أمالَتْهُ الأكُفُّ القواطفُ

بأطيبَ من فيها وما ذقتُ طعمَهُ ولكنّني بالطيرِ والناسِ عارفُ

فما طيبُها وَيْ أنْ يكونَ خيالُها عليَّ وأمثالُ الرواةِ القذائفُ

وتَغْلَقُ دوني بابَ صُرْمٍ وراءَهُ لغيري كَراماتُ المُحبِّ اللطائفُ

أبيني أتَغويلٌ علينا فتُعْتِبي صدودُكِ هذا أم لعينِكِ طارفُ

وما زالَ عنّا الناسُ حتى ارتَووا بنا وحتى قلوبٌ عن قلوبٍ صوَادفُ

وحتى رأيْنا أحسنَ الوُدِّ بيننَا مُساكتةً لا يَقرُفُ الشرَّ قارِفُ

ركْبٍ عجالٍ قد تَضمَّنتْ سَيرَهمْ بمَهلكَةٍ تمتدُّ فيها التنائفُ

فلاةِ فلاً لَمّاعةٍ من يَجُزْ بها عنِ القَزْدِ تجحفْهُ المنايا الجواحفُ

تناديهمْ والليلُ داجٍ وقدْ مضتْ برُكبانِهنَّ المُعْجلاتُ الخَوانفُ

بحَيٍّ هلا يتْبَعْنَ حرفاً زوى أمامَ المطايا سدْوُها المتقاذفُ

تَقاذُفُ رَوْحاوَيْنِ يطَّرِدانِها تُباريهما حتى يَسَلَّ المُسالِفُ

تُحاذرُ أنَّى دارَ سَوْطِي بمُقلةٍ مُسيّرةٍ خوفٍ طَرفُها مُتشادِفُ

كقارورةِ العطّارِ في مُطمئِنّها بقيّةُ أحوى صفَّقَ الماءَ ناصِفُ

دموعُ المآقي في خشاشٍ مُذكّرٍ لمُفترَعِ اللحْيَيْنِ فيها نَفانفُ

صُهابيّةٌ ما بينَ مَقْبِصها إليَّ للمُستوي منها مَرَدٌ نفافُ

وقال مُزاحم أيضاً:

نظرْتُ وصُحبَتي بقصورِ حَجْرٍ برَيّا الطرْفِ غائرةَ الحِجاجِ

إلى ظُعُنِ الفُضَيلةِ طالعاتٍ خصورَ الرملِ واردةَ الهَماجِ

وتحتي من بناتِ العيدِ نِقْصٌ أضرَّ بنَيِّهِ سَيرٌ هَجاجِ

إذا ما السوطُ شمَّرَ حالبَيْهِ وقلَّصَ بدْنَهُ بعدَ انحِضاجِ

رأيتَ دَسيعةً للرَّحلِ منهُ على دَحَمٍ مُخَوِّيةِ الفِجاجِ

ومَوماةٍ كظهرِ الترسِ تحمي تَماحُلَ بيدِها خُدْلُ النعاجِ

بها يقعُ السحابُ بغيرِ أُنسٍ — ويُلْقحُ وحشَها بعدَ النتاجِ
قطعْتُ إذا القوارعُ أرَّقتْني — بسَدْوِ مُقدِّمِ الضبعَيْنِ ناجِ
خَروجِ المنكِبَيْنِ منَ المطايا — إذا ما قيلَ للشُّجُعاتِ عاجِ
كأنَّ زِمامَهُ يُثنى إلينا — قناةُ رُدَيْنةٍ ذاتُ اعوجاجِ
كأنَّ ندى نوابعِ أخدعَيْهِ — عصيرُ صنوبرٍ ذَفِرِ المُجاجِ
تَحذَّرَ من مُرَيْئِشةٍ تراها — كعِفْرِيَةِ الغَيورِ من الدجاجِ
تقدَّمَ سَدْوَ لاحقةٍ أبُوضٍ — تأطَّرَ خلفَها غيرَ انشِناجِ

إلى حاذٍ ألفَّ ترى صلاهُ — وفَقْرَتَهُ كمَضْبُورِ الرِّتاجِ
يمُدُّ جَديلَهُ المثني حتى — يصيرَ مُورَّداً بعدَ انضِراجِ
وجَوزٌ جَهْضَمٌ جنحَتْ إليهِ — زوافرُ فاعتدلْنَ على انتفاجِ

وقال مزاحم أيضاً:

يا للرجالِ لهَمٍّ باتَ يسلبُني — لُبِّي ويَحلُبُ عيني درّةً هَمَلا
ألَمْ ترَ الشيبَ في رأسي فيُعقِبُني — من منزلٍ كنتُ من رَوعاتِهِ وَجِلا
من دِمْنَةٍ قدْ أحالَتْ بعدَ ساكنِها — حولَيْنِ واستبدلَتْ من أهلِها بدلا
رُبْدَ النِّعامِ وآراماً تَريعُ بها — مثلَ الهجائنِ في أوطانِها همَلا
إنَّ الديارِ التي حِيلتْ بذي سلَمٍ — هاجَتْ عليكَ رَجيعَ الشوقِ مُختبَلا
وما يهيجُكَ من سُفْعٍ برابيةٍ — ودارسٍ مثلِ مُلقى الطَّوقِ قد نحلا
حكَّتْ به نَبْرَجٌ هوجاءُ كَلْكَلَها — حتى تغيَّرَ واستنَّتْ به بلَلا
تهدي له من ترابِ الأرضِ مُعتَصِباً — طوعَ السِّياقِ إذا حنَّتْ له جفَلا
قد قلتُ يومَ اللِّوى منْ بطنِ ذي عُشَرٍ — لصاحبيَّ وقدْ أسمعتُ لو فعلا
لأريحيَّيْنِ كالسيفَيْنِ قد مرَدا — على العواذلِ حتى شيَّبا العذلا
عُوجا عليَّ صدورَ العيسِ ويْحَكُما — حتى نُحيِّ من كلثومةَ الطَّللا
فعوَّجا ضَمْعجاً في سيرِها دفَقٌ — ومرْجَماً كشَسِيبِ النبعِ مُبتَذلا

نِضوَيْنِ قد طالَ ما عنَّاهُما طرَبي أيامَ أتَّبِعُ الأهواءَ والغزلا
وعُجْتُ عارفةً للحبسِ ناجيةً تحتَ القتودِ تَبُذُّ الأيْنُقَ الرِّحَلا
حرفاً ترى في ذراعَيها إذا سنحَتْ والمرفقَيْنِ إذا استعرضتها فتلا
طالَتْ مذارِعُها واشتدَّ مَحْزِمُها وموضعُ الرَّحلِ منها تَمَّ واعتدلا
تُلوي بأصهبَ ذَيّالٍ إذا ضمرَتْ يوماً وقلَّصَ حادي القومِ واعتدلا
وفي الخِشاشةِ منها طامحٌ أنِفٌ ونابُها فاطرٌ لمْ يعْدُ أن بَقَلا
ثَبْجاءُ مائرةُ الضَّبْعَيْنِ تحسبُها منَ الخلاءِ إذا ما أونِسَتْ جملا
أتيكَ أمْ ناهزٌ في السيرِ مُضْطَلِعٌ مشيَ الرِّكابِ إذا استجهلَتهُ جَهِلا
بمثلِهِ تُطلبُ الحاجاتُ إنْ شحطَتْ دارٌ به أو أُسَلِّي الهمَّ إنْ نزلا

أبو حَيَّة النميري

قال أبو حية، واسمه الهيثم بن الربيع بن زُرارة بم كبير بن جناب بن كعب بن مالك بن عامر بن نُمير بن عامر بن صعصعة، وكان مجنوناً يُصرع:

لعلَّ الهوى إنْ أنتَ حيَّيْتَ منزِلاً بأكبادَ مُرتدٌّ عليكَ عقابِلُهْ
محتْهُ الرياحُ الهُوجُ يَحْنِنَّ بالحصى ونَوءُ الثريّا الجَودُ منهُ ووابلُهْ
عفا غيرَ أُخدودَيْنِ جَرَّ عليهما جدى كلِّ دَلْويٍّ تُجَنُّ أصائلُهْ
فلمّا سألتُ الرَّبْعَ أينَ تيمَّمَتْ نوى الحيّ لم ينطقْ وضُلِّلَ سائلُهْ
وكنتُ إذا خُبِّرْتُ أنَّ مُكَلَّفاً بكى أو تَعنّاهُ عِدادٌ يُماطلُهْ
منَ الحُبِّ زَرَّفتُ المُحبَّ فقد بكا فؤادي حتى أسلمتْهُ عواذلُهْ
كأنَّ فؤادي طائرٌ في حِبالةٍ رأى غيَّهُ لمّا اعْتَفَتْهُ حبائلُهْ
عشيّةَ رَدَّ الحيُّ بُزْلاً يَزينُها تمامٌ ونَيٌّ طارَ عنهُ خمائلُهْ
عقائلُ ما منهنَّ إلاّ عَدَبَّسٌ ذرى شوكُهُ أو فاطرُ النابِ باقلُهْ
ومرْتٍ إذا أمسى بهِ القومُ أعظمَتْ مَخاقَتَهمْ أهوالُهُ وغوائلُهْ
تأوّلتُ آياتٍ بهِ ورمَيْنَهُ بمردى سِفارٍ ابنُ عامَيْنِ بازلُهْ
بأتلعَ فَعْمِ المنكبَيْنِ تقابلَتْ عليهِ المهارى أروعُ القلبِ جاهلُهْ

إذا قلتُ جاهٍ لَجَّ حتى يرُدَّهُ مراسٌ ومكيٌّ تأوَّبَ جادلُهْ

كأنّي ورَحلي فوقَ جأبٍ خلا لهُ وإلفَيْهِ جَنْبا صارةٍ فجُلاجِلُهْ

رِباعٍ نفى عنها وعنهُ جِحاشَها فما هنَّ إلاّ مُلْمِعاتٍ قَتائلُهْ

شهورَ الندى حتى إذا هاجَ ناصلٌ عليهِ ورامَتْهُ بصُرْمٍ حَلائلُهْ

غدا في ثلاثٍ مُرْبِعاً لاحقَ الحشا إذا هو أمسى راجعَتْهُ أفاكلُهْ

فظلَّ بآرامَ النُّوَيْرِ كأنّهُ رَبيئةُ قومٍ خائفُ القلبِ واجلُهْ

فلمّا رأيْنَ الليلَ جِنْحاً وقدْ بدا لها ولهُ الأمرُ الذي هو فاعلُهْ

تيمَّمَ عَيناً من أُثالَ رَويّةً عليها أخو بيدٍ شديدٍ خصائلُهْ

يُعَشِّرُ في تَقريبِهِ وإذا انتحى عليهنَّ من قُفٍّ أرنَتْ جَنادلُهْ

وأوقدْنَ نيرانَ الحُباحِبِ والتقى حصىً يتراقى بينهنَّ ولاولُهْ

إذا قلنَ كلاّ قالَ والنَّقْعُ ساطعٌ بلى وهْوَ واهٍ بالجِراءِ أباجلُهْ

وإنْ أسهلَ استَتْلَيْنَ نَقعاً كأنّهُ شَماطيطُ كتّانٍ تطيرُ رَعابلُهْ

فأوردَها والليلُ نَصفانُ بعدَما علاها حميمٌ ما رعَتْهُ شَلاشلُهْ

يرَيْنَ نجومَ الليلِ فيها كأنّها مصابيحُ مِحرابٍ تُذَكّى قنادلُهْ

وفي الجانبِ الأدنى الذي ليس ضربةً برمحٍ بلى حَرّانُ زُرقٌ مَعابلُهْ

مُطِلٌّ بمَنحاةٍ لهُ في شِمالهِ رَنينٌ إذا ما حركّتْها أناملُهْ

فَصَوَّبْنَ أعناناً وأدنَيْنَ أذرُعاً إليهنَّ والجَرْعِ انتهازاً تُداخلُهْ

رمى العَيرُ أدْناهُ على الفُقْرةِ التي تَليهِ وأدنى النَّجْبِ منهُ مَقاتلُهْ

فمَرَّ تُحَيْتَ المَرفقَيْنِ وصدَّهُ عنِ الجَوفِ إنْ لمْ يلقَ حتفاً يُعاجلُهْ

فيا لكَ إخطاءً ويا لكَ جَولةً ويا لكَ شدّاً يَعْبِطُ الأكْمَ وابلُهْ

كما انقضَّ دَرِيٌّ على مُتَعَفِّرٍ رجيمٍ تَدرَّى وحيَ سمعٍ يُخائلُهْ

أذلكَ أمْ ذَبٌّ الرِّيادِ خلا لهُ لوىً وكثيبٌ مُزْبَئِرٌّ خمائلُهْ

رعى الخَطراتِ الحُوَّ فرداً كأنّهُ حسامٌ جلا أطباعَ مَتْنَيْهِ صاقلُهْ

طَباهُ عنِ الأُلاّفِ أيامُ سَلوةٍ يُناطحُ فيها ظِلَّهُ ويُخائلُهْ

إذا رَيْدَةٌ من حيثُ ما نفحَتْ لهُ أتاهُ برَيّاها خليلٌ يُواصلُهْ

غدا والندى يَنصبُّ عنهُ كأنّهُ فريدُ العذارى ضيَّعَ السِّلْكَ ناصِلُهْ

وقال أبو حية أيضاً يذكر النِّشّاش، وهو ماء أكثره لنُمير ومن معهم من أفناء قيس:

ألا حيِّ من أجلِ الحبيبِ المَغانيا لبِسنَ البلى مما لبسْنَ اللياليا

وبُدِّلنَ أُدْماناً وبدِّلْنَ باقراً كبِيضِ الثيابِ المَرْوَزِيّةِ جازيا

كأنَّ بها البَرديْنِ أبلاقَ شيمةٍ بُنِينَ إذا أشرفْنَ تلكَ الروابيا

نظائرُ أُلاّفٌ تَشِيعُ وتلتقي كما لاقتِ الزُّهْرُ العذارى العَذاريا

كما خَرَّ في أيدي التلاميذ بينَهمْ حصى جوهرٍ لاقَيْنَ بالأمسِ جاليا

خبأنَ بها الغُنَّ الغِضاضَ فأصبحَتْ لهنَّ مَراداً والسِّخالَ مَخابيا

وما بدَلٌ من ساكنِ الدارِ أن ترى بأرجائِها القصوى النعاجَ الجوازيا

تحمَّلَ منها الحيُّ وانصرفَتْ بهمْ نوىً لم يكنْ منْ قادَها لكَ آوِيا

فإنْ أكُ ودّعتُ الشبابَ فلمْ أكنْ على عهدِ إذْ ذاكَ الأخلاء زاريا

حَناكَ الليالي بعدَ ما كنتَ مرّةً سَوِيَّ العصا لو كنَّ يُبقينَ باقيا

إذا ما تقاضى المرءَ يومٌ وليلةٌ تقاضاهُ شيءٌ لا يمَلُّ التَّقاضيا

وإنّي لَممّا أنْ أُجَشِّمَ صُحْبَتي ونفسيَ والعيسَ الهمومَ الأقاصيا

وإني لَينْهاني عنِ الجهلِ إنّني أرى واضحاً منْ لِمَّتي كانَ داجيا

وطُولِ تَجاريبِ الأمورِ ولا أرى لذي نُهيَةٍ مثلَ التَّجاريبِ ناهيا

وهَمٍّ طرى من بعدِ ليلٍ ولا ترى لهَمٍّ طَرا مثلَ الصَّريمةِ قاضيا

وجَدّاءَ مِجْرازٍ تَخالُ سرابَها إذا اطَّردَ البيدُ السِّباعُ العواديا

عميقةِ بينَ المنهلَيْنِ دليلُنا بها أن نؤمَّ الفرقدَ المُتصابيا

إذا الليلُ غشّاها كسوراً عريضةً تغنَّتْ بها جنُّ الخلاءِ الأغانيا

قطعتُ إلى مجهولِ أخرى أنيسَها بخُوصٍ يُقلِّبْنَ النِّطافَ الهَواميا

نَشُجُّ بهنَّ البِيدَ أمّاً وتارةً على شرَكٍ نرمي بهنَّ المَراميا

إذا قالَ عاجٍ راكبٌ زلجَتْ بهِ زَليجاً يُداني البرزخَ المُتماديا

فداءٌ لركْبٍ من نُميرٍ تداركوا حنيفةَ بالنِّشّاشِ أهلي وماليا

أصابوا رجالاً آمنينَ وربّما أصابَ بريئاً جُرْمُ منْ كانَ جانيا

فلمّا سعى فينا الصريخُ وربّما بلبَّيْكَ أنجدْنا الصريخَ المُناديا

ركِبْنا وقدْ جدَّتْ جَدادِ ولا ترى منَ القومِ إلاّ مُحْمِشَ الجَرْدِ حاميا

نَزائعَ من أولادِ أعوجَ قلّما تَزالُ إلى الهَيجا صباحاً غواديا

بأُسدٍ على أكتافِهنَّ إذا عصوا بأسيافِهمْ كانوا حتوفاً قواضيا

وما يأتلي منْ كانَ منّا وراءَنا لحاقاً وما نحنو لمنْ كانَ تاليا

فلمّا لحقْناهمْ شددْنا ولمْ يكنْ كِلامٌ وجرَّدْنا الصَّفيحَ اليَمانيا

هوى بينَنا رِشْقانِ ثُمّتَ لمْ يكنْ رِماءٌ وألقى القوسَ من كانَ راميا

وكانَ امتِصاعاً تحسبُ الهامَ تحتَهُ جنى الشَّرْيِ تُهويهِ السيوفُ المهاويا

فدُرْنا عليهم ساعةً ثمَّ خبَّبوا عباديدَ يعدُونَ الفِجاجَ الأقاصيا

وأسيافُنا يُسْقِطْنَ من كلِّ مَنكِبٍ وحبلٍ ويُذْرِينَ الفَراشَ المَذاريا

فلمّا تركْناهمْ بكلِّ قَرارةٍ جُثىً لمْ يُوارِ اللهُ منها المَعاريا

رجعْنا كأنَّ الأسْدَ في ظلِّ غابِها ضرَجْنا دماً منها الكُعوبَ الأعاليا

شككْنا بها في صدرِ كلِّ منافقٍ نَوافذَ يَنْشَحْنَ العروقَ العواصيا

ترى الأزرقِيَّ الحشْرَ في الصَّعدةِ التي وفى الدِّرعُ منها أربعاً وثمانيا

تصيدُ بكفَّيْ كلِّ أروَعَ ماجدٍ قلوبَ رجالٍ مُشْرِعينَ العواليا

وكنّا إذا قيلَ اظْعَنوا قد أُتيتُمُ أقمنا ولم يُصبِحْ بنا الظعنُ غاديا

بِحَيٍّ حِلالٍ يَرْكزونَ رماحَهمْ على الظلْمِ حتى يصبحَ الأمنُ داجيا

جديرونَ يومَ الروعِ أنْ نخضبَ القَنا وأن نتركَ الكبشَ المُدَجَّجَ ثاويا

وإنْ نيلَ منّا لمْ نلعْ أن يُصيبَنا نوائبُ يلقَيْنَ الكريمَ المُحاميا

ونحنُ كفَيْنا قومَنا يومَ ناعتٍ وجُمْرانَ جَمعاً بالقنابلِ بارِيا

حنيفةَ إذْ لم يجعلِ اللهُ فيهمِ رشيداً ولا منهمْ عنِ الغيِّ ناهيا

أتَوْنا وهمْ عَرْضٌ وجئنا عصابةً فذاقوا الذي كنّا نُذيقُ الأعاديا

ضربْناهمُ ضربَ الجنابى على جِبىً غرائبَ تغشاهُ حراراً صوَاديا

بأسيافِ صدقٍ في أكُفِّ عصابةٍ كرامٍ أبَوا في الحربِ إلاّ تأسيا

ترى المَشْرَفِيَّ العَضْبَ ضُرِّجَ مَتنُهُ دماً صارَ جَوناً بعدما كانَ صافيا

كأنَّ اليدَ استلَّتْ لنا في عَجاجةٍ لنا ولهم قرناً من الشمسِ ضاحيا

إذا ما ضربْنا البَيضَ والبَيضُ مُطبَقٌ على الهامِ أدركْنَ الفِراخَ اللَّواطيا

ورأسٍ غزانا كيْ يصيبَ غنيمةً أتانا فلاقى غيرَ ما كانَ راجيا

هذَذْنا القفا منهُ وقدْ كانَ عاتياً بهِ الكِبْرُ يُلوي أخدَعَيْهِ الملاويا

ضربْناهُ أمَّ الرأسِ أو عَضَّ عندَنا بساقَيْهِ حجْلٌ يتركُ العظمَ باديا

وإنّا لنُنْضي الحربُ منّا جماعةً وكعْباً لنا والحمدُ للهِ عاليا

وإنّي لا أخشى وراءَ عشيرَتي عدوّاً ولا يخشوْنَهُ من ورائيا

أبى ذاكَ أنّي دونَ أحسابِ عامرٍ مذَبٌّ وإنّي كنتُ للضَّيمِ آبيا

وإنّي من القومِ الذين ترى لهمْ سجالاً وأبواباً تُفيضُ المقاريا

إذا الناسُ ماجُوا أو وزنْتَ حُلومَهمْ بأحلامنا كنّا الجبالَ الرواسيا

وبالشِّعْبِ أسْهَلْنا الحضيضَ ولمْ نكنْ بشِعبِ الصَّفا ممّنْ أرادَ المخابيا

أتيْنا معَ ابنِ الجَونِ وابنَيْ مُحرِّقٍ مَعَدٌّ يسوقونَ الكِباشَ المَذاكيا

بنو عُدَسٍ فيهمْ وأفناءُ خالدٍ قُرومٌ تَسامى عزّةً وتبَاغيا

لَقُونا بدُفّاعٍ كأنَّ أتيَّهُ أتيُّ فُراتيٍّ يدُقُّ الصواريا

فلمّا رمَيْناهمْ بكلِّ مؤزَّرٍ بغُضْفٍ تَخيَّرْنَ الظُّهارَ الخوافيا

على كلِّ عِجزٍ من ركوضٍ ترى لها هِجاراً يُقاسي طائفاً مُتعاديا

مشَيْنا إليهمْ في الحديدِ كأنّنا قياسرُ لاقَتْ بالعَنيّةِ طاليا

إذا نحنُ لاقَفْناهمُ أخذتْهمُ مَخاريقُ لا تُبقي منَ الروحِ باقيا

وقال أبو حيّة أيضاً:

حيِّ الديارَ عِراصُهُنَّ خَوالِ بحَمادِ ساقَ رسومُهنَّ بَوالِ
مُحتلُّ أحْوِيَةٍ عليهمْ بهجةٌ بسواءِ مُشْرِفةٍ بهمْ محْلالِ
فقَأوا بها أُنُفَ الربيعِ وفقَّأوا فيها سَوابيَ ما تجِفُّ سِخالِ
فترى المئينَ منَ العشائرِ حولَهمْ وترى مُسَدَّمةً قُرومَ جِمالِ
فإذا غشيْتَهمُ سمعتَ هوادراً وصَواهلاً ورأيتَ أحسنَ حالِ
وترى بأفنيةِ البيوتِ مَصنونةً جُرْداً يَجُلْنَ معاً بغيرِ جِلالِ
كانوا بها فتقسَّمتْهمْ نيّةٌ شَعواءُ ليسَ زِيالُها كزِيالِ
قذفَتْهمُ فِرَقاً فمنهمْ راكنٌ ومُؤَوِّبٌ لهواكَ غيرَ مُبالِ
يا دارُ وَيْبَكِ ما لعهدِك بعدَنا أأتى عليكِ تَجرُّمُ الأحوالِ
إنْ كانَ غيّرَكِ الزمانُ فلا أرى بملاكِ غيرَ خوالدٍ أمثالِ
سُفْعِ المناكبِ قدْ كُسينَ مَعرّةً من قَدرِ منزلةٍ بغيرِ جِعالِ
فلقدْ أرى بكِ إذْ زمانُكِ صالحٌ بيضاً فواخرَ نعمةٍ وجَمالِ
نُجْلُ العيونِ كأنّما استوْهَبْنَها فوهبْنَهُنَّ خواذلَ الآجالِ
قالَ الكواعبُ يومَ أودِ عمُّنا حُيِّيتَ يومَ ردَدْنَ جاه وِصالي
وفزِعْنَ من شمَطٍ تَجلَّلَ مَفْرِقي حتى علا وضَحٌ كلونِ هلالِ
ولقدْ أناضلُهُنَّ أغراضَ الصِّبا خَلَواتِهنَّ فما تَطيشُ نِبالي
ولقدْ أروحُ على الجوادِ وهكذا أمشي وأيَّ تَصرُّعٍ ودلالِ
كالسيفِ يقطُرُ أوْبكُمْ سالَمتَهُ وأسيلَ أمسِ فرِنْدَهُ بصِقالِ
وتَنُوفةٍ موصولةٍ بتنوفةٍ وصلْتَيْنِ وصلَ تَنائفَ أغفالِ
ترمي مُؤوبّةً إلى أمثالها غُبرَ الفِجاجِ مَخوفةَ الأهوالِ
كلَّفْتُهُنَّ هِبابَ كلِّ مُبرِّزٍ صدَراً وكلَّ نجيبةٍ شِملالِ
صَغواءَ منْ أنَفِ الزِّمامِ قويةٍ بعدَ الكَلالِ عتيدةَ الإرْقالِ

وكأنَّ أحبُلَها ومَيْساً قاتراً والمرءُ فوقَ مُلمَّعٍ ذيّالِ

أمسى بحَومَلَ تحتَ طَلِّ مُخِيلَةٍ نحَرتْ عشيَّتُها سِرارَ هلالِ

تحبو إليهِ كأنّما أرواقُها بُخْيُ العراقِ دلَحْنَ بالأثقالِ

باتَتْ تُكَفَّى وجهَهُ مأمورةٌ خَيْرى مُفرَّغةٌ بغيرِ دَوالِ

حتى إذا انصدعَ العمودُ كأنّهُ هادي أغرَّ جرى بغيرِ جِلالِ

وغدا تلألأُ صفحَتاهُ كأنّهُ مصباحُ في دُبُرِ الظلامِ ذُبالِ

غاداهُ مُهتلِكٌ ترى أطمارَهُ يَهفونَ عاقدَ شَطرِهِ بعِقالِ

يسعى بمُغْفَلَةٍ قَواضٍ ساقَها ريشُ الظُّهارِ وزَمَّها بنِصالِ

ومصونةٍ دُفعتْ فلمّا أدبرتْ رُدَّتْ طوائفُها على الإقبالِ

خُطمتْ بأسمرَ من نواشرَ نأملُّها فيهِ كنأمِ مُصابةٍ مِثْكالِ

ومُغَرَّثاتٍ قد طُوِينَ كأنّها لمّا غدتْ وغدا أراقمُ ضالِ

فانصاعَ حينَ رأى البصيرةَ يحتذي منهُ أكارعَ ما لهُنَّ توالي

لا يأتَلي يدعُ الرِّقاقَ كأنّهُ في السابِريِّ وهنَّ غيرُ أوالي

جعلَ الصَّبا في مَنخِرَيْهِ كأنّهُ مرِّيخُ فَوتَ لُحيِّهِنَّ مُغالِ

حتى إذا انقطعَتْ بهِ في فِقْرةٍ وبهنَّ مَيْعةُ شاهدٍ ومِطالِ

ولهنْ كَرَّ مُغامرٌ ذو نجدةٍ يحمي ويَشرُكُ كلَّ إربةِ حالِ

يحمي ويطرحُهُنَّ غيرَ مُكذِّبٍ طرْحَ المُفيضِ رِبابةَ الأنفالِ

ألفَيْنَهُ ذَرِبَ السلاحِ مقاتلاً وأردْنَ ولْغَ دمٍ بغيرِ قتالِ

كلاّ لقدْ شرِقَتْ قناةٌ هزَّها في كلِّ مَنْبِضٍ غائبٍ وطِحالِ

وقال أبو حيّة:

ألا حَيِّ أطلالاً بهنَّ دُثورُ كأنَّ بقايا عهدِهنَّ سطورُ

مِدادُ يهوديَّيْنِ مَجْمَجهُ البلى وفي الوحيَ من آيِ الكتابِ زَبورُ

ديارُ التي قالتْ لوَ انكَّ زُرتَنا وُصِلتَ ولكنْ لا نراكَ تزورُ

فقلتُ عداني أنَّ أهلَكِ ظَنَّةٌ ... عليَّ وأنّي قد علمْتُ شهيرُ
صددْتِ ولَجَّ الهجرُ منكِ وإنّني ... لمثلِكِ عن غيرِ القِلى لهَجورُ
أعَرْتُكِ وُدِّي أمَّ عثمانَ فارجِعي ... ودائعَ لم يبخلْ بهنَّ مُعيرُ
حياءٌ نهى عمّا عهدْتِ منَ الصِّبا ... ويأساً ومَثْلي بالحياءِ جديرُ
ألا حبّذا الماءُ الذي قابلَ النَّقا ... ومُرتَبَعٌ من أهلِنا ومصيرُ
وأيامُنا عامَ الخبيَّيْنِ إنّني ... لهنَّ على العهدِ القديمِ ذَكورُ
إذِ الرأسُ أحوى حالِكُ اللونِ يرتدي ... جناحَيْهِ إذْ غصنُ الشبابِ نَضيرُ
وقدْ كانَ لي إذ ذاكَ منهنَّ مجلِسٌ ... قريبٌ ومنْ أسرارِهنَّ ضميرُ
فأعرضْنَ إعراضاً هوَ الصُّرْمُ عَينُهُ ... كأنْ لم يكنْ لي عندَهنَّ نَقيرُ
ألا طرقَتْنا أمُّ عثمانَ ليلةً ... مِدرى وقدْ كادَ السِّماكُ يَغورُ
ألَمَّتْ بنَشوانَيْ كرىً صرعَتْهما ... بإحدى الفيافي غَرْبَةٌ وفُتورُ
بعيدَيْنِ من مَهواهُما أدركَتهما ... وفاةٌ لها تَحليلةٌ فَنُشورُ
أناخا ولا الأرضُ التي يطلبانِها ... قريبٌ ولا ليلُ التِّمامِ قصيرُ
فقلتُ لها حُيِّيتِ من زائرٍ طوى ... مفاوزَ لا يُزجى بهنَّ حَسيرُ
وما خِلتُها كانتْ رَؤُوداً ولا سرَتْ ... إلى الركْبِ مِيلافُ الحِجالِ خَدورُ
أتتْكَ بها تَهويمةٌ غمَّضتْ بها ... معَ الصبحِ عينٌ لا تنامُ سَهورُ
وما أنتَ أمْ ما أمُّ عثمانَ بعدَما ... حبا لكَ من رملِ الغناءِ حَدورُ
عراقيّةٌ لمْ تبدُ يوماً ولم تكنْ ... شَطيرَ النَّوى لكنْ نَواكَ شَطيرُ
نَؤومُ الضحى لم نأْوِ إلاّ وتحتَها ... قَباطِيُّ ريشٍ تحتَهنَّ سريرُ
وبِتنا كأنّنا بَيَّتَتْنا لَطيمةٌ ... أتتْنا بها من سوقِ أبْيَنَ عيرُ
شَراها بما اقتالوا شَمومٌ لمثلِها ... بشُمّاتِهِ الرِّبْحُ العظيمُ بصيرُ
ولمّا احتواها إحتواها غنيمةً ... مُخاطرُ أرباحِ الألوفِ جَسورُ
تمطَّتْ بهِ غُلْبٌ كأنَّ قَفِيَّها ... بهنَّ وأقْراءُ الأخادعِ قِيرُ
ولمّا أنيختْ بعدَما آبَ قبلَها ... ليومَيْنِ بالغُنْمِ العظيمِ يُشيرُ

تحكَّمَ فيها بالعراقِ كأنّهُ على الناسِ طُرّاً بالعراقِ أميرُ
وقيلَ هنيئاً ما رُزقتَ فإنّهُ على اللهِ رزّاقِ العبادِ يسيرُ
وما أطلقَ الأعباءَ حتى تضوَّعتْ بها سِكَكٌ ممّا لديهِ ودُورُ
وتيهٍ تخطّتْها صُحبتَي نواهزُ في أعناقِهنَّ نُذورُ
رِكابُ نوىً أسآرُ هَمٍّ كأنّها جَوازِ منَ الشِّيزى لهنَّ صَريرُ
طوَتْهُنَّ والبِيدَ الليالي فقدْ ذوتْ بطونٌ لها مُقورَّةٌ وظهورُ
وجُرِّدنَ واسْمَهْرَرْنَ حتى كأنّها قَناً طارَ عنها باليدَيْنِ شَكيرُ
وبينَ القُوى والرحْلِ منهنَّ وهْمةٌ بها وهْيَ حرفٌ جُرأةٌ وضريرُ
تَغالى بها فُتْلٌ مَطاويحُ ينتحي بهنَّ حِذاءٌ بالفلاةِ جَميرُ
وأتْلَعُ نَهّاضٌ أَنيفٌ يقودُهُ مُلَملمِ جُلمودِ الدماغِ ذَكيرُ
تراها إذا لجَّتْ وقُدّامَ عينِها خِشاشٌ وفوقَ الناظرَيْنِ حَريرُ
وفي الحلْقةِ الصُّفْرِ التي خُشمتْ بها مُطيرٌ لشَغْبِ الأخدعَيْنِ قَهورُ
كذي رُمَلٍ فرْدٍ رمتْهُ عشيّةٌ لها سبَلٌ مُستقبلٌ وصَبيرُ
بأسحمَ نثّارٍ أجشَّ جرتْ لهُ صَباً رادَةٌ لم تجرِ فيهِ دَبورُ
إلى دفءِ أرطاةٍ إلى جَنبِ عجْمةٍ بها الشاةُ مَحبورُ المكانِ غَريرُ
لها واكفٌ يجري عليها كأنّهُ حصىً شِيفَ خانتْهُ السلوكُ قَشيرُ

فلمّا انجلَتْ عنهُ غياطلُ ليلةٍ منَ الدَّجنِ فيها حَثّةٌ وفُتورُ
غدا غدَوِيٌّ فوقَ عينَيْهِ شكّةٌ كِلا مِغولَيْهِ اللَّهْذَمَيْنِ ضريرُ
منَ العينِ تدعوهُ الرياحُ كأنّهُ فَتيقٌ بهِ مما ألَمَّ فُدورُ
وغاداهُ من جِلاّنَ ذئبُ مجاعةٍ شقيٌّ بهِ ضارورةٌ وفُقورُ
لهُ طَلّةٌ شابَتْ وما مس جيبَها ولا راحتَيْها الشَّثْنَتَيْنِ عبيرُ
لَدُنْ فُطمتْ حتى علا كلَّ مَفرِقٍ لها من سِنيها الأربعينَ قَتيرُ
كأنَّ ذراعَيْها وظيفا نعامةٍ ووجهٌ لها لا ماءَ فيهِ نَكيرُ

ولَحْيانِ لا ينفكُّ في ناجِذَيْهما … أنيضٌ شَوتْهُ شهوةً وقديرُ

إذا غابَ أو لم يغْدُ يوماً فإنّها … بكلبَيْهِ مغباشُ الغُدوِّ بَكورُ

ولمّا انجلى قبلَ الغُطاطِ انبرَتْ لهُ … مَراريخُ في أعناقِهنَّ سُيورُ

فلمّا رأى ذاكَ الشقيُّ الذي غدا … بغُضْفٍ لهُ زُرقٌ لهنَّ جَفيرُ

هِجاناً رأى منهُ على الشمسِ نُقْبةً … تكادُ وإنْ جَنَّ الظلامُ تُنيرُ

وقاهُ بأمثالِ المَغالي كأنّها … بأجنحةٍ فيها إليهِ تطيرُ

جلا عن مآقيها وعن حَجَباتِها … خراطيمُ فيها دقّةٌ وخصورُ

فدَأَبْنَهُ ميلَيْنِ ثمَّ نزعْنَهُ … إليهنَّ إذْ شُؤبوبهنَّ مَطيرُ

ليأخذْنَهُ أخذاً عنيفاً وأخْذُهُ … عليهنَّ إلاّ أن يحينَ عسيرُ

إذا كُنَّ جَنبَيْهِ وكنَّ أمامَهُ … ودُرْنَ بهِ لمْ يعيَ كيفَ يدورُ

يكُرُّ فيحمي عورةً لا يُضيعُها … وذو النجدةِ الحامي الكريم كَرورُ

يُخرِّقُ في آباطِهنَّ بلَهذمٍ … يَطرٌّ إذا أمكَنَّهُ فيَغورُ

وبالكُرهِ ما يحنو لهنَّ وإنّهُ … لمُستهزَمٌ لو يستطيعُ فَرورُ

لهُ في خَبارِ الهُبْرِ وثْبٌ إذا أتى … عليهِ ونقْعٌ بالرَّقاقِ ذَميرُ

فتلكَ التي شبَّهتُ ذاكَ وقد جرتْ … على سررٍ هيفٍ لهنَّ ضُفورُ

نجاةٌ برى عنها عتيقٌ أثارَهُ … سُرىً ورواحٌ مُغبِطٌ وبُكورُ

وأبلجَ عاتٍ لا يؤدّي أمانةً … عليهِ ولاقاهُ عليهِ أميرُ

أقمتُ الصَّغا وأخدعَيْهِ بضربةٍ … لها تحتَ بينِ المنكِبَيْنِ هديرُ

وقال أبو حية:

ألا يا نْعَمي أطلالُ خنساءَ وانْعمي … صباحاً وإمساءً وإنْ لم تَكلَّمي

ولا زلتِ في أرواقِ واهيةِ الكُلى … هَتُولٍ متى تُبْسسْ بها الريحُ تُرزِمِ

عهدْنا بها الخنساءَ أيامَ ما ترى … لخنساءَ مثلاً والنَّوى لم تَخرَّمِ

وخنساءُ مِخماصُ الوشاحَيْنِ خَطْوُها … إلى الزوجِ أقتارٌ خُطى المُتجشِّمِ

ينوءُ بخَصْرَيْها إذا ما تأوَّدتْ … نقا عُجمةٍ في صَعدةٍ لم تُوصَّمِ

خليليَّ من دونِ الأخلاّءِ قد ونَتْ عصا البينِ هلْ في البَينِ من مُتكلِّمِ

ألمّا نُسائلْ قبلَ أن ترمي النَّوى بنافذةٍ نَبْضَ الفؤادِ المُتيَّمِ

يقفْ عاشقٌ لم يبقَ من روحِ نفسهِ ولا عقلِهِ المسلوبِ غيرَ التوهُّمِ

وما تركَ اللائي يُرَيِّشْنَ صيغةً هيَ الموتُ من لحمٍ عليهِ ولا دمِ

إذا هنَّ أحْذَيْنَ المراودَ بعدَما رقَدْنَ إلى قرنِ الضحى المُتجرِّمِ

عيونُ المها أو مثلَها سقطَتْ لها وأعيُنُ أرآمٍ صرَائدَ أسهُمِ

كما أصردَتْ حِضنَيْ جميلٍ وقبلَهُ عُرَيَّةَ والبَكّاءةَ المُترنَّمِ

رمتْهُ أناةٌ من ربيعةِ عامرٍ نَؤومُ الضحى في مأتمٍ أيَّ مأتمِ

وجاءَ كخَوطِ البانِ لا مُتتَرِّعاً ولكنْ بخلْقَيْهِ وقارٍ وميسَمِ

فقالَ صباحٌ قُلنَ غيرَ فواحشٍ صباحاً وما إنْ قلنَ غيرَ التذمُّمِ

فأنشدَ مشعوفاً بهندٍ وأهلِها نشيداً كخُشّابِ العراقِ المُنظَّمِ

وقُلنَ لها سرّاً وقَيْناكِ لا يَرُحْ صحيحاً وإنْ لم تقتليهِ فألْممي

فأدنَتْ قناعاً دونَهُ الشمسُ واتَّقتْ بأحسنِ موصولَيْنِ كفٌّ ومِعصَمِ

فراحَ ابنُ عَجلانَ الغويُّ بحاجةٍ يُجاوبُ قُمْريَّ الحَمامِ المُهيَّمِ

وراحَ وما يدري أفي طلقةِ الضحى تَروَّحَ أو داجٍ منَ الليلِ مُظلمِ

وأغيدَ من طولِ السُّرى برَّحَتْ بهِ أفانيُ نَهّاضٍ على الأيْنِ مرْجَمِ

وأقتالُهُ من مَنكبَيْهِ كأنّها نوادرُ أعناقٍ ربابةُ مُسْهِمِ

خواضعُ يَسْتَدمينَ في كلِّ خلِقةٍ لوَتْها بكفَّيْهِ كِلابُ المُخشِّمِ

وأدراجِ ليلٍ بعدَ ليلٍ يجوبُهُ بهِ زَورُ أسفارٍ متى تُمسِ تُجذمِ

سرَيْتُ بهِ حتى إذا ما تمزّقتْ توالي الدُّجى عن واضحِ الليلِ مُعْلِمِ

أنخْنا فلمّا أفرغَتْ في دماغِهِ وعينَيْهِ كأسُ النومِ قلتُ لهُ قُمِ

فما قامَ إلاّ بينَ أيدٍ تُقيمُهُ كما عطفَتْ ريحُ الصَّبا عودَ ساسَمِ

خطا الكُرهَ مغلوباً كأنَّ لسانَهُ لِما ردَّ من رجْعٍ لسانُ المُبَرْسَمِ

وودَّ بوُسْطى الخمسِ منهُ لو اننا رحلْنا وقُلنا في المَناخِ لهُ نَمِ

فلمّا تغشّاهُ على الرحْلِ ينثني مُسالَيْهِ عنهُ في وراءٍ ومُقْدَمِ

ضممْنا جناحَيْهِ بكلِّ شِمِلَّةٍ ومُرتَقِبِ اليُمنى كَتُومِ التزَغُّمِ

فأضحى وما يدري بأيّةِ بلدةٍ ولا أينَ منها مَيدةٌ لمْ تُصرَّمِ

يخِرُّ حِيالَ المَنكِبَيْنِ كأنّهُ نَخيعٌ على ذي قوةٍ مُتَغَمْغِمِ

أَميمُ كرىً أَثْأى بهِ خطَلُ السُّرى وهَيْجاتُ عُرْيانِ الأشاجعِ شَيْظَمِ

ومنهنَّ تحتَ الرحْلِ جِلْسٌ جعلْنَها دواءً لنجوى الطارقِ المُتنوِّمِ

إذا المُنقِياتُ العِيدُ بلَّغْنَ أرقَلَتْ على الأيْنِ إرقالَ الفَنيقِ المُسدَّمِ

كأنَّ السُّرى ينجابُ في كلِّ ليلةٍ إلى الصبحِ عن نازِي الحماتَيْنِ صلدمِ

رعى الرملَ حتى استنَّ كلُّ مُزمزمٍ على الشاةِ محبوكِ الذراعينِ كلْدمِ

شُوَيْقٍ رعى الأنداءِ حتى تعذَّرتْ مَجاني اللِّوى من كوكبٍ مُتضرِّمِ

وآضَتْ بقايا كلِّ ثمْلٍ كأنّها عُصارةُ فَظٍّ أو دُوافةُ كُرْكُمِ

وهاجَتْ منض الغَورَيْنِ غَورَيْ تِهامةٍ نواشطُ يهجمْنَ الحصى كلّ مَهجَمِ

فلمّا رأى الشمسَ التي طالَ يومُها عليهِ دنتْ قالتْ لهُ أرضُهُ ارغَمي

جمى قلقٌ سهلُ الجراءِ إذا جرى طغا ثبت ما تحتَ اللِّبانِ المُقدَّمِ

يُشعِْنَ إذا شقَّتْ عصاً يغتبطْنَهُ يداهُ وإنْ يُدرِكْ قَطاهُنَّ يَكْدِمِ

يحيدُ ويخشى عازِبِيّاً كأنّهُ ذُؤالةُ في شِمطاطِهِ المُتخذِّمِ

ترى رزقَهُ يوماً بيومٍ وإنّما غِناهُ إذا استغنى بفِلْقٍ وأسهُمِ

مُقيتاً على صُلْتِ الهوادي كأنها مُخَطَّطةٌ زُرقاً أعِنّةُ مُؤْدِمِ

رمى مِرفَقَ الدنيا فأرسلَ جوفُها إلى جوفِ أخرى مائراً لم يُثلَمِ

فذاكَ الذي شبَّهتُ حرفاً شبيهةً بهِ يومَ أُبْنا بعدَ حَمْسٍ مُقحَّمِ

تُقاسي الفِجاجَ اللامعاتِ وتَغتلي بأَتْلَعَ مسفوحِ العَلابيِّ شَجْعَمِ

إلى جعفرٍ أطوي بها الليلَ والفلا إلى سَبْطِ المعروفِ غيرِ مُذمَّمِ

يُغالى بها شهرانِ وهْيَ مُغذّةٌ إلى مُستقلٍّ بالنوائبِ خِضْرِمِ

وقال رفيقاكَ اللذانَ تجشَّما سُرى الليلِ ... من يَجشَمْ سُرى الليلِ يَجشَمِ

وأيدي المَهاري في فَيافٍ عريضةٍ ... هوابطَ من اخرى تَغلَّى وترتمي

لَعمري لقد أبعدتَ همّاً ومَنْسِماً ... وكم من غنىً من بعدِ هَمٍّ ومَنسمِ

فقلتُ لهمْ إنّي امرؤ ليسَ همَّتي ... ولا طلبي حظّي بأدنى التَّهَمُّمِ

فلا تُكثروا لَومي فليسَ أخوكُما ... بلَوّامِ أصحابٍ ولا بالمُلَوَّمِ

لعلَّكُما أنْ تسلَما وتَصاحبا ... بعافيةٍ من يصحَبِ اللهُ يَسلَمِ

وإنْ تُرْقِيا ريبَ المنونِ وتُقْدِما ... على جعفرٍ تَستَوجبا خيرَ مَقْدَمِ

وتعترِفا وجهاً أغرَ وتنزِلا ... على سَعةٍ بالماجدِ المُتكرِّمِ

بأبيضَ نَهّاضٍ إلى سُورِ العُلى ... جراثيمُ يخطوها فتىً غيرُ توأمِ

وقال أبو حيّة يمدح مروان الحمار:

أشاقَتْكَ أظعانٌ دعَتْهنَّ نيّةٌ ... يُوَطِّنُ شِعْباها الحزينَ على الهجرِ

ظعائنُ طَلاّبٍ ثرى الغيثِ قلَّما ... يُساعفْنَ إلاّ أنْ يُناسِمْنَ عن عُفْرِ

رعَيْنَ القرارَ الحُوَّ حتى إذا ارتمَتْ ... بنَبْلِ السَّفى أعرافَ غُوريّةٍ كُدْرِ

وجاءَتْ روايا الحيِّ من كلِّ مُسْمِلٍ ... بطَرْقٍ كماءِ الفظِّ من نُطَفٍ صُفْرِ

بقيّةُ أسْمالٍ زَواهُنَّ كوكبٌ ... مقَفٍّ ترى الحرباءَ في آلهِ يجري

ورُدّتْ جِمالُ الحيِّ كُلْفاً تطايرَتْ ... عقائقُهُنَّ الغُبْسُ عن نُقَبٍ شُقْرِ

بما استُوجِرَتْ من كل وادٍ مربةً ... مصابَ الثريا كلُّ ناشئةٍ بكرِ

فعرضنَ واندَحَّتْ كُلاهُنَّ بعدَما ... طواهُنَّ إحناقُ المُسَدَّمةِ الذُّفْرِ

كأنَّ عصيمَ الورسِ منهنَّ جاسِداً ... بما سالَ من غِربانِهنَّ منَ الخُطْرِ

وزَمَّ القيانُ التُّلْدُ كلّ مُلَهَّثٍ ... مُدالِقَ لَحْيَيْ لا مُذَكٍّ ولا بَكْرِ

لأحداجِ بيضٍ كالدمى كلِّ بادنٍ ... رَداحٍ تَهادى المشيَ شِبراً إلى شِبرِ

إذا قُمنَ لم ينهضْنَ إلاّ قصيرةً ... خُطاهنَّ ممّا يتَّقينَ منَ البُهْرِ

وعالَيْنَ أحداجاً لهنَّ كأنّما ... عُلِينَ بنُوّارِ المُكَلَّلَةِ القَفْرِ

على كلِّ قَيْنِيٍّ يُغاليهِ صهوةٌ مُشرَّفةُ الأعلى مُداخلَةُ الأسرِ

دخلْنَ العلاليَّ التي عملتْ لها أكُفٌّ أتَتْها عن يمينٍ وعن يَسْرِ

ولدَّنَ للأصعادِ أعناقَ ولَّهٍ إلى كلِّ وادٍ لا أُجاجٍ ولا بَثْرِ

لهُ أرجٌ من طِيبِ ما تلتقي بهِ لأينَعَ يندى من أراكٍ ومن سِدرِ

كأنَّ القطوعَ العبقريّةَ نُشِّرَتْ أسرّةُ مُلْتَجٍّ حدائقُهُ خُضرِ

ويومٍ من الأيامِ قصَّرتُ طولَهُ بقانيةِ الأطرافِ ذاتِ حشاً ضَمَرِ

لها كفَلٌ لأياً إذا ما تدافعَتْ بهِ قامَ جُهداً من ذَنوبٍ ومن خصرِ

كما هزَّ عَيْدانيّةً مَعْجُ رَيْدَةٍ جَنوبٍ بلا معجٍ شديدٍ ولا فَتْرِ

ولم أنسَ من سلمى وسلمى بخيلةٌ ودائعَ أدناهُنَّ مُذْ حِجَجٍ عشرِ

ولا قَولَها والقومُ قد أشرفَتْ لهمْ عيونٌ كحرِّ الجمرِ ظاهرةِ الغمرِ

تعلَّمْ بأنَّ القومَ تغلي صدورُهمْ عليكَ فكنْ مما تخافُ على حذْرِ

فقلتُ لها لا بَرْءَ منكِ ولا هوىً سواكِ ولا دَمُّوا بمُهجتِهِ نَجْري

لوَ انَّ سباعَ الأرضِ دونَكِ أصبحتْ على كلِّ فجٍّ من أُسودٍ ومن نَمْرِ

رباضاً على أشبالِها لقطعتُها إليكِ بسيفي أو هلكتُ فلا أدري

وقائلةٍ قالتْ ألستِ براحلٍ ألستَ ترى ما قد أُصيبَ من الوَفْرِ

أغِثْ منْ أميرِ المؤمنينَ بنفحةٍ عيالَكَ تُبْلِتْ في صنائعِها الوُفْرِ

فقلتُ لها ذاكِ الذي ينتحي بهِ نهاري وليلي كلّ نائبةٍ صدري

لعَمرُكَ إذْ ما قلتُ ما أنا بالذي أصونُ المطايا قد علمتِ من السَّفْرِ

ولا يَثْقُلُ الليلُ البهيمُ إذا دجا عليَّ إذا ما أثقلَ الليلُ من يَسري

وكنتُ إذا ما الهمُّ أطلقَ رحلَهُ إليَّ فقالَ ارحلْ شددْتُ لهُ أزري

وحمّلْتُهُ أصلابَ خُوصٍ كأنّها قَنا الشَّوْحَطِ المُعوجِّ من قلقِ الضُّمْرِ

يَؤمُّ بها المَوماةَ زَولٌ كأنَّهمُ فرِنْديّةُ القضبانِ ظاهرةُ الأُثْرِ

ألا يا بنَ خيرِ الناسِ إلاّ محمدا صَنيعاً وأولى الناسِ بالحمدِ والأجرِ

أتيناكَ من نجدٍ على قَطَريّةٍ لوى حلَقاً قُدّامَ أعيُنِها المُبْري

موائِرُ أعضادٍ مَغالي مَفازةٍ سِباط الذِّفاري لا جِعادٍ ولا زُعْرِ

بدأْنَ وتحتَ المَيسِ منهنَّ عاتقٌ أثارةُ أعوامٍ وهَبْرٌ على هبرِ

فجاءتْ وممّا أُنعلَتْ حَفَياتُها خِذامٌ بأرْساغِ المُهَلَّلَةِ الدُّبْرِ

فما أدركتْنا يا بنَ مروانَ دونَكمْ صلاةٌ لأُولى في مُناخٍ ولا فجرِ

ولا هيَ إلاّ وَقعةٌ كلّما الْتظى أُوارُ الحصى في كلِّ هاجرةٍ وغْرِ

وتَحليلِ شُعْثٍ غوَّروا رفعوا لهمْ بناءً بنَوهُ فوقَ ظُفْرٍ على ظُفرِ

إذا استَنْشَصَتْهُ الريحُ أو رسبَتْ لهُ علينا القُوى ضربَ الحبالةِ بالنَّسْرِ

تراهُ سماءً بينَ حَيلَيْنِ ما لهُ سوى ذاكَ ظلٌّ من كِفاءٍ ولا سِترِ

إذا البارحُ الحامي الوَديقةِ لفَّهُ علينا ترى مُستَكْشِماً أشَرَ المُهْرِ

وقال أبو حية، وأدرك زمن هشام بن عبد الملك ، يمدح يزيد بن عتّاب بن الأصمّ بن مالك:

قِفا حَيِّيا الأطلالَ من مَسقطِ اللِّوى وهلْ في تحيّاتِ الرسومِ جَداءُ

وماذا تُحيِّي من رسومٍ تَبدَّلَتْ شعوبُ النَّوى عنها وهنَّ قَواءُ

علاهُنَّ بعدَ الحيِّ كلُّ مُجَلجِلٍ مَحاهُنَّ تيّارٌ لهُ وغُثاءُ

وأقفرَ واديهِنَّ واحتفَرَتْ بهِ ماكنسُ عِينٍ باقرٌ وظِباءُ

فشاقَكَ ممّا أحْرثَ الحيَّ منزلٌ رُكامُ الحصى والمجْنَحاتُ خلاءُ

ورَبعٌ بأعلى ذي الجِذاةِ كأنّما على مَتنِهِ منْ حضرَمَوتَ رداءُ

إذا انغمستْ أولى النجومِ تلعَّبَتْ بهِ قصَباتٌ مُزنُهُنَّ رَواءُ

كأنَّ لم يُرى فيهِ الجميعُ ولم تَصِحْ بهمْ نيّةٌ تُغري الديارَ جَلاءُ

بلى ثمَّ أجْلَتْ نيّةٌ ليسَ بعدَها لريّا ولا أمِّ البنينَ لقاءُ

تذكَّرتُ عصراً قد مضى وصحابةً ولم تكُ عمّا قدْ ذكرتُ عَداءُ

لياليَ تنْآها ولو شئتَ زُرتَها وكيفَ معَ الواشي المُطِلِّ تشاءُ

إليكَ ابنَ عَتابٍ رحلْنا وساقَنا منَ الغَورِ جدْبٌ مُوصَدٌ وعِداءُ

وعامٌ كحدِّ السيفِ أمّا ربيعُهُ فنحْرٌ وأمّا قَيظُهُ ففناءُ

بمُعْصَوْصِياتِ السَّبْرِ صُعْرٍ من البُرى خواضعُ أدنى سيرِهنَّ نَجاءُ

إذا ما فلاةُ الخِمسِ أضحتْ كأنَّها مُنَطَّقَةٌ أعلامُهنَّ مُلاءُ

قطعْنَ فلاةَ الخِمسِ لمّا لقِينَها غِشاشاً ولم يُرقَبْ أنىً وَضَحاءُ

مُضَبَّرةَ الأصلابِ في ثَفِناتِها زُلوجٌ وفي أعضادِهنَّ عَداءُ

وكمْ قدْ تركْنا من مُعَرِّسِ ساعةٍ بهِ لحديدِ المرفقَيْنِ عُواءُ

أصابَ طَلَىً من حشْرَةٍ جاءَ فوقَهُ منَ الماءِ والغِرْسِ والفَضيضِ غطاءُ

جرى بينَ حاذَيْ عَنْتَريسٍ تَراغبَتْ على الرَّحْلِ منها جُفْرةٌ وبناءُ

يزُرنَ ابنَ عَتّابٍ ويرجونَ فِعلَهُ إذا حانَ من حاجاتِهنَّ قضاءُ

يزَرْنَ جَنابيّاً أغَرَّ كأنّهُ سَنا البدرِ فيهِ للظلامِ جِلاءُ

وجدْنا قِراكُمْ في حِياضٍ رَغيبةٍ وهنَّ على رَغْبٍ بهنَّ مِلاءُ

بَناهُنَّ عَتّابٌ وأوصاكَ بعدَهُ بهنَّ فلمْ يُهدمْ لهنَّ بناءُ

عَلاليُّ منْ سعيِ الأصمِّ بن ماللكٍ وكلُّ الذي أسدى الأصمُّ سَناءُ

إذا ضِيمَ قومٌ أو أقرُّوا ظَلامةً نفى الضيمَ عنكمْ عزّةٌ وإباءُ

وقمتُمْ بأسيافٍ حِدادٍ وألسُنٍ طِوالٍ وأرماحٍ بهنَّ دماءُ

وما قادَكمْ يوماً منَ الناسِ معشَرٌ وما زالَ فيكمْ قائدٌ ولِواءُ

إذا سارَ قومٌ للعُلى سرتَ فوقَهمْ إلى شُرُفاتٍ ما بهنَّ خَفاءُ

بلغْتُمْ نجومَ الليلِ فضلاً وعزّةً ومجداً فأنتمْ والنجومُ سَواءُ

وقال أبو حيّة:

ألبكاكَ رسمُ المنزلِ المُتقادمِ بأمْراسَ أقوى من حلولِ الأصارمِ

وجرَّتْ بها العَصرَيْنِ كلُّ مُطلّةٍ جَنونٍ ومَوجٍ طَمَّ فوقَ الجراثمِ

إلى دَبْرِ شمسٍ لم يدَعْ سنَنُ الصَّبا ولا قصفُ زَمزامِ الأتِيِّ اللوالمِ

سوى أنَّ دَوداةً مَلاعبَ صِبيةٍ على مُستوى منْ بينَ تِيكَ المخارمِ

وأخلاقِ أنواءٍ تَعاوَرْنَ مَرْبَعاً عليهنَّ رُوقاتُ القِيانِ الخوادمِ

سَجَوْنَ أديمَ الأرضِ حتى أحَلْنَهُ دونَ المُفعماتِ الغواشمِ

فأنتَ ترى منهنَّ شَدْواً تكلَّفتْ		به لكَ آياتُ الرسومِ الطَّواسمِ

كما ضربَتْ وشماً يدا بارقِيّةٍ		بنَجرانَ أقْرَتْهُ ظهورَ المعاصمِ

أناءتْ ولم تُنضِجْ فأنتَ ترى لها		قروفاً نمَتْ منهنَّ دونَ البَراجمِ

إلى أذرُعٍ وشَّمْنَها فكأنّها		عَلاهُنَّ ذَرُّ المغْضنَاتِ الرَّواهمِ

فأمرَتْ بها عيناكَ لمّا عرفْتَها		بمُبْتَدرٍ نَظْمِ الفريدَيْنِ ساجمِ

غروباً وأجفاناً تفيضُ كأنما		همتْ من مرشاتِ الشنانِ الهزائمِ

لعرفانِكَ الرَّبْعَ الذي صدعَ العصا		بهِ البَين صَدعاً ليسَ بالمُتلائمِ

وقدْ كنتُ أدري أنَّ للبَينِ صَيحةً		على الحيِّ من يومٍ لنفسِكَ ضائمِ

كصيحتِهِ يومَ اللِّوى حينَ أشرفَتْ		بأسفلِ ذي بَيضٍ نعاجُ الصَّرائمِ

لبِسْنَ المُوشَّى العصْبَ ثمَّ خطَتْ به		لِطافُ الكُلى بُدْنٌ عِراضُ المآكمِ

يُدَرِّينَ بالداري كلَّ عشيّةٍ		وحُمِّ المَداري كلّ أسحمَ فاحمِ

إذا هنَّ ساقَطْنَ الأحاديثَ للفتى		سِقاطَ حصى المَرجانِ من كفِّ ناظمِ

رمَيْنَ فأنفَذْنَ القلوبَ ولا ترى		دماً مائراً إلا جوىً في الحَيازمِ

وخبَّرَكِ الواشونَ ألاّ أحبُّكمْ		بلى وستورِ اللهِ ذاتِ المحارمِ

أصُدُّ وما الهجرُ الذي تحسبينَهُ		عزاءً بنا إلاّ ابتلاعَ العَلاقمِ

حَياءً وبُقْياً أن تشيعَ نَميمةٌ		بنا وبكمْ أُفٍّ لأهلِ النَّمائمِ

أما إنّهُ لوْ كانَ غيركَ أرقلَتْ		إليهِ القَنا بالمُرهفَاتِ اللهاذمِ

ولكنْ وبيتِ اللهِ ما طَلَّ مسلماً		كغُرِّ الثنايا واضحاتِ المَلاغمِ

إذا ما بدَتْ يوماً علاقاءُ أو بَدا		أبو توأمٍ أو شِمتَ دَيرَ ابنِ عاصمِ

قياسرَ شِيعتْ بالهِناءِ وصُتِّمَتْ		مصَفّقةَ الأقيانِ قَينِ الجماجمِ

يُرَجِّعْنَ من رُقْشٍ إذا ما أسلْنَها		وقَرْقَرْنَ أوْعَتْها جراءُ الغَلاصمِ

بكيتَ وأذريتَ الدموعَ صَبابةً		وشوقاً ولا يقضي لُبانةَ هائمِ

كأنْ لم أُبرِّحْ بالغَيورِ وأقْتَتِلْ		بتَفتيرِ أبصارِ الصِّحاحِ السقائمِ

ولمْ ألهُ بالحِدْثِ الألَفِّ الذي لهُ … غدائرُ لم يُحرمْنَ فارَ اللطائمِ

إذِ اللهوُ يَطْبِيني وإذا استَمِيلُهُ … بمُحْلَوْلَكِ الفَودَيْنِ وحْفِ المقادمِ

وإذ أنا مُنقادٌ لكلِّ مُقَوَّدٍ … إلى اللهوِ حَلاَّفِ البَطَالاتِ آثمِ

مُهينِ المطايا مُتلِفٍ غيرَ أنّني … على هُلْكِ ما أتلفتُهُ غيرُ نادمِ

أرى خيرَ يومَيَّ الخَسيسَ وإنْ غلا … بيَ اللؤمُ لم أحفِلْ ملامةَ لائمِ

فإنَّ دماً لو تعلمينَ جَنَيْتِهِ … على الحيِّ جاني مثلِهِ غيرُ سالمِ

وقال أبو حيّة يمدح عمرو بن كعب:

سَلِ الأطلالَ بينَ براقِ سَلِّي … وبينَ العُفْرِ من جرَعِ الرَّ غامِ

وما أبقى الراوِمسُ كلَّ قَيظٍ … ولا المُتَهَدِّجاتِ منَ الغَمامِ

ولا مُعْرَوْرِفٌ نشطَتْ جَنوبٌ … بهِ هوجاءُ من بلدٍ تَهامِ

منَ العرَصاتِ غيرَ مَخَدِّ نُؤْيٍ … كباقي الوحي خُطَّ على إمامِ

وغيرِ خوالدٍ لُوِّحْنَ حتى … بهنَّ علامةٌ ليستْ بشامِ

كأنَّ بها حماماتٍ ثلاثاً … مثَلْنَ ولم يطِرْنَ معَ الحمامِ

بها ارْفَضَّتْ مَساربُ مُقلتَيْهِ … كما ارفضَّ الفريدُ منَ النظامِ

جزى اللهُ الغوانيَ يومَ قَوٍّ … ويومَ لقِيتُهنَّ بذي سَلامِ

بما أخلَفْنَني وطَلَلْنَ دَيني … جزاءَ المجرمينَ منَ الأنامِ

إذا ريَّشْنَ أعيُنَهنَّ يوماً … فلمْ يوجدْ كإحداهُنَّ رامِ

أردْنَ عشيّةَ الشَّرْوَيْنِ قتلي … ولمْ يَرْجَبْنَ سفكَ دمٍ حرامِ

وقُلنَ لطفلةٍ منهنَّ ليستْ … بمتفالٍ ولا هَمَشى الكلامِ

يجُولُ وِشاحُها قلقاً عليها … تَلُوثُ المِرْطَ فوقَ نَقاً رُكامِ

تَهادى ثمَّ يبهَرُها رديفٌ … رَبا بتثاقُلِ القصبِ الفِخامِ

كأنَّ الشمسَ سُنَّتُها إذا ما … حلَفْنَ لتُسفِرَنَّ منَ اللِّثامِ

أزيدي قتلَهُ فرمَتْ فؤادي … بنَبلٍ غيرِ شاهدةِ الكِلامِ

وما اللائي عَقيلَتُهنَّ ريّا بعَشّاتِ العِظامِ ولا دِمامِ
نُظورةُ نِسوةٍ مُتعالِماتٍ يزِدْنَ على المَلاحةِ والوَسامِ
أُلاكَ القاتلاتُ بغيرِ جُرمٍ وما يقتُلْنَ غيرَ فتىً حُسامِ
وقالَ ببطنِ عاجنةٍ رفيقي وعيناهُ بأربعةٍ سِجامِ
رأى المَوماةَ تَذرَعُها المَهارى بهِ والسَّفْرَ منقطعَ الخِطامِ
وقد قلقتْ سَفائفُ مُدْرَجاتٌ كأنَّ جُرومَها أرْماثُ قامِ
أجِدَّكَ ما تذكّرُ بردَ خيمٍ بأبطحَ مُسْهِلٍ كفَفَ الشُّمامِ
ولا البقرُ الذي قُصرتْ عليهِ حِجالُ الأرمنيّةِ في الخيامِ
لهنَّ منَ الأراكِ مُضرّجاتٌ ومما اختزَنّ من قُضُبِ البَشامِ
يمْحنَ بهِ ذُرى برَدٍ تداعى بهِ المتَهلِّلات منَ الغمامِ
عشيّةَ صيِّفٍ وتَضمَّنَتْهُ رِهاءٌ من عَمايةَ أو حوامي
فذكَرَني لياليَ صالحاتٍ فأعْداني بنُصْبٍ واحتِمامِ
فقلتُ لهُ تعزَّ فليسَ هذا بحينِ صبابةٍ للمُستهامِ
فلا تجزعْ لعلّكَ بعدَ شَحطٍ تُلِمُّ ولوْ يئستَ من اللِّمامِ
فلستَ وإنْ بكيتَ أشدَّ وجْداً ولكنّي امرؤٌ ثقتي أمامي
فقالَ عصيتَني ولرُبَّ ناهٍ عصيتُ ومَهْمهٍ حرَجِ القَتامِ
كأنَّ جبالَهُ والآلُ يطفو على أطرافِها قزَعُ الجَهامِ
كأنَّ الآبداتِ الرُّبْدِ فيهِ ألاتُ الوحفِ من حزَقِ النِّعامِ
سرحْنَ لبلدةٍ فرفضْنَ منها مَرابعُهنَّ منْ زمَعِ الكِلامِ
قوالسُ عُنصُلٍ أو طلْعُ شَرْيٍ بمأتى كلِّ مندفِعٍ نُعامِ
عُناةٌ يبتغونَ جنىً عليهمْ برادٌ من قبائلِ آلِ حامِ
يلوحُ بها المذَلَّقُ مِذْرَياهُ خروجَ النجمِ من صلَعِ الغِيامِ
كأنَّ شوي يدَيهِ جرى عليها نؤورُ مُشيطةٍ إحدى جُذامِ
قطعتُ بذاتِ ألواحٍ تَرامى بزَوْلٍ لا ألفَّ ولا كَهامِ

وشُعثٍ أدلجوا وغدَوا وراحوا	على عيسٍ مَناسمُها دَوامي
نَجائبَ من نِجارِ بناتِ رُهْمٍ	كأنَّ رجالَهنَّ على نَعامِ
ترى الوهمَ الجُلالَ كأنَّ قاراً	تحدَّرَ من نوابعِهِ الهوامي
إذا ما شدَّ أحبُلَهُ عليهِ	تجافى حالباهُ عنِ الحِزامِ
كأنَّ الرحْلَ أشرفَ من قَراهُ	قرا ذاتِ الوعولِ من الرِّجامِ
وليسَ إذا تُعُرِّمتِ المطايا	بمنكودٍ ولا مَلِقِ العَرامِ
كأنَّ هديرَ أعْيَسَ في مخاضٍ	وحُولٍ بالمرافضِ من رؤامِ
تَجرَّمَ قيظُهُ وجرَتْ عليهِ	رياحُ البردِ طيّبةَ النِّسامِ
تَغمغُمُهُ إذا المُبْراةُ منهُ	لوَتْها العُروتانِ منَ الزِّمامِ
وتحملُني مُوثّقةٌ أمُونٌ	تُكلِّفُني الهمومَ إلى الهُمامِ
تَزِيفُ إذا المطايا واهفَتْها	كما زافَ المُسَدَّمَ ذو الحِجامِ
إذا ارفضَّتْ صوائلُ أخدعَيْها	وساقَطَ سَعمُها خبَطَ اللُّغامِ
وسافَهَتِ الزِّمامَ ولاعبَتْهُ	بأتلعَ مثلِ آسيَةِ الرخامِ
رأيتَ تدوَّؤاً من ذاتِ لَوثٍ	لَحيبِ الصُّلبِ واريَةَ السنامِ
كأنَّ قرونَ أوعالٍ مَذاكٍ	منَ الفُدْرِ العواقلِ في شَمامِ
نَطحْنَ مَحالَها من جانبَيْهِ	شِدادَ الأسرِ في طبقٍ لُؤامِ
تراها بعدَما قلقتْ قُواها	كُلوءَ العينِ ريِّحةَ البُغامِ
تزورُ المُصطفى عمروَ بن كعبٍ	تزورُ أغرَّ مرتفعَ المقامِ
إليهِ دؤوبُها وإذا أتتْهُ	أتتْ بالشامِ خيرَ فتىً شآمِ
أتتْ مُتطَلِّقاً كلتا يدَيهِ	ربيعٌ مُمْرِعٌ غدَقُ الرِّهامِ
معاوِيّاً منَ الأثرَيْنِ تنمي	إلى عاديّةِ الحسَبِ التِّمامِ
فتىً لا يمنعُ المعروفَ منهُ	تَبسُّلُ شَتوَةٍ ومحلٌّ عامِ

وما مَدُّ الفراتِ إذا تسامى	بموجٍ ذي قَصيفٍ والتِطامِ

بأغزرَ منكَ نافلةً إذا ما تحادبَ ظهْرَ جارفةٍ أُزامِ

ولا وردٌ بلحظةَ أو بتَرْجٍ منَ المُتوهِّساتِ دُجى الظلامِ

حمى أجَماتِه فتُركْنَ قفراً وأحمى ما أحالَ على الإجامِ

تطايرَ من يليهِ ومن يليها تَطايُرَهمْ من اللَّجبِ اللُّهامِ

وما ينفكُّ يسحبُ كلَّ يومٍ قتيلاً من رجالٍ أو سَوامِ

كأنَّ أسنّةً ذُلقتْ فلمّا تلمَّظ كلُّ مُلتهبٍ هُذامِ

عطفْنَ خوارجاً من أهرتَيْه محيطاتٍ بمَنخرِه الضُّخامِ

بأنجدَ سَورةً من كلِّ يومٍ كأنَّ أجيجَهُ سَنَنُ الضِّرامِ

وقال أبو حيّة يمدح الحكم بن صخر الثقفي:

ألا حيِّيا بالخبيِّ الديارا وهلْ ترجعَنَّ ديارٌ حِوارا

زمانَ الصِّبا ليتَ أيامَنا رجعْنَ لنا الصالحاتِ القِصارا

زمانٌ عليَّ غُرابٌ غُدافٌ فطيَّرَهُ الدهرُ عنّي فطارا

فلا يُبعدِ اللهُ ذاكَ الغُدافَ وإنْ كانَ لا هو إلاّ ادِّكارا

فأصبحَ موقعُهُ بائضاً محيطاً خِطاماً محيطاً عِذارا

فأما مَسايحُ قدْ أفحشَتْ فلا أنا أسطيعُ منها اعتذارا

وهازئةٍ إنْ رأتْ كَبْرَةً تَلَفَّعَ رأسٌ بها فاستنارا

أجارَتَنا إنَّ ريبَ المَنو نِ قبلي عابَ الرجالَ الخيارا

فإمّا ترَيْ لِمَّتي هكذا فأكثرتِ مما رأيتِ النِّفارا

فقدْ أرتَدي وحْفةً طَلّةً وقدْ أشعفُ العطراتِ الخفارا

وقدْ كنتُ أسحبُ فضلَ الرِّداء وأُرخي على العقِبَيْنِ الإزارا

ورَقراقةٍ لا تطيقُ القيا مَ إلاّ رويداً وإلاّ انبهارا

خلَوتُ بها نَتجازى الحَدي ثَ شيئاً علاناً وشيئاً سِرارا

كأنَّ على الشمسِ منها الخِمارَ إذا هيَ لاثَتْ عليها الخِمارا

كأنَّ الخزامى يمُجُّ الندى بمَحنيَةٍ أُنُفاً والعرارا

تَقَامُ في نشرِ أثوابِها ... إذا الليلُ أردفَ جَوزاً وحارا
وأخّرَ جَوزاً وكانتْ لهُ ... خُداريّةٌ يعتكِرْنَ اعتِكارا
ويومِ تساقَطُ لذّاتُهُ ... كما ساقطَ المُدجَناتِ القطارا
تأنفْتُ لذّاتِه باكراً ... بَرَهْرهةً طَفلةً أو عُقارا
بكلتَيْها قدْ قطعتُ النَّها ... رَ خَوداً شَموعاً وكأسلَ هتارا
فأمّا الفتاةُ فمِلَكُ اليمينِ ... تتضخ نضْحاً عبيراً وقارا
وأمّا العُقارُ فوافى بهِ ... سَبيئةَ حولَيْنِ تَجْراً تِجارا
كأنَّ الشبابَ ولذّاتِهِ ... وريْقَ الصِّبا كانَ ثوباً مُعارا
وغيثٍ تَجنَّنَ قُريانُهُ ... يُخايلُ فيهِ المُرارُ المُرارا
علَوناهُ يَقدُمُنا سَلْهبٌ ... نُسكِّنُهُ تَئقاً مُستطارا
قَصرْنا لهُ دونَ رزقِ العيالِ ... بُحّاً مَهاريسَ كُوماً ظُؤارا
مَقاحيدَ يَغْبقْنَهُ ما اشتهى ... فيصبحُ أحسنَ شيءٍ شَوارا
فبِتْنا بأوسطِهِ سُرّةً ... نُصَهْصي النُّهاقَ بهِ والعِرارا
فلما أضاءَ لنا حاجبٌ ... منَ الشمسُ تحسِبُهُ العينُ نارا
رأينَ المها ورأينَ النَّعامَ ... وأحمرةً بغَميسٍ نِعارا
فلما رأينا صِفاحَ الوجو ... هِ يبرُقْنَ نَغْتَرهُنَّ اغترارا
غدَونا بهِ مثلَ وقْفِ العَرو ... سِ أهيفَ بطناً مُمَرّاً مُغارا
قذفْنا الحَرُوريَّ في شِدقِهِ ... وأُبطِنَ مُلَحَمُ فيهِ العِذارا
فلما عقلْنا عليهِ الغُلا ... مَ قرنَيْنِ لا يُنكرانِ الغوارا
حذرناهُ من فلكٍ بافعٍ ... يغيبُ الرَّقاقَ ويطفو الخُبارا
كأنَّ غُلَيِّمنا مُعْصِماً ... ونحنُ نرى جانبَيءه الشَّرارا
يمرُّ بهِ برَدٌ سابحٌ ... يُشَقِّقُ من كلِّ بينٍ دبارا
كأنَّ مُلأتُهُ مُدْبِراً ... حريقُ الغَريفِ إذا ما استدارا
هشيمٌ منَ الغافِ مُستوقدٌ ... يُسنِّنُ ريحاً وزادَ استعارا

وشدَّدَ أزرقَ مثلَ الشِّها ب كنّا انتقَيْناهُ زُرقاً حِشارا

فلما علاهُنَّ شُؤْبوبُهُ ولفَّ نفيٌّ غبارٍ غبارا
فأحْذاهُ مثلَ قُدامى الجِناحِ خَضْخَضَ قُصْباً وأفرى سِتارا
فتزداد حَمْياً شآبيبُهُ وتزداد أوضاحُهنَّ احمِرارا
فألغى مَهاتَيْنِ في شأوِهِ وألغى الظَّليمَ وألغى الحِمارا
وخَطّارةٍ مثلِ خطْرِ الفنِي قِ تقطعُ منهُ الحِطاطُ السِّفارا
هَوِيَّ مُصلَّمةٍ صَعْلَةٍ تأوَّبُ بالسِّيِّ زُغباً صغارا
رماها المساءُ فما تبتلي بأرْمِيَةٍ ينهمِرْنَ انهمارا
يبادرْنَ رَيِّقَ ذي كِرْفِئٍ يَقُدُّ الرُّبا ويشقُّ البحارا
خَشوفِ الظلامِ إذا أظلمَتْ فأما النهارَ فتَخْدي النهارا
رميتُ بها الليلَ حتى انحنتْ كأنَّ بها وهْيَ رهْبٌ هِجارا
تُبادرُهُ أمَّ أُدْحيّها فتَبْدِرُهُ وتفوتُ الغبارا
فشبَّهتُ تلكَ صُهابيّةٌ منَ العيسِ تهدي قِلاصاً مِهارا
إذا يدُها وافدَتْ رِجلَها بأغبرَ يزدادُ إلاّ اغبرارا
تَواهَق أربَعُها واغتلى مُقدَّمُها وابتذَلْنَ المَحارا
إلى حكَمٍ وهوَ أهلُ الثناءِ وحُسنِ الثناءِ تولّى القِفارا
أُنيختْ بهِ ولقدْ هُلّلتْ ومُقْوَرَّةً كليتاها اقوِرارا
كأنَّ العُفاةَ على بابِهِ عفاةُ المُحَصَّبِ ترمي الجِمارا

وقال أبو حيّة يمدح الوليد بن يزيد بن القعقاع بن خُليد بن جَزء بن الحارث بن زهير، وهو أول من حبا أبا حيّة، وأجازه في أيام هشام بن عبد الملك:

يا بنَ الأكارمِ يا وليدُ ألستُمُ أهلَ الغِنى قِدْماً وطِيبَ العُنصرِ
إنّي أتيتُكَ من شَراءَ وبيشةٍ ومنَ العقيقِ ومن جنوبِ مُحَجَّرِ
تغلو بيَ القَفراتِ ذاتُ عُلالةٍ بعدَ الكلالِ وبعدَ خلْقٍ دَوسرِ

جادَ الربيعُ لها بفَيدٍ وأُرسلتْ ... في عازبٍ غَرِدِ الذبابِ مُنوِّرِ
بدأتْ وإنَّ أثارةً ملمومةً ... لعلى مَحالتِها كخِدرِ المُعْصِرِ
حتى إذا طرحَتْ نَسيلاً جافلاً ... عنها وقدْ جزأَتْ ثلاثةَ أشهرِ
راحتْ تَقَلْقَلُ من زَرُودَ فأصبحتْ ... بالبطنِ ذا قِنَةٍ خَفوقَ المِشْفرِ
كلّفتُها رَحلي إليكَ وإنّما ... ترجو نوافلَ سَيبِكَ المُتحضِّرِ
مرّتْ على قصرِ المقاتلِ بعدَما ... كربَتْ ظَهيرتُها ولمّا تُظهِرِ
فتزاورَتْ منهُ كأنَّ بدَفِّها ... هِرّاً يُشَبِّثُ ضَبعَها بالأظفُرِ
وأتتْ على البَردانِ وهْيَ مُدِلّةٌ ... عَجْلى اليدَيْنِ متى أزَعْها تَخْطِرِ
حتى أتتْكَ وقدْ رمتْ بحَنينِها ... ومشتْ على بخْصِ اليدَينِ الأحمرِ
آلتْ إذا ما حُلَّ عنها رَحلُها ... جُعلتْ تُضيفُ منَ الغرابِ الأعورِ
إنَّ الوليدَ جرى المئينَ مُبَرِّزاً ... وصفَتْ يداهُ بنائلٍ لمْ يَنزُرِ
وأشارتِ الأيدي إليهِ بحِلمِهِ ... والحزمِ حينَ أطاقَ حملَ المئزرِ
حتى إذا لبسَ العِطافَ تفرّجَتْ ... حلَقُ المجالسِ عنْ أغرَّ مُشهَّرِ
أعطى الجزيلَ وسادَ حينَ مضتْ ... سبعٌ وبعضُ لِداتِهِ لم يَثغَرِ
وغدا وراحَ إلى الأمورِ بحَزمِهِ ... وبأمرِ مُطَّلِعِ الحِمالةِ مِجْشَرِ

عمر بن لجأ

وقال عمر بن الأشعث بن لجأ بن حذيفة بن مَصاد بن ربيعة بن جُلهِم بن امرئ القيس بن ذهل بن تيم بن عبد مناة بن مر بن أدّ بن طابخة بن إلياس بن مضر بن نزار يردّ على جرير لّما هجاه:

نُبّئتُ كلبَ كُليبٍ قد عوى جزعاً ... وكلُّ عاوٍ بفيهِ التُّرْبُ والحجَرُ
أعيا فعقّبَ يهجوني بهِ ضجراً ... ولنْ يغيّرَ عنهُ السَّوْأَةَ الضجَرُ
يلومُني ظالماً في سُنّةٍ سبقَتْ ... إنَّ الكُليبيَّ لم يُكتبْ لهُ ظفَرُ
وما خلقتُكَ عبداً لا نصابَ لهُ ... بلْ هوَ خليقُ الذي يقضي ويأتمرُ
كلّفتَني مالكاً إنْ مالكٌ زخرتْ ... يا بنَ المراغةِ قد جاءتْ بكَ النُّصَرُ
وإنْ تجرَّدَ أمثالٌ خدعْتَ بها ... منَ الفرزدقِ يمضي ما مضى السفَرُ

لما رأيتَ ابنَ ليلى عندَ غايتِهِ في كفِّهِ قصباتُ السابقِ الخيرُ

هيتَ الفرزدقَ فاستعْفَيْتَني جزَعاً للموتِ يعمدُ والموتُ الذي تذَرُ

فاخْسأْ لعلكَ ترجو أن يحُلَّ بنا رحْلُ الفرزدقِ لمّا عضّكَ الدبَرُ

تهجو بَني لَجإٍ لما انهزمتَ لهُ رُعباً وأنفُكَ مما قال مُختصَرُ

إنّي أنا البحرُ غمراً لستَ جاسرَهُ وسَبِّيَ النارَ دونَ البحرِ تستعرُ

ما زلتَ تنتجعُ الأصواتَ مُعترضاً تروحُ في اللُّومِ مُشتقّاً وتبتكرُ

حتى استثَرتَ أبا شِبلَينِ ذا لِبَدٍ وزُبْرَةٍ لم تُواطي خَلْقَها الزُّبَرُ

وردَ القَرى كصفاةِ الهَضْبِ جبهتُهُ يموتُ من زأرِهِ في الغابةِ النمرُ

يعدو فتنفرجُ الغُمّى إذا انفرجَتْ والقِرنُ تحتَ يدَيهِ حينَ يَهتصِرُ

شكّتْ أنابيبُهُ صُدغَيكَ مُقتدِراً شَكَّ المساميرِ عوداً جوفُهُ نَخِرُ

ما بالُ قولِ جَريرٍ يومَ أحبِسُهُ عنِ المشاربِ إنَّ الماءَ يُحتضرُ

خَلِّ الطريقَ لنا نشربْ فقلتُ لهُ خلْفٌ وراءَكَ حتى تَفْضُلَ السُّؤرُ

إنَّ الطريقَ طريقُ الواردينَ لنا يا بنَ الأتانِ وأحواضُ الجبى الكُبَرُ

إنَّ الحياضَ التي تبني بنو الخَطَفى تُبنى بلؤمٍ فما تنفكُّ تنفجرُ

ككانتْ غوائلها السفلى أعاليها فكيفَ تُبنى عليها وهْيَ تنكسرُ

أبنو المنارَ فإنَّ العبدَ يَنضدُهُ فوقَ الصُّوى وعلى خُرطوبهِ المَدَرُ

إنْ كنتَ تبكي على الموتى لتَنكحَهُمْ فابْرُكْ جريرُ فهذا ناكحٌ ذكرُ

لقدْ كذبتَ وشرُّ القولِ أكذَبُهُ ما خاطرتْ بكَ عن أحسابِها مُضرُ

بلْ أنتَ نزوةُ خَوّارٍ على أمَةٍ لنْ يسبقَ الحلباتِ اللؤمُ والخَوَرُ

يا بنَ المَراغةِ شرَّ العالمينَ أباً زُعْ بالمَراغةِ حيث اضطرّكَ القدرُ

ما بالُ أمِّكَ بالمَنْحاةِ إذْ كشفَتْ عن عَضْرَطٍ وارمٍ قد غمّهُ الشَّعَرُ

لبَربريٍّ خبيثِ الريحِ أبركَها هلا هنالكَ يا بنَ اللؤمِ تنتصرُ

كأنَّ عُنبُلَها والعبدُ يَنسِفُها حِبْنٌ على ركَبِ البَظراءِ يَنبَتِرُ

كأنَّ جفْرَ صراةٍ مُطْرِمٍ هَدِمٍ … مَشْغَرُ أمِّ جريرٍ حينَ تشتغرُ

رحب المشَقِّ عليهِ الليفُ ذو زبدٍ … مُعْتَصِلٌ قَبْقبيٌّ الصوتِ مُنهمرُ

اللؤمُ أنكحَها واللؤمُ ألقحَها … وكلُّ فحلٍ لهُ من ضربْهِ قدرُ

ما قلتَ في مرّةٍ إلا سأنقُضُها … يا بنَ الأتانِ بمثلي تُنقصُ المرَرُ

جاءتْ بأنفِ جريرٍ شَعرُها معهُ … إنَّ الثنيّةَ ذاتَ الفرعِ تُبتَدرُ

جاءتْ بأرضَعَ عبدٍ من بني الخطَفى … في أخدعَيْهِ إذا استقبلتَهُ صعَرُ

لو كنتَ بَرّاً بأمٍّ غيرِ مُنجبةٍ … شرمَتْ جُولَ استِها لم يَهجُها عمرُ

أأنْ تمثّلتَ بيتاً يا أبا خُرُطٍ … ناسٍ لُعابكَ بعدَ الشيبِ ينتثرُ

فارْهَزْ أباكَ بُنيَّ الخَيْطَفى طلقاً … هذا إليكَ بُنيَّ الخَيْطفى العذَرُ

واملأْ صِماخَكَ من عوراءَ مُخزيةٍ … إن كانَ هاجَكَ قولٌ ما به عَورُ

فإنْ أُهنْكَ فهذا العبدُ أخسأُهُ … وإنْ حُقرْتَ فأنتَ العبدُ تُحتقرُ

وما ختَلْتُ جريراً حينَ أقصدَهُ … سهمي وما كنتُ ممنْ يخبَأُ القمرُ

جازَ العقابُ بهِ حتى قصدتُ لهُ … واعترَّ حتى أفادتْ وحشَهُ الغَرَرُ

ومنجنيقُكَ خرّتْ إذْ رمَيتَ بها … عن استِ أمِّكَ لم يبلغْ لها حجرُ

ترمي على كَزَّةٍ بادٍ قوادحُها … فاحذرْ قوادحَها لا يُنجِكَ الحذرُ

إنَّ اللئيمَ جريراً يومَ فرّغَهُ … في قُرنةِ السَّوءِ عبدٌ ماؤهُ كدرُ

وفي المشيمةِ لؤمٌ في مَقَرَّتِها … حتى شوى صُدُغيْهِ اللؤمُ والكِبَرُ

عبدٌ إذا ناءَ للعَليا تكاءَدَهُ … سُدٌّ من اللؤمِ لا يجتازُهُ البصرُ

ألقِ العصا صاغراً ليسَ القيامُ لكمْ … واقعُدْ جريرُ فأنتَ الأعقدُ الزَّمِرُ

لقدْ وجتمْ جريراً يا بَني الخَطَفى … بئسَ المُراهنِ حتى ابتُلّتِ العُذَرُ

سُدّتْ عليكَ الثنايا واستدَرْتَ لها … كما تحيَّرَ تحتَ الظلمةِ الحيَرُ

دقَّتْ ثنيّتَهُ الثَّرماءَ حينَ جرى … طُولُ العثارِ وأدمى باستِهِ الثِّفَرُ

إنْ كانَ قالَ جريرٌ إنَّ لي نفراً … من صالحِ الناسِ فاسألْهُ منِ النفرُ

أمُعرِضٌ أمْ مُعَيدٌ أم بنو الخطفى تلكَ الأخابثُ ما طابوا وما كثُروا

خزيٌ حياتُهمُ رجسٌ وفاتُهمُ لا تقبلُ الأرضُ موتاهمْ إذا قُبروا

أُندُبْ بني الخطفى إنْ كنتَ تعلمُهمْ شيئاً وإلاّ فلمْ يشعرْ بهمْ بشرُ

تَنحَّلُ المجدَ لم يعلمْ أبوكَ بهِ هيهاتَ جارَ بكَ الإيرادُ والصدَرُ

أُندُبْ خنازيرَ لؤمٍ ألحقوا بهمِ واترُكْ جريرُ ذهاباً حيثُ تقتَفرُ

هلْ أنتَ إلاّ حمارٌ من بني الخطفى فصوِّبِ الطرْفَ لم يفسحْ لكَ النظرُ

بيتُ المَدقّةِ لم يشعر بهم أحدٌ إذا همُ في مَراغِ الأرنبِ انجَحروا

لقدْ علمتُ على أنّي أسبُّهمُ ما في بني الخطفى من والدي ثُؤَرُ

وإنَّ كلَّ كريمٍ قامَ ذا حسبٍ يهجو جريراً يسبُّ العبدَ أو يذرُ

يدعو عُتَيْبةَ إذا دقّتْ بنو الخطفى حتى رمى وجهَهُ من دونِه وزَرُ

وقَعْنَبٌ يا بنْ لا شيءٍ هتفتَ بهِ إذ مالَ رجْلُكَ وانهاضتْ بكَ الأسَرُ

إنْ تلبسِ الخزَّ تُظلمْهُ أبا خُرُطٍ وأنتَ باللؤمِ مُعْتَمٌّ ومُؤتزرُ

وينزلُ الخزَّ منكَ اليومَ منزلةً ما كانَ للخزِّ فيما قبلَها الأثرُ

فأصبحَ الخزُّ يبكي من بني الخطفى يا خزَّ كِرْمانَ صبراً إنها الهتَرُ

وكانَ خزُّ جريرٍ كلَّ مُمْتَزقٍ من صوفِ ما هرأتْ من ضأنِها القِرَرُ

فأُمّهُ في قبيلَى بُردةٍ خلَقٍ والخَيْطفى في شِمالِ اللؤمِ مُعتَجِرُ

أمّا قبائلُ يَربوعٍ فليسَ لها فيما يَعُدُّ ذَوو الأحسابِ مُفتخَرُ

لا يُفقَدونَ إذا غابوا وإنْ شهِدوا لم تَستشِرْهمْ تميمٌ حينَ تأتمرُ

تُقضى الأمورُ ويربوعٌ مُخلَّفةٌ حتى يقولوا غداةَ الغِبِّ ما الخبرُ

تُشاربُ الذلَّ يربوعٌ إذا وردوا والذلُّ يصدُرُ فيهمْ أينما صدروا

إنْ جارُهمْ طرقتْهُ غُولُ غيرِهمْ طارَ الحديثُ وما أوفَوا وما صبروا

وجامَعَ اللؤمَ يربوعاً وحالفَها ما دامَ أسفلَ من ماويّةَ الحَفَرُ

الأبعدونَ منَ الأحسابِ منزلةً والأخبثونَ عُصاراتٍ إذا اعتُصروا

والألأمون فُلُوّاً شَبَّ في غنَمٍ وفي الحميرِ أبوهُ الأشمطُ القَمِرُ

قِردانُ ملأمةٍ في الشاءِ جَدُّهُمُ ... مِيلٌ عواتقُهمْ من طولِ ما زفَروا

فهمْ لآباءِ سَوءٍ ألحقوا بهمِ ... زُلاً حناكاً ولا يدرونَ ما السُّوَرُ

خِزيٌّ البعولةِ والأفواهُ مُرْوِحةٌ ... إذا تفتَّلَ في أستاهِها الشعَرُ

سودٌ مَدارِينُ تلقى في بيوتِهمِ ... قُدّامَ أخبيةِ اللؤمِ الذي احتجروا

وإنْ حَبالاهُمُ نَتَّجْنَ بشرِّهمْ ... صوتُ الصبيِ بلؤمٍ حينَ يَعتَقِرُ

إنّي سبَبْتُهمُ سبّاً سيورِثُهمْ ... خزياً ومَنقصةً في الناسِ ما عَمِروا

لقدْ ذعرنْا قديماً في نسائكمُ ... فلم تَغاروا ولم تُستنكرَ الذُّعَرُ

أزمانُ وصّى بيربوعٍ فحضَّهمُ ... عندَ الوفاةِ تميمٌ وهو مُحتَضِرُ

أنَّ الفحولَ لكمْ تَيمٌ وأنكمُ ... حلائلُ التَّيْمِ فاستَوصوا بما أمروا

أمّا كُليبٌ فإنَّ اللهَ زادَ لها ... لؤماً على كلِّ شيءٍ زادَهُ الكِبرُ

لا السنُّ يَنهاهُ عن لؤمٍ ولا طبَعٍ ... وليسَ مانعَهُ من لؤمِهِ الصِّغَرُ

انظُرْ ترَ اللؤمَ فيما بينَ لِحيَتِهِ ... وحاجبَيْهِ إذا ما أمكنَ النظرُ

يا لؤمَ رهْطِ كُليبٍ في نسائهمِ ... ما قاتلوا القومَ إذْ تُسبى ولا شكروا

فاستَردَفوا النسوةَ اللاتي ولدْنَهمُ ... خلفَ العَضاريطِ في أعناقِها الخُمرُ

لم يُدركوها وألهتْهمْ أناتُهمُ ... حتى أتى دونَها سَلمانُ أوْ أقُرُ

فأصبحتْ في بني شَيبانَ مَسْلَحةً ... يُعيرُهمْ بعضُهمْ بعضاً وتُؤتَجرُ

حتى أتيتُكمُ من بعدِ مَخلَفِها ... بعدَ السِّفادِ وحُبْلاهُنَّ تنتظرُ

جزَّتْ نواصيَها بيضٌ غطارفةٌ ... من وائلٍ أنَّ نُعمى سَيبِهمْ درَرُ

بكرٌ وتَغلُب ساموكَ التي جعلتْ ... لونَ الترابِ على خدَّيكَ يا كُفَرُ

الواهبونَ لكمُ أطهارَ نسوتِكمْ ... لم يجزِها منكمُ نُعمى ولا أثَرُ

يا بنَ المراغةِ لم تفخَرْ بمَفخرةٍ ... بعدَ الرِّدافِ منَ المَسبيّةِ العُقُرُ

أنا ابنُ جلْهمَ يا ابنَ الأخبَثِنَ أباً ... وابنُ جِساسٍ وتَيمٍ حينَ أفتخرُ

المُصْدِري الأمرَ قد أعيتْ مصادرُهُ ... والمُطعمي الشحمَ حتى يُرسلَ المطرُ

وقادةُ اليُمنِ والمجسورِ أثرُهمُ ... يومَ المُهمّةِ والجُلّى إذا جسَروا
والوالدينَ ملوكاً كنتَ تعبدُهمْ ... من قبلِ سَجْحَةَ في عَليائكَ السُّخَرُ
والمانعينَ بإذنِ اللهِ مَحْمِيَةً ... بني تمميمٍ ونارُ الحربِ تستعرُ
قُدنا تميماً لأيامِ الكُلابِ معاً ... فاستَعْثَروا جَدَّ أقوامٍ وما عثروا
ويومَ تَيْمَنَ نحنُ الناحِرونَ بها ... جبارَ مَذْحِجَ والجبارُ ينتحرُ
هلاّ سألتَ بنا حسّانَ يومَ كبا ... والرمحُ يَخْلِجُهُ والخدُّ مُنعَفِرُ
وإذ أغارَ شُمَيطٌ نحوَ نِسوَتِنا ... غِرْنا عليهِنَّ إنّا معشرٌ غُيُرُ
ذُدنا الخميسَ ولم نفعلْ كفِعلِكمُ ... بالضربِ شُذِّبَتِ الهاماتُ والقَصَرُ
فأصبحوا بينَ مقتولٍ ومُؤْتَسَرٍ ... شدّتْ يداهُ إلى اللِّيتَيْنِ تُؤتسَرُ
ويومَ سَخْبانَ أبرمْنا بواحدةٍ ... للناسِ أمرَهمُ والأمرُ مُنتشرُ
ويومَ دِجلةَ أكداسٌ يُجرِّعُها ... كأسَ الفَطيمةِ فيها الصابُ والمَقِرُ
ويومَ سعدٍ وصَحْنى قَرْقَرى لحقتْ ... منّا فوارسُ لا مِيلٌ ولا ضُجُرُ
يومَ اعتنَقْنا سُوَيْداً والقَنا قِصَدٌ ... والخيلُ تعدو عليها عِثْيَرٌ كَدِرُ
ولمْ تزلْ كمكانِ النجمِ نسوتُنا ... إذْ مُرْدَفاتُكَ تُسبى ما لها مهَرُ
نغزو فنسبي ولا تُسبى حلائلُنا ... إنَّ القتالَ لتَيمٍ طائرٌ أمِرُ
إنّا لبطنِ حَصانٍ غيرِ ضائعةٍ ... يا بنَ التي حملَتْهُ وهْيَ تمتَذِرُ
لم يُخزِنا موقفٌ كنا نقومُ به ... ولا يُجيرُ علينا ثأرَنا الغِيَرُ
ما نالَنا الضيمُ إنّا معشرٌ شُمُسٌ ... من دونِ أحسابِنا والموتُ محتضَرُ
وإنَّ نبعَتَنا صُلْبٌ مَكاسِرُها ... فلا نَخورُ إذا ما خارتِ العُشَرُ
أخطارُ صدقٍ إذا قُمنا نقومُ بها ... وابنُ الأتانِ جريرٌ مالهُ خطرُ
دعِ الرِّبابَ وسَعداً لستَ نائلَها ... هَيهاتَ هيهاتَ منكَ الشمسُ والقمرُ
همْ أسرعُ الناسِ إدراكاً إذا طلبوا ... وأعظمُ الناسِ أحلاماً إذا قدَروا
مُدُّوا بسيلٍ أتِيٍّ لستَ حابسَهُ ... وليسَ سيلُهمُ يُلفى إذا زَخَروا
كانوا قديماً أشدَّ الناسِ مُعتمَداً ... في الأوّلينَ وفي الحِلْفِ الذي غبَروا

ولو يشاؤونَ ماتتْ من مخافَتِهمْ	أدنى الأسودِ وأقصاهمْ إذا زأروا
كانوا إذا الأمرُ أعيَتْكمْ مصادرُهُ	يكفُونَهُ وإذا ما هِبتُمُ جسَروا
قدْ علمتْ يومَها هذا بنو الخطفى	إنّي مُرافعَتي فوقَ الذي قدروا
سيعلمونَ إذا ما قيلَ أيَّهُما	يا بنَ المراغةِ إنّي سوفَ أنتصرُ
وصرّحَ الأمرُ عن بيضٍ مُشهَّرةٍ	منّي سوابقُ في أعناقِها البُشُرُ
بالنصرِ واللهُ لم ينصرْ بني الخطفى	والمؤمنونَ إذا ما استنصَروا نُصروا
ما زالَ حَينُ جريرٍ عن بني الخطفى	يغشى بني الخطفى موجٌ وما مَهَروا
حتى التقى ساحلُ التيارِ فوقَهمُ	لا بحرَ إلاّ لغاشي موجِهِ جزَرُ
أمسى كفرعونَ إذا يقتادُ شيعتَهُ	يرجو الجسورَ فما كرُّوا وما جسَروا
فما حمى ناكحُ الموتى بني الخطَفى	حتى يُفرِّعَهمْ منّي الذي حذروا

لقد نهتْكَ سُحَيمٌ عن مُرافعَتي	أهلَ الفَعالِ وفتيانُ الندى غُيُرُ
لو كانَ من رهْطِ بِسْطامٍ بنو الخَطفى	أو من حنيفةَ ما دقُّوا وما غَمروا
يا بنَ المراغةِ إنْ تُصبحْ لها نكداً	فما المراغةُ إلاّ خُبْثَةٌ قَذَرُ
تهجو الرواةَ وقدْ ذكّاكَ غيرُهمُ	وجزَّؤُوكَ سهاماً حينَ تُجْتَزَرُ
وما الرواةُ بنو اللؤمِ الفَعالِ لكمْ	يا بنَ الأتانِ فلا يعجَلْ بكَ الضجَرُ
إنَّ الرواةَ فلا تعجلْ بسبِّهمِ	بثُّوا القصائدَ في الآفاقِ وانتشروا

وقال يرد على جرير:

ألَمْ تُلْمِمْ على الطللِ المُحيلِ	بغربيِّ الأبارقِ من حَقيلِ
صرفتُ بصاحبي طرباً إليها	وما طرَبُ الحليمِ إلى الطلولِ
فلمْ أرَ غيرَ آناءٍ أحاطتْ	على العرَصاتِ منْ حذرِ السيولِ
تنسّفُها البوارحُ فهْيَ دفٌّ	أشَلُّ ودفٌّ مُختَشِعٍ ذَلولِ
ورسمِ مَباءةٍ ورمادِ نارٍ	وجُونٍ حولَ موقدِها مُثولِ
ديارٌ من أمامةَ إذ رمتْنا	بسهمٍ في مُباعدةٍ قَتولِ

رميتِ بمُقلتَيكِ القلبَ حتى أصبتِ القلبَ بالثِّقْلِ الكَليلِ
فلما إنْ نزلتِ شِعابَ قلبي مددتِ لنا مُباعدةَ البخيلِ
سمعتِ مَقالةَ الواشينَ حتى قطعتِ حبالَ صَرّامٍ وصورِ
إذا ذهَلَ المُباعدُ عن وصالٍ لجَجْنا في التباعدِ والذهولِ
كأنَّ الحبلَ لم يُوصَلْ تماماً إذا انقطعَ الخليلُ منَ الخليلِ
فخَرْتَ ابنَ الأتانِ ببيتِ لؤمٍ ومالَكَ في الأكارمِ من قَبيلِ
ولمْ يكُ جدُّكَ الخَطْفى فَحيلاً فتحمدُهُ ولا ثاني الفَحيلِ
كُليبٌ إنْ عددْتَ بني كُليبٍ جِحاشَ اللؤمِ في العددِ القليلِ
ولم تُعرفْ كُليبُ اللؤمَ إلاّ بشارفِها وبائسِها السَّؤولِ
وما كانتْ بيوتُ بني كُليبٍ تَحُلُّ الغيثَ إلاّ بالكَفيلِ
كُليبٌ مُنيةُ الغازي إذا ما غزا أو شِقوةُ الضيفِ الدَّخيلِ
فإنكَ قدْ وجدتَ بني كُليبٍ قِصارَ الفرعِ باليةَ الأصولِ
فخرْتَ بما بَنَتْ فرسانُ تَيمٍ وما أخذوا المعاقلَ من قتيلِ
أبونا التَّيْمُ أكرمُ من أبيكمْ وأقربُ للخلافةِ والرسولِ
وتَيمٌ منكَ أوترُ للأعادي وأدركُ حينَ تُطلبُ بالتُّبولِ
وخيرٌ ليلةَ الحدَثانِ منكمْ وأسمحُ ليلةَ الريحِ البَليلِ
وبالودّارِ يومَ غزوْتَ تَيماً سقَوكَ بمَشرَبِ الكَدِرِ الوَبيلِ
وتَيمٌ أظعنتْكَ فلمْ تَخَلَّفْ وتَيمٌ أشخصَتْكَ عنِ الحلولِ
وتيمٌ وجهتكَ لكلِّ أمرٍ تحاولهُ ولست بذي حويلِ
بأبرَقَ ذي الجُموعِ غداةَ تَيمٌ تقودُكَ بالخشاشةِ والجَديلِ
فأعطيتَ المَقادةَ واحتملْنا على أثَرِ النَّكيشةِ والخمولِ
زميلٌ يتبعُ الأسلافَ منّا وما السلفُ المُقدَّمُ كالزميلِ
فلما إنْ لقوا رؤساءَ سارَتْ بمَذْحجَ يومَ تَيْما والشَّليلِ
نزلْنا للكتائبِ حينَ دارَتْ وقدْ رعشَ الجبانُ عنِ النزولِ

مُسهَّلةٍ نوافذُها وضربْ … كأفواهِ المُقرِّحةِ الهُدولِ

فروَّيْنا بمَجِّ الهامِ منهمْ … مضاربَ كلِّ ذي سيفٍ صَقيلِ

فأمستْ فيهمِ القتلى كخُشْبٍ … نفاها السيلُ عن درَجِ المَسيلِ

وخبَّرَ عن مصارعِ من قتلْنا … فلولُ الجيشِ ثابَ إلى الكلولِ

ويومَ سيوافُكمْ خزيٌ عليكمْ … إلى قيسِ الذُّحولِ إلى الذحولِ

ويومَ سيوفُنا شَرْقاً ترَقّى … معَ القمريْنِ منْ عِظَمٍ وطولِ

لنا يومُ الكُلابِ فجئْ بيومٍ … إذا عُدَّ الفَعالُ بهِ بديلِ

ويومَ بني الصَّموتِ رأتْ كلابٌ … أسيراً منهمُ بينَ الغلولِ

ويومَ يزيدَ لو أبصرتْ تَيماً … رأيتَ فوارسَ الحسبِ النبيلِ

أخذْنا عِرْسَهُ فأصابَ سهمٌ … شوىً منهُ بنافذةٍ هَدولِ

ويومَ أغارَ حسانُ بن عوفٍ … صرعْناهُ بنافذةٍ ثَعولِ

ويومَ سما لنسوتِنا شُمَيطٌ … بمَقْنَبِه على أثرِ الدليلِ

غزا بخِمَيسِهِ من ذاتِ كهفٍ … فقطَّرَهُ فوارسُ غيرُ ميلِ

ليالِيَ يعتزُونَ إلى كليبٍ … بمُجتمعِ الشقيقةِ والأميلِ

متى شهدَتْ فوارسَنا كُليبٌ … ضلَلْتَ وأنتَ من بلدِ الضُّلُولِ

لنا عزُّ الرِّبابِ وآلِ سعدٍ … عطاءُ الواحدِ الصمَدِ الجليلِ

همُ وطِئوا حماكَ وهمْ أحلُّوا … بيوتَكمُ بمنزلةِ الذليلِ

همُ اختاروا عليكَ غداةَ حلُّوا … وبيتُ ابنِ المراغةِ بالمَسيلِ

سددْتُ عليكَ مطلِعَ كلِّ خيرٍ … فعَيَّ عليكَ مُطَّلَعُ السبيلِ

رماكَ اللؤمُ لؤمُ بني كُليبٍ … بعبءٍ لا تقومُ لهُ بقيلِ

أهِبْ يا بنَ المَراغةِ من كُليبٍ … بلؤمٍ لن تغيِّرَهُ طويلِ

فقد خلَفَتْ كُليبُكَ من تميمٍ … مكانَ القُرْدِ من ذنَبِ الفَصيلِ

وحظُّ ابنِ المراغةِ من تميمٍ … كحظِّ الزانياتِ من الفحولِ

فإنّكَ وافتِخارَكَ من كُليبٍ ببيتِ اللؤمِ والعددِ القليلِ

كأورَقَ ذَلَّ ليسَ لهُ جناحٌ على عُودَيْنِ يلعبُ بالهديلِ

وقد ركبَتْ لغايَتِها كُليبٌ بأدْفى حينَ تَنْخُسُهُ زَحولِ

بهِ زورُ العبودةِ فهْوَ أدنى نصتْهُ الخيلُ عن ميلٍ فميلِ

زَيايدُ من رَقاشِ مُعلَّقاتٌ كحَيضِ الكلبِ ناقصةَ العقولِ

فإنْ تخلطْ حياءً من صُبَيرٍ بهمْ تَسُقِ السَّفالَ إلى الخُمولِ

وليسَ ابنُ المراغةِ يومَ تُسبى نساءُ ابنِ المراغةِ بالصَّؤولِ

وألحقَهُنَّ أقوامٌ سواكمْ وعندَكَ ما أخذْنَ وهنَّ حُولِ

ويلمعُ بالسيوفِ بنو حريصٍ ولمْ يشفوا بها وغَرَ العليلِ

علَوتُكَ وانهزمتَ إلى رياحٍ تعوذُ بها من الأسدِ البَسيلِ

وطاحَ ابنُ المراغةِ إذْ تَصلَّى بليثٍ بينَ أنهارٍ وغيلِ

هزَبْرٍ يَفرُسُ الأقرانَ فرْساً بأنيابٍ قُراسيّةٍ نُزولِ

فأثبَتَ في الذؤابةِ من جَريرٍ زِجاجاً ما تخافُ منَ النصولِ

فأمسى فرَّجَ الشأنَيْنِ منهُ بكلِّ شَباةِ ذي طرْفٍ أسيلِ

تطلَّبهُ عطيّةُ وهْوَ ميْتٌ يُقضِّي وهْوَ يُسْبَرُ بالفَتيلِ

إذا ما ضمَّها بالسمنِ جاشَتْ بهِ جيشَ المُعَرْمَضَةِ الدَّحولِ

سأشتِمُكمْ وإنْ نهقَتْ كُليبٌ صهلْتُ وما النواهقُ كالصهيلِ

وقال يرد على جرير:

لمنْ منزلٌ بالمستَراحِ كأنّما تَجلَّلَ بعدَ الحَولِ والحولِ مُذْهَبا

بهِ ذرفَتْ عيناكَ لما عرفْتَهُ وكيفَ طِبابَيْ عيِّنٍ قد تسرَّبا

فلمْ أرَ منها غيرَ سُفْعٍ مَواثلٍ وغيرَ رمادٍ كالحمامةِ أكهبا

تَهادى بهِ هُوجُ الرياحِ تَهادياً ويَهدِينَ جَولانَ الترابِ المُهذّبا

نسَفْنَ ترابَ الأرضِ من كلِّ جانبٍ ومُنخرَقٍ كانتْ بهِ الريحُ نَيْسَبا

وكلِّ سِماكيٍّ يجولُ رَبابُهُ مرَتْهُ الصَّبا في الدجْنِ لما تَحلَّبا

إذا ما علا غَوريَّهُ أرزمَتْ بهِ تَوالٍ مَتالٍ مُخَّضٍ فتحدَّبا
أغرُّ الذُّرى جَوزُ الغفارةِ وابلٌ ترى الماءَ من عُثنونهِ قد تصبَّبا
مضى فانقضى عيشٌ بذي الرِّمثِ صالحٌ وعيشٌ بحُزوى قبلَهُ كانَ أعجبا
ليالي يدعوني الصِّبا فأجيبُهُ إلى البِيضِ تُكسى الحَضرميَّ المُصلَّبا
نواعمَ يَسبينَ الغويَّ وما سبى لهنَّ قلوباً إذْ دنا وتخلَّبا
وصوَّرَهنَّ اللهُ أحسنَ صورةٍ ولاقَينَ عيشاً بالنعيمِ تَربَيَّا
عِراضَ القطا غُرَّ الثنايا كأنّها مها الرملِ في غرٍّ من الظلِّ أهدبا
قِصارَ الخطى تمشي الهُوينا إذا مشتْ دبيبَ القطا بالرملِ يُحسبْنَ لُغَّبا
إذا ما خشِينَ البَينَ والبينُ رائعٌ تواعدْنَ بينَ الحيِّ والحيِّ مَلعبا
خرجْنَ عشاءً والتقَيْنَ كما التقى مها رَبْربٍ لاقى بفَيحانَ رَبْربا

قصرنَ حديثاً بينهنَّ مُقبَّراً وكلٌّ لكلٍّ قالَ أهلاً ومرحبا
رقيقٌ كمسِّ الخزِّ في غيرِ ريبةٍ ولا تابعٍ زورَ الحديثِ المُكذَّبا
خِدالَ الشَّوى لم تدرِ ما بؤسُ عيشةٍ ولم ترَ بيتاً من كُليبٍ مُطَنَّبا
تغنَّى جريرٌ بالرِّبابِ سفاهةً وقدْ ذاقَ أيامَ الرِّبابِ فجرَّبا
ولمّا لقيتَ التَّيمَ يومَ بُزاخةٍ ورهَطَ أبي شهمٍ وقومَ ابنَ أصهبا
نزوْتَ عليها بعدَ ما شُدَّ حبلُها ولم يُصلقِ القومُ العِقالَ المُؤرَّبا
رأيتُكَ بالأجزاعِ فوقَ بُزاخةٍ هربْتَ وخفتَ الزاعبِيَّ المُذرَّبا
فلم تنجُ منها إذْ هربتَ ولم يجدْ أبٌ لكَ عن دارِ المذلّةِ مَهربا
فإنَّ التي تُحدى ويُسبى رجالُها نساءُ بني يربوعَ شَلاًّ عَصبْصبا
دعتْ يالَ يربوعٍ فلمْ يلحقوا بها ولم يكُ يربوعٌ أبوهنَّ أنجبا
جبُنتَ ولم تضربْ بسيفِكَ مُغْضباً لَؤُمتَ إذا لم تُنهلِ السيفَ مُغْضبا
وكيفَ طِلابُ المُردَفاتِ عشيّةً وقد جاوزَ الشيخُ الغَميمَ ويثربا
تخطَّى بسعدٍ والسعودِ لغيرِهِ ولم يُغنِهمْ من دونِهِ من تأشَّبا

ثلاثةَ أبواعٍ أبوكمْ يَعُدُّهُ ... تميمٌ ويعتدُّونَ بَكْراً وتغلِبا

وسعدٌ بغيرِ ابنِ المراغةِ نصرُها ... إذا هتفَ الداعي بسعدٍ وثوَّبا

ونحنُ لسعدٍ مِغْلَبٌ غيرَ خاذلٍ ... وسعدٌ لنا أمستْ على الناسِ مِغلَبا

لهم هامةٌ غلباءُ ما تستطيعُها ... نمتْ في قُراسِيٍّ منَ العزِّ أغلبا

همُ القومُ مهما يدركوا منكَ يطلبوا ... وإنْ طلبوكم لم تجِدْ لكَ مَطلبا

وإن جدَعوا أُذْنَيْ جريرٍ وأنفَهُ ... أقرَّ ولا عُتبى لمنْ ليسَ مُعتِبا

همُ منعوا منكَ المياهَ فلمْ تجدْ ... لجَحشِكَ إلاّ بالمَصيقةِ مشربا

لنا مَرقَبٌ عندَ السماءِ عليكمُ ... فلستَ بلاقٍ فوقَ ذلك مَرقبا

وبدرُ السماواتِ العُلى ونجومُها ... علَوْنَ فلنْ تستطيعَ منهنَّ كوكبا

هناكَ ابنَ يربوعٍ علَوْنا عليكمُ ... وأصبحتَ فقْعاً بالبَلاطِ مُتَرَّبا

نُريحُ تِلادَ المجدِ وسْطَ بيوتِنا ... إذا ما ابنُ يربوعٍ عنِ المجدِ أعزبا

ونَقْري السنامَ الضيفَ إنْ جاءَ طارقاً ... يمارسُ عِرْنيناً من القُرِّ أشهبا

ويقري ابن يربوعٍ إذا الضيفُ آبهُ ... على ناقةٍ أيرَ الحمارِ المؤدَّبا

لنا مجدُ أيامِ الكُلابِ عليكمُ ... بني الكلبِ لا نخشى بهِ أنْ نُكذِّبا

غزانا بهِ الجيشُ اليماني فكافحتْ ... جنودُهمُ زحفاً غليظاً ومِقْنبا

فما غادرتْ إلاّ سليباً مشرّداً ... بثَهْلانَ منهمْ أو صريعاً مُلحَّبا

صريعَ القنا أو مُقْصداً نالَ ضربةً ... ذرَتْ رأسَهُ عن منكِبٍ فتنكَّبا

لقائلِنا أيامُ صدقٍ يَعُدُّها ... بها فازَ أيامَ الخِطارِ فأوجبا

فأيَّ فَعالٍ يا جريرُ تعُدُّهُ ... إذا الركبُ أمُّوا يومَ نعمانَ أركُبا

أتدعوا معيداً للرهانِ ومُحْقِباً ... فقدْ نلتَ إذ تدعو مُعيداً ومُحقبا

دعوْتَ أباً عبداً وأمّاً لئيمةً ... فلا أمَّ تدعو في الكرامِ ولا أبا

كما كنتَ تدعو قَعْنباً حين قصَّرَتْ ... كُليبٌ فما أغنى دعاؤُكَ قَعْنبا

فخرتَ بأيامٍ لغيرِكَ فخرُها ... ضلِلْتَ ولمْ تذهبْ هنالكَ مَذهبا

فخاطِرْ بيربوعٍ فلستَ بواجدٍ ... لهمْ حامداً إلاّ لئيماً مُكذَّبا

فإنْ قلتَ يربوعٌ نصابي وأُسرتي ... لَؤُمْتَ وألأمْتَ النصابَ المُركَّبا
ولم تكُ يربوعٌ من العزِّ حَومةً ... فنخشى ولا الفرعَ الصريحَ المُهذَّبا
ولا مثلَ يربوعٍ على الجَهدِ بعدَما ... غُلبتَ وأصبحتَ الحمارَ المُعذَّبا
أترجونَ عُقبى ابنِ المراغة بعدما ... مددْتَ لهُ الأشطانَ حتى تذبذبا
وفرَّ وخَلَّى لي المدينةَ خاسئاً ... ذليلاً وعضَّتْهُ الكلابُ مُتَعَّبا
وقِستُمْ حماراً من كُليبٍ بسابقٍ ... جوادٍ جرى يومَ الرهانِ فعقَّبا

تُفرِّعُ يربوعاً كما ذُدتَ عنهمُ ... وذادَكَ عن أحسابِ تَيمٍ فأرهبا
فأقصرْتَ لما إنْ قصدتَ ولمْ تكنْ ... شغَبْتَ فقد لاقَيتَ في الجَورِ مَشْغَبا
فألقِ العصا وامسحْ سِبالَكَ إنّما ... شربْتَ ابنَ يربوعٍ مَنيّاً مقَشَّبا
غُلبتَ ابنَ شرّابِ المنيِّ ولمْ تجدْ ... لكمْ والداً إلاّ لئيماً مُغْلَبا
بحقِّ امرئٍ كانتْ غُدانةُ عزَّهُ ... وسُجحَةُ والأحمالُ أن يتصوَّبا
وجدْنا صُبَيراً أهلَ لؤمٍ ودِقّةٍ ... وعُودَ بني العجماءِ في اللؤمِ مَنْصبَا
ألستَ ابنَ يربوعيةٍ يسقطُ ابنُها ... منَ اللؤمِ في أيدي القوابلِ أشيبا
وكان لئيماً نُطفةً ثم مضغةً ... إلى أن تناهى خَلْقُهُ فتشعَّبا
لشرُّ الفحولِ المُرسَلاتِ رضيعُها ... أبى لأبيه اللؤمِ أن يَتجنَّبا
يَشِينُ حِجالَ البيتِ ريحُ ثيابِها ... وخبَّثَ خداها الملابَ المُطيَّبا
إذا ما رآها المُحتَلي من ثيابِها ... رأى ظِرباناً جِلدُهُ قد تَقوَّبا
وإنْ سفرَتْ أبدتْ على الناسِ سَوأةً ... بها وتُواري سَوأةً أن تَنَقَّبا
خبيثةُ ريحِ المِشفرَيْنِ كأنّما ... فسا ظَربانٌ فيهما أو تَثوَّبا
فرابَ ابنَ يربوعٍ مَشافرُ عِرسِهِ ... وما بينَ رِجلَيْها لهُ كانَ أرْيَبا
فجُنَّ جنوباً لا تَلُمْهُ فإنّهُ ... رأى سَوأةً من واسعِ الشدقِ أهْلَبا
رأى فرْجَ يربوعيةٍ غيرَ طاهرٍ ... إذا ما دنا منه الذبابُ تَقَرْطَبا
لها عُنْبُلٌ يُنْبي الثيابَ كأنّهُ ... قفا الديكِ أوفى عُرفُهُ ثمَّ طرَّبا

فهذا ليربوعٍ سِبابُ نسائِهمْ ... حَباهمْ بهذا شاعرٌ حينَ شَبَّبا

تغنَّيتُ بالفَرعَيْنِ من آلِ وائلٍ ... فعرَّقْتُ إذا خاطرْتُ بَكْراً وتَغلبا

وما كنتَ إذ خاطرْتَهمْ غيرَ فُرْعُلٍ ... أزَلَّ علاهُ الموجُ حتى تَغيَّبا

ولاقيتَ من فرسانِ بكرِ بن وائلٍ ... فوارسَ خيراً من أبيكَ وأطْيبا

وقال عمر بن لجإٍ يجيب جريراً:

أجَدَّ القلبُ هجراً واجتنابا ... لمنِ أمسى يواصلُنا خِلابا

ومن يدنو ليُعجبُنا وينأى ... فقدْ جمعَ التدلُّلَ والكِذابا

فكيفَ قتلْتِنا يا أمَّ بدرٍ ... ولا قتْلٌ عليكِ ولا حسابا

ألا تجزينَ من أثنى عليكمْ ... وأحسنَ حينَ قالَ وما استثَابا

تصدَّتْ بعدَ شيبِكَ أمُّ بدرٍ ... لتطردَ عنكَ حِلمَكَ حين ثابا

بجيدِ غزالِ مُقفرةٍ وماحَتْ ... بعُودِ أراكةٍ برداً عِذابا

كأنَّ سلافةً خُلطتْ بمسكٍ ... لتُعليها وكانَ لها قِطابا

ترى فيها إذا ما بيَّتَتْها ... سواري الزوجِ والْتثمَ الرُّضابا

ليغتبقَ الغِلالةَ من نداها ... صفا فُوها لمُغتبقٍ وطابا

يرُودُ ذُرى النسيمِ لها بشوقٍ ... أصابَ القلبَ فاطَّلعَ الحجابا

أسيلةَ مَقعدِ السِّمطَينِ منها ... وغرْثى حيثُ تعتقدُ الحِقابا

إذا مالتْ روادفُها بمَتنٍ ... كغصنِ البانِ افضطربَ اضطرابا

تهادى في الثيابِ كما تهادى ... حَبابُ الماءِ يتْبعُ الحَبابا

ترى الخَلخالَ والدُّملوجَ منها ... إذا ما أُكرِها نَشِبا وهابا

أبتْ إنْ كنتَ تأملُ أمَّ بدرٍ ... نوىً قذفٌ بها إلاّ اغترابا

فكيفَ طِلابُها وحلَلْتَ فلْجاً ... وحلّتْ رملَ دَومةَ فالجِنابا

إذا ما الشيءُ لم يُقدرْ عليهِ ... فلا ذكرى لذاكَ ولا طِلابا

ألا من مُبلغُ الشعراءِ أنّي ... خصَيتُ ابنَ المراغةِ حينَ شابا

إذا خُصيَ الحمارُ كبا وطاشَتْ ... قوائمُهُ وكانَ لهُ تَبابا

أحينَ رأيتَني صرمتَ شَذاتي ... وجَدَّ الجريُ وانتصبَ انتصابا
تعذّرْ من هجائي فرْطَ حَولٍ ... فقدْ ذهبَ العتابُ فلا عتابا
فأثبتْ لي سَوادَكَ لا تَضوَّرْ ... فقدْ لاقَيتَ من ضرَمي ذُبابا
وأبصرْ وَسْمَ قِدْحِكَ وابتَغيهِ ... لئيماً لا طِماحَ ولا اشتِعابا
أتفخرُ يا جريرُ وأنتَ عبدٌ ... من الرَّمكيّةِ اقتُضبَ اقتِضابا

فلا تفخرْ فإنّكَ من كُليبٍ ... وقاربْ إنْ وجدتَ لكَ اقترابا
فإنّكَ وانتِحالَكُمْ لِهاباً ... كذاتِ الشيبِ تنتحلُ الشبابا
وفيمَ ابنُ المراغةِ من لِهابٍ ... وفرسانِ الذينَ علَوا لِهابا
وإلاّ تفتخرْ ببني كُليبٍ ... فما كانوا الصريحَ ولا اللُّبابا
ولا أصلُ الكُليبِ لهُ أَرومٌ ... وجدتَ ولا فروعَهمُ رِطابا
وآيةُ ذاكَ أنَّ بني كُليبٍ ... بشرِّ قرارةٍ وُجدتْ شِعابا
ولمّا أنْ وزنتُ بني كُليبٍ ... فما وزنتْ مكارمُهمْ صُؤابا
فخرتَ بغيرِهمْ وفررتَ منهمْ ... وكنتَ مناضلاً كرِهَ النِّصابا
ترى للؤمِ فوقَ بني كُليبٍ ... سَرابيلاً وأقبيةً صِلابا
خوالدَ لا تراها الدهرَ تَبلى ... إذا الأيامُ أبلَيْنَ الثيابا
كسوتُهمُ عصائبَ باقياتٍ ... يشدّونَ الرؤوسَ بها اعتِصابا
فألأمُ أعينٍ لبني كُليبٍ ... إذا ولَّوا والأمُهُ رِقابا
فلستَ بواجدٍ لبني كُليبٍ ... كهولاً صالحينَ ولا شبابا
أبانَ اللهُ لؤمَ بني كُليبٍ ... فسوَّى بينَ أعيُنِهمْ كتابا
فإنْ زاغتْ بنِسبَتِها كُليبٌ ... أبانَ الخطُّ فانتسبَ انتسابا
زعمتَ ابنَ الأتانِ وأنتَ عبدٌ ... حقيقٌ أنْ تُعذَّبَ أو تُهابا
ولكنْ هي زواجرُ مُقْرِفاتٌ ... رعَيْنَ كِناسَهُ وزجرْنَ هابا
وردَّ عليكَ حكمكَ مُغْرِباتٌ ... سوابقُ ما استطعتَ لها جوابا

هُمُ آباؤهمْ منعوكَ قِدْماً وفكّوا من عشيرَتِكَ الرقابا

بنو السعدَيْنِ تغضبُ لي وتلقى غُدانةَ والحرامَ لكمْ غِضابا

وإنَّ الناصرينَ أعزُّ نصراً وأكرمُهُ إذا انتسبوا انتِسابا

بذي لجبٍ من الفرعَيْنِ سعدٍ ودُفّاعِ الرِّبابِ سما وثابا

لهمْ عيصٌ ألَفُّ لهُ فروعٌ سمتْ صُعُداً فجاوزَتِ السحابا

ونحنُ غداةَ تتبعُنا تميمٌ وردْنا بالمُعقَّبةِ الكُلابا

سموْنا للعلى حتى رفعْنا بتَيمٍ والمُعقبةِ العُقابا

وبالدَّجْنِيَّتَيْنِ لقيتَ ذُهلاً وعمروٌ جدَّعتْكَ على إرابا

فخرْتَ ابنَ الأتانِ بذاتِ كهفٍ وغيركَ أنزلَ الملكَ المُصابا

تُعيِّرُنا ابنَ ذاتِ القُنْبِ تَيماً ستعلمُ من يكونُ له غِضابا

فهلاّ قُنْبَ أمِّكَ كنتَ تحمي ولم تغضبْ لبيتٍ أنْ يُعابا

ألمْ تسألْ حراماً ما فعلْنا بسَجْحَةَ إذْ غزوتَ بها الرِّبابا

وجيشٌ حولَ سجحةَ من حرامٍ غزا فغزَتْ نَقيبَتُهُ وخابا

فلمّا إنْ لقوا منّا ليوثاً تُشبِّهُها المُعبّدةَ الجِرابا

علَوْناهمْ ببيضٍ مُرهَفاتٍ نَقُطُّ بها الجماجمَ والرِّقابا

قليلاً ثمَّ أسلمَهمْ رئيسٌ ترى في الجيدِ مَحْمَلَهُ سِخابا

إذا سجدتْ تُولّيهمْ هَريقاً كما نجلَ البياطرةُ الإهابا

طردْناهمْ من الأوداةِ حتى حملناهمْ على نَقوى حِدابا

نَكُرُّ الخيلَ عابسةً عليهمْ نُقحِّمُها بنا رُتَباً صِعابا

فذلكَ يومَ لم تمنعْ كُليبٌ عَواناً في البيوتِ ولا كِعابا

جززْنا يومَ ذلكَ من كُليبٍ نواصيَ لا نريدُ لها ثوابا

أسَجْحَةُ يا جريرُ لكمْ أحلَّتْ نكاحَ الميْتِ قد لقيَ الحسابا

فلا تابَ الإلهُ على جريرٍ إذا عبدٌ من السَّوآتِ تابا

تعانقُ أمَّ حَزْرَةَ وهْيَ نعشٌ تُكشِّفُ عن جنازَتِها الثيابا

تركْتُكَ حاقراً إنْ كنتَ تبكي على الأمواتِ تلتمسُ الضرِّابا
أنخْتُ بكلِّ مَبْركةٍ جريراً فشابَ ومثلَ مَبركَهِ أشابا
ينوحُ على حِدابِ أبو جريرٍ وعمروٌ جدَّعتْكَ على حِدابا
ولم تكُ لو قتلتَ أباكَ نَيْكاً لتمنعَ زُبْدَ أيسرَ أنْ يُذابا
فما شهدَ الكُليبُ غداةَ جمعٍ ولا فُقد الكُليب غداةَ غابا
وما كنتَ المُصيبَ غداةَ جانٍ بذي أنَفٍ فتدَّعيَ المُصابا
وألهَتْكَ الأتانُ فما شهدْتُمْ عتاقَ الخيلِ تستَلِبُ النِّهابا

وما شهدوا مُحيرةَ إذْ ملأنا فروجَ الأرضِ فرساناً وغابا
ولا نَقْلانهنَّ بذاتِ غِسْلٍ وبالعَيْكَيْنِ يَحوينَ النهابا
صبحْناهمْ كتائبَ مُعْلَماتٍ تَكُرُّ الطعنَ فيهمْ والضرِّابا
وما شهدَتْ نساءُ بني حريصٍ غداةَ جَدودَ فرساناً غضابا
سبقْنا بالعلى وبنو كُلَيْبٍ تُبادرُ منزلَ الركْبِ الغُرابا
إناؤكَ ميلَغٌ كلْبٌ فلستَ بغالبٍ أحداً سِبابا
ولكنْ منكَ من تركَ السَّبابا تُعارضُ بالمُلمّعةِ الرِّكابا
فوارسُ من بني جُشَمٍ بن بكرٍ همُ اغتصبوا بناتِكمُ اغتصابا
وفرسانُ الهُذَيلِ همُ استباحوا فُروجَ بناتِكمْ باباً فبابا
وقدْ كانتْ نساءُ بني كُلَيْبٍ لفَيْشَلَ من تَخلَّسَها عِيابا
إذا ابتلعَتْ مَناطقَها وطارتْ مَناطقُها إذا انتعلَتْ جِنابا
يفرُّ من الأذانِ أبو جريرٍ فإنْ نهقَ الحمارُ لهُ استجابا
يطاردُ أُتْنَهُ بذواتِ غِسْلٍ يُهيجُ وِداقُهُنَّ لهُ هِبابا
تولِّيهِ الأتانُ إذا علاها سنابكَ من حوافرها صِلابا
إذا قمصَتْ عضَضْتَ بكاذَتَيْها وإنْ رمحَتْ فإنّكَ لنْ تهابا
وفي كلِّ القبائلِ من كُلَيْبٍ كسرْنَ ثنيّةً وهتَمْنَ نابا

لعادَتِها التي كانتْ كُلَيْبٌ تُذيلُ بمثلِها الأُتنَ الصِّعابا

لعلّكَ يا بنَ ذاتِ النِّكثِ ترجو مُغالبَتي ولم ترِثِ الغِلابا

وأنتَ أذلُّ خلْقِ اللهِ نفساً وقومُكَ أكثرُ الثقَلَيْنِ عابا

فلولا النكْثُ تنسُجُهُ كُلَيْبٌ ألا تَبّاً لنِكْثِكمُ تَبابا

تعقَّبْتُ الكُلَيْبَ ورنَّحتْها ضواحي السبِّ تلتهبُ التهابا

بأعورَ من بني العَوراءِ نِكْثٌ رمى غرضَ النضالِ فما أصابا

دعا النزْوانَ يا جحشَيْ كُلَيْبٍ وذوقا إذْ قرَنْتُكُما الجِنابا

قرنتُكما بألوى مُستمرٍّ يعزُّ على مَعالجِهِ الجِذابا

إذا علِقَ المقارِنُ دقَّ منهُ من العنُقِ المُقدَّمِ أو أنابا

مِضَمٌّ يُلحقُ التالينَ ضمّاً ويَشْتَعِبُ المُعقّبَةَ اشتعابا

وقال عمر يردّ على جرير:

أآبَ الهمُّ إذْ نامَ الرُّقودُ وطالَ الليلُ وامتنعَ الهُجودُ

هوىً للعينِ بينَ صَفا أُضاخٍ وحَيثُ سما لواردة العَمودُ

ولو نلتُ الخلودَ ولا أراكُمْ بذاكَ الجزعِ لأمتنعَ الخلودُ

أراقبُ مِرْزَمَ الجوزاءِ حتى تَضمّنَهُ منَ الأفُقِ السجودُ

وعارَضَ بعد مسقطهِ سهيلٌ يلوحُ كأنهُ بدمٍ طريدُ

ودون مَزاركمْ لسُرى المطايا منَ الأعلامِ أشباهٌ وبيدُ

كأنَّ أُرومَها والآلُ طافٍ على أرجائها نبَطٌ قُعودُ

ومنْ هضْبِ القَليبِ مُقنّعاتٌ ومَذْعاءُ اللقيطةِ والكَؤودُ

بدَتْ فتبرَّجتْ لكَ أمُّ بدرٍ وكَيداً بالتبرُّجِ ما تَكيدُ

فلمّا إنْ لجِجْتُ نأتْ وصدَّتْ ومنهنَّ التباعدُ والصدودُ

فكيفَ قتلتِني يا أمَّ بدرٍ ولا قتْلٌ عليكِ ولا حدودُ

فما احتجَبَتْ فتؤنسُ أمُّ بدرٍ قلوبَ الطامعينَ وما تَجودُ

وطَرْفي إذْ رميْتُ بهِ كَليلٌ وطرفُكِ إذْ رميتِ بهِ حديدُ

وإنَّ العامريّةَ أمَّ بدرٍ لآنسةٌ مُباعدةٌ صَيُودُ
عوى لي الكلبُ كلبُ بني كُلَيْبٍ فأقْصدَهُ قُصاقِصةٌ ورودُ
أبو شِبلَيْنِ في أجَمٍ وغِيلٍ تنكَّبُ عن فرائسِهِ الأُسودُ
فإنّكَ قد قرعْتَ صَفاةَ قومٍ تَكسَّرَ عن مناكِبِها الحديدُ
وخيرٌ منكَ مأثُرةً ونفساً رمَيْناهُ فأقصدَهُ الوعيدُ
بفرسانِ الفرزدقِ عُذْتَ لمّا أتاكَ الوقْعُ واعتركَ الوعيدُ
أترجو أن تُوازِنَ مجدَ تَيمٍ رجاءٌ منكَ تأمُلُهُ بعيدُ
فأقْعِ كما وجدْتَ أباكَ أقْعى وضَيمٌ قدْ أحاطَ بهِ شديدُ
ألَمْ أترُكْكَ شرَّ الناسِ عبداً بيَثْربَ حينَ شاهدَتِ الوفودُ

فرَرْتَ منَ المدينةِ حينَ ثابَتْ رُواةُ الناسِ واستُمعَ النشيدُ
جدَعْتُكَ بالقصائدِ مُعْرَباتٍ وبالسوطَيْنِ أسلَحَكَ الوليدُ
وخلَّيْتَ استَ أمِّكَ والقوافي لها هَبْوٌ إذا ابتدؤوا تَعودُ
نكحْتُكَ باركاً وسُجنتَ حَولاً فأيَّ عذابِ ربِّكَ تستَزيدُ
لِنسوتِكَ اللئامِ الويلُ مما أفدْتَ لهنَّ أو ما تستفيدُ
أتفخرُ إنْ عددْتَ بني تميمٍ وذلكَ منكمُ نسَبٌ بعيدُ
ولكنْ أنتَ منْ أفناءِ بكرٍ نَذيلٌ حظُّكمْ نسبٌ قَعيدُ
وتُدعى للمَشورةِ آلُ تيمٍ ويربوعٌ وما تُدعى شُهودُ
ونأخذُ من ورائكَ ما أردْنا مُكاثرةً ونمنعُ ما نريدُ
رددْتُكَ بالرِّبابِ وآلِ سعدٍ وهمْ كسروا عصاكَ فما تذودُ
وهمْ لدُّوكَ ماءَ العبدِ حتى تفشَّى في مفاصلِكَ اللَّدودُ
ودقَّ عراكُهمْ حَوضَيْكَ فاصْدُرْ بآتُنِكَ العطاشِ وهنَّ صِيدُ
ولي يا بنَ المراغةِ من تميمٍ وجوهُ السابقاتِ ولي العديدُ
بأيّةِ قارِتَيْكَ تذودُ قومي غُدانةُ والحرامُ حصىً زهيدُ

وللسعدَيْنِ يا بنَ أبي جريرٍ فهلْ فيمنْ عددْتَ لهمْ نَديدُ
لعبدِ مَناةَ يا بنَ أبي جريرٍ عليكَ المجدُ والحسبُ التليدُ
لعلَّ غُدانةَ البَظْراءِ عِدْلٌ لهمْ وحرامُ سَجْحَةَ والزُّيُودُ
وأسْتاهُ الإماءِ بَني صُبَيْرٍ لهمْ نَوحٌ إذا مرضَ العتودُ
وأمّا الألأمونَ بنو كُلَيْبِ فأُجْرَوا في الرهانِ فلمْ يُجيدوا
وأعيى الكلبُ كلبُ بني كُلَيْبٍ فما يحمي الكلابَ وما يصيدُ
وما بغْيٌ يُحاذرُ من رياحٍ ولا جَدٌّ نما بهمِ سعيدُ
ولمْ تكنِ اللئامُ بنو حريصٍ إذا اكتُسبَ الخلائقُ تستَجيدُ
تبيَّنَ لؤمُ يربوعٍ ويبقى على الأجسادِ ما بقيَتْ جلودُ
فإنْ تخلَقْ ليربوعٍ ثيابٌ فإنَّ اللؤمَ فوقَهمُ جديدُ
فمنْ يشهدْ ليربوعٍ بمجدٍ فقدْ قامتْ بلَومِهمِ الشهودُ
وأنتَ لئيمُهمْ وهمْ لئامٌ كذاكَ الحقُّ خالفَ ما تريدُ
أأنْ ماتَتْ أُمامةُ بنتُ عمروٍ دلفْتَ لها إذا سكَنَ الوريدُ
أتيتَ إلى الجنازةِ أمرَ سَوءٍ يُحرِّمُهُ النصارى واليهودُ
نِكاحُ الميْتِ عندَ بَني حريصٍ لكلِّ عَمارةٍ وطنٌ وعِيدُ
فألامُ معشرٍ من أنتَ منهمْ وألامُ عادةٍ ما تستعيدُ
أنا ابنُ الذائدينَ غداةَ جئتُمْ بوِردٍ لا تمُرُّ بهِ السُّعودُ
تقودُكمُ سَجاحُ بغُدْفَتَيْها فأهلكْنا سَجاحٍ ومن تقودُ
عشيّةَ انتمُ عُشَرٌ تَصلّى بنارٍ لا يقومُ لها عمودُ
وأوقدْتُمْ شهابَكمُ فلمّا نضحْنا حرَّها طفِئَ الوقودُ
فليتَ جَدودَ تنطقُ روضَتاها فتُخبرُ عن طِعانكمُ جَدودُ
ولمّا إنْ لقيتَ بني لُجَيمٍ على جُرْدٍ رَحائلُها اللُّبودُ
ومن شَيبانَ يا بنَ أبي جريرٍ جنودٌ لا يقومُ لها جنودُ
ندَدْتُمْ والنساءُ لها جُؤارٌ ولا يحمي حقيقتَهُ النَّدودُ

أُخذْنَ غُدَيّةً وفزعْتَ عصراً ... فأيَّ أوانِهمْ لحِقَ العبيدُ
أتدعونَ الحرامَ لهمْ وأنتمْ ... بدأْتُمْ بالفِرارِ فلمْ تعودوا
وثوَّبَ بالحرامِ بنو كُلَيْبٍ ... قرودٌ يستغيثُ بهمْ قُرودُ
لقدْ حلَّ الحرامُ بذي أُراطى ... ودونَ الجيشِ فَروةُ والوحيدُ
تُظِلُّ بيوتَ يربوعٍ نساءٌ ... على السَّوآتِ مارِنَةُ الجلودِ
على طَلَحٍ وأُودَ نساءُ ... سَوءٍ تَضمَّنَ لؤمَها طلحٌ وأودُ
خُلُقْنَ نذالةً وولَدْنَ ذُلاً ... لئيماتِ المَعاطسِ والخدودِ

وقال عمر بن لجأ يرد على جرير:

طربْتَ وهاجَتْكَ الرسومُ الدوارسُ ... بحيثُ حبا للأبرقَيْنِ الأواعِسُ
فجانَبَ ذاتَ القُورِ من ذي سُوَيْقةٍ ... إلى شارعٍ جرَّتْ عليهِ الروامسُ
أرَبَّتْ بها هوجاءُ بعدَكَ رادَةٌ ... منَ الصيفِ تسْفي والغُيوثُ الرواجسُ

كأنَّ ديارَ الحيِّ من بعدِ أهلِها ... كتابٌ بنِقْسٍ زيَّنَتْهُ القَراطسُ
عفا ونأى عنها الجميعُ وقد تُرى ... كواعبُ أترابٌ بها وعوانسُ
يقُدْنَ بأسبابِ الصَّبابةِ والهوى ... رجالاً وهنَّ الصالحاتُ الشوامسُ
فهلْ أنتَ بعدَ الصُّرْمِ منْ أمِّ بَهْدَلٍ ... منَ الموئسِ النائي المودّةِ آيسُ
يُبَدِّلْنَ بعدَ الحلمِ جهلاً ذوي النُّهى ... ويصبو إليهنَّ الغويُّ المؤانسُ
تَبَيَّتُ بالدَّهناءِ والدوِّ أنّهُ ... هوَ البَينُ منها أثْبَتَتْهُ الكوادِسُ
فأسمحَتْ إسماحاً وللصُّرمِ راحةٌ ... إذا الشكُّ ردَّتْهُ الظنونُ الكوابسُ
وما وَصلُها إلاّ كشيءٍ رُزيتَهُ ... إذا اختلستْهُ من يدَيكَ الخوالسُ
تركتُ جريراً ما يُغيِّرُ سَوأةً ... ولا تتوقّاهُ الأكُفُّ اللوامسُ
رأسْتُ جريراً بالتي لم يَحلُّها ... بنقضٍ ولا يُنضيكَ إلاّ الروابسُ
أبالخَطَفى وابنَيْ مُعيدٍ ومُعرِضٍ ... ولَوسِ الخُصى يا بنَ الأتانِ تُقايسُ
جَعاسِيسُ أنذالٌ رُذولٌ كأنّما ... قضاهُمْ جريرُ بنُ المراغةِ واكِسُ

وجَدَّعَهُ آباءُ لؤمٍ تقابَلوا به وافتلَتْهُ الأمّهاتُ الخسائسُ

جرَيْتَ ليربوعٍ بشؤمٍ كما جرى إلى غابةٍ قادَتْ إلى الموتِ داحِسُ

وتحبِسُ يربوعٌ عنِ الجارِ نفعَها وليسَ ليربوعٍ من الشرِّ حابسُ

همُ شَقْوةُ الغريبِ قِدماً فلا بنى بساحَتِهِمْ إلاّ سَروقٌ وبائسُ

ومنزلُ يربوعٍ إذا الضيفُ آبَهُ سواءٌ عليهِ والقِفارُ الأمالسُ

فبئسَ صريخُ المُرْدفاتِ عشيّةً وبئسَ مُناخُ الضيفِ والماءُ جامِسُ

تُمسِّحُ يربوعاً سِبالاً لئيمةً بها من منيِّ العبدِ رطبٌ ويابسُ

عَصيمٌ بها لا يرضخُ الموتُ عارَهُ ولو درَجَتْ فوقَ القبورِ الروامسُ

إذا ما ابنُ يربوعٍ أتاكَ مُخالساً على مأكلٍ إنَّ الأكيلَ مُخالسُ

فقلْ لابنِ يربوعٍ ألستَ بداحضٍ سِبالَكَ عنّي إنهُنَّ مَناحسُ

فجِبتُ لما لاقتْ رياحٌ من الشَّقا وما اقتبَسوا منّي وللشرِّ قابسُ

غضاباً لكلبٍ من كُلَيْبٍ فرَسْتُهُ عوى ولشدّاتِ الأسودِ فرائسُ

فذوقوا كما لاقَتْ كُلَيْبٌ فإنّما تَعِستَ وأردَتْكَ الجدودُ النواعسُ

فما ألبسَ اللهُ امرءاً فوقَ جِلدِهِ من اللؤمِ إلاّ ما الرِّياحي لابسُ

عليهمْ ثيابُ اللؤمِ ما يُخلِقُونَها سرابيلُ في أعناقِهِمْ وبَرانسُ

فخَرْتُمْ بيومِ المُرْدَفاتِ وأنتمُ عشيّةَ يُسْتَرْدَفْنَ بئسَ الفوارسُ

كأنَّ على ما تجتَلي من وجوهِها عَنِيّةَ قارٍ جلَّلَتْها المَعاطسُ

ولاقَيْنَ بؤساً من رِدافِ كتيبةٍ وقَبلَ رِدافِ الجيشِ هنَّ البوائسُ

ومنّا الذي نجّى بدجلةَ جارَهُ حِفاظاً ونجَّتْهُ القُرومُ الضَّوارسُ

ونحنُ قتلْنا مَعقِلاً وابنَ مُرْسَلٍ بمُرهفَةٍ تُعلى بهنَّ القَوانسُ

وعَمْراً أخا دُودانَ نالَتْ رماحُنا فأصبحَ منّا جَمعُهُ وهْوَ بائسُ

ونحنُ منعْنا بالكُلابِ نساءَكمْ وقُمنا بثَغرِ الجوفِ إذْ أنتَ حالسُ

وضَبَّةُ لدَّتْكَ المنيَّ فأنجزَتْ لكَ الغيظَ يومَ الأحوَزِينَ مُقاعسُ

وقال عمر بن لجأ يرد على جرير:

ما بالُ عينِكَ لا تريدُ رقودا ... منْ بعدِما هجعَ العيونُ هُجودا
ترعى النجومَ كأنّها مطروفةٌ ... حتى رأيتَ منَ الصباحِ عَمودا
والليلُ يطردُهُ النهارُ ولا أرى ... كالليلِ يطرُدهُ النهارُ طَريدا
وتراهُ مثلَ الليلِ مالَ رِواقُهُ ... هتَكَ المُقوِّضُ كِسْرَهُ المَمدودا
فاشتَقْتُ بعدَ ثُواءِ ستّةِ أشهرٍ ... والشوقُ قد يدعُ الفؤادَ عَميدا
فارتَعْتُ للظُّعُنِ التي بمُبايضٍ ... بكَرَتْ تُنَشِّرُ كلّةً وبُجودا
حتى احتملْنَ وقد تقدّمَ سارحٌ ... للحيِّ سارَ أمامَهنَّ بَريدا
غُرُّ المحاجرِ قد لبسْنَ مَجاسداً ... بينَ الحُمولِ تجرُّها وبُرودا

وسرا بهنَّ هِبابُ كلِّ مُخَيِّسٍ ... صُلْبِ المَلاغمِ يُحْسِنُ التَّرفيدا
مُتساندٍ نَفْجٍ يرُدُّ زمامَهُ ... غرباً يرُدُّ شِراعَهُ الممدودا
وتكادُ زُفرَتُهُ لحينِ قيامِه ... بالحَملِ يقطعُ نِسْعَهُ المَعمودا
يا صاحبَيَّ قِفا نُحييّ منزلاً ... قدْ كادَ داثرُ رسمِهِ ليَبيدا
درَجَ الحصى بأصولِه فتنكَّرتْ ... بينَ البوارحِ طارداً مَطرودا
ومضى بيومٍ بعدَ ذلكَ ليلةٌ ... إنَّ الليالي لا يدعْنَ جديدا
ولقدْ عهدْتُ كلامها مُتبيِّناً ... والدَّلَّ معتدلَ الدلالِ خَريدا
وإذا مشتْ فوقَ البلاطِ حسبْتَها ... نهضَتْ تريدُ من الكثيبِ صُعودا
وترى حقائبَها العِراضَ وثيرةً ... كُوماً وسائرَ خلْقِها أُمْلودا
وتُبيحُ مِسواكَ الآراكِ بكفِّها ... برَداً تُلَثِّمُهُ الضَّجيعَ بَرُودا
أشبهتِ منْ أمِّ الغزالِ بُغامَها ... ومنَ الغزالِ إذا تأوَّدَ جِيدا
ومنَ المهاةِ المقلتَيْنِ إذا غدَتْ ... وترُودُ في الضَّفْرِ الصِّغارِ سُبودا
كفريدةِ المَرجانِ حالَ بخُرْتها ... قلقٌ وأتبعَهُ النظامُ فريدا
أجريرُ إنّكَ قد ركبْتَ مُقارَعاً ... تبغي النشيدَ فقدْ لقيتَ نشيدا
وغوَيتَ تنتَجعُ الكرامَ وسبَّهمْ ... حتى اصْطَلَيْتَ من العذابِ وقودا

ووجدْتَ حربَهمُ كما بيَّنتَها ناراً تسعَّرُ جنْدلاً وحديدا

يا بنَ الأتانِ بدأتَ اولّ مرّةٍ وغُلبتَ إذْ نقضَ القَصيدُ قَصيدا

وكسرْتُ عُودَكَ واقْتشرْتُ لِحاءَهُ حتى تركتُكَ تارزاً مَفْؤودا

يا بنَ المَراغةِ أنتَ ألأمُ من مشى حسَباً وأخورُ من تكلّمَ عُودا

وإذا انتسبْتَ وجدْتَ لُؤمَكَ حاضراً والمجدُ منكَ إذا نُسبتَ بعيدا

كلُّ الحديثِ يَبيدُ إلاّ لؤمُكمْ يا بنَ المراغةِ لا يزالُ جديدا

أورَدْتَ يربوعاً ولمْ تُصْدرْهُمُ يا بنَ الأتانِ فحوَّلوكَ مُقيَّدا

ونخَسْتَ يربوعاً ليدركَ سَعْيَنا يا بنَ الأتانِ فبَلَّدوا تبليدا

وجلودُ يربوعٍ تُرى مصبوغةً باللؤمِ ما اكتسَتِ العِظامُ جلودا

إنَّ الأراقمَ واللهازمَ معشرٌ تركوا لسانَكَ بينهمْ مَعقودا

بسباءِ نسوتِكمْ وقتْلِ رجالِكمْ فاسألْ إرابَ تُنَبِّكُمْ وجَدُودا

سُبي النساءُ على إرابَ وكنتمُ بإرابَ إذ تُسبى النساءُ شُهودا

وسلَلْتَ سيفَكَ خالياً وتركتَهُ خزْيانَ عندَ ديارِهمْ مَعمودا

يا بنَ المراغةِ لم تجدْ لكَ مَفخراً حتى انتجَعْتَ عُطارداً ولَبيدا

يا بنَ الأتانِ أبوكَ ألأمُ والدٍ والفحلُ يفضحُ لؤمُهُ المَولودا

يا بنَ المراغةِ إنَّ حملَ نسائِكمْ ماءٌ يُفصِّلُ آمياً وعبيدا

علِقَتْ بهِ أرحامُ يربوعيةٍ نكحَتْ أزلَّ من الفحولِ عَتُودا

غذَوِيَّةٌ رَضْعاءُ لم تكُ أمُّها من قبلِ ذلكَ للكرامِ ولودا

قذفَتْ بعبدِ العرقِ جاءَ من استها ورثَ المذمّةَ والسَّفالَ جُدودا

خرَقَ المشيمةَ لؤمُهُ في بطنِها واللؤمُ قنَّعَهُ المَشيبُ وليدا

فإذا تروَّحَ للشبابِ تَمامُهُ فرطاً تروَّحَ لؤمُهُ ليَزيدا

حتى تَقرَّعَهُ المشيبُ مُغمَّراً كالكلبِ لا سعداً ولا مَحسودا

يا بنَ الأتانِ كذبتَ إنَّ فوارسي تحمي الذِّمارَ وتقتلُ الصِّنْديدا

اللابِسينَ إذا الكتيبةُ أقبلَتْ حلَقاً يسيرُ قَتيرُهُ مَسرودا

وكتيبةٍ يغشى الذِّيادَ نزالُها حَصْداً يقُدُّ وللطعانِ ورُودا
شهباءَ عاديَةً ضربْنا كبشَها فكبا الرئيسُ ولا يريدُ سُجودا
ومجالِ معركةٍ غنمْنا مجدَها لقيَ الأُسودُ بها الغِضابُ أُسودا
والجيشُ يومَ لِوى جَدُودَ دقَقْتُهُ دقَّ المقرِّبَةِ القِطافِ حَصيدا
لا ثغرَ أمنَعُ من بليّةَ مَورداً وقعَتْ فوارسُنا بهِ لتذودا

يا بنَ المراغةِ إنَّ شدّةَ خَيلِنا تركَتْ غُدانةَ والكُلَيْبُ فَنيدا
أيامَ سَجْحةَ يا جريرُ يقودُكمْ ألئِمْ بذلكَ قائداً ومَقُودا
ومجالَهُنَّ بذي المجاعةِ لم يدعْ من حضرَمَوتَ ولا الحِماسَ شَريدا
يومَ الخُزَيْمِ غداةَ كُبِّلَ بعدَما شَذُّوا مَواثقَ عندَنا وعهودا
ودفعْنَ عاديَةَ الهُذيلِ فلمْ يُرِدْ جيشٌ لتَغلبَ بعدَها ليعودا
يا بنَ المراغةِ قد هجَوتَ مَجالساً وفوارساً يا بنَ المراغة صيدا
سبقوا كُلَيْباً بالمكارمِ والعُلى فوقَ النمارقِ مُحْتَبِينَ قعودا
أتَرُومُ من بلغَ السماءَ بناءَهُ قد رُمتَ مُطَّلَعاً عليكَ شديدا

وقال عمر بن لجإٍ:

أمِنْ دِمنةٍ بالماتحِيِّ عرفْتَها طويلاً بجَنبِ الماتحيِّ سُكونُها
عصى الدمعُ منكَ الصبرَ فاحْتَثَّ عَبْرَةً منَ العينِ إذْ فاضَتْ عليكَ جفونُها
محاها البِلى للحَولِ حتى تنكَّرَتْ كأنَّ عليها رَقَّ نِقْسٍ يَزينُها
كِتابَ يدٍ من حاذقٍ مُتَنَطِّسٍ بمَسْطُورةٍ منهنَّ دالٌ وسينُها
فما أنصفَتْكَ النفسُ إنْ هيَ عُلِّقَتْ بكلِّ نوىً باتَتْ سواكَ شَطُونَها
لها شجَنٌ ما قدْ أتى اليأسُ دونَهُ منَ الحاجِ والأهواءِ جَمٌّ شجونُها
أتى البخلُ دونَ الجودِ منْ أمِّ واصلٍ وما أحصَنَ الأسرارَ إلاّ أمينُها
وما خُنتُها إنَّ الخيانةَ كاسْمِها وما نصحَتْ نفسٌ لنفسٍ تخونُها
مددْتَ حبالاً منكَ حتى تقطَّعتْ إليَّ وما خانَ الحبالَ متينُها

ألا تلكَ يربوعٌ تَنُوخُ كهولُها على ابنِ وِثيلٍ حينَ أعيا هَجينُها
وما زلتَ مُغترّاً تظنُّكَ مُنْساً مُعاقبتي حتى أتاكَ يقينُها
يسيرُ بها الركْبُ العِجالُ إذا سرَوا على كلِّ مِدلاجٍ يَجولُ وضينُها
بتيهٍ تَحُوطُ الشمسَ عنها مَخُوفةٍ رواعي الحِمى من سُرَّةِ القفْرِ عِينُها
أهنْتُ جريرَ ابنَ الأتانِ وقومَهُ وأحسابُها يومَ الحفاظِ تُهينُها
لعَمرُكَ ما تدري كُلَيْبٌ منَ العمى على أيِّ أديانِ البريّةِ دينُها
سبلُغُ يربوعاً على نأيِ دارِها عوارمُ منّي سبَّبَتْها شجونُها
تَشينُكَ يربوعٌ إذا ما ذكرْتَها وأنتَ إذا ما ذُدتَ عنها تَشينُها
فألأمُ أحياءِ البريّةِ حَيُّها وأخبثُ من تحتِ الترابِ دَفينُها
وكلَّ امرئٍ من طينِ آدمَ طينُهُ ويربوعُكمْ من أخبثِ الطينِ طينُها
ووَرقاءَ يربوعيةٍ شرُّ والدٍ غَذاها لئيمٌ فحلُها وجَنينُها
خبيثةُ ما تحتَ الثيابِ كأنّها جِفارٌ من الجَفرَيْنِ طالَ أُجونُها
إذا ذكرَتْ أعتادَها حنظليّةٌ تَرمْرَمَ قُنْباها فجُنَّ جنونُها
ومَيْثاءَ يربوعيةٍ تنطُفُ استُها إذا طحنَتْ حتى يسيلَ طحينُها
تنالُ الرَّحى من أسْكَتَيْها وبَظرِها قِطابٌ إذا الهادي نَحْتُهُ يَمينُها
ووُلِّهَ من سبْيِ الهُذَيلِ نساؤكُمْ فلمْ يُدركوها حينَ طالَ حَنينُها
وآخرُ عهدٍ منهمُ بنسائهمْ وقدْ عُقِدَتْ بالمؤخَراتِ قرونُها
مُردَّفةٌ تدعوكمُ وشِمالُها بخِلْفٍ وفي إثْرِ الهُذَيلِ يمينُها
فلوْ غِرتُمُ يومَ الحرائرِ لمْ تَرُحْ معَ القومِ أبكارُ النساءِ وعُونُها
ترى بينَ عينَيْها كتاباً مُبيَّناً منَ اللؤمِ أخزاها أبوها ودينُها
وأخزى بني اليربوعِ إنَّ نساءَهمْ مقرّاتُ أوشالٍ لئامٌ مَعينُها
إذا أمرَعَتْ أخزَتْ رياحاً فُروجُها وإنْ أجدبَتْ أخزَتْ رياحاً بطونُها
نصونُ حِمى أحسابِ تَيمٍ حَياؤُها وأحسابُ يربوعٍ سُدىً ما تَصونُها
وإنْ نُسِبتْ تَيمٌ أضاءَ طِعانُها وجوهُ القوافي فاستمرَّتْ مُتونُها

فنحنُ بنو الفرسانِ يومَ تناولَتْ ... رياحاً وفرَّتْ عاصمٌ وعَرينُها
وأبناءُ فرسانِ الكُلابِ وأنتمُ ... بنو مُردَفاتٍ ما تجِفُّ عيونُها

فأبلِغْ رياحاً هذه يا بنَ مُرسَلٍ ... مُرَنَّحةً إنّي لها سأهينُها
أظنَّتْ رياحٌ أنّني لنْ أسُبَّها ... لقدْ كذَبَتْها حينَ ظنَّتْ ظنونُها

وقال عمر بن لجإٍ لجَرير:

لعلَّكَ ناهيكَ الهوى أنْ تَجلَّدا ... وتاركَ أخلاقٍ بها عشتَ أمْردا
أفالآنَ بعدَ الشيبِ يَقتادُكَ الهوى ... إلى الأمرِ لا ترضى مغبَّتَهُ غدا
طرِبْتَ فلوْ طاوعتَ إذْ أنتَ واقفٌ ... بأسفلِ ذي خيمٍ هواكَ لأصعدا
أُتيحَ الهوى منْ أهلِ غَولٍ وثَهْمَدٍ ... كذاكَ يُتاحُ الوُدَّ من قدْ تودَّدا
فلوْ أنَّ أياماً بغَولٍ وثَهمد ... رجعْنَ رضيناهُنَّ إنْ كنَّ عُوَّدا
سقى ثَهمداً من يرسلُ الغيثَ واللِّوى ... فروًّى وأعلاماً يُقابلْنَ ثَهمدا
بما نزلَتْ من ثَهمدٍ بينَ بُرقةٍ ... سُعادُ وطَودٍ يسبقُ الطيرَ أقْودا
إذا هيَ حلَّتْ بالسِّتّارِ وقابلَتْ ... من النِّيرِ أعلاماً جميعاً وفُرَّدا
وأهلُكَ بالمَطْلى إلى حيثُ أنبَتَتْ ... رياضٌ من الصِّمّانِ سِدراً وغَرقدا
تقطَّعَ منها الودُّ إلاّ بقيّةً ... وجارَ الهوى عما تريدُ فأبْعَدا
فأصبحَ هذا النأيُ شيئاً كرهْتُهُ ... عسى أن يرى ما تكرهُ النفسُ أرْشَدا
فلمْ ترَ منّي غيرَ أشعثَ شاحبٍ ... مُضمَّنَ أحسابٍ فأنشدا
ولمْ أرَ منها غيرَ مَقعَدِ ساعةٍ ... بهِ اختلَبَتْ قلبي فيا لكَ مَقعدا
وسنَّتْ عليهِ مُجْسَداً فوقَ يُمنَةٍ ... عِتاقٍ ولاثَتْ فوقَ ذلك مُجْسَدا
على مَرْسَنٍ منها أغرَّ كأنَّهُ ... سنا البرقِ لاقى ليلةَ البدرِ أسعُدا
إذا ارتادَتِ العينانِ فيها رأيتَهُ ... أنيقاً لطَرفِ العينِ حتى تزوَّدا
لها لَبَّةٌ يجري مجالُ وشاحِها ... على مُستوٍ من ناصعٍ غيرَ أكبَدا
وكَشْحٍ كطَيِّ السابِريِّ حبَتْ لهُ ... روادفُ منها وعَثَّةٌ فتَخضَّدا

كأنَّ نقاً من عالجٍ أُدجِنَتْ بهِ ... سَوارٍ نضحْنَ الرملَ حتى تلبَّدا
تَلُوثُ بهِ منها النطاقَيْنِ بعدَما ... أمرَّتْ ذَنُوبي متْنَها فتأوَّدا
ولاقَتْ نعيماً سامِقاً فسما بها ... سموَّ شبابٍ يملأُ العينَ أمْلدا
كما سمقَتْ بَرْدِيّةٌ وسْطَ حائرٍ ... منَ الماءِ تغدوهُ غذاءً مُسَرْهَدا
مُنعمةٌ لم تلقَ بؤساً ولم تسُقْ ... حمارَ كُلَيْبيٍّ أقلَّ وأجحدا
عجبْتُ ليربوعٍ وتقديمُ سَوأةٍ ... منَ الخطَفى كانَ اللئيمَ فأنفذا
فلوْ أنَّ يربوعاً على الخيلِ خاطَروا ... ولكنّما أجْرَوا حماراً مُقيَّدا
وقالوا جريرٌ سوفَ يحمي ذِمارَنا ... كذبْتُمْ ولكنّي بهِ كنتُ أنْقدا
فما اعترفَتْ من سابقٍ يومَ حَلْبَةٍ ... كُلَيْبٌ ولا وافَوا معَ الناسِ مَشهدا
فضجَّ ابنُ أختاتِ استِها إذْ قرنْتُهُ ... بمَتنِ القُوى منّي أمرَّ وأحْصدا
وإنّكَ لو جارَيْتَ بحراً مُقارِباً ... ولكنّما جاريْتَ بحراً تَغمَّدا
لهُ حدَبٌ غمْرٌ عَلاكَ بزاخرٍ ... وألفاكَ مُجتافاً غُثاءً مُنضَّدا
خصَيتُ جريراً بعدَ ما شابَ رأسُهُ ... وكسَّرَ نابيَّهِ الذكاءُ وعرَّدا
لنِحْيا جريرِ اللؤمِ فوقَ حمارِهِ ... عليهِ وريقا أمِّهِ كانَ أعودا
وأهونُ من عَضْبِ اللسانِ بنَتْ لهُ ... أُسودٌ وساداتٌ بناءً مُشيَّدا
نزَتْ بكَ جهلاً من أتانَيْكَ درّةٌ ... فثَوَّرْتَ غَيّاظَ العدوِّ مُحسَّدا
أتفخرُ بالعَلْهانِ برْذَوْنِ عاصمٍ ... وسيَّبْتَ جدَّيْكَ المعيدَ وفَرْهدا
إلى الخطَفى عمداً فررْتَ ولم تجدٍ ... بني الخطَفى إلاّ إماءً وأعبُدا
وما استردفَتْ خيلُ الهُذَيلِ نساءَنا ... ولا قُمنَ في صفٍّ لسجْحةَ سُجّدا
ولكنْ منعناهُنَّ من الشِّرْكِ بالقَنا ... وفي السِّلْمِ صدَّقْنا النبيَّ مُحمّدا
إذا فزِعتْ نسوانُهنَّ أتينَهُمْ ... مكاثاً يُزَرِّدْنَ الدِّخالَ المسرَّدا
أوامِنَ أنْ يُردفْنَ خلفَ عصابةٍ ... سوانا إذا ما صارخُ الرَّوعِ ندَّدا

نغارُ عليها غَيرةً مُضَريّةً ... إذا ما انتضَيْنا المَشْرَفيَّ المهنّدا

نذودُ بهنَّ الوِردَ ما استمسكَتْ بهِ قوائمُها يذْرِينَ هاماً وأسعُدا

فلا تَغزُنا آلُ الرِّبابِ كتيبةً مَعَدِّيَّةً أو غيرَ منْ قدْ تمَعْددا

لهمْ رائسٌ إلاّ قتَلْنا رئيسَهمْ فمنْ شاءَ عدَّدْنا الفَعالَ وعدَّدا

ونحنُ قتلنا يومَ قِنعِ هُبالةٍ شَمَيْطاً وحسانَ الرئيسَ ومُرشِدا

ونحنُ أخذْنا من بني أسدٍ معاً بوشمِ القرى قَسْراً سُوَيْداً ومَعْبدا

ونحنُ قتلْنا مَعقِلاً إذْ تداركَتْ بهِ الخيلُ إذْ هابَ الجبانُ وعرَّدا

ونحنُ قرَنَّا مالكاً وهْوَ جارُكمْ بذي كلَعٍ فينا أسيراً مُقيَّدا

ونحنُ حسرْنا يومَ سَخبانَ بالتي أطاعَ بها الناسُ الرئيسَ المُسَوَّدا

وعبدَ يغوثَ الهيرِ يومَ مُجيزةٍ تركْناهُ يكبو في قَناً قد تقصَّدا

وغادرَ حسانَ بن عوفٍ طِعانُنا صريعاً على خدِّ الشمالِ مُوسَّدا

وعوفَ بنَ نعمانٍ أخذْناهُ عَنوةً وكنّا نفُضُّ الجندَ ممنْ تَجنَّدا

ومن قبلُ أوثَقْنا ابنَ خَضْرانَ عنوةً عَديّاً وطردْنا ابنَ حسانَ بُرجُدا

ونحنُ ضربْنا جيشَ سعدِ بنِ مالكٍ بلُبنانَ والأعراضِ حتى تبدَّدا

ومنْ قبلُ إذْ نالَتْ يزيدَ رماحُنا مَنَنّا عليهِ بعدَ إيثاقهِ يدا

وما عرضَتْ من طيّئٍ عن أسيرنا حُصَيْنٍ ثواباً كان ذِكراً ولا جَدا

مننّا عليهِ منّةً لمْ يكنْ لها ثوابٌ سوى ذِكرٍ يكونُ غدا غَدا

وقدْ أسلحتْ فرسانُ تَيمٍ ذوي النُّهى أبا نهْشَلٍ والدارِميَّ الضَّفَنْدَدا

وسلْمَةُ إذْ دارَتْ بنا الحربُ دَورةً كسونْا قفاهُ المَشرفيَّ المهنَّدا

ونحنُ قتلْنا من رياحٍ بمَوحَدٍ قتيلاً أفَتْنا نفسَهُ حينَ حدَّدا

ونحنُ هزمْنا بالمَنيحَيْنِ جمعَكمْ وكانَ لكمْ يومُ المنيحَيْنِ أنْكدا

قتلْناكمُ منْ بعدِ أسرِ أصابَكمْ فساءَكمُ القتلُ الأسيرَ المُصفَّدا

فأوزَعَنا الإسلامُ بالسِّلمِ بعدَما قتلْنا ملوكَ الناسِ مَثنى وموحَدا

ولم يُخزِ حَوضي ما جبَتْ لي رماحُهمْ ولكنْ لقُوّادِ الكتائبِ صيُيَّدا

فإنْ تكُ أرضَتْني الرِّبابُ بما بنَوا فقدْ وجدوا عنهمْ لسانيَ مِذْوَدا

فخَرْتُ بحقٍّ وافتخرْتَ بباطلٍ وزُورٍ فلمْ يجعلْ لكَ اللهُ مَصْعَدا
فخرْتَ بسعدٍ كالذي حنَّ والِهاً إلى القمرِ العالي إذا ما توقَّدا
تحِنُّ إلى بدرِ السماءِ ودونَهُ نَفانِفُ تُنْبي الطرْفَ أنْ يَتصعَّدا
فما من بني اليربوعِ قيسُ بنُ عاصمٍ ولا فَدَكِيٌّ يا جريرُ بنُ أعبُدا
ولا آلُ جَزْءٍ يا جريرُ ولا الذي سما بجنودِ البأسِ أيامَ صَيْهَدا
ولا اللُّبَدُ اللاتي بسطْنَ مُقاعساً إذا زأرَتْ في غَيْطَلٍ قد تَلَبَّدا
ولا الغُرُّ من آلِ الأجاربِ أصبحوا لمن نصروا رُكناً عزيزاً مؤيَّدا
ولا الزِّبْرِقانُ ابنُ العرانينِ والذُّرى ولا آلُ شَمّاسٍ ولا آلُ أسعدا
ولا منْ بني اليربوعِ غُرٌّ حبَتْ بهمْ بحورٌ من الآفاقِ مجداً وسوددا
ولكنّما سعدٌ عَلاكَ عُبابُها وقبلَكَ ما غَمُّوا أباكَ فبلَّدا
فتلكَ الذُّرى لا قاصِعٌ ومُنفِّقٌ إذا اتَّلَجَ اليربوعُ فيهنَّ أُفرِدا
إلى الغرِّ منها إنْ دعوْتُ أجابَني خَناذيذُ في رأسٍ من الغرِّ أصْيَدا
فدعْ ناصِري لا ذنبَ لي إنْ علوْتُكمْ وكنتُ كمنْ يرجو الرياحَ فأكسدا
ولمّا عددْنا كلَّ بؤسى وأنعُمٍ وجَدَّ الرهانُ الحقُّ حتى تخدَّدا
وجدتُ المُصفَّى من تميمٍ سِواكمُ ولؤمَ بني يربوعَ شيئاً مُخلَّدا
فلوْ غيرَ يربوعٍ أبوكمْ صلَحْتُمُ ولكنَّ يربوعاً أبوكمْ فأفسَدا
ولكنَّ يربوعاً سَقيطٌ إذا دعَتْ غُدانَةُ أسْتاهَ الإماءِ مُقلِّدا

وعمروُ بنُ يربوعٍ قرودٌ أذلّةٌ يسوقونَ مبتوراً من العزِّ مُقْعَدا
أتتْكَ صُبَيْرٌ والحرامُ بنصرِها وذلكَ أمسى نصرُهمْ أنْ يُحشَّدا
وإنْ تُعجَمِ العجماءُ يوجدْ نحاسُها لئيماً ولا تلقى الإهابَيْنِ أحمدا
وما درَنُ الأسْتاهِ رهْطُ ابنِ مُرسَلٍ بكُفْءِ كرامِ الناسِ قِنّاً مُولَّدا
فإنْ همّتِ الهمّامُ يوماً بسَوأةٍ هَداها لهُ إبليسُ حتى تورَّدا
تكنْ ذو طلوحٍ من عَرينٍ ولؤمُهمْ إذا ما غدَوا بالقُفِّ للشاءِ رُوَّدا

يُضافُ ابنُ يربوعٍ وما يُحْسِنُ القِرى ... إذا ما رياحُ الشامِ أمسَيْنَ بُرَّدا
هجَوْتَ عُبَيداً عن قضىً وهْوَ صادقٌ ... ومن قبلِهِ غارَ القضاءُ وأنْجدا
فتلكَ بنو اليربوعِ إنْ كنتَ سائلاً ... فيا شرَّ يربوعٍ طِعاناً ومَرقدا
كذبْتَ عُبَيدٌ سامَكَ الضيمَ صاغراً ... فلمْ ترَ إلاّ أن تقرَّ وتقعُدا
أقلتُمْ لهُ بعدَ التي ليسَ مثلَها ... بها رقَّ أفواهُ النساءِ وجَرَّدا
ومنْ قبلُ إذْ حاطَتْ جَنابُ حِماكُمُ ... وأصدرَ داعِيكمْ بفَلْجٍ وأوْردا
همُ استلَبوا منكمْ إزاراً ظُلامةً ... فلمْ تَبسُطوا فيها لساناً ولا يدا
وهمْ منعوا يومَ الصُّلَيْعاءِ سَرْبَهُمْ ... بطَعنٍ ترى منهُ النوافذَ عُنَّدا
وبالوَقَبى عُذْتُمْ بأسيافِ مازنٍ ... غداةَ كسَوا شَيبانَ عَضْباً مُهنّدا
فلولا حُمَيّا آلِ عمروٍ لكنتُمُ ... بأسفلِ مَوسوجٍ نَعاماً مُشرَّدا
فخَرْتُمْ بقتلِ المانحينَ وغيرُكمُ ... بَني شرِّ يربوعٍ بهِ كانَ أسعدا
ألستَ ليربوعيةٍ تلزمُ استَها ... إذا شربَتْ صاعَ المنيَّ المُصعَّدا
كما أرزمَتْ خَوّارقُحينَ باشرَتْ ... مَناخرُها بوَّ الحمارِ المُجلَّدا
يفرُّ من السِّترَيْنِ زوجُ عروسِهمْ ... فراراً إذا ما الفَسْوُ منها تَردَّدا
ترى البظرَ منها مُرْمَعِلاً كأنّهُ ... لسانٌ بدا من ذي حِفافَيْنِ أنْجدا
هَريتاً كجَفْرٍ من عَمايةَ آجنٍ ... صَراهُ أثارَتْهُ الأكفُّ فأزبَدا
إذا أرزمَتْ أسْتاهُهُنَّ تَهيَّجَتْ ... أعاصيرُ يرفعْنَ الغبارَ المُعضَّدا

وقال عمر بن لجإٍ أيضاً يهجو جريراً:

أتشتِمُ أقواماً أجارُوا نساءَكمْ ... وأنتَ ابنَ يربوعٍ على الضيمِ وارِكُ
أجرْنا ابنَ يربوعٍ من الضيمِ بعدَما ... سقتْكمْ بكأسِ الذلِّ والضيمِ مالِكُ
غداةَ أرادَتْ مالكٌ أنْ نُحلَّكمْ ... على الخَسْفِ ما هبَّ الرياحُ السَّواهكُ
فعُذْتمْ بأحواءِ الرِّبابِ وأنتمُ ... كفَقْعِ التناهي استدرجَتْهُ السنابكُ
وبالعِرضِ إذْ جاءَتْ جموعٌ تجمَّعتْ ... بسجْحَةَ قادَتْها الظنونُ الهوالكُ
تركناهمُ صرعى كأنَّ ظهورَهمْ ... عليها من الطعنِ العَبيطِ الدَّرانكُ

فذُدْنا وأرهبْنا أخاكمْ فأصبحَتْ ... لكمْ منهمُ أيدٍ وأيدٍ شَوابكُ
كما قد نبا عن مالكٍ جُلُّ جَمعِكمْ ... بسهلِ الحمى والهضبِ طَعنٌ مُداركُ
فكيفَ يسُبُّ التَّيمَ من قدْ أجارَهُ ... فوارسٌ تيمٍ والرماحُ الشوابكُ
يُصدّقُ دفْعَ التيمِ عنكمْ إذا انتمَوا ... إلى المجدِ غاراتُ الكُلابِ المَسابكُ
نَمَتْمنيَ شُمٌّ للذؤابةِ والذُّرى ... ولي من تميمٍ رأسُها والحواركُ
هناكَ ابنُ تيمٍ واسطُ الأصلِ فيهمِ ... وأنتَ ابنَ يربوعٍ بديلٌ مُتارِكُ
ويومَ إرابَ السهلِ يومَ استَبَتْكمُ ... عَلاكم بني اليربوعِ وردٌ مُواشِكُ
بنو تغلِبَ الغلباءِ راحَتْ عشيّةً ... بنسوتِكمْ لمْ تحمهنَّ النيازكُ
ومنْ هرَميٍّ قد تَغشَّتْ خَزايَةً ... وجوهُكمُ ما دامَ للشِّعرِ حائكُ
وأسلمْتُمُ سُفيانَ للقومِ عَنوةً ... ولو لحِقَ المُستصرِخاتُ اللوائكُ
وبالعَكنِ الكلبيِّ أخزى نساءَكمْ ... غَداةَ تُنادي البيضَ منها الفواركُ
سَليطاً بأنْ تستنزِلوهُنَّ بعدَما ... جرى ولهاً منها الدموعُ السَّوافكُ

وعمروُ بن عمرو قادَكمْ فاشكروا لهُ ... بذي نجَبٍ والقومُ كابٍ وباركُ
بذي نجبٍ لو لمْ تذُدْ من ورائكمْ ... بنو مالكٍ غالَتْكَ ثَمَّ العَوائكُ
فأسلمْتمُ فرسانَ سعدٍ وقدْ ترى ... بداركمُ المُستردفاتُ الهوالكُ
ويومَ علَتْ للحَوْفَزانِ كتيبةٌ ... جَدُودُ لكمْ من نحوش حجْرٍ مَسالِكُ
ويومَ بَحيرٍ أنتمُ شرُّ عُصبةٍ ... عَضاريطُ لولا المازِنيُّ المُعارِكُ
ورومَ بني عبْسٍ بشَرْجٍ تَشاهَدَتْ ... على قتلِهِ أعلامُكمْ والدَّكادِكُ
وعَبْقَرَ إذ تدعوكمُ جِلَّتُكُمُ ... منَ الخزيِ ثوبَ الحائضاتِ العَوارك
ستسمحُ يربوعٌ سِبالاً لئيمةً ... بها منْ منيِّ العبدِ أسودُ حالكُ

حميد بن ثور

وقال حميد بن ثور بن حَزن بن عمرو بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة:

سَلا الربْعَ أنّي يمَّمتُ أمّ طارقٍ وهلْ عادةٌ للربعِ أنْ يتكلّما

وقُولا لهُ يا ربْعُ باللهِ هلْ بدا لها أو أرادَتْ بعدُ إلاّ تأيُّما

شهِدْتَ وأسمعتَ الفِراقَ وأشْخصتَ بنا الدارُ بعدَ الإلفِ حَولاً مُجرّما

ولو نطقَ الرَّبْعانِ قبلي لبيَّنا لصاحبِ هندٍ وامرئِ القيسِ مَنْسِما

هما سألا فوقَ السؤالِ وأفْضلا على كلِّ باكٍ عَوْلَةً وتلوُّما

وزادا على قولِ الوشاةِ وأنشدا من الشِّعرِ ما يُغوي الغويَّ المُلوَّما

أجِدَّكَ شاقَتْكَ الحُمولُ تيمَّمتْ هدانَيْنِ واجتازَتْ يميناً عَرَمْرما

على كلِّ مَشبوحٍ بنيرَيْنِ كُلِّفَتْ قُوى نسْعَتَيْهِ مَحْزِماً غيرَ أهْضما

جِلادُ تَخاطَتْها الرِّعاءُ فأُهملَتْ وألفَيْنَ رَجّافاً جُرازاً تَلَهْزَما

رعَيْنَ المُرارَ الجَونَ منْ كلِّ مذنَبٍ دَميثٍ جُمادى كلِّها والمحرَّما

من النِّيرِ واللَّعْباءِ حتى تبدَّلَتْ مكانَ رَواغيها الصَّريفَ المُسدَّما

وحتى تَعفَّى النضْوُ منها وجُرِّدَتْ حَوالبُها من مَرْبَعٍ قد تَجرَّما

وعادَ مُدَمّاها كُمَيْتاً وشُبِّهتْ كُلومُ كُلاهُنَّ الوِجارَ المُهدَّما

وخاضَتْ بأيديها النِّطافَ وذعْذَعتْ بأقْيادِها إلاّ وظيفاً مُخدّما

فجاءَ بها الرُّدادُ يحْجُزُ بينَها سُدىً بينَ قَرْقارِ الهديرِ وأعْجما

ترى القرْمَ منها ذا الشقاشقِ واضحاً نقيّاً كلونِ القُلْبِ والجَونِ أصْحَما

فقامَ العَذارى بالمَثاني فأُقْدِعَتْ أكُفُّ العذارى عزّةً أنْ تَخطَّما

فلمّا ارعوى للزَّجْرِ كلُّ مُلَبِّثٍ كصُمِّ الصَّفا يتلو جِراناً مُقدَّما

إذا عزّةُ النفسِ التي كان يتّقي بها حبْلَهُ لم تُنسِهِ ما تَعلَّما

فما زِلنَ بالتمساحِ حتى كأنّما أدَبَّتْ إليهِ في الخِزامةِ أرْقَما

وقرَّبْنَ مُقْوِرّاً كأنَّ وضينَهُ بنيقٍ إذا ما رامَهُ الغَفْرُ أحْجَما

وقُوراً لوَ انَّ الجنَّ يعزفْنَ حولَهُ وضرْبَ المغَنِّي دُفَّهُ ما تَرَمْرما

رعى القَسْوَرَ الجَونيَّ من حولِ أشمُسٍ ومنْ بطنِ سُقْمانَ الدُّعاعَ المُديَّما

تراهُ إذا استدبرَتْهُ مُدمجَ القَرا وفَعماً إذا أقبلْتَهُ العينَ سَلْجَما

بعيرُ حياً جاءَتْ بهِ أرحبيّةٌ | أطالَ بهِ عامَ النِّتاجِ وأعْظَما
فقامَتْ إليهِ خَدْلَةُ الساقِ أشخصَتْ | لهُ بالخلا كفّاً خَضيباً ومعصَما
فألقى بلَحييْهِ فلاثَتْ برأسِهِ | زماماً كشيطانِ الحَماطةِ مُحكَما
فلمّا أناخَتْهُ إلى جَنْبِ خدرِها | عَجا شدقَهُ أو هَمَّ أنْ يَتزعَّما
تراهُ إذا ما عجَّ يجلو عنِ الشبَّا | فما مثلَ حنوِ الخَيْزرانيِّ لَهْجَما
تَنَخْنَخَ حتى ما تكادُ طويلةٌ | تنالُ بكفَّيْها الظّعانَ المُسوَّما
وذا ذئبٍ جُوفٍ كأنَّ خُصورَهُ | خصورُ نعالِ السبتِ لأماً مُوشَّما
قِمَطْرٌ يَبِينُ الوَدْعُ فوقَ سَراتِهِ | إذا أرزمَتْ من تحتهِ الريحُ أرزما

ضُبارِمُ طيِّ الحالبَيْنِ إذا خَدا | على الأُكْمِ ولاّها حذاءً مُلَكَّما
كأنَّ هويَّ الريحِ بينَ فروجِهِ | تَجاوُبُ جنٍّ زُرنَ جنّاً بجَيْهَما
فجئنَ بهِ لا جاسئاً ظَلَفاتُهُ | ولا سلساً فيهِ المساميرُ أكزَما
شأى أثلاثَ المُنْحنى من صُعائدٍ | لهُ القَينُ عينيهِ وما قد تعلَّما
فشَذَّبَ عنهُ سُوقَ جلْسٍ عروقُها | معَ الماءِ ما أروى النباتَ وأنعما
برَتْهُ سَفافيرُ الحديدِ فجرَّدتْ | رفيعَ الأعالي كانَ في الصَّونِ مُكْرما
وجاءَ نساءُ الحيِّ بينَ صَنيعِهِ | وبينَ التي جاءتْ لكَيْما تَعلَّما
يُطِفْنَ بمَخدورٍ أغرَّ وصائمٍ | صيامَ فُلُوِّ الخيلِ تَمَّ وأكرما
كما أوقدَ الطرْفَ الجوادُ بمَرْقَبٍ | فهَمْهَمَ لمّا آنسَ الخيلَ صُيَّما
يُطِفْنَ بهِ رأدَ الضحى ويَنُشْنَهُ | بأيدٍ ترى الأسوارَ فيهنَّ أعْجما
ترى من تباشيرِ الخضابِ الذي بها | بأطرافِها لوناً غَبيطاً وأَسْحما
سَراةَ الضحى ما رِمْنَ حتى تَحدَّرتْ | جِباهُ العذارى زعْفراناً وعَنْدما
مَسحْنَ مُحَيّاهُ وقلَّدنَ جيدَهُ | قلائدَ حتى هَمَّ أنْ يتكلَّما
وحتى لوَ انَّ العَودَ من حُسنِ شيمةٍ | يُسلِّمُ أو يمشي مشى ثمَّ سلَّما
حملْنَ عليهِ من تَجافيفِ ناعتٍ | حصى الأرضَ حتى ما ترى العينُ مَنْسِما

وغشَّيْنَهُ بالرَّقْمِ حتى كأنّما يُساقِينَهُ من جَوفِ مَعبوطةٍ دما

تَخيَّرْنَ أمّا أُرجواناً مُهدَّبا وأمّا سِجلاَّطَ العراقِ المُختَّما

وشُبْنَ السوادَ بالبياضِ فلا ترى منَ الخِدرِ إلاّ وارسَ اللونِ أرقما

من الشبَهِ السافي وحتى لوَ انَّهُ يرى أعوجيّاتٍ جرى أو تَحَمْحَما

فشاكَهْنَهُ بالخيلِ حتى لوَ انّهُ يقُلنَ لهُ أقدِمْ هلا هلْ لأَقْدما

فلمّا قضيْنَ اللمَّ من كلِّ عقدةٍ بثَثْنَ الوصايا والحديثَ المُكتَّما

تعاوَرنَ مرآةً جليّاً فلمْ تعبْ لراياتِها المرآةُ عيناً ولا فما

بعثْنَ إليها كيْ تجيءَ فلمْ تكدْ تجيءُ تَهادى المشيَ إلاّ تَحشُّما

أتتْها نساءٌ من سُلَيْمٍ وعامرٍ مشيْنَ إليها مأتماً ثمّ مأتما

تَهادَيْنَ جَمّاءَ العِظامِ خَريدةً منَ النسوةِ اللائي يَرِدْنَ التكرُّما

فجَرْجَرَ لما كانَ في الخِدرِ نصفُها ونصفٌ على دأياتِه ما تَجرَّما

فلمّا علَتْ من فوقِه عضَّ نابَهُ بمِقْلاقِ ما تحتَ الوشاحَيْنِ أهْضَمَا

فما ركبْتُ إلاّ نَبيثاً كأنّما تُرفِّعُ بالأكفالِ رملاً مُسنَّما

فما كانَ جَونٌ أرجَبيٌّ يُقِلُّها بنَهضتِهِ حتى اكْلأنَّ وأعصما

وحتى تداعَتْ بالنَّقيضِ حبالُهُ وهمَّتْ بَواني زَفْرِهِ أنْ تَحطَّما

وبَصبْصَ في صُمِّ الصَّفا ثَفِناتُهُ ورامَ بحُبَّى أمرَهُ ثمَّ صَمَّما

فكبَّرْنَ واستدبرْنَهُ كيفَ أتوْهُ بها رَبذاً سهْوَ الأراجيحِ مرْجَما

فلمّا استوَتْ في ظُلّةٍ لم تجدْ لها تكاليفَ إلاّ أنْ يَعيلَ ويَعْسَما

وقُمنَ بأطرافِ البيوتِ عشيّةً كما فيّأتْ ريحٌ يَراعاً وسَأْسَما

فلمّا تولّتْ قُلنَ يا أمَّ طارقٍ على الشَّحْطِ حيّاكِ المَليكُ وسلَّما

وبادرْنَ أسباباً جعلْنَ فصولَها مِلاكاً وأعناقَ النجائبِ سُلّما

فسُرْنَ انتِماءَ العُفْرِ للطلِّ أشفقَتْ منَ الشمسِ لمّا كانتِ الشمسُ ميسَما

فرُحنَ وقدْ زايلْنَ كلَّ ضغينةٍ بهنَّ وسالَمْنَ السَّديلَ المُرقَّما

فقلتُ لأصحابي تراجعَ للصِّبا فؤادي وعادَ اليومَ عودةَ أعصما

وقلتُ لعبدَيَّ اسْعَيا لي بناقَتي فما لبِثا إلاّ قليلاً مُجرَّما

دعَوتُ جريريَّنِ استحفَّا بناقتي وقد هَمْهَمَ الحادي بهنَّ ودَوَّما

فجاءا بعَجْلى وهْيَ حرْفٌ كأنّها كُداريّةٌ خافَتْ أظافيرَ عُرَّما

وجاءَتْ تَبُذُّ القائدَيْنِ ولمْ تدَعْ نِعالَهما إلاّ سَريحاً مُخذَّما

أراها جَرِيّايَ الخَلا فتشذَّرتْ مِراحاً ولم تقرأْ جَنيناً ولا دما

فجاءا بشَوْشاةٍ مِراقٍ ترى بها نُدوباً منَ الأنساعِ فذّاً وتوأَما

وجاءتْ ومنْ أخرى النهارِ بقيّةٌ وقد وَدَّكَ الحادي السَّليلَ وخَشْرما

أطاعتْ لعِرفانِ الزِّمامِ وأضمرتْ مكانَ خفيّ الجَرْسِ وحْفاً مُجَمْجما

فمارَتْ بضَبْعَيْها رَجيعاً وكَلَّفَتْ بَعيرَيْ غلامِيَّ الرَّسيمَ فأَرْسما

وعزَّتْ بقاياهُنَّ كلُّ جُلالةٍ يُنازِعُ حَبْلاها أجَدَّ مُصرَّما

ترى العَيْهلَ الدَّفْقاءَ قدْ ماجَ غرْضُها تسومُ المطايا ما أذلَّ وأرغما

فلمّا أدركْناهنَّ لم يقضِ قائلٌ مقالاً ولا ذو حاجةٍ ما تَجثَّما

فقلتُ لها عُوجي لنا أمَّ طارقٍ نُتاجِ ونَحواكمْ شِفاءٌ لأَهْيَما

فعادَتْ علينا من خِدَبٍّ إذا سدى سرى عن ذراعَيْهِ السَّديلَ المُرقّما

فكانَ اختلاساً من خَصاصٍ ورِقبةٍ بنا العيسُ يَنثُرْنَ اللُّغامَ المُعمّما

وقالتْ لأترابٍ لها شبَهِ الدُّمى ثلاثٍ يُنازِعْنَ الحديثَ المُكتَّما

يُنازِعْنَ خيطانَ الأراكِ فأرجعَتْ لها كفُّها منهنَّ لَدْناً مُقوَّما

فماحَتْ بهِ غرُّ الثنايا مُفلَّجاً وسيماً جلَتْ عنهُ الطِّلالَ مُوَشَّما

فواللهِ ما أدري أَوَصْلاً أرادَتا بما قالتا أمْ أصبحَ الحبلُ أجْذَما

وما هاجَ هذا الشوقَ غيرُ حمامةٍ دعَتْ ساقَ حرٍّ في حمامٍ تَرنَّما

إذا شئتُ غنَّتْني بأجزاعِ بيشةٍ أوالرِّزْنِ من تَثليثَ أو يَبْنَما

مُطوَّقةٌ ورْقاءُ تسجعُ كلمّا دنا الصيفُ وانْجالَ الربيعُ فأنْجَما

مُحلاّةُ طوقٍ لمْ تكنْ من جَعيلةٍ ولا ضربِ صَوّاغٍ بكفّيْهِ درهما

بنَتْ بِنْيَةَ الخرقاءِ وهْيَ رفيقةٌ ... لها بيفاعٍ بينَ عُودَينِ سُلّما
منَ الوُرقِ حَمّاءِ العِلاطَينِ باكَرتْ ... عَسيبَ أشاءٍ مطلِعَ الشمسِ أسْحما
إذا حرّكتْهُ الريحُ أو مالَ جانباً ... تغنَّتْ عليهِ مائلاً ومُقوَّما
تغنَّى على فَرعِ الغصونِ وتَرْعَوي ... إلى ابنِ ثلاثٍ بينَ عُودَينِ أعجما
تَقيَّضَ عنهُ غِرْقئ البَيضِ واكتسى ... أنابيبَ من مستعجِلِ الريشِ حَمَّما
تُرَبِّبُ أحوى مُزْلَغِبّاً ترى لهُ ... أنابيبَ من مُسْتَحْنِكِ الريشِ أقْتما
يمُدُّ إليها خشيةَ الموتِ جيدَهُ ... كهَزّكَ بالكفِّ البريَّ المُقوَّما
كأنَّ على أشداقِهِ نَورَ حَنوَةٍ ... إذا هوَ مَدَّ الجيدَ منهُ ليُطعَما
فلمّا اكتسى الريشَ السُّخامَ ولمْ تجدْ ... لها معهُ في جانبِ العُشِّ مَجْثما
أُتيحَ لها صقرٌ مُسِفٌّ فلمْ يدعْ ... لها ولداً إلاّ رماها وأعْظُما
تحُتُّ على ساقٍ ضُحيّاً فلمْ تدَعْ ... لباكيةٍ في شجوِها مُتلَوَّما
فهاجَ حمامَ الأيكَتَيْنِ نَواحُها ... كما هيّجَتْ ثَكلى على النَّوحِ مأتَما
إذا خرجَتْ من مَسكنِ الأرضِ راجعَتْ ... لها مسكناً من منبِتِ العيصِ مَعْلما
عجِبتُ لها أنّى يكونُ غناؤُها ... فَصيحاً ولمْ تفغَرْ بمَنطقِها فما
ولمْ أرَ محقوراً لهُ مثلَ صوتِها ... أحَنَّ وأحوى للحزينِ وأكْلَما
ولمْ أرَ مثلي شاقَهُ صوتُ مثلِها ... ولا عربيّاً شاقَهُ صوتُ أعْجَما
خليلَيَّ هُبّا عَلّلانيَ وانظُرا ... إلى البرقِ ما يَفْري سَناً وتبسُّما
خَفا كاقتِذاءِ الطَّيرِ وهناً كأنّهُ ... سراجٌ إذا ما يكشفُ الليلَ أظْلَما
عَروضٌ تدلَّتْ من تِهامةَ أُهديَتْ ... لنجدٍ فساحَ البرقُ نجداً وأتْهَما
كأنَّ رِماحاً أطلعَتْهُ ضعيفةً ... معَ الليلِ يسعَرْنَ الأباءَ المُضرَّما
كنقضِ عتاقِ الطيرِ حتى توجَّهتْ ... إليهنَّ أبصاراً وأيقظْنَ نُوَّما
وصوتٍ على فَوتٍ سمعتُ ونظرةٍ ... تلافَيْتُها والليلُ قد عادَ أغْسَما

بحِدْثانِ عهدٍ من شبابٍ كأنّما ... إذا قمتُ يَكسوني رداءً مُسَهَّما

أرى بصري قد رابَني بعدَ صحّةٍ ... وحَسبُكَ داءً أن تَصِحَّ وتسْلَما

ولا يلبثُ العصرانِ يومٌ وليلةٌ ... إذا اختلَفا أنْ يُدركا ما تَيمَّما

وقال حُميد أيضاً:

نأتْ أمُّ عمروٍ فالفؤادُ مَشوقُ ... يحِنُّ إليها نازعاً ويَتُوقُ

لعَمْرةَ إذْ دانَتْ لكَ الدَّينَ بعدَما ... تلفَّعَ من ضاحي القَذالِ فُروقُ

لطُولِ الليالي إذْ تطاولَ ما مضى ... وفي الصُّلبِ والأحْناءِ منكَ حُنوقُ

أثَبْنَ بياضاً من سوادٍ سرقْنَهُ ... وطولُ الليالي للشبابِ سَرُوقُ

ولمْ أرَها بعدَ المُحصَّبِ من منىً ... وكلَّ مَتاقٍ للرحيلِ يَتوقُ

عُمَيرةُ ما أدراكِ أنْ رُبَّ مهجَعٍ ... تركْتُ ومن ليلِ التِّمامِ طَبيقُ

وقدْ غارَ نجمٌ بعدَ نجمٍ وقدْ دنَتْ ... أواخرُ أُخرى واستقلَّ فريقُ

عفا الربيعُ بينَ الأخْرَجَيْنِ وأوزعَتْ ... بهِ حَرْجَفٌ تُذْري الحصى وتَسوقُ

إذا يومُ نحسٍ هبَّ ريحاً كسوْنَهُ ... ذُرى عَقِداتٍ تُرْبُهنَّ دقيقُ

وأسْحمَ دانٍ في نَشاصٍ خفا بهِ ... لوامعُ في أعناقِهنَّ يَسوقُ

يَقُدنَ منَ الوسْميِّ جُوناً كأنّما ... تُذَكّي على آثارِهنَّ حريقُ

لعِبْنَ بحَوْضَى والسِّبالِ كأنّما ... يُنشِّرُ رَيطٌ بينهنَّ صَفيقُ

فغادرْنَ وحْياً من رمادٍ كأنّهُ ... حصى إثْمدٍ بينَ الصَّلاءِ سَحيقُ

وسُفْعاً ثَوَيْنَ العامَ والعامَ قبلَهُ ... على موقدٍ ما بينهنَّ رقيقُ

ومن نَسْفِ أقدامِ الوليدَيْنِ بالضحى ... سطورٌ تُرى عاميَّةً فتَشوقُ

ألا طرقَتْ صَحْبي عُمَيرةُ إنّها ... لنا بالمَرَوْراةِ المضلِّ طَروقُ

بلَمّاعةٍ قفْرٍ تَرودُ نِعاجُها ... أجارِعَ لمْ يُسمعْ بهنَّ نَعيقُ

فأعرضْتُ عنها في الزيادةِ إنّني ... وذو اللبِّ بالتقوى هناكَ حَقيقُ

بمَثْوى حرامٍ والمطيُّ كأنّها ... قَناً مُسْنَدٌ هبَّتْ لهنَّ خَريقُ

تَرودُ مدى أرسانِها ثمَّ تَرْعَوي ... سَواهِمَ في أصلابِهنَّ عتيقُ

حُرِمْنَ القِرى إلاّ رَجيعاً تعلَّلَتْ ... بهِ غَرِضاتٌ لحمُهنَّ مَشيقُ

أُنِخْنَ ثلاثاً بالمُحَصَّبِ من منىً ... ولمّا يَبِنْ للناعجاتِ طريقُ

فلمّا قضَيَنَ النُّسكَ من كلِّ مَشْعَرٍ ... وقدْ حانَ من شمسِ النهارِ خُفوقُ

رأتْني بنِسْعَيْها فردَّتْ مخافةً ... إلى الصدرِ رَوعاءُ الفؤادِ فَروقُ

فخفَّضتُها حتى اطمأنتْ وراجعَتْ ... هَماهِمَ صدرٍ بينهنَّ خُروقُ

فقلتُ لها أعطي فأعطَتْ برأسِها ... غَشَمْشَمةٌ للقائدينَ زَهوقُ

جَهولٌ وكانَ الجهلُ منها سجيّةً ... إذا ضمَّها جَونُ الفلاةِ خَروقُ

فعُجْنا إلينا من سوالفَ ضُمَّرٍ ... فرُحنَ عجالى وَقْعُهنَّ رشيقُ

وراحتْ كما راحتْ بسَرَحٍ مُوَقَّفٌ ... منَ الدُّورِ بَدّاءُ اليدَينِ زَنيقُ

تَعادى يداها بالنِّجاءِ ورجلُها ... إذا ما اشتملَتْ باليدَينِ لَحوقُ

تُباري جُلالاً ذا جديلَينِ ينتَحي ... أساهيَّ منها هِزَّةٌ وعَنيقُ

إذا انبعثَتْ من مَبْرَكٍ ينبَري لها ... مُشرَّفُ أطرافِ العظامِ فَنيقُ

أرتْهُ حِياضَ الموتِ عجْلى كأنَّها ... مُواشكةٌ رجْعَ الجناحِ خَفوقُ

منَ الكُدْرِ راحتْ عن ثلاثٍ فعجَّلَتْ ... عليهِ قلوبُ المنكبَينِ ذَليقُ

إذا ضمَّ مَيْثاءُ الطريقِ عليهما ... أضرَّتْ به مَرْخى الحبالِ زَهوقُ

مراراً ويَشْآها إذا ما تعرَّضَتْ ... لهُ سُبُلٌ مجهولةٌ وفُروقُ

لها عنُقٌ تهدي يداً مُشْمَعِلّةً ... ورجلٌ كمِخراقِ الغلامِ لَحوقُ

يداها كأوْبِ الماتِحينَ ورجلُها ... أبُوضُ النِّسا بالمَنْسِمَيْنِ خَسوقُ

ونحْضٍ كساقِ السُّوذَقانيِّ نازعَتْ ... بكَفَّيَ جَشّاءُ البُغامِ دَفوقُ

إذا القومُ ورْدُهنَّ ضُحى غدٍ ... تَواهَقْنَ حتى سَيرُهنَّ طُروقُ

فما اطَّعَمَتْ بالنومِ حتى تَضمنَّتْ ... سَوابقَها من شَمْطَتَيْنِ حُلوقُ

وأصبحْنَ يستأنِسْنَ من ذي بُوانةٍ ... قُرىً دونَهُ هابي الترابِ عميقُ

وأضحى تَعالى بالرحالِ كأنّها ... سَعالٍ بجَنبَيْ نخلةٍ وسَلوقُ

وبَشَّتْ بعُلْويِّ الرياحِ كأنّها ... أخو جَذْلَةٍ نالَ الإسارَ طَليقُ

بريْتُ رَهيصَ الصُّلبِ عاريةَ القَرا	بها منمرادِ النِّسْعَتَيْنِ سُلوقُ
تقاتلُ عن دامي الكُلى حينَ جرَّدَتْ	منَ الطيرِ غرْباناً لهنَّ نَغيقُ
وما لحقَ الغَيرانُ حتى تلاحقَتْ	جِمالٌ تسامى في البُرينَ ونُوقُ
أقولُ لعبدِ اللهِ بيني وبينَهُ	لكَ الخيرُ أخبرْني وأنتَ صديقُ
لأنّي وإنْ علَّلْتُ صَحبي بسَرْحةٍ	منَ السَّرْحِ موجودٌ عليَّ طريقُ
سقى السَّرْحةَ المِحلالَ بالبُهْرةِ التي	بها السَّرْحُ دَجْنٌ دائمٌ وبُروقُ
بأجرعَ رابٍ كلَّ عامٍ يَعلُّهُ	منَ الغيثِ عَرّاضُ الغَمامِ دَفوقُ
أبى اللهُ إلاّ أنَّ سَرْحَةَ مالِكٍ	على كلِّ أفنانِ العِضاهِ تَروقُ
منَ النبْتِ حتى نالَ أفنانُها العُلا	وفي الماءِ أصلٌ ثابتٌ وعُروقُ
فما ذهبَتْ عرْضاً ولا فوقَ طولِها	منَ السَّرْحِ إلاّ عَشَّةٌ وسُجوقُ
تَورَّطَ فيها دُخَّلُ الصيفِ بالضحى	ذُرى لَبساتٍ فَرعُهنَّ وريقُ
فيا طِيبَ رَيّاها ويا بردَ ظلِّها	إذا حانَ من شمسِ النهارِ وَدُوقُ
حمى ظلَّها شكْسُ الخليقةِ خائفٌ	عليها عُرامُ الطائفِينَ شَفيقُ
فلا الظلُّ من بردِ الضحى تستطيعُهُ	ولا الفَيءُ من بردِ العشيِّ تَذوقُ
وما وَجْدُ مُشتاقٍ أُصيبَ فؤادُهُ	أخي شهواتٍ بالعِناقِ لَبيقُ
بأكثرَ من وجْدي على ظلِّ سَرحةٍ	من السَّرحِ أو ضَحّى عليَّ رَفيقُ
ولولا وِصالٌ من عُمَيرةَ لمْ أكنْ	لأصرمَها إنّي إذنْ لمُطيقُ

وقال حميد بن ثور، وقال يمدح الوليد بن عبد الملك بن مروان، ويرثي عبد الملك:

أبصرْتُ ليلةَ مَنزلي بتَبالةٍ	والمرءُ تُسْهِرُهُ الهمومُ فيسهَرُ
ناراً لعَمْرَةَ بالرُّزونِ وأهلُنا	بالأدهمَيْنِ تَباعَدَ المُتنوِّرُ
للهِ صاحبِيَ الذي أوفى لها	ووقودُها ثَئِرٌ وكلٌّ ينظرُ
هبَّتْ لمَوقعِها جَنوبٌ رادَةٌ	طَوراً تُخفِّضُها الجَنوبُ وتظهرُ
لمْ ألقَ عَمْرَةَ بعدَ إذْ هيَ ناشئٌ	خرجَتْ مُعطَّفَةً عليها مئزرُ
برزَتْ عقيلةَ أربعٍ هادِيْنَها	بِيضُ الوجوهِ كأنّهن العَبقَرُ

ذهبَتْ بعقلِكَ رَيطةٌ مَطْوِيّةٌ ... وهْيَ التي تَهذي بها لو تُنشَرُ
فهمَمْتُ أن أغشى إليها مَحْجراً ... ولمثلِها يُؤتى إليه المَحجَرُ
أبلِغْ أميرَ المؤمنينَ فإنّهُ ... فَطِنٌ يلومُ المُستَليمَ ويعْذرُ
إنّي كبِرْتُ وإنَّ كلَّ كبيرةٍ ... ممّا يُظنُّ به يَملُّ ويَفتُرُ
وفقدْتُ شِرّاتي التي أودى بها ... زمنٌ يُطوِّحُ بالرجالِ وأعصُرُ
أنتمْ بجابيَةِ الملوكِ وأهلُنا ... بالجَوفِ جيرتُنا صُداءُ وحِمْيَرُ
فلئِنْ بلغْتُ لأبلُغَنْ مُتكلِّفاً ... ولئنْ قصَرتُ لكارهاً ما أُقصِرُ
أذِنَ الوليدُ لكمْ فسيروا سيرةً ... أمّا تُبلِّغُكمْ وأمّا تَحسَرُ
سيروا الظلامَ ولا تَحلُّوا عُقدةً ... حتى يُجلِّيَهُ النهارُ المُبصِرُ
ويُرى الصباحُ كأنَّ فيهِ مُصلِتاً ... بالسيفِ يحملُهُ حصانٌ أشقرُ
لا يدركُ الحاجاتِ إلاّ مُزمِعٌ ... والناجياتُ من القِلاصِ الضُّمَّرُ
راحوا بساهمةِ العيونِ غُدوُّها ... مُصْعَنْفِرٌ ورَواحُها مُسْحَنْفِرُ
منْ كلِّ ناجيَةٍ يظَلُّ زِمامُها ... يسعى كما هربَ الشجاعُ المُنْفَرُ
قُلُصٌ إذا غَرِثَتْ فصولُ حبالِها ... شبعَتْ بَراذِعُها ومَيسٌ أحمرُ
تغدو مُواشكةَ العَنيقِ وتارةً ... يستعجلونَ عَنيقَها فتُشمِّرُ
تعلو بأذرُعِها إذا استَنعى بها ... خَرِقٌ يموتُ بهِ العَجاجُ الأكدرُ

تلقى إذا انْجرمَ الشتاءُ سِباعَها ... ونَعامَها قِطَعاً بها لا تُذعرُ
سئموا الرِّحالَ بها فقالوا نَزْلَةً ... فأقولُ ليسَ بما ترَونَ مُعصَّرُ
كائنْ حسَرْنا دونَكمْ منْ طالحٍ ... رَوعاءُ يَنقُرُها الغرابُ الأعوَرُ
بسواءِ مَجمعَةٍ كأنَّ أمارَةً ... منها إذا برزَتْ فَنيقٌ يَخطِرُ
ولقدْ أرانا نعتَلي برِحالِنا ... زَهراءَ تَجتابُ الفَلاةَ وأزهَرُ
كعَجاجةِ الوادي يَراحُ شَليلَهُ ... غَوجُ الجِرانِ غَدَوْدَنِيٌّ معْوَرُ
أجُدٌ مُداخَلَةٌ وآدمُ مُصلَقٌ ... كَبداءُ لاحقةُ الرَّحا وشمَيْذَرُ

مثلُ الحجارةِ لحمُهُ وعِظامُهُ | مثلُ الحديدِ وجِلدُهُ يتمَرْمَرُ
تمشي العُجَيْلى من مخافةِ شَدْقَمٍ | يمشي الدِّفَقَّى والخَنِيفَ ويَضْبُرُ
وإذا تُبادِرُهُ الطريقُ رأيْتَها | زَوراءَ عنهُ وهْوَ عنها أزْوَرُ
وإذا تُراعُ رمَتْ بها رَوْعاتُها | حتى يميلَ بها النِّجادُ المُدْبِرُ
وإذا احْزألّ في المناخِ رأيتَهُ | كالطودِ أفْردَهُ العَماءُ المُمطِرُ
حتى إذا طالَ السِّفارُ عليهما | زُجرَتْ وظلَّ مُصانِعاً لا يُزجَرُ
تَهوي بأشعثَ قدْ وهى سِربالُهُ | بَعثٍ تُؤرِّقُهُ الهمومُ فيسهَرُ
قدْ لاحَهُ عُقَبُ النهارِ فسيَّرَهُ | بالفَرقدَيْنِ كما يُلاحُ المِسعَرُ
نضعُ الزيارةَ حيثُ لا يُزْري بنا | شرفُ الملوكِ ولا يَخيبُ الزُّوَّرُ
يا بنَ الخليفةِ ثمَّ أنتَ خليفةٌ | وخليفةٌ ما أنتَ إذْ تتخيَّرُ
بَحرانِ تنتسبُ البحورُ إليهما | لا بحرَ بعدَهما يُهارُ ويُغمَرُ
أنتمْ أسِدّةُ كلِّ ثغرٍ خائفٍ | وخلائفُ اللهِ التي تَتخيَّرُ
إنَّ المنيّةَ حينَ أُرسلَ سهمُها | لأبي الوليدِ قدَ انفذَتْ ما تُؤمَرُ
ويلُ الجبالِ ألا تبوحُ لفَقدهِ | ولصخرهنَّ الصمِّ لا تَتحدَّرُ
إنَّ الجبالَ ولوْ بكَيْنَ لهالِكٍ | يوماً رأيتَ صِلابَها تَستعْبِرُ

وقال حُميد بن ثور:

على طلَلَيْ جُمْلٍ وقفْتَ ابنَ عامرٍ | وقد كنتَ تُفْدى والمزارُ قريبُ
وقد عُجتَ في رَبعَينِ جرَّتْ عليهما | سنونٌ وعادَتْ أمْرُعٌ وجُدوبُ
أربَّتْ رياحُ الأخرجَيْنِ عليهما | ومُستحلَبٌ من ذي البُراقِ غريبُ
دُقاقَ الحصى ممّا تُسَدّي مُربَّةٌ | لها بنُسالِ الصِّلِّيانِ دَبيبُ
بمُختلَفٍ من رادةٍ وصقالَها | بنَعْفٍ تُغاديها الصَّبا وتَؤوبُ
فلمْ يدَعِ العصْرانِ إلاّ بقيّةً | من الدارِ تبكي فيهما وتَحوبُ
فحيِّ ربوعَ الجارتَينِ ولا أرى | مَغانيَ دارِ الجارتَينِ تُجيبُ
عفَتْ مثلَ ما يعفو الطَّليحُ فأصبحَتْ | بها كبرياءُ الصعْبِ وهْيَ ركوبُ

كأنَّ الرِّعاثَ والنطافَ تصلْصلَتْ ... ليالي جُمْلٌ للرجالِ خلَوبُ
بوحشيّةٍ أمّا ضواحي مُتونِها ... فمُلْسٌ وأمّا كَشْحُها فقَبيبُ
خلَتْ بالضواحي من أعالي لَجِيفةٍ ... وليسَ بَبْرحٍ فالبُلَيُّ عَريبُ
ألَثَّتْ عليها دِيمةٌ بعدَ وابلٍ ... فلِلجزعِ من جَوحِ السيولِ قَسيبُ
فأخْلَسَ منها البقلَ لوناً كأنَّهُ ... عليلٌ بماءِ الزعفرانِ ذَهيبُ
منَ العالقاتِ المَرْدَ يعلو كِناسَها ... حمامُ بلادٍ مُعْلَمٌ وغريبُ
فَفُوها خَضيبٌ بالبَريرِ وسِنُّها ... بهِ من تآشيرِ الغصونِ غُروبُ
تُراعي طَلاً من ليلتَينِ تلبَّسَتْ ... بهِ النفسُ حتى للفؤادِ وجيبُ
يَجُورُ بمَدْرِيَّتَيْنِ قد غاضَ منهما ... شديدُ سوادِ المُقلتَينِ نَجيبُ
على مثلِ حُقِّ العاجِ تَهمي شِعابُهُ ... بأسمرَ يحلَوْلِي لنا ويطيبُ
فلمّا غدَتْ قد قلَّصَتْ غيرَ حُشوةٍ ... من الجوفِ منها عُلَّفٌ وخُضوبُ
رأتْ مُستَجيراً فاشرأبَّتْ لشخصهِ ... بمَحْنيةٍ يبدو لها ويغيبُ
جُنِنْتَ بجُمْلٍ والنحيلةِ إذْ هما ... كهَمِّكَ بِكرٌ عاتقٌ وسَلوبُ

وإذ قالَتا زَورٌ مُغِبٌّ زيارةً ... وقدْ ظلَّ يومٌ للمَطِيِّ عَصيبُ
وقائلةٍ هذا حُمَيدٌ وإنْ ترى ... بحَلْيَةَ أو وادي قناةَ عجيبُ
فلا تأمَنا أنْ يعدوا النأيُ منكما ... ولا بُعدَ نأيٍ إنْ ألَمَّ حَبيبُ
تقولانِ طالَ النأيُ أو نُحصيَ الذي ... نأيْناكَ إلاّ أنْ يَعُدَّ لَبيبُ
بلى فاذكُرا عامَ اجتَوَرْنا وأهلُنا ... مَدافعَ دارا والجنابُ خَصيبُ
لياليَ أبصارُ الغواني وسَمعُها ... إليَّ وإذْ رِيحي لهنَّ حَبيبُ
وإذْ ما يقولُ الناسُ شيء مُهوّنٌ ... عليَّ وإذْ غصنُ الشبابَ رَطيبُ
وإذْ شَعَري ضافٍ ولونيَ مُذْهَبٌ ... وإذْ ليَ من ألبابِهنَّ نَصيبُ
فأضحى الغواني قد سئمْنَ هَزالَتي ... وأجلَيْنَ لمّا راعَهُنَّ مَشيبُ
وقدْ كُنَّ بعضَ الدهرِ يَهوَيْنَ مَجلسي ... وجِنِّي إلى جِنانِهِنَّ حَبيبُ

إذا الرأسُ غِرْبيبٌ أحَمٌّ سَوادُهُ ومُذهَبُ ألوانٍ عليَّ مَجوبُ

فلا يُبعدُ اللهُ الشبابَ وقولَنا إذا ما صبَونا صَبوةً سَنَتوبُ

جرَتْ يومَ رُحنا عَوْهَجٌ لا شَخاصةٌ نَوارٌ ولا ريّا الغزالِ لَحيبُ

منَ الأدْمِ أمّا خدُّها حينَ أتْلعَتْ فصلْتٌ وأمّا خلْقُها فسَليبُ

مُوشَّحةُ الأقرابِ كالسيفِ صقْلُها بها منْ وِحامٍ لَوحةٌ وذُبوبُ

ذكرتُكِ لمّا أتلعَتْ من كِناسِها وذِكرُكِ سبّاتٍ إليَّ عَجيبُ

فقلتُ على اللهِ لا يدعُوانِها وقدْ أوَّلَتْ أنَّ اللقاءَ قريبُ

وأنَّ الذي مَنّاكَ أنْ تُسعِفَ النَّوى بها يومَ رَعْنَيْ صارةٍ لَكَذوبُ

وما نَوَّلَتْ من طائلٍ غيرَ أنّها جَوىً فالهوى يُلْوي بنا ويُهيبُ

فأنتَ جَنيبٌ للهوى يومَ عاقلٍ ويومَ نِضادِ النِّيرِ أنتَ جَنيبُ

أظلُّ كأنّي شاربٌ بمُدامةٍ لها في عِظامِ الشاربينَ دَبيبُ

رَكودُ الحُميّا قهوةٍ شابَ ماؤُها لها من عُقاراتِ الكُرومِ رَبيبُ

إذا استُوكِفَتْ باتَ الغَوِيُّ يَسوفُها كما جَسَّ أحشاءَ السَّقيمِ طَبيبُ

وداوِيّةٍ ظلَّتْ بها الشمسُ حاسِراً كما لاحَ في رأسِ اليَفاعِ رَقيبُ

إذا صمَحَتْ رَكْباً ولو كانَ فوقَهمْ عَمائمُ خَزٍّ سابغٍ وسُهوبُ

أناخَتْ بهمْ أو كادَ أنْ لم يُوائِلوا إلى عُصَرٍ هامُ الرجالِ تَذُوبُ

ظَلِلْنا إلى كهفٍ وظلَّتْ رِكابُنا إلى مُسْتَكِفّاتٍ لهنَّ غُروبُ

إلى شجرٍ ألْمى الظِّلالِ كأنّها رَواهبُ أحرَمْنَ الشرابَ عُذوبُ

كَفاني بها دِرعٌ منَ الليلِ سابغٌ وصهباءُ للحاجِ المُهِمِّ طَلوبُ

رِتاجُ الصَّلا مَعْرُشَةُ الزَّورِ تَغتَلي لها عُسُبٌ تعلو بها فتَصوبُ

إذا وُجِّهَتْ وجهاً أنابَتْ مُدِلّةً كذاتِ الهوى بالمِشفرَينِ لَعوبُ

كما انقضَبَتْ كَدْراءُ تسقي فِراخَها بشَمْظَةَ رِفْهاً والمياهُ شُعوبُ

غدَتْ لمْ تَصعَّدْ في السماءِ وتحتَها إذا نظرَتْ أُهْوِيَّةٌ وصُبوبُ

قرينةُ سبْعٍ إنْ تواتَرْنَ مرّةً ضربْنَ فصدَّتْ أرْؤُسٌ وجُنوبُ

ثمانٍ بأستارِينَ ما زِدنَ عِدّةً غدَوْنَ قُراناً ما لهنَّ جَنيبُ
وقعْنَ بجُوفِ الماءِ ثُمَّتَ صوتَّتْ بهنَّ قَلْولاةُ الغُدوِّ ضَريبُ
على أحوذِيَّيْنِ استقلَّتْ عليهما نجاةٌ تَبدّا تارةً وتَغيبُ
فجاءَتْ وما جاءَ القَطا ثمَّ شمَّرتْ لمَفْحَصِها والوارداتُ تَلوبُ
فجاءَتْ ومَسقاها الذي وردَتْ بهِ إلى الزَّورِ مدودُ الوثاقِ كَتيبُ
تَغيثُ بهِ زُغْباً مساكينَ دونَها مَلاً ما تخطّاهُ العيونُ رَغيبُ
جعلْنَ لها حزناً بأرضٍ تَنوفةٍ فما هيَ إلاّ نهلةٌ فوُثوبُ
تَواطَنَّ تَوطينَ الرِّهانِ وقلَّصَتْ بهنَّ سَرَنْداةُ الغُدوِّ سُروبُ

وقال حميد بن ثور:

وأغبرَ تُمسي العيسُ قبلَ تَمامِها تَهادى بهِ التُّرْبَ الرياحُ الزَّعازِعُ

يظلُّ بهِ فرْخُ القطاةِ كأنّهُ يتيمٌ جفَتْ عنهُ المراضيعُ راضِعُ
ومُرْئِلَةٍ تهدي رِئالاً كأنّها مُخرَّبَةٌ خُرْسٌ عليها المَدارِعُ
وأُمّاتِ أطلاءٍ صغارٍ كأنّها دَماليجُ يجلوها تَشقُّقٌ بائعُ
وأزهَرَ يعتادُ الكِناسَ كأنّهُ إذا لاحَ دَرِّيٌّ معَ الفجرِ طالعُ
تَعسَّفتْهُ بالقومِ فانتصبَتْ لهُ بأعناقِهنَّ اليَعملاتُ الشَّعاشِعُ
مَليعٌ ترى للآلِ فوقَ حِدابِهِ سَبائبَ لم تنسجْ بهنَّ وشائعُ
نهَزْنَ بأيديهنَّ فانتصبَتْ بها بَراطيلُ فانقادَتْ إليها الأخادِعُ
إذا أصبحَتْ من ليلةِ الخِمْسِ عنَّسَتْ مَراقيلُ أَلْحَيْها لهنَّ قَعاقِعُ
جزى اللهُ عنّا شَوْذَباً ما جزى بهِ زميلاً وشلَّتْ من يدَيهِ الأصابعُ
ووثبةُ لا حانَتْ منَ الدهرِ ساعةً بخيرٍ وصمَّتْ من أبيها المَسامعُ
ترى ربّةَ البَهْمِ الفِرارِ عشيّةً إذا ما غدا في بَهْمِها وهْوَ ضائعُ
تلومُ ولو كانَ ابْنها قنعَتْ بهِ إذا هَبَّ أرواحُ الشتاءِ الزعازِعُ
تظلُّ تُراعي الخُنْسَ حيثُ تيمَّمَتْ منَ الأرضِ ما يطلُعْ لهُ فهْوَ طالعُ

رأتْهُ فشكَّتْ وهْوَ أطحلُ مائلٌ	إلى الأرضِ مَثْنِيٌّ إليهِ الأكارعُ
طوى البطنَ إلاّ من مصيرٍ يَبُلُّهُ	دمُ الجوفِ أو سُؤْرٌ من الحوضِ ناقعُ
ترى طرفَيهِ يَعسِلانِ كِلاهما	كما اهتزَّ عُودُ الساسَمِ المُتتابعُ
إذا خافَ جَوراً من عدوٍّ رمَتْ بهِ	قُصايَتُهُ والجانبُ المُتواسعُ
وإنْ باتَ وحْشاً ليلةً لم يضقْ بها	ذراعاً ولمْ يصبحْ لها وهو خاشعُ
إذا احتلَّ حِضنْاً بلدةٍ طُرَّ منهُما	لأخرى خَفِيُّ الشخصِ للريحِ تابعُ
وإنْ حذرَتْ أرضٌ عليهِ فإنّهُ	بغرَّةِ أخرى طيِّبُ النفسِ قانعُ
ينامُ بإحدى مُقلتَيهِ ويتَّقي	المنايا بأخرى فهْوَ يقظانُ هاجعُ
إذا قامَ ألقى بُوعَهُ قَدْرَ طُولِهِ	ومدَّدَ منهُ صُلْبَهُ وهْوَ بائعُ
وفكَّكَ لَحيَيهِ فلمّا تَعادَيا	صأى ثمّ أقعى والبلادُ بَلاقعُ
إذا ما غزا يوماً رأيتَ ظِلالةً	منَ الطيرِ ينظُرنَ الذي هوَ صانعُ
وهَمَّ بأمرٍ ثمَّ أزمعَ غيرَهُ	وإنْ ضاقَ رزقٌ مرّةً فهْوَ واسعُ

نهشل بن حرِّيّ

وقال نهشل بن حرِّيّ بن ضمرة بن ضمرة بن جابر بن قطن بن نهشل بن دارم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم:

يخالجنَ أشطانَ الهوى كلَّ وجهةٍ	بذي السِّدرِ حتَّى خفتَ أنْ لنْ تريَّما
غرائرُ لم يتركنَ للنَّفسِ إذ علَوا	على الصُّهبِ تُحدى السَّيرَ روحاً وأعظُما
سراةَ الضُّحى ثمَّ استمرَّ حداتهمْ	على كلِّ موَّارِ الملاطينِ أخزما
على كلِّ حرِّ اللَّونِ صافٍ نجارهُ	يواهقُ جوناً ذا عثانينَ مكرما
إذا اجتهدَ الرُّكبانُ ذلَّتْ وسامحتْ	وإنْ قصَّروا عاجُوا سماماً مخزَّما
كأنَّ ظباءَ السِّيِّ أو عينَ عالجٍ	على العيرِ أو أبهى بهاءً وأفخما
كأنَّ غمامَ الصَّيفِ تحتَ خدورِها	جلا البرقَ عنْ أعطافهِ فتبسَّما
تهادينَ يومَ البينِ كلَّ تحيَّةٍ	وكيفَ التَّهادي بالودادةِ بعدَما
تفرقنَ عنْ أهوالِ أرضٍ مريضةٍ	ترى لونَها منَ المخافةِ أقتَما

فأصبحَ جمعُ القومِ شتّى ولمْ يكنْ يفرِّقُ إلاَّ ذا زهاءٍ عرمرما
كأنَّ بواديهم هلالَ بنَ عامرٍ وإنْ لم يكنْ إلاَّ حميماً أو ابنَ ما
كما انشقَّ وادٍ شعبتينِ كلاهُما يعارضُ عرنيناً من الرَّملِ أحزَما
تبيتُ لها الوجناءُ من رهبةِ الرَّدى بأقتابِها والسَّابحُ الطَّرفُ ملجَما
رَذايا بَغايا مقشعرّاً جنوبُها يغضُّونَ منْ أجراسِها أنْ تزغَّما
يغضُّونَ صوتَ العيسِ إلاَّ صريفَها وصوتَ الصِّريحيَّاتِ إلاَّ تحمحُما
بني قطنٍ إنِّي عبدتُ بيوتكمْ برهوةَ داراً أو أعزَّ وأكرَما

فلا تنزلُوا من رأسِ رهوةَ داركمْ إلى خربٍ لا تمسكُ السَّيلَ أثلَما
أناسٌ إذ حلَّتْ بوادٍ بيوتهمْ نفى الطَّيرَ حتَّى لا ترى الطَّيرُ مجثَما
تظلِّلُ منْ شمسِ النَّهارِ رماحهمْ إذا ركزَ القومُ الوشيجَ المقوَّما
ترى كلَّ لونِ الخيلِ وسطَ بيوتهمْ أبابيلَ تعدُو بالمتانِ وهيَّما
وذي عزَّةٍ أنذرنهُ من أمامهِ فلمَّا عصاني في المضاءِ تندَّما
فودَّ بضاحي جلدهِ لوْ أطاعني إذا زلَّ واعروْرى بهِ الأمرُ معظَما
وفرَّقَ بينَ الحيِّ بعدَ اجتماعهمْ مشائيمُ دقُّوا بينهمْ عطرَ منشما
غواةٌ كنيرانِ الحريقِ تسوقهُ شآميَّةٌ في حائلِ العربِ أصحَما
إذا ألهب من جانبٍ باخَ شرُّهُ ذكا لهبٌ من جانبٍ فتضرَّما
وفي النَّاسِ أذرابٌ إذا ما نهيتهمْ عنِ الشَّرِّ كالنُّشَّابِ ينزعُ مقدما
جزى اللهُ قومي منْ شفيعٍ وطالبٍ عنِ الأصلِ والجاني ربيعاً وأنعُما
ولوْ أنَّ قومي يقبَلِ المالُ منهمُ لمدُّوا النَّدى سيلاً إلى المجدِ مفعَما
لما عدموا منْ نهشلٍ ذا حفيظةٍ بصيراً بأخلاقِ امرئ الصِّدقِ خضرِما
حمولاً لأثقالِ العشيرَة بينَها إذا أجشموهُ باعَ مجدٍ تجشَّما
ولكنْ أبى قومٌ أصيبَ أخوهمُ رُقى النَّاس واختاروا على اللَّبنِ الدَّما
أرى قومَنا يبكونَ شجوَ نفوسهمْ وقدْ بعثُوا منَّا كذلكَ مأتَما

على فاجعٍ هدَّ العشيرةَ فقدهُ ... كرورٍ إذا ما فارسُ الشَّدِّ أحجَما

فإذا جلّتِ الأحداثُ وانشقّتِ العصا ... فولّى الإلهُ اللّومَ منْ كانَ ألوما

وقال هُشل أيضاً:

أجدَّكَ شاقتكَ الرُّسومُ الدوارسُ ... بجنبيْ قَساً قدْ غيَّرتْها الرَّوامِسُ

فلمْ يبقَ منها غيرُ نؤيٍ نباهُ ... منَ السَّيلِ العذارَى العوانسُ

وموقدُ نيرانٍ كأنَّ رسومَها ... بحولينِ بالقاعِ الجديدِ الطّيالِسُ

ليالِيَ إذْ سلمى بها لك جارةٌ ... وإذْ لمْ تخبِّرْ بالفراقِ العواطِسُ

ليالِيَ سلمى درَّةٌ عندَ غائصٍ ... تضيءُ لكَ الظَّلماءَ واللَّيلُ دامِسُ

تناولَها في لجَّة البحرِ بعدَما ... رأى الموتَ ثمَّ احتالَ حوتٌ مغامِسُ

فجاءَ بها يُعطي المنَى مِن ورائها ... ويأبَى فيُغليها على منْ يماكِسُ

إذا صدَّ عنها تاجرٌ جاءَ تاجرٌ ... مِن العجمِ مخشيٌّ عليهِ النَّقارِسُ

يسومونهُ خلدَ الحياةِ ودونَها ... بروجُ الرُّخامِ والأسودُ الحوارِسُ

وما روضةٌ مِن بطنِ فلجٍ تعاونتْ ... لها بالرَّبيعِ المدجِناتِ الرَّواجِسُ

حمتْها رماحُ الحربِ واعتمَّ نبتُها ... وأعشبَ ميثُ الجانبينِ الرَّوائِسُ

بأحسنَ من سلمى غداةَ انبرَى لنا ... بذاتِ الآزاءِ المرشقاتُ الأوانسُ

نواعمُ لا يسألنَ حيّاً ببثِّهِ ... عليهنَّ حليٌ كاملٌ وملابسُ

لنا إبلٌ لم نكتسبْها بغدرةٍ ... ولمْ يغنَ مولاها السِّنونُ الأحامِسُ

نحلِّئها عنْ جارنا وشريبِنا ... وإن صبَّحتنا وهي عوجٌ خوامِسُ

ويحبسُها في كلِّ يومِ كريهةٍ ... وللحقِّ في مالِ الكريمِ محابِسُ

وحتّى تريحَ الذَّمَّ والذَّمُّ يتَّقى ... ويروى بذاتِ الجمَّةِ المتغامِسُ

فتصبحُ يومَ الوردِ غلباً كأنَّها ... هضابُ شرورْى مسنفاتٌ قناعسُ

تساقطُ شفَّانَ الصَّبا عنْ متونِها ... لأكتافِها منَ الخميلِ برانسُ

تلبَّطُ ما بينَ الثَّماني وقلهبٍ ... بحيثُ تلاقى خمصةُ المتكاوِسُ

يصدُّ العدَى عنها فتوٌّ مساعرٌ ... وتركبُ عوفٌ دونَها ومقاعِسُ

بكلِّ طوالِ السَّاعدينِ شمردلٍ غلا جسمهُ واشتدَّ منهُ الأباخِسُ
بأيديهم في كلِّ يومٍ كريهةٍ على الأعوجِياتِ الرِّماحُ المداعِسُ

وقال هُشل يرثي أخاه مالكاً، وهو المخوَّل:

ذكرتُ أخي المخوَّلَ بعدَ يأسٍ فهاجَ عليَّ ذكراهُ اشتياقي
فلا أنْسى أخي ما دمتُ حيّاً وإخواني بأقريةِ العناقِ

فوارسُنا بدار وذي قساءٍ وأيسارَ الهريَّةِ والطِّراقِ
يجرُّونَ العضال إلى الندامى بروض الحزن من كنفي أفاق
ويغلون السِّباءَ إذا لقوهُ بربع الخيلِ والشَّولِ الحقاقِ
إذا اتَّصلوا وقالوا يالَ غرفٍ وراحُوا في المحبَّرةِ الرِّقاقِ
أجابكَ كلُّ أروعَ شمّريٌّ رخيُّ البالِ منطلقُ الخناقِ
أناسٌ صالحونَ نشأتُ فيهمْ فأودَوا بعدَ إلفٍ واتِّساقِ
مضَوا لسبيلهمْ ولبثتُ عنهمْ ولكنْ لا محالةَ من لحاقِ
كذي الأُلاَّفِ إذ أدلجنَ عنهُ فحنَّ ولا يتوقُ إلى متاقِ
أرى الدُّنيا ونحنُ نعيثُ فيها مولِّيةً تهيَّأُ لانطلاقِ
أعاذلَ قدْ بقيتُ بقاءَ نفسٍ وما حيٌّ على الدُّنيا بباقِ
كأنَّ الشَّيبَ والأحداثَ تجري إلى نفسِ الفتى فرسا سباقِ
فإمَّا الشَّيبُ يدركهُ وإمَّا يُلاقي حتفهُ فيما يُلاقي
فإنْ تك لمَّتي بالشَّيبِ أمستْ شميطَ اللَّونِ واضحةَ المشاقِ
فقدْ أغدو بداجيةٍ أُربِّي بها المتطلِّعاتِ منَ الرِّواقِ
إليَّ كأنَّهنَّ ظباءُ قفرٍ برهبَى أوْ بباعجتيْ فتاقِ
وقدْ تلهُو إليَّ منعَّماتٌ سواجي الطَّرفِ بالنَّظرِ البراقِ
يُرامقنَ الجبالَ بغيرِ وصلٍ وليسَ وصال حبلي بالرِّماقِ
وعهدُ الغانياتِ كعهدِ قينٍ ونتْ عنهُ الجعائلُ مستذاقِ

كجلبِ السَّوءِ يعجبُ مَن رآهُ ... ولا يشفي الحوائمَ مِنْ لماقِ

فلا يبعدْ مضائي في الميامي ... وإشرافي العلايةَ وانْصفاقي

وغبراءَ القتامِ جلوتُ عنِّي ... بعجْلى الطَّرفِ سالمةَ المآقي

وقد طوَّفتُ في الآفاقِ حتَّى ... سئمتُ النَّصَّ بالقلصِ العتاقِ

هبطتُ السَّيلحينِ وذاتَ عرقٍ ... وأوردتُ المطيَّ عُلى حذاقِ

وكمْ قاسيتُ من سنَةٍ جمادٍ ... تعصُّ اللَّحمَ ما دونَ العُراقِ

إذا أفنيتُها بدِّلتُ أُخرى ... أعدُّ شهورها عددَ الأواقي

فأفنتْني السّنون وليسَ تفنَى ... وتعدادُ الأهلَّةِ والمحاقِ

وما سبقَ الحوادثَ ليثُ غابٍ ... يجرُّ لعرسهِ جزرَ الرِّفاقِ

كميتٌ تعجزُ الحلفاءُ عنهُ ... كبغلِ المرجِ حطَّ منَ الزّناقِ

تنازعهُ الفريسةَ أمُّ شبلٍ ... عبوسُ الوجهِ فاحشةُ العناقِ

ولا بطلٌ تفادَى الخيلَ منُ ... فرارَ الطَّيرِ من بردٍ بعاقِ

كريمٌ مِن خزيمةَ أو تميمٍ ... أغرُّ على مسافعةٍ مزاقِ

فذلكَ إنْ تخطأهُ المنايا ... فكيفَ يقيهِ طولَ الدَّهرِ واقِ

وقال نهشل حين هرب إلى بني سعد بن زيد مناة لما جدعوا أذن نهيك بن الحارث بن نهيك:

سمتْ لكَ حاجةٌ منْ حبِّ سلمى ... وصحبكَ بينَ عروَى والطُّواحِ

فبتُّ كذي اللَّذاذةِ خالستهُ ... فراتُ المزجِ عاليةُ الرِّباحِ

سَباها تاجرٌ منْ أذرعاتِ ... بأغلاءِ العطيَّةِ والسَّماحِ

ولستَ بعازفٍ عن ذكرِ سلمى ... وقلبكَ عن تماضرَ غيرُ صاحِ

تبسَّمُ عنْ حصَى بردٍ عذابٍ ... أغرَّ كأنَّهُ نورُ الأقاحي

إذا ما ذقتهُ عسلٌ مصفَّى ... جنتهُ النَّحلُ في علمٍ شناحِ

وقدْ قطعتْ تماضرُ بطنَ قوٍّ ... يمانيةَ التَّهجُّرِ والرَّواحِ

كأنَّ حمولَها لمَّا استقلَّت ... بذي الأحزابِ أسفلَ منْ نساحِ

خلايا زنبريٍّ عابراتٍ ... عَدَوْلى عامداتٍ للقراحِ

كأنَّ منازلاً بالفأوِ منها ... مدادُ معلّمٍ يتلوهُ واحي
وما يومٌ تحيِّيهِ سليمى ... بخبراءِ البجادةِ أوْ صباحِ
بمسؤومٍ زيارتهُ طويلٍ ... ولا نحسٍ منَ الأيَّامِ ضاحي
وما أدماءُ مولفةٌ سلاماً ... وسدراً بينَ تنهيةٍ وراحِ
تضمَّنها مساربُ ذي قساءٍ ... مكانَ النَّصلِ منْ بدنِ السِّلاحِ
بأحسنَ من تماضرَ يومَ قامتْ ... تودِّعنا لبينٍ فانسراحِ
ألا أبلغْ بني قطنٍ رسولاً ... كلامَ أخٍ يعاتبُ غير لاحِ
فما فارقتهمْ حتَّى أظنُّوا ... وبيَّنَ منْ شواكلهمْ نواحي

وما تُخلى لكمْ إبلي إذا ما ... رعتْ قطمانَ أو كنفيْ ركاحِ
ولمْ تحمُوا على نعمِ ابنِ سؤرٍ ... صوامَ إلى أذيرعَ فاللِّياحِ
فما لهمُ بمرتعهِ مندًّى ... ولا بحياضهِ أدنى نضاحِ
تشمَّسَ دونها عوفُ بن كعبٍ ... ببيضِ المشرفيَّةِ والرِّماحِ
وآل مقاعسٍ لمْ يخذلُوها ... على حربٍ أُريدَ ولا صلاحِ
وينصرُها منَ الأبناءِ جمعٌ ... حماةُ الحربِ مكروهُو النّطاحِ
وباني المجد حمّانُ بنُ كعبٍ ... وباني المجد وكِّلَ بالنَّجاحِ
وإنْ أدعُ الأجاربَ ينجدُوني ... بجمعٍ لا يهدُّ منَ الصِّياحِ
أولئكَ والدي وعرفتُ منهمْ ... مكاني غيرَ مؤتشبِ المراحِ
تقادُ وراءها بينَ الشَّماني ... وبصوةَ كلُّ سلهبةٍ وقاحِ
وكلُّ طمرَّةٍ شنجٍ نساها ... وعجلَى الشَّدِّ صادقة المراحِ
إذا اضطربَ الحزامُ على حشاها ... منَ الأعمالِ مضطربَ الوشاحِ
وخنذيذٍ تصيدُ الرُّبدَ عفواً ... وقبَّ الأخدَريَّةِ في الصَّباحِ
كأنَّ مجالهنَّ ببطنِ رهبَى ... إلى قطمانَ آثارُ السِّلاحِ
كأنَّ ورائدُ المهراتِ فيهمْ ... جواري السِّندِ مرسلةَ السِّباحِ

كأنَّ الشَّاحجاتِ ببطنِ رهبَى | لدى قنَّاصها بدنُ الأضاحي
فمنْ يعملْ إلينا قرضَ صدقٍ | على حينِ التَّكشُّفِ والشِّياحِ
يجدهُ حينَ يكشفُ عنْ ثراهُ | كذخرِ السَّمنِ في الأدمِ الصحّاحِ
ومنْ يعملْ بغشٍّ لا يضرنا | وتأخذهُ الدَّوائرُ بالجناحِ

وقال نهشل أيضاً:

رأتْني ابنةُ الكلبيِّ أقصرَ باطلِي | وكادتْ ندامَى رائدِ الخيلِ تنزفُ
وأصبحَ أخدانِي كأنَّ رؤوسهمْ | حماطُ شتاءٍ بعدَ نبتٍ منصَّفُ
وقدْ كنتُ بالبيدِ القليلِ أنيسُها | أقوفُ وأمضي قبلَ منْ يتقوَّفُ
فأصبحتُ ممَّا يحدثُ الدَّهرُ للفتى | أقصُّ العلاماتِ التي كنتُ أعرفُ
إذا ما رأتْ يوماً مطيَّةَ راكبٍ | تبصِّرُ من جيرانِها أو تكوِّفُ
تقولُ ارتحلْ إنَّ المكاسبَ جمَّةٌ | فقلتُ لها إنِّي امرؤٌ أتعفَّفُ
وأرجو عطاءَ اللهِ من كلِّ جانبٍ | وينفعُني المالُ الذي أتسخَّفُ
وأبغضُ إرقاصاً إلى ربِّ دارهِ | لئيمٌ له كتَّانتانِ ومطرفُ
تجبَّرَ مالاً بعدَ لؤمٍ ودقَّةٍ | كما شدَّ بالشَّعبِ الإناءُ المكتَّفُ
كمستمسكٍ بالحبلِ لولا اعتصامهُ | إذنْ لترامَاهُ من الجولِ نفنفُ
ينامُ الضُّحى حتَّى يطولَ رقادهُ | ويقصرُ ستراً دونَ منْ يتضيَّفُ
يكونُ على الدِّيوانِ عبئاً وباعهُ | قصيرٌ كإبهامِ النَّغاشيِّ أجدفُ
وإنْ أُنزلَ الخدَّامُ يوماً لضيعةٍ | يقالُ لهُ انزلْ عنْ حماركَ أقلفُ
وإنْ أيَّهُ القومُ الكرامُ أجابهُ | بجرجَيْهِ موشيُّ الأكارعِ موكفُ
على تكآتٍ من وسائدَ تحتَها | سريرٌ كأنقاءِ النَّعامةِ يرجفُ
فلأياً بلأيٍ ما يكلِّمُ ضيفهُ | لحينٍ ولا تلكَ المطيَّةِ تعلفُ
فيعطي قليلاً أو يكونُ عطاءهُ | مواعدَ بخلٍ دونَها البابُ يصرفُ
رصادَ سحوقِ النَّخلِ يرصدُ حجَّةً | ودونَ ثراها ليفُها المتليِّفُ
وإنَّ لنا من نعمةِ اللهِ هجمةً | يهدهدُ فيها ذو مناكبَ أكلفُ

طويلُ القرا خاظي البضيعِ كأنَّما ... غذتهُ ديافٌ والقصيلُ المقطَّفُ
إذا بيَّتتهُ الرِّيحُ يُنبي سقيطَها ... خبائرهُ كأنَّما هي قرطفُ
يمشِّي عليها يرفئيٌّ كأنَّهُ ... ظليمٌ بصحراءِ الأباتمِ أصدفُ
ونجديَّةٌ حوٌّ كأنَّ ضروعَها ... أداوى سقاها منْ جلاميدَ مخلفُ
وجرداءُ من آلِ الصِّريح كأنَّها ... قناةٌ براها مستجيدٌ مثقِّفُ
وفتيانُ صدقٍ من عطيَّةِ ربِّنا ... بمثلهمْ نأبى الظَّلامَ ونأنفُ
وجرثومةٌ من عزٍّ غرفٍ ومالكٍ ... يفاعُ إليها نستفيدُ ونسلفُ
ولكنْ ليالينا ببرقةِ بَرملٍ ... وهضبِ شرورْى دوننَا لا تصدَّفُ
ليالِي ما لي غامرٌ لعيالها ... وإذا أنا برّاقُ العشيَّاتِ أهيفُ

إليها ولكنْ لا تدومُ خليقةٌ ... لمنْ في ذراعيهِ وشومٌ وأوقفُ
وداويَّةٍ بينَ المياهِ وبينَها ... مجالٌ عريضٌ للرِّياحِ وموقفُ
قطعتُ إلى معروفِها منكراتِها ... بعيرانةٍ فيها هبابٌ وعجرفُ
هجانٌ تبزُّ العفرَ فيءَ ظلالِها ... وتذعرُ أسرابَ القطا يتصيَّفُ
كأنِّي على طاوي الحشا باتَ بينهُ ... وبينَ الصَّبا من رملِ خيفقَ أحقفُ
يشيمُ البروقَ اللاَّمعاتِ وفوقهُ ... منَ الحاذِ والأرطى كناسٌ مجوَّفُ
ومرَّتْ عليهِ ليلةٌ رجبيَّةٌ ... إذا مرَّ صوتٌ مرَّ آخرُ مردفُ
يكفُّ برَوقيهِ الغصونَ وينتحي ... بظلفيهِ في هارِ النَّقا يتقصَّفُ
كما بحثَ الحسيَ الكلابيَّ منهلٌ ... يثيرُ الحصى دونَ العيونِ ويغرفُ
كأنَّ جماناً ضيَّعتهُ سلوكهُ ... رضابُ النَّدى في روقهِ يتزلَّفُ
إذا ناطفُ الأرطاةِ فوقَ جبينهِ ... تحدَّرَ جلَّى أنجلُ العينِ أذلفُ
وأصبح موْليُّ النَّدى في مرادهِ ... على ثمرِ البركانِ والحاذِ ينطفُ
فلمَّا بدتْ في متنهِ الشَّمسُ غدوةً ... وأقلعَ دجنٌ ذو همائمَ أوطفُ
أظلَّتْ لهُ مسعورةً يبتغي بها ... لحومَ الهوادي ابْنا بريدٍ وأعرفُ

سلوقيَّةٌ حصٌّ كأنَّ عيونَها ... إذا حرِّبتْ جمرٌ بظلماءَ مسدفُ

تضرَّى بآذانِ الوحوشِ فكلُّها ... حفيفٌ كمرِّيخِ المناضلِ أعجفُ

فكرَّ برَوقيهِ كميٌّ مناجدُ ... يخلُّ صدورَ الهادياتِ ويخصفُ

فلمَّا رأى أربابَها قد دنَوا لهُ ... وأزهفَها بعضُ الذي كانَ يزهفُ

أجدَّ ولم يعقبْ كما انقضَّ كوكبٌ ... وذو الكربِ ينجو بعدَما يتكنفُ

وأصبح كالبرق اليماني ودونه ... حقوف وأنقاء من الرمل تعزفُ

وليلة نجوَى مرجحنٍّ ظلامُها ... حواملُها من خشيةِ الشَّرِّ دلَّفُ

مخوفٍ دواهيها يبيتُ نجيُّها ... كأنَّ عميداً بينَ ظهريهِ مدنفُ

إذا القومُ قالُوا مَن سعيدٌ بهذهِ ... غداةَ غدٍ أو مَن يلامُ ويصلفُ

هديتُ لمنجَى القومِ مِن غمزاتِها ... نجاءَ المعلَّى يستبينُ ويعطفُ

وقومٍ تمنَّوا باطلاً فرددتُهمْ ... وإنْ حرَّفوا أنيابهمْ وتلهَّفوا

إذا ما تمنَّوا منيةً كنتُ بينَهم ... وبينَ المُنى مثلَ الشَّجا يتحرَّفُ

وقال نهشل:

أرقتُ لبرقٍ بالعراقِ وصُحبتي ... بحجرٍ وما طيَّاتُ قومي من حجْرِ

وميضٍ كأنَّ الرَّيطَ في حجراتهِ ... إذا انشقَّ في غرٍّ غواربهُ زهْرِ

كما رمحتْ بلْقاءُ تحمي فلوَّها ... دجوجيَّةُ المتنينِ واضحةُ الخصْرِ

شموسٌ أنتْها الخيلُ من كلِّ جانبٍ ... بمرجٍ فراتيٍّ تحومُ على مهْرِ

فإنِّي وقومي إن رجعتُ إليهم ... كذي العلقِ آلى لا ينولُ ولا يشري

لويتُ لهمْ في الصّدرِ منِّي نصيحةً ... وودّاً كما تُلوى اليدانِ إلى النحْرِ

ألا أيُّهذا المؤتَلي إنَّ نهشلاً ... عصَوا قبلَ ما آليتُ ملكَ بني نصْرِ

فلمَّا غلبْنا الملكَ لا يقسرونَنا ... قسطْنا فأقبلنا منَ الهيلِ والبشْرِ

وصدَّ ابنُ ذي القرنينِ عنَّا ورهطهُ ... نسيرُ بما بينَ المشارقِ والقهْرِ

وقدْ علمتْ أعداؤنا أنَّ نهشلاً ... مصاليتُ حلاَّلو البيوتِ على الثَّغْرِ

نقيمُ على دارِ الحفاظِ بيوتَنا ... وإنْ قيلَ مرحاها نصبِّحُ أو تسري

لنا هضبةٌ صمَّاءُ من ركنِ مالكٍ وأسدُ كراءٍ لا تورّعُ بالزَّجْرِ
مداريهِ ما يُلقى بهِ أو مضيعةٍ أخوهمْ ولا يغضونَ عيناً على وتْرِ
همُ القومُ يبنونَ الفعالَ وينتمي إليهم مصابُ المالِ من عنتِ الدّهْرِ
ومنْ عدَّ مسعاةً فلا يكذبنَّها ولا يكُ كالأعمى يقولُ ولا يدري
ومستلحمٍ قد أنقذتهُ رماحُنا وقدْ كانَ منهُ الموتُ أقربَ من شبْرِ
دعانا فنجَّيناهُ في مشمخرَّةٍ معادةِ جيرانٍ تقلَّصُ بالغفْرِ
وجارٍ منعناهُ من الضيَّمِ والخنا وجيرانُ أقوامٍ بمدرجةِ الدَّهْرِ
إذا كنتَ جاراً لامرئٍ فارهبِ الخنا على عرضهِ إنَّ الخنا طرفُ الغدْرِ

وذدْ عنْ حماهُ ما عقدتَ حبالهُ بحبلكَ واسترهُ بما لكَ من سترِ
وخالي ابنُ جوَّاسٍ سعى سعيَ ماجدٍ فأدَّى إلى حيَّيْ قضاعة من بكْرِ
لعمري لقدْ أعطى ابنُ ضمرةَ مالهُ رفاقاً منَ الآفاقِ مختلفي النَّجْرِ
قرى مائةً أحمى لها ونفوسَها على حين لا يعطي الكريمُ ولا يقري
ألا إنَّ قومي راكزونَ رماحهمْ بما بينَ فلجٍ والمدينةِ من ثغْرِ
يذودونَ كلباً بالرِّماحِ وطيِّئاً وتغلبَ والصِّيدَ النَّواظرَ من بكْرِ
ألا إنَّ قومي لا يجنُّ بيوتهمْ مضيقٌ منَ الوادي إلى جبلٍ وعْرِ
ونحنُ منعْنا بالتَّناضبِ قومَنا وبتْنا على نارٍ تحرَّقُ كالفجْرِ
تضيءُ على القومِ الكرامِ وجوههمْ طوالُ الهوادي من واردٍ ومنِ شقْرِ
نقائذَ أمثالَ القنا أعوجيَّةً وجرداً تُداوى بالغريضِ وبالنَّقْرِ
نعوِّدها الأقدامَ في كلِّ غمرةٍ وكرّاً بأيدٍ لا قصارٍ ولا عسْرِ
ويومٍ كأنَّ المصطلينَ بحرِّهِ وإنْ لم تكنْ نارٌ قيامٌ على الجمْرِ
صبرْنا لهُ حتَّى يريحَ وإنَّما تفرَّجُ أيامُ الكريهةِ بالصَّبْرِ
كأن رماح القوم في غمراته نواشط فراط نواضح في بئرِ
ونحنُ فليْنا لابنِ طيبةَ رأسهُ على مفرقِ الغالي بأبيضَ ذي أثْرِ

ونحنُ خضبْنا للخطيمِ قميصهُ	بداميةٍ نجلاءَ من واضحِ النَّحْرِ
وحيَّ سليطٍ قد صبحْنا ووائلاً	صبوحُ منايا غيرَ ماءٍ ولا خمْرِ
وليلةَ زيدِ الخيلِ نالتْ جيادُنا	مُناها وحظّاً من أُسارى ومن ثأرِ
ونحنُ ثأرْنا من سميٍّ ورهطِه	وظبيانَ ما في حيِّ ظبيانَ من وتْرِ
وقاظَ ابنُ ذي الجدَّينِ وسط بيوتِنا	وكرشاءَ في الأغلالِ والحلقِ السُّمْرِ
ونحنُ حبسْنا الخيلَ أن يتأوَّبوا	على شجعاتٍ والجيادُ بنا تجري
حبسناهمْ حتَّى أقرُّوا بحكمِنا	وأُدِّي أثقالُ الخميسِ إلى صخْرِ
أبي فارسُ الجونينِ قدْ تعلمونهُ	ويومَ خفافٍ سارَ في لجبٍ مجْرِ
ونحنُ رأيْنا بينَ عمرٍو ومالكٍ	كما شدَّ أعضادُ المهيضةِ بالجبْرِ
مئينَ ثلاثاً بعدما انشقت العصا	وقد أُسلم الجاني وأتعبَ ذو الوفرِ
ولما رأى السَّاعونَ زلخاً مزلَّةً	وسدَّ الثَّنايا غير مطَّلعٍ وعْرِ
نهضْنا بأثقالِ المئينَ فأصبحتْ	عشيرتُنا ما من خبالٍ ولا كسْرِ
بعرجٍ يصمُّ الرَّاعيينَ حنينهُ	ويجهدُ يومَ الوردِ ثائبةَ الجفْرِ
ومنَّا الذي أدَّى منَ الملكِ مازناً	جميعاً فنجَّاها من القتلِ والأسْرِ
ونحنُ حويْنا بالقنا يومَ عانطٍ	طريفاً ومولاها طريفَ بني عمرِو
ومولًى تداركناهُ من سوءِ صرعةٍ	وقد قذفتْهُ الحربُ في لججٍ خضْرِ
كما انتاشَ مغموراً من الموتِ سابحٌ	بأسبابِ صدقٍ لا ضعافٍ ولا بتْرِ
لنا هضبةٌ صمَّاءُ من صلبِ مالكٍ	وأُسدُ فراءٍ لا توزَّعُ بالزَّجْرِ
إذا نهشلٌ ثابتْ إليَّ فما بنا	إلى أحدٍ إلاَّ إلى الله من فقْرِ
يعارضُ أرواحَ الشّتآنِ جابرٌ	إذا أقبلتْ من نحوِ حورانَ أو مصْرِ
وقد علمتْ جمخُ القبائلِ أنَّني	إذا ما رميتُ القومَ أُسمعُ ذا الوقْرِ
برجمٍ قوافٍ تخرجُ الخبءَ في الصَّفا	وتنزلُ بيضاتِ الأُنوقِ منَ الوكْرِ

وقال نهشل يرثي كثير بن الصَّلت الكندي، وكتبتها لجودتها، وهي قطعة و لم أدخلها في القصائد لأن شرطي القصائد:

حلفتُ فلمْ افجرْ بحيثُ ترقرقتْ ... دماءُ الهدايا من منًى وثبيرِ
لنعمَ الفتى عالَى بنو الصَّلت نعشهُ ... وأكفانهُ يخفقنَ فوقَ سريرِ
كأنَّكَ يا بنَ الصَّلتِ لم تحمِ مجحراً ... مضافاً ولمْ تجبرْ فناءَ فقيرِ
ولمْ تقضِ حاجاتِ الوفودِ ولم تقلْ ... لبيضِ مصاليتَ ارحلُوا بهجيرِ
رأى في المطايا ذاتَ أشعبَ تامكٍ ... فكاستْ برجلٍ في المناخِ عقيرِ
فظلَّتْ عتاقُ الطَّيرِ تعفو مناخةً ... على سقطٍ من لحمِها وبقيرِ

فليتَ المطايا كنَّ عرِّينَ بعدهُ ... ولمْ تُطلب الحاجاتُ بعدَ كثيرِ

عمرو بن شأس

وقال عمرو بن شأس بن عبيد بن ثعلبة بن ذويبة بن مالك بن الحارث بن سعد ابن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار:

لا همَّ ربَّ النَّاسِ إنْ كذبتْ ... ليلى فعرَّ بثدْيها ثكْلُ
إنِّي صرمتهمْ وما صرمَوا ... لا بلْ لكلِّ إخائهم دخْلُ
ليسَ الإخاءُ إذا اتَّبعتَ بأنْ ... يُقصى الخليلُ ويحرمُ السُّؤْلُ
فاقطعْ بلادهمْ بناجيةٍ ... كالسَّيفِ زايلَ غمدهُ النَّصْلُ
تعدو إذا تلعَ النَّهارُ كما ... قطعَ الجفاجفَ خاضبٌ هقْلُ
حمشُ المشاشِ عفارهُ لمعٌ ... قردٌ كأنَّ جرانهُ حبْلُ
وكأنَّما بمخطِّ منسمهِ ... من خلفهِ من خفِّهِ نعْلُ
تهدي الرِّكابَ إذا الرِّكابُ علتْ ... موراً كأنَّ جديدهُ سحْلُ
فانظرْ خليلي هلْ ترى ظعناً ... كالدَّومِ أو أشباهِها الأثْلُ
ينظرنَ من خللِ الخدورِ كما ... نظرتْ دوامجُ أيكةٍ كحْلُ
فيهنَّ جازيةٌ إذا بغمتْ ... تخشى السِّباعَ غذا لها طفْلُ
نحنُ الذينَ لحلْمنا فضلٌ ... قدماً وعندَ خطيبنا فصْلُ
وإذا نطاوعُ أمرَ سادَتنا ... لمْ يردِنا عجزٌ ولا بخْلُ

ولنا منَ الأرضينِ رابيةٌ تعلو الإكامَ وقودُها جزْلُ

ولنا إذا ارتحلتْ عشيرتُنا رحلٌ ونحنُ لرحلِنا أهْلُ

نعلو بهِ صدرَ البعيرِ ولمْ يوجدْ لنا في قومِنا كفْلُ

ولنا روايا يحملونَ لنا أثقالَنا إذْ يكرهُ الحمْلُ

ولنا فوارسُ يركبونَ لنا في الرَّوعِ لا ميلٌ ولا عزْلُ

متقاربٌ أطنابُ دورِهم زهرٌ إذا ما صرَّحتْ كحْلُ

المطعمونَ إذا النُّجومُ خوتْ وأحاطَ بالمتوحِّدِ المحْلُ

ندعو الدَّنيَّةَ أنْ تحلَّ بنا ونشدُّ حينَ تعاورَ النَّبْلُ

أمثالهمْ من خيرِ قومهمِ حسباً وكلُّ أرُومهمْ مثْلُ

لسنا نموتُ على مضاجعِنا باللَّيلِ بلْ أدواؤنا القتْلُ

وقال عمرو بن شأس:

متى تعرفِ العينانِ أطلالَ دمنةٍ لليلى بأعلى ذي معاركَ تدمَعا

على النَّحرِ والسِّربالِ حتَّى تبلَّهُ سجومٌ ولمْ تجزعْ إلى الدَّارِ مجزَعا

خليلي عوجا اليوم نقض لبانة وإلا تعوجا اليوم لا ننطلق معا

وإن تنظراني اليوم أتبعكما غداً قياد الجنيب أو أذل وأطوعا

وقد زعما أن قد أملَّ عليهما ثوائي وقيلي كلما ارتحلا أربعا

وما لبثةٌ في الحيِّ يوماً وليلةً بكافيكَ عمَّا قلتَ صيفاً ومربَعا

فجودا لليلى بالكرامة منكُما وما شئتُما أنْ تمنعا بعدُ فامنَعا

وما زالَ يُزجي حبُّ ليلى أمامهُ وليدينِ حتَّى عمرُنا قدْ تسعسَعا

تذكَّرتُ ليلى والمطيُّ كأنَّها قطا منهلٍ أمَّ القطاطَ فلعلَعا

تراهنَّ بالرُّكبانِ عن ليلةِ السُّرى عواسرَ يذعرنَ الشَّبوبَ المولَّعا

إذا هبطتْ خرقاً عليهِ غباوةٌ ركضنَ دقاقاً لبطُها قدْ تسلَّعا

وما جابةُ القرنينِ أدماءُ مُخرفٌ ترعَّى بذي نخلٍ شعاباً وأفرعا

بأبعدَ من ليلى نوالاً فلا تكنْ بذكراك شيئاً لا يواتيك مولعا

بني أسدٍ هلْ تعلمونَ بلاءنا إذا كانَ يومٌ ذا كواكبَ أشنعا

إذا كانتِ الحوُّ الطِّوالُ كأنَّما كساها السِّلاحُ الأرجوانُ المضلَّعا

نذودُ الملوكَ عنكمُ وتذودُنا إلى الموتِ حتَّى يضبعوا ثمَّ نضبعا

وغسّانَ حتَّى أسلمتْ سرواتنا عديّاً وكانَ الموتُ في حيثُ أوقعا

ومن حجرٍ قد أمكنتكمْ رماحنا وقد سارَ حولاً في معدٍّ وأوضعا

وكائنْ رددنا عنكمُ من متوَّجٍ يجيءُ أمامَ الألفِ يردي مقنَّعا

ضربنا يديهِ بالسُّيوفِ ورأسهُ غداةَ الوغى في النَّقعِ حتَّى تكنَّعا

بكلِّ رفيقِ الشَّفرتينِ مهنَّدٍ حميدٍ إذا ما ماطرُ الموتِ أقلعا

وقال عمرو بن شأسٍ:

أتصرمُ لهواً أمْ تُجدُّ لها وصلا وما صرمتْ لهوٌ لذي خلَّةٍ حبْلا

وما الوصلُ من لهوٍ بباقٍ جديدهُ ولا صائرٍ إلاَّ المواعيدَ والمطْلا

أباحتْ فلاةً من حمى القلبِ لم تكنْ أُبيحتْ على عهدِ الشَّبابِ ولا كهْلا

فإنْ تكُ لهوٌ أقصدتكَ فإنَّها تريشُ وتبري لي إذا جئتها نبْلا

على أنَّني لم أبلُ قولاً علمتهُ لغانيةٍ إلاَّ وجدتُ له دخلا

وردَّ جواري الحيّ لما تحمَّلوا لبيْنهمِ منا مخيَّسةً بزْلا

فتبَّعْتُ عينيَّ الحمولَ صبابةً وشوقاً وقد جاوزنَ من عالجٍ رمْلا

رفعنَ غداةَ البينِ خزّاً ويُمنةً وأكسيةَ الدِّيباجِ مبطنةً خملا

على كلِّ فتْلاءِ الذِّراعينِ جسرةٍ تمرُّ على الحاذينِ ذا خصلٍ جثْلا

وأعْيسَ نضّاخِ المقذِّ مفرَّجٍ يخبُّ على الحزّانِ يضْطلعُ الحملا

تناضلُ أيديهما بمستدرجِ الحصى وإنْ عيجَ من أعناقها وبلتْ وبلا

ظعائنَ من ليثِ بن بكرٍ كأنَّها دُمى العينِ لم يخزينَ عمّاً ولا بعلا

هجانٌ إذا استيقظنَ من نومةِ الضُّحى قعدنَ فباشرنَ المساويكَ والكحلا

رعابيبُ يركضنَ المُروطَ كأنَّما يطأْنَ إذا أعنقنَ في جددٍ وحلا

ألا أيُّها المرءُ الذي ليسَ منصتاً ولا قائلاً إن قال حقَّاً ولا عدلا

إذا قلتَ فاعلمْ ما تقولُ ولا تكنْ ... كحاطبِ ليلٍ يجمعُ الدِّقَّ والجزلا
فلو طُفتَ بينَ الشَّرقِ والغربِ لم تجدْ ... لقومٍ على قومي ولو كرموا فضلا
أعزَّ وأمضى في الصَّباحِ فوارساً ... إذا الخيلُ جالتْ في أعنَّتها قبلا
إذا الشَّولُ راحتْ وهي حدبٌ حدابرٌ ... وهبَّتْ شمالاً حرجفاً تُحفرُ الفحلا
رأيتَ ذوي الحاجاتِ يتَّبعوننا ... نهينُ لهمْ في الحجرةِ المالِ والرِّسلا
نقيمُ بدارِ الحزمِ ليسَ مزيلُنا ... مقاساتنا فيها الشَّصائصَ والأزلا
لنا السَّورةُ العليا وأوّلُ شدَّةٍ ... إذا نحنُ لاقينا الفوارسَ والرَّجلا
نفينا سُليماً عن تهامةَ بالقنا ... وبالجردِ يمعلنَ السَّخاخَ بنا معلا
مضبَّرةً قبَّ البطونِ ترى لها ... متوناً طوالاً أُدمجتْ وشوًى عبلا
إذا امتُحنتْ بالقدِّ جاشتْ وأزبدتْ ... وإن راجعتْ تقريبها نقلتْ نقلا
بكلِّ فتًى رخو النِّجادِ سميدعٍ ... وأشيبَ لم يخلقْ جباناً ولا وغْلا
بأيديهمِ سمرٌ شدادٌ متونها ... من الخطِّ أو هنديَّةٌ أُحدثتْ صقلا
إذا ما فرغنا من قراعِ كتيبةٍ ... صرفنا إلى أخرى يكونُ لهمْ شغلا
وإن يأتنا ذو حاجةٍ يلفِ وسطنا ... مجالسَ ينفي فضلُ أحلامها الجهلا
تقولُ فنرضى قولها ونُعينها ... بقولٍ إذا ما أخطأ القائلُ الفصلا
مصاليتُ أيسارٌ إذا هبَّتِ الصَّبا ... نعفُّ ونغني عن عشيرتنا الثِّقلا
وعاذلةٍ هبَّتْ بليلٍ تلومني ... فلمّا غلتْ في اللَّومِ قلتُ لها مهلا
ذريني فإنَّني لا أرى الموتَ تاركاً ... بخيلاً ولا ذا جودةٍ ميِّتاً هزلا
متى ما أُصبْ دنيا فلستُ بكائنٍ ... عليها ولو أكثرتِ عاذلتي قُفلا
وماءٍ بموماةٍ قليلٍ أنيسهُ ... كأنَّ بهِ من لونِ عرمضهِ غسلا
حبستُ بهِ خوصاً أضرَّ بنيِّها ... سرى اللَّيلِ واستفنى لها البلدَ المحلا

وقال عمرو بن شأسٍ وكانت له امرأة من رهطه يقال لها أم حسان بنت الحارث، وكان له ابن من أمةٍ سوداء اسمه عرار، وكانت تعيره به، وتؤذي عراراً ويؤذيها ويشتمها. فقال فيها عمرو بن شأس، وقال ابن الأعرابي: قال هذه القصيدة في الإسلام وأدرك الإسلام، وهو شيخ كبير:

دِيارَ ابنةِ السَّعديِّ هندٍ تكلَّمي ... بدافعةِ الحومانِ والسَّلحِ من رمِمْ
لعمرُ ابنةِ السَّعديِّ إنِّي لأتَّقي ... خلائقَ تؤتى في الثَّراءِ وفي العدمْ
وقفتُ بها ولم أكنْ قبلُ أرتجي ... إذا الحبلُ من إحدى حبائبيَ انصرمْ
وإنِّي لمزرٍ بالمطيّ تنقُّلي ... عليهِ وإيقاعُ المهنَّدِ بالعصَمْ

وإنِّي لأعطي غثَّها وسمينها ... وأسري إذا ما الليلُ ذو الظُّلمةِ ادلهمْ
إذا الثَّلجُ أضحى في الدِّيارِ كأنَّهُ ... مناثرُ ملحٍ في السُّهولِ وفي الأكمْ
حذاراً على ما كانَ قدَّمَ والدي ... إذا روّحتهمْ حرجفٌ تطردُ الصِّرمْ
وأتركُ ندماني يجرُّ ثيابهُ ... وأوصالهُ من غيرِ جرحٍ ولا سقمْ
ولكنَّها من ريَّةٍ بعدَ ريَّةٍ ... معتَّقةٍ صهباءَ راووقُها رذمْ
من الغالياتِ من مدامٍ كأنَّها ... مذابحُ غزلانٍ يطيبُ بها النَّسمْ
وإذ إخوتي حولي وإذ أنا شامخٌ ... وإذ لا أطيعُ العاذلاتِ من الصَّممْ
ألمْ يأتها أنِّي صحوتُ وأنَّني ... تحلَّمتُ حتَّى ما أعارمُ من عرمْ
وأطرقتُ إطراقَ الشُّجاعِ ولو يرى ... مساغاً لنابيْه الشُّجاعُ لقدْ أزمْ
أرادت عراراً بالهوانِ ومن يردْ ... عراراً لعمري بالهوانِ فقدْ ظلمْ
فإن عراراً إن يكن غير واضح ... فإني أحبُّ الجون ذا المنكب العمم
فإنَّ عراراً إن يكن ذا شكيمةٍ ... تقاسينها منه فما أملكُ الشِّيمْ
فإنْ كنتِ منِّي أو تريدينَ صحبتي ... فكوني له كالسَّمنِ ربَّتْ له الأدمْ
وإلا فسيري مثلَ ما سارَ راكبٌ ... تيمَّمَ خمساً ليسَ في سيرهِ يتمْ
وقد علمتْ سعدٌ بأنِّي عميدها ... قديماً وإنِّي لستُ أهضمُ من هضمْ
خزيمةُ ردَّاني الفعالَ ومعشرٌ ... قديماً بنوا لي سورةَ المجدِ والكرمْ

وقال عمرو بن شأسٍ:

قفا تعرفا بينَ الرَّحى فقراقرٍ ... منازلَ قد أقوينَ من أمِّ نوفلِ
تهادتْ بها هوجُ الرِّياحِ كأنَّما ... أجلنَ الذي استودعنَ منها بمنخلِ

منازلُ يبكينَ الفتى فكأنَّما تسحُّ بغربيْ ناضحٍ فوق جدولِ

يسحّانِ ماءَ البئرِ عن ظهرِ شارفٍ بأمراسِ كتّانٍ وقدٍّ موصَّلِ

كما سال صفوانٌ بماءِ سحابةٍ علتْ رصفاً واستكرهتْ كلَّ محفلِ

تراءتْ لنا جنِّيَّةٌ في مجاسدٍ وثوبيْ حريرٍ فوقَ مرطٍ مرحَّلِ

وأهللتُ لما إنْ عرفتُ بأنَّهُ على الشَّحطِ طيفٌ من حبيبٍ مؤمّلِ

وحلَّتْ بأرضِ المنحنى ثمَّ أصعدتْ بعقدةَ أو حلَّتْ بأرضِ المكلَّلِ

يحلُّ بعرقٍ أو يحلُّ بعرعرٍ ففاءتْ مزارَ الزّائرِ المتدلِّلِ

وخرقٍ كأهدامِ العباءِ قطعتهُ بعيدَ النِّياطِ بينَ قُفٍّ وأرملِ

بناجيةٍ وجناءَ تستلبُ القطا أفاحيصهُ زجري إذا التفتتْ حلي

ونحنُ قعودٌ في الجلاميدِ بعدما مضى نصفُ ليلٍ بعدَ ليلٍ مليَّلِ

لقطنَ من الصَّحراءِ والقاعِ قُرزحاً له قبصٌ كأنها حبُّ فلفلِ

إذا صدرتْ عن منهلٍ بعدَ منهلٍ إلى منهلٍ تردي بأسمرَ معملِ

لها مقلتا وحشيَّةٍ أمِّ جؤذرٍ وأتلعُ نهّاضٌ مقلَّدُ جلجُلِ

إلى حاركٍ مثلِ الغبيطِ وتامكٍ على صلبها كأنَّهُ نصبُ مِجدلِ

وإنِّي لأشوي للصِّحابِ مطيَّتي إذا نزلوا وحشاً إلى غيرِ منزلِ

فباتوا شباعاً يدهنونَ قسيَّهمْ لهمْ مجلدٌ منها وعلَّقتُ أحبلي

وأضْحتْ على أعجازِ عوجٍ كأنَّها قسيُّ سراءٍ قُرِّمتْ لم تعطَّلِ

وعرجلةٍ مثلِ السُّيوفِ رددتها غداةَ الصَّباحِ بالكميّ المجدَّلِ

وأيسارِ صدقٍ قد أفدتُ جزورهمْ بذي أودٍ خبشِ المذاقة مسبلِ

حسّانُ الوجوهِ ما تذمُّ لحامهمْ إذا النّاسُ حلُّوا جزعَ حمضٍ مجذَّلِ

وألوتْ بريعانِ الكنيفِ وزعزعتْ رؤوسَ العضاه من نوافح شمألِ

ترى أثرَ العافينَ حولَ جفانهمْ كما اختلفتْ ورداً مناسمُ همَّلِ

على حوضِها بالجوِّ جوّ قُراقرٍ إذا رويتْ من منهلٍ لم تحوَّلِ

ألا تلكَ أخلاقُ الفتى قد أتيتها فلا تسألوني واسألوا كلَّ مُبتلي

غداةَ بني عبسٍ بنا إذ تنازلوا ... بكلِّ رقيق الحدِّ لم يتفلَّلِ
من الحيّ إذ هرَّتْ معدٌّ كتيبةً ... مُظاهرةً نسجَ الحديدِ المُسربلِ
إذا نزلتْ في دارِ حيٍّ برتهمُ ... وأحمتْ عليهمْ كلَّ مبدًى ومنهلِ

أقمنا لهمْ فيها سنابكَ خيلنا ... بضربٍ يفضُّ الدّارعينَ مُنكِّلِ
إلى اللَّيلِ حتَّى ما ترى غيرَ مسلمٍ ... قتيلٍ ومجموعِ اليدينِ مسلسلِ
ونحنُ قتلنا الأجدلينِ ومالكاً ... أبا منذرٍ والجمعُ لم يتزيَّلِ
وقُرصاً أزالتهُ الرِّماحُ كأنَّما ... ترامتْ به من حالقٍ فوقَ مهبلِ
وحُجراً قتلَنا عُنوةً فكأنَّما ... هوى من حفافيْ صعبةِ المتنزّلِ
فما أفلحتْ في الغزوِ كندةُ بعدها ... ولا أدركوا مثقالَ حبَّةِ خردلِ
سوى كلماتٍ من أغانيِّ شاعرٍ ... وقتلى تمنَّى قتلها لم تُقتَّلِ
ونحنُ قتلنا بالفراتِ وجزعهِ ... عديّاً فلمْ يكسر به عودُ حرملِ
فلم أرَ حيّاً مثلهمْ حينَ أقبلوا ... ولمْ أرَ حيّاً مثلنا أهلَ منزلِ
فقُلنا أقيموا إنَّهُ يومَ مأقطٍ ... قسيٌّ تبذُّ المُقرفينَ معضَّلِ
بأيديهمِ هنديَّةٌ تختلي الطُّلى ... كما فضَّ جاني حنظلٍ نضرَ حنظلِ
بكلِّ فتًى يعصى بكلِّ مهنَّدٍ ... ندٍ غير مبطان العشيّاتِ عثجلِ
كعجلِ الهجانِ الأدمِ ليسَ برمَّحٍ ... ولا شنجٍ كزِّ الأناملِ زمَّلِ
ومن لا تكنْ عاديَّةٌ يُهتدى بها ... لوالدهِ يُفخرْ عليه ويُفسلِ
عززنا فما للمجدِ من متحوّلٍ ... سوى أهلهِ من آخرينَ وأوَّلِ
وقد علمتْ عُليا معدٍّ بأنَّنا ... على الهولِ أهلُ الرّاكبِ المتغلغلِ

وقال عمرو بن شأسٍ:

تذكَّر حبَّ ليلى لاتَ حينا ... وأمسى الشَّيبُ قد قطعَ القرينا
تذكَّر حبُّها لا الدَّهرُ فانٍ ... ولا الحاجاتُ من ليلى قُضينا
وكانتْ نفسهُ فيها نفوساً ... إذا لاقيتها لا يشتفينا

وقد أبدتْ لهُ لو كان يصحو | عشيَّةَ عاقلٍ صرماً مُبينا
فإنْ صارمتني أو كان كونٌ | وأجدرْ بالحوادثِ أن تكونا
فلا تُمنيْ بمطروقٍ إذا ما | سرى في القومِ أصبحَ مُستكينا
يُطيعُ ولا يطاعُ ولا يبالي | أغثّاً كانَ حظُّكَ أم سمينا
ويُضحي في فنائكَ مُجلخدّاً | كما ألقيتَ بالمتنِ الوضينا
إذا اشتدَّ الشِّتاءُ على أُناسٍ | فلا قدحاً يدرُّ ولا لبونا
أبلِّي إن بللتِ بأرْيحيٍّ | من الشُّبّانِ لا يُضحي بطينا
يؤمُّ مخارماً بالقومِ قصداً | وهنَّ لغيرهِ لا يبتغينا
وخلتُ ظعائناً من آل ليلى | بجنبِ عُنيزةٍ أُصلاً سفينا
جآجئها تشقُّ اللُّجَّ عنها | ويبدي ماؤها خشباً دهينا
يؤمُّ بها الحداةُ مياهَ نخلٍ | ويُبدينَ المحاجرَ والعيونا
ظعائنُ لم يقمنَ إلى سبابٍ | ولم يعلمنَ من أهلٍ مهينا
إذا وضعتْ برودَ العصبِ عنها | حسبتَ كشوحها ريطاً مصونا
فإنّا ليلُ مذْ برئَ اللّيالي | بُرينا من سراةِ بني أبينا
فلا وأبيكِ ما ينفكُّ منّا | من السّاداتِ حظٌّ ما بقينا
ونحنُ إذا يريحُ اللَّيلُ أمراً | يهمُّ النّاسَ عصمةَ من يلينا
ونعمَ فوارسُ الهيجا إذا ما | رأينا الخيلَ ممسكةً عزينا
ومُرقصةٍ منعناها إذا ما | رأتْ دونَ المحافظةِ اليقينا
يذكِّرها إذا وهلتْ بنيها | ونحميها كما نحمي بنينا
إذا افترشَ العواليَ بالعوالي | وكان القومُ في الأبدانِ جونا
وقد علمتْ بنو أسدٍ بأنّا | نُطاعنُ بالرِّماحِ إذا لُقينا

وقال عمرو بن شأسٍ:

أتعرفُ منزلاً من آلِ ليلى | أبى بالثَّعلبيَّةِ أن يريما
أربَّ بها من الأرواحِ سافٍ | فغيَّرنَ المنازلَ والرُّسوما

فردًّا فيهِ طرفكُما تُبينا | لليلى منز لاً أقوى قديما
بواقيَ أبصرٍ ورمادَ دارٍ | وسعفاً في مناكبها جُثوما
وقد تغنى بها ليلى زماناً | عروباً تونقُ المرءَ الحليما
ليالِيَ تستبيكَ بجيدِ ريمٍ | وعينيْ جؤذرٍ يقرُو الصَّريما
وأنفٍ مثلِ عرقِ السَّامِ حرٍّ | وتسمعُ منطقاً منها رخيما
برَهرهةٌ يحارُ الطَّرفُ فيها | وتُبدي واضحاً فخماً وسيما

وتبسمُ عنْ شتيتِ النَّبتِ غرٍّ | عذابٍ تُبرئُ الدَّنفِ السَّقيما
تبذُّ الغانياتِ بكلِّ أرضٍ | إذا أخذتْ وشاحاً أو بَريما
وتملأُ عينَ مَن يلهُو إليها | ولستَ بواجدٍ فيها مَذيما
وإنَّا النَّازلونَ بكلِّ ثغرٍ | ولو لمْ تلقَه إلاَّ هَسيما
ترَى فيها الجيادَ مسوَّماتٍ | معَ الأبطالِ يعلكنَ الشَّكيما
وجمعاً مثلَ سلمى مكفهرّاً | تشبِّههمْ إذا اجتمعوا قُروما
بمثلِهمِ تُلاقي يومَ هيْجا | إذا لاقيتَ بأساً أو خُصوما
نفيْنا وائلاً عمَّا أرادتْ | وكانتْ لا تحاولُ أنْ تَريما

وقال عمرو بن شأس:

ألم تربعْ فتُخبركَ الرُّسومُ | على فرتاجَ والطَّللُ القديمُ
تحمَّلَ أهلُها وجرتْ عليها | رياحُ الصَّيفِ والسَّبطُ المديمُ
وندمانٍ يزيدُ الكأسَ طيباً | سقيتُ إذا تغوَّرتِ النُّجومُ
رفعتُ برأسهِ فكشفتُ عنهُ | بمعرقةٍ ملامةَ مَن يلومُ
ولمَّا إنْ تنبَّهَ قامَ خرقٌ | منَ الفتيانِ مختلقٌ هضومُ
إلى وجناءَ ناجيةٍ فكاستْ | وهَى العرقوبِ منها والصَّميمُ
فأشبعَ شربهُ وجرَى عليهمْ | بإبريقينِ كأسهُما رذومُ
تراها في الإناءِ لها حميًّا | كميتاً مثلَ ما فقعَ الأديمُ

ترنِّجُ شربَها حتَّى تراهمْ كأنَّ القومَ تنزِفهمْ كلومُ

فبتْنا بينَ ذاكَ وبينَ مسكٍ فيا عجَبي لعيشٍ لو يدومُ

نطوِّفُ ما نطوِّفُ ثمَّ يأوي ذوو الأموالِ منَّا والعديمُ

إلى حفرٍ أسافلُهنَّ جوفٌ وأعلاهنَّ صفَّاحٌ مقيمُ

وقمْنا والرِّكابُ مخيَّساتٌ إلى فتلٍ مرافقهنَّ كومُ

كأنَّا والرِّحالَ على صوارٍ برملِ جُرادَ أسلمَها الصَّريمُ

وقال عمرو بن شأس:

أتعرفُ مِن ليلى رسومَ معرَّسِ بلينَ وما يقدمْ بهِ العهدُ يدرسِ

وما ربُّ صرفٍ دنُّها حد خديَّةٌ تميتُ عظامَ الشَّاربِ المتكيِّسِ

يعادُ لها إبريقُها وزجاجُها بأنعمِ عيشٍ مِن شواءٍ وأكؤسِ

بأنعمِ منَّا ليلةً نزلتْ بنا تلمُّ وأُخرى ليلةً بالمغلَّسِ

تمضَّتْ إلينا لمْ يربِ عينَها القذى لكثرةِ نيرانٍ وظلماءِ حندسِ

وكائنْ رآها القلبُ أمَّ غزيِّلٍ كطوقِ الفتاةِ هالكٍ عندَ منعسِ

أطاعَ لها نبتٌ مِن المردِ يانعٌ ظليلُ المطافِ مِن مقيلٍ ومكنسِ

وخرقٍ يخافُ الرَّكبُ أنْ ينطقوا بهِ قطعتُ بفتلاءِ الذِّراعينِ عرمسِ

لها دولجٌ دوحٌ متى ما تنلْ بهِ مدى الغبِّ أوْ تربعْ بهِ الغدَ تخمسِ

يظلُّ يغنِّيهِ الحمامُ كأنَّهُ مآتمُ أنواحٍ لدى جنبِ مرمسِ

مروحٍ إذا جالتْ لصوتِ غضارةٍ منَ اللَّيلِ أو ريعتْ لنبأةِ هجرسِ

لها عجزٌ مثلُ الرِّتاجِ يزينُها إلى قردٍ ينْمي وليَّةَ محبسِ

وخطمٌ كبرطيلِ القيونِ ومشفرٌ خريعٌ كنعلِ السُّندسيِّ ابنِ أقوسِ

وعينٌ كمرآةِ الصَّناعِ وهامةٌ كجندلةِ الضَّبِّ الأصمِّ المجرّسِ

ترَى أثرَ الأنساعِ فيها كأنَّها مواتحُ قاعٍ ذي يبيسٍ وعضرسِ

تدقُّ الحصى بمجمراتٍ ومنسمٍ أصمَّ على عظمِ السُّلامى ملدَّسِ

بني أسدٍ هلْ تعلمونَ بلاءنا إذا كانَ يومٌ يستعانُ بأنفُسِ

قراعَ عدوٍّ أوْ دفاعَ عظيمةٍ إذا احتُضرتْ يعطى لها كلُّ منفسِ

لمختبطٍ منكمْ كأنَّ ثيابهُ نبشنَ لحولٍ أو ثيابِ مقدِّسِ

لهُ ولدةٌ سفعُ الوجوهِ كأنَّهمْ إذا اقتربوا منهُ جراءَ مقرقسِ

قطيفتهُ هدمٌ ومأواهُ غبَّةٌ إلى ولدةٍ دبرِ الحراقفِ بؤَّسِ

هنأناهنُ حتَّى تنادَوا لحالهمْ بمعتلجٍ كأنَّهُ لونُ سندسِ

ترَى زهرَ الحوذانِ حولَ رياضهِ يضيءُ كلونِ الأتحميِّ المورَّسِ

ومعتركٍ ضنكٍ بهِ قصدُ القنا شهدْنا فلمْ نعجزْ ولم نتدلَّسِ

وكأنَّ مجر الخيلِ أرسانَها بهِ مساقطُ أرماحِ القنا في معرَّسِ

إذا ركضَ الأبطالُ مِن خشيةِ الرَّدى كركضِ الغطاطِ في يدِ المتنمِّسِ

الكميت

وقال الكميت بن معروف بن الكميت بن ثعلبة الفقعسي:

أرى العينَ مذْ لمْ تلقَ ديلمَ راجعتْ هواها القديمَ في البُكا فهوَ دابُها

وما ذكرتْ إلاَّ أكفكفُ عبرةً بعينيَ منها ملؤُها أو قرابُها

دنتْ دنوةً مِن دارنا ثمَّ أصبحتْ بمنزلةٍ ناءٍ علينا منابُها

ولوْ كنتُ أرجو أنْ أنالَ كلامَها إذا جئتُ لمْ يبعدْ عليَّ طلابُها

وما عنْ قلًى هجرانُها غيرَ أنَّهُ عداني ارتقابي قومَها وارتقابُها

وإنِّي ليَعروني الحياءُ معَ الذي يُخامرني من ودِّها وأهابُها

وأعرضُ عنها والفؤادُ كأنَّما يصلَّى بنارٍ يعتريهِ التهابُها

فللّهِ نفسٌ كاذبتْني عنِ المُنى وعنْ ذكرِها والنَّفسُ جمٌّ كذابُها

ودرٌّ هوًى يومَ المنيفةِ قادَني لجاذبةِ الأقرانِ بادٍ خلابُها

إذا هيَ حلَّتْ بالفراتِ ودجلةٍ وحرَّةِ ليلى دونَ أهلي ولابُها

فليتِ حمامَ الطَّفِّ يرفعُ حاجَنا إليها ويأتينا بنجدٍ جوابُها

سلِ القلبَ يا بنَ القومِ ما هو صانعٌ   إذا نيَّةٌ حانتْ وخفَّتْ عقابُها
أتجزعُ بعدَ الحلمِ والشَّيبِ أنْ ترى   دجنَّةَ لهوٍ قدْ تجلَّى ضبابُها
ألا يا لقومٍ للخيالِ الذي سرَى   إليَّ ودُوني صارةٌ فعنابُها
سرى بعدَما غارَ السِّماكُ ودوننَا   مياهُ حصيدٍ عينُها فكثابُها
عسَى بعدَ هجرٍ أنْ يداني بيننَا   تصعُّدُ أيدي العيسِ ثمَّ انصبابُها
وجوبُ الفَيافي بالقلاصِ قدِ انطوتْ   ولا يقطعُ الموماةَ إلاَّ اجتيابُها
بكلِّ سبنْتاةٍ إذا الخمسُ ضمَّها   تقطِّعُ أضغانَ النَّواجي هبابُها
إذا وردتْ ماءً عنِ الخمسِ لمْ يكنْ   على الماءِ إلاَّ عرضُها وانجدابُها
وإن أوقدَ الحَرُّ الحزابيَّ فارْتقى   إلى كلِّ نشزٍ محزئلٍّ سرابُها
حدتْها توالٍ لاحقاتٌ وقدَّمتْ   هواديها أيدٍ سريعٌ ذهابُها
بهنَّ يُداني عرضُ كلِّ تنوفةٍ   يموتُ صدًى دونَ المياهِ غرابُها
وإنْ حلَّتِ الظَّلماءُ بالبيدِ واسْتوى   على مَن سرى بطنانُها وحدابُها
تخوَّضتُها حتَّى يفرِّجنَ غمَّها   وينجابُ عنْ أعناقهنَّ ثيابُها
يصافحنَ حدَّ الشَّمسِ كلَّ ظهيرةٍ   إذا الشَّمسُ فوقَ البيدِ ذابَ لعابُها
بجائلةٍ تحتَ الأحجَّةِ هجَّجتْ   إلى همعاتٍ مستظلٍّ حجابُها
تخطَّى بها الأهوالَ كلُّ شملَّةٍ   إذا عصبتْ عنِّي السَّديسينِ نابُها
تنيفُ برأسٍ في الزِّمامِ كأنَّهُ   قدومُ فؤوسٍ ماجَ فيها نصابُها

وقال الكميت أيضاً:

حيِّيا بالفراتِ رسماً محيلا   أذهبتهُ الرِّياحُ إلاَّ قليلا
أُسُّ نؤيٍ تثلَّمتْ عضداهُ   ورماداً أبدى خفيّاً ضئيلا
مثلُ فرخِ الحمامِ قدْ ذهَّبتهُ   عصفُ الرِّيح بكرةً وأصيلا
مرَّةً تعتَفيهِ ريحٌ جنوبٌ   ومراداً تهبُّ ريحاً شمولا
أيْ خليليَّ عرِّجا إنَّ هنداً   أصبحتْ تبتغي علينا الذُّحولا
زعمتْ أنَّني ذهلتُ وليتي   أستطيعُ الغداةَ عنها الذُّهولا

أكذبُ العالمينَ وأياً وعهداً
كاعبٌ ما تنِي تلوَّنَ غولا

يقصرُ الظِّلُّ والحجابُ عليها
لا ترومُ الخروجَ إلاَّ قليلا

ملأتْ كفَّها خضاباً وحلياً
ثمَّ أبدتْ لنا بناناً طفيلا

فترى لونَها نقيّاً بهيّاً
وترى طرفَها غضيضاً كحيلا

قلْ لهندٍ ولا أظنُّ ثواباً
عندَ هندٍ ولا عطاءً جزيلا

لمْ يدعْ بينكمُ غداةَ احتْملتمْ
من فراضَ الفراتِ لي معقولا

أذُرى النَّخلِ بالسَّوادِ رأينا
أم رأينا لآلِ هندٍ حمولا

رفعتْ بزَّها على بغلاتٍ
ينتقلنَ البلادَ ميلاً فميلا

فذرِ اللَّهوَ والتَّصابيَ وامدحْ
مَن يحبُّ النَّدى ويُعطي الجزيلا

بينَ زيدٍ وبينَ آلِ سعيدٍ
أُعطي الحلمَ منهمُ والقبولا

يا بنَ زيدٍ وأنتَ خيرُ قريشٍ
جمَّةً بعدَ نجدةٍ وحفيلا

أنت أدنتيني وسهلت حاجي
وجعلت الحزون منها السهولا

ورددتَ الغداةَ عُودي وريقاً
بعدَما كنتُ خفتُ منهُ الذُّبولا

فإذا ما فعلتَ أحسنتَ فعلاً
وإذا ما تقولُ أحسنتَ قيلا

وإذا ما يقالُ أيُّ خليلٍ
لامرئٍ بعدُ كنتَ أنتَ الخليلا

يكثرُ الجودُ والسَّماحُ إليهِ
ويردُّ الظَّلومَ عنهُ الجهولا

ووجدْنا سماحكم يا بنَ زيدٍ
فاضلاً للسَّماحِ عرضاً وطولا

أنتَ غيثٌ يعاشُ في كنفيهِ
حينَ تُمسي البلادُ جدباً محولا

وخليجٌ منَ الفراتِ إذا ما
أحمدَ الرَّائدُ الثُّمامَ الحميلا

وجوادٍ وهبتهُ وغلامٍ
ونجيبٍ ترَى عليهِ الشَّليلا

قدْ حبوتَ امرءاً أثابكَ مدحاً
ثمَّ زوَّدتهُ علاةً ذمُولا

وقال الكميت:

ألا يا لقومٍ أرَّقتْ أمُّ نوفلِ
وصحبي هجودٌ بينَ غيٍّ وغرَّبِ

وليلةَ فيْفا نخلتينِ طرقتِنا ونحنُ بوادٍ ذي أراكٍ وتنضبِ
فنبَّهتُ أصحابي فقامُوا على الكرى إلى ساهماتٍ في الأزمَّةِ لغَّبِ
وقمتُ إلى عيرانةٍ قدْ تخدَّدتْ وقاستْ يداها كلَّ خمسٍ مذبّبِ
فلمَّا استوتْ أقدامُنا وتمكَّنتْ إلى كلِّ غرزٍ بينَ دفٍّ ومنكبِ
قبصنَ بنا قبصَ النَّحائصِ راعَها توجُّسُ رامٍ خفنهُ عندَ مشربِ
فقلتُ لهمْ أمُّوا هدى القصدِ وارْفعوا بسيرٍ يدنِّي حاجةَ الرّكبِ مهذبِ
فأصبحنَ ينهضنَ الرِّحالَ وترْتمي رؤوسَ المهارَى باللُّغامِ المعصَّبِ
بصحراءَ مِن نجدٍ كأنَّ رعانَها رجالٌ قيامٌ في ملاءٍ مجوبِ
غداةَ يقولُ القومُ أكللتَ وانْبرى قوى العيسِ خمسٌ بعدَ خمسٍ عصبصبِ
إذا ما المهارَى بلَّغتنا بلادَها فبعدَ المهارَى مِن حسيرٍ ومتعبِ
خليليَّ من لا يعنِهِ الهمُّ لا يزلْ خليّاً ومَن يستحدثِ الشَّوقَ يطربِ
ومَن لا يزلْ يُرجى بغيبٍ إيابهُ ويرمي به الأطماعُ في الهولِ يشجبِ
وقفٍّ تظلُّ الرِّيحُ عاصفةً بهِ كأنَّ قراهُ في الضُّحى ظهرُ هوزبِ
شججتُ الصُّوى مِن رأسهِ أوْ خَرمتهُ بشعثٍ وأنقاضِ الوجيفِ المأوِّبِ
وقدْ وقفتْ شمسُ النَّهارِ وأوقدتْ ظهيرَتها ما بينَ شرقٍ ومغربِ
وديقةِ يومٍ ذي سمومٍ تنزَّلتْ بهِ الشَّمسُ في نجمٍ منَ القيظِ ملهبِ
وقدْ ظلَّ حرباءُ السَّمومِ كأنَّهُ ربيئةُ قومٍ ماثلٌ فوقَ مرقبِ
وفتيانِ صدقٍ قدْ بنيتُ عليهم خباءً كظلِّ الطَّائرِ المتقلِّبِ
قليلاً كتحليلِ القطا ثمَّ قلَّصتْ بنا طالباتُ الحقِّ من كلِّ مطلبِ
بدويَّةٍ لا يبلغُ القومُ منهلاً بها دونَ خمسٍ يتعبُ القومَ مطنبِ
قليلٍ بها الأصواتُ إلاَّ تفجُّعاً مِن الذِّئبِ أو صوتِ الصَّدى المتحوِّبِ
بها العينُ أرفاضاً كأنَّ سخالَها وقوفَ عذارَى سوقطتْ حولَ ملعبِ
وكلٌّ لَياحٍ بالفلاةِ إذا غدا مشى فزعاً كالرَّامحِ المتنكِّبِ

قطعتُ بمقْلاقِ الوشاحِ كأنَّها ... طريدةُ وحشٍ أفلتتْ من مكلّبِ
وإنِّي لقوَّالٌ لكلِّ قصيدةٍ ... طلوعِ الثَّنايا لذة للمشبِّبِ
إذا أُنشدتْ لذَّتْ إلى القومِ وارتمَى ... بها كلُّ ركبٍ مصعدٍ أو مصوِّبِ
وإنِّي لأسعى للتَّكرُّمِ راغباً ... ومَن يحصِ أخلاقَ التَّكرُّمِ يرغبِ
إلى شيمةٍ منِّي وتأديبِ والدي ... ولا يعرفُ الأخلاقَ مَن لم يؤدَّبِ
وقد يخذلُ المولى دعايَ ويحتَذي ... أذاتي وإن يُعزلْ بهِ الضَّيمُ أغضبِ
وأعرفُ في بعضِ الدُّنوِّ ملالةَ ال ... صَّديقِ وأستبقيهم بالتَّجنُّبِ
تعجَّبُ هندٌ أنْ رأتْ لونَ لمَّتي ... ومَن يرَ شيبي بعدَ عهدكِ يعجبِ
وكانتْ تراهُ كالجناحِ فراعَها ... تغيُّرُ لونٍ بعدَ ذلكَ معقبِ

فإمَّا ترَيني قدْ علا الشَّيبُ مفرقي ... وفضلُ النُّهى والحلمُ عندَ التَّشبُّبِ
فإنِّي امرؤٌ ما يخبأُ النَّارَ موقدي ... بسترٍ وما تستنكرُ الضَّيفَ أكلُبي
وما أنا للمولى بذئبٍ إذا رأى ... لهُ غرَّةً أدْلى معَ المُتذئبِ
ولكنَّني إنْ خافَ قومي عظيمةً ... رمَوني بنحرِ المانعِ المتأرِّبِ
فصرَّفتُ صعبَ الأمرِ حتَّى أذلَّهُ ... ويركبُ من أظفارهِ كلَّ مركبِ
ولستُ إذا الفتيانُ هزُّوا إلى العُلى ... بذي العلَّةِ الآبي ولا المتخيِّبِ
ولا أجعلُ المعروفَ حلَّ أليَّتي ... ولا عدَةً في النَّاظرِ المتغيِّبِ
ولستُ بلاقي الحمدِ ما لمْ تجنه ... ولا مقتدٍ باللُّبِّ ما لمْ تلبَّبِ
ولستُ بلاقي الرَّأسِ من آلِ فقعسٍ ... فينسبَ إلاَّ كانَ خالي أوْ أبي
وجدتُ أبي يَنمي بنيهِ وينتمي ... إلى الفرعِ منهمْ واللُّبابِ المهذَّبِ
إلى شجرِ النَّبعِ الذي ليسَ نابتاً ... من الأرضِ إلاَّ في مكانٍ مطيَّبِ
أولئكَ قومي إنْ أعدُّ الذي لهمْ ... أُكرَّمْ وإنْ أفخرْ بهمْ لمْ أُكذَّبِ
همُ ملجأُ الجاني إذا كانَ خائفاً ... ومأوى الضَّريكِ والفقيرِ المعصَّبِ
بطاءٌ عنِ الفحشاءِ لا يحضرونَها ... سراعٌ إلى داعي الصَّباحِ المثوِّبِ

مناعيشُ للمولى مساميحُ بالقِرى مصاليتُ تحتَ العارضِ المتلهِّبِ

وجدتُ أبي فيهمْ وخالي كلاهُما يطاعُ ويُعطى أمرهُ وهوَ محتبي

فلم أتعمَّلْ للسَّيادةِ فيهمِ ولكنْ أتتْني وادعاً غيرَ متعبِ

ولمْ أتَّبعْ ما يكرهونَ ولمْ يكنْ لأعدائهمْ مِن سائرِ النَّاسِ منكبي

وقال الكميت أيضاً:

ظلَّتْ تعجَّبُ هندٌ أنْ رأتْ شمطي وراقَها لممٌ أعجبْنها سُودُ

هلْ للشَّبابِ الذي قدْ فاتَ مردودُ أمْ هلْ لرأسكَ بعدَ الشَّيبِ تجديدُ

أمْ هلْ لغصنٍ ذوى عقبٌ فنعقبهُ أيَّامَ أُملودهُ والغصنُ أملُودُ

أمْ هلْ عتابكَ هذا الشَّيبَ حاسبهُ أمْ هلْ لِما يعجبُ الأقوامَ تخليدُ

والعيشُ كالزَّرعِ منهُ نابتٌ خضرٌ ويابسٌ يبتريهِ الدَّهرُ محصُودُ

كالجفنِ فيه اليماني بعدَ جدَّتهِ يبلى ويصفرُّ بعدَ الخُضرة العُودُ

سقياً لليلى وللعهدِ الذي عهدتْ لو دامَ منها على الهجرانِ معهُودُ

وأحدثُ العهدِ من ليلى مخالبةٌ شكٌّ أمانيٌّ لا بخلٌ ولا جُودُ

إذْ عرَّضتْ ليَ أقوالاً لتقصدَني والقلبُ مِن حذرِ الهجرانِ مقصُودُ

وقدْ أراني أُراعي الخيلَ يُعجبني إذا تُؤمّلَ منها النَّحرُ والجِيدُ

تجلو بعودِ أراكٍ عن ذُرى برَدٍ كأنَّما شابهُ مسكٌ وناجُودُ

ومضحكٍ بذلتهُ عن ذُرى أشرٍ كأنَّه برَدٌ فيهِ أخاديدُ

تُجري الرِّهانَ على وحفٍ غدائرهُ كأنَّه فوقَ متنيْها العناقيدُ

خودٌ تنوءُ إذا قامتْ روادفُها وبطنُها مضمرُ الكشحينِ مخضُودُ

عرَّجت أسألُ أطلالاً بذي سلمٍ عن عهدِها وحبيبُ العهدِ منشُودُ

بلْ هاجكَ الرَّبعُ بالبيداءِ من عقبٍ وما بكاؤكَ مِن أنْ تدرسَ البِيدُ

وما يهيجكَ مِن أطلالِ منزلةٍ قفرٍ تنادَى بها الورقُ الهداهِيدُ

ذكرتَ بالغورِ مَن تحتلُّ واردةً فآبَ عينيكَ دونَ الرَّكبِ تسهيدُ

حتَّى كأنِّي بأعلى الغورِ مِن مللٍ مكبَّلٌ شفَّهُ حبسٌ وتقييدُ

أقولُ والعيسُ صعرٌ في أزمَّتها ... ما حانَ منهنَّ بعدَ الغورِ تنجِيدُ

لفائدٍ وطُلى الأعناقِ مائلةٌ ... والعيسُ سيرَتها نعبٌ وتخويدُ

وقدْ قراهنَّ معروفاً رحلنَ لهُ ... سميدعٌ من بني الخطَّابِ محمُودُ

جمَّاعُ أنديةٍ رفَّاعُ ألويةٍ ... موفَّقٌ لثنايا الخيرِ محسُودُ

متى تقولانِ أهلُ الطَّفِّ تبلغهمْ ... مِن عينِ ملل العيديَّةُ القُودُ

غلبُ الغلابيِّ صدقاتٌ إذا وقفتْ ... للشَّمسِ هاجرةٌ شهباءُ صيخُودُ

ما في الحداةِ إذا شدُّوا مآزرهمْ ... عنها توانٍ ولا في السَّيرِ تهويدُ

يظلُّ مِن حرِّها الحرباءُ مرتبئاً ... كأنَّه مسلمٌ بالجرمِ مصفُودُ

يخلطنَ ماءً مِن الماءينِ بينَهما ... خرقٌ تكلُّ بهِ البزلُ المقاحِيدُ

مِن كلِّ حلسٍ غداةَ الخمسِ يلحقُها ... قلبٌ وطرفٌ حذارَ السَّوطِ مزؤُودُ

قوداءُ مائرةُ الضَّبْعينِ نسبتُها ... في سرِّ أرحبَ أو تَنمي بها العِيدُ

ظلَّتْ تقيسُ فروجَ الأرضِ لاهيةً ... كما يقاسُ سجيلُ الغزلِ محدُودُ

كأنَّها فاقدٌ ورهاءُ مدرعُها ... مشقَّقٌ عنْ بياضِ النَّحرِ مقدُودُ

تشلُّ في الجلبِ مِن قلبِ العشيِّ كما ... تمتلُّ دريَّةٌ والصَّحوُ ممدُودُ

ذو أربعٍ يكلأُ الأشباحَ مقتفرٌ ... للأرضِ ينفضُها لاهٍ ومنهُودُ

حتَّى أُنيختْ بهجرٍ بعدما نجدتْ ... وقدْ تلظَّى مِن الحرِّ الجلاميدُ

وقدْ تحسَّرَ من عضِّ القتودِ بها نيٌّ ... ونخصٌ على الأثباجِ منضُودُ

يا نضْلُ لا يوقعنَّ البغيُ بعضكمُ ... في محصدٍ حبلهُ للشَّرِّ ممدُودُ

فقدْ يهيجُ كبيرَ الأمرِ أصغرهُ ... حتَّى يكونَ لهُ صوتٌ وتفنيدُ

أما يزالُ على غشٍّ يهيجكمُ ... أبناءُ شانئةٍ أكبادهمْ سُودُ

لا يفزعونَ إذا ما الأمرُ أفزعكمْ ... ولن ترَوهمْ إذا ما استُمطر الجُودُ

أمسَوا رؤوساً وما كانتْ جدودهمُ ... يُرأَّسونَ ولا يأبَونَ إنْ قيدُودُا

فقدْ بلاني منَ الأقوامِ قبلكُم ... جمعُ الرِّجالِ القُرابى والمواحِيدُ

فأقصروا وبهمْ ممَّا فعلتُ بهمْ وسمٌ علوبٌ وآثارٌ أخاديدُ

قطَّعتُ أنفاسهمْ حتَّى تركتهمُ وكلُّهمْ من دخيلِ الغيظِ مفؤُودُ

فأصبحوا اليومَ منزوراً مودَّتهمْ كرهاً كما سيفَ بعدَ الرَّأمِ تجليدُ

لوْ قالَ ذو نصحكُم يوماً لجاهلكمْ عن حيَّةِ الأرضِ لا يشقوا بهِ حيدوا

ذوَّحتُ عن فقعسٍ حتَّى إذا كفحتْ عنها القرومُ منَ النَّاسِ الصَّناديدُ

وهابَ شرِّيَ مَن يُبدي عداوتهُ كما يحاذرُ ليثَ الغابةِ السِّيدُ

أرادَ جهَّالها أن يقرموا حسَبي وفيَّ عنْ حسَبي ذبٌّ وتذويدُ

هلْ تعلمونَ بلائي حينَ يرهقكمْ يومٌ يعدُّ منَ الأيَّامِ مشهُودُ

عندَ الحفاظِ إذا ما الرِّيقُ أيبسهُ ضيقُ المقامِ وهيبَ العصبةُ الصِّيدُ

إنِّي امرؤٌ لمدَى جرْيي مطاولةٌ يقصِّرُ الوغلُ عنها وهوَ مجهُودُ

ومَن تعرَّضَ لي منكمْ فموعدهُ أقصى المدى فاقْصروا في الجريِ أوْ زيدوا

إنِّي لتُعرفُ دونَ الخيلِ ناصيَتي إذا تلعَّبتِ الخيلُ القراديدُ

وقال الكميت:

ماذا تذكَّرُ مِن هنيدةَ بعدَما قطعَ التَّجنُّب هاجَ مَن يتذكَّرُ

وسعى الوشاةُ فأنجحُوا وتغيَّرتْ وتعهَّدوا ودِّي فما أتغيَّرُ

ورأى الذي طلبَ الوشايةَ منهمُ ما كنتَ مِن بححِ الصَّبابةِ تحذَرُ

كدتَ العشيرةَ تعتريكَ صبابةٌ لوْ أنَّ مثلكَ في الصَّبابةِ يعذرُ

وأرتكَ مِن أهلِ الجواءِ ودونَها عرضُ الكُثابِ فمُسحلانُ فعرعَرُ

ومحلُّها روضُ الجواءِ فصارةٌ فالواديانِ لأهلِها متديّرُ

ولها إذا رمضَ الجنادبُ والحصى بالوابشيَّةِ أو بجرثمَ محضرُ

ولقدْ جرى لكَ لوْ زجرتَ ممرَّهُ بممرِّها حرقُ القوادمِ أعورُ

شئمٌ أتاكَ عنِ الشَّمالِ كأنَّهُ حنقٌ عليكَ ببينِها مستبشرُ

قطعَ الهوى ألاّ أزالَ بقفرةٍ يطوي أقاصيها هبلٌّ مجفَرُ

أوْ رسلةٌ تقصُ الحزومَ كأنَّها طاوٍ تريَّعَ بالسَّليلةِ مقفرُ

تُضحي إذا ما القومُ كمَّشَ حادهمْ ... سيرٌ بأجوازِ الفلاةِ عذوَّرُ
صعراءُ ناجيةٌ يظلُّ جديلُها ... وهِلاً كما هربَ الشُّجاعُ المنفَرُ
وكأنَّ خلفَ حجاجِها مِن رأسِها ... وأمامَ مجمعِ أخدعَيها قهقَرُ
بل أيُّها الرَّجلُ المعرِّضُ نفسهُ ... وبِما تفاخرُني وما لكَ مفخَرُ

إنِّي نمتْني للمكارمِ نوفلٌ ... والخالدانِ ومعبدٌ والأشتَرُ
وتعطَّفتْ أسدٌ عليَّ فكلُّها ... شرعٌ إليَّ فعالهُ المتخيَّرُ
وإذا افتخرتَ بمنقذٍ أو فقعسٍ ... مدَّتْ لأبحرِهمْ بحورٌ تزخَرُ
وإذا القبائلُ جمهَروا آباءهمْ ... يومَ الفخارِ فإنَّني أتمضَّرُ
نحنُ الذينَ علمتَ مِن أيَّامهمْ ... ورأيتَ حينَ يقالُ أينَ العنصرُ
الطَّالعونَ إذا الطَّلائعُ أحصرتْ ... والعالمونَ يقينَ ما يُتخيَّرُ
المقدمونَ إذا الكتائبُ أحجمتْ ... والعاطفونَ إذا استضافَ المحجَرُ
النَّازلونَ بكلِّ دارِ حفيظةٍ ... عرضٍ تراحُ بها العشارُ وتنحَرُ
الضَّاربونَ رئيسَ كلِّ كتيبةٍ ... قوّادَ مملكةٍ عليهِ المغفَرُ
والطَّاعنونَ زويرَ كلِّ كتيبةٍ ... حتَّى يضرِّجهُ النَّجيعُ الأحمَرُ
فاعجلْ فإنَّكَ حيثُ يلتقطُ الحصى ... فانظرْ هنالكَ مَن يجابُ وينصَرُ
فخرُ الملوكِ بجوفِ يثربَ فخرُنا ... ولنا المساجدُ كلُّها والمنبَرُ
وأغرَّ جبَّارٍ ضربْنا رأسهُ ... وكذاكَ نضربُ رأسَ مَن يتجبَّرُ
ما رامَنا متجبِّرٌ ذو ثورةٍ ... إلاَّ سيقتلُ عنوةً أو يؤسَرُ
إنَّا لنحمدُ في الصَّباحِ إذا بدا ... يومٌ أغرُّ مِن القتالِ مشهَّرُ
ونكرُّ في يومِ الوغى ورماحُنا ... حمرُ الأسنَّةِ حينَ يُغشى المنكَرُ
ونكرُّ محميَةً ويمنعُ سربَنا ... جردٌ تلوِّحها المقانبُ ضمَّرُ
ومساعرٌ حلق الحديد لبوسهم ... والمشرفية والوشيج الأسمر
وترى لعارِضنا على أعدائنا ... رهجاً يثورُ لهُ عجاجٌ أكدَرُ

إنَّا إذا اجتمعَ النَّفيرُ بمجمعٍ ينفي الأذلَّ بهِ الأعزُّ الأكثَرُ
نحمي حقيقَتنا ويُدركُ حقَّنا إذا اجتمعَ الجماجمُ مجهَرُ

وقال الكميت لسليمان بن عبد الملك:

حيِّ المنازلَ مِن صحراءِ إمَّرةٍ وحيثُ كانتْ سواقي منعجٍ شعَبا
كانتْ تحلُّ بها حسناءُ فاغتربتْ بها الدِّيارُ ورثَّ الحبلُ فانجذَبا
للهِ عينِي مِن عينٍ لقدْ طلبتْ ما لمْ يكنْ دانياً منها ولا سقَبا
نظرتُ يومَ سواجٍ حينَ هيَّجني صحْبي فكلَّفتُ عيني نظرةً عجَبا
إلى حمول كدوح الدوم غاديةٍ قد نكبت رمماً واستقبلت ربيا
ويبٍ بها نظرةً ليستْ براجعةٍ شيئاً ولكنَّها قد هيَّجتْ طرَبا
وفي الهوادجِ غزلانٌ منعَّمةٌ تحكي الزَّبرجدَ والياقوتَ والذَّهبَا
إمَّا تريْني أمسى الحلمُ راجعَني حلمُ المشيبِ وأمسى الجهلُ قدْ لغبا
فلنْ تريْني أنْمي السُّوءَ أسمعهُ إنْ جاهلاً قوميَ استْبا أو احترَبا
وأحذرُ اللُّؤمَ عندَ الأمرِ أحضرهُ ولا ألومُ على شيءٍ إذا وجَبا
وقدْ أُصاحبُ ضيفَ الهمِّ يطرقُني بالعيسِ تختبُّ كسرَيْ ليلها خبَبا
عيديَّةٌ عوِّدتُ أنْ كلَّما قربتْ لاقتْ قواربَ مِن كدرِ القطا عصبَا
تخالُ هامتَها قبراً برابيةٍ وما أمامَ حجاجَيْ عينها نصبا
منَ المهارَى عبنَّاةٌ مرسَّلةٌ فلا ترَى حذذاً فيها ولا زببا
منَ المواتحِ بالأيدي إذا جعلتْ لوامعُ الآلِ تغشَى القورَ والحدَبا
كأنَّها بعدَ خمسِ القومِ قاربةً تعلو هدوداً إذا ما أعنقتْ صبَبا
تخالُ فيها إذا استْدبرتَها شنجاً وفي يديها إذا استقبلتَها حدَبا
تغلي ويخْبأُ منها السَّوطَ راكبُها كما غلا مرجلُ الطَّبَّاخِ إذْ لهَبا
حتَّى إذا ساءَ لونُ العيسِ وانتكثتْ شبَّهتَ في نسعتَيْها فارداً شبَبا
باتتْ لهُ ديمةٌ بالرَّملِ دائمةٌ في ليلةٍ من جُمادى واصلتْ رجَبا
فباتَ يحفرُ أرطاةً ويركبُها يُغشي جوانبَها الرَّوقينِ والرُّكَبا

حتَّى إذا ما تجلَّى طولُ ليلتهِ	عنهُ ولاحَ سراجُ الصُّبحِ فالْتهَبا
وراعهُ صوتُ قنَّاصٍ بعقوتهِ	مقلّدينَ الضِّراءَ القدَّ والعقَبا
فانحازَ لا آمناً من شرِّ نبأتهمْ	يعلو العدابَ ولا مُستمعناً هربَا

حتَّى لحقنَ وقدْ مالَ الأميلُ بهِ	فكرَّ بالخلِّ إذْ أدركنهُ غضبَا
مجرٌّ في حدِّ روقيهِ سوابقُها	ولا يمسُّ لقرنٍ جرَّهُ سلَبا
حتَّى إذا ذادَها عنهُ وقطَّعها	طعنٌ يصيبُ بهِ الحيَّاتِ والقصبَا
ولَّى سريعاً مدلاً غيرَ مكترثٍ	يعلو العدابَ وروقاهُ قدِ اختضبَا
أقبلتُ ترفعُني أرضٌ وتخفضُني	إلى الأغرِّ جبيناً والأغرِّ أبَا
إلى سليمانَ خيرِ النَّاسِ عارفةً	وأسرعِ النَّاسِ إدراكاً لما طلَبا

وقال الكميت أيضاً:

ألا حيِّيا بالتَّلِّ أطلالَ دمنةٍ	وكيفَ تُحيَّا المنزلاتُ البلاقعُ
حننتَ غداةَ البينِ من لوعةِ الهوى	كما حنَّ مقصورٌ لهُ القيدُ نازعُ
وظلَّتْ لعيني قطرةٌ مرحتْ بها	على الجفنِ حتَّى قطرُها متتابعُ
وليسَ بناهي الشَّوقِ عنْ ذي صبابةٍ	تذكُّر إلفاً أنْ تفيضَ المدامعُ
وقدْ لحَّ هذا النَّأيُ حتَّى تقطَّعتْ	حبالُ الهوى والنَّأيُ للوصلِ قاطعُ
وما أكثرَ التَّعويلُ إلاَّ لحاجةٌ	وما السِّرُّ بينَ النَّاسِ إلاَّ ودائعُ
نقولُ بمرجِ الدَّيرِ إذْ صحبَتي	تعزَّوا وقدْ أيقنتُ أنِّي جازعُ
وما مغزلٌ أدماءُ مرتعُ طفلِها	أراكٌ وسدرٌ بالمراضينِ يانعُ
بأحسنَ منها إذْ تقولُ لتربِها	سليهِ يخبِّرنا متى هو راجعُ
فقلتُ لها واللهِ ما من مسافرٍ	يحيطُ لهُ علمٌ بما اللهُ صانعُ
فصدَّتْ كما صدَّتْ شموسٌ حبالُها	مدى الفوتِ لمْ يقدرْ عليها الأصابعُ
وقالتْ لقدْ بلاّكَ أنْ لستَ زائلاً	يجوبُ بكَ الخرقَ القلاصُ الخواضعُ
فقلتُ لها الحاجاتُ يطلبُها الفتى	فعذرٌ يُلاقي بعدَها أو منافعُ

أقولُ لندمانيَّ والحزنُ دونَنا ... وشمُّ العوالي مِن جفافٍ فوارِعُ

أنارٌ بدتْ بينَ المسنَّاةِ والحِمى ... لعينكَ أم برقٌ تلألأ لامعُ

فإنْ تكُ ناراً فهيَ نارٌ يشبُّها ... قلوصٌ وتزهاها الرِّياحُ الزَّعازِعُ

وإنْ يكُ برقاً فهوَ برقُ سحابةٍ ... لها ريِّقٌ لنْ يخلفَ الشَّيمَ رائعُ

ألمْ تعلَمي أنَّ الفؤادَ يصيبهُ ... لذكراكِ أحياناً على النَّأيِ صادعُ

فيلْتاثُ حتَّى يحسبَ القومُ أنَّهُ ... بهِ وجعٌ أو أنَّهُ متواجِعُ

سقتكِ السَّواقي المدجناتُ على الصّبا ... أثيبي محبّاً قبلَ ما البينُ صانعُ

فقدْ كنتِ أيَّامَ الفراتِ قريبةً ... مجاورةً لو أنَّ قربكِ نافعُ

وقدْ زعمتْ أمُّ المهنَّدِ أنَّني ... كبرتُ وأنَّ الشَّيبَ في الرَّأسِ شائعُ

وما تلكَ إلاَّ روعةٌ في ذؤابَتي ... وأيُّ فتاءٍ لمْ تصبهُ الرَّوائعُ

وإنِّي وإنْ شابتْ مفارقُ لمَّتي ... لكالسَّيفِ أفنى جفنهُ وهوَ قاطعُ

يصانُ إذا ما السِّلْمُ أدجى قناعهُ ... وقد جرِّبتْ في الحربِ منهُ الوقائعُ

ولستُ بجثَّامٍ يبيتُ وهمُّهُ ... قصيرٌ وإنْ ضاقتْ عليهِ المضاجِعُ

إذا اعْتقَتْني بلدةٌ لمْ أكنْ لها ... نسيباً ولمْ تسدفْ عليَّ المطالعُ

وظلماءَ مذكارٍ كأنَّ فروجَها ... قبائلُ مسحٍ أترَصتهُ الصَّوانِعُ

نصبتُ لها وجهي وصدرَ مطيَّتي ... إلى أنْ بدا ضوءٌ منَ الصُّبحِ ساطعُ

لأُبلي عذراً أو لأسمعَ حجَّةً ... عنيتُ بها والمنكرُ الضَّيمَ دافعُ

وكنتُ امرءاً من خيرِ جحوانَ عطِّفتْ ... عليَّ الرَّوابي منهمُ والفوارِعُ

نمتْني فروعٌ من دثارِ بنِ فقعسٍ ... ومِن نوفلٍ تلكَ الرّؤوسُ الجوامعُ

فيا أيُّها القومُ الألى ينبحونَني ... كما نبحَ اللَّيثُ الكلابُ الضَّوارِعُ

فلا اللهُ يشفي غيظَ ما في صدورهمْ ... ولا أنا إنْ باعدتمُ الودَّ تابعُ

وإنِّي على معروفِ أخلاقي التي ... أُزايلُ مِن ألقابِها وأُجامعُ

لذو تُدرإٍ لا يغمزُ القومُ عظمهُ ... بضعفٍ ولا يرجونَ ما هوَ مانعُ

وما قصَّرتْ بي همَّتي دونَ رغبةٍ ... ولا دنَّستني مذْ نشأتُ المطامعُ

وإنِّي إذا ضاقتْ عليكم بيوتكمْ ليعلمَ قومي أنَّ بيتيَ واسعُ

فيلجأُ جانيهمْ إلينا وتنتهي إلينا النُّهى مِن أمرهمْ والدَّسائعُ

وما مِن بديعاتِ الخلائقِ مخزياً إذا كثرتْ في المُحدثينَ البدائعُ

وما لامَ قومي في حفاظٍ شهدتهُ نِضالي إذا لمْ يأتلِ الغلوَ نازعُ

وما زلتُ محمولاً عليَّ ضَغينة ومطَّلَعُ الأضغانِ مذْ أنا يافعُ

إلى أنْ مضتْ لي الأربعونَ وجرِّبتْ طبيعةُ صلبٍ حينَ تُبلى الطَّبائعُ

جريتُ أفانينَ الرِّهانِ فما جرى معي معجبٌ إلاَّ انتهى وهو ظالِعُ

لنا معقلٌ في كلِّ يومِ حفيظةٍ إذا بلغتْ طولَ القُنيّ الأشاجعُ

وقائدِ دهمٍ قدْ حوتهُ رماحُنا أسيراً ولو يحوينهُ وهو طائِعُ

فللسَّيْئِ في أطلالهنَّ مهابةٌ وللقومِ في أطرافهنَّ مصارِعُ

لقومي عليَّ الطَّولُ والفضلُ إنَّني إذا جمعتْني والخطوبُ المجامعُ

وهمْ عدَّتي في كلِّ يومِ كريهةٍ وأقرانُ أقراني الذينَ أُصارِعُ

خُلقنا تِجاراً بالطِّعانِ ولمْ نكنْ تِجارَ ملاءٍ نشتري ونبايعُ

وقال الكميت أيضاً:

أرقتُ بأرضِ الغورِ مِن ضوءِ بارقٍ سرى موهناً في عارضٍ متتابِعِ

يضيءُ لنا والغورُ دونَ رحالِنا خزازُ فأعلى منعجٍ فمتالِعِ

كأنَّ سناهُ ذبُّ أبلقَ يتَّقي أذى البقِّ عن أقرابهِ بالأكارِعِ

فبتُّ ولمْ يشعرْ بذاكَ صحابَتي مريضاً لعدَّاتِ الهمومِ النَّوازِعِ

وهلْ يُمرضُ الهمُّ الفتى عندَ رحلهِ أمونُ السُّرى كالمحنقِ المتدافعِ

غُريريَّةُ الأعراقِ مفرعةُ القَرى جُماليَّةٌ أدماءُ مجرى المدامعِ

نهوزٌ بلحيَيْها إذا الأرضُ رقرقتْ نضائضَ ضحضاحٍ منَ الأرضِ مائِعِ

لقدْ طرقتْنا أمُّ بكرٍ ودونَنا مراحٌ ومغدًى للقلاصِ الضَّوابعِ

بريحِ خُزامى طلَّةٍ نفحتْ بها منَ اللَّيلِ هبَّاتُ الرِّياحِ الزَّعازِعِ

وكيفَ اهتدتْ تسري انقضٍ رذيَّةٍ وطلحٍ بأعلى ذي أطاويح هاجعِ

سرى موهناً مِن ليلةٍ ثمَّ وقَّعتْ بأصحابهِ عيديَّةٌ كالشَّراجعِ

معرَّقةُ الأوصالِ أفنى عريكها ركودُ رحالِ العيسِ فوقَ البراذعِ

بيَهْماءَ ما للرَّكبِ فيها معرَّجٌ على ما أسافوا مِن حسيرٍ وظالعِ

فلمَّا استهبَّ الرَّكبُ واللَّيلُ ملبسٌ طوالَ الرَّوابي والرِّعانِ الفوارعِ

قبضْنَى بنا قبضَ القطا نُصبتْ لهُ شباكٌ فنجَّى بينَ مقصٍ وقاطعِ

ذكرتَ الهوى إذْ لا تفزِّعكَ النَّوى وإذْ دارُ ليلى بالأميلِ فشارعِ

وما هاجَ دمعَ العينِ مِن رسمِ منزلٍ مرَتهُ رياحُ الصَّيفِ بعدَ المرابعِ

خلاءٍ بوعساءِ الأميلِ كأنَّهُ سطورٌ وخيلانٌ بتلكَ الأجارعِ

ومولًى قدِ استأنيتهُ ولبستهُ على الظَّلعِ حتَّى عادَ ليسَ بظالعِ

عرضتُ أناتي دونَ فارطِ جهلهِ ولمْ ألتمسْ عيباً لهُ في المجامعِ

ولوْ رابهُ ريبٌ منَ النَّاسِ لمْ أكنْ معَ المجلبِ المُزري بهِ والمشايعِ

وكائنْ ترى مِن معجبٍ قدْ حملتهُ على جهدهِ حتَّى جرى غيرَ وادعِ

ثنيتُ لهُ بينَ التَّأنِّي بصكَّةٍ تُفادي شؤونَ الرَّأسِ بينَ المسامعِ

فلمَّا أبى إلاَّ اعتراضاً صككتهُ جهاراً بإحدى المُصمتاتِ القوارعِ

فأقصرَ عنِّي اللاَّحظونَ وغشُّهمْ مكانَ الجوى بينَ الحشا والأضالعِ

إذا أقبلُوا أبصرتَ داءَ وجوههمْ وإنْ أدبرُوا ولَّوا مراضَ الأخادعِ

عجبتُ لأقوامٍ تناسيتُ جهلهمْ محاولةَ البُقيا وحسنَ الصَّنائعِ

وقلتُ لهمْ لا تسأمُوا صلحَ قومكمْ ولا العيشَ في ثوبٍ منَ الأمنِ واسعِ

فما زالَ فرطُ الجهلِ عنهمْ ومشيُهمْ إلى البغْي في أكنافهمْ والقطائعِ

وما زالَ فرطُ الجهلِ حتَّى رأيتهمْ يفرُّونَ سنَّ الأزلمِ المتجاذعِ

وحتَّى رُموا بالمُفظعاتِ وأشمتوا بهمْ كلَّ راءٍ مِن معدٍّ وسامعِ

فلمَّا استذاقوا شربةَ الحبِّ وابتلُوا مَرارتها كانوا لئامَ الطَّبائعِ

عباهيلُ لا يدرونَ ما غورُ هفوةٍ ولا غبُّ أمرٍ يحفظُ القومَ رائعِ

ولو صدَقتهمْ أنفسُ الغشِّ بيَّنتْ لهمْ أنَّني مستضلعٌ للمقارِعِ

أخو الحربِ لبَّاسٌ لها أدواتِها إذا الوغلُ لمْ يلبسْ أداةَ المنازِعِ

وقورٌ على مكرُوهها متحرِّفٌ لأيَّامها مستأنسٌ للمطالعِ

ولستُ بأنَّا ....مهُ على دبرٍ من آخرِ الأمرِ تابعِ

وداعٍ إلى غيرِ السَّدادِ ورافدٍ على الغيِّ رفداً غيُّهُ غيرُ نافعِ

ومحتلبٍ حربَ العشيرةِ أُنهلتْ لهُ بصراحيٍّ من السُّمِّ ناقعِ

وقال الكميت أيضاً:

لقدْ كنتُ أُشكى بالعزاءِ فهاجَني حمائمُ ألاّفٍ لهنَّ نحيبُ

وما كادَ ليلي بالسَّليلةِ ينجلي ولا الشَّمسُ يومَ الأنعمينِ تغيبُ

ويوماً برسٍّ ابنِ الشَّمردلِ هيَّجتْ لكَ الشَّوقَ حمّاءُ العلاطِ دؤُوبُ

منِ المؤلفاتِ الطَّلحِ في كلِّ صيفةٍ لا جوزلٌ في الجدولينِ ربيبُ

لعمركَ إنِّي يومَ عرنةِ صارةٍ وإنْ قيلَ صبٌّ للهوى لغلُوبُ

أجاذبُ أقرانَ التّلادِ منَ الهوى لهنّي لأقرانِ الهوى لجذُوبُ

إذا عطفاتُ الرَّملِ أعرضنَ دوننَا ومن دونِ هندٍ يافعٌ فطلُوبُ

نأى الوصلُ إلاَّ أنْ يقرِّبَ بيننَا منَ العيسِ مقلاتُ اللِّقاحِ سلُوبُ

غُريريَّةُ الأعراقِ أو أرحبيَّةٌ بها من مرادِ النِّسعتينِ ندُوبُ

منفِّهةٌ ذلاً وتحسبُ أنَّها منَ البغيِ لا يخفى عليكَ قضيبُ

إذا القومُ راحوا من مقيلٍ وعلَّقتْ ظروفُ أداوَى ما لهنَّ ضبيبُ

ترى ظلَّها عندَ الرَّواحِ كأنَّهُ إلى دفِّها رألٌ يخبُّ جنيبُ

إذا العيسُ حاذتْ جانبيْها تغيَّظتْ على العيسِ مضرارٌ بهنَّ غضُوبُ

تراها إذا الْتاثَ المطايا كأنَّها منَ الكدرِ فتخاءُ الجناحِ ضرُوبُ

تحلُّ بنيها بالفلاةِ وتغتدي معاودةٌ وردَ الهجيرِ قرُوبُ

فقدْ عجبتْ منَّا معاذةُ أنْ بدا بنا أثرٌ من لوحةٍ وشحُوبُ

رأتْني وعبسيّاً نزيعَي جنازةٍ ترامتْ بهِ داويَّةٌ وسهُوبُ
كلانا طواهُ الهمُّ حتَّى ضجيعهُ حسامٌ ومذعانُ الرَّواحِ خبُوبُ
فقالتْ غريبٌ ليسَ بالشَّامِ أهلهُ أجلْ كلُّ علويٍّ هناكَ غريبُ
فهلا سألتِ الرّكبَ عنّي إذا ارْتمى بهنَّ أطاويحُ الفلاةِ جنُوبُ
أُهينُ لهمْ رحلي وأعلمُ أنَّما يؤولُ حديثُ الرَّكبِ حينَ يؤُوبُ
وأُقفي بما شاؤوا منَ الثّقلِ ناقَتي وإنْ كانَ فيها فترةٌ ولغُوبُ
ألا ليتَ حظّي مِن عثيمةَ إنَّها تميلُ إليها أعينٌ وقلُوبُ
يقرُّ بعيني أنْ أرى البرقَ نحوَها يلوحُ لنا أوْ أنْ تهبُّ جنُوبُ
تجيءُ بريَّا من عثيمةَ طلَّة يفيقُ لمسْراها الدَّوا فيثيبُ
وإنَّ التي منَّتكَ أنْ تسعفَ النَّوى بها يومَ نعْفي صارةٍ لكذُوبُ
وإنَّ الذي يشفيكَ ممَّا تضمَّنتْ ضلوعكَ من وجدٍ بها لطبيبُ
وإنِّي بعيدٌ محتدي من مودَّتي وبعدَ المدى في المحفظاتِ غضُوبُ
فما النَّأيُ سلَّى عنْ قلوصَ ولا القِلى ولكنْ عداكَ اليأسُ وهيَ قريبُ

وقال الكميت:

ألا حيِّيا ربعاً على الماءِ حاضراً وربعاً بجنبِ الصَّدِّ أصبحَ باديا
منازلَ هندٍ ليتَ أنِّي لمْ أكنْ عهدتُ بها هنداً ولمْ أدرِ ما هيا
بذي الطَّلحِ من وادي النُّزوحِ كأنَّما كستْ مذهباً جوناً منَ التّربِ عافيا
أربَّتْ عليها حرجفٌ تنخلُ الحصى تهادَى بجولانِ التُّرابِ تهاديا
فلمْ يبقَ إلاَّ منزلُ الحيِّ قدْ عفا وآثارهمْ غبَّ الثَّرى والدَّواديا

ذكرتُ وقدْ لاحتْ منَ الصُّبحِ غرَّةٌ وولَّتْ نجومُ اللَّيلِ إلاَّ التَّواليا
عراقيَّةً لا أنتَ صارمُ حبلِها ولا وصلُها بالنَّجدِ أصبحَ دانيا
سمعتُ وأصحابي تخبُّ ركابهمْ بصحراءِ فيدٍ من هنيدةَ داعيا
فلمَّا سمعتُ الصَّوتَ عوَّجَ صُحبتي مهارَى مِن الإيجافِ صعراً صواديا

مسانيفُ لا يُلقينَ إلاَّ روائحاً … إلى حاجةٍ يطلبنَها أو غواديا

يدعنَ الحصى رفضاً إذا القومُ رفَّعوا … لهنَّ بأجوازِ الفلاةِ المثانيا

إذا اختلفتْ أخفافهنَّ بقفرةٍ … ترامى الحصى منْ وقعهنَّ تراقيا

إذا قسنَ أرضاً لمْ يقلنَ بها غداً … خبطنَ بها حلساً منَ اللَّيلِ داجيا

تراهنَّ مثلَ الخيمِ خوَّى فروجهُ … وأمسكَ متناهُ الثُّمامَ الأعاليا

ومجدولةِ الأعناقِ حلِّينَ حبوةً … يجلِّلنَ مِن دوحِ العضاهِ المداريا

ذعرتُ بركبٍ يطلبونكَ بعدَما … تجلَّلَ رقراقُ السَّرابِ المقاريا

على قلصٍ يضبعنَ بالقومِ بعدَما … وطئنَ دماً مِن مسحهنَّ الصَّحاريا

وظلماءَ مِن جرَّاكِ جبتُ وقفرةٍ … وضعتُ بها شقّاً عنِ النَّومِ جافيا

إلى دفِّ هلواعٍ كأنَّ زمامَها … قَرى حيَّةٍ تخشى منَ السِّندِ حاويا

تبيتُ إذا ما الجيشُ نامتْ ركابهُ … تثيرُ الحصى حيثُ افتحصنَ الأداحيا

إذا ما انْجلى عنها الظَّلامُ رأيتَها … كأنَّ عليها مطلعَ الشَّمسِ باديا

وشاوٍ كظاظٍ قدْ شهدتُ وموقفٍ … تسامَى بهِ أيدي الخصومِ تساميا

شهدتُ فلمْ تتبعْ مقامي ملامةٌ … ولمْ أُبلَ فيهِ عاجزاً مُتوانيا

وإنِّي لأستحيي إذا ما تُحضِّرتْ … عيونٌ وأستحيي إذا كنتُ خاليا

فأعزفُ نفسي عنْ مطاعمَ جمَّةٍ … وأربطُ للَّهوِ المخوفِ جنانيا

إذا التفتَ ابنُ العمِّ للنَّصرِ سرَّهُ … إذا خافَ إضرارَ الخصومِ مكانيا

ولمْ أُلقَ يوماً عندَ أمرٍ يهمُّني … كئيباً ولا جذلانَ إنْ كنتُ راضيا

ولم تبلَ منِّي نبوةٌ ملمَّةٍ … ولا عثرةٌ فيما مضى منْ زمانيا

وعوراءَ مِن قيلِ امرئٍ قدْ رددتُها … بمبصرةٍ للعذرِ لمْ يدرِ ما هيا

طلبتُ بها فضلي عليهِ ولمْ يكنْ … ليدركَ سعْيي إنْ عددنا المساعيا

أنا ابنُ أبي صخرٍ بهِ أدركُ العُلا … وثورِ النَّدى والهيثمِ الخيرِ خاليا

أنا ابنُ رئيسِ القومِ يومَ يقودهمْ … بتعشارَ إذْ هزَّ الكماةُ العواليا

فآبَ ببَزِّ السَّلهبينِ كلاهما … وأبكَى على ابنِ الثَّعلبيِّ البواكيا

ولمَّا زجرنا الخيلَ خاضتْ بنا القنا كما خاضتِ البزلُ النّهاء الطَّواميا

رمَونا برشقٍ ثمَّ إنَّ سيوفَنا وردنَ فأبطرنَ القبيلَ التَّراميا

ولمْ يكُ وقعَ النّبلِ يقدعُ خيلَنا إذا ما عقدنا للطّعانِ النَّواصيا

أبا جنبرٍ أبصرْ طريقكَ والتمسْ سوى حقِّنا معداكَ إنْ كنتَ عاديا

فإنَّ لنا الخيلَ التي كنتَ تتَّقي بفرسانِها يومَ الصَّباحِ العواليا

منعناكمُ يومَ النِّسارِ وأنتمُ قعودٌ بجوٍّ يحرثونَ التَّواديا

وبالعرضِ نجَّينا أباكَ وقدْ رأى على رأسهِ ظُلاً منَ السَّيفِ غاشيا

ونحنُ رددْنا حكمَ دلجةَ بعدَما تتبَّعَ خرزاً منْ أديمكَ واهيا

ألمْ ترني أوْفيتُ جحوانَ حقَّها وفرَّجتُ غمَّيْ مدركٍ إذْ دعانيا

وكيفَ أُحابي النَّفسَ في حقِّ فقعسٍ وإيَّايَ يدعوني الكميَّ المحاميا

فلستُ براضٍ حينَ تغضبُ فقعسٌ ولا محلبٌ يوماً عليها الأعاديا

فدعْ منزلَ القومِ المحقِّينَ والتمسْ لضانكَ منْ جشرٍ بهِ التِّبنُ واديا

رقيع

وقال رقيع، واسمه عمارة بن حبيب أخو بني أسامة بن نمير بن والبة، وهو إسلامي في أول زمن معاوية بن أبي سفيان:

أمنْ دمنةٍ مِن آلِ ليلى غَشيتها على تمِّ حولٍ ماءُ عينيكَ سافِحُ

كإرشاشِ غربٍ بينَ قرنَيْ محالةٍ مقحَّمهُ دامي السَّلائقِ ناضِحُ

على جربةٍ تسنو فللغربِ مفرغٌ حثيثٌ وماءُ البئرِ في الدَّبرِ سائحُ

لعمري وما عمري عليَّ بهيِّنٍ لقدْ طوَّحتْ ليلى الدِّيارُ الطَّوارحُ

ومرَّ ببينٍ عاجلٍ مِن وصالِها سوانحُ طيرٍ غدوةً وبوارحُ

فقلتُ لأصحابي أُسرُّ إليهم عزاءً كأنِّي بالذي قلتُ مازِحُ

صحا القلبُ عنْ ذكرِ الصِّبا غيرَ أنَّني تذكرني ليلى البروقُ اللَّوامحُ

وعنَّ الهوى والشَّوقُ أمسى جميعهُ بليلى وممساها منَ الأرضِ نازِحُ

فيا ليتَ ليلى حينَ تنأى بها النَّوى ... يخبِّرنا عنها الرِّياحُ النَّوائحُ
فتخبرنا ما أحدثَ الدَّهرُ بعدَنا ... وإنَّ الذي بيني وبينكِ صالحُ
بعيدٌ عنِ الفحشاءِ عفٌّ عنِ الأذى ... ذليلُ دلالٍ عندَ ذي اللُّبِّ رابحُ
عزيزٌ منعْنا بابهُ لا ينالهُ ... صديقٌ ولا بادي العداوةِ كاشحُ
ودويَّةٍ من دونِ ليلى مظنَّةٍ ... بها من غواةِ النَّاسِ عاوٍ ونابحُ
قطعتُ بموارِ الملاطينِ ممعجٍ ... إذا بلَّ ليتَيْهِ منَ الماءِ ناتحُ
هبلٍّ مثلٍّ أرحبيّ كأنَّهُ ... إذا ما علا سهباً منَ الأرضِ سابحُ
سريعُ لحاقِ الرَّحلِ غالٍ بصدرهِ ... إذا اغتالتِ السَّيرَ الصَّحاري الصَّحاصحُ
وشعثٍ نشاوَى بالكرى قدْ أملَّهمْ ... ظهورُ المطايا والصَّحاري الصَّرادحُ
أناخوا وما يدرونَ من طولِ ما سرَوا ... بحقٍّ أقفٌّ أرضمٌ أمْ أباطحُ
فناموا قليلاً خلسةً ثمَّ راعهمْ ... نداءٌ وأمرٌ يفصلُ الشَّكَّ جارحُ
لذكرى سرتْ منْ آلِ ليلى فهيَّجتْ ... لنا حزَناً برحٌ منَ الشَّوقِ بارحُ
وقد غابَ غوريٌّ من النَّجمِ لو جرى ... لغيبوبةٍ حتَّى دنا وهوَ جانحُ
فقامُوا بظئرانٍ فشدُّوا نسوعَها ... على يعملاتٍ منعلاتٍ طلائحِ
كماشٍ تواليها صيابٍ صدورُها ... عياهيمُ أيديها كأيدي النَّوائحِ
تشكَّى الوجى من كلِّ خفٍّ ومنسمٍ ... على أنَّها تُؤتي الحصى بالسَّرائحِ
وداعٍ مضافٍ قدْ أطفْنا وراءه ... وجانٍ كفيْنا البأسَ والبأسُ طالحُ
وحيٍّ حلالٍ قد أبحْنا حماهمُ ... بوردٍ ووردٍ قدْ لقينا بناطحِ
وجمعٍ فضضناهُ وخيلٍ كأنَّها ... جرادٌ تلقَّى مطلعَ الشَّمسِ سارحُ
صبرْنا لهمْ والصَّبرُ منَّا سجيَّةٌ ... بفتيانِ صدقٍ والكهولُ الجحاجحِ
ففاؤوا بطعنٍ في النُّحورِ وفي الكُلى ... يجيشُ وضربٍ في الجماجمِ جارحِ
ففزْتا بها مجداً وفاءَ عدوُّنا ... بحقدٍ وقتلٍ في النُّفوسِ الأوانحِ
فوارسُنا الحامُو الحقيقةَ في الوغى ... وأيسارُنا البيضُ الوجوهِ المسامحُ
وما سبَّ لي خالٌ ولا سبَّ لي أبٌ ... بغدرٍ وما مسَّتْ قناتي القوادحُ

وإنِّي لسبَّاقُ الرِّهانِ مجرِّبٌ ... إذا كثرتْ يومَ الحفاظِ الصَّوائحُ

أعاذلَ مهلاً إنَّما المرءُ عاملٌ ... فلا تُكثري لومَ النُّفوسِ الشَّحائح

دَعيني وهمِّي إنْ هممتُ وبُغيتي ... أعشْ في سوامٍ أوْ أطحْ في الطَّوائح

فلَلمرءُ أمضى مِن سنانٍ إذا مضى ... وللهمُّ أكمى منْ كميّ مشايِح

فإنْ أحيَ يوماً ألقَ يوماً منيَّتي ... ولا بدَّ منْ رمسٍ عليهِ الصَّفائحُ

وقال رقيعٌ أيضاً:

عفتْ فردةٌ من أهلِها فشطيبُها ... فجزعُ محيَّاةٍ عفا فكثيبُها

عفوَّ التي أمّا بلاداً تبدَّلتْ ... وأمّا نهى شوقَ النُّفوسِ مشيبُها

ولمْ تدرِ نفسُ المرءِ ما يجلبُ الهوى ... إليها ولا في أيِّ حيٍّ نصيبُها

أفي الكرهِ أو فيما يحبُّ وإنَّما ... يعاقبُ أو يعفي النُّفوسَ حسيبُها

يساقُ فيُلقى أو يُقادُ فينبَري ... إليه بمقدارٍ حمامٌ يصيبُها

نعمْ ليسَ عندَ اللهِ ظلمٌ لتائبٍ ... يتوبُ ولا ذي قربةٍ يستثيبُها

فقدْ طالَ ما ميَّلتُ بالغيِّ حقبةً ... وبالرُّشدِ والأخلاقُ جمٌّ ضرُوبُها

وقدتُ وقادتْني رياضٌ بهيجةٌ ... جميلٌ تناهيها طويلٌ عزُوبُها

وأبلتْ وأبقتْ مِن حياتي قصائداً ... يفدِّي ويستبكي الرُّواةُ غريبُها

هلِ الحلمُ ناهي الجهلِ أو رائدُ الصِّبا ... ينجِّيكَ منهُ توبةٌ أو تتُوبُها

وقدْ كانَ أيَّامُ الغواني ضمانةً ... منَ الدَّاءِ يعيا بالشِّفاءِ طبيبُها

ولا مثلَ يومٍ من جنوبَ تضعَّفتْ ... فؤادكَ والأيَّامُ جمٌّ عجيبُها

دعتهُ جنوبُ النَّوفليّينَ بالهوى ... فما للشَّذى المدعوِّ هلاَّ يجيبُها

بلبّيكَ أو يُهدي لها حسنَ مدحةٍ ... تصبِّحها في أرضِها وتؤُوبُها

هجانٌ تنمَّتْ في الرَّوابي وزُيِّنتْ ... بخلقٍ وخلقٍ كاملٍ لا يعيبُها

كأنَّ نقاً منْ عالجٍ تلتَقي ... ملاحفُها إذْ أُزرَّتْ وسبُوبُها

وما بعدتْ منَّا وفي اليأسِ راحةٌ ... وما اقتربتْ إلاَّ بعيداً قريبُها

مرادُ شموسِ الخيلِ تدنو وتتَّقي يدَ الرَّبِّ حتَّى لا ينالَ سبيبُها

فقدْ أُعطيتْ فوقَ الغواني محبَّةً جنوبُ كما خيرُ الرِّياحِ جنُوبُها

إذا هيَ هبَّتْ زادتِ الأرض بهجةً يمانيَّةً يستنشرُ الميتَ طِيبُها

أدلَّ دليلُ الحبِّ وهناً فزارَنا وأحجِ بنفسٍ أنْ يلمَّ حبيبُها

بِغيدٍ على قودٍ سرَوا ثمَّ هوَّموا بدويَّةٍ يعوي منَ الفقرِ ذئبُها

بعيدة ماءِ الرّكب يغتالُ سيرهمْ إذا قرَّبوا غيطانَها وسهُوبُها

إذا ما تدلَّى النَّجمُ واعصوصبتْ بهمْ نجائبُ صهبٌ ضمَّرٌ ونجيبُها

ترامتْ بهمْ أرضٌ وأرضٌ فأصبحوا بحيثُ تلاقَى قفُّها وكثِيبُها

وقالوا دلوكَ الشَّمسِ ما يوردنَّكمْ بجهدٍ ومنهمْ مَن يقولُ غرُوبُها

فجاؤوا ولا وردٌ على الماءِ غيرهمْ ولا الماءُ مأمونُ الحياضِ شريبُها

فأدلَوا فردُّوا سجلَ أجنٍ كأنَّما بهِ غسلةٌ حنَّاؤها وصبيبُها

فعادوا فساموها لكلِّ مطيَّةٍ منَ الشَّربِ ما أدَّى إليها ذنُوبُها

فلمَّا سقَوها واستقَوا قلَّصتْ بهمْ تخطَّى أهاويّاً لأُخرى تجُوبُها

تراعى بأثلامِ الرِّعانِ كأنَّها على مستوًى إصعادُها وصبُوبُها

تُقاسي أولاتَ الظَّعنِ منها فترعوي وبالنَّقرِ والأشلاءِ يرقى أديبُها

متى ما تدعْنا أو ندعْها لغيرنا فقدْ أُعملتْ حيناً وحلَّتْ لحوبُها

وقال رقيع أيضاً:

أجدَّكَ شاقتكَ الحمولُ البواكرُ نعمْ ثمَّ لمْ يعذركَ بالبينِ عاذرُ

بلى إنَّ نفسي لمْ تلمني ولمْ أبتْ على غدرةٍ والخائنُ العهدِ غادرُ

ولمْ أدرِ ما المكرُ الذي أزمعوا بنا فأحذرهُ حتَّى أُمرَّ المرائرُ

وحتَّى رأيتُ الآلَ يُزهي حمولهمْ كما استنَّ من فوقِ الفراتِ القراقرُ

فسبَّحتُ واسترجعتُ والبينُ روعةٌ لمنْ لم يكنْ ترعي عليهِ المقادرُ

وآنستُ في الأعداءِ حولي شماتةً بها نظرتْ نحوي العيونُ النَّواظرُ

وقال الخليُّونَ انتظرْ أنْ يصورهمْ إليكَ إذا ما الصَّيفُ صارَ المصابرُ

فقلتُ لأصحابي ارحلوا إنَّما المُنى — لحاقٌ بهمْ إنْ بلَّغتنا الأباعِرُ
تودِّعْ وداعَ البينِ أو ترتجعْ هوًى — جديداً على عصيانِ مَن لا يوامِرُ
فما ألحقتنا العيسُ حتَّى تفاضلتْ — وحتَّى على طيِّ البرينِ المكاوِرُ
وحتَّى اعتممنَ البرسَ من خلجِها البُرى — يكونُ لثاميهِ الذي لا يطايرُ
إذا ما تغنَّى راكبٌ أجمزتْ بهِ — جماهرةٌ خطّارةٌ أو جماهِرُ
نسوفُ لطرفِ العينِ أمّاً ورقبةً — شديد حزيمِ الزَّورِ بالسَّيرِ ماهِرُ
مجدٌّ كقدحِ الفرضِ بالكفِّ صكّهُ — على عادةٍ منهُ خليعٌ مقامِرُ
بحيثُ التقتْ أحلاسهُ مِن دفوفهِ — مواردُ مِن أنساعهِ ومصادِرُ
إذا شكَّ لحييهِ لغامٌ أزالهُ — سديسٌ ونابٌ كالشَّعيرةِ فاطِرُ
وحبّ حبيبٍ قدْ دعاني لهُ الهوى — وراحلةٍ قد أعملتْها تماضِرُ

عشيَّةَ سلَّمنا عليها فسلَّمتْ — فماذا ترى أن أيَّ شيءٌ تحاذِرُ
فقلتُ لها عنْ غيرِ سخطٍ ولا الرّضا — أغيريَ أمْ إيَّايَ غيثكِ ماطِرُ
فقالتْ تعلَّمْ أهلنا ليسَ فيهِم — بكلِّ الذي تلقى منَ الوجدِ عاذِرُ
فكنْ منهمُ إنْ كنتَ ترجو هوادةً — على حذرٍ ما دامَ للزَّيتِ عاصِرُ
وكيفَ ولا أنساكَ عنْ طولِ هجرةٍ — فأسلو إلاَّ ريثَ ما أنا ذاكِرُ
طوالَ اللَّيالي ما تغنَّتْ حمامةٌ — يميحُ بها غصنٌ وبالرِّيحِ ناضِرُ
تثنِّي جناحيها إذا آدَ غصنُها — حذاراً وهولاً أنْ تزلَّ الأظافرُ
يجاوبُها في الأيكِ منْ بطنِ بيشةٍ — على هدبِ الأفنانِ ورقٌ نظائِرُ
صوادحُ مثلُ الشَّربِ يُبدي رنينُها — منَ الشَّوقِ ما كانت تسرُّ السَّرائِرُ
كأنَّ الذي ننعَى لها الميتَ ملعبٌ — لإصبهبذٍ تُجبى إليهِ الدَّساكِرُ

وقال رقيع:

غدتْ عذَّالتايَ فقلتُ مهلاً — أفي وجدٍ بليلى تعذُلاني
أعاذلتيَّ مهلاً بعضَ لومي — كفاني منْ عنائِكما كفاني

أقلِّي اللَّومَ قدْ حرَّبتُ عيشي وقد علِّمتُ إنْ علمٌ نهاني
إذا طاوعتُ علمَكما فمنْ لي منَ الغيبِ الذي لا تعلَماني
خليليَّ انظُراني علَّني أُقضِّي حاجتي لوْ تربعانِ
ألمَّا بي على رسمٍ قديمٍ لليلى بينَ صارةَ والقنانِ
وقفتُ بها فظلَّ الدَّمعُ يجري على خدَّيَّ أمثالَ الجمانِ
نسائلُ أينَ صارت دارُ ليلى فضنَّ الرَّبعُ عنَّا بالبيانِ
نأتْ ليلى فلا تدنُو نواها ولو أُشفى بمنطقِها شفاني
وموماةٍ تملُّ العيس حتَّى تقطِّعها بغيطانٍ بطانِ
وهمٍّ قدْ قريتُ زماعَ أمرٍ إذا ما الهمُّ بالنُّصبِ اعتراني
قطعتُ بناتحِ الذِّفرى سبنتًى سبوحِ المشيِ عوَّامِ الحرانِ
أشجُّ بهِ رؤوسَ البيدِ شجّاً إذا ما الآلُ ألوى بالرِّعانِ
إذا ما القومُ منَّوا حادييهمْ دنوَّ الشَّيءِ ليسَ لهمْ يدانِ
هناكَ أُهينُ راحلتي ورحلي وما لرفيقِ رحلي منْ هوانِ
فذرْ هذا ولكنْ غيرَ هذا عنيتُ منَ المقالةِ أوْ عناني
فإنْ كانَ العداوةُ منكَ حقّاً تجدِّدُ لي إذنْ حتَّى تراني
فننظرُ ما لديكَ إذا التقيْنا وتنزعُ إنْ جريتَ وأنتَ وانِ
فإنْ تعجزْ فقدْ أبليتُ عجزاً وإنْ تصبرْ فأنتَ على مكانِ
توارثَني الغواةُ فجرَّبوني حفيظَ العقبِ جيَّاشَ العنانِ
ليَ السَّبقُ المبرِّزُ كلَّ يومٍ إذا صاحَ الجوالبُ بالرِّهانِ
أصابَ الدَّهرُ منْ جسدي وأبقى كما يبقى منَ السِّيفِ اليماني
وقدْ ضحكتْ زنيبةُ منْ شحوبي وشيبٍ في المفارقِ قدْ علاني
وماذا الشَّيبُ عنْ قدمٍ ولكنْ أشابَ الرَّأسَ روعاتُ الزَّمانِ
وهمٍّ داخلٍ أفنى ثناهُ سوادَ اللحمَ منِّي فابترانـي
وما قالتْ مقالَتها بغشٍّ ولكنْ هوِّلتْ منْ أنْ ترانـي

وكانَ ليَ الشَّبابُ خليلَ صدقٍ فبانَ وما قليتُ ولا قلاني
كذلكَ كلُّ ندمانيْ صفاءٍ إلى أجلٍ هما متفرِّقانِ

مسلم بن معبد

وقال مسلم بن معبد الأسدي، وهو ابن عم رقيع، وخرج إلى الشام ليأخذ عطاءه فلما جاء المصدِّق وثب بنو رقيع على إبل مسلم فكتبوها، واعتدوا عليه فيها، وكان العريف منهم. فلما قدم مسلم أُخبر بما صنع بنو رقيع، فقال مسلم:

بكتْ إبلي وحقَّ لها البكاءُ وفرَّقها المظالمُ والعداءُ
إذا ذكرتْ عرافةَ آلِ بشرٍ وعيشاً ما لأوَّله انثناءُ
ودهراً قد مضى ورجالَ صدقٍ سعَوا لي كانَ بعدهمُ الشَّقاءُ
إذا ذُكر العريفُ لها اقشعرَّتْ ومسَّ جلودَها منهُ انزواءُ
وكدنَ بذي الرُّبا يدعونَ باسمي ولا أرضٌ لديَّ ولا سماءُ
فظلَّتْ وهيَ ضامرةٌ تعادَى من الجرّاتِ جاهدَها البلاءُ
تؤمِّلُ رجعةً منِّي وفيها كتابٌ مثلَ ما لزقَ الغراءُ

تظلُّ وبعضُها يبكي لبعضٍ بكاءَ التُّركِ قسَّمها السِّباءُ
على سحِ الخدودِ شداقماتٍ كأنَّ لحَى جماجمِها الفراءُ
كأنَّ عيونهنَّ قلاتُ هضبٍ تحدَّرَ من مدامعهنَّ ماءُ
ويلهمنَ السِّجالَ بسرطماتٍ تهالكُ في مراشفِها الدِّلاءُ
إذا اعتكرتْ على المركوِّ دقَّتْ صفائحهُ وقد ثلمَ الإزاءُ
كأنَّ جذوعَ أخضرَ فارسيٍّ تحدَّرَ منْ كوافرهِ المطاءُ
خرجنَ منابتَ الأعناقِ منها يزيِّنها القلائدُ والنُّهاءُ
مبيِّنةٌ ترى البصراءَ فيها وأفيالَ الرِّجالِ وهمْ سواءُ
يظلُّ حديثُها في القومِ يجري ولمْ يكُ منهمُ فيها مراءُ
منَ اللاَّئي يردنَ العيشَ طيباً وترقى في معاقلِها الدِّماءُ

تنشَّرُ في الصَّبا وتذودُ عنها صميمَ القرِّ أثباجٌ دفاءُ
إذا عقلَ الشِّتاءُ الخورَ باتتْ عواشيَ ما يعقِّلها الشِّتاءُ
جلادٌ مثلَ جندلِ لبنَ فيها خبورٌ مثلُ ما خسفَ الحساءُ
عذرتُ النَّاسَ غيركَ في أمورٍ خلوتُ بها فما نفعَ الخلاءُ
فليسَ على ملامتناكَ لومٌ وليسَ على الذي تلقى بقاءُ
ألمَّا أنْ رأيتَ النَّاسَ ليستْ كلابهمُ عليَّ لها عواءُ
ثنيتَ ركابَ رحلكَ معْ عدوِّي بمختبلٍ وقد برحَ الخفاءُ
ولاخيتُ الرِّجالَ بذاتِ بيني وبينكَ حينَ أمكنكَ اللّخاءُ
فأيّ أخٍ لسلمكَ بعدَ حربي إذا قومُ العدوِّ دعوا فجاؤوا
فقامَ الشَّرُّ منكَ وقمتَ منهُ على رجلٍ وشالَ بكَ الجذاءُ
هنالكَ لا يقومُ مقامَ مثلي منَ القومِ الظَّنونُ ولا النّساءُ
وقد عيَّرتني وجفوتَ عنِّي فما أنا ويبُ غيركَ والجفاءُ
فقدْ يغنى الحبيبُ ولا يُراخي مودَّتهُ المغانمُ والحباءُ
ويوصلُ ذو القرابةِ وهوَ ناءٍ ويبقى الدِّينُ ما بقيَ الحياءُ
جزى اللهُ الصَّحابةَ عنكَ شرّاً وكلُّ صحابةٍ لهمُ جزاءُ
بفعلهم فإنْ خيراً فخيراً وإنْ شرّاً كما مثلَ الحذاءُ
وإيَّاهمْ جزى منِّي وأدَّى إلى كلٍّ بما بلغَ الأداءُ
فقد أنصفتهمْ والنّصفُ يرضى بهِ الإسلامُ والرَّحمُ البواءُ
لددتهمُ النَّصيحةَ كلَّ لدٍّ فمجُّوا النُّصحَ ثمَّ ثنَوا فقاؤوا
إذا مولًى رهبتُ اللهَ فيهِ وأرحاماً لها قبلي رعاءُ
رأى ما قدْ فعلتُ بهِ موالٍ فقدْ غمرتْ صدورهمُ وداؤوا
وكيفَ بهمْ وإنْ أحسنتُ قالوا أسأتَ وإنْ غفرتُ لهمْ أساؤوا
فلا وأبيكَ لا يُلقى لما بي وما بهم منَ البلوى شفاءُ

السَّموأل بن عادياء

وقال السَّموأل بن عادياء الأزدي، وهو جاهلي:

إذا المرءُ لمْ يدنسِ منَ اللُّؤمِ عرضهُ ... فكلُّ رداءٍ يرتديهِ جميلُ
وإنْ هو لمْ يحملْ على النَّفسِ ضيمَها ... فليسَ إلى حسنِ الثَّناءِ سبيلُ
تعيِّرنا أنَّا قليلٌ عديدُنا ... فقلتُ لها إنَّ الكرامَ قليلُ
وما قلَّ منْ كانتْ بقاياهُ مثلنا ... شبابٌ تسامى للعُلا وكهولُ
وما ضرَّنا أنَّا قليلٌ وجارُنا ... عزيزٌ وجارُ الأكرمينَ ذليلُ
لنا جبلٌ يحتلُّهُ مَن نجيرهُ ... منيعٌ يردُّ الطَّرفَ وهوَ كليلُ
رسا أصلهُ تحتَ الثَّرى وسما بهِ ... إلى النَّجمِ فرعٌ لا ينالُ طويلُ
هوَ الأبلقُ الفردُ الذي سارَ ذكرهُ ... يعزُّ على مَن رامهُ ويطُولُ
وإنَّا لقومٌ لا نرى القتلَ سبَّةً ... إذا ما رأتهُ عامرٌ وسلُولُ
يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا لنا ... وتكرههُ آجالهمْ فتطُولُ
وما ماتَ منَّا سيِّدٌ حتفَ أنفهِ ... ولا طلَّ منَّا حيثُ كانَ قتيلُ
تسيلُ على حدِّ السّيوفِ نفوسُنا ... وليستْ على غيرِ السّيوفِ تسيلُ
صفوْنا فلمْ نكدرْ وأخلصَ سرَّنا ... إناثٌ أطابتْ حملَنا وفحُولُ
علوْنا إلى خيرِ الظُّهورِ وحطَّنا ... لوقتٍ إلى خيرِ البطونِ نزُولُ

فنحنُ كماءِ المزنِ ما في نصابِنا ... كهامٌ ولا فينا يعدُّ بخيلُ
وننكرُ إنْ شئنا على النَّاسِ قولهمْ ... ولا ينكرونَ القولَ حينَ نقُولُ
إذا سيِّدٌ منَّا خلا قامَ سيِّدٌ ... قؤولٌ لما قالَ الكرامُ فعُولُ
وما أُخمدتْ نارٌ لنا دونَ طارقٌ ... ولا ذمَّنا في النَّازلينَ نزيلُ
وأيَّامنا مشهورةٌ في عدوِّنا ... لها غررٌ معلومةٌ وحجُولُ
وأسيافنا في كلِّ شرقٍ ومغربٍ ... بها منْ قراعِ الدَّارعينَ فلُولُ
معوَّدةٌ أنْ لا تسلَّ نصالُها ... فتغمدَ حتَّى يستباحُ قبيلُ
سَلي إنْ جهلتِ النَّاسَ عنَّا وعنكمُ ... وليسَ سواءٌ عالمٌ وجهُولُ

فإنَّ بني الدّيّانِ قطبٌ لقومهمْ تدورُ رحاهمْ حولهمْ وتجُولُ

أبو الأخيل العجليّ

وقال أبو الأخيل العجليّ، وكان آخر أيام بني أمية:

ألا يا اسلمي ذاتَ الدَّماليجِ والعقدِ وذاتَ الثَّنايا الغرِّ والفاحمِ الجعْدِ
وذاتِ اللّثاثِ الحوِّ والعارضِ الذي بهِ أبرقتْ عمداً بأبيضَ كالشّهْدِ
كأنَّ ثناياها اغتبقنَ مدامةً ثوتْ حججاً في رأسِ ذي قنَّةٍ فرْدِ
وكيفَ أُرجِّيها وقدْ حالَ دونَها نميرٌ وأجبالٌ تعرَّضنَ منْ نجْدِ
لعمري لقدْ مرَّتْ ليَ الطَّيرُ آنفاً بما لمْ يكنْ إذْ مرَّتِ الطَّيرُ منْ بدِّ
ظللتُ أُساقي الموتَ إخوتيَ الأُلى أبوهمْ أبي عندَ المزاحِ أو الجدِّ
كِلانا يُنادي يا نزارُ وبينَنا قناً منْ قنا الخطِّيّ أوْ منْ قنا الهنْدِ
قرومٌ تسامَى منْ نزارٍ عليهمِ مضاعفةٌ منْ نسجِ داوودَ والسُّغْدِ
إذا ما حملْنا حملةً مثلوا لنا بمرهفةٍ تُذري السَّواعدَ منْ صعْدِ
وإنْ نحنُ نازلناهمُ بصوارمٍ ردوا في سرابيلِ الحديدِ كما نردي
كفى حزناً أنْ لا أزالَ أرى القنا يمجُّ نجيعاً منْ ذراعي ومنْ عضدي
لعمري لئنْ رمتُ الخروجَ عليهمِ بقيسٍ على قيسٍ وعوفٍ على سعْدِ
وضيَّعتُ عمراً والرّبابَ ودارماً وعمرو بنَ أُدٍّ كيفَ أصبرُ عنْ أُدِّ
لكنتُ كمهريقِ الذي في سقائهِ لرقراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صلْدِ
كمرضعةٍ أولادَ أُخرى وضيَّعتْ بني بطنِها هذا الضَّلالُ عنِ القصْدِ
فأُوصيكُما يا بنيْ نزارٍ فتابعا وصيَّةَ مُفضي النُّصحِ والصِّدقِ والودِّ
فلا تعلمنَّ الحربَ في الهامِ هامتي ولا ترميا بالنَّبلِ ويْحكُما بعدي
أما ترهبانِ اللهَ في ابنِ أبيكُما ولا ترجوانِ اللهَ في جنَّةِ الخلْدِ
فما تربُ أثرى لوْ جمعتُ ترابها بأكثرَ من إبنيْ نزارٍ على العدِّ
هُما كنفا الأرضِ اللَّذا لوْ تزعزعا تزعزعَ ما بينَ الجنوبِ إلى السُّدِّ

وإنِّي وإنْ غادرتهمْ أو جفوتهمْ لتألمُ ممَّا عضَّ أكبادهمْ كبدي

فإنَّ أبي عندَ الحفاظِ أبوهمُ وخالهمُ خالي وجدُّهمُ جدي

رماحهمُ في الطُّولِ مثلُ رماحِنا وهمْ مثلُنا قدَّ السُّيورِ منَ الجلْدِ

زياد بن زيد

وقال زياد بن زيد العذري بن مالك بن عامر بن ثعلبة بن قرَّة بن خنيس بن ثعلبة بن ذبيان بن الحارث بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن إلحاف بن قضاعة:

أراكَ خليلاً قدْ عزمتَ التَّجنُّبا وقطَّعتَ أوطارَ الفؤادِ المحجَّبا

فوصلاً ولا تقطعْ علائقَ خلَّةٍ أُميمة حتَّى بتَّها فتقضَّبا

ولا تكُ كالنَّاسي الخليل إذا دنتْ بهِ الدَّارُ والباكي إذا ما تغيَّبا

فسلِّ الهوى أو كنْ إذا ما لقيتَها كذي ظفرٍ يرمي إذا الصيدُ أسقَبا

فقدْ أعذرتْ صرفُ الدِّيارِ بأهلِها وشحطُ النَّوى بيني وبينكَ مطلَبا

فأصبحَ منْ بعدِ الفراقِ عميدُها خليلاً إذا ما النَّأي عنها تطرَّبا

فلا هيَ تألو ما نأتْ وتباعدتْ ولا هوَ يألو ما دنا وتقرَّبا

فكيفَ تلومُ النَّفسَ فيما هجرتَها وللقلبُ فيما لمتَها كانَ أذنَبا

أطعتُ بها قولَ الوشاةِ فما أرى ال وشاةَ انتهُوا عنَّا ولا الدَّهرَ أعتَبا

فهلاَّ صرمْت والجبالُ متينةٌ أُميمةَ إنْ واشٍ غويٌّ تكذَّبا

وشعثٍ يجدُّونَ النِّعالَ لضمَّرٍ سواهمَ يقطعنَ المليعَ المذبذَبا

جنوحاً كأسرابِ القطا راحَ مقصراً روايا فراخٍ بالفلاةِ فأطنَبا

عسفتُ بهمْ داويَّةً ما ترى بها هدًى راكبٌ إلاَّ صفيحاً منصَّبا

وكمْ دونها من مهمهٍ وتنوفةٍ ومنْ كاشحٍ قدْ جاءَ بعدي فعقَّبا

وراحلةٍ تشكو الكلالَ زجرتُها إذا اللَّيلُ عنْ ضوءِ الصَّباحِ تجوَّبا

جماليَّةٍ قدْ غادرتْ في مناخِها لدى مجهضٍ كالرَّألِ ذئباً وثعلَبا

وأذهبَ منها النَّصَّ في كلِّ مهمهٍ سناماً منَ العاميِّ قدْ كانَ أوصبَا

فصارتْ كجفنِ السَّيفِ حرفاً رذيَّةً بِرى النّي عنها والسَّديفَ الملحَّبا

وأسطعَ نهَّاضٍ أمينٍ فقارهُ يعومُ بصلبٍ كالقناطرِ أحدَبا

قذوفٍ إذا ما استأنستْ منْ مناخِها سما طرفُها واستوفزتْ لتقرَّبا

تواترُ بينَ الحرَّتينِ كأنَّها فريدٌ يراعي بالجنينةِ ربربَا

إذا خفتَ شكَّ الأمرِ فارمِ بعزمةٍ غيابتهُ يركبْ بكَ العزمُ مركبا

وإنْ وجهةٌ سدَّتْ عليكَ فروجُها فإنَّكَ لاقٍ لا محالةَ مذهَبا

ولمْ يجعلِ اللهُ الأمورَ إذا اجتدتْ عليكَ رتاجاً لا يرامُ مضبَّبا

كذاكَ الفتى يوماً إذا ما تقلَّبتْ بهِ صيرفيَّاتُ الأمورِ تقلَّبا

يلامُ رجالٌ قبلَ تجريبِ أمورهمْ وكيفَ يلامُ المرءُ حتَّى يجرَّبا

وإنِّي لمعراضٌ قليلٌ تعرُّضي لوجهِ امرئٍ يوماً إذا ما تجنَّبا

قليلٌ عِدادي حينَ أُذعرُ ساكناً جناني إذا ما الحربُ هرَّتْ لتكلَبا

وحشَّ الكماةُ بالسِّيوفِ وقودَها حفاظاً وبالخطّيِّ حتَّى تلهَّبا

فلمْ ينسِني الجهلُ الحياءَ ولمْ أكنْ أميناً ولمْ أُرسلْ لساني ليخدبا

على النَّاسِ إلاَّ أنْ أرى الدَّاءَ بارزاً فأقمعَ نجمَ الدَّاءِ عنِّي فيجلبا

حؤوطٌ لأقصى الأهلِ أُخشى وراءهُ مذبٌّ ومثلي عنْ حمى الأصلِ ذبَّبا

وما باتَ جهلي رائحاً مذْ تركتهُ وليداً ولا حلمي يبيتُ معزّبا

بحسبكَ ما يُلقيكَ فاجمعْ لنازلٍ قراهُ ونوِّبهُ إذا ما تنوَّبا

ولا تنتجعْ شرّاً إذا حيلَ دونهُ بسترٍ وهبْ أستارهُ ما تغيَّبا

أنا ابنُ رقاشٍ وابنُ ثعلبةَ الذي بنى هادياً يعلو الهواديَ أغلَبا

منَ الغرِّ بنياناً لقومٍ تماصَعوا بأسيافهمْ عنهُ فأصبحَ مصعَبا

فما إنْ ترى في النَّاسِ أُمّاً كأُمِّنا ولا كأبينا حينَ ننسبهُ أبا

أتمَّ وأنمى بالبنين إلى العُلا وأكرمَ منَّا في القبائلِ منصبا

وأخصبَ في المقرَى وفي دعوةِ النَّدى إذا طائفُ الرُّكبانِ طافَ فأحدَبا

ملكْنا ولمْ نُملكْ وقُدنا ولمْ نُقدْ وكانَ لنا حقّاً على النَّاسِ ترتَبا

بآيةِ أنَّا لا نرى متتوِّجاً		منَ النَّاسِ يعلونا بتاجٍ معصَّبا
ولا ملكاً إلاَّ اتَّقانا بمُلكهِ		ولا سوقةً إلاَّ على الخرجِ أُتعبا
ولدْنا ملوكاً واستبحْنا حماهمُ		وكنَّا لهمْ في الجاهليَّةِ موكبا
ندامَى وأردافاً فلمْ نرَ سوقةً		توازنُنا فاسألْ إياداً وتغلبا

وقال زيادة أيضاً:

ألِمَّا بليلى يا خليليَّ واقْصرا		فما لمْ تزوراها بنا كانَ أكثَرا
وعُوجا المطايا طالَ ما قدْ هجرتُما		عليها وإنْ كانَ المعوِّجُ أعسَرا
كفى حزناً أن تجمعَ الدَّارُ بينَنا		بصرمٍ لليلى بعدَ ودٍّ وتهجُرا
ولمْ أرَ ليلى بعدَ يوم لَقيتها		تكفُّ دموعَ العينِ أنْ تتحدَّرا
منعَّمةٌ يُصبي الحليمَ كلامُها		تمايلُ في الرُّكنينِ منها تبختُرا
متى يرَها العجلانُ لا يثنِ طرفهُ		إلى عينهِ حتَّى يحارَ ويحسرا

ولو جُليتْ ليلى على اللَّيلِ مظلماً		لجلَّتْ ظلامَ اللَّيلِ ليلى فأقمرا
إذا ما جعلْنا منْ سنامٍ مناكباً		وركناً منَ البقّارِ دونكِ أعفرا
فقدْ جدَّ جدُّ الهجرِ يا ليلَ بينَنا		وشحْطُ النَّوى إلاَّ الهوى والتَّذكُّرا
وكمْ دونَ ليلى بلدةً مسبطرَّةً		تقودُ فلاها العيسَ حتَّى تحسَّرا
تنفَّذتُ حضنَيها بأمرٍ منضَّخٍ		وخطَّارةٍ تُشري الزِّمامَ المزرَّرا
كأنَّ بذفْراها وبلدةِ زورِها		إذا نجدتْ نضخَ الكحيلِ المقيَّرا
كأنَّ لها في السَّيرِ لهواً تلذُّهُ		إذا افترشتْ خبتاً منَ الأرضِ أغبَرا
خبوبُ السُّرى عيرانةٌ أرحبيَّةٌ		عسوفٌ إذا قرنُ النَّهارِ تدبَّرا
تليحُ بريَّانِ العسيبِ كأنَّهُ		عثاكيلُ قنوٍ منْ سميحةَ أيسَرا
تسدُّ بهِ طوراً خوايةَ فرجِها		وطوراً إذا شالتْ تراهُ مشمِّرا
فأجمعتْ جدّاً يا بنَ زيدِ بنِ مالكٍ		بما كنتَ أحياناً إلى اللَّهوِ أصورَا
أفاقَ وجلَّى عنْ وقارٍ مشيبهُ		وأجلى غطاءُ الدَّهرِ عنهُ فأبصَرا

وكنتَ امرءاً منكَ الأناةُ خليقةً وشهماً إذا سيمَ الدَّنيَّةَ أنكَرا

أناةَ امرئٍ يأتي الأمورَ بقدرةٍ متى ما يردْ لا يعيَ منْ بعدُ مصدَرا

وقدْ غادرتْ منِّي الخطوبُ ابنَ حقبةٍ صبوراً على وقعِ الخطوب مذكّرا

إذا ما انتهى عِلمي تناهيتُ عندهُ أطالَ فأملَى أو تناهَى فأقصَرا

ولا أركبُ الأمرَ المدوِّيَ علمهُ بعميائهِ حتَّى أرونَ وأنظُرا

وما أنا كالعشواءِ تركبُ رأسَها وتبرزُ جنباً للمُعادينَ مصحِرا

ويخبرُني عنْ غائبِ الدَّهرِ هديهُ كفى الهديُ عمَّا غيَّبَ المرءُ مخبِرا

سبقتَ ابنَ زيدٍ كلَّ قومٍ بقدرةٍ فأنتَ الجوادُ جارياً ومغمّرا

هوَ الفيضُ وابنُ الفيضِ أبطأَ جريهُ إذا الخيلُ جاءتْ أنْ يجيءَ مصدّرا

وإنْ غلاماً كانَ وارثَ عامرٍ ووارثَ ربعيٍّ لأهلٌ ليفخَرا

بنو الصَّالحينَ الصَّالحونَ ومنْ يكنْ لآباءِ صدقٍ يلقَهمْ حيثُ سيَّرا

وما المرءُ إلاَّ ثابتٌ في أرومةٍ أبى منبتُ العيدانِ أن يتغيَّرا

وأعمامهُ يومَ الهباءةِ أطلقُوا أسارى ابنِ هندٍ يومَ تُهدى لقيصرَا

وهمْ رؤساءُ الجمعِ غيرَ تنحُّلٍ بثهمدَ إذْ هاجوا بهِ الحيَّ حضَّرا

دفعتُ وقد أعيا الرِّجالُ بدفعها وأصبحَ منِّي مدرهُ القومِ أوجَرا

ومنَّا الذي للحمدِ أوقدَ نارهُ يرى ضوءها منْ يافعٍ مَن تنوَّرا

وآذنَ أنْ مَن جاءنا وهوَ خائفٌ فإنَّ لهُ مَن كانَ أنْ يتخفَّرا

إذا شاءَ أنْ يرعى معَ النَّاسِ آمناً لهُ السَّربُ لا يخشى من النَّاسِ معشَرا

هوَ العودُ إلاَّ ثابتٌ في أرومةٍ أبى صالحُ العيدانِ أنْ يتغيَّرا

أُولئكَ قومي كانَ يأمنُ جارهمْ ويُحرزُ مولاهمْ إذا السَّرحُ نفِّرا

إذا أبصرَ المولى بحيَّةِ مأزقٍ منَ الأرضِ يخشاها أهلَّ وأسفَرا

مطاعيمُ للأضيافِ في كلِّ شتوةٍ سنينَ الرِّياحِ ترجعُ اللِّيطَ أغبَرا

إذا صارتِ الآفاقُ حمراً كأنَّما يجلِّلنَ بالنَّوءِ الملاءَ المعصفَرا

هدبة بن الخشرم

وقال هدبة بن الخشرم بن كرز بن حجير بن أسحم بن عامر يرد على زيادة:

تذكَّرتُ شجواً من شجاعةَ مُنصبا ... تليداً ومنتاباً منَ الشَّوقِ محلبا

تذكَّرتُ حيّاً كانَ في ميعةِ الصِّبا ... ووجداً بها بعَد المشيبِ معقِّبا

إذا كانَ ينساها تردَّدَ حبُّها ... فيالكَ قدْ عنَّى الفؤادَ وعذَّبا

طنًى منْ هواها مستكنٌّ كأنَّهُ ... خليعُ قداحٍ لمْ يجدْ متنشَّبا

فأصبحَ باقي الودّ بيني وبينَها ... رجاءً على يأسٍ وظنّاً مغيّبا

ويومَ عرفتُ الدَّارَ منها ببيشةٍ ... فخلتُ طلولَ الدَّارِ في الأرضِ مذهبا

تبيَّنتُ منْ عهدِ العراصِ وأهلِها ... مرادَ جواري بالصَّفيحِ وملعبا

وأجنفَ مأطورِ القَرى كانَ جنَّةً ... منَ السَّيلِ عالتهُ الوليدةُ أحدبا

بعينيكَ زالَ الحيُّ منها لنيَّةٍ ... قذوفٍ تشوقُ الآلفَ المتطرِّبا

فزمُّوا بليلٍ كلَّ وجناءَ حرَّةٍ ... ذقونٍ إذا ما سائقُ الرَّكبِ أهذبا

وأعيسَ نضّاخِ المقذِّ تخالهُ ... إذا ما تدانى بالظَّعينةِ أنكبا

ظعائنَ مُتباعِ الهوى قذفِ النَّوى ... فرودٍ إذا خافَ الجميعُ تنكَّبا

فقدْ طالَ ما علّقتْ ليلى مغمَّراً ... ولیداً إلى أنْ صارَ رأسكَ أشيبا

فلا أنا أُرضي اليومَ منْ كانَ ساخطاً ... تجنُّبَ ليلى إنْ أرادَ تجنُّبا

رأيتكَ منْ ليلى كذي الدَّاءِ لمْ يجدْ ... طبيباً يداوي ما بهِ فتطبَّبا

فلمَّا اشتفى ممَّا بهِ علَّ طبَّهُ ... على نفسهِ ممَّا بهِ كانَ جرَّبا

فدعْ عنكَ أمراً قدْ تولَّى لشأنهِ ... وقضِّ لباناتِ الهوى إذْ تقضَّبا

بشهمٍ جديليٍّ كأنَّ صريفهُ ... إذا اصطكَّ ناباهُ تغرُّدُ أخطبا

برى أُسَّهُ عنه السِّفارَ فردَّهُ ... إلى خالصٍ منْ ناصعِ اللَّونِ أصهبا

بهِ أجتدي الهمَّ البعيدَ وأجتزي ... إذا وقدَ اليومُ المليعَ المذبذَبا

ألا أيُّهذا المحتدينا بشتمهِ ... كفى بيَ عن أعراضِ قومي مرهبا

وجاريتَ منِّي غيرَ ذي مثنويَّةٍ ... على الدّفعةِ الأولى مبرّاً مجرَّبا

لزازَ حضارٍ يسبقُ الخيلَ عفوهُ وساطٍ إذا ضمَّ المحاضر معقِبا
يجول أمام الخيل ثاني عطفه إذا صدره بعد التناظر صوبا
تعالَوا إذا ضمَّ المنازلُ منْ منًى ومكَّةُ من كلِّ القبائلِ منكِبا
نواضعكمْ أبناءنا عنْ بنيكمُ على خيرِنا في النَّاسِ فرعاً ومنصبا
وخيرٍ لجارٍ من موالٍ وغيرهمْ إذا بادرَ القومُ الكنيفَ المنصَّبا
وأسرعَ في المِقرى وفي دعوةِ النَّدى إذا رائدٌ للقومِ رادَ فأجدبا
وأقْولَنا للضَّيفِ ينزلُ طارقاً إذا كرهَ الأضيافُ أهلاً ومرحبا
وأصبرَ في يومِ الطِّعانِ إذا غدتْ رعالاً يبارينَ الوشيجَ المذرَّبا
هنالكَ يُعطي الحقَّ منْ كانَ أهلهُ ويغلبُ أهلُ الصِّدقِ منْ كانَ أكذبا
وإنْ تسأموا منْ رحلةٍ أوْ تعجِّلوا أنَى الحجِّ أخبركمْ حديثاً مطنّبا
أنا المرءُ لا يخشاكمُ إنْ غضبتمُ ولا يتوقَّى سخطكمْ إنْ تغضَّبا
أنا ابنُ الذي فاداكمُ قدْ علمتمُ ببطنِ معانٍ والقيادَ المجنَّبا
وجدِّي الذي كنتمْ تطلُّونَ سجّداً لهُ رغبةً في ملكهِ وتحوُّبا
ونحنُ رددنا قيسَ عيلانَ عنكمُ ومنْ سارَ منْ أقطارها وتألَّبا
بشهباءَ إذْ شبَّتْ لحربٍ شبوبُها وغسَّانَ إذْ زافوا جميعاً وتغلبا
بنقعاءَ أظللنا لكمْ منْ ورائهمْ بمنخرقِ النَّقعاءِ يوماً عصبصبا
فأُبنا جدالاً سالمينَ وغودروا قتيلاً ومشدود اليدينِ مكلَّبا
ألمْ تعلموا أنَّا نذبِّبُ عنكمُ إذا المرءُ عنْ مولاهُ في الرَّوعِ ذبَّبا
وإنَّا نزكِّيكم ونحملُ كلَّكمْ ونجبرُ منكمْ ذا العيالِ المعصَّبا
وإنَّا بإذنِ اللهِ دوَّخَ ضربُنا لكمْ مشرقاً منْ كلِّ أرضٍ ومغربا
علينا إذا جدَّتْ معدٌّ قديمها ليومِ النّجادِ ميعةً وتغلُّبا
وإنَّا أناسٌ لا نرى الحلمَ ذلَّةً ولا العجزَ حينَ الجدُّ حلماً مورَّبا
ونحنُ إذا عدَّتْ معدٌّ قديمها يعدُّ لنا عدّاً على النَّاسِ ترتَبا
سبقنا إذا عدَّتْ معدٌّ قديمها ليومِ حفاظٍ ميعةً وتقلُّبا

وإنَّا لقومٌ لا نرى الحلمَ ذلَّةً ولا نبسلُ المجدَ المنى والتَّجلُّبا
وإنَّا نرى منْ أُعدمَ الحلمَ معدماً وإنْ كانَ مدثوراً منَ المالِ متربا
وذو الوفرِ مستغنٍ وينفعُ وفرهُ وليسَ يبيتُ الحلمُ عنَّا معزِّبا
ولا نخذلُ المولى ولا نرفعُ العصا عليهِ ولا نزجي إلى الجارِ عقربا
فهذي مساعينا فجيئوا بمثلِها وهذا أبونا فابتغُوا مثلهُ أبا

وكانَ فلا تودُوا عنِ الحقِّ بالمنى أفكَّ وأولى بالعلاءِ وأوهبا
لمثنى المئين والأُسارى لأهلِها وحمل الضِّباعِ لا يرى ذاكَ مُتعبا
وخيراً لأدنى أصلهِ من أبيكمُ وللمُجتدي الأقصى إذا ما تثوَّبا

وقال هدبة يرد على زيادة، وقيل قالها في الحبس بعد قتله زيادة:

عفا ذو الغضا منْ أمِّ عمرٍو فأقفرا وغيَّرهُ بعدي البلى فتغيَّرا
وبدِّلَ أهلاً غيرها وتبدَّلتْ بهِ بدلاً مبدًى سواهُ ومحضَرا
إلى عصرٍ ثمَّ استمرَّتْ نواهمُ لصرفٍ مضى عنْ ذاتِ نفسكَ أعسَرا
وكانَ اجتماعُ الحيِّ حتَّى تفرَّقوا قليلاً وكانوا بالتَّفرُّقِ أجدرا
بلِ الزَّائرُ المنْئابُ منْ بعدِ شقَّةٍ وطولِ تناءٍ هاجَ شوقاً وذكَّرا
خيالٌ سرى منْ أمِّ عمرٍو ودونَها تنائفُ تُردي ذا الهبابِ الميسَّرا
طروقاً وأعقابُ النُّجومِ كأنَّها توالي هجانٍ نحوَ ماءٍ تغوَّرا
فقلتُ لها أُوبي فقدْ فاتنا الصِّبا وآذنَ ريعانُ الشَّبابِ فأدبَرا
وحالتْ خطوبٌ بعدَ عهدكِ دوننا وعدَّى عنِ اللَّهوِ العداءُ فأقصَرا
أمورٌ وأبناءٌ وحالٌ تقلَّبتْ بنا أبطناً يا أمَّ عمرٍو وأظهُرا
أُصبنا بما لوْ أنَّ رضوى أصابَها لسهَّلَ من أركانها ما توعَّرا
فكمْ وجدتْ منْ آمنٍ فهوَ خائفٌ وذي نعمةٍ معروفةٍ فتنكَّرا
بأبيضَ يستسقى الغمامُ بوجههِ إذا اختيرَ قالوا لمْ يقلْ مَن تخيَّرا
ثمالِ اليتامى يبرئُ القرحَ مسُّهُ وشهمٍ إذا سيمَ الدَّنيَّةِ أنكَرا

صبورٍ على مكروهِ ما يجشمُ الفتى ... ومرٍّ إذا يُبغى المرارةُ ممقِرا
منَ الرَّافعينَ الهم للذّكرِ والعُلا ... إذا لم ينؤْ إلاَّ الكريمُ ليُذكَرا
وريقٍ إذا ما الخابطونَ تعالموا ... مكانَ بقايا الخيرِ أنْ يتأثَّرا
رُزينا فلمْ نعثرْ لوقعته بنا ... ولو كانَ منْ حيٍّ سوانا لأعثَرا
وما دهرُنا ألاّ يكونَ أصابنا ... بثقلٍ ولكنَّا رُزينا لنصبرا
فزالَ وفينا حاضروهُ فلمْ يجدْ ... لدفعِ المنايا حاضرٌ متأخَّرا
كأنْ لمْ يكنْ منَّا ولمْ نستعنْ بهِ ... على نائباتِ الدَّهرِ إلاَّ تذكُّرا
وإنَّا على غمزِ المنونِ قناتنا ... وجدِّكَ حامُو فرعِها أنْ يهصَّرا
بجرثومةٍ في فجوةٍ حيلَ دونها ... سيولُ الأعادي خيفةً أنْ تنمَّرا
أبى ذمَّنا إنَّا إذا قالَ قومُنا ... بأحسابِنا أثنَوا ثناءً محبَّرا
وإنَّا إذا ما النَّاسُ جاءت قرومهمْ ... أتيْنا بقرمٍ يفرعُ النَّاسَ أزهَرا
ترى كلَّ قرمٍ يتَّقيهِ مخافةً ... كما تتَّقي العجمُ العزيزَ المسوَّرا
ومعضلةٍ يدعى لها منْ يزيلُها ... إذا ذكرتْ كانتْ سناءً ومفخَرا
دفعتُ وقدْ عيَّ الرِّجالُ بدفعِها ... وأصبحَ منِّي مدرهُ القومِ أوجَرا
أخذنا بأيدينا فعادَ كريهُها ... مخفّاً ومولًى قدْ أجبْنا لننصُرا
بغيرِ يدٍ منهُ ولا ظلمِ ظالمٍ ... نصرناهُ لمَّا قامَ نصراً مؤزَّرا
فإنْ ننجُ منْ أهوالِ ما خافَ قومُنا ... علينا فإنَّ اللهَ ما شاءَ يسَّرا
فإنْ غالنا دهرٌ فقد غالَ قبلَنا ... ملوكُ بني نصرٍ وكسرى وقيصَرا
وآباؤنا ما نحنُ إلاَّ بنوهمُ ... سنلقى الذي لاقَوا حماماً مقدَّرا
وعوراءَ منْ قولِ امرئٍ ذي قرابةٍ ... تصاممتُها ولوْ أساءَ وأهجَرا
كرامةَ حيٍّ غيرةً واصطناعةً ... لدابرةٍ إنْ دهرُنا عادَ أزوَرا
وذي نيربٍ قدْ عابَني لينالَني ... فأعيى مداهُ عنْ مدايَ فأقصَرا
وكذَّبَ عيبَ العائبينَ سماحَتي ... وصبري إذا ما الأمرُ عضَّ فأضجَرا
وإنِّي إذا ما الموتُ لمْ يكُ دونهُ ... مدى الشِّبرِ أحمي الأنفَ أنْ أتأخَّرا

وأمرٍ كنصلِ السَّيفِ صلتاً حذوتهُ ... إذا الأمرُ أعيى موردَ الأمرِ مصدرا

فإنْ يكُ دهرٌ نابَني فأصابَني ... بريبٍ فما تُشوي الحوادثُ معشَرا

فلا خاشعٌ للنَّكبِ منهُ كآبةً ... ولا جازعٌ إنْ صرفُ دهرٍ تغيَّرا

وقدْ أبقتِ الأيَّامُ منِّي حفيظةً ... على جلِّ ما لاقيتُ واسماً مشهَّرا

فلستُ إذا الضرَّاءُ نابتْ بجُبَّأ ... ولا قصفٍ إنْ كانَ دهرٌ تنكَّرا

وقال هدبة أيضاً وهو في سجن المدينة:

أبى القلبُ إلاَّ أُمَّ عمرٍو وما أرى ... نواها وإنْ طالَ التَّذكُّرُ تسعفُ

وجرَّتْ صروفُ الدَّهرِ حتَّى تقطَّعتْ ... وقد يخلقُ النَّأيُ الوصالَ فيضعفُ

وقدْ كنتُ لا حبٌّ كحبِّي مضمرٌ ... يعدُّ ولا إلفٌ كما كنتُ آلفُ

منَ البيضِ لا يسلي الهمومَ طلابُها ... فهلْ للصِّبا إذْ جاوزَ الهمَّ موقفُ

رداحٌ كأنَّ المرطَ منها برملةٍ ... هيامٍ وما ضمَّ الوشاحانِ أهيفُ

أسيلةُ مجرى الدَّمعِ يرضى بوصلِها ... مطالبُها ذو النِّيقةِ المتطرِّفُ

كأنَّ ثناياها وبردَ لثاتِها ... بُعيدَ الكرى يجري عليهنَّ قرقفُ

شمولٌ كأنَّ المسكَ خالطَ ريحها ... وضمَّنها جونُ المناكبِ أكلفُ

تشابُ بماءِ المزنِ في ظلِّ صخرةٍ ... تقيها منَ الأقذاءِ نكباءُ حرجفُ

وما مغزلٌ أدماءُ تُضحي أنيقةً ... بأسفلَ وادٍ سيلهُ متعطِّفُ

بأحسنَ منها يومَ قامتْ وعينُها ... بعبرتِها منْ لوعةِ البينِ تذرفُ

وليلٍ لألقى أمَّ عمرٍو سريَتهُ ... يهابُ سراهُ المدلجُ المتعسِّفُ

ومنشقِّ أعطافِ القميصِ كأنَّهُ ... صقيلٌ بدا منْ خلَّةِ الجفنِ مرهفُ

نصبتُ وقدْ لذَّ الرُّقادُ بعينهِ ... لذكراكِ والحبُّ المتيَّمُ يشعفُ

وداويَّةٍ قفرٍ يحارُ بها القطا ... بها منْ رذايا العيسِ حسرَى وزحَّفُ

عسفتُ بُعيدَ النَّومِ حتَّى تقطَّعتْ ... تنائفُها والكورُ بالكورِ مردفُ

إذا نفنفٌ بادي المياهِ قطعنهُ ... نواشطَ بالموماةِ أعرضَ نفنفُ

بعيدٌ كأنَّ الآلَ فيهِ إذا جرى على مستوى الحزَّانِ ريطٌ مفوَّفُ

لعمري لئنْ أمسيتُ في السِّجنِ عانياً عليَّ رقيبٌ حارسٌ متقوِّفُ

إذا سبَّني أغضيتُ بعدَ حميَّةٍ وقدْ يصبرُ المرءُ الكريمُ فيعرفُ

لقدْ كنتُ صعباً ما ترامُ مقادَتي إذا معشرٌ سِيموا الهوانَ فأخنفوا

وقال هدبة أيضاً في السجن:

أتنكرُ رسمَ الدّارِ أمْ أنتَ عارفُ ألا لا بلِ العرفانُ فالدَّمعُ ذارفُ

رشاشاً كما انهلَّتْ شعيبٌ أسافها عنيفٌ بخرزِ السَّيرِ أو متعانفُ

بمنخرقِ التَّقعينِ غيَّر رسمها مرابعُ مرَّتْ بعدنا ومصايفُ

كلفتُ بها لا حبَّ من كان قبلها وكلُّ محبٍّ لا محالةَ آلفُ

إذِ النَّاسُ ناسٌ والبلادُ بغرَّةٍ وإذ أمُّ عمَّارٍ صديقٌ مساعفُ

وإذ نحنُ أمّا من مشى بمودَّةٍ فنرضى وأمّا من مشى فنخالفُ

إذا نزواتُ الحبِّ أحدثنَ بيننا عتاباً تراضينا وعادَ العواطفُ

وكلُّ حديثِ النَّفسِ ما لم ألاقها رجيعٌ ومما حدَّثتكَ طرائفُ

وإنِّي لأخلي للفتاة فراشها وأُكثرُ هجرَ البيتِ والقلبُ آلفُ

حذارَ الرَّدى أو خشيةً أن تجرَّني إلى موبقٍ أرمي به أو أقاذفُ

وإني بما بينَ الضُّلوعِ من امرئٍ إذا ما تنازعنا الحديثَ لعارفُ

ذكرتُ هواها ذكرةً فكأنَّما أصابَ بها إنسانَ عينيَّ طارفُ

ولم ترَ عيني مثلَ سربٍ رأيتهُ خرجنَ علينا من زقاقِ ابنِ واقفُ

خرجنَ بأعناقِ الظِّباءِ وأعينِ ال جآذرِ وارتجَّتْ بهنَّ الرَّوادفُ

طلعنَ علينا بينَ بكرٍ غريرةٍ وبينَ عوانٍ كالغمامةِ ناصفُ

خرجنَ علينا لا غُشينَ بهوبةٍ ولا وشوشيَّاتُ الحجالِ الزَّعانفُ

تضمَّخنَ بالجاديِّ حتَّى كأنَّما الأنوفُ إذا استعرضتهنَّ رواعفُ

كشفنَ شنوفاً عن شنوفٍ وأعرضتْ خدودٌ ومالتْ بالفروعِ السَّوالفُ

يدافعنَ أفخاذاً لهنَّ كأنَّها من البُدنِ أفخاذُ الهجانِ العلائفُ

عليهنَّ من صنعِ المدينةِ حليةٌ — جمانٌ كأعناقِ الدَّبا ورفارفُ

إذا خرقتْ أقدامهنَّ بمشيةٍ — تناهينَ وانباعتْ لهنَّ النَّواصفُ
ينؤنَ بأكفالٍ ثقالٍ وأسوقٍ — خدالٍ وأعضادٍ كستها المطارفُ
ويكسرنُ أوساطَ الأحاديثِ بالمنى — كما كسرَ البرديَّ في الماءِ غارفُ
وأدْنينني حتَّى إذا ما جعلنني — لدى الخصر أو أدنى استقلَّكَ راجفُ
فإنْ شئتِ واللهِ انصرفتِ وإنَّني — من أن لا تريني بعد هذا لخائفُ
رأتْ ساعديْ غولٍ وتحتَ ثيابهِ — جناجنُ يدمى حدَّها وقراقفُ
وقد شأزتْ أمُّ الصَّبيَّينِ أن رأتْ — أسيراً بساقيهِ ندوبٌ نواسفُ
فإنْ تنكري صوتَ الحديدِ ومشيةً — فإنِّي بما يأتي به الله عارفُ
وإن كنتِ من خوفٍ رجعتِ فإنَّني — من الله والسُّلطانِ والإثمِ راجفُ
وقد زعمتْ أمُّ الصَّبيَّينِ أنَّني — أقرَّ فؤادي وازدهتني المخاوفُ
وقد علمتْ أمُّ الصَّبيَّينِ أنَّني — صبورٌ على ما جرَّفتني الجوارفُ
وإنِّي لعطَّافٌ إذا قيلَ من فتى — ولم يكُ إلاَّ صالحُ القومِ عاطفُ
وأوشكُ لفَّ القومِ بالقومِ للتي — يخافُ المرجَّى والحرونُ المخالفُ
وإنِّي لأرجي المرءَ أعرفُ غشَّهُ — وأعرضُ عن أشياءَ فيها مقاذفُ
فلا تعجبي أمُّ الصَّبيَّينِ قد تُرى — بنا غبطةٌ والدَّهرُ فيه عجارفُ
عسى آمناً في حربنا أن تصيبهُ — عواقبُ أيامٍ ويأمنَ خائفُ
فيبكينَ من أمسى بنا اليومَ شامتاً — ويعقبننا إنَّ الأمورَ صرائفُ
وإن يكُ أمرٌ غيرَ ذاكَ فإنَّني — لراضٍ بقدرِ الله للحقِّ عارفُ
وإنِّي إذا أغضى الفتى عن ذمارهِ — لذو شفقٍ على الذِّمارِ مشارفُ
وينفخُ أقوامٌ عليَّ بحورهمْ — وعيداً كما تهوي الرِّياحُ العواصفُ
وأطرقُ إطراقَ الشُّجاعِ وإنني — شهابٌ لدى الهيجا ونابٌ مقاصفُ
وداويَّةٍ سيرُ القطا من فلاتها — إلى مائها خمسٌ لها متقاذفُ

بطونٌ من المومـاةِ بعَّدَ بينها ... ظهورٌ بعيدٌ تيهها وأطائفُ
يحارُ بها الهادي ويغتالُ ركبها ... تنائفُ في أطرافهنَّ تنائفُ
هواجرُ لو يُشوى بها النَّيُّ أنضجتْ ... متونَ المها من طبخهنَّ شواسفُ
ترى ورقَ الفتيانِ فيها كأنَّها ... دارهم منها جائزاتٌ وزائفُ
يظلُّ بها عيرُ الفلاةِ كأنَّهُ ... من الحرِّ مرثومُ الخياشيمِ راعفُ
إذا ما أتاها القومُ هوَّلَ سيرهمْ ... تجاوبُ جنّانٍ بها وعوارفُ
ويومٍ من الجوزاءِ يلجأ وحشهُ ... إلى الظِّلِّ حتَّى اللَّيلَ هنَّ حواقفُ
يظلُّ بها الهادي يقلِّبُ طرفهُ ... من الهولِ يدعو لهفهُ وهو واقفُ
قطعتُ بأطلاحٍ تخوَّنها السُّرى ... فدقَّ الهوادي والعيونُ ذوارفُ
ملكتُ بها الإدلاجَ حتَّى تخدَّدتْ ... عرائكها ولان منها السَّوالفُ
وحتَّى التقتْ أحقابها وغروضها ... إذا لم يقدَّم للغروضِ السَّنائفُ
نفى السَّيرُ عنها كلَّ ذاتِ ذمامةٍ ... فلم يبقَ إلاَّ المشرفاتُ العلائفُ
من العيسِ أو جلسٍ وراءَ سديسهِ ... له بازلٌ مثلُ الجمانةِ رادفُ
معي صاحبٌ لا يشتكي الصّاحبُ العدى ... صحابتهم ولا الخليطُ الموالفُ
سراةٌ إذا آبوا ليوثٌ إذا دعوا ... هداةٌ إذا أعيى الظَّنونُ المصادفُ
إذا قيلَ للمعيى به وزميلهِ ... تروَّحْ فلم يسطعْ وراحَ المسالفُ
رأوا شركةً فيهنَّ حقّاً وكلَّفوا ... أولاتِ البقايا ما أكلَّ الضَّعائفُ
أولاتِ المراحِ الخانفاتِ على الوجى ... إذا قاربَ الشَّدَّ القصارُ الكواتفُ
فبلَّغنَ حاجاتٍ وقضَّينَ حاجةً ... وفي الحيِّ حاجاتٌ لنا وتكالفُ
ونعمَ الفتى ولا يودَّعُ هالكاً ... ولا كذباً أبو سليمانَ عاطفُ
لجارتهِ الدُّنيا وللجانبِ العدى ... إذا الشَّولُ راحتْ وهي حدبٌ شواسفُ
وبادرها قصرَ العشيَّةِ قرمها ... ذرى البيتِ يغشاهُ من القُرِّ آزفُ
ينفِّضُ عن أضيافهِ ما يرى بهمْ ... رحيمانِ ساعٍ بالطَّعامِ ولاحفُ

كأنَّ لم يجد بؤساً ولا جوعَ ليلةٍ وفي الخيرِ والمعروفِ للضُّرِّ كاشفُ

يبيتُ عن الجيرانِ معزبُ جهله مريح حواشي الحلم للخير واصفُ

إذا القومُ هشُّوا للطِّعانِ وأشرعوا صدورَ القنا منها مزجٌ وخاطفُ

مضى قدماً ينمي الحياةَ عناؤهُ ويدعو الوفاةَ الخلد ثبتٌ مواقفُ

هو الطاعنُ النَّجلاءَ منفذُ نصلِها كمبدئها منها مرشٌّ وواكفُ

وما كان مما نالَ فيها كلالةً ولا خارجّاً أنفذتهُ التَّكالفُ

وقال هدبة أيضاً:

ألا علِّلاني والمعلِّلُ أروحُ وينطقُ ما شاءَ اللِّسانُ المسرَّحُ

بأجَّانةٍ لو أنَّها خرَّ بازلٌ منَ البختِ فيها ظلَّ للشِّقِّ يسبحُ

وقاقزَّةٍ تجري على متنِ صفوةٍ تمرُّ لنا مرّاً سنيحاً وتبرحُ

رفعتُ بها كفِّي ونادَمني بها أغرُّ كصدرِ الهُندوانيِّ شرمحُ

متى يرَ منِّي نبوةً لا يُشدْ بها وما يرَ منْ أخلاقيَ الصِّدقَ يفرحُ

أغادٍ عدوّاً أنتَ أمْ متروِّحُ لعلَّ الأنى حتَّى غدٍ هوَ أروحُ

لعلَّ الذي حاولتَه في تئيَّةٍ يواتيكَ والأمرَ الذي خفتَ ينزحُ

وللدَّهرِ في أهلِ الفتى وتلاده نصيبٌ كقسمِ اللَّحمِ أو هوَ أبرحُ

وحبَّ إلى الإنسانِ ما طالَ عمرهُ وإن كانَ يشقى في الحياةِ ويقبحُ

تغرُّهمُ الدُّنيا وتأميلُ عيشِها ألا إنَّما الدُّنيا غرورٌ مترِّحُ

وآخرُ ما شيءٍ يعولكَ والذي تقادمَ تنساهُ وإنْ كانَ يفرحُ

ويومٍ منَ الشِّعرى تظلُّ ظباؤهُ بسوقِ العضاهِ عوَّذاً ما تبرَّحُ

شديدِ اللَّظى حامي الوديقةِ ريحهُ أشدُّ لظًى منْ شمسهِ حينَ يصمحُ

تنصَّبَ حتَّى قلَّصَ الظِّلُّ بعدما تطاولَ حتَّى كادَ في الأرضِ يمصحُ

أزيزَ المطايا ثمَّ قلتُ لصُحبتي ولمْ ينزِلوا أبردتمُ فتروَّحوا

فراحوا سراعاً ثمَّ أمسَوا فأدلجوا فهيهاتَ من ممساهمُ حيثُ أصبحوا

وخرقٍ كأنَّ الرَّيطَ تخفقُ فوقهُ مع الشَّمسِ لا بلْ قبلَها يتضحضحُ

على حين يُثني القومُ خيراً على السُّرى ويظهرُ معروفٌ منَ الصُّبحِ أفصحُ
نفى الطَّيرَ عنهُ والأنيسَ فما يُرى به شبحٌ ولا منَ الطَّيرِ أجنحُ
قطعتُ بمرجاعٍ يكونُ جنينُها دماً قطعاً في بولها حينَ تلقحُ
يداها يدا نوّاحةٍ مستعانةٍ على بعلِها غيرَى فقامتْ تنوَّحُ
تجودُ يداها فضلَ ما ضنَّ دمعُها عليهِ فتاراتٍ ترنُّ وتصدحُ
لها مقلتا غيرَى أُتيحَ لبعلِها إلى صهرِها صهرٌ سنيٌّ ومنكحُ
فلمَّا أتاها ما تلبَّسَ بعدها بصاحبِها كادتْ منَ الوجدِ تنبحُ
فقامتْ قذورَ النَّفسِ ذاتَ شكيمةٍ لها قدمٌ في قومِها وتبجبحُ
يخفِّضها جاراتُها وهيَ طامحُ الفؤادِ وعيناها من الشَّرِّ أطمحُ
فدعْ ذا ولكنْ هلْ ترى ضوءَ بارقٍ قعدتُ لهُ من آخرِ اللَّيلِ يلمحُ
يضيءُ صبيراً منْ سحابٍ كأنَّه جبالٌ علاها الثَّلجُ أوْ هو أوضحُ
فلمَّا تلافتهُ الصبَّا قرقرتْ بهِ وألقى بأرواقٍ عزاليهِ تسفحُ
طوالٌ ذراهُ في البحورِ كأنَّه إذا سارَ مجذوذُ القوائمِ مكبحُ
سقى أمَّ عمرٍو والسَّلامُ تحيَّةٌ لها منكَ والنَّائي يودُّ وينصحُ
سجالٌ يسحُّ الماءُ حتَّى تهالكتْ بطونُ روابيهِ منَ الماءِ دلَّحُ
أجشُّ إذا حنَّتْ تواليهِ أرزمتْ مطافيلهُ تلقاءَ ما كادَ يرشحُ
فلم يبقَ ممَّا بيننَا غيرَ أنَّني محبٌّ وأنِّي إنْ نأتْ سوفَ أمدحُ
وإنَّ حراماً كلُّ مالٍ منعتهُ تريدينهُ ممَّا نريحُ ونسرحُ
وعهدي بها والحيُّ يدعونَ غرَّةً لها أنْ يراها النَّاظرُ المتصفحُ
منَ الخفراتِ البيضِ تحسبُ أنَّها إذا حاولتْ مشياً نزيفٌ مرنحُ
وفيما مضَى منْ سالفِ الدَّهرِ للفتى بلاءٌ وفيما بعدهُ متمنَّحُ

قليلٌ منَ الفتيانِ منْ هوَ صابرٌ مثيبٌ بحقِّ الدَّهرِ فيما يروِّحُ
على أنَّ عرفاناً إذا لم يكنْ لهمْ يدانِ بما لمْ يملكوا أنْ يُزحزحوا

أبو وجزة السلمي

وقال أبو وجزة السلمي، واسمه يزيد بن أبي عبيد:

ألمْ تعجبا للجارياتِ البوارِحِ جرتْ ثمَّ قفَّتها جدودُ السَّوانِحِ
تخبِّرنا أنَّ العشيرةَ جامعٌ بها عقرُ دارٍ بعدَ نأيٍ مضارِحِ
فقلتُ وهشَّ القلبُ للطَّيرِ إذْ جرتْ عسى اللهُ إنَّ اللهَ جمُّ الفواتِحِ
وهيَّج أحزاناً عليَّ وعبرةً مغاني ديارٍ منْ جديدٍ وماصِحِ
لقوميَ إذْ قومي جميعٌ نواهمُ وإذْ أنا في حيٍّ كثيرِ الوضائِحِ
عفتْ مرٌّ منْ أحياءِ سعدٍ فأصبحتْ بسابسَ لا نارٌ ولا نبحُ نابِحِ
فأجراعُ أوسافٍ فأعوصُ كلُّه فبينةُ فالرَّوضاتُ حتَّى المقازِحِ
كأنْ لمْ يكنْ بينَ الثَّنيَّةِ منهمُ وتقتدِ حزمٍ منْ غريبٍ ورائِحِ
فبحرةُ مسحُ مائهِ فضعاضعٌ فصُوَّتهُ ذاتُ الرُّبا والمنادِحِ
إذِ الحيُّ والحومُ المسيَّرُ وسطَنا وإذْ نحنُ في حالٍ منَ العيشِ صالحِ
وذو حلقٍ تُقضى العواذيرُ بينهُ يلوحُ بأخطارٍ عظامِ اللَّقائِحِ
وإذْ خطْرتانا والعلاطانِ حليةٌ على الهجمةِ الغلبِ الطِّوالِ السَّرادِحِ
أناعيمُ محمودٌ قراها وقيلُها وصابحُها أيامَ لا رفدُ صابِحِ
نكبُّ الأكاميَّ البوائكَ وسطَنا إذا كثرتْ في النَّاسِ دعوَى الوحاوِحِ
فلمْ أرَ قوماً مثلَ قوميَ إذْ همُ بأوطانهمْ أعطى وأغلى المرابِحِ
وأعبطَ للكوماءِ يرغُو حوارُها وأندَى أكفّاً بينَ معطٍ ومانِحِ
وأكثرَ منهمْ قائماً بمقالةٍ تفرِّجُ بينَ العسكرِ المتطاوِحِ
كأن لمْ يكنْ عوفُ بنُ سعدٍ ولم تكنْ بنو الحشرِ أبناءَ الطِّوالِ الشَّرامِحِ
وحيٌّ حلالٍ منْ غويثٍ كأنَّهمْ أُسودُ الشَّرى في غيلهِ المتناوِحِ
ولم يغنَ منْ حيَّانَ حيٌّ وجابرٌ بهاليلَ أمثالَ السّيوفِ الجوارِحِ
مطاعيمُ ضرّابونَ للهامِ قادةٌ معاطٍ بأرسانِ الجيادِ السَّوابِحِ
لهمْ حاضرٌ لا يجهلونَ وصارخٌ كسيلِ الغوادي يرتمي بالقوازِحِ

فإنْ كانَ قومي أصبحوا حوَّطَتهمُ نوَى ذاتُ أشطانٍ لبعضِ المطارِحِ

فما كانَ قومي ضارعينَ أذلَّةً ولا خذلاً عندَ الأمورِ الجوارِحِ

وقدْ علموا ما كنتُ أهدمُ ما بنَوا وما أنتحي عيدانهم بالقوادِحِ

وما كنتُ أسعى أبتغي عثراتهمْ وما أغتدي فيها ولستُ برائِحِ

وإنِّي لعيَّابٌ لمنْ قالَ عيبهمْ وإنِّي لمدَّاحٌ لهمْ قولَ مادحِ

فبلِّغْ بني سعدِ بن بكرٍ ملظَّةً رسولَ امرئٍ بادي المودَّةِ ناصحِ

بأنَّ العتيقَ البيتَ أمسى مكانهُ وقبرَ رسول اللهِ ليسَ ببارِحِ

مقيمينَ حتَّى ينفخَ الصُّورُ نفخةً وأخرى فيُجزى كدحهُ كلُّ كادِحِ

فإنِّي لعمري لا أبيعهُما غداً بشعبٍ ولا شيبانَ بيعَ المسامحِ

ولا أشتري يوماً جوارَ قبيلةٍ بجيرانِ صدقٍ منْ قريشِ الأباطِحِ

هلمَّ إلى الأثْرينِ قيسٍ وخندفٍ وساحةِ نجدٍ والصُّدورِ الصَّحائِحِ

ولا تقذفوني في قضاعةَ عاجزتْ قضاعةُ واستولتْ حطاطَ المجامحِ

أبَوا أنْ يكونوا من معدٍّ قريحةً حديثاً فإنَّا علمُ تلكَ القرائِحِ

لعمري لئنْ كانتْ قضاعةُ فارقتْ على غيرِ جدّادٍ منَ القولِ واضحِ

لأغنِ بنا عنْ صاحبٍ متقلِّبٍ وعن كلِّ ذوَّاقٍ وملٍّ مراوِحِ

فإنَّا ومولانا ربيعة معشرٌ نعيشُ على الشَّحناءِ منْ كلِّ كاشِحِ

بنو علَّةٍ ما نحنُ فينا جلادةٌ زبنُّونَ صمَّاحونَ ركنَ المصامحِ

المفضل النكريّ

وقال المفضل النكريّ من عبد القيس، واسمه عامر بن معشر بن أسحم:

أحقّاً أنَّ جيرتَنا استقلُّوا فنيَّتنا ونيَّتهم فريقُ

فدمعي لؤلؤٌ سلسٌ عراهُ يخرُّ على المهاوي ما يليقُ

على الرَّبلاتِ إذْ شحطتْ سليمى وأنتَ بذكرِها طربٌ تشُوقُ

فودِّعها وإنْ كانتْ أناةً مبتَّلةً لها خلقٌ أنِيقُ

تلهِّي المرءَ بالحدثانِ لهواً وتحدجهُ كما حُدجَ المطِيقُ

فإنَّكَ لو رأيتَ غادةَ جئنا ببطنِ أُثالَ ضاحيةً نسُوقُ

لقينا الجهمَ ثعلبةَ بن سيرٍ أضرَّ بمنْ يجمِّعُ أو يسُوقُ

لدى الأعلامِ منْ تلعاتِ طفلٍ ومنهمْ منْ أضجَّ بهِ الفرُوقُ

فحوَّطَ عن بني بكرِ بنِ عوفٍ وأفناءُ العمورِ بهمْ شفِيقُ

فداءٌ خالتي لبني حييٍّ خصوصاً يومَ كسُّ القومِ رُوقُ

همْ صبروا وصبرهمُ تليدٌ على العزّاءِ إذْ بلغَ المضِيقُ

وهمْ رفعوا المنيَّةَ فاستقلُّوا دراكاً بعدَما كادتْ تحِيقُ

وهمْ علُّوا الرِّماحَ فأنهلوها وقدْ خامَ المهلِّلةُ البرُوقُ

تلاقينا برغبةِ ذي طريفٍ وبعضهمُ على بعضٍ حنِيقُ

مشينا شطرهمْ ومشَوا إلينا وقلنا اليومَ ما تُقضى الحقُوقُ

فجاؤوا عارضاً برداً وجئنا كماءِ السَّيلِ ضاقَ بهِ الطَّرِيقُ

رمينا في وجوههمِ برشقٍ تغصُّ بهِ الحناجرُ والحلُوقُ

كأنَّ النَّبلَ بينهمُ جرادٌ تكفِّئهُ شآميَّةٌ خرِيقُ

وبسلٌ أنْ ترى فيهمْ كميّاً كَبا ليديهِ إلاَّ فيهِ فُوقُ

يهزهزُ صعدةً جرداء فيها سنانُ الموتِ أو قرنٌ محِيقُ

وجدْنا السِّدرَ خوّاراً ضعيفاً وكانَ النَّبعُ منبتهُ وثِيقُ

فألقينا الرِّماحَ وكانَ ضرباً مقيلَ الهامِ كلٌّ ما نذُوقُ

وجاوزتُ المنونَ بغيرِ نكسٍ وخاظي الجلزِ ثعلبهُ دقِيقُ

كأنَّ هزيزَنا يومَ التقينا هزيزَ أشاءةٍ فيها حريقُ

بكلِّ قرارةٍ وبكلِّ ريعٍ بنانُ فتًى وجمجمةٌ فلِيقُ

وكمْ منْ سيِّدٍ منَّا ومنهمْ بذي الطَّرفاءِ منطقةُ شهِيقُ

بكلِّ محالةٍ غادرنَ خرقاً منَ الفتيانِ مبسمهُ رقِيقُ

فأشبعنا السِّباعَ وأشبعوها   فراحتْ كلّها تئقٌ يفوقُ
تركنا العرجَ عاكفةً عليهمْ   وللغربانِ منْ شبعٍ نغيقُ
فأبكينا نساءهمُ وأبكَوا   نساءً ما يسوغُ لهنَّ ريقُ
يجاوبنَ النُّباحَ بكلِّ فجرٍ   فقدْ صلحتْ منَ النَّوحِ الحلُوقُ
قتلْنا الحارثَ الوضَّاحَ منهم   كأنَّ سوادَ لمَّتهِ العذُوقُ
أصابتهُ رماحُ بني حييٍّ   فخرَّ كأنَّه سيفٌ دلُوقُ
وقدْ قتلوا بهِ منَّا غلاماً   كريماً لمْ تأشَّبهُ العرُوقُ
وسائلةٍ بثعلبةِ بنِ سيرٍ   وقدْ أودتْ بثعلبةَ العلُوقُ
وأفلتْنا ابنَ قرّانٍ جريضاً   تمرُّ بهِ مساعفةٌ خزُوقُ
تشقُّ الأرضَ شائلةَ الذُّنابى   وهاديها كأنْ جذعٌ سحيقُ
فلمَّا أيقنُوا بالصَّبرِ منَّا   تذُكِّرتِ العشائرُ والحديقُ
فأبقينا ولوْ شئنا تركْنا   لجيماً ما تقودُ وما تسُوقُ

عمرو بن قعاس

وقال عمرو بن قعاس المرادي:

ألا يا بيتُ بالعلياءِ بيْتُ   ولولا حبُّ أهلكَ ما أتيْتُ
ألا يا بيتُ أهلكَ أوعدُوني   كأنِّي كلَّ ذنبهمِ جنيْتُ
إذا ما فاتَني لحمٌ غريضٌ   ضربتُ ذراعَ بكري فاشتويْتُ
أُرجِّلُ ذمَّتي وأجرُّ ذيلي   وتحملُ شكَّتي أفقٌ كميْتُ
وسوداءِ المحاجرِ إلفِ صخرٍ   تلاحظُني التَّطلعَ قدْ رميْتُ
وغصنٍ لمْ تنلْهُ كفُّ جانٍ   مددتُ إليهِ كفِّي فاجتنيْتُ
وتامورٍ هرقتُ وليسَ خمراً   وحبَّةِ غيرِ طاحنةٍ قضيْتُ
وبركٍ قد أثرتُ بمشرفيٍّ   إذا ما زلَّ عنْ عقرٍ رميْتُ
وعاديةٍ لها ذنبٌ طويلٌ   رددتُ بمضغةٍ فيما اشتهيْتُ

أثيثٌ باطلي فيكونُ حقّاً وحقّاً غيرَ ذي شبهٍ لويْتُ
متى ما يأتِني يومي يجدْني شبعتُ منَ اللَّذاذةِ واشتفيْتُ
وكمْ منْ لائمٍ في الخمرِ زارٍ عليَّ غدا يلومُ فما ارعويْتُ

وآنسةٍ حذوتُ ولمْ أدنها فأعجبني طراوةُ ما حذوْتُ
فلمَّا إنْ وهتْ قرنتْ ولانتْ وجاءتْ في الحذاءِ كما اشتهيْتُ
وبيتٍ ليسَ منْ شعرٍ وصوفٌ على ظهرِ المطيَّةِ قد بنيْتُ
وبيتٌ قد أتيتُ حوالَ بيتٍ وبيتٍ ما أُحاولهُ أتيْتُ
وجمّاءَ المرافقِ قدْ دعتْني لتُدخلني فقلتُ لها أبيْتُ
وجاريةٍ تُنازعني ردائي أمامَ الحيّ ليسَ عليَّ بيْتُ
تقولُ فضحتَني ورآكَ قومي وما عُذري ألانَ وقدْ زنيْتُ
ألا بكرَ العواذلُ فاستميتُ وهل أنا خالدٌ إمَّا صحوْتُ
وكنتُ إذا أرى زقّاً مريضاً يناحُ على جنازتهِ بكيْتُ
أُمشّي في سراةِ بني غطيفٍ إذا ما ساءَني أمرٌ أبيْتُ
وغصنٍ بانَ منْ عضهٍ رطيبٍ هصرتُ إليَّ منهُ فاجتنيْتُ
وماءٍ ليسَ من عدٍّ رواءٍ ولا ماءِ السَّماءِ قدِ اشتفيْتُ
ولحمٍ لمْ يذقهُ النَّاسُ قبلي أكلتُ على خلاءٍ وانتقيْتُ
وصادرةٍ معاً والورد شتَّى على أدبارِها أُصلاً حدوْتُ
ونارٍ أُوقدتْ مِن غيرِ زندٍ أثرتُ جحيمَها ثمَّ اصطليْتُ
ولمْ أُدبرْ عنِ الأدنين إنِّي نآني الأكرمونَ وما نأيْتُ

أبو قيس بن الأسلت

وقال أبو قيس بن الأسلت الأنصاري، واسمه صيفيّ، وهي مفضليّة قرأتها على ابن الخشاب:

قالتْ ولمْ تقصدْ لقِيل الخنا مهلاً فقدْ أبلغتَ أسماعِي

أنكرنهُ حينَ توسَّمنهُ والحربُ غولٌ ذاتُ أوجاعِ

مَن يذقِ الحربَ يجدْ طعمَها مرّاً وتتركهُ بجعجاعِ

قدْ حصَّتِ البيضةُ رأسي فما أذوقُ نوماً غيرَ تهجاعِ

أسعى على جلِّ بني مالكٍ كلُّ امرئٍ في شأنه ساعِي

أعددتُ للأعداءِ موضونةً فضفاضةً كالنّهي بالقاعِ

أحفزُها عنِّي بذي رونقٍ أبيضَ مثلِ الملحِ قطّاعِ

صدقٍ حسامٍ وادقٍ حدُّهُ ومجنأ أسمرَ قرّاعِ

بزَّ امرئٍ مستبسلٍ حاذرٍ للدَّهرِ جارٌ غيرُ مرتاعِ

الحزمُ والقوَّةُ خيرٌ منَ ال إشفاقِ والفهَّةِ والهاعِ

ليسَ قطاً مثلُ قطيٍّ ولا ال مرعيُّ في الأقوامِ كالرّاعِي

لا نألمُ القتلَ ونجزي بهِ ال أعداءَ كيلَ الصَّاعِ بالصَّاعِ

بينَ يديْ رجراجةٍ فخمةٍ ذاتِ عرانينٍ ودفّاعِ

كأنَّهمْ أُسدٌ لدى أشبلٍ ينهتنَ في غيلٍ وأجراعِ

هلاَّ سألتِ القومَ إذْ قلَّصتْ ما كانَ إبطائي وإسراعِي

هلْ أبذلُ المالَ على حبِّهِ فيهمْ وآتي دعوةَ الدَّاعِي

وأضربُ القونسَ يومَ الوغى بالسَّيفِ لمْ يقصرْ بهِ باعِي

وأقطعُ الخرقَ يخافُ الرَّدى فيهِ على أدماءَ هلواعِ

ذاتِ أساهيجَ جماليَّةٍ حشّتُها كوري وأنساعِي

وزيَّنَ الرّحلُ بمعقومةٍ حاريَّةٍ أو ذاتِ أقطاعِ

تُعطي على الزِّجرِ وتنجو منَ ال سَّوطِ أمونٍ غيرِ مظْلاعِ

أقضي بها الحاجاتِ إنَّ الفتى رهنٌ لذي لونينِ خدّاعِ

حتَّى تولَّتْ ولنا غايةٌ منْ بينِ جمعٍ غيرِ جمّاعِ

بشر بن عوانة

وقال بشر بن عوانة العذري، وكان قد خرج يطلب مهراً لابنة عم له، فلقيه الأسد فقتله:

أفاطمَ لوْ شهدتِ برملِ خبتٍ ... وقدْ لاقى الهزبرُ أخاك بشْرا
إذن لرأيتِ ليثاً رامَ ليثاً ... هزبراً أغلباً لاقى هزبْرا
تبهنسَ إذْ تقاعسَ عنهُ مُهري ... محاذرةً فقلتُ عُقرتُ مهْرا
أنلْ قدميَّ ظهرَ الأرضِ إنِّي ... وجدتُ الأرضَ أثبتَ منكَ ظهْرا
وقلتُ لهُ وقدْ أبدى نصالاً ... محدَّدةً ووجهاً مكفهرّا
تُدلُّ بمخلبٍ وبحدِّ نابٍ ... وباللّحظاتِ تحسبهنَّ جمْرا
وفي يمنايَ ماضي الغربِ أبقى ... بمضربهِ قراعُ الموتِ أثْرا
ألمْ يبلغكَ ما فعلتْ ظباهُ ... بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عمْرا
وقلبي مثلُ قلبكَ لستُ أخشى ... محاذرةً ولستُ أخافُ ذعْرا

وأنتُ ترومُ للأشبالِ قوتاً ... وأطلبُ لابنةِ الأعمامِ مهْرا
ففيمَ تسومُ مثلي أنْ يولِّي ... ويجعلُ في يديكَ النَّفسَ قسْرا
نصحتكَ فالتمسْ يا ليثُ غيري ... طعاماً إنَّ لحميَ كانَ مرّا
فلمَّا ظنَّ أنَّ الغشَّ نُصحي ... وخالفني كأنِّي قلتُ هجْرا
مشى ومشيتُ منْ أسدينِ راما ... مراماً كانَ إذْ طلباهُ وعْرا
هززتُ لهُ الحسامَ فخلتُ أنِّي ... هززتُ بهِ لدى الظّلماءِ فجْرا
وجدتُ لهُ بجائشةٍ رآها ... لمن كذبتهُ عنهُ النَّفسُ قدْرا
فخرَّ مضرَّجاً بدمٍ كأنِّي ... هدمتُ بهِ بناءً مشمخرَّا
وقلتُ لهُ يعزُّ عليَّ أنِّي ... قتلتُ مُناسبي جلداً وقهْرا
ولكنْ رمتُ شيئاً لم يرمْهُ ... سواكَ فلمْ أُطقْ يا ليثُ صبْرا
تحاولُ أنْ تعلِّمني فراراً ... لعمرُ أبي لقدْ حاولتُ نكْرا
فلا تجزعْ فقدْ لاقيتَ حرّاً ... يحاذرُ أنْ يعابَ فمتَّ حرَّا

معقر بن حمار

وقال معقر بن حمار بن الحارث بن حمار بن شجنة بن مازن بن ثعلبة بن كنانة ابن سعد، وهو بارق بن عدي بن حارثة بن الغطريف بن عمرو مزيقياء بن عامر ماء السماء بن ثعلبة العنقاء بن امرئ القيس قاتل الجوع بن مازن بن الأزد. وكان قومه قد حالفوا بني نمير بن عامر في الجاهلية لدمٍ أصابوه في قومهم، وشهدوا يوم جبلة. وكان معقر كفّ بصره وكان قبل ذلك من فرسانهم وشعرائهم. ويوم جبلة قبل الإسلام بخمس وسبعين سنة قبل مولد النبي صلى الله عليه وسلّم بسبع عشرة سنة:

أمنْ آلِ شعثاءَ الحمولُ البواكرُ	معَ الصُّبحِ قدْ زالتْ بهنَّ الأباعرُ
وحلَّتْ سليمى في هضابٍ وأيكةٍ	فليسَ عليها يومَ ذلك قادرُ
تهيِّبكَ الأسفارَ مِن خشيةِ الرَّدى	وكمْ قدْ رأينا مِن رَدٍ لا يسافِرُ
وألقتْ عصاها واستقرَّتْ بها النَّوى	كما قرَّ عيناً بالإيابِ المسافرُ
فصبَّحها أملاكُها بكتيبةٍ	عليها إذا أمستْ منَ اللهِ ناظرُ
معاويةُ بنُ الجونِ ذبيانُ حولهُ	وحسَّانُ في جمعِ الرِّبابِ مكاثرُ
وقد جمعا جمعاً كأنَّ زهاءهُ	جرادٌ سفى في هبوةٍ متظاهرُ
ومرُّوا بأطرافِ البيوتِ فردَّهمْ	رجالٌ بأطرافِ الرِّماحِ مساعرُ
يفرِّجُ عنَّا كلّ ثغرٍ مخافةً	جوادٌ كسرحانِ الأباءةِ ضامرُ
وكلّ طموحٍ في الجراءِ كأنَّها	إذا اغتمستْ في الماءِ فتخاءُ كاسرُ
لها ناهضٌ في المهدِ قدْ مهَّدتْ لهُ	كما مهَّدتْ للبعلِ حسناءُ عاقرُ
هوَى زهدمٌ تحتَ الغبارِ لحاجبٍ	كما انقضَّ أقنى ذو جناحينِ فاترُ
هُما بطلانِ يعثرانِ كلاهُما	يريدُ رئاسَ السَّيفِ والسَّيفُ نادرُ
فلا فضلَ إلاَّ أن يكونَ جَراءةٌ	ذوي بدنينِ والرُّؤوسُ حواسرُ
ينوءُ وكفَّا زهدمٍ من ورائهِ	وقدْ علقتْ ما بينهنَّ الأظافرُ
وباتُوا لنا ضيفاً وبتْنا بنعمةٍ	لنا مسمعاتٌ بالدُّفوفِ وسامرُ
فلمْ نقرِهمْ شيئاً ولكنَّ قصرهمْ	صبوحٌ لدينا مطلعَ الشَّمسِ حازرُ
فباكرهمْ قبلَ الشُّروقِ كتائبٌ	كأركانِ سلمى سيرُها متواترُ
منَ الضَّاربينَ الكبشَ يبرقُ بيضهُ	إذا غصَّ بالرِّيقِ القليلِ الحناجرُ
وظنَّ سراةُ الحيِّ أن لنْ يقتلُوا	إذا دعيتْ بالسَّفحِ عبسٌ وعامرُ

كأنَّ نعامَ الدَّوِّ باضَ عليهمِ وأعينهمْ تحتَ الحبيكِ جواحِرُ
ضربْنا حبيكَ البيضِ في غمرِ لجَّةٍ فلمْ ينجُ في النَّاجينَ منهمْ مفاخِرُ
ولمْ ينجُ إلاَّ أنْ يكونَ طمرَّةٌ توائلُ أو نهدٌ ملحٌّ مثابِرُ

وقال معقر في زيد:

أجدَّ الرَّكبُ بعدَ غدٍ خفُوفُ وأضحتْ لا تواصلكَ الألُوفُ
وكانَ القلبُ جنَّ بها جنوناً ولم أرَ مثلها فيمنْ يطُوفُ
تراءتْ يومَ نخلَ بمسبكرٍّ تربَّبهُ الذَّريرةُ والنَّصيفُ
ومشمولٍ عليهِ الظَّلمُ غرٍّ عذابٍ لا أكسُّ ولا خلُوفُ
كأنَّ فضيضَ رمَّانٍ جنيٍّ وأُترجٍ لأيكتهِ حفيفُ

على فِيها إذا دنتِ الثُّريَّا دنوَّ الدَّلو أسلمَها الضَّعيفُ
أجادتْ أمُّ عبدةَ يومَ لاقَوا وثارَ النَّقعُ واختلفَ الألُوفُ
يقدِّمُ حبْتراً بأفلَّ عضبٍ لهُ ظبَةٌ لما نالتْ قطُوفُ
فغادرَ خلفهُ يكبو لقيطاً لهُ منْ حدِّ واكفةٍ نصيفُ
كأنَّ جماجمَ الأبطالِ لمَّا تلاقينا ضحًى حدجٌ نقيفُ
وحامَى كلُّ قومٍ عنْ أبيهمْ وصارتْ كالمخاريقِ السّيُوفُ
ترى يُمنى الكتيبةِ منْ يليها يخرُّ على مرافِقها الكثُوفُ
لنا شهباءُ تنفي مَن يلينا مضرَّجةٌ لها لونٌ خصيفُ
وذبيانيَّةٍ أوصتْ بنيها بأنْ كذَبَ القراطفُ والقرُوفُ
تجهِّزهمْ بما وجدتْ وقالتْ بنِيَّ فكلُّكمْ بطلٌ مسيفُ
فأخلفنا مودَّتها فقاظتْ ومأقِي عينِها حذلٌ نطُوفُ
إذا ما أبصرتْ نوحاً أتتهُ ترنُّ ورجعُ كفَّيها خنُوفُ
لبيكِ أبا رواحةَ جملُ خيلٍ وقومٌ قد أعزَّهمُ المضيفُ
يُنادي الجانبانِ بأنْ أنيخوا وقد عرَسَ الإناخةُ والوقُوفُ

وكانَ الأيمنونَ بني نميرٍ يسيرُ بنا أمامهمُ الخليفُ
فلا جبنٌ فينكلُ إنْ لقينا ولا هزمُ الجيوشِ لنا طريفُ
تركنا الشِّعبَ لمْ نعقلْ إليهِ وأسهلْنا كما علمَ الحليفُ
نسوقُ بهِ النِّساءَ مشمِّراتٍ يخالطُها معَ العرقِ الخشيفُ
إذا استرختْ حبالُ القومِ شدَّتْ ولا يثنى لقائمةٍ وظيفُ
تركنَ بطونَ صاراتٍ بليلٍ مطافيلَ الرّباعِ بها خلُوفُ
فظلَّ بذي معاركَ كلُّ مرْباً ونجَّى ربَّهُ الهزمُ الخفيفُ
منَ اللائي سنابكهنَّ شمٌّ أخفُّ مشاشهُ لبنٌ وريفُ
يُؤيَّهُ واللَّهيفَ بوارداتٍ كما يتغاوثُ الحسيَ النَّزيفُ
فلمَّا أنْ هزمنا النَّاسَ جاءتْ ...من ربيعَتنا تزيفُ
وشقٌّ ساقطٌ بضلوعِ جنبٍ رجوفُ الرِّجلِ منطقةُ نسيفُ
أغرَّ كأنَّ جبهتهُ هلالٌ لظلمِ الجارِ والمولى عيُوفُ

سحيم بن وثيل

وقال سحيم بن وثيل الرياحيّ:

أنا ابنُ جَلا وطلاّعِ الثَّنايا متى أضعِ العمامةَ تعرفوني
وإنَّ مكاننا منْ حميريٍّ مكانَ اللَّيثِ منْ وسطِ العرينِ
وإنِّي لنْ يعودَ إليَّ قرني غداةَ الغبِّ إلاَّ في قرينِ
كذِي لبدٍ يصدُّ الرَّكبَ عنهُ ولا تُؤتى قرينتهُ لحِينِ
عذرتُ البزلَ إن هيَ خاطرتْني فما بالي وبالُ ابنيْ لبوني
وماذا يدَّري الشُّعراءُ منِّي وقدْ جاوزتُ حدَّ الأربعينِ
أخو الخمسينَ مجتمعٌ أشدِّي ونجَّذني مداورةُ الشُّؤونِ
فإنَّ علالَتي وجراءَ حولٍ لذو شقٍّ على الضَّرعِ الظَّنونِ
كريمُ الخالِ منْ سلفيْ رياحٍ كنصلِ السَّيفِ وضّاحُ الجبينِ

متى أحللْ إلى قطنٍ وزيدٍ وسلمى تكثرُ الأصواتُ دُوني

وهمّامٌ متى أحللْ إليهِ يحلُّ اللَّيثُ في عيصٍ أمينِ

ألفَّ الجانبينِ بهِ أُسودٌ منطَّقةٌ بأصلابِ الجفونِ

وإنَّ قناتَنا مشظٌ شظاها شديدٌ مدُّها عنقَ القرينِ

عبيد بن عبد العزّى السلاميّ

وقال عبيد بن عبد العزَّى السلاميّ، أحد بني سلامان بن مفرج، وهو ابن عم الشَّنفرى:

ألا هلْ فؤادي إذْ صبا اليومَ نازِعُ وهل عيشُنا الماضي الذي زالَ رائعُ

وهلْ مثلُ أيامٍ تسلَّفنَ بالحِمى عوائدُ أو عيشُ السِّتارينِ راجِعُ

كأنْ لمْ تجاورْنا رميمُ ولمْ نقمْ بفيضِ الحِمى إذْ أنتَ بالعيشِ قانِعُ

وبدِّلتْ بعدَ القربِ سخطاً وأصبحتْ مضابعةً واستشرفتكَ الأضابعُ

وكلُّ قرينٍ ذي قرينٍ يودُّهُ سيفجعهُ يوماً منَ البينِ فاجِعُ

لعمري لقدْ هاجتْ لكَ الشَّوقَ عرصةٌ بمرّانَ تعفوها الرِّياحُ الزَّعازِعُ

بها رسمَ أطلالٍ وخيمٌ خواشعٌ على آلهنَّ الهاتفاتُ السَّواجِعُ

فظلتُ ولمْ تعلمْ رميمُ كأنَّني مهمٌّ ألَّثتهُ الدُّيونُ الخوالِعُ

تذكَّرَ أيَّامَ الشَّبابِ الذي مضى ولمَّا ترعْنا بالفراقِ الرَّوائِعُ

بأهلي خليلٌ إنْ تحمَّلتُ نحوهُ عصاني وإنْ هاجرتهُ فهو جازِعُ

وكيفَ التَّعزِّي عنْ رميمَ وحبّها على النَّأيِ والهجرانِ في القلبِ ناقِعُ

طويتُ عليهِ فهوَ في القلبِ شامةٌ شريكُ المنايا ضمِّنتهُ الأضالعُ

وبيضٍ تهادَى في الرِّياطِ كأنَّها نِهَيْ لسلسٍ طابتْ لهنَّ المراتِعُ

تخيَّرنَ منَّا موعداً بعدَ رقبةٍ بأعفرَ تعلوهُ السُّروجُ الدَّوافِعُ

فجئنَ هدوّاً والثِّيابُ كأنَّها منَ الطَّلِّ بلَّتها الرِّهامُ النَّواشِعُ

جرى بيننَا منهمْ رسيسٌ يزيدُنا سقاماً إذا ما استيقنتهُ المسامِعُ

قليلاً وكانَ اللَّيلُ في ذاكَ ساعةً فقمنَ ومعروفٌ منَ الصُّبحِ صادِعُ

وأدبرنَ من وجهٍ بمثلِ الذي بنا فسالتْ على آثارهنَّ المدامِعُ

يزجِّينَ بكراً ينهزُ الرَّيطُ مشيَها كما مارَ ثعبانُ الفضا المتدافِعُ

تبادرُ عينيْها بحكلٍ كأنَّهُ جمانٌ هوَى مِن سلكهِ متتايِعُ

وقمنا إلى خوصٍ كأنَّ عيونَها قلاتٌ تراخَى ماؤها فهوَ واضِعُ

فولَّتْ بنا تغشى الخبارَ ملحَّةً معاً حُولها واللاقحاتُ الملامِعُ

وإنِّي لصرَّامٌ ولمْ يخلقِ الهوى جميلٌ فِراقي حينَ تبدو الشَّرائعُ

وإنِّي لأستبقي إذا العسرُ مسَّني بشاشةَ نفسي حينَ تُبلى المنافِعُ

وأعفي عنْ قومي ولو شئتُ نوَّلوا إذا ما تشكَّى الملحفُ المتضارِعُ

مخافةَ أنْ أُقلى إذا شئتُ سائلاً وترجعني نحوَ الرِّجالِ المطامعُ

فأسمعَ منَّا أوْ أُشرِّفُ منعماً وكلُّ مُصادي نعمةٍ متواضِعُ

وأُعرضُ عنْ أشياءَ لوْ شئتُ نلتُها حياءً إذا ما كانَ فيها مقاذِعُ

ولا أدفعُ ابنَ العمِّ يمشي على شفاً ولوْ بلغتْني من أذاهُ الجنادِعُ

ولكنْ أُواسيهِ وأنسى ذنوبهُ لترجعهُ يوماً إليَّ الرَّواجِعُ

وأُفرشهُ مالي وأحفظُ غيبهُ ليسمعَ إنِّي لا أُجازيهِ سامِعُ

وحسبكَ منْ جهلٍ وسوءِ صنيعةٍ معاداةُ ذي القربى وإنْ قيلَ قاطعُ

فأسلمْ عِناك الأهلَ تسلمْ صدورهمْ ولا بدَّ يوماً أنْ يروعكَ رائعُ

فتبلوهُ ما سلَّفتَ حتَّى يردَّهُ إليكَ الجوازي وافراً والصَّنائعُ

فإنْ تبلِ عفواً يعفُ عنكَ وإنْ تكنْ تقارعُ بالأُخرى تُصبكَ القوارِعُ

ولا تبتدعْ حرباً تطيقُ اجتنابها فيلحمكَ النَّاسَ الحروبَ البدائعُ

لعمري لنعمَ الحيُّ إنْ كنتَ مادحاً همُ الأزدُ إنَّ القولَ بالصِّدقِ شائعُ

كرامٌ مساعيهمْ جسامٌ سماعهمْ إذا ألغتِ النَّاسَ الأمورُ الشَّرائعُ

لنا الغرفُ العليا منَ المجدِ والعُلى ظفرنا بها والنَّاسُ بعدُ توابِعُ

لنا جبَلا عزٍّ قديمٌ بناهُما تليعانِ لا يألوهما منْ يتالِعُ

فكمْ وافدٍ منَّا شريفٌ مقامهُ وكمْ حافظٍ للقرنِ والقرنُ وادِعُ
ومِن مطعمٍ يومَ الصَّبا غيرَ حامدٍ إذا شصَّ عنْ أبنائهنَّ المراضِعُ
يشرِّفُ أقواماً سِوانا ثيابُنا وتبقى لهمْ أنْ يلبسوها سمائِعُ
إذا نحنُ ذارعْنا إلى المجدِ والعُلى قبيلاً فما يستطيعُنا مَن يذارِعُ
ومنَّا بنو ماءِ السَّماءِ ومنذرٌ وجفنةُ منَّا والقرومُ النَّزائعُ
قبائلُ منْ غسَّانَ تسمو بعامرٍ إذا انتسبتْ والأزدُ بعدُ الجوامِعُ
أدانَ لنا النُّعمانُ قيساً وخندفاً أدانَ ولمْ يمنعْ ربيعةَ مانِعُ

وقال عبيد أيضاً:

أرسمَ ديارٍ بالسِّتارينِ تعرفُ عفتْها شمالٌ ذاتُ نيرينِ حرجفُ
مبكِّرةٌ للدَّارِ أيما ثمامُها فينقى وأيما عنْ حصاها فتقرفُ
حرونٌ على الأطلالِ من كلِّ صيفةٍ وفقّا عليها ذو عثانينَ أكلفُ

إذا حنَّ سلاّفُ الرَّبيعِ أمامَها وراحتْ رواياهُ على الأرضِ ترجفُ
فلمْ تدعِ الأرواحُ والماءُ والبِلى منَ الدَّارِ إلاَّ ما يشوقُ ويشعفُ
رسوماً كآياتِ الكتابِ مبينةً بها للحزينِ الصَّبِّ مبكًى وموقفُ
وقفتُ بها والدَّمعُ يجري حبابهُ على النَّحرِ حتَّى كادتِ الشَّمسُ تكسفُ
تذكَّرتُ أيَّاماً تسلَّفتُ لينَها على لذَّةٍ لو يُرجعُ المتسلَّفُ
كأنَّكَ لمْ تعهدْ بها الحيَّ جيرةً جميع الهوى في عيشهِ ما تصرَّفُ
إذِ النَّاسُ ناسٌ والبلادُ بغرةٍ وأنتَ بها صبٌّ القرينةِ مولفُ
وقدْ كانَ في الهجرانِ لو كنتَ ناسياً رميمَ وهلْ يَنسى ربيعٌ وصيِّفُ
ولمْ تُنسني الأيَّامُ والبغي بيننَا رميمُ ولا قذفُ النَّوى حينَ تقذفُ
ولمْ يحلُ في عيني بديلٌ مكانَها ولمْ لتبسْ بي حبلُ من يتعطَّفُ
وقدْ حلفتْ والسِّترُ بيني وبينها بربِّ حجيجٍ قد أهلُّوا وعرَّفوا
على ضمَّرٍ في الميسِ ينفخنَ في البُرى إذا شابكتْ أنيابُها اللَّجنَ تصرفُ

لقدْ مسَّني منكِ الجوى غيرَ أنَّني أخافُ كما يخشى على ذاكَ أحلفُ

وكانَ صدودٌ بعدَما أبطنَ الهوى قلوباً فكادتْ للذي كانَ تجنفُ

كتركِ الأميمِ الهائم الماءَ بعدَما تنحَّى بكفَّيهِ يسوفُ ويغرفُ

وداويَّةٍ لا يأمنُ الرَّكبُ جوزَها بها صارخاتُ الهامِ والبومِ يهتفُ

دعاني بها داعِي رميمٍ وبينَنا بهيمُ الحواشي ذو أهاويلَ أغضفُ

تقحَّمتُ ليلَ العيسِ وهيَ رذيَّةٌ وكلَّفتُ أصحابي الوجيفَ فأوجفُوا

لنخبرَ عنها أو نرى سروَ أرضِها وقدْ يُتعبُ الرَّكبَ المحبُّ المكلَّفُ

ولوْ لمْ تملْ بالعيسِ معويَّةُ العُرى لمالَ بها أيكٌ أثيثٌ وغرْيفُ

ومكنونةٌ سودُ المجاثمِ لمْ يزلْ يهوِّئُها للعيكتَينِ التَّلهُّفُ

وما العيشُ إلاَّ في ثلاثٍ هيَ المُنى فمنْ نالَها من بعدُ لا يتخوَّفُ

صحابةُ فتيانٍ على ناعجيَّةٍ مناسمُها بالأمعزِ المحلِ ترعفُ

وكأسٌ بأيدي السَّاقيَيْنِ رويَّةٌ يمدَّانِ راووقيهِما حينَ تنزفُ

وربَّةُ خدرٍ ينفحُ المسكَ جيبُها تضوَّعَ ريَّاها بهِ حينَ تصدفُ

إذا سُلبتْ فوقَ الحشيَّاتِ أشرقتْ كما أشرقَ الدِّعصَ الهجانُ المصيَّفُ

وقال عبيد أيضاً:

أتعرفُ رسماً كالرِّداءِ المحبَّرِ برامةَ بينَ الهضبِ والمتغمَّرِ

جرتْ فيهِ بعدَ الحيِّ نكباءُ زعزعٌ بهبوةِ جيلانٍ منَ التُّربِ أكدَرِ

ومرتجزٌ جونٌ كأنَّ ربابهُ إذا الرِّيحُ زجَّتهُ هضابُ المشقَّرِ

يحطُّ الوعولَ العصمَ منْ كلِّ شاهقٍ ويقذفُ بالثِّيرانِ في المتحيَّرِ

فلمْ يترُكا إلاَّ رسوماً كأنَّها أساطير وحيٍ في قراطيسِ مقتري

منازلُ قومٍ دمّنوا تلعاتهِ وسنُّوا السَّوامَ في الأنيقِ المنوَّرِ

ربيعهمُ والصَّيفُ ثمَّ تحمَّلوا على جلَّةٍ مثلِ الحنيَّاتِ ضمَّرِ

شواكلَ عجعاجٍ كأنَّ زمامهُ بذكّارةٍ عيطاءَ من نخلِ خيبَرِ

بهِ منْ نضاخِ الشَّولِ ردعٌ كأنَّهُ نقاعةُ حنَّاءٍ بماءِ الصّنّوبَرِ

كسوها سخامَ الرَّيطِ حتَّى كأنَّها حدائقُ نخلٍ بالبرودَينِ موقَرِ

وقامَ إلى الأحداجِ بيضٌ خرائدٌ نواعمُ لمْ يلقينَ بُوسَى لمقفَرِ

ربائبُ أموالٍ تلادٍ ومنصبٌ منَ الحسبِ المرفوعِ غيرِ المقصِّرِ

هدينَ غضيضَ الطَّرفِ خمصانةَ الحشا قطيعَ التَّهادي كاعباً غير معصرِ

مبتَّلةً غرّاً كأنَّ ثيابَها على الشَّمسِ غبَّ الأبردِ المتحسِّرِ

قضوا ما قضَوا منْ رحلةٍ ثمَّ وجَّهوا يمامةَ طودٍ ذي حماطٍ وعرعَرِ

وعاذلةٍ ناديتُها أنْ تلومني وقدْ علمتْ أنِّي لها غيرُ موثرِ

على الجارِ والأضيافِ والسَّائلِ الذي شكا مغرماً أو مسَّهُ ضرٌّ معسرِ

أعاذلَ إنَّ الجودَ لا ينقصُ الغنى ولا يدفعُ الإمساكُ عن مالِ مكثرِ

ألمْ تسألي والعلمُ يشفي منَ العمى ذوي العلم عنْ أبناءِ قومي فتخبَري

سلامانَ إنَّ المجدَ فينا عمارةٌ على الخلقِ الذَّاكي الذي لم يكدَّرِ

بقيَّةُ مجدِ الأوَّلِ الأوَّلِ الذي بنى ميدعانُ ثمَّ لمْ يتغيَّرِ

أُولئكَ قومٌ يأمنُ الجارُ بينهمْ ويشفقُ من صولاتهمْ كلُّ مخفرِ

مرافيدُ للمولى محاشيدُ للقِرى على الجارِ والمستأنسِ المتنوِّرِ

إذا ظلُّ قومٍ كانَ ظلَّ غيابةٍ تذعذعهُ الأرواحُ من كلِّ مفجَرِ

فإنَّ لنا ظلاًّ تكاثفتْ وانطوتْ عليهِ أراعيلُ العديدِ المجمهَرِ

لنا سادةٌ لا ينقضُ النَّاسُ قولهمْ ورجراجةٌ ذيّالةٌ في السّنورِ

تُجنُّهمُ منْ نسجِ داوودَ في الوغى سرابيلُ حيصتْ بالقتيرِ المسمَّرِ

وطئنا هلالاً يومَ ذاجٍ بقوَّةٍ وصفناهمُ كرهاً بأيدٍ مؤزَّرِ

ويوماً بتبلالٍ طممْنا عليهمِ بظلماءِ بأسٍ ليلُها غيرُ مسفرِ

وأفناءُ قيسٍ قد أبدْنا سراتهمْ وعبساً سقيْنا بالأُجاجِ المعوَّرِ

وأصرامُ فهمٍ قد قتلْنا فلمْ ندعْ سوى نسوةٍ مثلِ البليَّاتِ حسَّرِ

ونحنُ قتلْنا في ثقيفٍ وجوَّستْ … فوارسُنا نصراً على كلِّ محضرَ
ونحنُ صبرْنا غارةً مفرجيَّةً … فُقيماً فما أبقتْ لهمْ من مخبِّرِ
ودسناهمُ بالخيلِ والبيضِ والقنا … وضربٍ يفضُّ الهامَ في كلِّ مغفَرِ
ورُجنا بيضٍ كالظِّباءِ وجاملٍ … طولِ الهوادي كالسَّفينِ المقيَّرِ
ونحنُ صبحْنا غيرَ غدرٍ بذمَّةٍ … سليمَ بنَ منصورٍ بصلعاءَ مذكرِ
قتلناهمُ ثمَّ اصطبحْنا ديارهمْ … بخُمرةَ في جمعٍ كثيفٍ مخمَّرِ
تركنا عوافي الرُّخمِ تنشرُ منهمُ … عفاريَ صرعَى في الوشيجِ المكسَّرِ
وبالغورِ نُطنا من عليٍّ عصابةً … ورُحنا بذاكَ القيروانِ المقطَّرِ
وخثعمَ في أيَّامِ ناسٍ كثيرةٍ … همطناهمُ همطَ العزيزِ المؤمَّرِ
سبينا نساءً من جليحةَ أُسلمتْ … ومنْ راهبٍ فوضى لدى كلِّ عسكَرِ
ونحنُ قتلنا بالنَّواصفِ شنفرى … حديدَ السِّلاحِ مقبلاً غيرَ مدبرِ
ومنْ سائرِ الحيَّينِ سعدٍ وعامرٍ … أبحْنا حمى جبّارها المتكبِّرِ
منعنا سراةَ الأرضِ بالخيلِ والقنا … وأيأس منَّا بأسُنا كلَّ معشَرِ
إذا ما نزلنا بلدةً دوَّختْ لنا … فكُنَّا على أربابها بالمخيَّرِ
بنو مفرجٍ أهلُ المكارمِ والعُلى … وأهلُ القبابِ والسَّوامِ المعكَّرِ
فمنْ للمعالي بعدَ عثمانَ والنَّدى … وفصلِ الخطابِ والجوابِ الميسَّرِ
وحملِ الملمَّاتِ العظامِ ونقضِها … وإمرارها والرَّأيِ فيها المصدَّرِ
كأنَّ الوفودَ المبتغينَ حباءهمْ … على فيضِ مدّادٍ منَ البحرِ أخضرَ
فكمْ فيهمِ منْ مستبيحٍ حمى العدى … سبوقٍ إلى الغاياتِ غيرِ عذوَّرِ
وهوبٍ لطوعاتِ الأزمَّةِ في البُرى … وللأُفقِ النَّهدِ الأسيلِ المعذِّرِ
نمتهُ بنو الأربابِ في الفرعِ والذُّرى … ومنْ ميدعانَ في ذبابٍ وجوهَرِ
لبابُ لبابٍ في أرومٍ تمكَّنتْ … كريمَ غداةِ الميسرِ المتحضَّرِ
فأكرمْ بمولودٍ وأكرمْ بوالدٍ … وبالعمِّ والأخوالِ والمتهصَّرِ
ملوكٌ وأربابٌ وفرسانُ غارةٍ … يحوزونها بالطَّعنِ في كلِّ محجَرِ

إذا نالهمْ حمشٌ فإنَّ دواءهُ ... دمٌ زلَّ عنْ فودَي كميٍّ معقَّرِ

مُدانيهمِ يُعطي الدَّنيَّةَ راغماً ... وإنْ داينوا باؤوا بريَمٍ موفَّرِ

حاجز بن عوف

وقال حاجز بن عوف بن الحارث بن الأختم بن عبد الله بن ذهل بن مالك بن سلامان بن مفرج:

سألتُ فلمْ تكلِّمني الرُّسومُ ... فظلتُ كأنَّني فيها سقيمُ

بقارعةِ الغريفِ فذاتِ مشيٍ ... إلى العصداءِ ليسَ بها مقيمُ

منازلُ عذبةِ الأنيابِ خودٍ ... فما إنْ مثلُها في النَّاسِ نيمُ

فأمَّا إنْ صرفتُ فغيرُ بغضٍ ... ولكنْ قد تعدِّيني الهمومُ

عَداني أنْ أزوركِ حربُ قومٍ ... كجمرِ النَّارِ ثاقبةٌ عذومُ

عذومٌ ينكلُ الأعداءُ عنها ... كأنَّ صلاتها الأبطالَ هيمُ

فلستُ بآمرٍ فيها بسلمٍ ... ولكنِّي على نفسي زعيمُ

قتلنا ناجياً بقتيلِ فهمٍ ... وخير الطَّالبِ التِّرةَ الغشومُ

بغزوٍ مثلِ ولغِ الذِّئبِ حتَّى ... ينوءَ بصاحبي ثارٌ منيمُ

ولمَّا أنْ بدتْ أعلامُ ترجٍ ... وقالَ الرَّابئانِ بدتْ رتومُ

وأعرضتِ الجبالُ السُّودُ خلفي ... وخينفُ عنْ شمالي والبهيمُ

أممتُ بها الطَّريقَ فويقَ نعلٍ ... ولمْ أُقسمْ فتربثَني القسومُ

ومرقبةٍ نميتُ إلى ذُراها ... يقصِّرُ دونَها السَّبطُ الوسيمُ

علوتُ قذالَها وهبطتُ منها ... إلى أُخرى لقلّتها طميمُ

فلمْ يقصرْ بها باعي ولكنْ ... كما تنقضُّ ضاريةٌ لحومُ

منُ النّمرِ الظُّهورِ كأنَّ فاها ... إذا أنحتْ على شيءٍ قدومُ

وليلةِ قرَّةٍ أدلجتُ فيها ... يحرِّقُ جلدَ ساقيَّ الهشيمُ

فأصبحتِ الأناملُ قدْ أُبينتْ ... كأنَّ بنانَها أنفٌ رثيمُ

تراها منْ وثامِ الأرضِ سوداً كأنَّ أصابعَ القدمينِ شيمُ
ورجْلٍ قدْ لففتهمُ برجْلٍ عليهمِ مثلُ ما نُثر الجريمُ
يصيبُ مقاتلَ الأبطالِ منهمْ قحيطُ الطَّعنِ والضَّربُ الخذيمُ
كمعمعةِ الحريقةِ في أباءٍ تشبُّ ضرامَها ريحٌ سمومُ
وردتُ الموتَ بالأبطالِ فيهمْ إذا خامَ الجبانُ فلا أُخيمُ
ومعتركٍ كأنَّ القومَ فيهمْ تملُّ جلودَ أوجههمْ جحيمُ
صليتُ بحرَّه وتجنَّبتهُ رجالٌ لا يناطُ بها التَّميمُ
إذا أنسى الحياءَ الرَّوعُ نادَوا ألا يا حبَّذا الأنسُ المقيمُ

وقال حاجز أيضاً:

لمن طللٌ بعتمةَ أو حفارِ عفتهُ الرِّيحُ بعدكَ والسَّواري
عفتهُ الرِّيحُ واعتلجتْ عليهِ بأكدرَ منْ ترابِ القاعِ جارِ
فلأياً ما يبينُ رثيدُ نؤيٍ ومرسَى السُّفلَيينِ من الشِّجارِ
ومبركِ هجمةٍ ومصامِ خيلٍ صوافِنَ في الأعنَّةِ والأواري
ألا هل أتاكَ والأنباءُ تنْمي طوالعَ بينَ مبتكرٍ وسارِ
بمحبسنا الكتائبِ إنَّ قومي لهمْ زندٌ غداةَ النَّاسِ واري
إذا نادَوا عوادِ تعودُ منَّا عباهلةٌ سيوفهمُ عوارٌ
فأبلغْ قسعةَ الجُشميَّ عنِّي كفيلَ الحيِّ أيّامَ النِّفارِ
بآيةَ ما أجزتهمُ ثلاثاً بقينَ وأربعاً بعدَ السِّرارِ
فجاءتْ خثعمٌ وبنو زبيدٍ ومذحجُ كلُّها وابنا صحارِ
وجمعٌ من صداءٍ قد أتانا ودُعميٌّ وجمعُ بني شعارِ
فلمْ نشعرْ بهمْ حتَّى أتونا كحميرَ إذ أناختْ بالجمارِ
فقامَ مؤذِّنٌ منّا ومنهمْ لدى أبياتنا سوري سوارِ
كأنَّا بالمضيقِ وقد ثرونا لدى طرفِ الأُصيحرِ ضوءُ نارِ
فقالوا يالَ عبسٍ نازعوهمْ سجالَ الموتِ بالأسلِ الحرارِ

فقلنا يالَ يرفى ماصعوهمْ
فرارَ اليومِ فاضحةَ الذِّمارِ

فأمّا تعقروا فرسي فإنِّي
أقدِّمها إذا كثرَ التَّغاري

وأحملها على الأبطالِ إنِّي
على يومِ الكريهةِ ذو اصطبارِ

صليتُ بغمرةٍ فخرجتُ منها
كنصلِ السَّيفِ مختضبَ الغرارِ

كأنَّ الخيل إذ عرفت مقامي
تفادى عن شتيمِ الوجهِ ضارِ

أكفِّئهمْ وأضربهمْ ومنِّي
مشلشلةٌ كحاشيةِ الإزارِ

وأعرضَ جاملٌ عكرٌ وسبيٌ
كغزلانِ الصَّرائمِ من نجارِ

فلم أبخلْ غداتئذٍ بنفسي
ولا فرسي على طرفِ العيارِ

نضاربُ بالصَّفائحِ من أتانا
وأُخراهمْ تملأُ بالفرارِ

ألا أبلغْ غزيِّلَ حيثُ أضحى
أحقّاً ما أُنبَّأُ بالفخارِ

فإنَّكَ والفخار بآلِ كعبٍ
كمن باهى بثوبٍ مستعارِ

وذاتِ الحجلِ تبهجُ أن تراهُ
وتمشي والمسيرُ على حمارِ

أرينا يومَ ذلك من أتانا
بذي الظُّبةِ الكواكبَ بالنَّهارِ

فلو كنَّا المغيرةَ قد أفأنا
المؤبَّلَ والعقائلَ كالعرارِ

أبا ثورٍ سجاحِ فإنَّ دعوى
تخالفُ ما أبيتَ عصيمُ عارِ

فلولا أن تداركَ جريُ صهوي
كلومٌ مثلُ غائلةِ النِّفارِ

لردَّ إليكَ شاكلةً بتيراً
حسامٌ غيرُ مستلمٍ قُطارِ

عديّ بن وداع

وقال عديّ بن وداع أحد بني عقْيٍ، وهو أسد بن الحارث بن مالك بن فهم أحد الأزد، وكان يلقب الأعمى ولم يكن أعمى:

كلَّفني القلبُ فلمْ أجهلِ
عهدَ الصِّبا في السَّالفِ الأوَّلِ

أزمانَ إذ أملكُ عقلي وإذ
طرفيَ لم يخسأ ولم يكللِ

أرى ابنةَ الأزْدي قد أقبلتْ
بينَ سموطِ الدُّرِّ في المجولِ

كالظَّبيةِ الفاردةِ الخاذلِ المخروفةِ المقفرةِ المُطفلِ
ظلَّتْ تعاطى بخلاءٍ من ال أرضِ شجونَ السَّلمِ المهدلِ
يابنةَ كعبِ بن صليعٍ ألا تستيقني إن كنتِ لم تذهلي
قالتْ ألا لا يُشترى ذاكمُ إلاَّ برعبِ الثَّمنِ الأجزلِ
إن تعطنا سطرَ الحفافينِ مقْ طوعاً لنا بتلاً إذنْ نفعلِ
إنَّ الحفافينَ عقارُ امرئٍ يمنعهُ الضيَّمُ فلا تجهلي
مالُ امرئٍ يخبطُ في الغمرةِ ال قرنَ غداةَ البأسِ بالمنصلِ
إن كنتِ تستأسينَ لا بدَّ فال معروفُ منّا أُختنا فاسألي
العبدَ أو بكرتنا الحرَّةَ ال زّهراءَ أو منصفةَ النزُّلِ
طبنا بهذا لك نفساً فإنْ ترضي به عنّا إذن فافعلي
بعضكِ يا وجدَ امرئٍ شفَّهُ ال حبُّ فلمْ يفرغْ ولم يُشغلِ
أعمى على حالٍ من الحالِ لا يشعرُ ما النّائي من المقبلِ
لو كنتِ قد أدنيتني الودَّ ما ألفيتُ مثلَ الضمَّنِ الزمَّلِ
أوديتُ في المودينَ إن كنتُ في ال أحياءِ كالمنسيَّ لم يحفلِ
وسائلي القومَ إذا أرملوا والمعتفي والصَّحبَ بي فاسألي
أيُّ فتًى أعمى عديٌّ إذا ما باشرَ الكيدَ على التَّلتلِ
قد أشخذُ الصَّحبَ إلى موطنٍ يكلحُ منه ناجذُ المصطلي
ضربَ سيوفِ الهندِ صقعاً كما يُشعلُ غابُ الحرقِ المشعلِ
أو كقصيفِ البردِ الصيِّفِ ال مبعقِ في الظّاهرِ ذي الجرولِ
جرتْ به دلوٌ قريٌّ على أدراجها من باكرٍ مسبلِ
من عارضٍ جونٍ ركامٍ وهتْ عزلاؤهُ منهزمِ الأسفلِ
يحفزهُ رعدٌ وبرقٌ على أرجائه مرتجزُ الأزملِ
حينَ ترى القتلى لدى مُزحفٍ كالقربِ الوفرِ لدى المنهلِ
حينَ يقولُ النَّجدُ من رهبةِ ال موتِ أرى الغمرةَ لا تنجلي

سيفُ ابنِ نشوانَ بكفِّي وقدْ سقاهُ شهراً مدوسُ الصَّقيلِ
أخضرُ ذو زرَّينِ يُسقى سِما ماً فإذا أُرهفَ لم ينحلِ
أحمي بهِ فرجَ سلوقيَّةٍ كالشَّمسِ تغشى طرفَ الأنملِ
إنْ كنتُ أعمى فاسألي القومَ هلْ أُسكتُ روَعَ المرءِ ذي الأفكلِ
أضربُ في العورةِ ما فيَّ إنْ أُخضمتُ أو أُقضمتُ لم أنتلِ
أعلمُ أنْ كلُّ فتًى مرَّةً للقتلِ أو بيتٍ منَ الجندلِ
ذلكَ مكروهي وروغي فإنْ أُحملْ على الثِّقلةِ لا أثقلِ
ممَّا ينوبُ الحيُّ فيهمْ وقدْ أجتازُ بالمبتقلِ المعملِ
السَّابقُ المختالَ بالكورِ وال أعلامِ نوحَ الفاقدِ المعولِ
ينجو منَ السَّوطِ كما تجدمُ ال قيدودُ منْ وهوهةِ المسحلِ
شرَّدها زرٌّ بلحييهِ منْ أعرافِها والشَّعرِ المنسلِ
صائفةٍ وَحمى تصدَّى لهُ كالقوسِ منْ فارعةِ الأشكلِ
ترهقهُ ضرباً وتنجُو على وحشيِّها قاربةَ المنهلِ
قذفكَ بالقدحِ منَ السَّاسمِ ال أجردِ قدحَ الصَّنعِ المغتلي
حتَّى يحورَ النَّيُّ منهُ إلى عظمِ سُلامى سلسِ المفصلِ
بينَ رذيٍّ الرَّهبِ المقصدِ ال مخِّ المُباري خدمَ المنعلِ

يعلُو لنابيهِ صريفٌ كما غرَّدَ صوتُ الصُّردِ الصُّلصلِ
واللهِ واللهِ لهذا الفتى كانَ لزازَ الزَّمنِ الممحلِ
للجارِ والضَّيفِ وباغي النَّدى حينَ يُباري خلُقي أخيلي
أروعُ وشواشٌ قليلُ الخنا صلبٌ مُشاشي صنعٌ مقوَلي
يؤنسُ معروفي نَزيلي وقدْ أُخرجُ ضبَّ الخصمِ الأجدلِ
في الجدِّ إذا جدَّ شياحي وإذْ أصواتُ يومِ الجمعِ لمْ تصحلِ
إن يصدفِ الأترابُ عنِّي فقدْ أخدعُ مثلَ الرَّشأ الأكحلِ

كدرَّةِ الغائصِ تُهدى إلى ... ذي نطفٍ في غرفةِ المجدلِ

جاءَ بها آدمٌ صلبٌ أحص ... صُ الرَّأسِ فيهِ الشَّيبُ لمْ يشملِ

لمَّا انتضاها موقنٌ أنَّهُ ... إنْ يبلغِ السُّوقَ بها يجذلِ

شيَّعَ في قرواءَ مدهونةٍ ... ذاتِ قلاعٍ صعداً تغتلي

تختصمُ اللُّجَّةُ في العوطبِ ... ذي التَّيَّارِ والجلجلِ

بشَّرَ أصحاباً لهُ إنَّها ... تجبرُ فقرَ البائسِ الأرملِ

قالتْ وقدْ كنَّا على موعدٍ ... ويلكَ إنْ يُدرَ بنا نقتلِ

أخشى عليكَ اليومَ منْ مصعةٍ ... خدباءَ منْ ذي هبَّةٍ مقصلِ

بكفِّ غيرانَ نهيكٍ منَ ال ... قومِ كصدرِ السَّيفِ لم ينكلِ

عندكِ شعبٌ منْ فؤادِ امرئٍ ... ما بهِ عنكِ اليومَ من مزحلِ

إنْ تبذُلي الودَّ فتشفي بهِ ال ... قلبَ وإنْ خفتِ فلا تفعلي

لشائنيكِ الويلَ إنْ تبذُلي ... أُغتلْ وشرٌّ لكِ أنْ تبذُلي

يصبحُ جذماناً على آلةٍ ... يعرفُها الآخرُ للأوَّلِ

تعاقبُ الأسرَى ودورُ الرَّحى ... وتالفٌ إنْ هوَ لمْ يغفلِ

أوْ لمْ يُفدْ أعقابكمْ قُضأةً ... مثلَ وُحيِّ الصَّخرِ لمْ تخملِ

وقال عدي أيضاً:

أرى لهواً تعرَّضَ للفراقِ ... وبيناً بعدَ بينٍ واتّفاقِ

لعلَّكِ إنَّما تدرينَ لومي ... وعذْلي إنْ قدرتِ على النّفاقِ

فقدْ يأتي عليَّ أوانُ حينٍ ... وعرسي ما تعرَّضَ للطَّلاقِ

ولكنْ قدْ يسرُّ ويتَّقيني ... بجهدِ الودِّ مغضبةَ الرِّواقِ

فتَى الفتيانِ لا يعتَقيني ... عنِ الأهواءِ جدِّي بالعواقي

فإمَّا أُمسِ مرتهناً أسيراً ... على العينينِ مشدودَ الوثاقِ

أسيرَ الجنِّ لا أرجُو فكاكاً ... طوالَ الدَّهرِ محفوظَ الأباقِ

ولو أنِّي أرادَ لقلتُ قرنٌ ... أرادَ عدواتي حرجٌ مُلاقِ

وأحضرهُ العداوةَ منْ قريبٍ بضربٍ بينهُ وقْدُ احتراقِ
وكنتُ فتًى أخا العزَّاءِ فيهمْ لرَهطي لو وقَى العينينِ واقِ
تعظَّمُ ندوَتي فيهمْ وأثني مودَّتهمْ بأخلاقٍ رماقِ
إذا ما ألزَنُوا ولقدْ أُنادي لعانيهمْ بناجزةِ الحقاقِ
وصادرةٍ معاً وتُشتٌّ ورداً لها منحٌ تواشكُ باتّفاقِ
نزعتُ لها رهابةَ مقدماتٍ يُلحنَ بوفرِ منتهكِ الغلاقِ
وقومي يعلمونَ لربَّ يومٍ شددتُ بما ألمَّ بهِ نطاقي
وأدفعُ عنهمُ والجرمُ فيهمْ دخيسَ الجمعِ بالكلمِ السّلاقِ
وخصمٍ قد لويتُ الحقَّ فيهِ قرائنهُ تنازعُ للشِّقاقِ
وجارٍ قد أواسيهِ بنفسي ووُسعي أن يبينَ عن اللِّزاقِ
وحورٍ قد خززتُ لهنَّ طرفي لذيذاتِ المودَّةِ والعناقِ
يدفنَ الزَّعفرانَ على خدودٍ نواعمَ لا كلفنَ ولا بهاقِ
كأنَّ وجوههنَّ متونُ بيضٍ جلتها الشَّمسُ في ذرِّ الشِّراقِ
لذيذاتِ الشَّبابِ مخصَّراتٍ مخاصرهنَّ في نشرٍ رقاقِ
وقد أغدو بمنشقٍّ نساهُ جوادٍ في المحثَّةِ والنِّزاقِ
لغيثٍ يجنبُ الرُّوّادُ عنهُ يباري الرِّيحَ بالعشبِ السِّماقِ
وبثَّ به من الوسميِّ غيثٌ مرادَ العينِ منفرقَ البساقِ
تقدَّمَ رابئٌ فإذا شياهٌ يدسنَ حديقَ سلاَّنِ البراقِ
فأرسلهُ وقد غرَّبنَ شأواً بهنَّ تواشكَ الشَّدِّ المزاقِ
كأنَّ مجامعَ الهُلباتِ منهُ وهاديها لميعادٍ وفاقِ

فأرخيتُ القناةَ ويزأنيّاً على الأكفالِ بالطَّعنِ المعاقِ
فعادى بينهنَّ وهنَّ رهوٌ يملنَ على مسمَّحةٍ ذلاقِ
فأدّاها إليَّ ولم يرثها فواقاً أو أقلَّ من الفُواقِ

وأدَّانا المقيلُ إلى شواءٍ يطاطئُ أنفسَ القومِ الدِّهاقِ
بفتيانٍ ذوي كرمٍ أعاذوا وقيذهمُ بشبعٍ واعتناقِ
وندمانٍ رهنتُ له بريٍّ وراووقٍ ومُسمعةٍ وساقي
كريم لا يُشعِّثني إذا ما نفتهُ الكأسُ بالسُّكرِ المساقي
أقامَ لدى ابنِ محصنَ عاملاتٍ من الأمثالِ والكلمِ البواقي
أرى الأيّامَ لا يبقى عليها سوى الأجبالِ والرَّملِ الرِّقاقِ

أبو بردة عديّ بن عمرو

وقال أبو بردة عديّ بن عمرو بن سويد بن زبّان الطائي المعنيّ:

أسماءُ حلَّتْ بوادي الكومِ من ريبٍ إلى المواثلِ تدنو ثمَّ تنصفقُ
وقد تولَّى بها صرفُ النَّوى حقباً وشطَّ أرضكَ من تهوى ومن تثقُ
وما تذكُّرهُ إحدى بني أسدٍ إلاَّ السَّفاهَ وإلا أنهُ علقُ
وقد ظللنا سراةَ اليومِ حابسنا شبكُ الدُّيونِ وأمرٌ بينهمْ غرقُ
ثمَّ أجدُّوا وعن أيمانهمْ ديرٌ وعن شمائلهمْ من فردةٍ برقُ
كأنَّهمْ وزهاءُ الآلِ يرفعهمْ وقد تألَّقَ ظهرُ المهمهِ البلقُ
نخلُ الجماحِ أعاليهِ مكمَّمةٌ لمّا تفتَّقْ ولم يدخلْ بهِ الحرقُ
وقد أكونُ أمام الحيِّ يحملني قدَّامَ سرحهمِ ذو ميعةٍ تئقُ
نهدُ الثَّميلةِ إلاَّ أن يُكمِّشهُ الأجراءُ لا شبهةٌ فيهِ ولا بلقُ
رحبُ اللَّبانِ رجيلٌ منهبٌ تئقٌ للشَّدِّ لا سغلٌ فيه ولا ملقُ
كأنَّ ثائبهُ غيثٌ تُقحِّمهُ ريحٌ فيسفحُ تاراتٍ ويندفقُ
كأنه أكلف الخدين منتصب منه المخالب أعلى ريشة لثق
بازٍ جريءٌ على الحزَّانِ مقتدرٌ ومن حبابيرَ ذي ماوانَ يرتزقُ
وقد طلبتُ حمولَ الحيّ تحملني عنسٌ مواشكةٌ في سيرها قلقُ
بقَّى السِّفارُ وحرُّ القيظِ جبلتها فهيَ رذيٌّ وفي أخفافها رققُ

كأنَّها بعدما خفَّتْ ثميلتها ... من وحشِ جبَّةَ موشيٌّ الشَّوى لهقُ

أحسَّ غُنماً ولا يوري بطلعتهِ ... على مذارعهِ من شملةٍ خرقُ

يقودُ غُضفاً دقاقاً قد أحالَ بها ... أكلُ الفقارِ ومن أقواتها السَّرقُ

مقلَّداتٍ بأوتارٍ ومن قِددٍ ... كأنَّهنَّ على أعناقها ربقُ

فبثَّهنَّ بطاوي الكشحِ منجردٍ ... كأنَّ أظلافهُ يهوي بها زهقُ

على قرا صحصحانٍ يعتلينَ بهِ ... حتَّى تداركنهُ لما استوى الفلقُ

كأنَّهنَّ إذا أُغرينَ عاصيةً ... خضعُ الرِّقابِ وفي أحداقها زرقُ

فكرَّ ثبتاً معيدَ الطَّعنِ ذا نزلٍ ... طعنَ المبيطرِ إذ ناهى به يشقُ

حتَّى تحاجزنَ عنهُ بعدما كثرتْ ... منها الدُّميُّ على آثارهِ دفقُ

فظلَّ غنمٌ كئيباً عندَ أكلبهِ ... ولم يصدْهُ فتيلاً ذلك الطَّلقُ

ثمَّتَ ولَّى على رحٍّ مسلَّمةٍ ... يعلو الأواعسَ كالعيُّوقِ يأتلقُ

أذاكَ أمْ خاضبٌ حصٌّ قوادمهُ ... جادتْ لهُ العينُ حتَّى احْلولكَ البرقُ

تبري لهُ صلعةٌ ربداءُ خاضعةٌ ... خدبَّةُ الجرمِ لا يزري بها السِّوقُ

يقْرو النِّقاعَ وتتلوهُ مواشكةٌ ... كأنَّما زفُّها في دفِّها خرقُ

قد أودعتْ من قُفيٍّ ناعجٍ ثقلاً ... يحبو عليه حصى الأُدحيّ يطَّرقُ

فآنسا همَّةً من فيخٍ نافجةٍ ... كما يحفُّ أباءٌ غالهُ الحرقُ

فاستدبرتهُ وصدرُ الرِّيح يكثحها ... يرقدُّ وهي تواريهِ وتفتلقُ

وقد تألَّقَ في حمَّاءَ راجسةٍ ... برقٌ تطايرَ في أرجائها شققُ

واللَّيلُ قد جلَّلَ الآفاقَ شملتهُ ... وقد تمدَّدَ فوقَ الطَّخيةِ الغسقُ

لولا توقُّدُ ما ينفيهِ خطوهما ... على البسيطةِ لم تدركهما الحدقُ

أبلغْ بني أسدٍ عنِّي مُغلغلةً ... تهوي بها العيسُ لا ودٌّ ولا ملقُ

لكنَّها مثلٌ يبقى لها علبٌ ... على المخاطمِ ما جلَّى الدُّجى الفلقُ

إنّا تركنا لدى الهلْتى أبا جعلٍ ... ينوءُ في الرُّمحِ والأقتابُ تندلقُ

أجرَّهُ خيبريٌّ صدرَ مطَّردٍ فيه سنانٌ كنجمِ الرَّجمِ يأتلقُ
إنَّ الفوارسَ من جرمٍ ومن ثعلٍ آلَوا بآبائهم أن تُمنعَ الطُّرقُ
أضحتْ سميراءُ تردي في جوانبها خيلٌ عليها فتوٌّ في الوغى صدقُ

الأجدع بن مالك

وقال الأجدع بن مالك الهمدانيّ:

أسألتني بركائبٍ ورحالها ونسيتِ قتلَ فوارسِ الأرباعِ
الحارثِ بن يزيدَ ويبكِ أعولي حلواً شمائلهُ رحيبَ الباعِ
فلو أنَّني فوديتهُ لفديتهُ بأناملي وأجنَّهُ أضلاعي
ونفعتُ غيرهُ في اللِّقاءِ وفاتهُ نفعي وكلُّ منيَّةٍ بجماعِ
تلكَ الرَّزيَّةُ لا قلائصَ أُسلمتْ برحالها مشدودةَ الأنساعِ
أبلغْ لديكَ أبا عميرٍ مألكاً فلقدْ أنختَ بمبركٍ جعجاعِ
ولقدْ قتلنا من بنيكَ ثلاثةً فلتنزعنَّ وأنتَ غيرُ مطاعِ
والخيلُ تعلمُ أنَّني جاريتها بأجشَّ لا ثلبٍ ولا مظلاعِ
يصطادكَ الوحدَ المدلَّ بحضرهِ بشريحِ بينَ الشَّدِّ والإيضاعِ
يهدي الجيادَ وقد تزايلَ لحمهُ بيديْ فتًى سمحِ اليدينِ شجاعِ
فرضيتُ آلاءَ الكميتِ فمن يبعْ فرساً فليسَ جوادنا بمباعِ
إنَّ الفوارسَ قد عرفتَ مكانها فانعقْ بشائكَ نحو آلِ رداعِ
خيلانِ من قومي ومن أعدائهمْ خفضوا أسنَّتهمْ وكلٌّ ناعي
خفضوا الأسنَّةِ بينهمْ فتواسقوا يُسقونَ في حللٍ من الأدراعِ
والخيلُ تنزو في الأعنَّةِ بيننا نزوَ الظِّباءِ تحوَّشتْ بالقاعِ
فكأنَّ قتلاها كعابُ مقامرٍ ضربتْ على شزنٍ فهنَّ شواعي
وهلتْ فهنَّ يسرنَ في أرماحنا ورفعنَ وهْوهةً صهيلَ وقاعِ
ولَحقنهُ بالجزعِ جزعِ حَبوْنَنٍ يطلبنَ أذواداً لأهلِ ملاعِ

ففدًى لهمْ أمِّي وأمُّهمُ لهمْ فبمثلهمْ في الوترِ يسعى السَّاعي
ولقد شددتمْ شدَّةً مذكورةً ولقد رفعتمْ ذكركمْ بيفاعِ
فَلتبلغنْ أهلَ العراقِ ومذحجاً وعكاظَ شدَّتنا لدى الإقلاعِ
أبني الحُصينَ ألم يحنكمْ بغيكمْ أهلَ اللِّواءِ وسادةَ المرباعِ
شهدوا المواسمَ فانتزعنا ذكرهمْ منهمْ بأمرِ صريمةٍ وزماعِ
أبلغْ قبائلَ مذحجٍ ولفيفها أنِّي حميتُ محاميَ الأجراعِ
وتركتُ أكتلَ والمخزَّمَ وابنهُ رهناً لوردِ لعاوسٍ وضباعِ
فلكمْ يدايَ بيومِ سوءٍ بعدها متكفِّلٍ بتفرُّقٍ وضياعِ
وتظلُّ جالعةُ القناعِ خريدةٌ لم تبدُ يوماً غيرَ ذاتِ قناعِ
أبَني منسِّفةِ استِها لا تأمنوا حرباً تقضُّ مضاجعَ الهجّاعِ
حتَّى تلفَّ أصارمٌ بأصارمٍ ويلمَّ شتٌّ تفرُّقِ الأوزاعِ
وترى أبا الأبداءِ يسحبُ هدمهُ حيرانَ ملتجئاً إلى الأكماعِ
ولقد بلا جعلُ المخازي بأسنا ومحالنا في كبَّةِ الوعواعِ
فنجا ومقلتهُ يقسِّمُ لحظها فنَّينِ بينَ أخادعٍ ونخاعِ

يزيد بن المخرّم

وقال يزيد بن المخرّم بن حزن بن زياد، أخو بني الحارث بن كعب:

تعجَّبُ جارتي لمّا رأتني كذاتِ النَّوطِ مخدرتي جراحي
كأنَّكِ لم تريْ قبلي أسيراً يقادُ به على جملٍ رداحِ
على آثارِ أحمرةٍ وفرقٍ تقسَّمُ بينَ أغولةٍ شحاحِ
فلمّا أنزلوني كنتُ حرّاً أجالدهمْ لدى كفلِ الجناحِ
تعاورهُ الرِّجالُ فأنزلوني عن الفرسِ المطهَّمةِ الوقاحِ
فلمّا إن كثرتُ وغابَ قومي أسرتُ إسارَ محتبلِ البراحِ
رأوني مفرداً فتناذروني وما صدعتْ كماتهمُ جماحي

وقد روَّعتهمْ قِدماً بخيلٍ جوانفَ في الأعنَّةِ كالسِّراحِ

إذا بلَّتْ أعنَّتها بناني خرجنَ بنا نواشطَ كالقداحِ

ولو أنِّي جمعتُ لهمْ شواري على نهدٍ مراكلهُ شناحِ

لأنكرني الذينَ تبادروني عليَّ مفاضتي ومعي سلاحِ

كأنَّ عديَّهمْ حولي عبابٌ تغطمطَ في قموسِ البحرِ ضاحي

وغابَ حلائبي وبقيتُ فرداً أُماصعهمْ ونهضكَ بالجناحِ

فما أدري وظنِّي كلُّ ظنٍّ أيُسلمني بنو البدءِ اللِّقاحِ

فتقتلني بنو خبرٍ بذهلٍ وكدتُ أكونُ من قتلى الرِّياحِ

وظنِّي أن ستشغلكَ النَّدامى غدوُّهمُ إليكَ معَ الرَّواحِ

تغنِّيكَ الحمامةُ كلَّ فجرٍ على التُّكآتِ في النُّجبِ الصَّباحِ

إذا فارقتَ ندماناً بليلٍ تواعدهُ لقاءكَ ذا صباحِ

وإنَّ أخاكَ إن غُيِّبتَ عنهُ يغصُّ بنغبةِ الماءِ القراحِ

فلوْ كنتَ الأسيرَ ولا تكنهُ لزرتهمُ بمرتجفِ النَّواحِ

فإن لم يطلقوا منكم أسيراً فقودوا الخيلَ أسفلَ من رُباحِ

ولا يردعكمُ شفقٌ علينا فبعضُ القودِ أدنى للنَّجاحِ

وإنَّ القودَ بعد القودِ يشفي ذوي الأضغانِ من لهبِ الأُحاحِ

جبر بن الأسود

وقال جبر بن الأسود المعاويّ، من بني الحارث بن كعب:

أجدَّكَ لم تعرفْ أثافيَّ دمنةٍ مررتَ على أطلالها لا تعرِّجُ

بلى فتداعى الدَّمعُ حتَّى كأنَّما جفونكَ سمطٌ خانهُ السِّلكُ ممرجُ

لياليَ ليلى لا تزالُ كأنَّها هميجٌ بذي الدَّثّينِ غرّاءُ عوهجُ

ربيبةُ خدرٍ لم تكشَّفْ سجوفهُ وفارةُ مسكٍ آخرَ اللَّيلِ تارجُ

كأنَّ ثناياها وبردَ رضابها ... هدوّاً نطافٌ بالمسيلةِ حشرجُ

تشجُّ به رقراقةٌ صرخديَّةٌ ... عقيلةُ محذوفٍ يغصُّ وينشجُ

تذكَّرتها من بعدِ ما حالَ دونها ... من النّأي طلحٌ بالحجازِ وعوسجُ

فإنّي بليلى جيرِ أن تُسعفَ النَّوى ... ومن دونها غولُ البطاحِ فمنعجُ

فدعْ ذا ولكنْ هل ترى رأيَ كاشحٍ ... يخبُّ إلينا بالوعيدِ ويهدجُ

كذبتمْ وبيت الله لا تأخذونها ... بني عانسٍ حتَّى تروحوا وتدلجوا

وحتَّى ترى الحوَّ الطِّوالَ متونها ... على ضوءِ نارٍ أو معَ الصُّبحِ تسرجُ

وحتَّى ترى النَّجدَ البسيلَ كأنَّما ... يضرِّجهُ بالزَّعفرانِ مضرِّجُ

وحتَّى ترى اللّيسَ الكُماةَ كأنَّما ... تصلَّوا ذكاً يلوي القلوبَ فيهرجُ

كبتْ كرَّةُ الأبدانِ فوقَ جلودهمْ ... إذا لبسوا ما كان داوودُ ينسجُ

هنالكَ إنْ تغلبْ تكنْ أنتَ ربَّها ... وإنْ تنهكمْ عنها الحواجزُ تعنجوا

حواجزُ رحمٍ أو قتالُ عشيرةٍ ... وعادةُ بعضِ الظُّلمِ بالظّلمِ تلهجُ

وما خلتُ أنِّي نلتُ مالَ عشيرةٍ ... ولا حيبةً إنَّ الأمورَ تفرَّجُ

فلستُ بمولى باطلٍ إن طلبتهُ ... وما لكَ عندي بالظُّلامةِ مدلجُ

متى تلقني لا تلقَ شكَّةَ واحدٍ ... إذا افترَّ يوماً عن لظًى يتأجَّجُ

معي مشرفيٌّ كالعقيقةِ صارمٌ ... به أثرٌ بالمتنتينِ مدرَّجُ

وأسمرُ خطِّيٌّ كأنَّ اهتزازهُ ... مقاطُ قليبٍ مسَّهُ الماءُ مدمجُ

وأبيضُ فضفاضٌ كنهيٍ تبسَّمتْ ... له تحتَ ذيلِ الصُّبحِ في القاعِ نيرجُ

فيالكَ من بزِّ امرئٍ ذي حفيظةٍ ... يخبُّ به عبلُ المعاقمِ مهرجُ

وقد علمتْ إنِّي وإنَّكَ في الوغى ... إذا اعتكرتْ أصغى إلى السِّلمِ مذحجُ

وقد لفَّ شخصينا سرادقُ هبوةٍ ... فخانكَ صبرٌ يومَ ذلك مخدجُ

فحاذر هديّاها فإنِّي زعيمها ... وأشنعُ ما يُنثى الكلامُ الملجلجُ

الحارث بن جحدر

وقال الحارث بن جحدرٍ الحضرميّ ثمَّ الصدفيّ:

أتهجرُ أمْ لا اليومَ من أنتَ عاشقهْ ... ومن أنتَ مشتاقٌ إليهِ وشائقُهْ
ومن أنتَ طولَ الدَّهرِ ذكرُ فؤادهِ ... ومن أنتَ في صرمِ الخلائقِ وامقهْ
ورئمٍ أحمِّ المقلتينِ موشَّحٍ ... زرابيُّهُ مبثوثةٌ ونمارقهْ
أغنَّ غضيضِ الطَّرفِ عذبٍ رضابهُ ... تُعلَّلُ بالمسكِ الذَّكيِّ مفارقهْ
بذلتُ لشيخيهِ التِّلادَ فنلتهُ ... وما كدتُ حتَّى سافَ مالي أوافقهْ
وغيثٍ من الوسميِّ أسحجَ فارتوى ... من الماءِ حتَّى ضاقَ بالماءِ طالقهْ

أجشَّ دجوجيٍّ إذا جادَ جودةً ... على البيدِ أوفى واتلأبَّتْ دوافقهْ
ملثٍّ فُويقَ الأرضِ دانٍ كأنَّهُ ... دجى اللَّيلِ أرسى يفحصُ الأرضَ وادقهْ
هزيمٍ يسحُّ الماءَ عن كلِّ فيقةٍ ... مرنٍّ كثيرٍ رعدهُ وبوارقهْ
إذا جلَّلتْ أعجازهُ الرِّيحُ جلجلتْ ... تواليهِ رعداً فاستهلَّتْ رواتقهْ
إذا ما بكى شجواً تحيَّرَ مسمحٍ ... على الجوفِ حتَّى تتلئبَّ سوابقهْ
فأقلعَ عن مثلِ الرِّحالِ ترى به ... خناظيلَ أهمالٍ تجولُ حزائقهْ
إذا أنفدتْ بقلَ الرَّبيعِ وماءهُ ... تذكَّر سلسالَ الفراتِ نواهقهْ
وسربِ ظباءٍ ترتعي ظاهرَ الحمى ... إلى الجوِّ فالخَبتينِ بيضٍ عقايقهْ
مجلجلةِ الأصواتِ أُدمٍ كأنَّها ... مكاكيكُ كسرى شوَّفتْ وأبارقهْ
حماشِ الشَّوى نُجلِ العيونِ سوانقٍ ... من البقلِ حورٍ أحسنَ الخلقَ خالقهْ
ذعرتُ بمقوَرٍّ اللِّياطِ مصنَّعٍ ... ممرٍّ كصدرِ الرُّمحِ عادٍ نواهقهْ
أقولُ لفتلاءِ المرافقِ سمحةٍ ... ولِلَّيلِ كسرٌ يضبعُ البيدَ غاسقهْ
تضمَّنتِ همِّي فاستقيمي وشمِّري ... على لاحبٍ تُنضي المطيَّ أسالقهْ
وسيري إلى خيرِ الأنامِ وروِّعي ... بلادكِ أنَّ الدَّهرَ جمٌّ بوائقهْ
إلى الأكرمينَ الأمجدينَ أولي النُّهى ... بني مالكٍ ضخمٍ عظيمٍ سرادقهْ
بني الحارث الخير بن عمرو بن آكل ال ... مُرارِ الذي لا يرهبُ البخلَ طارقهْ

لهمْ جبلٌ يعلو الجبالَ مشيَّدٌ ... أشمٌّ رفيعٌ يحسرُ الطَّرفَ شاهقهْ
وما علمتْ في النَّاسِ طرّاً قبيلةٌ ... لها المجدُ إلاَّ مجدُ كندةَ فائقهْ
وما من حمًى في النّاسِ إلاَّ حمًى لنا ... وإلا لنا غربيُّهُ ومشارقهْ
أتعلمُ أنَّ الصِّدقَ في القولِ واضحٌ ... أما إنَّ خيرَ القولَ في النَّاسِ صادقهْ
وما من فتًى في النّاسِ إلاَّ يسوقهُ ... إلى الموتِ يومٌ لا محالةَ سائقهْ
لهُ أجلٌ ساعٍ لهُ لا مؤخِّراً ... إذا جاءَ محتوماً ولا هو سابقهْ
وكلُّ فتًى يوماً وإن ضنَّ رغبةً ... بصاحبهِ لا بدَّ يوماً مفارقهْ

امرؤ القيس بن جبلة

وقال امرؤ القيس بن جبلة السَّكونيّ:

إنِّي على رغمِ الوشاةِ لقائلٌ ... سقى الجارتينِ العارضُ المتهلِّلُ
من الهيفِ صفراوانِ أنَّى أُتيحتا ... لعينيَّ إنِّي مهتدٍ أو مضلَّلُ
فما زلتُ أدعو اللهَ حتَّى استماهما ... من العينِ جونٌ ذو عثانينَ مسبلُ
به بردٌ صافي الجنوبِ تمدُّهُ ... بناتُ مخاضِ المزنِ أبيضُ مُنزلُ
ودونهما من تلعِ بسيانَ فاللِّوى ... أخاقيقُ فيها صلِّيانٌ وحنظلُ
نباتانِ أمّا الصِّلِّيانُ فظاهرٌ ... وحنظلهُ في باطنِ التَّلعِ مسهلُ
وقد أذعرُ الوحشَ الرُّبوضَ بعرمسٍ ... مضبَّرةٍ حرفٍ تخبُّ وترقلُ
كأني على حقباءَ خدَّدَ لحمها ... إرانٌ وشحّاجٌ من الجونِ معجلُ
صهابيَّةُ العُثنونِ مخطوفةُ الحشا ... تخيَّلُ للأشباحِ غرباً فتجفلُ
تضمَّنها حتَّى تكاملَ نسئُها ... إرانٌ فمرفضٌّ الرِّداهِ فأيَّلُ
يجدُّ بها في خفضهِ وهبابه ... أحذُّ جماديٌّ من الحقبِ صلصلُ
يصرِّفها طوعاً وكرهاً إذ أبتْ ... مصكٌّ جلتْ عنهُ العقايقُ صندلُ
ألدُّ شديدُ الأخدعينِ بليتهِ ... من الزَّرِّ أبلادٌ جليبٌ ومُخضلُ
يعارضُ تسعاً قد نحاها لموردٍ ... يجورُ بذاتِ الضِّغْنِ منها ويعدلُ

فلاقى أبا بشرٍ على الماءِ راصداً ... به من زماعِ الصَّيدِ وردٌ وأفكلُ
يقلِّبُ أشباهاً كأنَّ نصالها ... بعيجةُ جمرٍ أو ذبالٌ مفتَّلُ
فلمّا رضى إعراضها واغترارها ... وواجههُ من منبضِ القلبِ مقتلُ
رماها بمذروبِ المكفِّ كأنَّهُ ... سوى عودهِ المخشوشِ في الرأسِ مغولُ
فأنفذَ حضنيها وطرَّ وراءها ... بمعتقبِ الوادي نضيٌّ مرمَّلُ
وغادرها تكبو لحرِّ جبينها ... يناطحُ منها الأرضَ خدٌّ وكلكلُ
ومارَ عبيطٌ من نجيعٍ كأنَّهُ ... على مستوى الإطلينِ نيرٌ مرحَّلُ

وأجفلنَ من غيرِ ائتمارٍ وكلُّها ... له من عبابِ الشَّدِّ حرزٌ ومعقلُ
يؤمِّلُ شرباً من ثميلٍ وماسلٍ ... وما الموتُ إلاَّ حيثُ أرَّكَ ماسلُ
عليهِ أُبيرٌ راصداً ما يروقهُ ... من الرَّميِ إلاَّ الجيِّدُ المتنخَّلُ
ولاقينَ جبّارَ بن حمزةَ بعدما ... أطابَ بشكٍّ أيَّ أمريهِ أفعلُ
يقلِّبُ أشباهاً كأنَّ نصالها ... خوافي حمامٍ ضمَّها الصَّيفَ منزلُ
وصفراءَ من نبعٍ رنينٌ خُواتها ... تجودُ بأيدي النّازعينَ وتبخلُ
وباتَ يرى الأرضَ الفضاءَ كأنَّها ... مراقبُ يخشى هولها المتنزِّلُ
يؤامرُ نفسيهِ أعين غُمازةٍ ... يغلِّسُ أم حيثُ النِّباجُ وثيتلُ
فلمّا ارجحنَّ اللَّيلُ عنهُ رمى بها ... نجادَ الفلا يعلو مراراً ويسفلُ
فغامرَ طحلاءَ الشَّرائعِ حولهُ ... بأرجائها غابٌ ألفٌّ وثيِّلُ
فغمَّرها مستوفزاً ثمَّ حاذها ... يشجُّ الصُّوى من قربها الشَّدُّ من علُ
وأضحتْ بأجوازِ الفلاةِ كأنَّها ... وقد راخت الشَّدَّ الحنيُّ المعطَّلُ
ألا هذه أمُّ الصَّبيَّينِ إذ رأتْ ... شحوباً بضاحي الجسمِ منِّي تهزَّلُ
تقولُ بما قد كانَ أفرعَ ناعماً ... تغيَّرَ واستولى عليهِ التَّبدُّلُ
فإنْ تسألي عنِّي صحابي تُنبَّئي ... إذا ما انفرى سرباليَ المترعبلُ
تنبَّيْ بأنّي ماجدٌ ذو حفيظةٍ ... أخو القومِ جوّابُ الفلاةِ شمردلُ

تريني غداةَ البذلِ أهتزُّ للنَّدى ... كما جرَّدَ السَّيفَ اليمانيَّ صيقلُ

فلا يهنئنَّ الشّامتينَ اغتباطهمْ ... إذا غالَ أجلادي ترابٌ وجندلُ

وإضتُ هميداً تحتَ رمسٍ بربوةٍ ... تعاورني ريحٌ جنوبٌ وشمألُ

تمنَّى ليَ الموتَ الذي لستُ سابقاً ... معاشرُ من ريبِ الحوادثِ جهَّلُ

معاشرُ أضحى ودُّهمْ متبايناً ... وشرُّهمُ بادٍ يدَ الدَّهرِ مقبلُ

أقرَّ وقاعي أنفساً ليسَ بينها ... وبينَ حياضِ الموتِ للشّربِ منهلُ

كما راعَ ممسى اللَّيلِ أو مستوى الضُّحى ... عصافيرُ حجرانِ الجُنينةِ أجدلُ

خداشُ بن زهير

وقال خداشُ بن زهير بن ربيعة بن عامر فارس الضّحياء بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وخداش هو ذو الشّامة:

عفا واسطٌ أكلاؤهُ فمحاضرهُ ... إلى جنبِ نهيَ سيلهُ فصدائرهْ

فشركٌ فأمواهُ اللَّديدِ فمنعجٌ ... فوادي البديِّ غمرهُ فظواهرهْ

منازلُ من هندٍ وكان أميرها ... إذا ما أحسَّ القيظَ تلكَ مصايرهْ

صلي مثلَ وصلي أمَّ عمروٍ فإنَّني ... إذا خفتُ أخلاقَ النَّزيعِ أُدابرهْ

وأبيضَ خيرٍ منكِ وصلاً كسوتهُ ... ردائي فيما نلتقي وأسايرهْ

وإنّي لتغشى حجرةَ الدّارِ ذمَّتي ... ويدركُ نصري المرءَ أبطأَ ناصرهْ

وإنّي إذا ابنُ العمِّ أصبحَ غارماً ... ولو نالَ منِّي ظنَّةً لا أهاجرهْ

يكونُ مكانَ البرِّ منِّي ودونه ... وأجعلُ مالي ماله وأُؤامرهْ

فإنَّ ألوكَ اللَّيلِ معطًى نصيبهُ ... لديَّ إذا لاقى البخيلَ معاذرهْ

وإنِّي لينهاني الأميرُ عن الهوى ... وأصرمُ أمري واحداً فأهاجرهْ

بأدماءَ من سرِّ المهارى كأنَّها ... أقبُّ شنونٌ لم تخنهُ دوابرهْ

تصيَّفَ أطرافَ الصُّوى كلَّ صيفةٍ ... ووارِدَ حتَّى ما يلثِّمُ حافرهْ

ولاحتهُ هيفُ الصَّيفِ حتَّى كأنهُ ... صليفُ غبيطٍ لاءمتهُ أواسرهْ

تلا سقبةً قوداءَ أفردَ جحشها ... فقد جعلتْ تاذي به وتناكرُهْ

رباعيَّةً أو قارحَ العامِ ضامراً ... يمائرها في جريهِ وتُمائرُهْ
إذا هبطا أرضاً حزوناً رأيتها ... بجانبهِ إلاَّ قليلاً تواترهْ
فحلأها حتَّى إذا ما توقَّدتْ ... عليهِ من الصَّمّانتينِ ظواهرهْ
وخالطَ بالأرساغِ من ناصلِ السَّفى ... أنابيشَ مرمياً بهنَّ أشاعره
أرنَّ عليها قارباً وانتحتْ لهُ ... خنوفٌ إذا تلقى مصيفاً تبادرُهْ
فأوردها والنَّجمُ قد شالَ طالعاً ... رجا منهلٍ لا يخلفُ الماءَ حائرهْ

فجاءتْ ولم تملكْ من الماءِ نفسها ... وسافَ الشَّريعَ أنفهُ ومشافرهْ
فرادَ قليلاً ثمَّ خفَّضَ جأشهُ ... على وجلٍ من جانبٍ وهو حاذرهْ
فدلَّى يديهِ بينَ ضحلٍ وغمرةٍ ... تخالجُ من هولِ الجنانِ بوادرهْ
وأوسٌ لدى ركنِ الشَّمالِ بأسهمٍ ... خفافٍ وناموسٍ شديدٍ حمائرهْ
إذا رابهُ من سهمهِ زيغُ قذَّةٍ ... يعوذُ بمبراةٍ له فهو حاشرهْ
فأوردهُ حتَّى إذا مدَّ صلبهُ ... وباشرَ بردَ الماءِ منه مناخرهْ
تنحَّى بمذروبٍ فأخلفَ ظنَّهُ ... وويَّلَ ملهوفاً وخيِّبَ طائرهْ
فأصدرها تعلو النِّجادَ وينتحي ... بها كلَّ ريعٍ متلئبٍّ مصادرهْ
يجنِّبُ رجليها يديهِ ورأسهُ ... شديدٌ عليها وقعهُ وغشامرُهْ
فأصبحَ ذو حسمٍ ودورانُ دونهُ ... وحسيُ القرانِ دونهُ وحزاورهْ
بعيدُ مدى صوتِ النُّهاقِ يردُّهُ ... إلى جوفهِ منهُ صحيحاً نواظرهْ
أقبُّ قليلُ العتبِ توبعَ خلقهُ ... فأُفرغَ هاديهِ وأُرمحَ سائرهْ
كأنَّ ضئيَّيْ رأسهِ شجرُ واسطٍ ... تفاقمَ حتَّى لا حكتهُ مسامرهْ
فتلكَ بها أقضي همومي وحاجتي ... إذا ما التوتْ والهمُّ جمٌّ خواطرهْ

وقال خداشٌ أيضاً:

صبا قلبي وكلَّفني كنودا ... وعاودَ داءهُ منها التَّليدا
ولم يكُ حبُّها عرضاً ولكنْ ... تعلَّقَ داءهُ منها وليدا

ليالي إذ تربَّعُ بطنَ ضيم فأكنافَ الوضيحةِ فالبرودا
وإذ هيَ عذبةُ الأنيابِ خودٌ تُعيشُ بريقها العطشَ المجودا
ذريني أصطبحْ كأساً وأودي مع الفتيانِ إذ صحبوا ثمودا
فإنِّي قد بقيتُ بقاءَ حيٍّ ولكن لا بقاءَ ولا خلودا
وإنَّ المرءَ لم يخلقْ سلاماً ولا حجراً ولم يخلقْ حديدا
ولكن عائشٌ ما عاشَ حتَّى إذا ما كادهُ الأيّامُ كيدا
لحتْ عذَّالتايَ فقلتُ مهلاً ألمّا تبصرا الرّأيَ الرَّشيدا
فما إن أمرتما إلاَّ بنحلٍ فهلاَّ أن أُثمِّرَ أو أفيدا
سأحضرها التِّجارَ إذا أتوني بخمرهمِ وأمنحها المُريدا
وأروي الفتيةَ النُّدماءَ منها ذوي شركٍ يعدُّونَ الفقودا
رأيتُ الله أكثر كلِّ شيءٍ محاولةً وأكثرهُ جنودا
تقوهُ أيُّها الفتيانُ إنِّي رأيتُ اللهَ قد غلبَ الجدودا
رأيتُ الخادرَ المحجوبَ منّا يلقَّى حتفهُ والمستريدا
ولمّا يُبقِ من سرواتِ فهرٍ وخندفِ هذه إلاَّ شريدا
تولَّوا نضربُ الأقفاءَ منهمْ بما انتهكوا المحارمَ والحدودا
وأبرحُ ما أدامَ اللهُ رهطي رخيَّ البالِ منتطقاً مجيدا
بساهمةٍ أهنتُ لها عيالي وأمنحها الخليَّةَ والصَّعودا
وأُلحفها إذا ما الكلبُ ولَّى براثنهُ وجبهتهُ الجليدا
ردائيَ فهيَ صافنةٌ إلينا تشيمُ بطرفها البلد البعيدا
منَ المتلفِّتاتِ لجانبيها إذا أخضلنَ بالعرقِ اللَّبُودا
أقدتُ بثابتٍ وإلى زيادٍ رضختُ بنعمةٍ وإلى يزيدا
وفي النَّجارِ قد أسديتُ نعمى وأجدرْ في النَّوائبِ أن أعودا
إذِ الأشهادُ من عمرو بن عوفٍ قعودٌ في الرِّفاقِ وفي يهودا
أثيبوني القيانَ إذا انتديتمْ وبزلَ الشَّولِ تحدى والبرودا

وجرداً في الأعنَّةِ مصغياتٍ ... حدادَ الطَّرفِ يعلكنَ الحديدا
فأبلغْ إن عرضتَ بنا هشاماً ... وعبد الله أبلغْ والوليدا
أولئكَ إن يكنْ في القومِ خيرٌ ... فإنَّ لديهمِ حسباً وجودا
همُ خيرُ المعاشرِ من قريشٍ ... وأوراها إذا قدحتْ زنودا
بأنّا يومَ شمظةَ قد أقمنا ... عمودَ المجدِ إنَّ له عمودا
جلبنا الخيلَ ساهمةً إليهمْ ... عوابسَ يدَّرعنَ النَّقعَ قودا
وبتنا نعقدُ السِّيما وباتوا ... وقالوا صبِّحوا الأنسَ الحريدا
وقد حتموا القضاءَ ليجعلنّا ... مع الإصباحِ جاريةً وئيدا
فجاؤوا عارضاً برداً وجئنا ... كما أضرمتَ في الغابِ الوقودا

فقالوا يالَ عمرٍو لا تفرُّوا ... فقلنا لا فرارَ ولا صدودا
فعاركنا الكماةَ وعاركونا ... عراكَ النُّمرِ واجهتِ الأسودا
علوناهمْ بكلِّ أفلَّ عضبٍ ... تخالُ جماءَ وقعتهِ خدودا
فلمْ أرَ مثلهمْ هزموا وفلُّوا ... ولا كذيادنا غبقاً مذودا
عددتمْ عطفتينِ ولم تعدُّوا ... وقائعَ قد تركنكمُ حصيدا
تركنا البيدَ والمعزاءَ منهمْ ... تخالُ خلالها معزًى صريدا
تركنا عامريهمْ مثلَ عادٍ ... ومرَّةَ أُهلكوا إلاَّ الشَّريدا
وعبدَ الله قد قتلوا فصاروا ... همُ الأنكاسَ يرعونَ النَّقيدا
أنا الحامي الذِّمارَ وليثُ غابٍ ... أشبُّ الحربَ أشعلها وقودا
أهمُّ فلا أقصِّرُ دونَ همِّي ... أنالُ الغنمَ والبلد البعيدا
بتجهيزي المقانبَ كلَّ عامٍ ... وغاراتي على جبليْ زرودا
على الأحلافِ من أسدٍ وطيْئٍ ... وفي غطفانَ أجدرُ أن أعودا

وقال خداشٌ أيضاً:

إذا ما الثُّريا أشرفتْ في قتامها ... فُويقَ رؤوسِ النّاسِ كالرُّفقةِ السَّفْرِ

وأردفتِ الجوزاءُ يبرقُ نظمها كلونِ الصِّوارِ في مراتعهِ الزُّهرِ
إذا أمستِ الشِّعرى استقلَّ شعاعها على طلسةٍ من قرٍّ أيّامها الغُبْرِ
وبادرتِ الشَّولُ الكنيفَ وفحلها قليلُ الضِّرابِ حينَ يرسلُ والهدرِ
ألم تعلمي والعلمُ ينفعُ أهلهُ وليسَ الذي يدري كآخرَ لا يدري
بأنّا على سرّائنا غيرُ جهَّلٍ وأنّا على ضرّائنا من ذوي الصَّبرِ
وأنَّ سراةَ الحيِّ عمرو بن عامرٍ مقارٍ مطاعيمٌ إذا ضنَّ بالقطرِ
وكم فيهمِ من سيِّدٍ ذي مهابةٍ وحمّالِ أثقالٍ وذي نائلٍ غمرِ
ومن قائلٍ لا يفضلُ النّاسُ حلمهُ إذا اجتمعَ الأقوامُ كالقمرِ البدرِ
ونلبسُ يومَ الرَّوعِ زغفاً مُفاضةً مضاعفةً بيضاً لها حببٌ يجري
ونفري سرابيلَ الكُماةِ عليهمِ إذا ما التقينا بالمهنَّدةِ البترِ
ونصبرُ للمكروهِ عندَ لقائنا ونرجعُ منهُ بالغنيمةِ والذِّكرِ
وقد علمتْ قيسُ بن عيلانَ أنَّنا نحلُّ إذا خافَ القبائلُ بالثَّغرِ
بحيٍّ يراهُ النّاسُ غير أُشابةٍ لهمْ عرضُ ما بينَ اليمامةِ والقهرِ
ترى حينَ تأتيهمْ قباباً وميسراً وأخبيةً من مستجيرٍ ومن تجرِ
ولا يمنعُ الحانوتَ منّا زعانفٌ من النَّاسِ حتَّى نستفيقَ من الخمرِ
أنا ابن الذي لاقى الهمامَ فردَّهُ على رغمهِ بينَ المثامنِ والصَّخرِ
أقمنا بقاعِ النَّخلِ حينَ تجمَّعتْ حلائبُ جعفيٍّ على محبسِ النَّفرِ
ضربناهمُ حتَّى شفينا نفوسنا من السَّيِّدِ العاتي الرَّئيسِ ومن دهرِ
وفي شعبى يومٌ لنا غيرُ وابطٍ ويومُ بني وهيٍ ويومُ بني زحرِ
نعاورهمْ ضرباً بكل مهنَّدٍ ونجزيهمِ بالوترِ وتراً على وترِ
دروعٌ وغابٌ لا يرى من ورائهِ سنا أفقٍ بادٍ ولا جبلٍ وعرِ

امرؤ القيس بن عمرو السَّكونيّ

وقال امرؤ القيس بن عمرو بن الحارث السَّكونيّ:

طربتَ وعنّاك الهوى والتَّطرُّبُ وعادتكُ أحزانٌ تشوقُ وتنصبُ
وأصبحتَ من ليلى هلوعاً كأنَّما أصابكَ مومٌ من تهامةَ موربُ
ألا لا بلِ الأشواقُ هاجتْ همومهُ وأشجانهُ فالدَّمعُ للوجدِ يسكبُ
وليلى أناةٌ كالمهاةِ غريرةٌ منعَّمةٌ تصبي الحليمَ وتخلبُ
كأنَّ ثناياها تعلَّلنَ موهناً غبيقاً من الصَّهباءِ بل هيَ أعذبُ
وما أمُّ خشفٍ شادنٍ بخميلةٍ من الدَّهسِ منهُ هائلٌ ومكبَّبُ
يعنُّ لها طوراً وطوراً يروقها على الأنسِ منهُ جرأةٌ وتوثُّبُ
بأحسنَ منها مقلةً ومقلَّداً وإن هيَ لم تسعفْ وطالَ التَّجنُّبُ
وما روضةٌ وسْميَّةٌ حمويَّةٌ بها مونقاتٌ من خزامى وحلَّبُ
تعاورها ودقُ السَّماءِ وديمةٌ يظلُّ عليها وبلها يتحلَّبُ
بأطيبَ منها نكهةً بعدَ هجعةٍ إذا ما تدلَّى الكوكبُ المتصوِّبُ

فدعْ ذكرَ ليلى إذ نأتكَ بودِّها وإذ هيَ لا تدنو إليكَ فتسقبُ
أتتنا تميمٌ قضُّها بقضيضها ومن سارَ من ألفافهمْ وتأشَّبوا
برجراجةٍ لا ينفذُ الطَّرفُ عرضها لها زجلٌ قدِ احزألَّ وملجبُ
فلمّا رأيناهم كأنَّ زهاءهمْ على الأرضِ إصباحاً سوادٌ وغرَّبُ
سمونا لهمْ بالخيلِ تردي كأنَّها سعالٍ وعقبانُ اللِّوى حينَ تركبُ
ضوامرُ أمثالُ القداحِ يكرُّها على الموتِ أبناءُ الحروبِ فتحربُ
فقالوا الصَّبوحَ عندَ أوَّلِ وهلةٍ فقلنا لهمْ أهلٌ تميمٌ ومرحبُ
ألم تعلموا أنَّا نفلُّ عدوَّنا إذا احْشوشدوا في جمعهمْ وتألَّبوا
بضربٍ يفضُّ الهامَ شدَّةُ وقعهِ ووخزٍ ترى منهُ التَّرائبَ تشخبُ
فلاقَوا مصاعاً منْ أُناسٍ كأنَّهمْ أُسودُ العرينِ صادقاً لا يكذِّبُ
فلمْ ترَ منهمْ غيرَ كابٍ لوجههِ وآخرَ مفلولٍ وآخرَ يهربُ
ولمْ يبقَ إلاَّ خيفقٌ أعوجيَّةٌ وإلاّ طمرٌّ كالهراوةِ منهبُ

وفاءَ لنا منهمْ نساءٌ كأنَّها بوجرةَ والسُّلاَّنِ عينٌ وربربُ
ونحنُ قتلْنا عامراً وابنَ أُمِّه ووافاهُما يومٌ شتيمٌ عصبصبُ
وغودرَ فيها ابْنا رياحٍ وحبترٌ تنوشهمُ طيرٌ عتاقٌ وأذؤبُ
ويعدو ببزِّي هيكلُ الخلقِ سابحٌ ممرٌّ أسيلُ الخدِّ أجردُ شرجبُ
كأنِّي غداةَ الرَّوعِ منْ أسدِ زارةٍ أبو أشبُلٍ عبلُ الذِّراعِ محرَّبُ
ولمَّا رأيتُ الخيلَ تدمَى نحورُها كررتُ فلمْ أنكلْ إذا القومُ هيَّبوا
حبوتُ أبا الرَّحَّالِ منِّي بطعنةٍ يمدُّ بها آتٍ منَ الجوفِ يزعبُ
فلمْ أرقِه إنْ ينجُ منها وإنْ يمتْ فجيَّاشةٌ فيها عواندُ تنعبُ
وقدْ علمتْ أولَى المغيرةِ أنَّني كررتُ وقدْ شلَّ السَّوامُ المعزِّبُ
ونهنهتُ ريعانَ العديِّ كأنَّهُ غواربُ تيَّارٍ منَ اليمِّ يُجنبُ
فسائلْ بني الجعراءِ كيفَ مِصاعنا إذا كرَّرَ الدَّعوى المُشيحُ المثوِّبُ

عبد الله بن ثور

وقال عبد الله بن ثور، أحد بني البكّاء من بني عامر بن صعصعة:

أرسمَ ديارٍ لابنةِ القينِ تعرفُ عفا شدخُ اللَّعباءِ منها فأسقفُ
وقدْ حضرتْ عاماً بوادرَ كلّها فذروةُ منها فالمراضانِ مألفُ
وقدْ أنبأتني الطَّيرُ لوْ كنتُ عائفاً ولكنَّني بالطَّيرِ لا أتعيَّفُ
برمَّانَ والعرجينِ إنَّ لقاءها بعيدٌ وإنَّ الوعدَ منها سيخلفُ
نهيمُ بهندٍ منْ وراءِ تهامةٍ ووادي القُرى بيني وبينكَ منصفُ
ولا هندَ إلاَّ أنْ تذكَّرَ ما مضى تقادمَ عهدٍ والتَّذكُّرُ يشعفُ
كنانيَّةٌ ترعى الرَّبيعَ بعالجٍ فخيبرَ فالوادي لها متصيَّفُ
تحلُّ معَ ابنِ الجونِ حرَّ بلاده فأنتَ الهوى لو أنَّ وليْكَ يسعفُ
فحادثُ ديارَ المُدلجيَّةِ إذْ نأتْ بوجناءَ فيها للرَّادفِ تعجرفُ
منفَّجةِ الدّأيَّاتِ ذاتِ مخيلةٍ لها قردٌ تحتَ الوليَّةِ مشرِّفُ

كحقباءَ منْ عونِ السَّراةِ رجيلةٍ مراتعُها جنبا قنانٍ فمنكفُ
تخافُ عُبيداً لا يزالُ ملبَّداً رصيداً بذاتِ الحرفِ والعين تطرفُ
وجاءتْ لخمسٍ بعدَما تمَّ ظمؤُها وجانبُها ممَّا يلي الماءَ أجنفُ
فمدَّ يديهِ منْ قريبٍ وصدرهُ بمعبلةٍ ممَّا يريشُ ويرصفُ
فأعجلهُ رجعُ اليمينِ انصرافها وأخطأها حتفٌ هنالكَ مزعفُ
فباتتْ بملتدٍّ تعشَّى خليسةً وباتَ قليلاً نومهُ يتلهَّفُ
على مثلهِ أقضي الهمومَ إذا اعترتْ وأُعقبُ إخوانَ الصَّفاءِ وأُردفُ
وندمانِ صدقٍ قدْ رفعتُ برأسهِ إليَّ وأوتارُ الوليدةِ تعزفُ
وذي إبلٍ لا يقربُ الحقُّ رفدَها تركتُ قليلاً مالهُ يتنصَّفُ
وأحسبُ أنِّي بعدَ ذلكَ أقتدي بأخلاقِ منِ يقري ومنْ يتعفَّفُ
ألا تلكمُ ليثٌ وعمرو بنُ عامرٍ حليفانِ راضُوا أمرهمْ فتحلَّفوا

فما كانَ منَّا منْ يحالفُ دونكمْ ولو أصفقتْ قيسٌ علينا وخندفُ
ولمَّا رأينا الحيَّ عمرَو بنَ عامرٍ عيونهمُ يابْنَيْ أُمامةَ تذرفُ
وقفْنا فأصلحْنا علينا أداتَنا وقُلنا ألا اجْزُوا مُدلجاً ما تسلَّفوا
فظلْنا نهزُّ السَّمهريّ عليهمِ وبئسَ الصَّبوحُ السَّمهريُّ المثقَّفُ
فكنَّا كمنْ آسَى أخاهُ بنفسهِ نعيشُ معاً أو يتلَفونَ ونتلفُ
وجئْنا بقومٍ لا يُمنُّ عليهمِ وجمعٍ إذا لاقى الأعاديَّ يزحفُ
وقومٍ إذا شلُّوا كأنَّ سوامَهمْ على ربعٍ وسطَ الدِّيارِ تعطَّفُ
وقالتْ ربايانا ألا يالَ عامرٍ على الماءِ راسٌ منْ عليٍّ ملفَّفُ
نُطاعنُ أحياءَ الدُّرَيْدينِ بالضُّحى أُسودُ فروعُ الغيلِ عنها تكشَّفُ
علَوْنا قنوْنَى بالخميسِ كأنَّنا أتيٌّ سرَى منْ آخرِ اللَّيلِ يقصفُ
فلمْ تتهيَّبْنا تهامةُ إذْ بدا لنا دوْمُها والظَّنُّ بالقومِ يخلفُ
ظللنا نفرِّي بالسُّيوفِ رؤوسهمْ جهاراً وأطرافُ الأسنَّةِ ترعفُ

أبو داود الرّؤاسيّ

وقال أبو داود الرّؤاسيّ، أحد بني كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، واسمه يزيد بن عمرو:

يا دارَ عبلةَ بالعلياءِ منْ ظلمِ ما إنْ تَبينُ مغانيها منَ القِدمِ
هاجتْ عليكَ شؤوناً غيرَ واحدةٍ وذكَّرتكَ بذحلٍ غيرِ منتقمِ
أمستْ رهينةَ دهرٍ لا فكاكَ لها بينَ الرِّياحِ وبينَ الوبلِ والدِّيَمِ
نحنُ الذينَ تحمَّلنا على ملأٍ سيرَ المخبَّبِ منْ إيرٍ إلى الرَّقمِ
لا غروَ إلاَّ لواءٌ تحتهُ ظعُنٌ ولا مسارحُ إلاَّ عازبَ النَّعمِ
إذا مياهٌ جهرْناها وأجدَبَنا رعيٌ سقيْنَا بأُخرى غيرَها سدمِ
إذا اتَّقتْنا معمَّاةٌ بمهلكةٍ نبزُّها بجميعِ الأمرِ مظّلمِ
وكانَ مفزَعُنا جرداً مسوَّمةً كأنَّهنَّ عجيمٌ بزَّ عنْ جرمِ
يخرجنَ منْ كلِّ أوبٍ تحتَ ألويةٍ يُكبحنَ منْ حذرِ الأضغانِ باللُّجمِ
يحملنَ فتيانَ صدقٍ كانَ عادتهمْ ضربَ الحبيكِ وإقداماً على البهمِ
يطرِّفونَ بضربٍ لا كفاءَ لهُ يومَ الصَّباحِ وطعنٍ صائبٍ خذمِ
ونحنُ أهلُ بُضيعٍ يومَ طالَعنا جيشُ الحُصينِ طِلاعُ الخائفِ الكزمِ
ساقُوا شعوباً وعنزاً منْ ديارهمِ ورَجلَ خثعمَ من سهلٍ ومنْ علمِ
منَّاهمُ منيةً كانتْ لهمْ كذباً إنَّ المُنى إنَّما يوجَدنَ كالحلمِ
ولَّتْ رجالُ بني شهرانَ تتبعُها خضراءُ يرمُونَها بالنَّبلِ عنْ شممِ
والزَّاعبيَّةُ تُحفيهمْ وقدْ جعلتْ فيهمْ نوافذَ لا يُرقعنَ بالرُّسُمِ
ظلَّتْ يَحابرُ تُدعى وسطَ أرحُلِنا والمستَميتُونَ منْ حاءٍ ومن حكمِ
حتَّى تولَّوا وقدْ كانتْ غنيمتهمْ طعناً وضرباً غيرَ مقتسمِ
إذا نجاوزُ ضرباً عن محجَّمةٍ تُذري سنابكُها الدَّقعاءَ في اللِّممِ
ونحنُ إذا سارَ وثَّابٌ بأُسرتهِ للحيِّ حيِّ بني البكَّاءِ ذي الصَّممِ
كنَّا لططْنا ملطَّ السِّترِ فانحدرتْ أهلُ الحجازينِ منْ نصرٍ ومنْ جشمِ
حتَّى تداركنَ بالفقعاءِ شأوهمُ عندَ البنيَّةِ من زيٍّ ومنْ زرمِ

واسألْ سلولاً بنا إذْ ضاقَ مبركُها　　　إذْ لا تفيءُ إلى حلٍّ ولا حرمِ

سهم بن حنظلة الغنويّ

وقال سهم بن حنظلة الغنويّ، أحد بني جابر بن ضبيبة:

هاجَ لكَ الشَّوقُ من ريحانَة الطَّربا　　　إذْ فارقتكَ وأمستْ دارُها غربَا

ما زلتُ أحبسُ يومَ البينِ راحلَتي　　　حتَّى استمرُّوا وأذرتْ دمعَها سربَا

حتَّى ترفَّعَ بالحزَّانِ يركضُها　　　مثلُ النَّهاءِ مرتْهُ الرِّيحُ فاضطربَا

والغانياتُ يقتِّلنَ الرِّجالَ إذا　　　ضرَّجنَ بالزَّعفرانِ الرَّيطَ والنُّقبَا

منْ كلِّ آنسةٍ لمْ يغذُها عدمٌ　　　ولا تشدُّ لشيءٍ صوتَها صخَبا

إنَّ العواذلَ قدْ أهلكْنني نصباً　　　وخلتُهنَّ ضعيفاتِ القُوى كذبا

معاوداتٍ على لومِ الفتى سفهاً　　　فيما استفادَ ولا يرجعنَ ما ذهَبا

إنَّ احتضاركَ مولى السَّوءِ تسألهُ　　　مثلَ القعودِ ولمَّا تتَّخذْ نشبَا

إذا افتقرتَ نأى واشتدَّ جانبهُ　　　وإنْ رآكَ غنيّاً لانَ واقتربَا

وإنْ أتاكَ لمالٍ أو لتنصرهُ　　　أثنى عليكَ الذي تهوى وإنْ كذَبا

نائي القرابةِ عندَ النَّيلِ تطلبهُ　　　وهوَ البعيدُ إذا نالَ الذي طلَبا

وماكثٌ عقبَ الأيَّامِ يرقبُها　　　وما تردُّ لهُ الأيَّامُ والعُقَبا

حلوُ اللِّسانِ ممرُّ القلبِ مشتملٌ　　　على العداوةِ لابنِ العمِّ ما اصطحَبا

لا تكُ ضبّاً إذا استغنى أضرَّ فلمْ　　　يحفلْ قرابةَ ذي قُربى ولا نسَبا

اللهُ يخلفُ ما أنفقتَ محتسباً　　　إذا شكرتَ ويُؤتيكَ الذي كتَبا

لا بلْ سلِ اللهَ ما ضنُّوا عليكَ بهِ　　　ولا يمنُّ عليكَ المرءُ ما وهَبا

لا يحملنَّكَ أقتارٌ على زهدٍ　　　ولا تزلْ في عطاءِ اللهِ مرتغبا

بينا الفتى في نعيمٍ يطمئنُّ بهِ　　　أخنى ببؤسٍ عليهِ الدَّهرُ فانقلَبا

أو في ابتئاسٍ يُقاسيهِ وفي نصبٍ　　　أمسى وقدْ زايلَ التَّبئاسَ والنَّصَبا

فاعصِ العواذلَ وارمِ اللَّيلَ معترضاً بساهمِ الخدِّ يغتالُ الفلا خبَبا

في بُدنه خَظَوانٌ لحمهُ زيمٌ وذي بقيَّةِ ألواحٍ إذا شسَبا

شهمُ الفؤادِ قبيض الشَّدِّ منجردٍ فوتَ النَّواظرِ مطلوباً وإنْ طلَبا

يكادُ يخلجُ طرفُ العينِ حاجبهُ عن الحجاجِ إذا ما انتصَّ واقترَبا

كالسَّمعِ لمْ ينقبِ البيطارُ سرَّتهُ ولمْ يدجهُ ولم يغمزْ لهُ عصَبا

عاري النَّواهقِ لا ينفكُّ مقتعداً في المُسنفاتِ كأسرابِ القطا عُصبَا

إذا ألحَّ حسبتَ الفاسَ شاجيةً فاهُ وشجرَ صبيَّيْ لحيهِ قتَبا

ترى العناجيجَ تُمرى كلَّما لغبتْ بالقدِّ في باطلٍ منهُ وما لغِبا

يُدني الفتى للغِنى في الرَّاغبينَ إذا ليلُ التَّمامِ أفزَّ المقترَ العزَبا

حتَّى تصادفَ مالاً أوْ يقالُ فتًى لاقَى التي يشعبُ الفتيانَ فانشعَبا

يا للرِّجالِ لأقوامٍ أُجاورهمْ مُستقبسينَ ولمَّا يُقبسوا لهَبا

يصلَونَ ناري وأحْميها لغيرهمِ ولو أشاءُ لقدْ كانُوا لها حطَبا

إنْ لا يفيقُوا وليسَّوا فاعلينَ أُذقْ منهمْ سِناني بما لمْ يُحرِموا رجَبا

عرضَ ابنِ عمِّهمِ الأدنى وجارهمُ إذْ همْ شهودٌ وأمسى رهطهُ غيَبا

منَ الرِّجالِ رجالٌ لا أُعاتبهمْ وما تفزَّعُ منهمْ هامَتي رعُبا

من لا يزلْ غرضاً أرمي مَقاتلهُ لا يتَّقي وهوَ منِّي واقفٌ كثَبا

تُبدي المحارفُ منهُ عظمَ موضحةٍ إذا أساها طبيبٌ زادها ذرَبا

ويحتلبْ بيديهِ ما يسلِّفُنا منَ النَّدامةِ أو ينهشْهُما كلَبا

إنِّي امرؤٌ مَن يكلَّفْ أو يجاريني منَ المئينَ يجشِّمْ نفسهُ تعَبا

نُبِّئتُ أنَّ شبيهَ الوبرِ أوعَدَني فما قضيتُ لهذا المُوعدي عجَبا

يا أيُّها المُوعدي إنِّي بمنزلةٍ تعيِي عليكَ وتلقَى دونَها رُتَبا

مثلي يردُّ على العادي عداوتهُ ويعتبُ المرءَ ذا القُربى إذا عتَبا

ولا أكونُ كوبرٍ بينَ أخبيةٍ إذا رأى غفلةً من جارهِ وثَبا

وثبَ القعودِ تَنادى الحاديانِ بهِ ليُنفراهُ وشدَّا ثيلَهُ حقَبا

أقسمتُ أطلبُ ذحلاً كنتُ أطلبهُ ... ما مسحَ الزَّائرونَ الكعبةَ الحجَبا

حتَّى أحلَّ بوادي مَن يُحاذرُني ... فيستفيدُوا ولوْ أتعبتهمْ خبَبا

ولا أسبُّ امرءاً إلاَّ رفعتُ لهُ ... عاراً يُسبُّ بهِ الأقوامُ أوْ لقَبا

ولا يُبرئُ القطرانُ البحتُ نقبتهُ ... وما تُبينُ بضاحي جلدهِ جرَبا

تَحمي غنيٌّ أُنوفاً أنْ تضامَ وما ... يَحمي عدوُّهمُ أنفاً ولا ذنَبا

إذا قُتيبةُ مدَّتني حلائبُها ... بالدُّهمِ تسمعُ في حافاتِها لجَبا

مدَّ الأتِيِّ ترى في أوبهِ تأقاً ... وفي القواربِ منْ تيَّارهِ حدَبا

وحالَ دُوني منَ الأنباءِ صمصمةٌ ... كانُوا الأُنوفَ وكانُوا الأكرمينَ أَبا

وشمَّرَ الخوفُ يومَ الرَّوعِ مسبغةً ... منَ المآزرِ حتَّى تبلغَ الرُّكَبا

شدَّ النِّساءُ سماواتِ البيوتِ فما ... ينقضنَ للخوفِ مِن أطنابِها طنُبا

حتَّى يشدُّوا الأُسارى بعدَما فرغُوا ... مِن بينِ متَّكئٍ قد فاظَ أو كرَبا

وحيَّ وردٍ ألمْ ينزلْ بعقوَتِهمْ ... حتَّى تضايقَ واديهمْ بما رحُبا

ملمومةً لمْ تداركْ في سوامهمِ ... حتَّى أُبيحوا بها والسَّبيَ فانتُهِبا

واسألْ بنا رهطَ عِلباءَ فقدْ شربوا ... منَّا بكأسٍ فلمْ يستمرئوا الشُّربا

إنَّا نذودهمُ يومَ الرُّحابِ وهمْ ... كالهِيمِ تَغشى بأيدي الذَّادةِ الخشبَا

بكلِّ عضبٍ رقيقِ الحدِّ ذي شطبٍ ... إذا توارى بقحفَيْ هامةٍ رسَبا

نذري بهنَّ أكفَّ الدَّارعينَ كما ... تذري المناجلُ مِنْ أوساطهِ القصبَا

لا ترفعُ الحربُ أيدينا إذا خُفضتْ ... ولا تبوخُ إذا كنَّا لها شُهُبا

حتَّى تُبيحَ العناجيجُ الجيادُ بنا ... أحماءَ مَنْ يعبدُ الأصنامَ والصُّلُبا

قدْ يعلمُ النَّاسُ أنَّا منْ خيارهم ... في الدِّينِ ديناً وفي أحسابهمْ حسبَا

لمْ يعلمُوا خلَّتَيْ صدقٍ فيستبِقا ... إلاَّ انتمينا إلى عُلياهُما سببَا

لا يمنعُ النَّاسُ منِّي ما أردتُ ولا أُعطيهمِ ما أرادُوا حسنَ ذا أدَبا

ومَنْ يسوِّي قصيراً باعهُ حصراً ضيقَ الخليقةِ عُوَّاراً إذا ركِبا

بذي مخارجَ وضَّاحٍ إذا نُدِبوا في النَّاسِ يوماً إلى المخشيَّةِ انْتَدَبا

مالك بن زغبة

وقال مالك بن زغبة الباهليّ، ثم القتبيّ بن كعب ونهد وجرم في يومٍ كان بينهم:

نأتكَ سليمى دارَها لا تزورُها وشطَّ بها عنكَ النَّوى وأميرُها

وما خفتُ منها البينَ حتَّى رأيتُها ميمِّمةً نحوَ القريَّةِ عيرُها

عليهنَّ أُدمٌ من ظباءِ تبالةٍ خوارجُ مِنْ تحتِ الخدورِ نحورُها

وفيهنَّ بيضاءُ العوارضِ طفلةٌ كهمِّكَ لوْ جادتْ بما يضيرُها

وما كانَ طِبِّي حبُّها غيرَ أنَّهُ يقومُ لسلمى في القوافي صدورُها

فدعْ ذا ولكنْ هلْ أتاها مُغارُنا بذاتِ العراقي إذْ أتاها نذيرُها

بملمومةٍ شهباءَ لوْ نطحُوا بها عمايةَ أوْ دمخاً لزالتْ صخورُها

يخُضْنَ بني كعبٍ ويدعُونَ مذحجاً لتنصُرَنا كعبٌ وكعبٌ شطورُها

ولمَّا رأينا أنَّ كعباً عدوُّنا وأبدى دفينَ الدَّاءِ منها ضميرُها

دعونا أبانا حيَّ كعبٍ بن مالكٍ وقدْ آلتِ الدَّعوى إليها كبيرُها

فثارتْ إليهمْ مِنْ قُتيبةَ عصبةٌ ومِن وائلٍ في الحربِ يَحمي نفيرُها

فدارتْ رَحانا ساعةً ورحاهمُ نثلِّمُ مِنْ أركانِها ونُديرُها

بكلِّ رُدينيٍّ أصمَّ مذرَّبٍ وبالمشرفيَّاتِ البطيءِ حسورُها

بضربٍ يزيلُ الهامَ عنْ مستقرِّهِ وطعنٍ كإيزاغِ المخاضِ تبورُها

وشعثٍ نواصيهنَّ يزجرنَ مُقْدماً يُحمحمُ في صمِّ العوالي ذكورُها

إذا انتسؤُوا فوتَ العوالي أتتهمُ عوائرُ نبلٍ كالجرادِ تطيرُها

فما إنْ تركْنا بينَ قَوٍّ وضارجٍ ولا صاحةٍ إلاَّ شِباعاً نسورُها

وجئْنا بأمثالِ المَها مِنْ نسائهمْ صدورُ القنا والمشرفيِّ مهورُها

ونهديَّةٍ شمطاءَ أوْ حارثيَّةٍ ... تؤمِّلُ سيباً منْ بَنيها يُغيرُها

فتنظرُ أبناءَ الخميسِ أراعَها ... أوائلُ خيلٍ لمْ يُدرَّعْ بشيرُها

فآبتْ إلى تثليثَ تذرفُ عينُها ... وعادَ إليها صمغُها وبَريرُها

علي بن الغدير

وقال علي بن الغدير السهميّ:

ألمْ تعرفِ الأطلالَ منْ آلِ زينبَا ... بلى لوْ ترَى لطالبِ الشَّوقِ مطلَبا

وماذا على ربعٍ وُقوفكَ ضحوةً ... يذكِّرُ عينيكَ الشُّجونُ لتسكُبا

ألا يا لقلبٍ قدْ أشتَّ بهِ الهوى ... ذرِ الشَّوقَ لا يذهبْ بكَ الشَّوقُ مذهَبا

فيا ربَّ باكٍ قدْ بكى شجوَ غيرهِ ... وذي طربٍ لمْ يطربِ النَّفسَ مطربَا

بلى قدْ تراها ناهدَ الثَّدي قدّها ... يجاوزُ مَخْطاها الطِّرافَ المحجَّبا

ليالِيَ تُبدي للمفنِّن منظراً ... إذا هيَ أبدتْ طرفَها العينُ أصْحبا

جبيناً وخدّاً واضحاً وكأنَّما ... شرتْ مُقلتيها شادناً متربِّبا

ألا أبلغا عنِّي الهُمامَ محمَّداً ... فهلْ مُبتغي عُتباكَ راحَ ليُعتبا

لعلَّكَ تنسى منْ عياضٍ بلاءهُ ... زمانَ تُسامي بابنِ مروانَ مُصعبا

وكنتُ إذا لاقيتهمْ عندَ كُربةٍ ... جمعتَ لها الأمَّ الكريمةَ والأبا

ليالِيَ لا ترضى نضالَ كتيبةٍ ... ولا طعنُها حتَّى يشدُّ فيضربا

إذا ما رأى الخرساءَ يبرقُ بيضُها ... بَلا السَّيفَ فيها والسِّنانَ المذرَّبا

فلمَّا أصابَ اللهُ بالملكِ أهلهُ ... وأُعطيتَ سُلطاناً منَ الملكِ أغلبا

ودرَّتْ لكَ الدُّنيا جعلتَ عطاءهُ ... أداهمَ في سجنٍ وباباً مضبَّبا

فهمْ بعدَها مَنْ يولكَ الخيرَ يزدجرْ ... سنيحاً منَ العفرِ البوارحِ أعضبا

فلوْ شاءَ لمْ يُنقضْ لهُ طيُّ حبوةٍ ... عياضٌ ولمْ يُرزأ نضيّاً مركَّبا

أتانيَ عنْ مولاكَ ذاكَ ابنِ محرزٍ ... على حين قالُوا سادَ ذاكَ وأتربَا

وعنْ قومهِ الأدنينِ دُخلانُ قومهمْ بأمرٍ جليٍّ قدْ أهمَّ وأنصبا
فلوْ كانَ مولَى مثلها يابنَ مُحرزٍ لألفيتهُ رِدْءاً وراءكَ مشغبا
قليلَ هجودِ اللَّيلِ ما دمتَ مُوثقاً مُشيحاً إليها ذا مخارجَ قلَّبا
لهُ أُسرةٌ إنْ خفتَ ضيماً رأيتهُ رأى الحقَّ أنْ يحمي حِماكَ ويحْدَبا
وذلكَ منْ عوفِ بنِ كعبٍ سجيَّةٌ على ما مضَى من درِّهمْ وتقلَّبا
فذو الرَّأيِ منَّا مستفادٌ لرأيهِ وشاهدُنا يَقضي على مَنْ تغيَّبا
إذا غضبَ المولَى لهمْ غضبَ الحصَى فلمْ ترَ أثْرى منْ حصاهمْ وأصلَبا
ومنْ يتفقَّدْ منِّيَ الظَّلْعُ يلقَني إذا ما التقيْنَا ظالعَ الرِّجلِ أشْيَبا
وما الظَّلْعُ إنْ شاءَ المليكُ بمُقعدي ولا رائضٌ منِّي لذي الضِّغْنِ مركَبَا
أبى ليَ أنِّي لا أُعيِّرُ والداً لئيماً ولمْ يُذممْ فَعالي فأقْصبَا
ولمْ تُضربِ الأرضُ العريضُ فرُوجُها عليَّ بأسدادٍ إذا رمتُ مذْهَبا
وهُلكُ الفتى أنْ لا يراحَ إلى النَّدى وأنْ لا يرَى شيئاً عجيباً فيعْجَبا

أبو قردودة الطائيّ

وقال أبو قردودة الطائيّ يمدح المنذر جدّ النّعمان بن المنذر:

كَبيشةُ عِرسي تمنَّى الطَّلاقا وتسألُني بعدَ هدءٍ فِراقا
وقامتْ تُريكَ غداةَ الرَّحي لِ كشحاً لطيفاً وفخذاً وساقا
ومُنسدلاً كمثاني الحبا لِ توسعُهُ زنبقاً أوْ خلاقا
وعذْب المذاقةِ كالأُقحوا نِ جادَ عليهِ الرَّبيعُ البراقا
تُسائلُني طَلَّتي هلْ لَقي تَ قابوسَ فيما أتيتَ العِراقا
فقلتُ لها قدْ لَقيتُ الهُما مَ منطلقاً بالخميسِ انْطلاقا
يقودُ الجيادَ لأرضِ العدوِّ فقدْ آضتِ الخيلُ شعثاً دِقاقا
سراعيفُ قدْ عُطِّلتْ هدَّجاً أمامَ الرِّفاقِ يَقدنَ الرِّفاقا
شماطيطَ يمزعنَ مزعَ الظِّبا ءِ لمْ يتركنَ ببطنٍ عَقاقا

فحيَّيتُهُ إذْ رأيتُ الجمُوعَ تُعارضهُ باليمينِ الورَاقا
عظامِ المناكبِ والسَّاعدَيْ نِ تتفرقُ الخيلُ عنهُ انْفراقا
وقالَ لهُ اللهُ أعطِ وهبْ وباعَ لهُ المجدُ بيعاً صِفاقا
وما أسدٌ مِنْ أُسودِ العَري نِ يعتنقُ السَّائلينَ اعْتِناقا
بأجرَأَ منهُ على بهمةٍ وأقدمَ منهُ صِراحاً صِداقا
وما البحرُ تطمُو قواميسُهُ بأنفقَ منهُ لمالٍ نِفاقا
أصاحِ ترَى البرقَ لمْ تغتمضْ طوارقُهُ يأتلقنَ ائْتلاقا
يُضيءُ حبيّاً دَنا بركُهُ يُقيمُ فُواقاً ويَسري فُواقا
سقَى واردات فهضبَ الرِّدا هِ فانعقَّ فوقَ الغَبيطِ انْعِقاقا

فلمَّا تنزَّلَ عنْ صلبِهِ ومسَّ منَ الأرضِ ترباً دُقاقا
مرتْهُ الصَّبا وانتحتْهُ الجَنو بُ تطحرُ عنهُ جَهاماً رِقاقا
فألقَى على أجإٍ بركَهُ كأنَّ على عَضُديهِ رِفاقا
يكبُّ العِضاه لأذقانهِ ككبِّ الفنيقِ اللّقاحِ البُصاقا
ثلاثُ ليالٍ وأيَّامهنَّ يندفقُ الماءُ منهُ انْدِفاقا
وألقى البَعاعَ بقيعانهِ فرفَّعَ ماطُورَهُ واسْتَفاقا
سقيتُ بهِ جبلَيْ طيِّئٍ ولمْ أسقِ شاماً بهِ أوْ عِراقا
ولكنْ سقيتُ بهِ بلدةً تُباسقُ عنَّا معَدّاً بِساقا
فلمْ يأتِها أنَّنا معشرٌ حَوَيْنا المدى وملَكْنا السِّباقا
وإنَّا نُجدِّعُ أنفَ الفَخارِ إذا ما القسيُّ غممنَ الرِّواقا
وإنَّا ادَّعقْنا برغمِ الأُنوفِ حِمى أسَدٍ بالخُوَيّ ادِّعاقا
صلقْناهُمُ باللِّوى صلقةً سقتهُمْ منَ الموتِ كأساً دِهاقا
فأضحتْ بنُو أسَدٍ بعدَهَا تَشيمُ بشعفَيْنِ برقاً ألاقا

الفهرس